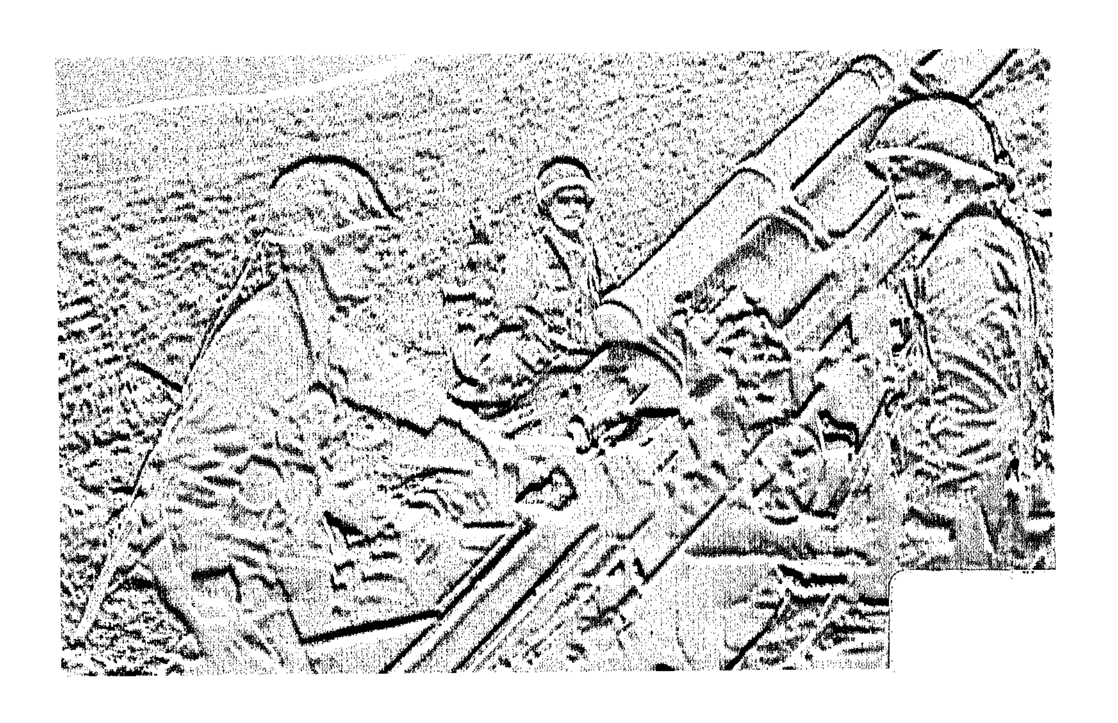
مذكرات ومطالعات اللواء الركن المتقاعد

صادق الشرع

حروبنا مع اسرائيل

١٩٤٧-١٩٧٣

معارك خاسرة وانتصارات ضائعة





حروبنا مع إسرائيل

١٩٤٧ - ١٩٧٣

معارك خاسرة وانتصارات ضائعة

حروبنا مع إسرائيل

١٩٤٧ - ١٩٧٣

معارك خاسرة وانتصارات ضائعة

مذكرات ومطالعات

اللواء الركن المتقاعد

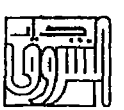
صادق الشرع



١٩٩٧

■ اللواء الركن المتقاعد صادق الشرع (حروبنا مع إسرائيل ١٩٤٧-١٩٧٣).
■ الطبعة العربية الأولى :
الاصدار الأول ١٩٩٧

■ الناشر :



دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : ٦١٨١٩٠ / ٦١٨١٩١ / ٦٢٤٣٢١ فاكس ٦١٠٠٦٥
ص.ب : ٩٢٦٤٦٣ الرمز البريدي ١١١١٠
عمان - الاردن

■ التوزيع في فلسطين :
دار الشروق للنشر والتوزيع
رام الله - المنارة - الشارع الرئيسي
هاتف ٩٩٨٥٩٧٨
■ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام:

 الشروق للدعاية والإعلان والتسويق / قسم الخدمات المطبعية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات :٢٧٨ / ٣ /١٩٩٦

رقم الايداع لدى دائرة المكتبه الوطنية
(٣٨٣ / ٣ / ١٩٩٦)

رقم التصنيف: ٩٥٦,٠٩٣
المؤلف ومن هو في حكمه: صادق السرع
عنوان الكتاب. حروبنا مع اسرائيل ١٩٤٧ - ١٩٧٣
الموضوع الرئيسي: ١- التاريخ والجغرافيا
٢- النزاع العربي الاسرائيلي
رقم الابداع: (٣٨٣ / ٦ / ١٩٩٦)
بيانات النشر: عمان : دار السروق

* تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



اللواء الركن صادق الشرع

الإهداء

إلى الشهيد العربي

الذي فقده أهله، وخذله قومه،

وخلّده التاريخ.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة

أما وقد ردت السيوف الى أغمادها وعادت الجيوش الى ثكناتها وتحولت الدول العربية الى مـرحلة التـصــالح مع إسرائيل آملة تحـقـيق الســلام العادل والدائم في المنطقة فقد رأيت أن الوقت قـد حان لكي انشر ما لدي من معلومات عن وقائع حروبنا الماضية مع إسرائيل وذلك لخدمة التاريخ ومنفعة أجيالنا القادمة .

وفي التـحـضـير لهذا الكتـاب فإنى قد اعتمدت على خبراتى الشخصية ومعلوماتى المباشرة عن الوقـائع التي اشتركت فـيـهـا عـملياً وعلى مطالعاتى ودراساتي للكثير من المصادر التي نشرت حول هذا الموضوع .

ومن هذا المنطلق فإن علاقتي بهذه الحروب ومجال اشتراكي فيها تنبثق اصلاً من خلال خـدمـتي في الجـيش العربي الأردنى الذي تشرفت بالإنتساب اليه منذ مطلع عقد الأربعينات عندمـا بدأت عـمليـة تحـويله من قـوة صـغيرة للأمن الداخلي الى جـيش مقاتل متوازن أبان الحـرب العــالمـيـة الثـانية وما بعدها. ثم تدرجت في الرتب والمراكز المختلفة وتقلدت الوظائف الهامـة واضطلعت بالمسـؤوليات الحساسة على مر السنين. كما ساهمت مساهمة أساسية في تنظيم وتدريب وحـدات هذا الجـيش وتشكيـلاته واشتركت معها في الحربين الأولى والثانية وأما الحربين الثالثة والرابعة فقد كانت لي علاقة غير مباشرة بهما بشكل أو بآخر كما جاء في شرح وقائعها .

وســيـجد القارىء في تفصيلات وقائع المعارك المختلفة الكثير من الشروحات المعتمدة على مـعلومـاتى المبـاشرة ومذكراتى من خلال المراكز التي شغلتها في مختلف القيادات في الجيش العـربي بالنسـبة لعمليات وحداته وعلى المعلومات التي كانت تتوفر لدي من طبيعة علاقاتى الرسـمـيـة مع الجـيوش العربية الشقيقة واتصالاتى المباشرة معها ضمن واجباتى في المراكز التي توليتها ولاسيما عندما اصبحنا جزءاً من القيادة العربية المشتركة .

وبالإضــافـة الى خبراتى ومـعلومـاتى المباشرة فقد درست الكثير من الكتب والمراجع التي

نشرت عن هذه الحـروب وأعـتـمـدت عليها في بيان مطالعاتى التي ابديتها بنتيجة استعراض وقـائعـها متوخياً الدقة التامة والحياد والنقد البناء حيثما ورد النقد وذلك لكي يكون وصف الاحـداث حـقـيـقيا كما حصلت فعلاً بدون تشويش أو مبالغة أو غموض وليصبح تأريخها صحيحاً ومفيدا وموثوقاً

وأمـا مـا ابديتـه من آراء أو تعليـقات عن مختلف الوقائع والأحداث فإنها لا تعدو كونها آرائي الشـخـصـيـة التي حـاولت جهدي أن تكون هادفة وبعيدة عن الغرض فإن اصبت في ابدائهـا فـقـد حققت الغاية المقصودة من ابدائها وحصلت الفائدة المتوخاة منها وان اخطأت فإن لي عذر المجتهد الذي حاول استنباط الحقيقة وجانبه الحظ وفي كلتا الحالتين فقد حاولت جهدي ان اقدم كتابا مفيداً آملا أن لا يكون القارىء قد أضاع وقته في الإطلاع عليه

وختاما فأنى أرجو الله سبحانه أن يوفقنا لما فيه خير الوطن ويهدينا إلى سبل الرشاد إنه سميع مجيب

المؤلـــــف



توطئة تاريخية

إن الحـروب العـربيـة الإسرائيلية التي سوف استعرض احداثها في هذا الكتاب قد وقعت أسـاسا بسبب قضية فلسطين كما ان ما أعقب هذه الحروب أو واكبها من أحداث جسام في مختلف اقطار العالم العربي كانت تتصل بصورة مباشرة أو غير مباشرة بهذه القضية

أمـا لماذا وجـدت قـضـيـة فلسطين وتطورت مع الأيام والسنين حتى أصبحت في واقعها كـارثة الأمـة العـربيـة ومآسـاتها المزمنة فـهـذا مـا سـوف نلمس بعض أبعاده من متابعة تفـصـيلات احداث هذه الحروب في الفصول القادمة . ولكني سوف أحاول هنا ان اعرض في هذه التوطئة لمحة موجزة عن بدايات وتطورات هذه المشكلة لكي اعطي للقارىء خلفية ذهنية قـبل ان يتـقدم في قراءة تفصيلات الاحداث التي سوف يتضمنها هذا الكتاب ولتكون مدخلا معقولا لنفهم أسباب حدوثها بهذا الشكل الذي حدثت فيه والمصير الذي آلت إليه

إن مـعظم الكوارث التي حلت بوطننا العـربي وعلى الاخص خلال الخمسين سنة الماضية كـانت تدور حـول قضية فلسطين او تتصل بها فلو استعرضنا ما حدث في مختلف الأقطار العـربيـة من إنقـلابات عـسكرية أو حـروب اهليـة أو مشاكل داخلية أو حروب ضد القوات الإسرائيليـة على أرض فلسطين أو غيرها من الأقطار العربية لوجدنا أنها تتصل بهذه القضية بطريقـة مـباشرة أو غير مباشرة كما ان المقاومة العربية بمختلف مراحلها وحركات التحرير في جميع انحـاء الوطن العربي الواسع ليست إلا مؤشرا هاما لمحاولات امتنا الماجدة على مدى الأجـيـال والعـصـور في مقاومة الهجمات الشرسة التي ما فتىء الاستعمار يشنها على وطننا بهدف احتلاله واستعباد امتنا ونهب خيراتها

ولكن مـاهي قـضـيـة فلسطين ولماذا أصبحت بالنسبة لنا وللعالم (قضية) وهي لم تكن كـذلك قـبل مطلع هذا القـرن ؟ هذا هو السؤال الذي سأحاول الإجابة عليه في سياق حديثي بهذه التـوطئة ولكني لست مـعنيـا هنا بالدخـول في تفـصـيلات علاقة اليهود بفلسطين في العـصـور القـديمة وما يدعونه من حقوق لهم فيها لأن جميع وقائعها مثبتة في بطون الكتب

وليس هنا مجالها . ولكني سوف أوجز لمحة عن الوقائع الهامة المتعلقة بهذه القضية والتي حدثت منذ نهاية القرن التاسع عشر والتي آلت بفلسطين الى ما هي عليه الآن وذلك لأن هناك بداية المأساة ومصدر الكوارث ومحور الصراع .

فلو أمعنا النظر في تسلسل أحداث التاريخ لوجدنا أن أصول هذه القضية قد بدأت تتكون مع بدايات ظهور الحركة الصهيونية ودعوتها لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين رغم انها لم تكن أرضاً خلاء بلا سكان لكي يؤسسوا فيها وطناً لأقوام ليسوا بلا أوطان بل هم مواطنون من مختلف بلدان العالم ومن أصول جنسياتها ارادوا جلبهم إلى فلسطين ليستوطنوا فيها رغم انها بلد عربي مليء بسكانه الأصليين الذين هم الشعب العربي الفلسطيني .

ولقد كان معهم أقلية من اليهود عاشوا بهذا البلد حياتهم الطبيعية كباقي سكانه يتمتعون بكامل حقوقهم وواجباتهم الوطنية ولم يعترض على وجودهم أحد. كما عاشت اقليات يهودية أخرى في مختلف الأقطار العربية كمواطنين يحملون جنسياتها ويتمتعون بكامل حقوق المواطنة فيها. ولا عجب فاليهودية هي إحدى الديانات السماوية الثلاثة التي انزلها الله سبحانه وتعالى لهداية البشر بمختلف اجناسهم وألوانهم واعتنقها الكثيرون من شعوب الأرض المختلفة .

أما المؤسس الفعلي لهذه الحركة فهو رجل نمساوي اسمه الدكتور ثيودور هيرزل (Dr. Theodore Herzil). وقد بدأ دعوته في كتاب نشره عام ١٨٩٥م واسماه (الدولة اليهودية) وقال فيه أن الحل الجذري للمسألة اليهودية يكمن في إنشاء دولة لهؤلاء الذين اصبح وضعهم لا يطاق في البلاد التي يضطهدون فيها وكان يشير بذلك إلى المذابح التي تعرض لها اليهود في بولندا ورومانيا وروسيا. والتي بلغت ذروتها في عام ١٨٨٢م. وقد دعى هيرزل الى إنشاء وكالة يهودية تتولى الشؤون التنظيمية والسياسية. وإلى تأسيس شركة يهودية تتولى مسألة التنظيم المالي والإقتصادي. وعلى أثر ذلك انعقد المؤتمر الصهيونى الأول في مدينة (بال) في سويسرا عام ١٨٩٧م ووضع هذا المؤتمر برنامج الحركة واوصى بأن تكون الدولة اليهودية المقترحة في فلسطين والتي أسماها (أرض اسرائيل). كما قرر تأسيس شركة يهودية تكون مهمتها شراء الأراضي وإقامة المستوطنات عليها في فلسطين.

ولكن لماذا تعرض اليهود الى هذه المذابح في مختلف البلدان الأوروبية مع أنهم من سلالات شعوبها. فمثلاً كان اليهودي البولندي يذبحه بولندي آخر لكنه مسيحي. وكذلك الحال بالنسبة لليهودي الألمانى والإسبانى والرومانى والروسي وهكذا. وعلى هذا الأساس

فإن هذه المذابح كانت تنفذ على خلفية دينية وليس على أساس عرقي أو قومي. أي أن اليهودي البولندي مثلاً كان يذبحه ابن جلدته ومواطنه البولندي المسيحي لأنه يهودي فقط وليس لأنه بولندي. وهكذا الحال بالنسبة لباقي البلدان التي جرت فيها مذابح ضد اليهود .

ولكن أحداً لم يتطرق الى حقيقة ان اليهود لم يتعرضوا أبداً لأي نوع من المذابح أو الاضطهاد في أي بلد عربي أو إسلامي عبر عصور التاريخ رغم أنهم عاشوا في هذه الديار مئات السنين وكانوا يحظون بكامل حقوق المواطنة والحرية التامة ورغد العيش ويجمعون الثروات الطائلة من مختلف الاعمال التي كانوا يمارسونها بكل حرية وبدون أية قيود او شروط أو تمييز. حياتهم مأمونه وكرامتهم مصانة في جميع الظروف والأحوال .

فلماذا إذن يدفع الفلسطينيون والعرب الآخرون ثمن ظلم الألمان والروس والبولنديين والإسبان وغيرهم من الشعوب الأوروبية لمواطنيهم وبني قومهم من الذين يعتنقون الديانة اليهودية ؟ لا أحد في هذا العالم يحاول الإجابة .

وفي عام ١٩٠١م قابل الدكتور هيرزل السلطان عبد الحميد الثاني في اسطنبول وعرض عليه أن يمنح اليهود حق إقامة المستعمرات في فلسطين مقابل قرض مالي يقدمه البنك الصهيوني إلى الحكومة التركية. ولكن السلطان رفض هذا العرض .

وبهذه الأثناء نشط زعماء الصهيونية باتصالاتهم مع الحكومة البريطانية التي عرضت عليهم إقامة وطن لليهود في (أوغندا) بإفريقيا أو في منطقة العريش وسيناء. ولكن المؤتمر الصهيوني رفض هذين الاقتراحين وأصر على أن يكون الوطن المطلوب لليهود في فلسطين

وفي عام ١٩٠٨م بدأت الخطوات العملية عندما قرر المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في (لاهاي) في بلجيكا إقامة شركة أراضي فلسطين ومنحها قرضاً ضخمًا من البنك القومي اليهودي لبناء منطقة سكنية للمهاجرين اليهود بجوار مدينة يافا. وكان هذا المشروع هو نواة مدينة تل أبيب .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى تقدم أحد زعماء الصهيونية واسمه (هربرت صموئيل) بمذكرة الى الحكومة البريطانية وبعض اعضاء البرلمان تتضمن خطة لتأسيس دولة يهودية في فلسطين تستوعب من ثلاثة إلى أربعة ملايين يهودي. وقال في مذكرته (سوف نؤسس بجوار قناة السويس دولة يهودية مخلصة لبريطانيا) .

وليس من قبيل الصدفة أن يصبح (هربرت صموئيل) أول مندوب سامي تعينه الحكومة البريطانية لفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى .

أما على صعيد الدول الإستعمارية وفي طليعتها بريطانيا وفرنسا فقد كان نشاط زعماء اليهود فيها على أشده خلال هذه الحقبة من الزمن وعلى جميع الأصعدة للحصول على تأييد عملي لحركتهم وأخذ موافقة رسمية على إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

ولقد كان أكبر حافز لبريطانيا وفرنسا لمساعدة اليهود في تحقيق اهدافهم هو أنهما كانتا تعرفان مدى العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة بين المانيا وتركيا حيث بدأت المانيا بتحديث القوات المسلحة التركية منذ عام ١٨٨٣م. وكانت العلاقات بينهما قد ازدادت توثقا بعد سيطرة ضباط الاتحاد والترقي على الحكم وأصبح واضحاً ان تركيا سوف تدخل الحرب عند نشوبها الى جانب المانيا. كما ان بريطانيا وفرنسا كانتا تعرفان عمق الخلاف بين الأحرار العرب والحكام الأتراك من رجال الاتحاد والترقي بسبب إصرار هؤلاء على طمس الهوية العربية وصهرها في بوتقة التتريك كما كانتا تعرفان مدى جدية الدعوة إلى تحرير الاقطار العربية واستقلالها وادركتا بنفس الوقت مدى خطورة هذه الحركة حيث آنها لو نجحت في توحيد الولايات العربية الشاسعة واستقلت في دولة عربية واحدة فإنها سوف تصبح قوة هائلة بفضل مركزها الاستراتيجي الهام ومواردها الطبيعية الضخمة وكثافة سكانها وعندئذ فإنها سوف تصبح خطراً حقيقياً يهدد مصالح الدول الاستعمارية في هذه الرقعة من العالم فبريطانيا كانت تحتل مصر وتسيطر على قناة السويس وهي تريد ان تبقى طرق مواصلاتها البحرية والبرية مع الهند والشرق الأقصى مفتوحة وتحت سيطرتها ولتحقيق ذلك لابد لها من أن تضمن بسط سيطرتها وتثبيتها على بلدان المشرق العربي بعد ان تنهزم المانيا وتركيا في الحرب. ولذلك فإن بريطانيا وفرنسا قررتا ان تحولا دون تحقيق وحدة هذه البلدان العربية ودون نيل استقلالها بأي ثمن لكي تضمنا تحقيق اهدافهما الاستراتيجية. ومن هنا فقد توافقت مصالحهما مع مصالح الحركة الصهيونية. فهذه الحركة تريد تحقيق حلمها الأزلي بتأسيس دولة يهودية في فلسطين وهذا لن يتحقق الا بمنع قيام الوحدة العربية من جهة وبضمان استمرار دعم ومساندة الدول العظمى لدعوتها من جهة ثانية وبنفس الوقت فإن هذه الدول العظمى تريد ضمان مصالحها الرئيسية في العالم العربي وهذا يتطلب منها ان تحول دون تحقيق الوحدة العربية لان في تحقيقها تهديد خطير ومباشر لتلك المصالح وفي هذا المجال فإن تلك الدول العظمى تستطيع الاستفادة من القوى الصهيونية في مختلف انحاء العالم ومن وجود دولة يهودية في فلسطين حيث ستصبح في المستقبل سيفا مسلطا على رقاب العرب. ولذلك فقد اصبح التعاون بينهم أمراً حتميا. واخذ يتنامى على مختلف الاصعدة العلمية والاقتصادية والعسكرية. واخذت الحركة الصهيونية

تقدم لبريطانيا وحلفائها كل ما يطلبونه من عون ومساعدة. والثمن هو ان تجعل من فلسطين وطناً قومياً لليهود بعد انتصارها في الحرب. ولتنفيذ هذا المطلب اصدرت بريطانيا بتاريخ ٢ تشرين ثانى عام ١٩١٧م وعد بلفور الذي وعدت بموجبه أن تعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وبعد نهاية الحرب وقعت بريطانيا مع فرنسا معاهدة (سان ريمو) بتاريخ ٢٥ نيسان عام ١٩٢٠م التي بموجبها قررتا تنفيذ معاهدة (سايكس بيكو) التي سبق أن وقعتاها اثناء الحرب وتقاسمتا بموجبها مناطق النفوذ وقررتا بناء على ذلك تقسيم الوطن العربي الى دويلات تخضع لنفوذهما. فاستعمرت فرنسا سوريا ولبنان واستعمرت بريطانيا فلسطين ووضعت العراق وشرق الأردن تحت حكمها بما عرف باسم الانتداب. وهو نوع من التسمية المنمقة للإستعمار. وهكذا تحقق لهذه الدول الاستعمارية جميع أهدافها التي وضعتها منذ البداية وهي منع وحدة الأمة العربية وتكريس تجزئتها الى دويلات تقع جميعها تحت نير الاستعمار الفرنسي والبريطانى .

ولتحقيق تأسيس دولة يهودية في فلسطين فتحت بريطانيا الأبواب لهجرة اليهود اليها من جميع انحاء العالم حيث بدأوا بإستعمارها تدريجياً بإشراف ودعم قوات الاحتلال البريطانى .

وهكذا أصبحت فلسطين قضية ومشكلة اخذت تتطور على أرض الواقع من سيء الى أسوأ عبر السنين رغم المقاومة غير المتكافئة التي كان يبديها اهلها ومن ينضم اليهم من أبناء الاقطار العربية في النضال ضد المستعمرين الإنجليز وضد اليهود الذين ما لبثوا أن اسسوا كافة تنظيماتهم السياسية والإقتصادية والإدارية والعسكرية اللازمة لبناء أطر دولة إسرائيل تحت بصر حكومة الانتداب وسمعها. كما أخذوا يبنون مستعمراتهم في مختلف أرجاء فلسطين على الأراضي التي كانوا يحصلون عليها أما من املاك الدولة التي ورثتها الحكومة البريطانية المستعمرة عن الدولة العثمانية المنكسره رغم انها جميعها اراض عربية ولا علاقة للأتراك أو الإنجليز بها لكي يستولوا عليها ويتوارثوها من مستعمر الى آخر ثم يمنحوها لليهود القادمين من مختلف بلدان العالم كمهاجرين .

وأما من الأراضي التي كانوا يشترونها من مالكيها في غفلة من الزمن بسبب فقرهم وحاجتهم لأثمانها بنتيجة سياسة الضغط البريطانية ولكن مهما اختلفت الأسباب والأساليب فالنتيجة واحدة وهي أن اليهود كانوا يحصلون على الأرض ويبنون عليها عشرات

المستعمرات الاستيطانية بسرعة مذهلة. مما مكنهم بالنهاية من إستيعاب مئات الألوف من المهاجرين الذين بنوا دولة اسرائيل على أنقاض الشعب العربي الفلسطيني.

ومع مرور الزمن كان اليهود يزدادون قوة ومنعه وتتضاعف اعدادهم وتنتشر مستعمراتهم لتملأ معظم مساحات فلسطين. ولإظهار زخم هذا التسارع باستقدام اليهود إلى فلسطين يكفي ان نعرف أن عدد السكان اليهود في فلسطين عند صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م كان لا يتجاوز ثمانين ألف نسمة وأصبح عند صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧م ستمائة الف أي أن عددهم تضاعف أكثر من سبعة أضعاف خلال ثلاثين عاماً .

وبالمقابل كان العرب يزدادون ضعفاً وتشتتاً وتفرقاً. وتتحول أراضيهم الخصبة الى بوار وتتحول قراهم الى خرائب بعد أن هجرها أهلها وتشردوا في بلاد الله الواسعه .

ومع مرور الزمن تحولت فلسطين القضية الى فلسطين النكبة. وأخيراً وقعت الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م وكانت هي نقطة التحول الكبرى في تاريخ الأمة العربية حيث دخلت بعدها في مرحلة رهيبة من التمزق والضياع والتفرقة والخلافات المستديمة .

وفي هذا الجو المحموم من التناحر والتنابذ استغل الاستعمار تلك الفرصة النادرة المتاحة وأخذ يستخدم مختلف الأساليب لتكريس الخلافات بين الدول العربية وتعميقها وتحويلها الى عداوات مريره وصلت في بعض الأحيان إلى الصدامات المسلحة. فانصرفت انظار الأمة العربية عن عدوها الحقيقي وتحولت جهودها الى محاربة بعضها بعضاً وهي تعرف أنها بذلك تهدر طاقاتها وتستهلك مواردها بدون جدوى وكأنها تسعى إلى تدمير ذاتها .

وبالمقابل أخذت اسرائيل تبني قدراتها العسكرية وتطور صناعاتها الحيوية رغم اعتمادها الكامل في مستلزماتها المالية على مصادر خارجية، حتى وصلت إلى مستوى الدول الكبرى في قدرة قواتها المسلحة. بينما استمرت الأمة العربية في خلافاتها وهدر طاقاتها الهائلة على مذبح التناحر والعناد وما زالت تتدهور الى مستويات متفاوتة من الفرقة والضعف رغم توفر كل أسباب القدرة والمنعه لديها من مواردها الطبيعية الضخمة وطاقاتها البشرية الهائلة وعلى الرغم من هذه الأوضاع المتردية التي سادت جميع ارجاء الوطن العربي فقد جرت عدة محاولات على طريق تحقيق الوحدة العربية. منها محاولات سياسية استهدفت توحيد قطرين عربيين أو أكثر. ومنها انقلابات عسكرية اعلن القائمون عليها ان هدفهم تحقيق الوحدة العربية على اعتبار ان من سبقوهم في الحكم كانوا عقبة في سبيل تحقيقها. إلا أنه لم

يكتب لهذه المحاولات جميعها أن تعمر طويلاً وما لبثت حتى انفرط عقدها وعاد كل قطر الى استقلاليته .

أما لماذا آلت حال الأمة العربية الى هذا الوضع المأساوي المتخاذل فإنني أرى أن الأسباب في معظمها ترجع إلى العوامل الأساسية الآتية :

أولاً : لقد عمد الاستعمار الى تقسيم البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى إلى كيانات متعددة ورسم لها حدوداً تتناسب مع مصالحه. وقد كرست الدول العربية المستحدثة هذا التقسيم واعتادت عليه مع الزمن ضمن إطار قومية قطرية كرسوها وأصبحوا يعتقدون أن هذه هي قوميتهم .

ثانياً : بما أن هذه الدول المختلفة قد نالت استقلالها بعد مرحلة حكم الاستعمار وأصبحت دولاً ذات سيادة وارتبطت مصالحها وأسباب معيشتها مع ذلك الكيان المستحدث فإنها أصبحت ترى ان قيام الوحدة العربية يهدده من اساسه. ولذلك فإنه يتوجب عليها أن تدافع عنه وتحميه من أخطار قيام الوحدة العربية كلما لاح هذا الاحتمال في الأفق. وهكذا فقد أصبحت الأمة العربية تتكون من العديد من الدول المستقلة التي تختلف كل واحدة منها عن الاخرى اختلافاً جذرياً. وأصبحت علاقاتها مبنية على أساس المصالح القطرية المحدودة قبل كل شيء. وبالنتيجة فإنها اخذت تتصرف وكأنها قومية منفصلة وجنسية قائمة بذاتها تختلف عن جنسيات اشقائها في الاقطار الأخرى .

ثالثاً : ان مصالح الدول الاستعمارية غربية كانت أم شرقية تستلزم أن لا تصبح للأمة العربية دولة واحدة موحدة أو دولة اتحادية أو حتى على الأقل مجموعة اتحادات بين دولها المستقلة. لأنها بهذه الحالة قد تصبح قوة ضخمة تهدد مصالح الاستعمار المتمثلة باستغلاله لمصادر النفط العربي وغيره من المعادن والخامات الطبيعية ومراكزه الاستراتيجية الهامة .

فهي لذلك قاومت وسوف تستمر في مقاومة كل محاولة تهدف الى تحقيق أي نوع من أنواع الوحدة أو الاتحاد بين أي من الأقطار العربية مهما كان نوع نظام الحكم فيها .

ولقد نجحت حتى الآن وسوف تنجح مستقبلاً في تحقيق غاياتها أن بقيت الأمة العربية على ما هي عليه من العقلية الفردية والنزعة الانعزالية .

رابعاً : لقد استطاعت اسرائيل أن تبني قوات مسلحة ضخمة وان تمتلك قدرة نووية لا يستهان بها. وأصبح بإمكانها ان تضرب أي مكان في العالم العربي مهما بعد عنها دون أن تحسب أي حساب لباقي الأقطار العربية الأخرى التي اعتادت ان تقف موقف المتفرج على ما يجري. وان صدر عنها أي رد فعل فهو لا يتعدى التصريحات والبيانات المتعاطفة مع البلد الضحية واللجوء الى هيئة الأمم المتحدة لكي تعيد لنا بعض حقوقنا المسلوبة .

ومن المؤلم حقاً أن هذه الأمة العربية العظيمة صاحبة التاريخ المجيد والامكانيات الضخمة والموارد الهائلة لا تستطيع ان تعي جدية هذا الخطر الذي يهدد كيانها من أساسه، فتتنادى شعوبها لتلم شملها وتوحد كلمتها وتكرس طاقاتها لبناء قدراتها الاقتصادية والعسكرية لتصل الى المستوى الذي يمكنها من التصدي لهذا الخطر الماحق بفعالية واقتدار. بل إنه لمن المحزن حقاً أن نرى أننا بدلاً من ذلك ننصرف إلى المزيد من المهاترات والمناكفات ونترك الساحة خالية لمن يريد أن يستغلها .

ولقد قلت أن الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م كانت نقطة تحول خطيرة في تاريخ الأمة العربية. ولكن ماذا بعدها. وكيف تطورت الأحداث. وهل أصبح حالنا الآن أفضل مما كان عليه. وهل نحن سائرون نحو الأفضل أم إلى الأسوأ. جميع هذه التساؤلات قد تتضارب حولها بعض الآراء رغم أن تدهور احوالنا واضح. ولكن الحقيقة التي لا يمكن انكارها هي أن الأمة العربية الماجدة التي رسخت جذورها في التاريخ قروناً طويلة واستطاعت ان تتخطى المحن والنكبات عبر العصور الماضية لقادرة على الصمود أمام هذه الأخطار المعاصرة وقادرة على الذود عن حياضها وحماية كيانها واستعادة امجادها وصيانة عزتها وكرامتها .ولكن كيف ؟ ومتى ؟ هذا ما يجب أن نحاول البحث عن الإجابة عليه .

وفي هذا السبيل فإنى سأعرض في صفحات هذا الكتاب ما عرفته من تفصيلات وقائع هذه الحروب العربية الإسرائيلية لعل القارىء يجد فيها بعض العبر والاستنتاجات التي قد توصله إلى قناعات معينه ترشده إلى الإجابة عن بعض تلك التساؤلات .

المؤلف

الفصل الأول

الحرب غير النظاميه في فلسطين

تمهيـــد :

من المعـروف أن المقاومة الفلسطينيه ضد الاستعمار البريطانى والاستيطان الصهيونى في فلسطين قـد بدأت منذ عقد العشرينات عندما تولت بريطانيا حكم فلسطين كدولة منتدبه من قـبل عـصبـة الامم بموجب قرارها الذي أصدرته في عام ١٩٢٢م. وعندئذ عـينت الحكومة البريطانيـة مندوباً ســامـيـاً يتولى حكم البلاد نيابة عنها ومعتمداً على قوة الجيش البريطانى الذي احـتلهـا بنهـاية الحـرب العــالميـة الاولى من الجيش التركي. وكانت اولى مهام المندوب السامي تطبيق وعد بلفور الذي سبق أن منحته لليهود بتاريخ ١٩١٧/١١/٢م والذي ينص على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين .

وقـد كـانت هذه المقـاومـة الفلسطينيـة في البـداية تأخـذ شكل المظاهرات والإضرابات ثم تطورت الى المقـاومـة المسلحـة كثورات يقوم عناصرها بعمليات محدودة ضد مراكز البوليس الإنجليـزي والمســتـعـمـرات اليـهـودية ومصادمات مع دوريات الجيش البريطانى بمختلف المناسـبـات. ثم مــا يلبث الجيش حتى يتغلب على الثوار بالنهاية ويفرض سيطرته على البلاد بالقـوة إلى حين وقـد كـانت آخـر هذه الثـورات العـربيـة الفلسطينية تلك التي بدأت في عام ١٩٣٦م وانتهت في عام ١٩٣٩م قـبيل نشوب الحرب العالمية الثانية عندما أصدرت الحكومة البريطانيـة (الكتـاب الأبيض) الذي وعـدت بموجبه منح عرب فلسطين الاستقلال بعد نهاية الحرب فألقى الثوار سلاحهم بإنتظار تحقيق ذلك الوعد .

وســوف لا أدخل هنا في تفـصـيلات أحداث هذه الثورات لأن موضوع هذا الكتاب سوف يقتصر على البحث في الحروب العربية الإسرائيلية التي اشـتركت فيها الدول العربية بجيوشـها النظامية. ولكنني على أي حال سأدخل في هذا البحث تلك الحركات الحربية غير النظامية التي وقـعت بين العـرب واليـهود في فلسطين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . لأن هذه العمليات كـانت تأخـذ طابع الحـرب الشــامله التي اشـتركت فيها القوات الإسرائيلية بشكل علني وعلى نـطاق واسع وتمكنت من احـتــلال العـديد من المدن والقـرى الفلسطينيـة مما أدى في نهاية المطاف الى اشتراك الجـيـوش العـربيـة النظامية في الحرب ضد اسرائيل كما أن تلك العمليات

تطورت الى المصـادمات المستمرة بين القوات الإسرائيلية والجيش البريطانى وأصبحت باهضة التكاليف فـاتخذت الحكومة البريطانية قراراً بتاريخ ٨ شباط عام ١٩٤٧م بأن تنسحب من فلسطين وتعـيـد مـهـمـة الانتـداب الى هيئة الأمم المتـحدة وقد نفذت هذا الانسحاب بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٤٨م تاركة البلاد في حالة من الفوضى المسلحة لا مثيل لها .

لقـد بدأت خبرتى بالحـركـات في فلسطين عندمـا نقلت الى سرية المشاة الثانية التي كانت تقـوم بحـراسـة القـاعـدة الجـوية البريطانية في عاقر بجنوب فلسطين بتاريخ ١/ ٣/ ١٩٤٣ وخـلال مـدة خـدمـتي هناك اتيـحت لي الفـرصـة أن أقوم بزيارات عديدة إلى القرى العربية المحيطة بتلك المنطقة واتعرف على سكانها كما كان وجهاء هذه القرى يزوروننا في معسكرنا ويعـربون عن مشاعرهم الأخوية حيث كانوا يعتبرون أن الجيش العربي هو جيشهم لاسيما وانه لم يكن لدى العـرب الفلسطينيين جيش يدافع عنهم حتى ولو كان بشكل سري كما كان لليهود .

وقـد كنا نعـرف مـعـانـاة عـرب فلسطين بسبب ضغط حكومة الانتداب البريطانى عليهم وشـدة مقاومتها لأية امكانية لحصولهم على السلاح منذ بداية عهد الانتداب حيث كان يكفي ان يكون بحـوزة الفلسطيني مـسـدسـاً أو حتى طلقة عتاد لكي يحكم عليه بالسجن المؤبد أو الإعـدام وأمـا الأسلحـة القليلة التي كـانوا يحصلون عليـهـا اثناء نشوب الثورات التي كانوا ينفـذونها بمـخـتلف الأوقـات فـقـد كـانوا يهربونها عبر الحـدود من بعض البلدان العربية ويجازفـون بحـيـاتهم في سـبـيل الحـصـول عليها وايصالها ليد الثوار، وعلى الرغم من تلك الصـعـوبات والمشاق التي كانوا يواجهونها للحصول على تلك الأسلحة فإنها لم تكن آكثر من اسلحـة خـفـيـفة كالبنادق والمسدسات والرشاشات الخفيفة وبكميات محدودة لا تكاد تكفي لتـسليح بعض الفـصـائل من الثـوار يسـتعملونها في عملياتهم في حرب العصابات التي كنا نشاهدها في جبال فلسطين .

وأمـا اليـهـود فـقـد كـانوا يستطيعون بواسطة شبكات منظمة من العملاء والوسطاء من يهود العـالم اسـسـوها في مختلف البلدان لهذه الغـاية ولا سـيما في أوروبا ان يحصلوا على كـمـيـات هائلة من مختلف أنواع الأسلحـة الخـفـيـفة والثقيلة ويهربونها الى داخل فلسطين ويخفونها في مخابىء سرية بداخل مستعمراتهم التي كانت منتشرة في جميع انحاء البلاد

وقـد كنا نعتقد في تلك الأيام أن الجيش البريطانى والبوليس الفلسطيني يقومون بمطاردة اليـهـود بشكل جـدي لمنعهم من تهريب الأسلحة كما كانوا يطاردون العرب. ولذلك فقد كنا نسـتـغـرب عندمـا نرى أنهم كـانوا يفـتـشـون مستعمرة من المستعمرات اليهودية بحثاً عن

الأسلحة ولا يعثرون على أي شيء في جميع تفتيشاتهم ولو صدف انهم وجدوا بعض الاسلحة القليلة فإنهم كانوا يكتفون بمصادرتها ولكننا لم نسمع أبداً أن حكومة الانتداب البريطاني قامت بإعدام يهودي واحد بتهمة حيازة الأسلحة طيلة مدة حكمها مثلما كانت تعدم العرب بكل سهولة .

ولم أكن في تلك الأيام استطيع فهم سبب هذه المواقف التي كنت أشاهدها في فلسطين حيث كنت أثناء تنقلي في مختلف أرجاء البلاد ومروري من قرب بعض المستعمرات ألاحظ وجود بعض اليهود يحملون البنادق ويحرسون المستعمرة في وضح النهار، بل كنت ألاحظ بعض المزارعين اليهود الذين يحرثون الارض يحملون الأسلحة عندما كانوا يسوقون التراكتورات والآلات الزراعية دون أن تتعرض لهم قوات الجيش البريطاني أو البوليس

ولقد كنت استغرب هذه الظاهرة طالما آن حكومة الانتداب كانت تدعي أنها تحكم البلاد بشكل حيادي والجميع عندها سواء أمام القانون

ولكن مع مرور الزمن اخذت اعرف أشياء كثيرة بعد انتقالي الى معسكر صرفند وازدياد اختلاطي بوحدات وقيادات الجيش البريطاني بحكم عملي آنذاك، ومن خلال اختلاطي بسكان القرى العربية اخذت أعرف أن هؤلاء الناس المغلوبين على أمرهم كانوا يشترون الأسلحة من أي مصدر يستطيعون الوصول إليه بأسعار خيالية ويضعونها في مخابىء سرية في قراهم. ولكن هذه العمليات كانت فردية وغير منظمة، لاسيما وأن الزعامات الفلسطينية نفسها لم تكن موحدة كما لم تكن لديها القدرة التنظيمية التي كانت لدى اليهود. فعلى أثر ثورة عام ١٩٣٦م كانت الزعامة الفلسطينية موزعة حسب تقسيمات العائلات التقليدية الرئيسية وهذه العائلات كانت متناحرة ولم تستطع أن توحد صفوفها وتتفق على تكوين قيادة موحدة لها بحيث يمكنها أن تقود المقاومة بفعالية وكفاءة وتنظم قوة فلسطينية شاملة تضم تحت لوائها جميع فئات الشعب. أو على الأقل توحيد توجهها ضمن نطاق جهد قومي شامل. كما أن مفتي فلسطين سماحة الحاج أمين الحسيني الذي تصدر قيادة شعب فلسطين خلال السنين السابقة لم يتمكن هو الآخر من تأسيس قيادة قومية يمكنها أن تستقطب جميع الاتجاهات والطبقات التي تتكون منها شرائح الشعب الفلسطيني. وفي النهاية اضطر تحت ضغط السلطات البريطانية وملاحقتها له ان يغادر فلسطين ويعيش في المنفى ليروج لقضية فلسطين سياسياً من الخارج وأما الذين كانوا يتولون الأمر نيابة عنه أو بإسمه فقد كان سلوكهم عائلياً كذلك وبنفس الأسلوب الذي اتبعته كافة الزعامات الفلسطينية عبر السنين

الماضية وبالنتيجة أنقسمت ولاءات الشعب الفلسطيني بين مختلف العائلات وأصبح تائهاً لا يستطيع أن يكون قوة واحدة لها فعالية معقولة في مقاومة الصهيونية والإستعمار .

وقد كانت هذه المواقف المتباينة السبب الأساسي في بقاء الشعب الفلسطيني منقسمًا على نفسه وشبه اعزل من السلاح وبدون قيادة مركزية فعالة تستطيع حمل المسؤولية في ساحة القتال عندما حانت ساعة الحسم في معركة فلسطين عام ١٩٤٨م. وبالنتيجة فقد بقي الشعب الفلسطيني على هامش الأحداث في معركة مصيره، وترك هذه المسؤولية للدول العربية التي لم تكن هي ايضا في مستوى الآحداث لاسباب كثيرة سيأتى شرحها في مكان لاحق

وللإنصاف فأنى أود أن أسجل هنا حقيقة أنه لايجوز أن يتحمل الشعب الفلسطيني كامل المسؤولية عن هذا الإهمال والتمزق الذي هيمن عليه طيلة سنوات الإنتداب البريطانى بسبب خلافات زعمائه التقليديين وعجزهم عن إبراز قيادة قومية واحدة تتولى قيادة هذا الشعب المناضل بفعالية واقتدار. لأنه لابد لنا في هذا المجال من أن نبرز الدور الذي قام به الاستعمار في تكريس هذه الخلافات بأساليبه الخبيثة الملتوية. وظروف القهر والاستبداد التي مارسها هؤلاء المستعمرون على كافة طبقات هذا الشعب وزعاماته بمختلف اتجاهاتها. رغم أن هذه الظروف لا تعطي زعماء الشعب كامل العذر في عدم تجاوز خلافاتهم للتوصل إلى الاتفاق على تكوين قيادة فعالة واحدة تضاهي القيادة التي كانت لدى اليهود بكامل مؤسساتها التي كانت تتولى جميع شئون مخططات الصهيونية وتنفيذها. فعجز العرب بالنتيجة عن مواجهة هذا الخطر الذي يهدد كيانهم وتركوا الساحة خالية لليهود الذين تمكنوا بمساعدة سلطات الاستعمار البريطانى ان يستولوا على مساحات شاسعة من أرض فلسطين ملأوها بالمستعمرات الزراعية ومن ثم اخذوا يبنون القرى والمدن في مختلف انحاء البلاد وبسرعة مذهله كما أنهم بنفس الوقت قاموا بتشكيل جيش نظامي سري وسلحوه أفضل تسليح ووزعوه على مستعمراتهم ليستمر بالتدريب استعداداً ليوم المعركة التي لابد انها قادمة لكي يستولوا على فلسطين بكاملها .

وهكذا فقد استطاع اليهود (بسبب تفرق العرب وعجزهم عن توحيد طاقاتهم وقدراتهم) أن يبنوا قوتهم الذاتية بفعالية واتقان يدعمهم جبروت الاستعمار البريطانى وقدرات الصهيونية العالمية وأصبح الشعب الفلسطيني هو الضحية في هذا المعترك المحموم رغم ما كان يبذله من تضحيات جسام من خلال الثورات التي كان يقوم بها بامكانياته المحدودة التي كانت تقمعها القوات البريطانية بكل شراسة وعنف. أو عن طريق الانتفاضات الشعبية والإضرابات التي كان بعضها يدوم عدة أشهر ويسقط خلالها العديد من الضحايا من شباب

فلسطين ويذهب العـديد من رجـالاتها الى غياهب سجون الاستعمار البريطاني عنوة وقهرا .
ولكن ويا للأسف فـقـد ذهبت كل هذه التـضـحـيـات هبـاء لعدم وجود القيادة الفلسطينية الواحـدة المؤهلة القـادرة على توحـيـد صـفـوف الشـعب واستقطاب جهوده وتحقيق امانيه القـومـيـة. حـيث بقي مـشتتاً بين قيادات اسمية متناحرة وموزعة حسب انتماءاتها العائلية المخـتلفـة بعـيـدة عن محور الخطر القادم بزخم شرس وبالتالي فإنها لم تكن مؤهلة لتكوين قيادة مركزية فعالة ومنظمة بحيث يقترب مستواها من مستوى القيادة المركزية ذات السلطة والفـعـاليـة والتنظيم التي كـانت تضـمنهـا الوكـالة اليـهـودية لشـعبها لكي يكون للقيادة الفلسطينيـة أمل بكسب المعـركـة، وهكذا فإن الشـعب الفلسطيني قـد ابطلت فعاليته كشعب مناضل وحـرم من امكانيـة الاسـتـعداد الصحيح لحماية نفسه أمام الغزوة الصهيونية التي قـدمت إلى فلسطين مـسلحـة بوعـد بلفور وحراب الجيش البريطاني لتقتلع شعبها من دياره ووطنه وتنزرع هي مكانه وقد استغل اليهود هذا التشرذم الفلسطيني والاهمال الرهيب من قـبل قـادته التـقليـديين وانهمكوا بتكوين جيش نظامي ضخم تحت ستار السرية التامة التي كـانوا يضفونها على حركاتهم ظاهرياً. ولكن حقيقة الأمر هي ان بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين كـانت على علم تام بجـمـيع نشاطات اليهود في هذا السبيل. وأهم دليل على ذلك أن الجنرال الانجليـزي أورد وينجيت (Ord Wingate) كـان المشرف الرئيسي على بناء الجـيش اليـهـودي وتدريبـه. ولايمكن أن يقوم بهذا العمل بدون علم حكومته وهو ضـابط نظامي في الجـيش البريطاني. كما ان الانجليز أسسوا مدرسة تدريب للجيش اليهودي لتدريب الضباط على غـرار المدارس المستعملة في الجيش البريطاني. وفي وقت لاحق وافقت الحكومة البريطانية على تشكيل لواء مـشـاه يهودي وارسلتـه بعـد إتمام تدريبه للقتال في جبهة ايطاليا وأدخلته ضـمن تشكيـلات الجـيش الثامن البريطاني وبعد انتهاء الحرب العالمية تم تسريح هذا اللواء من الجيش البريطاني وعاد الى فلسطين لينضـم جميع افراده الى الجيش اليهودي حيث أصبح بمـثابة العمود الفقري لهذا الجيش بما لديه من ضباط وما اكتسبه من تدريب وخبرة عملية وتمرس في فنون القتال في الحرب الفعلية .

وعندمـا نقلت من مطار عـاقـر الى مـعـسكر صرفند الذي كـان عبارة عن قاعدة ضخمة للقـوات البريطانية بتاريخ ١١ آذار عـام ١٩٤٤م حـاولت خـلال فترة وجودي بهذا المعسكر التي دامت حـوالي سنتين ان أبحث في كل ما كان يدور حولي من مظاهر تغلغل اليهود بإعداد كبيرة في مختلف الإدارات للجيش البريطاني .

وحـيث كنا قـد أسـسنا بهذا المعـسكر مـدرسة تدريب للجيش العربي ويتضمن نشاطها

تدريب سرايا المشـاة التي تشكلت منهـا الحـامية الأولى في فلسطين والحامية الثانية في العراق وكـانت واجـبـاتها تنحصر في حراسة القواعد البريطانية ونقاط التكديس وخطوط المواصلات لهذه القـوات بموجب المعاهدة الأردنية البريطانية ولما كنت أشغل وظيفة أركان حرب لمدرسة التـدريب هذه فـقـد كـانت طبـيـعة عملي تقتضي ان اتصل مع قيادات القوات البريطانية من مختلف مـسـتـوياتها فـيما يتعلق بواجبات سرايا الجيش العربي ومستلزماتها الإدارية. وقد كـان هذا يتطلب أن آقـوم بمـراجعة الضباط والإداريين في تلك القيادات البريطانية. وعن هذا الطريق كنت استطيع الحصول على الكثير من المعلومات .

وقـد كـان مـعسكر صرفند يعج بالألوف من اليهود المجندين في الجيش البريطانى رجالا ونسـاءً حيت كانت الحكومة البريطانية تسمح بتجنيد اليهود في الجيش البريطانى ولقد كنت أرى ضـبـاطاً من مختلف الرتب من اليـهـود يعـملون في غـالبيتهم في الإدارة والاستخبارات وسـلاح الصـيـانة والهندسـة والمسـتـودعات. وأما النساء فيخدمن في اعمال السكرتارية في مـعظم المكاتب وفي أقسام التمريض في المستشفيات وفي النوادي وخلافها وبعضـهن يعملن في سواقة السيارات الصغيرة التابعة للقيادة

كـانت هذه الصـورة مـفـاجئة لي في البـداية حـيث لم أكن اعـرف أن اليهود في فلسطين يجندون في الجـيش البريطانى مـثلهم مثل الإنجليز بل كنت اعتقد أنهم يستخدمون كمدنيين فقط بوظائف مختلفة. ولكن هذه المفاجأة ما لبثت أن زالت بعدما اخذت الأمور تتضح أمامي مع مـرور الوقت وبعـد ان ازداد اخـتـلاطي مع الضـبـاط الإنجليـز من مختلف المستويات واخذت اعرف المزيد من المعلومات عن هذا الموضـوع .

ورغم أننا كنا نشـعـر بخطورة بناء القـوة اليـهودية التي كانت الوكالة اليهودية لا تألوا جـهدا في تسليحها وتدريبها على الأسس العسكرية الحديثة ورغم ما كنا نلاحظه من تغاضي الانجليـز عن تحركات اليهود في هذا الاتجاه فإننا لم نكن نقدر في ذلك الوقت أننا بعد مرور أربعـة سنين فـقط سنقـاتل هذه القـوات اليـهـودية في معركة حربية سياسية غريبة في عام ١٩٤٨م كما سيأتي شرحه في مكان لاحق .

بدأت اسـمع عن العـصـابات اليهودية بعد انتقالي الى معسكر صرفند ولم أكن قد عرفت الشيء الكثير عن اسمائها أو نشاطاتها .

وكـانت أول مناسـبـة سـمـعنا عنهـا عندمـا قـامت مجموعة من المسلحين بالهجوم على مـسـتـودع للاسلحـة في منطقـة مـعـسكرات صرفند وقد تمكنت من سلب عدد من البنادق

والرشاشات وكانت الحراسة على هذا المستودع من الجنود الانجليز. وكان واضحا من هذا الحادث أنه لايمكن أن يتم بدون تواطئوا المسؤولين عن المستودع لأنه أثناء هذا الهجوم المزعوم لم تطلق النار من قبل الحراس بشكل جدي لأنه لم يصب أحد من المهاجمين

بعد ذلك اخذنا نسمع الكثير عن حوادث تهريب الأسلحة من الخارج وعن قيام البوليس بتطويق بعض المستعمرات وتفتيشها بحثاً عن الأسلحة المهربة ولم يعثروا على شيء. وقد شاهدت بنفسي بعض هذه العمليات عندما كنت أمر صدفة من قرب المستعمرات آكثر من مرة والاحظ قوة من البوليس تطوقها لهذه الغاية

لقد كان اليهود في هذه الفترة يعملون ليلاً ونهاراً على استقدام المهاجرين الى فلسطين بمختلف الوسائل والأساليب لاسيما من الذين سبق لهم خدمة عسكرية في مختلف جيوش العالم وخصوصا من الضباط والفنيين. كما كانوا يعملون بكل نشاط وهمه بواسطة تنظيماتهم السرية في مختلف البلدان الاوروبية والامريكية لتهريب الأسلحة والذخائر وتخزينها في مستودعات سرية بداخل مستعمراتهم المنتشرة في جميع انحاء فلسطين

ومع مرور الزمن اخذت تتضح أمامي معالم بناء القوة العسكرية اليهودية التي كانت في ذلك الوقت تعتبر من قبل حكومة الانتداب البريطانى ظاهرياً أنها ممنوعه وغير قانونية ولكن في الحقيقة والواقع ان الانجليز كانوا يساعدون اليهود على بناء قواتهم العسكرية تحت ستار من مختلف التبريرات والاعذار المفضوحه. فمثلاً كنا نلاحظ وجود حراس من اليهود يرتدون ملابس البوليس ويقومون بحراسة المستعمرات والمزارعين عندما يخرجون للعمل في الحقول وقد عرفنا فيما بعد أن هؤلاء الحراس ينتمون الى قوة شكلتها حكومة الانتداب من اليهود وسلحتها للدفاع عن المستعمرات وسمتها البوليس الإضافي ولكن هذه القوة كانت فعلياً تابعة للمستعمرات وليس لقيادة البوليس. بحجة أن قوة البوليس الرسمي لا تكفي لحماية المستعمرات. وقد بدأت حكومة الانتداب بتشكيل هذه القوة أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م. ومن الطبيعي أن تتخذ حكومة الانتداب مثل هذه الإجراءات المتحيزة التي تنطبق على سياستها الثابتة التي تهدف الى تحقيق قيام دولة صهيونية في فلسطين على حساب مصير سكانها العرب. وليس صحيحاً أن حكومة الانتداب البريطانى كانت تلتزم الحياد والعدالة كما كانت تدعي. أو حتى إنها كانت تطبق صك الإنتداب ووعد بلفور الذي أصبح جزءا منه رغم كل مساوئهما. بل تعدت ذلك بكثير وكرست كل طاقاتها وقدراتها لتنفيذ مطالب اليهود فقط بصرف النظر عن حقوق العرب حيث ان وعد بلفور رغم كل ما انطوى عليه من ظلم واجحاف بحقوق العرب أهل البلاد الاصليين فهو على الاقل

كـان ينص على أن الإجـراءات التي سـتـتخذ لتحقيق تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين يجب أن تأخـذ بعين الاعـتبار حقوق السكان الأصليين من غير اليهود. ولكن ما كنا نلاحظه من إجـراءات تقـوم بها حكومـة الانتداب قد تجاوزت هذا بكثير وكانت لمصلحة اليهود فقط. فـهـا هم يسلحون حرس المستعمرات باعداد لا يستهان بها ويسمونهم بوليس إضافي بداعي ان قـوات البـوليس النظامي غير كـافـيـة لحماية المستعمرات من العرب الذين هم أصلاً غير مـسلحين ومن المسـتحيل عليهم في ظل الظروف التي وضعهم الانجليز فيها أن يحصلوا على السـلاح بأعداد وأنواع تضاهي ما لدى اليهود. ومهما كانت حجتهم فإن هذا الإدعاء لا يعدو كـونه عـذر أقـبح من ذنب. لأنه لو كـان صـحـيـحاً أن البوليس النظامي غير كاف لحماية المستعمرات فإن الحل المنطقي يكمن بزيادة عدده وليس بتسليح اليهود تحت شعار البوليس الإضافي ومنع تسليح العرب .

والأهـم من هذا كله هو الجـيش الإسرائيلي الذي كـانوا يسـمـونه (الهاغـاناه) أي جـيش الدفـاع. وكـان في البـداية عـبارة عن قوة صغيرة تسلحها وتديرها الوكالة اليهودية منذ عام ١٩٢٩م وأصـبـحت فـيما بعـد بفضل سياسة حكومة الانتداب سرايا مسلحة افضل تسليح وتعمل في جميع انحاء فلسطين. وقد كانت حكومة الانتداب تدعي أنها قوة غير قانونية. رغم أن الحكومـة البريطانيـة نفـسها هي التي كانت تدعم تنظيم وتدريب الجيش اليهودي . وقد اعـارت الى الهاغـاناة ضـابطاً من الجـيش البريطاني وهو صـهـيـوني متعصب اسمه اورد وينجيت (Ord Wingate) ليقوم بتدريب جيش الهاغاناة .

وقـد كـان التـدريب يتم في الخـفـاء بداخل المسـتـعمرات اليهودية أو ضمن نطاقها وأما المناورات فكانت تتم خـارجـهـا. وقـد كنا نلاحظ الكثير من هذه المناورات التي كانت تخرج فـيـهـا مجمـوعـات من الشـبـاب اليهود إلى الأرياف ومعهم الخرائط والبوصلات ويطبقون مخـتـلف المناورات المحـدوده. وكـانوا يحملون العصي بدل البنادق لكي يظهـروا كأنهم فـرق كـشـافـة. وكانت هذه الحركات تتم على مرأى من رجال البوليس وقوات الجيش البريطاني ومـا داموا لا يحملون اسلحتهم خارج نطاق المستعمرات فإن حكومة الانتداب لا تمنعهم من ممارسـة هذه النشـاطات. وفي هذا الصـدد تجـدر الإشـارة إلى أن (وينجيت) كان يصر على التركيز على ان يتقن الجنود اليهود أثناء تدريبهم جميع عمليات القتال الليلي بمختلف أنواعها وأهم مـا فيها تحمل مشاق السير الطويل عبر المسالك الجبلية والمنحدرات الوعره وكان يقول لهم أن هذا النوع من القـتـال هو الذي سوف يضطرون لاستعماله بكثرة في معظم عملياتهم في المسـتـقبل لتحقيق النصر على الجنود العرب. وهو يقصد هنا جنود الجيوش العربية. وأما

الناحيـة الثـانيـة التي كان يركز عليها فهي عمل المغاوير (الكوماندوز) خلف خطوط العدو وأعمال النسف والتـدمير بمختلف أشكالها. وكان هو أول من أسس هذه الوحدات في الجيش الإسرائيلي وسنرى في المسـتـقـبل مـدى مـا اثبـتت تدريبـاته هذه نجاعتها بالنسبة للجيش الإسرائيلي في قتاله ضد الجيوش العربية بمختلف الحروب .

لقـد حاولت أثناء فترة وجودي في صرفند أن أبحث في كل ما كان يدور حولي من مظاهر تغلغل اليـهـود بأعداد كبيرة في صفوف الجيش البريطاني بمختلف الإدارات، كما كنت أحاول فـهم الأسباب التي جعلت اليهود يستطيعون بناء قوة عسكرية لا يستهان بها وبشكل سري خـلال مـدة وجـود حكومـة الانتداب. بينما لم يتمكن العرب الفلسطينيون من عمل أي شيء سـوى مـا كـان يقع بين الحين والآخر من الثورات المحدودة تقوم بها فصائل من المجاهدين الذين يقـتصر تسليـحـهم على بعض البنادق التي كـانوا يهربونها بصـعوبة الى فلسطين من سـوريا وشرق الأردن ثم مـا تلبث الثـورة حتى تسحقها قوات الجيش البريطاني أو توقفها بنتـيجة إجراءات سياسية معينة كما حدث لثورة عام ١٩٣٦م بينما كان اليهود يستطيعون تكديس الأسلحـة وتدريب الوحـدات العسكرية بداخل مستعمراتهم دون أن تعترضـهم قوات الجيش البريطاني بجدية وفعالية .

أمـا لماذا كـان ذلك كله يحصل فـقـد كنت أحتار في الإجابة على هذه التساؤلات في البداية ولكني مع ذلك استطعت ان أجد بعض التفسيرات التي تبدو منطقية وأوجزها بما يلي

أولاً : لقـد سبق ان قامت الحكومة البريطانية بتجنيد كتيبه يهودية في فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى وضمتها الى جيش الجنرال تشيتر (Chaytor's Force) التي تمركزت في غـور الأردن واشـتركت في عمليات احتلال منطقة جسر داميا من قوات الجيش التركي المنسـحبـة ثم تقـدمت لاحتـلال مدينتي السلط وعمان[١]

وهذا معناه أن تعاون الجيش البريطاني مع اليهود في المجال العسكري ليس جديدا

ثانياً : اعلنت الحكومـة البريطانية وعد بلفور بتاريخ ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧م واخذت على عـاتقها تسهيل تطبيقه وتنفيذ جميع أهدافه. ومن أهم ركائز هذه المهمة تسهيل هجـرة اليـهـود إلى فلسطين وحمايتـهم وتسليحهم وتأهيلهم لكي يصبح لهم دولة يتولون هم شؤونها وجيش يتولون قيادته

(انظر نص وعد بلفور وصك الانتداب في الملحق رقم ١) .

---

(١) انظر الصفحة (٢٢) من كتاب حملات فلسطين للماريشال ويفل

The Palestine Campaigns Page (22) By Field Marshal Earl Wavell.

ثالثاً : منذ أن بدأت الثورات العربية في فلسطين في مطلع العشرينات ضد الاحتلال البريطاني انتهجت حكومة الانتداب سياسة البطش والتنكيل ضد العرب ومنعتهم من حيازة أي نوع من السلاح. وبنفس الوقت كانت تقوم بتأمين حماية اليهود وتسهيل تسليحهم بمختلف الأساليب .

رابعاً : كانت الوكالة اليهودية تقوم منذ بداية الانتداب بدور حكومة يهودية بداخل حكومة الانتداب. ومن مهامها الاتصال بالجاليات اليهودية في جميع انحاء العالم وخصوصا في امريكا لتأمين هجرة اليهود إلى فلسطين وبشكل خاص العلماء والفنيين والشباب. وجمع الأموال لشراء الأراضي في فلسطين على نطاق واسع وبناء المستعمرات في جميع انحاء البلاد وشراء الأسلحة بكافة انواعها وبمختلف الأساليب وتخزينها في مخابىء داخل هذه المستعمرات. وكل هذه الأنشطة كانت تتم تحت سمع حكومة الانتداب وبصرها .

خامساً : أما العرب الذين كانوا يشكلون الغالبية العظمى من سكان فلسطين فقد كانوا يتعرضون لمختلف أساليب الضغط الخبيثة من الترغيب والاغراء الى البطش والترهيب لتسهيل مهمة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين. وما دام أن هذا الوطن القومي سيكون أصلاً على الأراضي العربية لأن اليهود لم يكونوا يملكون شيئاً يذكر منها فإن جهود حكومة الانتداب تركزت على ثلاث اتجاهات رئيسية وهي كما يلي :

١ ـ وضع العرب في حالة نفسية واقتصادية تجعلهم يضطرون لبيع اراضيهم الى اليهود أما بسبب فقرهم وحاجتهم الى ثمنها وأما بإغرائهم بأثمان خيالية لا يستطيعون رفضها بسبب جهلهم في تلك الأيام وعدم تقديرهم لخطورة تغلغل أساليب الصهيونية في جسم أمتهم بوسائل شتى من الخداع والغش

٢ ـ تجريد العرب من السلاح ومنعهم من اقتنائه بواسطة البطش والإرهاب بحيث إذا وجد بحوزة العربي أي سلاح كان يحكم عليه بالسجن المؤبد وإذا استعمل هذا السلاح فيحكم عليه بالإعدام وكان هذا الحكم ينفذ في معظم الحالات

٣ ـ الحيلولة دون تشكيل أي تنظيم سياسي فعال يكون مسؤولاً عن السكان العرب وإدارة شؤونهم وتوجهاتهم مثلما كانت الوكالة اليهودية بالنسبة لليهود

وقد استعملت حكومة الانتداب مختلف الأساليب لتكريس التفرقة وتعميق الخلافات بين

العـائلات الرئيـسـيـة لكي تضـمن اسـتمرار تناحرها وتشاحنها فتسهل بذلك مهمة حكومة الانتـداب في تنفـيـذ سـيـاساتها الموضوعة لتحقيق اهداف الصهيونية، كما مارست الضغط والاضطهـاد على الهيئة العـربية العليا التي كانت تحاول (ولو باساليب بدائية) أن تجعل من نفسـها محوراً تجتمع حوله جميع الهيئات الوطنية الفلسطينية · وتمكنت من الغاء فعاليتها وكـرست خـلافـاتها. وبالنتـيجة الغت جميع هذه الهيئات تأثير بعضها وأخلت الساحة أمام حكومة الانتداب والمتعاونين معها لتطبيق سياساتها بدون معارضة مهمة .

وبعـد اسـتـعـراض هذه الصورة التاريخية يتضح أن ما كنت أشاهده من كثرة المجندين اليـهود في جميع الوحدات والمرافق البريطانية في معسكر صرفند ما هو إلا استمرار للسياسة البريطانيـة في تطبـيق وعد بلفور الذي يهدف أساساً الى انشاء الدولة اليهودية الصهيونية في فلسطين وتزويدها بجـمـيع وسـائل القوة والمنعه لكي تستطيع السيطرة على المنطقة بكاملها وتتغلب على أي قوة عسكرية قد تتوفر لدى العرب في المستقبل والدليل على ذلك أن بريطانيا سـبق أن قـامت بتجنيد كتيبة يهودية في جيشها أثناء الحرب العالمية الأولى كدليل على دعمها لليـهـود ورغـبتها في التعاون مع الصهيونية لتنفيذ مخططاتها. وها هي أثناء الحرب العالمية الثانية تقوم بتجنيد لواء مسلح كامل من اليهود وترسله إلى جبهات القتال في ايطاليا وتعتبره كوحدة من وحدات الجيش البريطانى المقاتل هناك كما جندت الوفاً غيره في مختلف القطعات العسكرية العاملة في الشرق الأوسط. علاوة على تجنيد اعداد أخرى كثيرة من اليهود الإنجليز كضباط وفنيين وضباط صف وجنود في الجيش البريطانى بحكم جنسيتهم .

هذا وقد بلغ اهتمام الحكومة البريطانية بتسليح اليهود في فلسطين ذروته عندما اندحرت القـوات البريطانيـة أمـام الجيش الالمانى بقيادة الجنرال روميل في شمال افريقيا حيث وصل الى الحدود المصرية في شهر أيار عام ١٩٤١م وأصبح يشكل تهديداً مباشراً لفلسطين وعندئذ بدأت القـيـادة البريطانيـة العليا للشرق الأوسط بوضع الخطط اللازمة للإنسحاب من مصر وفلسطين، وباشرت ببناء خط دفـاعي من الاسـتـحكامـات والعوائق المختلفة يمتد من مدينة حـيـفـا عبر شمال فلسطين وشرق الأردن ثم يمـتد شرقاً على طول الحدود السورية الاردنية حتى الحدود العراقية . واطلقت عليه اسم (خط ايدن) نسبة إلى السيد انتونى ايدن الذي كان وزيراً للحـربية. وكان من المفروض أن تتمركز بهذا الخط جميع القوات التي سوف تنسحب من مصر لكي تتـصـدى لتـقدم القوات الألمانية من تركيا عبر سوريا حيث كانت بهذه الأثناء تتـقـدم بداخل روسـيا نحو جبال القفقاس وكانت خطة القوات الالمانية ترمي الى التقدم من شمال افـريقـيـا عبر مصر وفلسطين لكي تلتقي مع قواتها المتقدمة من روسيا باتجاه العراق

وايران لعـزل الهند عن بريطانيـا وبالتـالي الالتـقاء مع القوات اليابانية التي كانت تتقدم عبر جنوب شرق آسيا .

أمـا خطة بريطانيـا فـقد كانت تنطوي على الانسحاب شرقاً والوقوف في الدفاع على طول خط ايدن لمواجـهـة الزحف الألمانى من تركـيـا عبر سوريا لايقافه قبل أن يتمكن من اجتياح العراق وايران .

وكـان من ضـمن هذه الخطة تسليح العناصر اليهودية لكي تقوم بعمليات المقاومة بداخل فلسطين في حـال احتلالها من قبل القوات الألمانية. وكان الدافع لهذا القرار الذي اتخذه المستر ونســتـون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا هو انهم كانوا بحاجة لنقل جميع قواتهم المتواجدة في فـلـسـطين والتي كـانت تقـوم باعمال الأمن الداخلي وحماية خطوط المواصـلات لمخـتلف جـبـهـات القتال. وقد كان تشيرشل يضغط على قيادة الشرق الأوسط لكي تنقل هذه القوات بأسرع مـا يمكن لتشترك في القتال الدائر في شمال افريقيا والاستعاضة عنها بتسليح اليهود ليـقوموا بوظائف الأمن الداخلي في فلسطين وحماية انفسـهم بنفس الوقت. وقد كان يقول لهم بصراحـة «أريد أن أسلـح اليـهـود في تـل أبيب لأنهم سـوف يسـتطيـعـون التصـدي لأي مهاجم»[1].

ولكن تشيرشل لم يفترض أن العـرب اصـحـاب البلد الأصليين والذين مـا زالوا يشكلون غـالبـيـة سكان فلسطين رغم جميع الهجـرات اليـهـودية التي فـرضت عليـهـم ورغم كـافة الأسـاليب القـمـعـية التي استخدمت ضدهم لضمان تنفيذ وعد بلفور على أرض الواقع، هم الذين أصـبـحـوا بأمس الحـاجة لحماية انفسهم من اليهود الذين أمر الآن بتسليحهم بحجة ضرورة سـحب القـوات النظامـية البريطانية من فلسطين إلى جبهات القتال بينما ترك العرب عـزلاً من السـلاح. ولم يفكر للحظة واحـدة كـيف سـيكون حال هؤلاء العرب بعد انسحاب القـوات البريطانيـة من فلسطين وترك البلاد في فراغ من السلطة والقانون بينما يمتلك اليهود فـيـهـا مختلف انواع الأسلحة التي زودتهم بها حكومة الانتداب للبوليس الإضافي وغيره أو من الجـيش البريطانى للواء اليـهـودي والوحـدات المتـصلة به من الهاغاناه أو الأسلحة التي تمكن اليـهود أنفسـهم من شرائها من مختلف انحاء العالم وتهريبها الى داخل فلسطين بفضل تواطؤ سلطات الانتداب أو تغاضيها او تساهلها معهم .

---

(١) انظر الصفحة (٣٢٢) من كتاب الحرب العالمية الثانية المجلد رقم ٢. تأليف ونستون تشيرشل

The Second World War. Valum Two Page 322. By Winston. S. Churchill.

ومع ذلك فقد كانت السلطات البريطانية تدعي انها كانت تقوم بحماية هذه الأمانة التي وضعتها عصبة الأمم بعهدتها بحياد وتجرد وبعدالة تامة بين جميع الاطراف

وبعد فهذه أمثلة على كثير من الأنشطة التي كان اليهود يقومون بها للحصول على السلاح في تلك الأيام وكانت معروفة لدى العرب في فلسطين. ولكنهم كانوا مشغولين بخلافاتهم ومشاحناتهم وقد تركوا الساحة خالية لليهود يبذلون كافة جهودهم ويكرسون جميع طاقاتهم في مجال الاستعداد والتأهب ليوم النزال القادم .

فبعد توقف آخر ثوراتهم وصدور الكتاب الأبيض عن الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩م توقف نشاط العرب نهائياً ولم يعودوا يهتمون كثيراً بما يجري حولهم. وأصبح سلاحهم الوحيد هو القيام بالاضرابات العامة في المناسبات فقط. أما تحصين القرى العربية مقابل تحصين المستعمرات الذي كان اليهود ينفذونه بكل اتقان وجدية. أو تشكيل قوات عسكرية عربية بشكل سري وتنظيم القيادات اللازمة لها كما كان يفعل اليهود فلم يكن لدى العرب استعداد للبحث فيها الا بعد فوات الأوان .

وعلى الرغم من كل تلك المساعدات التي كان الانجليز يقدمونها لليهود والرعاية التي اضفوها على قضيتهم. والاخلاص الذي كان يبديه ساسة بريطانيا وزعماؤها وفي طليعتهم المستر ونستون تشيرشل لقضية الصهيونية والعمل على تحقيق اهدافها في فلسطين على حساب مستقبل العرب وأجيالهم القادمة. فقد قلب اليهود للانجليز ظهر المجن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، فكافئوهم على تعاونهم بتدريب جيش الهاغاناة وتسليحه وتشكيل لواء مسلح يهودي وتدريبه وإرساله للقتال في الجبهات الايطالية كجزء من الجيش البريطانى بحيث اصبح بعد الحرب يشكل العمود الفقري للقوات المسلحة الإسرائيلية كافئوهم عن كل هذا بمهاجمة معسكراتهم في فلسطين ونسف مراكز قياداتهم وقتل جنودهم والتمثيل بهم .

وأما حالة عرب فلسطين في تلك الأيام فقد كانت تبعث على الأسى والقلق ورغم انهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى من السكان ولا تنقصهم الرجولة ولا الشجاعة ولكن كان ينقصهم بالدرجة الأولى القيادة الواحدة القادرة على السيطرة والتنظيم والتدريب والتسليح

وقد أتيحت لي الفرصة أن اتجول كثيراً في المدن والقرى العربية وان اتعرف على الكثيرين من الوجهاء وغيرهم من عامة الشعب وكنت ألاحظ عمق التمزق والتشرذم بين القيادات الشعبية حيث كانت العائلات الرئيسية التي تظهر على الساحة (ومعظم ابنائها من المثقفين والمتعلمين حملة الشهادات الجامعية العليا) منقسمة على بعضها وتهيمن عليها الخلافات

الشـخـصـيـة وحب السـيطرة وكـانت زعامات هذه العائلات تستقطب سكان القرى حسب مناطق نفـوذها. وكـانت كل منطقـة بالنتـيجة تعتبر المنطقة الاخرى مناوئة لها. فكنت تسمع مـثـلاً أن سكان بعض القـرى مجلسـيـون وآخـرون مـعارضون. وهؤلاء من جماعة المفتي وغيرهم من جماعـة النشـاشيبي أو عبد الهادي وهكذا . والمحصلة النهائية أنهم جميعاً كانوا مـشغولين بمناوأة بعضهم بعضاً وكأنه لا يوجد في البلاد يهود يتسلحون وينظمون جيشاً ضـخمًا سـوف يبـتلع فلسطين بكاملهـا ان طال الزمـان أو قصر . والمعركة الحاسمة لاشك قادمة .

أمـا حكومـة الاستعمار البريطاني فقد كانت تشجع هذا التشاحن والتناحر والتشرذم بين العـرب بكل مـا لديها من وسـائل والعـرب يرقصون على انغام مزامير الاستعمار. واليهود مـشغولون عن هؤلاء واولئك بالتسليح والتدريب وبناء المستعمرات وتوسيع الاستيطان بكل انحاء فلسطين، وهذا بلاء ما بعده بلاء .

ولكي نعـرف عـلاقـة الجـيش العربي بهذه الحرب غير النظامية في فلسطين والتي كانت تجـري احـداثهـا قبل وقوع الحرب العربية الاسرائيلية الأولى لابد من اعطاء لمحة موجزة عن قـوات الجـيش العربي في تلك الأثناء والتي كانت تقوم بواجبات الأمن الداخلي وحماية القواعد والمسـتـودعات التابعة للجيش البريطاني في فلسطين والعراق بموجب شروط المعاهدة الأردنية البريطانية طيلة مدة الحرب العالمية الثانية .

لقـد كـانت قـوات الجـيش العربي تتكون من لواء مشاة واحد بكتائبه الثلاثة وكان يطلق عليـه اسم اللواء المسلح وهو القـوة المقـاتلة للجـيش بالإضـافـة الى سـتة عشر سرية مشاه مـسـتقلة. نصفها منتظمة تحت قيادة الحامية الأولى في فلسطين ونصفها تحت قيادة الحامية الثـانيـة في العـراق. وكـان مجموع قوات الجيش العربي هذه جميعها حوالي ثمانية آلاف فرد مـن جمـيـع الرتب، ولم يكن لدى اللواء المسلح أية أسلحـة اسناديه كـالمدفـعـيـة والدبابات والهندسـة وخلافها كما لم يكن لديه خدمات ادارية أو فنية أو طبية متكاملة حسب الاصول العسكرية المعروفة حيث كان يعتمد أساساً على مؤسسات الجيش البريطاني.

وبتاريخ ١ تشرين ثاني ١٩٤٥م نقلت الى قـيـادة هذا اللواء كضابط ركن مساعداً للركن العسكري للواء حيث كانت مسؤلياتي تشتمل على العمليات الحربية والتدريب .

وقـد كـانت قـيـادة هذا اللواء تعـسكر في منطقة (خو) شرقي مدينة الزرقاء. بينما كانت إحـدى كـتائبه تعمل في فلسطين وتقوم بواجبات الأمن الداخلي ويتم تبديلها دورياً وفي بعض الأحيان كنا نرسل كتيبتين الى فلسطين حسب تطور الأوضاع هناك .

وفي عام ١٩٤٧م تم نقل قيادة اللواء إلى معسكر المفرق حيث بدأنا بمرحلة اعادة التنظيم وتحويل اللواء الى فرقة مشاة كما سيأتى الشرح بمكان لاحق .

وبهذه الاثناء كذلك الغيت قيادة الحامية الثانية الموجودة في العراق لانتهاء مهمتها مع الجيش البريطانى ونقلت سراياها الى فلسطين. وقد أصبح مجموع سرايا الحاميتين تسعة عشر سرية موزعه في جميع انحاء فلسطين وفي أواخر عام ١٩٤٧م تم نقل قيادة الحاميتين إلى مدينة رام الله بعد صدور قرار تقسيم فلسطين عن هيئة الأمم المتحدة وأصبح واضحا أن الانجليز سوف يرحلون عن فلسطين قريبا ثم بدأت عملية نقل بعض سرايا هذه الحاميات الى شرق الأردن .

وقائع الأحداث :

عندما اقتربت الحرب العالمية الثانية من نهايتها في مطلع عام ١٩٤٥م نجح حزب العمال البريطانى بالانتخابات العامة وتسلم زمام الحكم برئاسة السيد كليمانت أتلي تم قررت حكومة العمال هذه احياء السياسة التي كان قد تضمنها الكتاب الابيض الذي سبق ان اصدرته حكومة المحافظين عام ١٩٣٩م بالنسبة لقضية فلسطين .

وعلى هذا الأساس حددت هجرة اليهود الى فلسطين بمعدل (١٥٠٠) الف وخمسمائه مهاجر شهرياً وقد رفضت الوكالة اليهودية هذا التحديد وقررت تحدي الحصار الذي فرضته السلطات البريطانية وحاولت اختراق الطوق البحري ببواخر تحمل المهاجرين اليهود من معسكرات تجمعهم في أوروبا ولكن القوات البريطانية ردت على هذا التحدي بمهاجمة هذه البواخر واعتقال المهاجرين ونقلهم الى جزيرة قبرص. وعلى أثر هذا الحادث تصاعدت حدة التوتر بينهما وبدأت العصابات اليهودية بتنفيذ موجة واسعة من عمليات التفجير في المرافق العامة والاعتداءات المسلحة على القوات البريطانية ومعسكراتها .

ولما كانت سرايا الحامية الأولى من الجيش العربي الأردنى ما زالت منتشرة في فلسطين وتقوم بواجبات الحراسة لهذه المرافق العامة. ولما كانت احدى كتائب اللواء المسلح تعسكر في مدينة صفد في شمال فلسطين وتقوم بمهمات الأمن والحماية. فقد أصبحت قواتنا هذه معرضة للصدام مع اليهود بشكل او بآخر. وبما أنها كانت تقوم بأعمال الدورية على الطرق الرئيسية كجزء من واجباتها فقد كانت دورياتها كثيراً ما تعترض دوريات اليهود وقوافلهم المسلحة وتصطدم معها .

ولمتابعة تطور المصادمات بين العصابات اليهودية والقوات البريطانية منذ البداية ولمعرفة تحولها الى الاعتداءات المختلفة على القرى والمرافق الحيوية العربية في مراحل لاحقة لابد من الإشارة الى بعض العمليات الهامة التي نفذتها تلك العصابات اليهودية بمختلف المراحل .

وعلى الرغم من ان عام ١٩٤٦م يعتبر مميزاً بكثرة هذا النوع من العمليات إلا أن عصابة الارغون كانت قد بدأت نشاطها ضد القوات البريطانية في وقت مبكر وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية. وعلى الرغم من أن مجمل عمليات العصابات الصهيونية خلال مدة الحرب كانت تتركز على التخريب ونهب الاسلحة والذخائر من مستودعات الجيش البريطاني ومهاجمة دورياته الا أن هذه العصابات كانت تقوم كذلك بعمليات نسف المرافق العامة والجسور وخلافها . ومن أهم الأمثلة على ذلك أنها وضعت المتفجرات في مكاتب الهجرة في القدس وتل أبيب وحيفا في شهر شباط عام ١٩٤٤م. كما زرعت المتفجرات في مكاتب دائرة التحقيقات الجنائية (CID) في حيفا ويافا في شهر آذار عام ١٩٤٤م. وفي شهر نيسان عام ١٩٤٤م هاجمت محطة الإذاعة .

وبعد نهاية الحرب العالمية اخذت جميع المنظمات اليهودية بما فيها قوة الهاغاناة التي كانت بمثابة الجيش النظامي تشترك في اعمال المقاومة ضد القوات البريطانية ولقد بدأت هذه العمليات على نطاق واسع بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٤٦م عندما نفذت قوات الهاغاناة بالاشتراك مع عصابة الارغون عشرة عمليات تفجير على جسور الطرق وسكك الحديد بمختلف انحاء فلسطين .

وبتاريخ ٢٢ تموز عام ١٩٤٦م قامت الهاغاناة بالتعاون مع الارغون بنسف فندق الملك داوود بالقدس حيث كان يستعمل مقراً لقيادة القوات البريطانية العاملة في فلسطين. وقد ذهب ضحية هذه العملية خمسة وتسعون قتيلاً معظمهم من الضباط والجنود الانجليز وبعد ذلك توالت الحوادث على مختلف الأصعدة . مثل مهاجمة المعسكرات وخطف الجنود والاعتداء على القوافل العسكرية. ومن أشهر حوادث الخطف تلك التي نفذتها عصابة شتيرن حيث خطفت اثنين من ضباط الصف البريطانيين. وبعد أن قام افرادها بجلدهما وتعذيبهما شنقوهما على فروع الأشجار في إحدى البيارات ثم ربطوا بجسميهما الغاماً موقوتة لكي تنفجر عند انزال جثتيهما .

لقد كانت تصلنا المعلومات عن كل هذه الحوادث بعد وقوعها مباشرة الى قيادة اللواء المسلح عن طريق وحداتنا المرابطة في فلسطين. وكذلك كنا نستخلصها من الملخصات

الاستخبارية التي كانت تزودنا بها قيادة الجيش كما كنت اشاهد بعضها عند حدوثها أثناء زياراتي المتكررة الى وحداتنا المتواجدة في فلسطين والتي كانت تشترك في بعضها .

من تطور مجريات الأحداث يمكن القول بأن الحرب الفعلية بين العرب واليهود في فلسطين قد بدأت عملياً على نطاق واسع بعد صدور قرار التقسيم عن هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ٢٩ تشرين أول عام ١٩٤٧م. حيث كانت الثورات الفلسطينية السابقة تستمر لفترة محدودة ثم تتوقف .

وللدلالة على نوع هذه الحرب الحالية أرى من المناسب ان أشير إلى بعض العمليات الهامة التي نفذها كل من الطرفين بأواخر عام ١٩٤٧م ومطلع عام ١٩٤٨م. وكانت على النحو التالي:

١ ـ بتاريخ ٤ كانون أول عام ١٩٤٧م هاجم المسلحون العرب بعض القوافل اليهودية التي كانت تنقل الامدادات من تل أبيب الى القدس وأوقعوا بها خسائر جسيمة

٢ ـ بتاريخ ٤ كانون ثاني عام ١٩٤٨م قام اليهود بوضع سيارة محملة بالمتفجرات في شارع بمدينة يافا وفجروها فاحدثت اضراراً كبيرة وسقط عدد من القتلى والجرحى من العرب.

٣ ـ بتاريخ ١ شباط ١٩٤٨م نسف العرب مبنى جريدة البالستاين بوست (Palestine Post) واحدثوا فيه دماراً كبيراً وسقط عدد من القتلى والجرحى من اليهود .

٤ ـ بتاريخ ١٨ شباط ١٩٤٨م فجر اليهود سيارة ملغومة في سوق الرملة وسقط عدد من القتلى والجرحى العرب بالإضافة الى الاضرار المادية الكبيرة .

٥ ـ بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٤٨م اوقع العرب تفجيرات ضخمة في عدة أبنية في شارع (بن يهوذا) في القدس. وهو مركز تجاري رئيسي. وقد سقط فيه أكثر من خمسين قتيلاً وسبعين جريحاً من اليهود .

٦ ـ بتاريخ ١ آذار ١٩٤٨م فجر اليهود بناية ضخمة يملكها العرب في مدينة حيفا ونتج عن هذا التفجير أضرار بالغة في البناية كما قتل عدد من العرب .

٧ ـ بتاريخ ١١ آذار ١٩٤٨م قام العرب بنسف مبنى الوكالة اليهودية. وقد كانت هذه العملية جريئة للغاية. حيث اقتحم سائق السيارة التي كانت تعود لإحدى السفارات الاجنبية (وقد حملها العرب بالمتفجرات) مبنى الوكالة ولم يشتبه به أحد من اليهود ودخل الى ساحة المبنى وأشعل فتيل المتفجر وخرج قبيل حدوث الانفجار .

وقـد قتل بهذا الحادث عشرة اشخاص وجرح حوالي تسعين شخصاً جميعهم من اليهود. ويلاحظ هنا انى ذكـرت هذه الحـوادث بحسب تواريخ وقـوعـهـا وهي تظهر وكأنها رتبت بشكل يبين حـادثاً نفـذه العـرب ويليـه حادث نفذه اليهود كجواب عليه . ولم يكن هذا الأمر مـقـصـوداً أن يرد بهذا الشكل ولا يعطي الصـورة الحقيقية الكاملة. لأن هذه الحوادث التي ذكـرتها لم تكن سـوى امثلة قصدت من ذكرها هنا ان ابرز نوعية حوادث العنف التي كانت سـائدة في تلك الأيام. وهناك عشرات الحـوادث الأخـرى التي كانت تقع يومياً. ولم أشر اليها لأن شرحها يطول وليس هذا ما ذهبت اليه .

وقـد اسـتـمـرت هذه الحـوادث بمـخـتلف أنحـاء فلسطين خلال الاشهر الأولى من عام ١٩٤٨م على هذا النحو المتفرق وعلى الرغم من خطورتها فقد كان الفرق واضحاً بين موقف القـوات العـربيـة الفلسطينيـة غير النظامـيـة. وبين موقف القوات اليهودية. حيث أن القوات الفلسطينيـة لم تكن لها خطة رئيـسـيـة واضـحـة المعالم لمهاجمة المواقع الحيوية الأساسية اليـهـودية بقـصـد احـتـلالها للسـيطرة على المناطق الاستراتيجية الهامة بل كان كل هدفها التـمـركـز بمـواقع مـرتفـعه ومسيطرة على الطرق الرئيسية التي تمر منها قوافل اليهود في طريقها الى المستعمرات والمدن الرئيسية .

وهذه المراكـز المسيطرة غالباً ما تكون بداخل المناطق العربية على أمل انهم بهذا النوع من الحـصـار سـيـتـمكنون من خنق المسـتـعمرات وتجويعها ومن ثم فإنها ستسقط بسهولة. والأخطر من هذا انه لم تكن تتـوفـر لعـرب فلسطين قـيادة فعالة بالمفهوم العسكري الدقيق قـادرة على وضع الخطط التـعـبـوية والسَّوقـيـة الصـحيحة وتأمين التزويد الكافي والمستمر لقـواتهم المقاتلة في مواقعها بشكل سليم. كما لم تكن لديهم الآليات اللازمة لنقل مقاتليهم الى مختلف المواقع بالسرعـة الكافية حسب متطلبات المعركة. كما كانوا يعانون من شح الأسلحة وتعدد أنواعها وضآلة كميات الذخيرة لهذه الأسلحة المتيسرة لديهم .

وقد كانت الغالبية العظمى من هذه القوات تتألف من شباب مدنيين مسلحين يفتقرون إلى التـدريب والانضـبـاط، ولكنه كـان بينهم اعـداد قليلة من الجنود وافـراد الشرطة السـابقين وهؤلاء كـان تدريبهم جيداً ولذلك فإن وجودهم كان يساعد على تحسين الموقف إلى حد ما . وقـد كـانت هذه القـوات تتلقى تعليماتها من رئيس الهيئة العـربيـة العليا المفتي الحاج أمين الحسيني الذي كان مقره في دمشق بعيداً عن ساحة القتال. وينوب عنه قائد آخر يتولى قيادة العـمليـات في الميدان مثل السيد عبد القادر الحسيني، وهذا بالنسبة لقوات الجهاد المقدس أما بالنسـبـة لفئات المناضلين الاخـرى التي هي اصـغـر حجمًا في مختلف المناطق فكانت تأتمر

بأمره قادتها المحليين بشكل مستقل. وقد بدأ سماحة المفتي اهتماماته الجدية عندما عمل على تشكيل عـدد كـبير من اللجـان القومية المحلية في القرى والمدن واصبحت مسؤولة عن الدفاع المحلي في مـواقـعـها. وقد عملت هذه اللجان على تجنيد أفراد الحرس المحلي وبدأت بتسليحهم وتدريبـهم. ولم تكن النتـائج مـرضـية لأن هذا الإجراء جاء متأخراً جداً. كما لم يكن متوفرا لهـم الـقـادة المـحليين المدربين عـسكرياً لكي يتـمكنوا من تنظيم هؤلاء المسلحين وتدريبـهم وتحـويلهم إلى وحـدات مـقاتلة فعالة يمكنها ان تسيطر على الموقف وتأخذ زمام المبادرة. أو على الأقل تسـتطيع تنظيم الدفـاع المحكم وتحـصـين القـرى العربية بشكل يضاهي الدفاعات الحـصـينة المتـوفـرة في المسـتـعـمرات اليهودية. أما القوات المتحركة فلم تكن منظمة بشكل وحـدات عـسكرية بالمفـهـوم الصـحـيح. بل كانت عبارة عن مجموعات مسلحة من المدنيين يقودها قادة فصائل ينقصهم التدريب والخبرة هم انفسهم فكيف بجنودهم .

وأمـا في الطرف المقابل فقد كان واضحاً منذ البداية ان قوات الهاغاناة كانت جيشاً نظاميا مسلحاً ومدرباً بمستوى جيد يعمل بشكل غير علني .

ورغم أن السلطات البريطانيـة كـانت تعـتبرها غير قـانونية إلا أنها لم تكن جادة في منع تكوينهـا، بل بالعكس فإنها قـد اشتركت في تدريبـهـا من قبل مدربين من الجيش البريطانى اثناء اشـتـداد أزمـة الحـرب العـالمية الثانية. هذا بالإضافة الى حرس المستعمرات والبوليس الإضـافي الذي كـان عـبارة عن قواتٍ رسمية شبه نظامية جندتها حكومة الانتداب فأصبحت فـيما بعـد جـزءاً من قـوات البـالماخ التي كـانت القـوة الضـاربة للهـاغـاناة (جـيش الدفاع الإسرائيلي) .

ولابـد أن نـشـير هنا إلى أن اللواء اليـهـودي الذي جندته القـوات البريطانيـة في فلسطين واشترك في المعـارك التي دارت في الجبهة الإيطالية كجزء من الجيش الثامن البريطانى قد تم تسريحه بعـد نهاية الحرب العالمية الثانية وانضم بكامله إلى قوات الهاغاناه التي أصبحت هي الجيش الاسرائيلي فيما بعد.

ولقـد أدرك القـادة اليـهـود منذ البـداية اهميـة التنظيم العـسكري الصـحـيح والتدريب والتـخطيط والإدارة والتـزويد. ولذلك فقد أنشـأوا أثناء حكم الانتداب مدرسة حربية للهاغاناة في (نشـانيا) على غرار المدارس الحربية في الجيش البريطانى. كما بدأوا بتنظيم قواتهم بوحدات عسكرية نظامية على مستوى الكتائب. ثم نظموها فيما بعد على مستوى تشكيلات ألوية. وقد سـاعـدهم بذلك مـا كـان مـتوفراً لديهم من الاعداد الكبيرة من الضباط ذوي الخبرة العالية بفنون القـيـادة والأركان التي اكتسبوها اثناء خدمتهم في اللواء اليهودي أو أولئك الذين كانوا

أصلاً من منتسبي الجيش البريطاني أو الامريكي وغيرهما من جيوش العالم الأخرى أثناء الحرب. ولقد كان واضحاً أن هذه القوات الضخمة التي كان العرب يسمونها (عصابات يهوديه) لم تكن في الواقع سوى جيش نظامي مدرب على أكمل وجه ومسلحاً خير تسليح. والفرق بينه وبين القطعات النظامية الرسمية هو أنهم كانوا يخرجون بشكل غير رسمي ولا يحملون الرتب والإشارات العسكرية والاعلام، وينتقلون بسيارات مدينة بعضها كان عبارة عن مصفحات من صنع محلي ويحملون الأسلحة الشخصية ويقومون بأعمال الدورية وحراسة قوافل المؤن للمستعمرات. أو يخرجون بدوريات صغيرة وكمائن تتعرض لدوريات الجيش البريطاني ومعسكراته ولدوريات الجيش العربي أحياناً. والاعتداء على القرى العربية أحياناً أخرى .

وإلى جانب قوات الهاغاناه هذه بقيت عصابات الارغون وشتيرن منفصلة بقياداتها المستقلة تقوم بأعمال التدمير التي سبق ذكر بعض أمثلة منها بالتعاون والتنسيق مع الهاغاناه .

ولقد كانت للهاغاناه قيادة عامة منظمة بحسب التنظيم العسكري الصحيح وبملاك متكامل من ضباط الأركان وقادة الأسلحة والخدمات المختلفة. كما كان للوحدات والتشكيلات قياداتها وقادتها وضباط اركانها حسب الأصول. وعلى الرغم من أن السلطات البريطانية كانت تعتبر قوات الهاغاناه غير قانونية كما كانت تدعي. إلا أنها ما أن اعلنت حكومة الانتداب بتاريخ ١٥ كانون أول عام ١٩٤٧م أن مهمة الأمن الداخلي والنظام العام سوف تسلم الى اليهود في منطقة (تل أبيب ـ بتاح تيكفا) وإلى العرب في منطقة يافا. حتى أخذت قوات الهاغاناه تتحرك علناً بقوافلها المسلحة وتستخدم المصفحات لحماية القوافل التي تنقل المؤن والذخائر للمستعمرات .

ورغم تقدير القيادة اليهودية لأهمية الطرق الرئيسية في تزويد المستعمرات المتباعدة فلم يكن أمامها خيار سوى إستعمال أسلوب التحرك بقوافل محروسه لنقل المؤن والذخائر اليها. وقد كانت هذه القوافل معرضة بإستمرار للاعتداء عليها من قبل المسلحين العرب الذين كانوا يسيطرون على الكثير من المواقع المشرفة على هذه الطرق، خصوصاً خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٤٨م .

وقد كانت خسائر اليهود بهذه العمليات بالأرواح والمعدات ضخمة ولا تقل عن ثلاثمائة قتيل شهرياً

هكذا كانت وضعية المصادمات بين القوات اليهودية المختلفة وبين القوات البريطانية من جهة وبينها وبين القوات العربية غير النظامية من جهة أخرى .

والآن لابد من وصف تصاعد العمليات الحربية وتطورها خلال الأشهر الستة التي سبقت دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بعد إنتهاء الإنتداب وجلاء القوات البريطانية عن فلسطين وأوجزها بما يلي :

١ ـ بتاريخ ٢٩ تشرين أول عام ١٩٤٧م. صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة على مشروع قرار التقسيم. وقد أيدته ٣٣ دولة ورفضته ١٣ دولة وامتنعت ١٠ دول عن التصويت. ومن بين الدول التي أيدت هذا القرار الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية، وعلى أثر هذا التصويت اعلنت بريطانيا عن عزمها على الانسحاب نهائياً من فلسطين بتاريخ ١٥ أيار عام ١٩٤٨م .

٢ ـ بتاريخ ٧ تشرين ثاني عام ١٩٤٧م عقد مجلس الجامعة العربية أول اجتماع له في مدينة عالية في لبنان . وكانت الدول التي اشتركت بهذا الاجتماع هي : (مصر، سوريا، لبنان، العراق، الأردن، السعودية، اليمن) وقد قرر المجتمعون مساندة عرب فلسطين لكي يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم وبلادهم. كما قرروا تأليف لجنة عسكرية للإشراف على امداد الفلسطينيين بالأسلحة ودعم نضالهم بالمتطوعين. واختير اللواء اسماعيل صفوت (من العراق) رئيساً لهذه اللجنة. وانضم اليه المشيرطه الهاشمي (من العراق) مفتشاً عاماً للمتطوعين .

٣ ـ بتاريخ ٨ كانون أول عام ١٩٤٧م عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعاً في القاهرة وقرر عدم الموافقة على قرار التقسيم. كما قرر تزويد اللجنة العسكرية بثلاثة آلاف متطوع وعشرة آلاف بندقية ومبلغ مليون جنيه. وقد اختير السيد فوزي القاوقجي قائداً للمتطوعين في الميدان. وتم اختيار معسكرات في سوريا لتجميع وتدريب هؤلاء المتطوعين الذين تألف منهم جيش الانقاذ .

٤ ـ بتاريخ ٢٠ شباط عام ١٩٤٨م بدأت أفواج جيش الإنقاذ بالعبور إلى فلسطين من مختلف الطرق. حيث عبر فوج اليرموك الأول من شرق الأردن عن طريق المفرق ـ عمان ـ جسر داميا وتمركز في منطقة نابلس .

كما عبر فوج اليرموك الثاني من نفس الطريق وتمركز في منطقة صفد. وكان مرور هذه الأفواج من أمام معسكرنا في المفرق وقد كلفتني قيادة الجيش بالإشراف على مرور تلك

القــوافل عبر مـعـسكراتنا في المفرق والزرقاء لتسهيل مرورها بالتنسيق مع قادة تلك الأفواج. وقــد تمت هذ العـملية بانتظام، وبهذه الأثناء عبرت باقي أفواج جيش الإنقاذ من طرق اخرى عبر ســوريا ولبنان إلى فلسطين. وأصــبح مجمـوع أفـواج جـيش الانقاذ حوالي خمسة آلاف متطوع .

وضع فـوزي القـاوقـجي قيادته في قرية طوباس وقسم منطقة عملياته الى اربعة قيادات كما يلي .

أولاً : القـيـادة الشمالـيـة : ويشرف عليها القاوقجي بنفسه مباشرة وتشمل القسم الأكبر من قواته، وتوزعت في مثلث جنين - طولكرم - نابلس .

ثانيـاً : القـيـادة الشرقـية : وتمركزت حول منطقة القدس. وقوامها حوالي (١٢٠٠) مناضل واتبـعت الى قـيادة عبد القادر الحسيني الذي كان يقود قوات الجهاد المقدس التابعة للهيئة العربية العليا .

ثالثـاً القيادة الغربية : في منطقة يافا، وقوامها حوالي (٨٠٠) مناضل عراقي ومنها مجموعة صغيرة في مدينة رام الله .

رابعاً : القيادة الجنوبية : وقوامها (٦٠٠) مناضل تمركزت في منطقة جوليس .

وهكذا فـقـد تحـملت قـوات جيش الانقاذ مسؤولية القسم الأعظم من القتال ضد اليهود بالتعاون مع المناضلين الفلسطينيين وقوات الجهاد المقدس خلال هذه الفترة الحرجة في مطلع عام ١٩٤٨م، وبهذه الأثناء كـانت الدول العـربيـة لا تزال لم تقـرر بعـد بأنها سوف تدخل فلسطين بجـيـوشـهـا النظامـيـة. حيث كانت تعتقد أنها عملت مافيه الكفاية بتأليفها لجيش الإنقـاذ وان هذا الجـيش ســوف يكون بمـقدوره حماية جميع المناطق التي خصصت للعرب بموجب قرار التقسيم .

وعلى اثر ذلك اخذت العمليات الحربية بين اليهود والعرب تتطور بشكل متسارع وخطير. حـيث بدأ اليـهـود يوسـعون نطاق عملياتهم ضد القرى العربية بعد ان قبلوا قرار التقسيم. واخـذوا يتـجاوزون حدود تلك المناطق باحتلال بعض القرى العربية خارج نطاقها ليضموها لدولتهم المنتظر اعلان قيامها بعد انتهاء الانتداب وخروج القوات البريطانية من فلسطين .

ولكي ألقي الضــوء على الوضع العـام للحـركات الحربية التي جرت خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٤٨م والنتـائج الأليـمـة التي اسـفرت عنها والتي كانت تصلنا المعلومات عنها في

قيادة الفرقة تباعاً وبانتظام من مختلف المصادر سوف استعرض هذه الحوادث بحسب تسلسل تواريخ وقوعها في كل منطقة كما يلي :

١ ـ لقد بدأ القاوقجي أولى عملياته بعد اكمال تمركز قواته في فلسطين ضد مستعمرة الزراعة (طيرة زفي) الواقعة جنوب بيسان بتاريخ ١٢ شباط ١٩٤٨م. وكان ينوي بعد احتلال هذه المستعمرة أن يوسع من نطاق عملياته باتجاه حيفا ويحتل عدداً من المستعمرات الأخرى أثناء تقدمه. ولكن هجومه هذا قد فشل على الرغم من تفوقه عددياً على اليهود المدافعين عنها بنسبة كبيرة. وعلى الرغم من أن الهجوم قد بدأ أثناء هطول الأمطار الغزيرة التي احالت منطقة التقدم الى اوحال. إلا أنه لو استمر بالضغط على المستعمرة ومواصلة الهجوم بزخم وقوة لكان من الممكن أن ينجح باحتلالها. لكن سيطرته على المناضلين كانت ضعيفة لأنه كان ينقصهم الانضباط والتدريب العسكري الصحيح بحيث أنه عندما صمد اليهود في مواقعهم ونجحوا في ايقاف الاندفاع الأول للهجوم مؤقتاً توقف المناضلون عن القتال فجأة وبدون سبب معروف وبدأوا يتقهقرون الى الخلف. ولهذا السبب تكبدوا الكثير من الإصابات من القتلى والجرحى وخسروا كميات من الأسلحة فانسحب القاوقجي الى قيادته لإعادة التنظيم

٢ ـ احتلال مدينة طبريا :

في مطلع شهر نيسان ١٩٤٨م تحرك القاوقجي من منطقة نابلس على رأس قوة من جيش الإنقاذ قوامها حوالي (١٠٠٠) ألف مقاتل تساندهم بطارية مدفعية ميدان قاصداً احتلال مستعمرة (مشمار هاعايمك) واحتل التلال المسيطرة عليها وأحكم تطويقها واخذ يمطرها بقذائف المدفعية لمدة طويلة. وعلى الرغم من أن اليهود المدافعين عنها لم يكن لديهم سوى الأسلحة الخفيفة فإنهم تمكنوا من الصمود حتى وصلتهم النجدة من قوات الهاغاناه لأن القاوقجي لم يقم بهجوم مركز صحيح ليقتحم المستعمرة بسرعة قبل وصول النجدة اليها .

وكانت النتيجة أن قوة النجدة هذه تمكنت من صد هجوم جيش الإنقاذ الذي استمر في تطويق المنطقة من مواقعه المسيطرة على المستعمرة والتي تمركز فيها منذ وصوله، كما استمر بقصف المستعمرة بالمدفعية دون محاولة اقتحامها من جديد. وبعد ستة أيام من الحصار بدأ القاوقجي بالانسحاب فجأة. وعندئذ تحولت قوات الهاغاناه على الفور من الدفاع إلى الهجوم ولاحقت قوات جيش الإنقاذ المنسحبة واخذت تحتل جميع القرى العربية التي في طريقها. ولقد كانت هذه المعركة ضربة قاسية لسمعة القاوقجي ولمعنويات جنوده وبنتيجتها انهارت معنويات سكان القرى العربية في تلك المنطقة واخذوا ينزحون عن قراهم باعداد كبيرة .

كان اليهود بهذه الأثناء يخططون لفتح الطرق المؤدية من الساحل الى الجليل الشمالي والشرقي واهمها طريق طبريا الى روشبينا لكي يعزلوا مدينة صفد ويحتلوها حيث كانت مدينتي صفد وطبريا مختلطة يسكنها العرب واليهود سوية. ففي مدينة صفد كان الحي اليهودي يقع في الارض المنخفضة والاحياء العربية تقع على التلال المحيطة به وتسيطر عليه من جميع الجهات. بينما كانت مدينة طبريا على العكس من ذلك حيث كانت الاحياء اليهودية تقع على التلال المسيطرة على المدينة والاحياء العربية في المناطق المنخفضة هذا وقد انسحبت القوات البريطانية من مدينة صفد قبل شهر من موعد انتهاء الانتداب. وبالتحديد بتاريخ ١٦ نيسان عام ١٩٤٨م .

ثم انسحبت من مدينة طبريا بتاريخ ١٨ نيسان عام ١٩٤٨م. وعندئذ بدأت قوات الهاغاناه بتنفيذ المرحلة الأولى من خطتها وهي فتح الطريق من طبريا الى مستعمرة (روشبينا) على الفور .

ولما كانت الاحياء اليهودية في طبريا تسيطر على المدينة كانت المناوشات بالنيران مستمرة بين السكان العرب واليهود منذ عدة أسابيع. وقد حاول الانجليز عقد هدنة بين الطرفين ولكن هذه المحاولة فشلت عندما وصلت قوة من جيش الانقاذ الى الاحياء العربية لنجدتها ومن الغريب انه بعد رحيل القوات البريطانية عن المدينة بتاريخ ١٨ نيسان بدلاً من استمرار المقاومة العربية بشكل افضل ومحاولة السيطرة على المدينة بكاملها ما دام أن جيش الانقاذ اشترك معهم في الدفاع عنها فقد حصل العكس تماماً حيث توقف القتال فجأة ونزح السكان العرب عن المدينة الى شرق الأردن. وقد كان هذا التصرف أكبر بكثير مما كان يتوقعه اليهود. حيث أصبحت مدينة طبريا بكاملها بايديهم دون قتال يذكر. وهكذا لم يبق أمامهم سوى احتلال مدينة صفد. وعندئذ تقدمت قوات الهاغاناه لإكمال فتح الطريق الى روشبينا وقد أكملوا هذه المهمة بتاريخ ٢٨ نيسان عام ١٩٤٨م. واحتلوا المعسكر البريطاني ومركز البوليس في روشبينا استعداداً للزحف على صفد .

٣ ـ احتلال مدينة صفد :

لقد كانت المناوشات مستمرة بين السكان العرب واليهود في مدينة صفد منذ كانون ثاني عام ١٩٤٧م. وقد كان في صفد حوالي ستمائة مناضل عراقي من جيش الانقاذ كما اسلفنا بالإضافة الى المسلحين من سكانها، وكما اشرت في الفقرة السابقة كانت الأحياء العربية تسيطر بشكل تام على الأحياء اليهودية وتطوقها من كل جانب بحيث أن اليهود لم يكن

بإمكانهم ايصال المؤن إلى احيائهم هذه إلا تحت جنح الظلام عبر الطرق الجبلية الوعره وعند انسحاب الانجليز من صفد استولى المناضلون العرب على مركزي البوليس فيها واصبحت جميع النقاط الحصينة في المدينة بإيديهم. ولكن بهذه الاثناء تمكنت بعض قطعات من قوات (الهاغاناه) من التسلل الى الحي اليهودي لتعزيز دفاعاته. كما تمكنت من احتلال أحد التلال المرتفعة شمال المدينة بمحاولة لوضع صفد بكاملها في حالة حصار من الخارج وقد تمكنوا من تحقيق هذا الهدف تدريجياً. وعندئذ بدأ اليهود بعمليات الهجوم المتكررة تمهيداً لإحتلال المدينة بكاملها .

وقد بدأت هذه العمليات عندما قامت قوة من الهاغاناه بتاريخ ٢٠ نيسان بالهجوم على بعض المواقع العربية المرتفعة وتم صد هذا الهجوم من قبل المناضلين. وفي أول أيار تمكنت قوة من الهاغاناه من احتلال قريتين عربيتين في الطرف الشمالي من مدينة صفد. وفي اليوم التالي وصلت تعزيزات يهودية من قوة البالماخ واقتحمت المدينة. ونشبت معارك عنيفة بينها وبين المناضلين العراقيين في مراكز البوليس الذين تمكنوا من صد تقدم البالماخ .

وبعد هذا الفشل شنت قوات الهاغاناه هجوماً رئيسياً جديداً على المواقع العربية في التلال المرتفعة وقد تم صدها ثانية بعد تكبيدها خسائر كثيرة فانسحبت لإعادة التنظيم. ثم اعادت القوات اليهودية الكره ثانية بهجوم كبير كانت البالماخ في طليعته. وبهذه المرة تمكنت من احتلال مركزي البوليس. وبعد ذلك انهارت المقاومة العربية في جميع المناطق وسقطت صفد يوم ١١ أيار عام ١٩٤٨م بيد اليهود .

٤ ـ احتلال مدينة حيفا :

كانت مدينة حيفا كما هو معروف مختلطة السكان من العرب واليهود. وعلى الرغم من أن الأحياء الرئيسية اليهودية كانت منفصلة عن الأحياء العربية إلا أنه كان يوجد الكثير من التداخل بين المناطق المتقاربة. وقد كانت الاشتباكات المتفرقة دائرة بين العرب واليهود في مواقع كثيرة داخل المدينة وخارجها. وقد كانت عناصر المناضلين العرب من سكان المدينة ومن غيرهم لا تجمعهم قيادة واحدة. وبهذه الاثناء استقال عدد من ضباط الجيش العربي بموافقة القيادة لكي يلتحقوا مع المناضلين وكان من بينهم الملازم محمد الحمد الحنيطي ولما كانت اللجنة القومية تبحث عن قائد للمناضلين في مدينة حيفا فقد عينته لتولي هذه المهمة. وقد تمكن هذا الضابط المخلص الشجاع من تنظيم فئات المناضلين المختلفة والسيطرة عليها وتوجيه عملياتها على أكمل وجه. ولكن قيادته لهم لم تدم طويلاً حيث استشهد بتاريخ

١٧ آذار عام ١٩٤٨م. عندما كان يقود قافلة محملة بالذخيرة احضرها من لبنان للمناضلين وعند اقترابه من الضواحي الشمالية لمدينة حيفا وقعت قافلته في كمين نصبته القوات اليهودية التي كانت متواجدة في المستعمرات القريبة من طريق مرور القافلة. ومما سهل على اليهود مهمة تمييز نوعية هذه القافلة ان المرحوم الملازم محمد الحنيطي رفع على سياراتها اعلاماً فلسطينية. فأدرك اليهود أهميتها فقصفوها على الفور ونتيجة القصف وإطلاق النار انفجر عدد من سيارات الذخيرة ودمرت هذه القافلة بكاملها واستشهد محمد الحنيطي ومعه عدد كبير من زملائه المناضلين رحمهم الله جمعياً واسكنهم فسيح جناته وهنيئاً لهم الشهادة.

وبعد هذا الحادث المؤلم قامت اللجنة القومية بتعيين ضابط سابق من البوليس الفلسطيني اسمه امين عز الدين لتولي قيادة موقع حيفا. واستطاع هذا الضابط الذي احضر معه بعض التعزيزات السيطرة على الموقف ومواصلة الدفاع عن المدينة. وبهذه الاثناء كانت قافلة يهودية تحمل المؤن في طريقها الى بعض المستعمرات القريبة من الحدود اللبنانية فتصدى لها المناضلون العرب ودمروها بكاملها. فارتفعت بذلك معنويات سكان حيفا لاسيما بعد وصول تعزيزات كبيرة اخرى لهم من السوريين والعراقيين والجنود السابقين من جنود قوة حدود شرق الأردن. وبهذه الأثناء كان اليهود يستعدون للقيام بهجوم واسع النطاق لاحتلال مدينة حيفا بكاملها. وقد بدأ هذا الهجوم عند فجر يوم ٢١ نيسان ١٩٤٨م عندما تقدم اليهود من مواقعهم الرئيسية في منطقة (الهدار كرمل) وهي سفح جبل الكرمل المسيطر على مدينة حيفا. وقد تقدمت قوات الهجوم هذه على أربعة محاور بهدف احتلال النقاط الرئيسية الهامة في المدينة مثل مركز مقسم الهاتف ومجمع مباني الحكومة ومكاتب سكة الحديد. واخذت تصفي نقاط المقاومة العربية التي تصادفها في طريقها اثناء تقدمها. وقد كانت اعنف مقاومة لاقتها القوات اليهودية المتقدمة في داخل الأحياء العربية حيث دار القتال من منزل إلى منزل طيلة الليل وصباح اليوم التالي. وقد كان تقدم القوات اليهودية بطيئاً أمام المقاومة العنيفة التي كان يبديها المقاتلون العرب. ولكن سرعان ما تغير هذا الموقف عندما سقطت قنابل المورتر على مقر قيادة السيد أمين عز الدين قائد المناضلين حيث قرر هو ومساعدوه نقل قيادته الى خارج المدينة. وقد كانت هذه غلطة كبرى. حيث على أثر رحيله مباشرة بدأت معنويات المناضلين تتزعزع وأخذت مقاومتهم تنهار تدريجياً .

وبهذه الفترة الحرجة حاول القائد البريطانى الجنرال (ستكويل) عقد هدنة بين الطرفين لكي يؤمن الهدوء اللازم لإتمام انسحاب قواته المتبقية من ميناء حيفا. وقد تم عقد اجتماع

بين ممثلي الطرفين المتـحاربين بحضوره لهذه الغاية ولكن اليهود اشترطوا لقبولهم الهدنة ان يســتـسلم جميع المناضلين مع اسلحـتــهم وان يسيطر اليهود على المدينة بكاملها. وقد كانت شروط اليهود مهينة ولا يستطيع المناضلون العرب القبول بها تحت أي ظرف .

فطلب المـمـثلون العـرب مـهلة للتـشـاور. وبعـد عودتهم اعلنوا عدم موافقتهم على شروط اليهود. ولكن بعد ذلك بدأ السكان العرب يغادرون المدينة وقد قيل أن هذا النزوح كان ناتجاً عن الترهيب والضـغط على السكان من قـبل الانجليز والتهديد اليهودي بنفس الوقت. وهكذا رحل معظم سكان حيفا عنها تحت إشراف القوات البريطانية وسيطر عليها اليهود .

٥ ـ العمليات في المنطقة الوسطى :

أ ـ معارك القسطل :

إن أهم مـا كـان يشـغل اليـهود في هذه المنطقة هو فتح الطرق الرئيسية المؤدية من تل أبيب الى القـدس لكي يتـمكنوا من تمرير قوافل الامدادات اليها بانتظام. ولهذا فقد قاموا بوضـع الخطط اللازمـة لاحتلال القرى العربية المسيطرة على هذه الطريق في منطقة باب الواد وكـان من أهم هذه المواقع قـرية القـسطل التي تقع على تل مـرتفع وتبـعد حوالي خمسـة أميال إلى الغرب من مدينة القدس وتسيطر على قطاع كبير من الطريق. وبتاريخ ٢ نيسان عام ١٩٤٨م قـامت قـوة من البالماخ بشن هجوم ليلي على القرية وتمكنت من احـتـلالها لفترة وجـيـزة حيث قامت على إثر ذلك قوة من المناضلين بقيادة المرحوم عبد القـادر الحسيني بشن هجوم معاكس وطردت اليهود من القسطل. وبنفس الوقت قامت قوة أخرى من الهاغاناه باحتلال قريتي خلدا ودير محيسن القريبة من اللطرون. ورغم أن الجـيش البريطانى اخرجهم منها لإنه يريد ابقاء الطريق مفتوحة لقوافله الا أن قوات الهاغاناه بقيت قريبة منها .

وبتاريخ ٧ نيسان عام ١٩٤٨م شنت قـوات البـالماخ هجوماً آخر على القسطل وتمكنت من احتلالها ثانية. ولكن قوات المناضلين شنت هجوماً معاكساً ليلة ٧/٨ نيسـان بقيادة عـبـد القـادر الحـسيني الذي كان قد عاد لتوه من دمشق حيث كان يعمل على احضار كـمـيـات من الأسلحـة للمناضلين. وقد تمكن من احتلالها ثانية. وخلال ستة أيام من المعـارك المسـتـمرة تمكن المناضلون العرب من القضاء على معظم القوة الاسرائيلية التي كـانت تهاجم القسطل وردوا ما بقي منها على اعقابهم. ولكن بهذه الاثناء استشـهد عبد القـادر الحسيني بهذه المعركة الأخيرة عندما دخل الى أحد المواقع الذي كان يظن أنه بيد

قـواته فـوجـد ان اليـهود يحتلونه. وعلى إثر استشهاده تضعضعت معنويات المناضلين وانسـحـبوا إلى القدس تاركين موقع القسطل خالياً تماماً. فعادت القوة اليهودية المتبقية واحتلته بدون قتال هذه المرة .

ب ـ مذبحة دير ياسين :

وفي أثناء مـعـركة القسطل تقدمت قوة مشتركة من عصابتي الارغون وشتيرن لاحتلال قـرية دير ياسين القـريبـة. وقـد كـانت دير ياسين قرية غير مسلحة. وكان بينها وبين سكان المسـتعمرة اليهودية المجاورة (غيفعات شاءول) اتفاقية عدم اعتداء وحسن جوار. ولم يتوقعوا ان ينقض اليهود هذه الاتفاقية بدون سابق إنذار. وعلى أي حال فقد دخلت قـوة هاتين العـصـابتين عند فـجر يوم ٩ نيـسـان الى دير ياسين وذبحـوا كل إنسـان صـادفـوه من الاطفـال والنسـاء والشـيـوخ وقطعوا جثثهم وألقوها في الطرقات والآبار المهـجـورة ثم قـاموا بنسف المنازل. وأما الرجال الذين استسلموا فقد قتلوا ثمانين أسير منهم والبـاقـون حـوالي مـائتين فـقد كبلوهم بالشاحنات واستعرضوا قافلتهم بشوارع القـدس. وقد كان مجموع الذين قتلوا حوالي (٣٥٠) شـخصاً، ولم تكن هنالك أية علاقة حـربيـة بين معركة القسطل ومذبحة دير ياسين تمليها عليهم حتمية القتال لكن اليهود كـانوا يقـصـدون إحداث مجزرة وحشية في إحدى القرى العربية لكي يجعلوا منها مثلاً مـرعـبـاً يخيـفـون به سكان القرى الأخرى فيكون هذا حافزاً لهم لهجر قراهم والهرب منهـا خـوفـاً على حياة اطفالهم ونسائهم. وقد نجحوا بتحقيق هذا الهدف نجاحاً كبيراً. وقـد هزت هذه الجريمة البشعة الضمير العالمي بأسره نظراً لما انطوت عليه من وحشية لم يشـهد لها العالم مثيلاً. ورغم أن الوكالة اليهودية انكرت علمها بهذه الجريمة عندما افـتضح امرها. إلا أن تواطؤ قيادة جيش الهاغاناه الذي تسيطر عليه تلك الوكالة نفسها كـان واضـحـاً. كما أنه لم يكن خـافـياً على أحد أنها كانت جريمة متعمدة ومخطط لها وذلك لسببين هما

أولاً . أن السـيـاسـة الاسرائيليـة الرسـمـية كانت تهدف الى إخلاء سكان جميع القرى العـربيـة التي تقع ضمن المناطق اليهودية أو القريبة منها. ولذلك فإن هذا النوع من التـعـامل الوحشي مع السكان العـرب في القرى التي يحتلها اليهود كفيل بأن يخيف سكان باقي القرى فينزحوا عنها بمجرد اقتراب القوات اليهودية خوفاً من أن يحل بهم مـا حل بسكان دير ياسين. بدليل أن اليـهود دأبوا بعد انتشـار خبر

مـذبحـة دير ياسين على تحذير السكان العرب بإلقاء النشرات وبواسطة مكبرات الصـوت طالبين منهم مـغـادرة قـراهم حـفـاظاً على أرواحـهم وأرواح اطفـالهم ونسـائهم . مما يؤكد أن مذبحة دير ياسين كانت جزءاً من السياسة الاسرائيلية الرسمية .

ثانيـاً : دخلت مع هذه العـصـابات قـوة من الهاغـاناه وهي جيش اسرائيل الرسمي ولا يمكن ان تنفـذ مـثل هذه المجـزره بدون علم أعلى سلطة اسرائيلية في ذلك الحين ولو كـان العكس صـحيحاً لقامت هذه السلطة على الأقل بمحاكمة المسؤولين عن هذه الجريمة حفاظاً على سمعتها أمام الرأي العام العالمي .

ولتأكيد ما ورد حول هذا الموضوع أحب أن أذكر تالياً بعض مقتطفات من كتاب (العربي واليهودي) تأليف ديفيد شيبلر[١] .

يقول المؤلف :

لقـد كـانت مـذبحة دير ياسين موضوع بحث مفصل من قبل الكثير من المؤرخين. وبما أنها نفـذت من قـبل منظمات ارهابيـة فإن الأكـاديمـيين والسـياسيين الاسرائيليين لا يرون ضرورة اخـفـاء حـقـيقتها رغم ان الاثباتات التفصيلية سوف تبقى بعيدة عن متناول الجمهور. ولكن بسـبب الخـلافـات السـيـاسـيـة الداخليـة اعـتاد السياسيون ان يستخدموا هذه المذبحة ضد اخـلاقـيات مناحم بيغن الذي كان قائداً لمنظمة الارغون التي قامت بالاشتراك مع منظمة ليهي التي كـانت تعـرف باسم عـصـابة شتيرن نسبة لمؤسسها ابراهام شتيرن. وعندما دخلت هذه العصابات الى دير ياسين عند الفجر من يوم ٩ نيسان ١٩٤٨م كان مناحيم بيغن في بيته في تل أبيب. وقد ابرق لجنوده الرسالة التالية :

«تقـبلوا تهنئتي على هذا العـمل الرائع، انقلوا تقـديري الى جميع القـادة والجنود نحن نشد على أيديكم وجميـعنا فـخـورون بالقـيـادة الممـتـازه والروح القتالية التي ظهرت بهذا الهجوم العظيم. نحن نقف احتراماً لذكرى الذين قـتلوا ونصـافح بكل محبـة الذين جـرحـوا. ابلغوا الجنود انكم صنعـتم التـاريخ في اسرائيل بهجـومكم واحـتـلالكم. استمروا بهذا الأسلوب حتى النصر. وكما في دير ياسين كـذلك في كل مكان سـوف تهاجمون وتسحقون العدو. الله ، الله انت اخترتنا للاحتلال» ـ انتهت رسالة بيغن ـ

---

(١) كتاب العربي واليهودي تأليف ديفيد شيبلر. الصفحات ٣٧، ٣٨، ٣٩
ARAB AND JEW Wounded Spirit in a Promised Land, DAVID K. SHIPLER. Pages 37, 38, 39.

هنالك شاهد عيان حضر هذه المذبحة وهو ضابط استخبارات في الهاغاناه اسمه (مائير بايل) كان قد سمع عن هذا الهجوم وقرر من تلقاء نفسه ان يراقبه وقد قال ما يلي :

«لقد كانت مذبحة بدم ساخن، لم تكن مخطط لها مسبقاً ولكنها كانت انفجاراً من الصغار ولا يوجد من يسيطر عليها. دخلت مجموعات من الجنود من بيت الى بيت ينهبون ويطلقون النار. وكنت تسمع بداخل البيوت صراخ النساء والرجال المسنين والاطفال. لقد حاولت أن أجد القادة ولم استطع. حاولت الصياح على الجنود لكي اوقفهم ولكنهم لم يستجيبوا ولم يابهوا بي وكانوا يتصرفون وكانهم مخمورون أو مصابون بلوثة عقلية .

٦ ـ احتلال مدينة يافا :

مدينة يافا كما هو معروف ملاصقة الى مدينة تل أبيب. وبحكم موقعها اصبحت معرضة للخطر أكثر من أي مدينة عربية اخرى. والدفاع عنها يحتاج إلى قوات كبيرة لكي تستطيع الصمود أمام هجوم ضخم تقوم به القوات الاسرائيلية من تل ابيب. لاسيما وان أي معركة في داخل المدينة سوف تحتم على المدافعين عنها الاحتفاظ بجميع النقاط الحيوية بداخلها. وعلى طرق الاقتراب المؤدية إليها. كما يترتب عليها حماية طرق التزويد لكي تؤمن وصول الذخائر والمؤن للقوات المقاتلة ولسكان المدينة بشكل مستمر لتضمن صمودها. وأما بالنسبة لمدينة يافا في وضعها الذي كان سائداً في تلك المرحلة من القتال فقد كانت هذه المتطلبات شبه مستحيلة للأسباب الآتية :

أولاً : بالنسبة لعملية تزويد سكان المدينة والقوات المتواجدة فيها فقد أصبحت معظم الطرق الخارجية المؤدية اليها إما مغلقة، أو مهددة باستمرار من قبل القوات اليهودية كما أنها لم يكن لديها الوسائل البحرية اللازمة لاستيراد حاجاتها عن طريق البحر ومعنى هذا انه يترتب على السكان ان يعتمدوا على ما كان متوفراً لديهم من المؤن لأنهم اصبحوا في حالة حصار ومن غير الممكن أن تكفيهم هذه المؤن لمدة طويلة .

ثانياً : ان القوات التي كانت متوفرة للدفاع عن المدينة تتألف من حوالي سبعمائة مناضل عراقي من جيش الانقاذ بالاضافة الى مجموعات من المناضلين المحليين الذين امكن تسليحهم، ولم يكن لهم قيادة واحدة بل كانوا متفرقين ومتعددي الولاءات. فمنهم من كان يتبع لرئيس البلدية ومنهم من يتبع جيش الانقاذ وهكذا. ولهذا فإن فعاليتهم كانت محدودة. أما الذخائر التي كانت متوفرة لدى هذه المجموعات فلم تكن تكفي للقتال لمدة طويلة لاسيما وان المناضلين الذين كانت تنقصهم الخبرة

والتـدريب على مـبادئ القتال كانوا يطلقون النار بلا حساب ويستهلكون ذخائرهم بدون فعالية. ولما كانت مشكلة ايصال الذخيرة والتعزيزات الى يافا في غاية الصعوبة ان لم تكن مستحيلة خصوصاً بعد أن سيطر اليهود على جميع الطرق البرية المؤدية اليـهـا فقد اصبح الدفاع عن هذه المدينة من داخلها وبالقوات المتواجدة فيها ميئوس منه ان لم تحدث تطورات تمكن من انقاذها.

صـحـيح أن قيادة الجيش العربي كانت قد أرسلت ضابطاً وعشرة ضباط صف الى يافـا ليقوموا بتدريب المناضلين من سكان المدينة وارسلت معهم عدداً من رشاشات الفكرز ثم الحقت بهم عشرة مدربين ومعهم (٥٠٠) بندقية، إلا أن هذه المساعدة لم تكن كـافـيـة لتـحـويل ميزان القوة لصالح العرب. لقد كانت وضعية يافا من حيث الامكانيـات المتـاحة لها للدفاع اسوأ من حيفا أو صفد ومع ذلك فإن هذه الامكانيات هي كل مـا أمكن توفيره في ذلك الحين. فهل تستطيع يافا بهذه الامكانيات المتواضعة ان تصـمد لمدة كافية حتى يحين موعد دخول الجيوش العربية الى فلسطين وهل اذا دخلت هذه الجيوش ستستطيع الوصول الى يافا وانقاذها. كل هذه التساؤلات كانت في علم الغيب في ذلك الحين

وبهذا الوضع المأسـاوي كـان قـدر سكان يافـا ومناضليـهـا ان يواجهوا وحدهم هجوم القـوات اليـهودية المحتمل وقوعه بأية لحظة. ولم يطل وقت الانتظار هذا حيث بدأت قوة من الارغـون قـوامـها حوالي ستمائة مقاتل هجومها يوم ٢٥ نيسان عام ١٩٤٨م قـادمة من تل ابـيب، واحـتـدمت المعـركـة عبر الشـوارع ومن منزل الى منزل طيلة يوم وليلة. وقـد قـاتل المناضلون العـراقـيـون قـتـالاً باسـلاً ومثلهم قاتل باقي المناضلين الآخرين وصمدوا جميعاً صـمـود الأبطال. وتمكنوا في النهـاية من ايقـاف زحف القوات المهاجمة. وبهذه الأثناء دخلت قـوات اخـرى من الهاغـاناه واشتركت في المعركة من جديد بتاريخ ٢٩ نيسـان وازداد ضغط هذه القـوات الضـخـمـة على المناضلين الذين اخذوا يتراجعون تدريجياً. وقد ساءت الأوضاع بالنسبة للسكان فبدأوا ينزحون عن المدينة. وبهذه المرحلة تدخلت القوات البريطانية وحاولت فرض وقف اطلاق النار على الطرفين بدون جدوى .

واسـتـمـر ضـغط القـوات اليهودية على المناضلين الذين استمروا بالمقاومة رغم ما كانوا يعانون من نقص الذخائر حتى يوم ١٣ أيار حيث اعلنها رئيس البلدية السيد يوسف هيكل مدينة مفتوحة. وتم بذلك تسليم يافا الى اليهود بعد ان نزح معظم سكانها وخرج المناضلون وضـبـاط صف الجيش العربي منها. ومن الغريب ان رئيس البلدية نزح هو الآخر إلى عمان

بـدلاً مـن أن يبـقى في مـدينتـه مع من بقي من السكان ليسـاعـدهم في ظروف الاحـتـلال ويشاركهم مصيرهم .

٧ ـ العمليات في منطقة القدس :

لقـد بقـيت المحـاولات لفـتح طريق المواصـلات المؤدية الى القـدس من تل أبيب مستمرة. وخلال الفترة ما بين ٨ أيار الى ١١ أيار عام ١٩٤٨م قـامت القوات اليهودية باحتلال سبعة مـواقع رئيـسـيـة في منطقـة باب الواد وكان من أهمها تل مرتفع ومسيطر على المنطقة اطلق عليـه اسم (تل الرادار) لأن الجـيش البريطانى كـان قـد أنشأ عليـه مركزاً للرادار أثناء حكم الاسـتـعمار وقـد تمكن اليهود من احتلاله بعد معركة عنيفة ابدى خلالها المدافعون عنه من المناضلين مقاومة عنيدة .

أمـا في مـدينة القـدس نفسها فقد كان موقع مستشفى هداسا والجامعة العبرية على جبل سكوبس مطوقـاً ومنقطعـاً عن الأحـيـاء اليهودية. حيث كان المناضلون العرب يحتلون حي الشـيخ جـراح الذي يفـصل بينهما. وبتـاريخ ١٣ نيـسان ١٩٤٨م قـام المناضلون العـرب بمـهاجمة قافلة يهودية كانت متوجهة الى هداسا انتقاماً لمجزرة دير ياسين وقتلوا من حراس هذه القـافلة وركـابها حـوالي سـبـعين شـخصاً قبل ان تتمكن القوات البريطانية من التدخل لانقاذها كما اعتادت ان تفعل عندما يكون اليهود هم المعرضون للخطر .

وبعد ذلك وبتاريخ ٢٥ نيـسان شنت قوات البالماخ هجوماً كبيراً على منطقة الشيخ جراح لفتح طريق الاتصال مع هداسا وتمكنت من احتلالها. وبما أن حي الشيخ جراح هذا يسيطر على الطريق الرئيـسية التي كانت تستعملها قوافل الجيش البريطانى اثناء انسحابها الى ميناء حـيـفـا فـقد قامت قواتهم باخراج اليهود منه. ولكن بعد اكتمال رحيل القوات البريطانية عن منطقة القدس عاد المناضلون العرب واحتلوا الحي وتثبتوا فيه .

وبتاريخ ٢٩ نيسان ١٩٤٨م قـامت القـوات اليهودية بمحاولة ثانية لاحتلال حي الشيخ جـراح ولكن المناضلين العـرب تمكنوا من صـدهم وتثبتوا في المنطقة بضعة أيام أخرى. وبعد عـدة أيام اعـادت القـوات اليهودية محاولة أخيرة واحتلت منطقة الشيخ جراح ضمن حملتها التي قـامت بها لاحـتـلال مـعظم أحـياء المدينة خارج الأسوار قبيل خروج المندوب السامي البريطانى من القدس .

أمـا في داخل مـدينة القـدس القـديمـة فـقد بقي المناضلون العرب يسيطرون على جميع

احـيـائهـا داخل الأسوار ما عدا الحي اليهودي الذي فرضوا عليه حصاراً كاملاً وأصبح من المتعذر على اليهود تزويده بالمؤن والذخائر من مناطقهم في المدينة الجديدة .

ومع اقتراب مـوعـد انتـهـاء الانتداب اخذ اليهود يوسعون من نطاق عملياتهم في القدس الجـديدة لكي يحتلوا جميع المناطق التي يسـتطيـعون احتلالها قبل خروج القوات البريطانية نهائيـاً منهـا. وقـد سـاعـدهم في ذلك تغلغلهم في معظم القيادات البريطانية. حيث كان الكثير منهم يعـملون فيها بمختلف الوظائف الإدارية وغيرها. ولذلك كانوا يستطيعون الحصول على المعلومـات المسـبقة عن موعد خروج القوات البريطانية من المراكز الهامة في المدينة فيجهزون قـواتهم مسبقاً، وحال انسحاب القوات البريطانية يدخلون في اعقابها فوراً ويتمركزون في تلك المواقع نهائياً

ومن أهم المواقع التي احـتلهـا اليهود بهذه الطريقة في القدس مبنى البريد ومجمع الدوائر الحكومـيـة ومـعـسكر اللنبي ومـعـسكر العلمين. وقد استلموها جميعها يوم ١٤ أيار عـام ١٩٤٨م .

وفي تلك الفترة الأخيرة من ايام الانتـداب بذل المندوب السـامي البريطانى جـهـوداً كبيرة لاقناع الطرفين المتـحـاربين بعـقد هدنة بينهما. حيث اقترح عليهما بتاريخ ١٨ نيسان وقف اطلاق النار في القـدس ولكن اليـهـود رفضوا هذا الاقتراح. إلا أنه بعد المزيد من المداولات تم التـوصل الى اتفاق بوقف اطلاق النار اعتباراً من تاريخ ٢٨ نيسان ١٩٤٨م. لكن هذا الوقف لم يدم طويلاً حيث بدأ اليهود بتاريخ ٣٠ نيـسان بشن هجوم واسع على حي القطمون الذي يقع في القـسم الجنوبي من القدس. وكان سكان هذا الحي قد نزحوا عنه ولم يبق فيه سوى مجمـوعـات من المناضلين الفلسطينيين والعـراقـيين. ولما كـانت السرية التـاسعة من الجيش العـربي مـا زالت مـوجـودة في معسكر العلمين فقد تلقى قائد السرية أمراً من قيادة الجيش لإرســال فئة من جنوده لحماية مـبنى السـفـارة العراقية في حي القطمون فأرسل هذه الفئة وتمكنت من شق طريقها الى مبنى السفارة بكل صعوبة. وبنتيجة تقدم الزحف اليهودي عبر احـياء القدس الجديدة انعزلت هذه الفئة وبقيت محاصرة مدة أربعة أيام حيث تم إرسال قوة أخـرى من المدرعـات لتـغطيـة انسحابها وتم اخراجها من القدس لكي تلتحق بسريتها. وتم بنفس الوقت اخراج اعضاء السفارة العراقية بآخر لحظة .

أما الهجوم اليهودي فقد تعثر في البداية أمام المقاومة العنيفة التي ابداها المناضلون ولكن اليـهـود جلبـوا تعـزيزات جـديدة واستمروا في عمليات الاقتحام حتى تمكنوا من احتلال دير (ســانت سـيـمـونز) الواقع على تل مـسـيطر. وعند الفجر قام المناضلون العراقيون بهجوم

معاكس. ولكن اثناء تقدم هذا الهجوم شن اليهود هجوماً مضاداً على الجناح الأيسر للهجوم المعاكس وقد فاجأوا المناضلين العراقيين بهذا الهجوم المضاد وارغموهم على الانسحاب بسرعة تجنباً للتطويق والتصفية. وهكذا فقد استمرت القوات اليهودية في زخم تقدمها وما لبثت ان استولت على حي القطمون بكامله مساء يوم ٢ أيار ١٩٤٨م .

أما في شمال القدس على الطريق المؤدي الى رام الله فقد كانت تقع مستعمرة النبي يعقوب شمال قرية شعفاط. وقد دأب سكان هذه المستعمرة على التعرض لسيارات العرب التي تمر من هذه الطريق ويوقعون بركابها الإصابات باستمرار. وبينما كانت قافلة مدرعات حرس القوافل مارة من أمام هذه المستعمرة أطلق اليهود النار عليها فانتشرت المدرعات واخذت تقصف ابراج الحراسة والمواقع الدفاعية في المستعمرة فدمرت معظمها وكبدت اليهود خسائر كبيرة بالارواح وخلال سير هذه المعركة ارسل قائد الحامية فئة مشاة بقيادة الملازم محمد العقله الربابعه لمساعدة المدرعات. وعند وصوله انزل جنود المشاه ليتمركزوا بمواقعهم وحاول هو الالتفاف حول المستعمرة من جهة الشمال بسيارة الجيب ولكنه أصيب برصاصة واستشهد على الفور رحمه الله واسكنه فسيح جناته .

وبعد فترة وجيزة حضر قائد الحامية الى ساحة المعركة وأمر بوقف اطلاق النار قبل ان تحضر القوات البريطانية وتشتبك معهم. وعندئذ انسحبت مدرعات حرس القوافل عن طريق القدس واعيدت فئة المشاة إلى رام الله ولكن مستعمرة النبي يعقوب تلقت درساً قاسياً وتوقفت بعد ذلك عن التعرض للعرب المارين على هذا الطريق .

وأما في جنوب القدس فكانت مستعمرة كفار عصيون وثلاثة مستعمرات صغيرة بجانبها تقع على تلال بالقرب من طريق القدس ـ الخليل من جهة الغرب. وكان بالقرب منها مطار صغير تستخدمه لنقل التعزيزات والمؤن بالإضافة الى نقلها عن طريق البر من القدس. وقد دأب سكان هذه المستعمرات على التعرض للسيارات المدنية العربية التي تمر من هذا الطريق بإطلاق النار عليها. وكانوا يوقعون بركابها اصابات كثيرة. وما لبثوا ان ارسلوا قوة من المستعمرة احتلت بناية دير الشعار التي تبعد حوالي (٣٠٠) ياردة عن الطريق من جهة الشرق. ومن هذا الدير تمكنوا من السيطرة على الطريق الرئيسية بين القدس والخليل ومنع حركة المرور عليها بنيران الاسلحة الخفيفة والرشاشات. وقد حاول المناضلون العرب احتلال هذه المستعمرات في شهر كانون الثاني عام ١٩٤٨م ولكنهم لم ينجحوا بهذا الهجوم.

ولما كانت حركة قوافلنا التي تنقل الذخائر والمعدات للجيش العربي من القاعدة البريطانية في السويس ما زالت مستمرة عبر هذا الطريق فإن بقاءها مفتوحة يعتبر في غاية الأهمية

بالنسبة لنا، لأنه بدونها سوف تتوقف هذه الامدادات الحيوية. وقد أصبح الموقف حرجا نظراً لضيق الوقت حيث كان علينا ان ننقل أكبر كمية ممكنة من هذه المواد خلال الفترة القصيرة المتبقية قبل انتهاء الانتداب البريطاني وكانت قد تشكلت قوة خاصة مؤلفة من سرية مدرعات وفئة مشاة وأربعة مدافع مورتر ٣ أنش لحراسة هذه القوافل اثناء مرورها قادمة من مصر عبر فلسطين الى شرق الأردن .

وقد كانت سرية المشاه الثانية عشر ما زالت باقية في معسكر حلحول بمنطقة الخليل حيث لم يكن قد تقرر سحبها الى شرق الأردن وقد استمر اليهود بإطلاق النار على السيارات المارة عبر الطريق من مواقعهم في دير الشعار حتى انهم تعرضوا لاحدى قوافل الجيش العربي المدرعة يوم ٦ أيار ١٩٤٨م وبنتيجة تبادل اطلاق النار قتل جنديان من جنودنا وبعض المدنيين كما وقعت إصابات عديدة بين اليهود. وفي اليوم التالي قام قائد حرس القوافل بالتعاون مع قائد السرية الثانية عشر بمهاجمة دير الشعار واحتلاله وقد تكبد اليهود الكثير من الإصابات قدرت بحوالي اربعين قتيلاً وهرب الباقون الى مستعمرات كفار عصيون .

ثم انسحبت قوة الجيش العربي بعد ان سلمت موقع دير الشعار للمناضلين العرب ولكن اليهود ما لبثوا ان هاجموا هذا الموقع من جديد أثناء الليل واحتلوه. وعاودوا اطلاق النار على السيارات المارة من هذا الطريق. وقد سبق أن حضر وفد من وجهاء الخليل برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري الى عمان قبل هذا الحادث ببضعة أيام وناشد الملك عبدالله العمل على تخليصهم من هذه المستعمرات فأوعز الملك إلى قائد الجيش بذلك، وتنفيذاً لهذه الرغبة الملكية أصدر قائد الجيش أمراً الى قائد السرية الثانية عشر بالهجوم على هذه المستعمرات بالتعاون مع قوات المناضلين من منطقة الخليل، وقد ارسلت له تعزيزات من المشاة ومدافع الهاون والذخائر اللازمة. وعند فجر اليوم التالي بدأت القوات النظامية هجومها على موقع دير الشعار فاحتلته ثم تقدمت ومعها مجموعات المناضلين نحو مستعمرات كفار عصيون وطوقتها . واستمرت المعركة بضع ساعات حيث اتضح لقائد القوة المهاجمة ان قواته غير كافية لاحتلال هذه المستعمرات التي كانت محصنة تحصيناً قوياً. فأبرق الى قيادة الجيش يشرح موقفه هذا ويطلب النجدة. فأوعزت القيادة إلى الرئيس عبدالله التل (الذي كان قد عين بهذا الوقت قائداً لقوة حماية خط المواصلات والتي تمركزت في منطقة اريحا بهدف حماية خطوط تزويدنا الخلفية بعد دخولنا الى فلسطين) بأن يرسل ما يلزم من التعزيزات لمساعدة قوة الهجوم ولتمكينها من احتلال مستعمرات كفار عصيون. فتحرك ومعه سرية مشاة

وسرية المدرعات التي كانت تعمل اصلاً مع حرس القوافل المشار اليها سابقاً، ووصل عند الفجر يوم ١٣ أيار ١٩٤٨م وتولى قيادة هذه المعركة التي استمرت طيلة ذلك اليوم والليلة التالية. وقد تكبد اليهود خسائر ضخمة تزيد عن مائتي قتيل وفي اليوم التالي الخميس ١٤ أيار ١٩٤٨م استسلمت هذه المستعمرات وتم اسر جميع المحاربين الذين كان عددهم ٣٠٠ أسير تم نقلهم جميعاً إلى معسكر أسرى الحرب الذي اقمناه في منطقة المفرق من ضمن استعداداتنا التحضيرية للمعركة القادمة

وأما المدنيين من سكان هذه المستعمرات فقد تم تسليمهم إلى مندوبي هيئة الصليب الأحمر لترحيلهم إلى المناطق اليهودية .

هذه صورة موجزة عن العمليات الحربية الهامة التي جرت في مختلف انحاء فلسطين بين القوات اليهودية وبين القوات العربية التي كان قوامها قوات جيش الانقاذ والجهاد المقدس ومختلف المجموعات الاخرى من المناضلين الفلسطينيين والمتطوعين الأردنيين والسوريين والعراقيين وغيرهم من العرب خلال هذه الفترة الواقعة بين كانون أول ١٩٤٧م وأيار ١٩٤٨م. والتي سبقت دخول الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين. ولقد كانت نتائج هذه العمليات محزنة وتبعث على الأسى، حيث خسر العرب معظم مدنهم الرئيسية وعشرات القرى التي احتلها اليهود ونزح عنها غالبية سكانها تقريباً إلى الأردن وسوريا ولبنان بشكل رئيسي .

وقد كانت عملية النزوح هذه تمثل افدح خسارة مادية ومعنويه وانسانية للفلسطينيين وقضيتهم. وهي بحد ذاتها تعتبر ضربة قاسية للموقف الدفاعي الفلسطيني قبيل اشتراك الجيوش العربية في الحرب. لأن اليهود استطاعوا ان يستولوا على معظم المدن الرئيسية والقرى العربية ومعها احتلوا المواقع الاستراتيجية المهمة وطرق المواصلات الرئيسية في طول البلاد وعرضها سلفاً وبسهولة ويسر وقبل ان يشتبكوا مع الجيوش العربية النظامية بمعارك مهمة .

وقد كانت هذه أكبر ميزة عسكرية حصل عليها اليهود بسهولة قبل المعركة الرئيسية. هذا بالإضافة الى المآسي الهائلة والضحايا الضخمة بالارواح والمشاق الحياتية التي تعرض لها الفلسطينيون النازحون وما سببه نزوحهم هذا من مشاكل وصعوبات اقتصادية واجتماعيه وامنية في البلاد التي نزحوا اليها، ناهيك عن الخسارة الجوهرية التي سيتعرض لها ابناؤهم وأجيالهم القادمة من ضياع وتشرد ومستقبل مظلم مجهول في المخيمات التي حكم عليهم العيش فيها . والأهم من هذا كله تلك الصفة التي التصقت بهم على مدى الأجيال

القادمة وهي (لاجىء فلسطيني) غير ثابت الهوية خارج وطنه بعد أن كان مواطناً مستقراً في وطنه ويعـتـز بكونه فلسطيني عـربي من حيفا أو يافا أو عكا. وهذا هو لب المأساة ومحور القـضية والأخطر من كل ذلك ان الفلسطينيين خسروا مدنهم وقراهم وبالتالي خسروا وطنهم. وتلك لعمري افدح خسارة يتعرض لها أي شعب على وجه المعمورة .

الفصل الثاني
الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م

مرحلة الاستعداد :

لكي أوضح حقيقة موقفنا والصعوبات التي كانت تواجهنا خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٤٨م لابد من ان نستذكر أولاً أننا كنا نعيش مرحلة ترقب وانتظار لأن الدول العربية لم تكن قد قررت بعد أن تشترك في الحرب بجيوشها النظامية. وما كان يرافق هذا الموقف الغامض من تأثير على اوضاعنا النفسية ومعنويات جنودنا حيث كنا جميعاً نتحرق شوقاً لمساندة اخواننا الفلسطينيين ومشاركتهم في نضالهم ضد اليهود الذين بدأوا بزحفهم الشامل لاجتياح معظم المناطق العربية وقد أخذت تصلنا اخبار حوادث النسف والتدمير ومهاجمة القرى العربية واحتلالها. بالإضافة إلى المعلومات التي كنا نتلقاها بالتقارير الكثيرة التي كانت تصلنا عن طريق وحدات الجيش العربي التي ما زالت متواجدة في فلسطين. من واقع مشاهداتها واشتراكها الفعلي في بعض العمليات في عدة مناسبات، كما بدأت موجات اللاجئين من سكان المدن والقرى التي احتلها اليهود تصل الى مختلف مناطق الأردن ويروون قصص البطش والرعب التي لا تكاد تصدق .

كان كل هذا يحدث أمام أعيننا ونحن منشغلون بالتدريب والمناورات والاستعداد لهذه الحرب التي لا نعرف متى سنشارك فيها لأن الدول العربية لم تقرر بعد هذه المسألة رسمياً.

أما بالنسبة للمملكة الأردنية فقد كان جلالة الملك عبدالله عاقداً العزم على الاشتراك بالحرب ولكنه لا يستطيع الانفراد بالقرار بمعزل عن الدول العربية من جهة ولأنه كان مرتبطاً مع الحكومة البريطانية بمعاهدة من جهة ثانية لاسيما وأن هذه الدولة ما زالت مسؤولة عن الانتداب في فلسطين وترفض اشتراك قوات الجيش العربي بالقتال الدائر هناك قبل انتهاء مدة الانتداب وخروج قواتها نهائياً من فلسطين. وبنفس الوقت فإن قائد الجيش العربي وجميع قادة وحداته كانوا ضباط انجليز. بالإضافة الى أن هذا الجيش كان يعتمد اعتماداً كاملاً بميزانيته المالية واسلحته وذخائره على الحكومة البريطانية. فلو أرسل الملك عبدالله جيشه للإشتراك بالقتال اثناء حكم الانتداب فسوف لا تكتفي بريطانيا بقطع المعونة المالية ووقف تزويد الجيش العربي بالسلاح وسحب ضباطها منه فقط. بل سيتصدى

الجيش البريطاني لمنع دخولنا إلى فلسطين بالقوة .

ولهذا فإنها طلبت من الحكومة الأردنية ان تسحب جميع قواتها المتواجده في فلسطين لكي تبقى خارجها حتى تنتهي مدة الانتداب. وهنا يحق لنا ان نتساءل لماذا سمحت الحكومة البريطانية بدخول جيش الانقاذ بقيادة فوزي القاوقجي قبل انتهاء مدة الانتداب. ويمكن آن يكون الجواب انها اعتبرت انه ما دامت هذه القوات عبارة عن مجموعة متطوعين من مختلف البلدان العربية فهي بالتالي قوات غير رسمية ولا تتبع لأي حكومة معينة ولذلك فهي لا تختلف عن بقية المناضلين الآخرين الموجودين في فلسطين. كما أنها من الناحية العسكرية لا تشكل خطراً يهدد المناطق اليهودية لأنها لا تكاد تكفي للدفاع عن بعض المناطق العربية بشكل مؤقت. فهي بهذه الحالة لا تشكل تحد لسلطات الانتداب البريطاني من الناحية الرسمية لاسيما وانها اصبحت في المراحل الأخيرة من عملية انسحابها من فلسطين . كما أن قوات جيش الانقاذ لا تستطيع تدمير القوات اليهودية أو حتى إيذاءها، وهذا ما يهم بريطانيا. ولذلك فلا بأس من أن تسمح لهذه القوات الصغيرة ان تسهم قليلاً في الدفاع عن المناطق العربية في فلسطين، لاسيما وان القوات اليهودية أقوى من جميع القوات الفلسطينية وقوات جيش الانقاذ بكثير .

وخلال فترة الانتظار هذه اخذ التذمر يدب في صفوف وحدات الجيش العربي واخذ الجنود يتساءلون لماذا إذن نتدرب على أساليب القتال إذا كنا سوف لا نقاتل ضد اعدائنا واعداء امتنا في فلسطين. وقد نتج عن هذا التذمر أن هرب عدد لا يستهان به من الجنود وضباط الصف والتحقوا مع فصائل المناضلين في فلسطين. ولكن بعد ان تقرر رسمياً اشتراك الجيش العربي في القتال ودخلنا فلسطين عاد معظمهم إلى وحداتهم وقاتلوا في صفوفها .

وبهذه الاثناء بدأت أعداد كبيرة من المتطوعين من سكان الأردن من مختلف المناطق تذهب للجهاد في فلسطين على شكل مجموعات وافراد. وكان معظمهم يتلقون الاسلحة والذخائر من الجيش العربي. كما استقال عدد من الضباط والتحقوا مع المناضلين بموافقة قيادة الجيش بالإضافة الى عدد من ضباط الصف الذين ارسلتهم القيادة للإشتراك مع المناضلين في الدفاع عن المدن الرئيسية حيث ارسلت مجموعة منهم إلى حيفا ومجموعات اخرى الى يافا . وبتوجيه من الملك عبدالله عملت قيادة الجيش ابتداءً من مطلع شهر كانون الثاني عام ١٩٤٨م على تشكيل وتسليح سريتين من المتطوعين الأردنيين بهذه الفترة التي لا يستطيع

فـيها الجيش الاشـتراك في الحرب وتم تسليم قيادتهما الى ضباط كانوا متقاعدين أو أستقالوا من الخدمة لهذه الغاية .

أولاً : سرية قـوامـها ٢٠٠ مـتطوع سلمت قـيـادتها الى الرئيس ساري محمود الفنيش وقد التحقت هذه السرية مع فوج اليرموك الثانى من جيش الانقاذ واشـتركت في عملياته في شمال فلسطين .

ثانيـاً : سرية قوامها ١٥٠ مـتطوع سلمت قـيـادتها الى الملازم بركات الطراد الخريشة. وقد التـحـقت مع فـوج اليرمـوك الثـالث من جيش الانقاذ وتمركزت في جبل الزيتون ثم اشـتركت فيما بعد في القتال بمدينة القدس .

كما تم بنفس الوقت ارســال مجمـوعـتين من ضباط الصف بقيادة الملازم راضي العبدالله الخـصـاونة الى مـدينة يافـا لتـدريب وتنظيم المناضلين فيها وقاتلوا معهم في الدفاع عن يافا حتى النهاية كما سبق الشرح .

وبنهاية شـهر آذار عام ١٩٤٨م كنا قد انتهينا من جميع ترتيبات إعادة التنظيم وأصبحت تشكيـلات الفـرقة قائمة وتنفذ برامج التدريب المكثفة على مستوى الوحدات والكتائب. وبقي عـلينا ان ننفـذ مناورة كبرى تشـمل جميع تشكيـلات الفـرقـة لكي نتأكـد من قـدرات هذه التـشكيلات ومدى فعاليتها مـجتمعة. وفحص قدرة قيادة الفرقة على السيطرة على تشكيلاتها في معركة حقيقية .

وفي مطلع شـهر نيسـان عام ١٩٤٨م طلب مني قـائد الفرقة اللواء (نورمان لاش) أن أقوم بجـولة اسـتطلاعـيـة في المنطقـتين الوسطى والجنوبيـة من فلسطين لكي أطلع عن كثب على مـواقع التـجـمعات الرئيسية للمناضلين في المناطق التي يسيطرون عليها لمعرفة كيفية ومدى التـعـاون مع هذه القـوات في حال اشتراكنا في حرب فلسطين. كما طلب ان ازور بعض المدن واجـتـمع مع رؤوسـاء البلديات فـيها لدراسة استعداداتها الدفاعية ولتكوين فكرة عامة عن معنويات السكان عموماً .

بدأت جـولتي هذه بتاريخ ٥ نيسـان عام ١٩٤٨م. حـيث ذهبت إلى غـزة وزرت معسكر السرية الســادســة التي كـانت تعسكر هناك قبل ان تنسحب إلى شرق الأردن. ثم اصطحبت مـعي قـائدها وذهبت لزيارة رئيس البلدية السـيد رشدي الشوا الذي رحب بنا كثيراً وجمع عـدداً من وجـهـاء المدينة للإجتماع معي حيث شرحوا لي وضعية المناضلين في المدينة والقرى المحـيطة بها وكـان مطلبـهم الرئيسي ان يحصلوا على الأسلحـة والذخائر. لأن معظم الرجال

القـادرين على القـتـال والذين يمكن أن يعززوا المواقع الدفاعية لا تتوفر لديهم الأسلحة. وقد لاحظت أن الموقف العـام بهذه المنطقـة ليس مـريحاً لأن مناطق النقب مليئة بالمسـتـعـمرات اليـهـودية المسلحـة تسليـحاً قوياً. وهذا بالإضافة الى قرب منطقة غزة من تل أبيب والقواعد العـسكرية اليـهودية كما أن الأسلحة بيد السكان العرب قليلة جداً. والتحصينات الدفاعية في القرى العربية معدومة تقريباً .

ثم ذهبت بعـد ذلك إلى الخليل فـوجدت نفس الشكوى من نقص الأسلحة والذخائر . كما ذهبت إلى القـدس وزرت مـعسكر العلمين حيث كانت ترابط فيه السرية التاسعة. وبعد زيارة سريعـة لمواقـعـهـا الدفاعية تحركت عبر حي الشيخ جراح إلى رام الله ومنها إلى مدينة الرملة حـيث اجتمعت مع رئيس بلديتها السيد محمود علاء الدين الذي اطلعني على المواقع الدفاعية فـيـهـا وشرح لي مـوجـزاً عن وضـعية المناضلين. وبعد جولة سريعة لاحظت أن المدينة تعج بالمسلحين بإعداد كبيرة ولكنه يغلب عليها طابع الفوضى. ثم عدت بعد ذلك إلى مدينة رام الله يوم ٨ نيسان وزرت مقر اللجنة القومية وشاهدت في ساحة المبنى عدداً من المسلحين وفهمت منهم انهم يسـتـعـدون للذهاب الى قـرية القـسطل حيث كانت تدور فيها معركة حامية بين اليـهـود والمناضلين من الجهاد المقدس، وقد كان حماس هؤلاء المناضلين منقطع النظير ولكن الكثيرين منهم لم تكن لديهم أسلحـة وكـانوا يطالبـون اعضاء اللجنة القومية بأن يسلحوهم ليـتـمكنوا من الذهاب للمـعركة. ولكن اللجنة القومية مع الأسف لم يكن لديها اسلحة كافية لتـوزعـهـا عليـهم. وقد آلمني بشكل خاص منظر رجل كهل حضر من قريته وقال انها قرية (سنجل) التي تقع بين رام الله ونابلس، وكـان هذا الرجل يحمل سـيـفـاً وقد جاء الى اللجنة القـومية لكي تعطيه بندقية ليذهب بها الى المعركة في القسطل وبعكس ذلك فإنه سوف يذهب ليـقـاتل بهذا السيف ويستشهد هناك لأن هذا هو مطلبه على أي حال. وعندما اخبروه أنه لا توجـد لديهم بندقـيـة ليـعطوها له، حـصلت مشادة بينه وبين اعضاء اللجنة القومية لأنهم أرادوا ان يقنعـوه بعدم الذهاب إلى المعركة بالسيف لأنه سوف يقتل بدون ان يستطيع تقديم المسـاعـدة في القـتـال الدائر هناك. ولكنه خـرج غـاضباً ولا أدري أين ذهب واغلب ظني أنه اسـتـشـهد مع سيفه في ضواحي القسطل، ولكن هل يمكن أن نرى لدى أي شعب من شعوب العالم أخلص من هذه التضحية واسمى من هذا الفداء.

وبنتـيـجـة هذه المعـركة الاخيرة تمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال القسطل والاحتفاظ بها نهائيـاً. كما كانت العصابات الصهيونية قد نفذت اثناءها مذبحة دير ياسين كما اسلفت وسرعـان مـا انتشرت انبـاء هذه المذبحـة البشعة في جميع المدن والقرى العربية وأخذ جميع

السكان يرددون وصف الفظائع التي ارتكبت فيها ويضخمون هذا الوصف ويهولون بشاعة تلك الجرائم وهذا هو بالضبط ما كان يرمي اليه اليهود من وراء ارتكاب تلك الجريمة النكراء حيث كانوا يريدون ان يوصلوا تلك الرسالة الى جميع السكان العرب ويفهموهم ان هذا هو ما يمكن ان يتوقعوه من القوات اليهودية عندما تدخل قراهم. وقد كنت في مدينة رام الله صباح ذلك اليوم المشؤوم عندما بدأت تصلها الاعداد القليلة المتبقية من سكان قرية دير ياسين وهم الذين ساعدهم القدر أن يفلتوا من الطوق ويهربوا من المجزرة. وسمعت بعض رواياتهم عن هول ما جرى في تلك القرية المنكوبة في الليلة الماضية. وقد فعلت هذه الانباء ما يشبه المعجزة حيث أخذ السكان بعدها يتسارعون للنزوح عن قراهم عند سماعهم عن اقتراب القوات اليهودية دون قتال أو مقاومة تذكر. وأخذت الوف اللاجئين تتدفق من جميع انحاء فلسطين الى الاردن ولبنان وسوريا بأية وسيلة نقل يجدونها وبأسرع وقت. وبهذه الطريقة تمكن اليهود من الاستيلاء على عشرات القرى العربية بدون قتال.

وعلى الرغم من بشاعة الجريمة التي ارتكبها اليهود في دير ياسين فإن التهويل بنقل اخبارها بالاساليب الساذجة دون تقدير لعواقبها كان له اكبر الاثر في تحطيم معنويات السكان في جميع انحاء فلسطين، بحيث تحقق لليهود، ما كانوا يهدفون لتحقيقه من هذه الحرب النفسية في تلك الفترة الحرجة من الصراع. في حين انه بدلاً من تهويل هذه المأساة وترويجها كان يجب ان يكون رد الفعل لدى الاوساط العربية القيام بحملة من الدعاية المدروسة والدعوة للانتقام من هؤلاء الذين نفذوا تلك الجريمة اينما كانوا وبنفس الوقت القيام بتنفيذ عملية ضد اليهود تعطيهم درساً قاسياً يفهمهم بأن العرب ايضاً لهم يد طائلة تستطيع ان تصلهم في عقر دارهم وان بإمكان العرب ان يفعلوا بالسكان اليهود مثل هذا واكثر حتى ولو كانوا في منتصف تل ابيب. كما كان يجب ان تزيدهم جريمة دير ياسين صلابة واصراراً على الانتقام بدل الخوف من ما يمكن ان يفعله اليهود بهم مستقبلاً وان يخططوا لما يمكن ان يفعلوه هم باليهود وينفذوه فعلاً، ولكن العرب في تلك الايام لم يكونوا واعين لمعنى الحرب النفسية ليتمكنوا من ابتداع الاساليب اللازمة لمقاومتها وابطال مفعولها. وبعد مذبحة دير ياسين انتشر اليأس وانهارت المعنويات بين السكان العرب في مختلف انحاء فلسطين. وتحول اليهود من الدفاع الى الهجوم محاولين استغلال هذا الوضع الذي نشأ عنها لكي يحتلوا اكبر مساحة ممكنة من البلاد بصرف النظر عن حدود التقسيم. حيث اتضح لهم انهم اصبحوا اقوى بكثير من قوات المناضلين الفلسطينيين ومعهم جيش الانقاذ ولكي يعلنوا قيام دولتهم في جميع المناطق التي يكونوا قد احتلوها عند انتهاء الانتداب البريطاني.

ولم يكن العرب قد اتخذوا قراراً بارسال الجيوش العربية النظامية للاشتراك بالحرب. ولكن بعد معركة القسطل ومذبحة دير ياسين ادركت الدول العربية ان قوات جيش الانقاذ والجهاد المقدس لا يمكنها حماية المناطق العربية في فلسطين. وعلى هذا الاساس عقد الرؤساء العرب ابتداء من تاريخ ١٠ نيسان ١٩٤٨م عدة اجتماعات في القاهرة لدراسة الموقف في فلسطين من جميع جوانبه واتخاذ القرارات المناسبة.

وقد تم ابلاغنا رسمياً من قبل قيادة الجيش في أواخر شهر نيسان أنه تقرر دخول الجيوش العربية الى فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطاني بتاريخ ١٥ أيار ١٩٤٨م. وان قوات الجيش العربي ستتخذ مواقعاً دفاعية في المنطقة الوسطى من فلسطين والواقعة في تلال القدس الغربية المشرفة على الطريق الرئيسية المؤدية من تل أبيب الى القدس. ومنها على امتداد تلك التلال غرباً الى اللطرون، ثم شمالاً الى قرية بيت سيرا وشرقاً الى منطقة رام الله على ان لا نتجاوز حدود التقسيم الوارد في قرار هيئة الامم رقم ١٨١ الصادر بتاريخ ٢٩ تشرين ثاني عام ١٩٤٧م (انظر الخارطة رقم ١) وانه علينا المباشرة فوراً بوضع الخطط والاوامر الحربية اللازمة ضمن هذا الاطار وبموجب هذا التوجيه الاولي الذي تلقيناه في قيادة الفرقة لم تكن مدينة القدس أو منطقة نابلس داخلة ضمن مسئولياتنا. ولكن المذهل حقاً اننا لم نبلغ بتفصيلات الخطة العامة للجيوش العربية كما تقتضي الاصول العسكرية الصحيحة. كما لم نطلع على اية معلومات عن حجم الجيوش العربية الاخرى أو مناطق حشدها واهدافها ومناطقها المخصصة لها ولم تشمل منطقة عملياتنا بحسب توجيه قائد الجيش لنا مدينة القدس لانها كانت منطقة دولية بموجب قرار هيئة الامم المتحدة. وان المساعي ما زالت تبذل من قبل المندوب السامي البريطاني واللجنة القنصلية التي شكلت من قبل الجمعية العامة للامم المتحدة للاتفاق على عقد هدنة بين الطرفين المتحاربين فيها. هذا بالاضافة الى ان حجم قواتنا المؤلفة من لوائين قوامهما اربعة كتائب لن تكون كافية اصلا لحماية المنطقة الواسعة التي خصصت لنا، لا سيما وان الحرب بداخل المدينة سوف تبتلع معظم هذه القوات. الامر الذي سوف يحتم علينا ترك معظم المناطق الاخرى خالية من القوات.

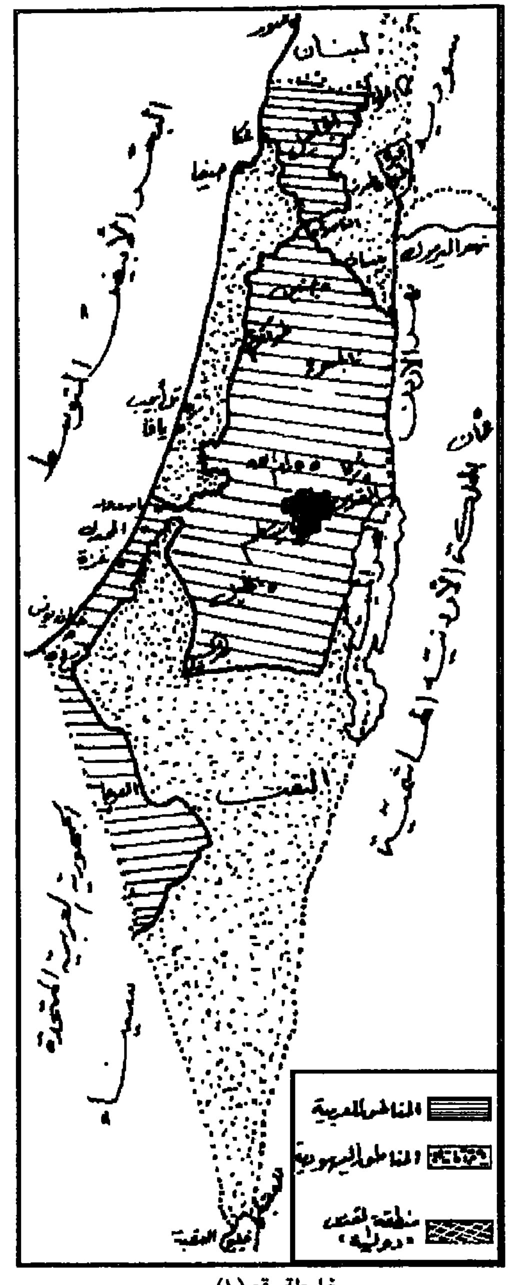
ومن الناحية العسكرية فإن واجبنا الأساسي هو اغلاق الطرق والمعابر المؤدية من الغرب الى الشرق لمنع القوات اليهودية من الاختراق عبر مشارف القدس الى رام الله ثم الى نهر الاردن. الامر الذي سيؤدي الى تطويق قواتنا واحتلال كامل المنطقة الوسطى المتبقية لدى العرب من فلسطين ولكن القوة التي سوف تخصص للدفاع عن منطقة باب الواد واللطرون

ستتمكن من اغلاق طريق القدس ومنع وصول أي نوع من الامدادات لها فتصبح المدينة محاصرة تماماً. وبعد ذلك يمكن التصرف بها على ضوء تطور المعركة. كذلك ابلغنا قائد الجيش ان مدينتي اللد والرملة غير مشمولتين ضمن نطاق دفاعاتنا نظراً لانهما تقعان في منطقة منخفضة وبعيدة عن المرتفعات الرئيسية التي سوف ترتكز عليها دفاعاتنا. ولان الدفاع عن هاتين المدينتين سوف يحتاج الى كتيبتين على الاقل وهذا يعادل نصف قواتنا ولا يمكن توفيرهما من امكانياتنا المتاحة. ولذلك فقد تقرر ترك امر الدفاع عنهما الى قوات المناضلين المتواجدة فيهما.

واثناء انشغالنا بوضع الخطة الدفاعية العامة عن المنطقة الوسطى من فلسطين وبينما كان قادة الوحدات قد بدأوا باستعداداتهم النهائية قبيل حركتنا الى فلسطين ببضعة ايام وصلتنا التعليمات من قيادة الجيش بضم منطقة نابلس الى جبهتنا بحسب خطة الجامعة العربية لأن الجيش العراقي سوف يتقدم من منطقة جسر المجامع الى العفولة. وبحسب هذه التعليمات اصبح واجب قيادة الفرقة يقضي باتخاذ مواقع دفاعية ضمن حدود التقسيم وعلى جبهة تمتد من نابلس حتى مرتفعات القدس الغربية فتغطي خطاً دفاعياً طوله حوالي (١٦٠) مائة وستون كيلومتراً. وبنفس الوقت يقضي بعدم الاشتباك في قتال بداخل مدينة القدس نفسها مع الأخذ بعين الاعتبار محاولة تأمين نوع من الحماية الى منطقة الخليل التي لم تخصص لها أية قوات للدفاع عنها في البداية سوى سرية المشاة الثانية عشرة التي بقيت فيها من اصل سرايا الحامية السابقة.

وبحسب كل المعايير العسكرية ومع الأخذ بعين الاعتبار حجم قوة الجيش العربي المتوفرة لهذه المعركة مقارنة باتساع المنطقة التي ستكون مسئولة عنها فانه لا يمكن اعتبار هذه الخطة عملية سليمة ومعقولة. ولكنها كانت عبارة عن نوع من التواجد العسكري ضمن منطقة مخصصة للعرب بموجب قرار التقسيم.

واذن فإن هذه الحرب ليست حرباً فعلية بالمعنى الصحيح بل هي حرب سياسية جاءت لتثبيت الامر الواقع على امل تحقيق تنفيذ قرار التقسيم ومنع اليهود من تجاوز حدوده ولكن باسلوب عسكري فريد يعتمد على الدفاع الثابت الدائم في هذه المناطق التي سوف نحتلها. ولا يمكن ان تنطبق عليه مباديء الحرب وقواعدها واسسها المتعارف عليها. حيث لا يمكن لأي مفكر عسكري ان يقتنع ان باستطاعة اربعة كتائب مشاة ان تقوم بالدفاع الفعال عن منطقة بهذا الاتساع أمام هجوم حقيقي تشنه قوة متوازنة مصممة على اختراقها. لا سيما وان الجيش العربي سيخوض هذه المعركة الدفاعية منفصلاً عن الجيوش العربية



خارطة رقم (١)

تقسيم فلسطين بموجب قرار هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م.

الاخـرى التي كـانت هي بدورها ستخوض معاركها بشكل منفصل كل واحد منها في المنطقة المخـصصة له. ولا تربط أي منها مع الآخرين خطة عامة مشتركة ولا حتى تنسيق فعال بين قـيـاداتها. ولا يمكن تصـور ان هذا النوع المفكك من الحرب سيكتب له النجاح. ولكني بهذه المرحلة سـاترك مناقـشـة هذا الجـانب من الحـرب الى فـصل لاحق اشرح فيه اسباب فشل الجـيـوش العربية في هذه الحرب التي اعتبر انها كانت اخطر منعطف تحول في مسيرة تاريخ الامـة العربية لانها اسفرت عن ارسـاء قواعد دولة اسرائيل في قلب الوطن العربي وعلى ارض العـرب بسـبب التـفـرق والتمزق العربي وليس بقوة اسرائيل الخارقة. ولقد دأب العرب على تسـمـيـتها نكبة فلسطين ولكن رغم انى اعتبرها اسوأ نكبة حلت بنا فانى افضل ان اسميها (حرب الضياع العربي).

والآن لنعـد قليـلاً الى عمليات اعادة التنظيم وتشكيل قيادة الفرقة ووحداتها المختلفة التي كنا منهـمكين بتنفيذها. ولقد كانت مهمتنا في غاية الصعوبة. حيث كان يترتب علينا أن ننهي عـمليـة اعادة التنظيم واتمام التجهيز والتدريب لكافة الوحدات قبل تاريخ ١٥ أيار ١٩٤٨م وهو الموعـد الذي تقـرر لدخـول الجيوش العربية الى فلسطين. فقد كان الوقت ضيقاً للغاية وخـصـوصـاً بالنسـبـة لانجـاز تدريب الكتـيبة الرابعة التي شكلناها حديثاً. وكذلك لتنظيم قـيـادات الالوية المسـتـحـدثة وملحـقاتها من الوحدات الادارية والاسناد والتزويد وخلافها. واجـراء المناورات المشتركـة لهذه القطعـات على مـسـتوى التشكيلات اولاً ثم على مستوى الفـرقة بكاملها قبل سوقها للمعركة. وكل هذا يجب تنفيذه على الرغم من ضآلة الموارد المالية والفنيـة التي وضـعت بتصرفنا وانعـدام الاسلحـة الاسنادية الثـقـيلة مـثل مـدفعية الميدان والدروع والآليـات والنقليـات الادارية اللازمـة لمثل هذا التـشكيل الضـخم. ولكننا بالعـمل المتواصل ليلاً ونهاراً استطعنا أن ننجز الكثير من هذه المتطلبات التنظيمية والتدريبية.

فـقـد أنجـزنا القسـم الاكبر من برامج التدريب الإجمالي للكتائب ومن ثم انتقلنا الى اجراء بعض المناورات لهذه الكتـائب مع قـيـادات الويتـهـا الجـديدة. وبعد ذلك كان علينا ان نقوم بتنفـيـذ مناورة واحـدة على الاقل تشـمل قـيـادة الفـرقة وجميع الويتها واسلحتها الاخرى مجتـمـعـة قبل ان نزجها في المعركة الحقيقة كتشكيل متكامل. وبهذه الاثناء وفي شهر شباط عام ١٩٤٨م، وصلتنا شـحنة من الاسلحـة كان من ضمنها ستة عشر مدفع ميدان عيار ٢٥ رطـل وهي الاسناد الرئيسي الوحـيـد الذي توفـر لدينا بهذه الحـرب وقـد قـمنا بتـشكيل بطاريتين منهـا. وكـان علينا ان نكمل ملاكها من الضباط والافراد على وجه السرعة وان يتم تدريبـهم ويقـومـوا باجراء بعض الرمايات الضرورية عليها بسرعة ثم تلحق باسناد اللوائين

الذين تم تشكيلهما قبل موعد الحركة الى فلسطين. كما وصلنا بنفس الوقت مع هذه الشحنة ستة عشر مدفعاً مضاداً للدبابات من عيار ٦ رطل. وقد تم تدريب اعدادها بسرعة والحقت بكتائب المشاة بمعدل اربعة مدافع لكل كتيبة. وهذا يعتبر اسناداً هزيلاً بكل المعايير المعروفة ولكن هذا هو كل ما تمكنا من الحصول عليه في تلك الظروف وكذلك تم خلال هذه الفترة سحب ثلاثة سرايا مشاة اخرى من فلسطين وعسكرت مبدئياً في غور الاردن لكي نشكل منها كتيبة اخرى في المستقبل وبقيت مرتبطة مع قيادة الفرقة مباشرة حيث كانت سوف تخصص لحماية خطوط المواصلات الخلفية للفرقة بحسب الخطة التي كنا في صدد وضعها لعملياتنا في حرب فلسطين الوشيكة. وقد تم تشكيل هذه الكتيبة مبدئياً بتاريخ (١) أيار عام ١٩٤٨م بعد أن انتهت واجبات قوة حرس القوافل وضمت هذه اليها واسميناها الكتيبة السادسة. ولكن اتمام ملاكها من الاسلحة المساندة المختلفة وباقي المستلزمات الادارية والتنظيمية واعتمادها رسمياً فلم يتم الا اثناء الهدنة الاولى.

ولقد كانت تواجهنا مشاكل ضخمة في عملية اعادة التنظيم ومن اهمها ما يلي:

١ ـ لم يكن لدينا عدد كاف من الضباط العرب المدربين والمؤهلين لملء الكثير من المراكز الهامة في قيادات الالوية والكتائب وخصوصاً ضباط الركن حيث لم يكن لدينا في ذلك الحين أي ضابط عربي خريج كلية الاركان رغم ان ثلاثة ضباط هم يعقوب السلطي وعلي الحياري وصادق الشرع حضروا دورة الاركان في حيفا مع الجيش البريطاني ولكنها ليست بديلاً عن كلية الاركان.

وأما الضباط الذين كانوا يحملون رتباً اعلى من رتبة وكيل قائد (رئيس اول) فكانوا اصلاً من ضباط الشرطة والدرك. وأما الضباط الذين يمكن ان يكونوا مؤهلين لقيادة الكتائب فقد كان عددهم محدوداً جداً

٢ ـ كان الجيش العربي يعتمد في التزويد والامداد على الجيش البريطاني وعندما اعلنت بريطانيا انها ستنسحب من فلسطين بتاريخ ١٤ أيار ١٩٤٨م كان على الجيش العربي أن يعتمد على مصادره الذاتية ومن أهمها احداث مشاغل لتصليح الآليات وتشكيل سرايا النقل العسكرية لنقل التزويد والذخيرة والمؤن للقوات المقاتلة وتنظيم مصادر التموين لهذه القوات خلال فترة قصيرة جداً ولقد كانت هذه بحد ذاتها عملية جبارة بل تكاد تكون شبه مستحيلة خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار ضآلة مواردنا المالية والمادية والفنية.

٣ - لم يكن لدينا احتياطي كاف من الذخائر بمختلف اشكالها وقد اصبحنا بهذه الفترة نعرف اننا مقبلون على الاشتراك في حرب وشيكة الوقوع في فلسطين. وعلى الرغم من ان قيادة الجيش العربي استطاعت بترتيبات معينة مع القيادة البريطانية في فلسطين نقل كميات كبيرة من ذخائر الاسلحة الخفيفة من مستودعات الجيش البريطاني في وادي الصرار الى مستودعاتنا الرئيسية في منطقة الزرقاء الا ان النقص بذخائر المدفعية كان خطيراً حيث لم نستلم مع هذه المدافع سوى ذخيرة الخط الاول* وهذه الكمية لا تكاد تكفي لاستهلاك قتال اسبوعين او ثلاثة. وكذلك الامر بالنسبة لذخيرة مدافع الهاون ومدافع ضد الدروع واما الالغام بمختلف اشكالها فكانت معدومة. وقد أخبرتنا قيادة الجيش اثناء فترة القتال الاولى بانها رتبت مع القيادة البريطانية في قاعدة السويس لتزويدنا بكمية من هذه الذخائر وانها حملت باخرة منها لشحنها الى العقبة. ولكنهم عادوا واخبرونا ان السلطات المصرية صادرتها قبيل ابحارها من ميناء السويس بأمر من الملك فاروق. وبقينا نحن نعاني من نقص الذخائر طيلة مدة الحرب.

٤ - لم تكن مدفعية الميدان التي قوامها ستة عشر مدفعاً كافية لاسناد الوية الفرقة في المعركة تحت أي معيار عسكري. ومع ذلك كان علينا ان نقبل المجازفة ونتدبر امر حاجات الكتائب القتالية بهذه المدافع المتوفرة لأنه ليس لدينا خيار آخر. ومما زاد في حراجة موقفنا انه لم يكن لدى الجيش العربي سلاح جو وبالتالي كان علينا ان نخوض معاركنا المنتظرة بدون غطاء جوي مهما كان زهيداً وباسناد مدفعي لا يكاد يذكر.

٥ - لم يكن لدينا سلاح هندسة ميدان لبناء الاعمال الدفاعية المهمة على الاقل مثل بث الالغام واعمال التحصينات وما اليها. كما لم يكن لدينا معدات هندسية وآليات لفتح الطرق الضرورية وبناء الجسور ولم تكن لدينا الكميات الكافية من الاسلاك الشائكة، وحتى اكياس الرمل لبناء الاستحكامات الميدانية البسيطة لجميع المواقع. اما الالغام بمختلف انواعها واحجامها فلم يكن لدينا منها شيء يذكر.

٦ - كانت مشكلة تأمين الكميات اللازمة من وقود السيارات في غاية الصعوبة حيث كنا في السابق نستورد هذه المواد من الجيش البريطاني وفجأة اصبح علينا الآن ان نعتمد على المصادر المحلية التي لم تكن مهيأة اصلاً لتزويدنا بهذه الكميات الضخمة التي نحتاجها لاستهلاك الجيش. وبنفس الوقت كان علينا ان نحاول بناء الاحتياطي الكافي منها خلال تلك الفترة الوجيزة المتبقية قبل اندلاع القتال.

ولكن رغم هذه الصعوبات التي كانت تبدو شبه مستحيلة استطعنا تدبير الامور بشكل

مـرضي نوعـاً ما ولو أنها لم تكن تكفي لحرب طويلة. وعلى اي حال هذا هو كل ما كان ممكناً ضمن الظروف والمعطيات المتوفرة.

إلا أن مـشكلة نقص الذخائر بقيت مستعصية على الحل واستمرت تقض مضاجعنا طيلة مدة الحرب. وكان لها تأثيرات سلبية خطيرة على سير المعارك والنتائج العامة للحرب.

وعندمـا اكـملنا تشكيل قـيـادة الفـرقة والويتها وباقي قطعاتها اكتسبت الصفة الرسمية بتاريخ ١ نيسان عام ١٩٤٨م. وقـد كـانت خطة التنظيم مـبنية على أساس ان يكون ملاك الفـرقـة مكون من لوائي مـشـاة وكل لواء يشـمل كـتيبتين فقط وكان مجموع قواتنا بحدود (٤٥٠٠) اربعـة الاف وخمسمائة فـرد من جميع الرتب. امـا القيادات الرئيسية لهذه القوات فكانت على النحو التالي:

١ ـ قيادة الفرقة الاولى :

قائد الفرقة	اللواء نورمان لاش
الركن العسكري الاول	وكيل القائد جون داونز
الركن العسكري الثانى	الرئيس صادق الشرع
ركـن الادارة واللوازم	الرئيس بيل دين
ضـابط اللاسلكي	الرئيس بيرس هاوس

٢ ـ اللواء الاول :

قائد اللواء	الزعيم دزموند جولدي
ضـابط ركن	الملازم الاول صـالح الشرع

الكتيبة الاولى:

قائد الكتيبة	القائد بلاكدن
اركان حرب الكتيبة	الرئيس خالد الصحن

الكتيبة الثالثة:

قائد الكتيبة	وكيل القائد نيومان
اركان حرب الكتيبة	الرئيس خالد مجلي الخريشة

٣ ـ **اللواء الثالث :**

قائد اللواء	الزعيم تيل اشتون
ضابط ركن	الملازم الاول علي ابو نوار

الكتيبة الثانية:

قائد الكتيبة	وكيل القائد سليد
اركان حرب الكتيبة	الملازم الاول عكاش الزبن

الكتيبة الرابعة:

قائد الكتيبة	القائد حابس المجالي
اركان حرب الكتيبة	الملازم الاول محمود الروسان

وقد كانت كل كتيبة من كتائب هذين اللوائين تتألف من سرية مساندة وثلاثة سرايا مشاة وسرية قيادة.

وأما الكتائب الثلاثة الاولى والثانية والثالثة فقد كان لدى كل واحدة منها سرية مدرعات بالاضافة الى مرتبها.

٤ ـ **اللواء الرابع:**

لقد وضعنا تشكيل هذا اللواء بصورة رمزية للتمويه فقط حيث لم يكن لدينا كتائب اضافية لإتمام مرتبه كباقي الالوية. ومع ذلك فقد كان بامرته السرايا الآتية التي شكلت منها الكتيبتين الخامسة والسادسة في وقت لاحق.

وقد اسندت قيادة هذا اللواء الى القائمقام (العقيد) احمد صدقي الجندي الذي كان قائداً للحاميتين سابقاً وبقي مركز قيادته في مدينة رام الله.

أما سرايا هذا اللواء فكانت موزعة على النحو الآتي:

أ ـ السرايا التي شكلت منها الكتيبة الخامسة فيما بعد

سرية الامن الثانية ـ رام الله

سرية المشاة الخامسة ـ نابلس

سرية المشاة التاسعة ـ قرية الطيبة شرق رام الله

ب ـ السرايا التي شكلت منها الكتيبة السادسة فيما بعد

سرية الامن الاولى ـ جسر اللنبي

سرية المشاة السادسة ـ منطقة غزة

سرية المشاة الثامنة ـ منطقة اريحا

جـ ـ سرية المشاة الثانية ـ دامية والجفتلك

د ـ سرية المشاة الحادية عشرة ـ رام الله

هـ ـ سرية المشاة الثانية عشرة المستقلة ـ الخليل

الخطة العامة :

على اســاس التــوجـيهات الحربية التي صدرت لنا من قيادة الجيش العربي قمنا بوضع خططنا الســوقــيــة والتــعــبوية وما يتبعها من خطط ادارة وتزويد وغير ذلك من التفصيلات اللازمـة للخطط المتكاملة لخـوض المعـركـة. وسـوف لا أدخل هنا في تفصيلات هذه الخطط حـيث لا أظن أنه يهم القـارىء مـعرفة كل هذه التفصيلات الفنية إلا أنى سوف أعطي لمحة مـوجـزة عن توزيع قـواتنا في مختلف المناطق التي سـوف تتـمـركز فيها في البداية وسوف اتوسع بعض الشيء في تفـصـيـلات سير المعارك التي وقعت بعد دخول الجيش الى فلسطين حسب تسلسل تواريخ وقوعها في مكان لاحق.

ومن دراســة الطبـيـعـة الجـغرافية للمنطقة المخصصة لعملياتنا يتضح أن نقاط الارتكاز المحـورية الهامـة فـيها هي (جنين ـ طولكرم ـ قلقيلية ـ اللطرون ـ باب الواد) وبعد تفحص طرق الاقتراب المحـتـملة عبر نقـاط الارتكاز هذه ومـقـارنتها مع حجم القوات المتوفرة لدينا وبعـد دراسة كاملة لتقدير الموقف والاهداف المطلوبة خلصنا بنتيجة ان افضل توزيع للقوات يمكن قبوله هو الآتى.

اولاً : اللواء الاول :

يتألف من كـتـيـبـتي مشاة وتسانده بطارية مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطـل وسريتي مدرعات.

يعتبر مسئولاً عن الدفاع عن منطقة نابلس وتتمركز كتائبه في المواقع الآتية:

الكتيبة الاولى .

تغطي محاور الاقتراب من طولكرم وقلقيلية في الغرب ومن جنين في الشمال.

وتوزع سراياها ودورياتها بالاماكن المناسبة لتحقيق هذا الهدف.

الكتيبة الثالثة.

توضع في الاحتياط بمنطقة قرية حوارة قرب مدينة نابلس.

ثانياً : اللواء الثالث :

يتألف من كتيبتي مشاة وتسانده بطارية مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطل وسرية مدرعات.

يكون مسئولاً عن الدفاع عن منطقة رام الله واللطرون ومرتفعات باب الواد .

الكتيبة الثانية:

تغطي منطقة باب الواد وتنشر سراياها ودورياتها بالاماكن المناسبة لتحقيق هذا الهدف.

الكتيبة الرابعة:

تغطي منطقة اللطرون والمرتفعات الشرقية وتوزع سراياها ودورياتها بالاماكن المناسبة لتحقيق هذا الهدف.

ثالثاً : قيادة الفرقة :

في منطقة قرية بيتين شرق رام الله.

رابعاً : السرايا التي شكلت منها (الكتيبة السادسة)

في منطقة الاغوار لحماية خطوط المواصلات الخلفية لوحدات الفرقة.

وقد قمنا بعد ذلك بمناقشة تفصيلات خطة الدفاع بكاملها مع قادة الالوية والكتائب والوحدات الاخرى على (خارطة رملية) تمثل نفس المنطقة التي خصصت لنا والتي سوف يتمركزون فيها ويتولون مسئولية الدفاع عنها. وبعد ذلك وضعنا خطة مناورة شاملة اطلقنا عليها الاسم الرمزي (تقريباً) تنويهاً الى انها تشبه المعركة الدفاعية التي سوف نخوضها في فلسطين. وقامت قيادة الفرقة وكافة تشكيلاتها بتنفيذها. وقد انتخبنا لهذه المناورة المناطق الممتدة من غرب مدينة المفرق وصولاً الى مدينة جرش وجبال عجلون. ووزعنا الالوية على هذه المناطق لتقوم بالتمركز في مواقع تشابه في طبيعتها المراكز التي سوف تتولى الدفاع عنها في فلسطين. وقد دامت هذه المناورة مدة خمسة ايام درسنا خلالها مع قادة الالوية والكتائب مختلف المشاكل التي برزت من خلال هذه المناورة. واعطيت فرصة جيدة لكافة القطعات لكي

تتدرب على الاتصالات اللاسلكية والسيطرة من قبل القيادات المختلفة على وحداتها، وعلى حركة القوافل ليلاً ونهاراً واحتلال المواقع الدفاعية المختلفة بمستوى الكتائب والالوية. كما اعطيت الفرصة لقيادة الفرقة التكتيكية والرئيسية لاختبار قدراتها على السيطرة على تحركات تشكيلات الفرقة المتكاملة.

وحال عودتنا لمعسكراتنا بعد هذه المناورة، بدأت الوحدات تستعد وتستكمل لوازمها وتتهيأ للحركة الى فلسطين في اليوم المحدد لذلك.



المؤلف الرئيس صادق الشرع في سيارة القيادة في الوسط وحوله جنديان اثناء المناورة الكبرى التي اقيمت للفرقة الأولى قبل دخولنا للحرب في فلسطين

وأما بالنسبة لنا في قيادة الفرقة فقد بدأ عملنا يتكاثر ولم نكن نعرف الراحة نظراً لضيق الوقت وقلة عدد ضباط الاركان. حيث كان علينا انا والركن الاول الميجر داونز ان نجهز كافة التعليمات والاوامر الحربية والادارية ونقوم بتوزيعها على قادة الالوية ومناقشة خططهم على ضوئها في مختلف الاجتماعات. ثم نقوم بزيارتهم في معسكراتهم للمساعدة في تلبية حاجات وحداتهم المختلفة باقصى سرعة ممكنة على ضوء الامكانات المتوفرة. لا سيما وان قيادة الفرقة لم يكن لديها ملاك كامل من ضباط الاركان من مختلف الرتب بالشكل المتعارف عليه في الجيوش حيث تم تشكيلها حديثاً. ولم يكن متوفراً في الجيش العربي العدد الكافي من الضباط العرب المؤهلين لتعبئة جميع الشواغر اللازمة لفروع الاركان المختلفة. وهكذا فقد كان عبىء هذا العمل الضخم ملقى على عاتق اربعة ضباط رئيسيين في قيادة الفرقة وهم

الركن العسكري الاول	ـ	وكيل القائد جون داونز
الركن العسكري الثاني	ـ	الرئيس صادق الشرع
ركن الادارة واللوازم	ـ	الرئيس بيل دين
ضابط اللاسلكي	ـ	الرئيس بيرس هاوس

وقبل موعد الحركة بفترة وجيزة زارنا قائد الجيش الفريق كلوب باشا وعقد معنا اجتماعاً مطولاً شرحنا له خلاله تفاصيل خطة الفرقة النهائية لدخول فلسطين. وجميع الاستعدادات النهائية التي تمت في التحضير للمعركة. وبعد ذلك ابدى ملاحظاته عليها ثم قال لنا: نحن سوف نذهب الى فلسطين لكي ندافع عن المناطق العربية الواقعة ضمن حدود التقسيم. وهذا حسب الاتفاق بين الدول العربية وطبقاً للمناطق التي وزعوها على الجيوش العربية. وهذا هو واجبنا المعطى لنا وعلينا ان نتقيد به وننفذه بدقة. وعندئذ سألت كلوب باشا عن سبب عدم اطلاعنا في قيادة الفرقة على الخطة العربية ما دام ان الواجبات التي اسندت لنا بهذه المعركة كانت بموجب اتفاق الدول العربية. فقال: لا توجد خطة عربية عامة بالمعنى المفهوم، لأن الجيوش العربية ستكون مستقلة كل جيش في منطقته. ولكنهم اتفقوا على تكوين قيادة عامة بقيادة جلالة الملك عبدالله. وسيكون مقرها في معسكر الزرقاء وستتكون من ضباط من جميع الجيوش العربية المشتركة في الحرب. وان شاء الله سيمكنها ان تعمل شيء. وعدئذ تأكد لي بعد هذا الحديث ان حربنا هذه سوف تكون حرباً سياسية لتثبيت الامر الواقع فقط وليس لمحاربة وسحق القوات الاسرائيلية كما كنا نطمح ونأمل. وبعد ذلك شرح كلوب باشا هذا الكلام الى الضباط العرب في مختلف القيادات اثناء زياراته التي قام بها لجميع الكتائب قبيل حركتها الى فلسطين.

ملخص العمليات التي دارت قبيل دخولنا الحرب :

خلال هذه الفترة الحرجة تدهورت الاوضاع العربية في فلسطين بشكل خطير نتيجة العمليات الهجومية المنظمة التي قام بها اليهود ضد المدن العربية الرئيسية والمراكز الحساسة في مختلف المناطق وخصوصاً في الشمال والوسط فقد كانت قوات جيش الانقاذ في الشمال تتعرض لضغط مستمر من القوات اليهودية المتقدمة لفتح طريق (روشبينا ـ طبريا) وعزل صفد كما كانت مدينتي حيفا ويافا تتعرضان لاشتباكات مستمرة بالاضافة الى ما كان يجري في مدينة القدس من مناوشات ومحاولات تقوم بها القوات اليهودية لاحتلال مختلف المواقع بالتدريج لتعزيز موقفها العام استعداداً للسيطرة على المدينة بكاملها حالما تنتهي مدة الانتداب البريطاني، وبنفس الوقت وبعد معركة القسطل ومذبحة دير ياسين

تمركـزت فـصــائل من جـيش الانقاذ في مواقع مهمة الى الشمال والشمال الغربي من القدس بالاشتراك مع الجـهـاد المقـدس والمناضلين الآخرين. وكان من أهمها موقعي النبي صموئيل وقـرية بدو المسـيطرة على معبر باب الواد من جهة الشرق. وبداخل مدينة القدس كانت قوات المناضلين مـا زالت تسـيطر على البلدة القـديمـة وبعض المناطق الاخـرى في الاحياء الجديدة. ومن اهمها حي الشيخ جراح الذي يسيطر على مدخل المدينة من الشمال ويؤمن اتصالها مع مـدينة رام الله ورغم ان اليـهـود كـانوا قـد نجـحـوا باحـتـلاله مـرة لكن القوات البريطانية اخـرجتهم منه لانها تريد الابقاء على خط مواصلاتها بهذا الاتجاه مفتوحاً. ثم عاد المناضلون العـرب واحـتلوه من جديد. وهذا الوضع كان سائداً في مطلع شـهر نيسان. ولكن الانهيارات في الموقف العربي اخذت تتوالى بعد منتصف الشـهر كالآتي :

بتاريخ ١٨ نيسان - سقطت مدينة طبريا بيد اليهود بدون قتال تقريباً.

بتاريخ ٢٢ نيسان - انهارت المقـاومة العربية في مدينة حيفا واصبحت المدينة بكاملها تحت سيطرة اليهود.

بتاريخ ٢٨ نيسان - بدأت المقـاومـة العـربية تنهار في مدينة يافا وهـجرها اهلها. تم بتاريخ ١٣ أيار أعلنهـا رئيس البلدية السيد يوسف هيكل مدينة مفتوحه وسلمها للقوات اليهودية على هذا الأساس.

بتـاريخ ١١ أيــار - سقطت مدينة صفد بعد معارك عنيفة دامت عدة أيام.

بتـاريخ ١٢ أيــار - سقطت مدينة بيسان.

هذا بالإضـافـة إلى العـديد من القرى التي كانت تسقط تباعاً بيد القوات اليهودية في هذه السـاحـة أو تلك ولا مجال لذكـرها في هذه العـجـاله. لكن المهم أن نعرف أن صورة المأساة الرهيـبة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني خلال هذه الفترة أخذت تظهر أبعادها على شكل آلاف اللاجئين الذين اخـذوا يصلون إلى شرق الأردن ولا يحملون سـوى امتعتهم الشخصية وقـد سلبهم اليهود كل ما يملكون وهم بحالة يرثى لها من الإعياء والحزن والأسى والبؤس وجميـعـهم بحاجة إلى المأوى والمأكل. ولم يكن ذلك متيسراً لهذه الأعداد الهائلة من اللاجئين الذين تدفـقوا على المنطقة دفعة واحدة فتشتتوا في جميع مدن وقرى الأردن للبحث عن المأوى ونوع من الإسـتـقـرار المؤقت وبما أن الحكومة الأردنية لم تكن مهيأة لمثل هذا الموقف ولم تكن لديها الوسـائل والامكانيات لتوفير مساكن أو مخيمات لهذه الأعداد الهائلة من اللاجئين خـلال فترة وجـيزة فقد كانت هذه المهمة ملقاة على عاتق المواطنين لإستضافة إخوانهم هؤلاء

مـؤقـتـاً بينما تتوفر الترتيبات اللازمة من قبل الدولة لاستقرارهم وقد شاركوهم مساكنهم ومئونتـهم طيلة الفترة التي تلت هجـرتهم حـتى أمكن بناء المخيمات لهم من قبل وكالة الأمم المتـحـدة لغـوث اللاجئين بعـد عدة أشهر. وبهذا الصدد فإن أي وصـف يمكن أن أذكره هنا سـيكون قـاصراً عن إيضاح الصورة الحقيقية لهذه المأساة الرهيبة التي كانت ماثلة أمامنا في تلك الفترة الخطيرة من بداية مأسـاة الفلسطينيين بالدرجـة الأولى والأمـة العـربيـة بالدرجة الثـانيـة والتي مـا زلنا نعانى من نتائجها حتى يومنا هذا. وسنبقى نعانى منها في المستقبل لسنين طويلة حـتى يقـدر الله لنا أن نصـبح أمـة تسـتـحق تاريخهـا وتراثها فتثأر لشرفها وكرامتها وتسترد وطنها السليب بمختلف أرجائه .

وبعـد : فإن هذه لمحـة موجزة عن الصورة التي كانت ماثلة أمامنا في أواخر شـهر نيسـان ومطلع شـهر مايس ونحن نستعد للذهاب الى فلسطين لنقاتل القوات اليهودية. ولكن أي قتال هذا الذي كنا نحلم به بعـد ان عـرفنا اننا سـوف نذهب لحماية جـزء من وطننا فقط ضمن حدود التقسيم الذي فرضته هيئة الأمم المتحدة وقسمت وطننا بقرار منها بيننا وبين اليهود. وأية مـعـركة تلك التي سوف تخوضـها الجيوش العربية وهي متفرقة ومنفصلة عن بعضـها لا تخضـع لقـيـادة واحـدة ولا تدار عملياتها ضمن خطة عامة واحدة ولا تخوض معاركها في نطاق استراتيـجية واحدة سليمة تهدف إلى تدمير قوات العدو المقاتلة لكي نتمكن بنتيجتها من إعادة أخواننا الفلسطينيين إلى مدنهم وقراهم التي إستولى عليها اليهود ظلمًا وعدواناً

وبهذه الصـورة اسـتـمرت استعداداتنا وتحضيراتنا قبل حلول موعد ذهابنا إلى فلسطين ونـفـوسنا يمـلأها الحـزن وقلوبنا يعصرها الألم ولكن لا زال يراودنا الأمل بأن نتـمكن من منازلة اعدائنا في سـاحة القتال على الرغم من قلة عددنا وعدم كفاية عدتنا وتفرق كلمة دولنا واضطرارنا لخـوض مـعـركـة نخـالف فيها جميع مبادىء الحرب وأسس التعبئة والسوقية المتعارف عليها. ونفتقر إلى وحدة القيادة والتنسيق بين الجيوش المقاتلة في سـاحة العمليات.

كل هذه الأمـور كنا نفـتقر إليها بالإضافة إلى أن قيادة جيشنا وقيادات وحداته الرئيسـية كانت جميعها بيد الضباط الإنجليز. ولم تكن القلة المتيسرة في ذلك الوقت من الضباط العرب تكفي لتولي كل هذه المناصب حتى لو كان الانجليز سيقبلون بذلك .

وعلى أي حال فإنه لم يكن بيد الضباط العرب أكثر من المركز الثانى، أو الثالث في قيادات الوحـدات الرئيـسـيـة. ولم يكن لدينا بهذه الحالة بديل سوى القبول بالأمر الواقع والذهـاب للمـعـركـة تحت قـيـادة الضـبـاط الإنجليـز. وليس معنى ملاحظتي هذه أن هؤلاء الضباط الانجليـز لم يقـاتلوا بكفاءة بل بالعكس فإنهم خاضوا المعارك التي اسندت الى وحداتهم بكل شـجـاعـة وجـرأة وقـد جـرح عـدد منهم في مختلف المعـارك. ولكن ما أقصده هو أننا من

المفروض أن لا نتوقع من هؤلاء الضباط أن يقاتلوا بأي معركة لا توافق عليها حكومتهم وهي صاحبة وعد بلفور. ولذلك فإنهم لم يشتركوا في حرب فلسطين إلا لإنها كانت تهدف الى تثبيت الأمر الواقع ضمن حدود التقسيم ولأن الحكومة البريطانية كانت قد وافقت مسبقا على إرسال الجيش العربي للإشتراك فيها ضمن هذه الشروط .

وعلى أي حال فقد كانت هذه هي معركتنا التي سوف نخوضها في فلسطين والتي كنا نأمل بلا طائل أن نتمكن بنتيجتها من إعادة إخواننا الفلسطينيين إلى ديارهم التي أُخرجوا منها بقوة السلاح

وفي نهاية شهر نيسان عام ١٩٤٨م وبنتيجة اجتماعات اللجنة السياسية واللجنة العسكرية للجامعة العربية اتفقت الحكومات العربية على إسناد القيادة العامة للجيوش العربية الى جلالة الملك عبدالله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية. ولم يكن من المعقول أن يتم تشكيل قيادة عامة خلال هذه الفترة القصيرة المتبقية قبل نشوب القتال لجيوش متفرقة بهذا الشكل ولم يسبق أن جرى بينها أي نوع من التنسيق أو الاتصال العملي بحيث تصبح هذه القيادة فعالة في الميدان خلال فترة أسبوعين. وانه لضرب من الخيال أن نتوقع من هذه القيادة أن يكون بمقدروها السيطرة على العمليات الحربية وإدارة معاركها في الميدان مع ضمان أقل قدر من النجاح مهما كان ضئيلاً. ولكن كما يظهر أن الملك عبدالله قبل هذه المسؤولية على مضض بعد ان رفضتها مصر التي كانت مترددة في الإشتراك بمعركة فلسطين حتى اللحظة الأخيرة. ولم يقبلها العراق. فأراد الملك عبدالله أن يحسم الموقف لكي يضمن إشتراك جيوش هذه الدول في المعركة بأي شكل. لاسيما وانه كان مصممًا على إرسال الجيش العربي الأردنى إلى فلسطين لمحاولة انقاذ القسم المتبقي منها رغم ان هذا الجيش كانت تسيطر عليه بريطانيا بالتسليح والتمويل والقيادة بموجب المعاهدة الأردنية البريطانية. وهكذا تشكلت القيادة العامة للجيوش العربية واتخذت من معسكر الزرقاء مقراً لها. وقد عين اللواء الركن نورالدين محمود من الجيش العراقي نائباً للقائد العام ويساعده ثلاثة من ضباط الركن الكبار هم اللواء اسماعيل صفوت من الجيش العراقي والزعيم سعدالدين صبور من الجيش المصري والعقيد محمود الهندي من الجيش السوري. كما ضمت القيادة العامة عدداً قليلاً من ضباط الركن من الرتب الأخرى من الجيوش العربية المشتركة في الحرب والخاضعة لهذه القيادة نظرياً فقط .

وكان واضحاً أن هذه القيادة ليست أكثر من قيادة شكلية تتخذ طابعاً سياسياً كما اثبتت الأحداث بعد نشوب المعارك في فلسطين للأسباب الآتية :

١ ـ تم تشكيل هذه القيادة بقرار سريع مرتجل من قبل الجامعة العربية وكان حجمها محدوداً جداً حيث لم تتوفر فيها فروع الأركان المطلوب توفرها لقيادة عامة تتولى مسؤولية قيادة خمس جيوش تخوض معركة بهذا الحجم في جميع انحاء فلسطين مثل فروع العمليات (الحركات الحربية) والإدارة والاستخبارات والتخطيط والاتصالات والامداد والتزويد وخلافها الأمر الذي جعلها عاجزة تماماً عن توجيه العمليات الحربية لهذه الجيوش أو حتى تلقي المعلومات عن المعارك بشكل منتظم أو التأثير في توحيهها وإدارتها بأي نسبة من الفعالية .

٢ ـ لم تتمكن هذه القيادة من تنسيق عمليات القوات الموضوعه بإمرتها ولم يكن بمقدورها الإشراف الفعال على خطط هذه الجيوش وإدارة معاركها وتوجيه حركاتها ولا حتى تحقيق أي نوع من التعاون الفعلي والمساندة القتالية بين هذه القوات حسب مقتضيات سير المعركة .

٣ ـ لم يكن لدى هذه القيادة خطة عامه موحده لعمليات الجيوش العربية التي كان من المفروض أنها موضوعة تحت إمرتها. لأنه لو كانت لديها مثل هذه الخطة لقامت بتوزيعها على قيادات هذه الجيوش وطلبت التقيد بها وتطبيق متطلباتها وتحقيق أهدافها. ثم أشرفت بعد ذلك على تنفيذها في الميدان. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث أو على الأقل بالنسبة لنا في قيادة الفرقة حيث لم نتسلم من هذه القيادة أي خطة عمليات عامة أو توجيهات حربية أو أوامر حركات كما هو متعارف عليه في مثل هذه الحالات. اللهم إلا ما كان يصلنا بين الحين والآخر من أوامر وتعليمات من جلالة الملك عبدالله فيما يتعلق بعمليات الجيش العربي كما سيرد ذكره في شرحي للعمليات الحربية في مكان لاحق .

وأما إذا افترضنا أنه كانت لدى هذه القيادة العامة للجيوش العربية أو لدى اللجنة العسكرية للجامعة العربية أية خطة عامه فإنها لم تنفذ ولم يتقيد بها أي من الجيوش العربية المقاتلة في الميدان .

وعلى أي حال فما هي الفائدة من وضع خطة عامة لمعركة بهذا الحجم قبل أسبوعين من بدء القتال بهذا الشكل المرتجل حتى لو وجدت وهل يعقل أصلاً أن توضع خطة حربية بهذا المستوى من الأهمية من قبل لجنة عسكرية في الجامعة العربية ثم تسند مهمة تنفيذها إلى قيادة عامة أخرى استحدثت على عجل ولم تكن هي واضعة هذه الخطة أو على الأقل مشتركة في وضعها. وما هي قيمة هذا التخطيط إذا كانت الجيوش العربية ستقاتل منفصلة ويخضع كل منها لقيادته في بلده بدون أن يكون جزءاً من قوة متكاملة تقودها قيادة واحدة

وتدير معاركها ضمن استراتيجية واحدة. فأين إذن تقع المسؤولية عن هذا التخبط والارتجال. سنرى ما ستقوله لنا الأحداث على هذا التساؤل في فصل لاحق .

المرحلة الأولى من القتال :

بعدما انتهينا من وضع خطتنا للإشتراك في الحرب واتممنا الاستعداد لها ضمن أمكانياتنا كما أسلفت ذهبت في أوائل أيار ١٩٤٨م مع قائد الفرقة بجولة استطلاعية لنتفحص المواقع التي سوف تحتلها قطعاتنا في المناطق التي خصصت لنا. وبدأنا بإستكشاف منطقة وادي الأردن حيث درسنا طرق المواصلات الخلفية وعينا المكان الذي ستتمركز فيه الكتيبة السادسه ومواقع سراياها التي منها ستقوم بإغلاق طرق الاقتراب المحتمله للعدو والتي منها يستطيع التأثير على خطوط مواصلاتنا. ثم تحركنا الى القدس وعبرنا من حي الشيخ جراح في طريقنا إلى المرتفعات الغربية وقد وجدنا أن قوات المناضلين العرب تحتل هذا الحي وكانت بهذه الأثناء تجري اشتباكات بالأسلحة الخفيفة بينهم وبين القوات اليهودية في المواقع المقابلة. ولما لم تكن خطتنا تشمل في البداية القتال بداخل مدينة القدس، ذهبنا لإستكشاف منطقة باب الواد وبدأنا بمرتفع النبي صموئيل وصعدنا إلى أعلى نقطة هناك ومنها كشفنا المواقع الغربيه. وقد كانت تتمركز في منطقة النبي صموئيل قوة من جيش الإنقاذ والمناضلين. وأخبرونا أن لهم قوة أخرى متمركزة في قرية (بدو) وفي منطقة تلال اللطرون. كما أخبرونا أن القوات اليهودية موجودة في قرية القسطل وتلة الرادار الواقعة إلى الغرب من النبي صموئيل. ومن هناك عدنا إلى مدينة رام الله ثم ذهبنا غرباً إلى قرية بيت عور ومثلث بيت سيرا. وقد كان واضحاً أن مفترق الطرق هذا يشكل عقدة مواصلات مهمة حيث يشمل ملتقى الطرق المؤديه جنوباً إلى اللطرون وشمالاً إلى دير قديس وشرقاً إلى رام الله. ولذلك فإنه يعتبر موقعاً في غاية الأهمية والخطورة، حيث لو تمكنت القوات اليهودية من السيطرة عليه لأمكنها عزل جميع هذه المناطق وتحقيق إختراق سهل وسريع عبر مدينة رام الله إلى وادي الأردن ولذلك فقد أتضح لنا أنه يجب أن نسيطر عليه من منطقة اللطرون وباب الواد ولكن بما أنه يقع في أرض منخفضة فلا بد إذن من إحتلال التلال التي تسيطر عليه مباشرة من الغرب. ثم عدنا إلى رام الله وبعد زيارة قصيرة إلى قيادة اللواء الرابع تابعنا سيرنا إلى قرية (بيتين) حيث عينا في تلالها المواقع التي ستتمركز فيها قيادة الفرقة. ثم توجهنا إلى مدينة نابلس وعدنا عن طريق وادي الباذان الى الجفتلك. وهي الطريق الرئيسية التي سوف تعبر منها قوافل قواتنا عند تقدمها إلى فلسطين. ثم عدنا إلى أريحا وعبرنا جسر الملك حسين (اللنبي) وتوقفنا في الساحات المكشوفه الواقعة بين بلدة الشونه الجنوبية ونهر

الأردن وهي التي ستكون منطقة حشد قوات الفرقة يوم ١٤ أيار عام ١٩٤٨م استعدادا لعبورها في اليوم التالي إلى فلسطين. وقمنا بجولة استطلاعية بهذه الساحات حيث اخذنا فكرة واضحة عن إمكانية استيعابها لجميع هذه الكتائب وسهولة خروج قوافلها منها. ثم عدنا إلى معسكرنا في مدينة المفرق .

وخلال الأيام القليلة المتبقية قمنا بوضع اللمسات الأخيرة على جميع استعداداتنا العسكرية والإدارية وإتمام جميع متطلبات تشكيلات الفرقة من اللوازم والذخائر وغيرها وتأكدنا من أن جميع قطعاتنا أصبحت جاهزة ليوم الحركة .

وقد كانت قواتنا موزعة على معسكراتها كما يلي :

١ ـ قيادة الفرقة ـ ومعها قيادة اللاسلكي والمشاغل والإدارة، في معسكر المفرق.

٢ ـ قيادة اللواء الأول ـ ومعها الكتيبة الأولى والثالثة في معسكراتها بمنطقة (خو).

٣ ـ قيادة اللواء الثالث ـ ومعها الكتيبة الثانية في معسكر إربد (معسكر قوة الحدود سابقاً) ـ الكتيبة الرابعة ـ في معسكر المفرق .

٤ ـ مجموعة سرايا خط المواصلات ـ (الكتيبة السادسة فيما بعد) تجمعت في منطقة ـ أريحا ـ الجفتلك مؤقتاً .

٥ ـ قيادة اللواء الرابع ـ ومعها سرية مشاة في مدينة رام الله. ويرتبط معها السرية الثانية عشر الموجودة في مدينة الخليل ومنها فئة موجودة في (عرطوف) إلى الجنوب الغربي من القدس. وأما باقي سرايا هذا اللواء فكانت موزعة على المواقع التي جاء ذكرها في فقرة سابقة .

وفي هذه الأثناء أخذت الأحداث تتسارع على الساحة العربية بشكل ملحوظ خلال الأسبوعين الأولين من شهر أيار. ولكن بشكل يغلب عليه طابع الارتجال. لاسيما وأن الدول العربية لم تقرر رسمياً إرسال جيوشها للقتال في فلسطين إلا بآخر شهر نيسان. ولم يقم رؤساء أركان حرب هذه الجيوش بدراسة جدية لتقدير موقف عسكري مشترك لتحضير القوات اللازمة للمعركة المنتظرة على أساسها وبما يتناسب مع حجم وقدرات قوات العدو لضمان كسب المعركة ضده. ولم تصلنا أية معلومات عن كيفية حشد هذه الجيوش سوى ما ابلغتنا به قيادة الجيش العربي الأردني عن إجتماع رؤساء أركان حرب الجيوش العربية الذي درسوا فيه الموقف الحربي للعدو وأنهم قرروا بالنتيجة أن حجم القوات اللازمة للتغلب على قواته يجب أن لا يقل عن خمسة فرق كامله مع إسناد جوي كافي لها. وأن اللجنة

السـياسية للجامعة العربية قررت أن هذا الطلب مبالغ فيه. ولذلك فإنه على الجيوش العربية ان تدخل فلسطين بالقـوات المتـيسرة لديها كل في المنطقـة المخصصة له. وفي هذا الصدد فقد كـانت المعلومات الاستخبارية المتوفرة لدينا تدل على أن القوات اليهودية بمختلف صنوفها لا تقل عن خمسين ألف مـقـاتل. وأن جميع مـسـتـعـمـراتهم عبارة عن مواقع دفاعية محصنة تحـصـيناً قـوياً من الاسـتـحكامـات المبنية بالاسمنت المسلح وخنادق الاتصال وتحيط بها الأسـلاك الشـائكة وحـقول الألغام. وكل مستعمرة مزوده بالعدد اللازم من المسلحين للدفاع عنهـا ولديهم مـا يكفـيـهم من الذخـائر والمؤن للصمود لفترة حصار طويلة. كما أن الأوامر المعطاة لهم تتطلب منهم أن يقـاتلوا في مـسـتعمراتهم لآخر طلقة وآخر رجل. وخلاصة القول أن احـتـلال كل مـسـتـعـمـرة يحتاج إلى عملية هجوم مركزة متكاملة وبقوة مناسبة حسب حـجـمـها لكي يمكن اجتياحها بنجاح. فكيف إذن بعد كل هذا تأتي مجموعة من السياسيين وتقـرر أن مـا قـاله رؤوساء أركان حرب الجيوش بأن حجم القوة اللازمة للتغلب على قوات مـعـادية بهذا الحـجم يجب أن لا يقل عن خمسة فرق مع الأسناد الجوي الكافي. بأنه تقدير مـبـالغ فـيه. ثم يقرروا أن على رؤساء الأركان أن يدخلوا إلى فلسطين بالقوات المتيسره لديهم وبشكل منفـرد. ثم يأتي هؤلاء القـادة العـسكريين العظام ويقـبلوا تحـمل مسؤولية خوض المعركة بهذا الشكل الهزيل .

ولايمكن تفـسير هذا الموقف الغـريب سـوى ان القـرارات الحاسمة اتخذها سياسيون لا خبرة لهم بالحـرب. وأن القـادة العـسكريين تنازلوا عن عـسكريتـهم وخبرتهم وقبلوا تحمل مسؤولية خوض معركة سياسية تدل كل الأعراف العسكرية ان مصيرها الفشل وللإنصاف والتـاريخ أرى من العـدالة اسـتثناء الأردن من هذه المسؤولية لأنه دخل الحرب بكل ما كان لديه من قـوات دفـعة واحدة، وصحيح أنها ليست كبيرة ولكنها كانت كل قواته المسلحة ولم يتـخلف منها أحد. هذا بالإضافة إلى أن هذا البلد كان يعرف صعوباته تماماً. وهو يعرف أن جـيـشــه يقوده الضباط البريطانيون وأن ميزانيته واسلحته تقدم له من الحكومة البريطانية التي تربطه معها معاهدة ومع ذلك فإن جيشه كان فعالاً في الجبهة أكثر من غيره .

وبنفس المقـيـاس فإني استثني سوريا لأنها هي الأخرى دخلت الحرب بكل ما كان لديها من قوات دفعة واحدة كذلك .

في أول أيار ابلغـتنا قـيـادة الجـيش العربي أن طلائع الجيش العراقي تحركت من بغداد وأنها سـوف تحـتشد في منطقة المفرق. وان علينا ان نتعاون معهم في تعيين مناطق تجمعهم وتقديم المساعدات التي يحتاجونها .

وبتاريخ ٢ أيار وصلت طليعة القوات العراقية ـ وقد قمت باستقبالهم نيابة عن قيادة الفرقة ومعي عدد من الضباط. وقد كان في مقدمة قافلة الطليعة هذه ضابط برتبة وكيل قائد (رئيس أول) إسمه مظفر التك. (وفي وقت لاحق تم تعيينه ضابط ارتباط للجيش العراقي لدى قيادة الفرقة طيلة مدة الحرب). وعند وصول قافلتهم اخذناها إلى المنطقة التي كنا قد خصصناها لهم وتقع إلى الجهة الشمالية من معسكراتنا وخيموا فيها. وقدمنا لهذه القوة المساعدات التي كانوا يطلبونها. وسلمناهم احد ثلاثة آبار ماء إرتوازية كانت هي مصدر مياه الشرب الوحيد لكتائبنا. كما سلمناهم معسكر مطار ـ المفرق الذي كان قد بناه سلاح الجو البريطانى في الماضي لكي تستعمله القوة الجوية العراقية عند وصولها حيث كان منتظراً أن تصل بعد أسبوع وبتاريخ ١٢ أيار وصل جحفل اللواء الأول وعسكر في نفس المنطقة. كما وصل بنفس الوقت سربين من الطائرات القاذفة المقاتلة سي فيوري (Sea Fury) وحطت في مطار المفرق. وبهذه الأثناء كانت سرايا النقل التابعة للجيش العراقي تنقل المؤن والمحروقات والذخائر من العراق وتكدسها في مناطق الحشد بإنتظار حركة القوة بكاملها إلى فلسطين .

وبهذه الفترة وقعت بعض العمليات المحدوده عند طرفي نهر الأردن من الشمال والجنوب. ولكن قبل شرح هذه العمليات قد يكون من المناسب وصف جغرافية هذه المنطقة تسهيلاً للإيضاح. ففي الطرف الشمالي يقع جسر المجامع. وقد سمي بهذا الإسم لأنه يقع عند نقطة التقاء نهر اليرموك مع نهر الأردن. وإلى الشمال من هذا الجسر وبداخل حدود شرق الأردن توجد محطة توليد الكهرباء الضخمة التي بنتها شركة كهرباء فلسطين في عهد الإنتداب البريطانى وسميت (مشروع روتنبرغ) نسبة إلى إسم المهندس اليهودي الذي صممها. وإلى الشمال من هذه المحطة يقع جسر سكة الحديد الذي يمر فوقه خط سكة الحديد المتجه إلى مدينة سمخ. وإلى الشرق منه يقع معسكر قوة حدود شرق الأردن التي كانت قد سرحت من الخدمة بأواخر عهد حكومة الانتداب البريطانى التي كانت مسؤولة عنها. وبداخل هذا المعسكر توجد مستعمرة يهودية صغيرة إسمها مستعمرة (نهرايم). وإلى الجنوب من جسر المجامع يوجد جسرين آخرين أصغر حجمًا. وإلى الغرب منهما وبداخل حدود فلسطين وعلى حافة نهر الأردن تقع مستعمرة يهودية أخرى إسمها مستعمرة (غيشر) وبطرفها توجد بناية مخفر بوليس من نوع (تيجارت) كان يستعملها البوليس الفلسطيني في عهد الإنتداب والآن أصبحت بيد اليهود. وإلى جهة الغرب يوجد جبل مرتفع يسيطر على المنطقة المحيطة إسمه (كوكب الهوى) .

وأما في الطرف الجنوبي وعند مصب نهر الأردن في البحر الميت وإلى الغرب من هذا

المصب وبداخل حدود فلسطين تقع مستعمرة يهودية إسمها مستعمرة (كاليه). وقد بنى اليهود هناك منشآت لاستخراج البوتاس من مياه البحر الميت .

وعندما قامت الحكومة البريطانية بتسريح قوة حدود شرق الأردن ارسلت قيادة الجيش العربي فئتين من سرايا الحاميات التي سحبت من فلسطين لكي تقوما بحماية مشروع روتنبرغ والجسور ومعسكر قوة الحدود .

وبأواخر شهر نيسان أرسلنا سرية مشاه من الكتيبة الرابعه التي كانت تعسكر في المفرق لكي تعزز فئتي الحراسة في منطقة الجسور .

ومن الغريب أن اليهود الذين كانوا مسؤلين عن تشغيل محطة كهرباء (روتنبرغ) وسكان المستعمرة بقوا في أماكنهم حتى آخر يوم. وعندما انسحب البوليس الفلسطيني من قلعة (غيشر) احتلها اليهود حال خروجهم منها .

وفي أواخر شهر نيسان كانت بداية العمليات الحربية عندما اطلق جنودنا من المفرزه المرابطة شرق جسر المجامع النار على اليهود الذين كانوا في مركز بوليس (غيشر) واستمر الاشتباك طيلة اليوم. وقد قتل إثنان من جنود المفرزه. وعلى إثر ذلك تم ارسال عناصر من سرية الاسناد قوامها (رشاشي فكرز ومدفعي هاون. ومدفعي ضد الدروع عيار ٦ رطل). لمساندة سرية المشاة المشتبكة مع العدو. وعند وصول هذه الاسلحة الاسنادية دمرت بعض الأبنية بداخل مستعمرة غيشر ومنها برج الحراسة. وقد دامت هذه المعركة مدة يومين. وفي اليوم التالي رفعت مستعمرة غيشر علمًا أبيض. فتوقف إطلاق النار من جانبنا. وارسل قائد القوة مختار مستعمرة نهرايم إلى مستعمرة غيشر ليطلب من سكانها الإستسلام ولكنهم رفضوا فاستأنفت قوتنا القتال. وبعد ذلك وصلت قافلة تعزيزات من منطقة سمخ إلى غيشر وأثناء إقتراب هذه القافلة اطلقت قواتنا عليها نيران مدافع ٦ رطل فاعطبت إحدى حافلاتها وأوقعت العديد من الإصابات بين ركاب هذه القافلة .

وفي اليوم التالي أصدر قائد الجيش أمراً بوقف إطلاق النار. وقد قيل في حينها أن هذا الإجراء كان بنتيجة توسط المندوب السامي لأن هذه المستعمرة تقع بداخل فلسطين وبما أن الإنتداب ما زال قائمًا فإن الحكومة البريطانية ما زالت مسؤولة عن الأمن في فلسطين .

كانت قيادة الجيش تتصرف بقضايا المستعمرات اليهودية مباشرة على اعتبار انها قضايا سياسية ولا علاقة لقيادة الفرقة إلا بالأمور العسكرية. ولذلك لم تكلف قيادة الفرقة باتخاذ أي إجراء فيما يتعلق بمصير سكان مستعمرة (نهرايم) الواقعة بداخل معسكر قوة الحدود عند جسر المجامع. أو بمصير العمال والحراس اليهود المتواجدين في محطة (روتنبرغ) أو

بمصير سكان مستعمرة كاليه ومنشآت البوتاس الواقعة عند الطرف الشمالي للبحر الميت. بل كانت قيادة الجيش ترسل تعليماتها إلى المتصرف وقائد الشرطة في المنطقة المختصة بها فمثلاً كان لقيادة الفرقة تدخل جانبي بالإشتباك الذي وقع مع مستعمرة (غيشر) لأن إحدى سرايا الكتيبة الرابعة إشتركت بهذه المعركة. ولكنها لم تكلف بأي دور فيما يتعلق بالاتصالات التي تمت مع حراس محطة (روتنبرغ) لإبلاغهم إنذاراً بتسليم أسلحتهم ثم ليعودوا بعد ذلك إلى فلسطين، ولا بالاتصالات التي تمت لتقرير مصير سكان مستعمرة (كاليه) .

ولكن الغريب أن هذه التصرفات كانت تحصل من قبل قيادة الجيش بمعزل عن قيادة الفرقة مع أنهم جميعهم إنجليز سواء كان ذلك بالنسبة لقائد الجيش أو قائد الفرقة وضباط أركانهم الرئيسيين. ولكن يظهر أن كلوب باشا كان يحب أن يحتفظ بالقضايا السياسية لنفسه ويبعد الضباط الإنجليز عنها. وبهذا الصدد أذكر أنى سألت الركن الأول وكيل القائد جون داونز لماذا لا نخلي سكان مستعمرة نهرايم ومشروع (روتنبرغ) ما دامت أنها تقع بداخل حدودنا وننقلهم إلى معسكر أسرى الحرب ونترك سرية مشاة لحراسة هذه الأماكن فقال لي : (كما تعرف فإن هذه المنطقة داخلة ضمن الجبهة العراقية وليس لدينا فائض من القوات لتوزيعها بهذا الشكل. وما دامت القوات العراقية سوف تتقدم من هذا المحور فإنها سوف تؤمن الدفاع عنها. ولقد كان هذا الجواب غير مقنع ولكني لم أكن أملك التأثير فيه) .

وأما مصير سكان المستعمره فإن قيادة الجيش مع الحكومة تتولى تقرير مصيرهم ولم أكن في ذلك الحين قد علمت شيئاً عن ما ظهر فيما بعد من اتفاق حول تسليم مستعمرة كاليه مقابل السماح لسكانها بمغادرتها. ولكني أذكر اننا ناقشنا موضوعها وسألت وكيل القائد داونز فيما إذا كنا سوف نحتل هذه المستعمرة عندما ندخل فلسطين لكي لا نتركها خلفنا. فقال أعتقد أن هنالك ترتيباً خاصاً بشأنها. وهي على أي حال خارج نطاق مسؤوليات قيادة الفرقة. وأما ما حصل فعلاً فهو أن متصرف اربد نقل إنذاراً من الحكومة الأردنية إلى المسؤول عن اليهود الموجودين في محطة روتنبرغ يطلب منهم تسليم اسلحتهم والعبور إلى فلسطين على أن يبقى الفنيون المسؤولون عن تشغيل المحطة بدون سلاح. وقد وافق اليهود على هذه الشروط وسلموا اسلحتهم. ولكن بعد ذلك غادر جميع سكان المستعمرة أثناء الليل بصحبة مختار المستعمرة عبر النهر إلى مستعمرة (غيشر) القريبه والتي تقع على الطرف الغربي من النهر. أما مستعمرة كاليه فقد كان أمرها يختلف حيث أنها تقع بداخل حدود فلسطين وقد سمعنا أن قائد الجيش الفريق كلوب كان قد عقد اتفاقاً مسبقاً مع مدير شركة البوتاس ينص على تجريد اليهود من السلاح ثم نقلهم بعد ذلك إلى تل أبيب بواسطة منظمة

الصليب الأحمر الدولي. ولكن عندما أرسلت قيادة الجيش ضباطاً ليقوموا باستلام أسلحة اليهود وجدوا أنهم قد غادروا المنطقة في الليلة السابقة بالقوارب عبر البحر الميت إلى مستعمرة عين جدي الواقعة عند طرفه الجنوبي بعد أن حجزوا جميع العمال العرب بداخل البيوت وأقفلوا أبوابها عليهم .

وبهذه الأثناء كانت جميع الخطط للحركة إلى فلسطين قد انجزت وأصدرت قيادة الفرقة الأمر الحربي رقم ٤٨/٣ المؤرخ في ١٢ أيار ١٩٤٨م والذي بموجبه دخلت قوات الجيش العربي إلى فلسطين الوسطى وتمركزت فيها. وهو يشير بوضوح إلى أن الجيش العربي سوف يدخل إلى فلسطين وتتخذ وحداته مواقع دفاعية على طول الخطوط التي تم تحديدها ضمن نطاق حدود التقسيم التي وضعت بناء على قرار هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧م .

وبنفس الطريقة كان دخول باقي الجيوش العربية كل الى المنطقة المخصصة له . وبهذه الأيام الأخيرة قبل بدء العمليات الحربية كان قد تقرر بموجب الخطة نسف بعض الجسور في منطقة المجامع لإعاقة تقدم القوات اليهودية عبر هذه الجسور إلى شرقي الأردن عند نشوب الحرب. وقد ذهبت والركن الأول للعمليات وكيل القائد جون داونز وأخذنا معنا فئة هندسة ميدان إلى جسر المجامع ليلة ١٣/١٢ أيار عام ١٩٤٨م لتنفيذ هذه العملية. وفور وصولنا باشرت فئة الهندسة بوضع المتفجرات في الطرف الشمالي من جسر المجامع المؤدي إلى طبريا وجسرين آخرين إلى الجنوب منه .

وقد استغرقت هذه العملية معظم ساعات الليل وانتهت عند الفجر فقمنا بوصل أسلاك التفجير فحدث دوي هائل سمع من مسافات بعيدة حيث كنا قد رتبنا وصل جميع المتفجرات لتنفجر دفعة واحده. ثم غادرنا الموقع على الفور وعدنا إلى المفرق. وقد دمرنا جميع الجسور ما عدا جسر المجامع الرئيسي حيث تركناه لكي تستخدمه القوات العراقية عند تقدمها. وعندما وصلنا الى معسكرنا بدأنا بتحميل قيادة الفرقة بسيارات القتال استعداداً للحركة إلى منطقة الحشد غربي بلدة الشونة الجنوبية في غور الأردن .

كما بدأت قيادات الألوية والكتائب والأسلحة الاسنادية بتحميل معداتها كذلك. وقد كانت حركة تشكيلات الفرقة الى مواقعها في فلسطين على مرحلتين كالآتى :

- **المرحلة الأولى :**

الحركة من المعسكرات الرئيسية إلى منطقة الحشد .

بدأت حركة جميع القوافل بالساعة الثامنة صباح يوم الجمعة ١٤ أيار عام ١٩٤٨م.

١ ـ اللواء الأول : في المقدمة. وقد بدأ حركته من منطقة معسكرات (خو) شرقي الزرقاء على النحو التالي.

الكتيبة الأولى تليها قيادة اللواء ثم الكتيبة الثالثة.

٢ ـ قيادة الفرق الرئيسية ومعها وحدة لاسلكي الفرقة تليها المشاغل الميكيانية.

وقد كنت مسؤولاً عن هذه القيادة حيث كنت أدير شبكة الاتصالات والسيطرة من سيارة القيادة وعلى اتصال مستمر مع جميع قيادات الألوية والكتائب وباقي الوحدات حيث كانت كل وحدة تبلغني عن وصولها إلى نقاط التبليغ المحدده لها بموجب أمر العمليات فأدون توقيت إبلاغها لأحكام السيطرة على حركة تلك القوافل وللتأكد من آن جميع أجهزة الاتصال تعمل باستمرار وبشكل منتظم.

٣ ـ اللواء الثالث : في المؤخرة ـ وقد بدأ حركته من معسكره في مدينة اربد وكان ترتيب حركته على النحو التالي.

الكتيبة الثانية تليها قيادة اللواء وبعد مرورها من معسكرات الفرقة لحقت بها قافلة الكتيبة الرابعة التي كانت تعسكر هناك منذ تشكيلها.

٤ ـ قيادة الفرقة التكتيكية : تحرك معها قائد الفرقة والركن الأول في السيارات المخصصة لها ومعها شبكة اتصالات منفصلة لتوفر لهما الاتصال المستمر مع جميع الوحدات أثناء الحركة لكي يتمكنا من مواكبة تحركات جميع قطعات الفرقة .

كان طريق سير هذه القوافل يمر عبر الزرقاء إلى عمان ثم من خلف القلعة الى السلط وعن طريق وادي شعيب الى الشونه الجنوبيه حيث توجهت كل وحده حال وصولها إلى المكان المخصص لها لكي تعسكر فيه تلك الليلة .

وصلت مع قيادة الفرقة الرئيسية الى الشونة بعد الظهر وكانت جميع وحدات اللواء الأول قد وصلت إلى مواقعها. وعندئذ انضم قائد الفرقة مع القيادة التكتيكيه الينا بعد أن أنهى جولة على قيادات الألوية والكتائب. ثم وصلت قوافل اللواء الثالث وتمركزت في مواقعها

وحوالي الساعة الخامسة بعد الظهر وصل جلالة الملك عبدالله وبمعيته السيد عبد الرحمن عـزام (الأمين العـام لجـامـعـة الدول العربية). وقائد الجيش الفريق كلوب حيث قام جلالته بزيارة قـيـادات الألوية والكتـائب في مـواقع تحشدها. وقد ألقى في كل موقع كلمة تشجيعية للجنود والضـبـاط كـانت تثير حماسـهم جميـعـاً وتزيدهم تصميمًا على التضحية والفداء في سـاحات القتال في معركة فلسطين التي كانوا يتحرقون شوقاً لخوض غمارها في اليوم التالي وما زلت أذكر بعضاً من كلماته التي قال فيها : (أنتم ذاهبون لنصرة أخوانكم في فلسطين في وجـه العـدوان الصـهـيـونى على وطنهم فـمن مات منكم فهو شهيد ومن عاش فهو سعيد. ولتحافظوا على اعلامكم خفاقة بإذن الله. وفقكم الله وجعل النصر حليفكم) .

وقد ألقى عبدالرحمن عزام كلمة في أحد المواقع بعد ان انهى جلالة الملك كلمته وقال فيها: (إن إخـوانكم في الجـيوش العربية من مصر وسوريا والعراق ولبنان سيتقدمون غداً لخوض الحـرب مـعكم وسـتـتـمكنون جميـعـاً بعون الله من دحر العدو ... الخ. ثم قال إن شاء الله سنتـقـابل في تل أبيب بعد أسبوع). ولا أدري لماذا قال عبدالرحمن عزام هذا الكلام وهو أول من يعـرف ان الجـيـوش العـربيـة لن تدخل هذه الحرب ضمن خطة عامة مدروسه ومهيأة مـسـبـقـاً حسب القـواعـد العـسكرية الصحيحة. بل ان كل جيش سيتقدم الى المنطقة التي خـصصت له فقط وبشكل مستقل عن الآخرين وبالقوات التي يستطيع توفيرها. وإن القيادة العامة التي شكلت قبل بضعة أيام فقط ليس بمقدروها وضع الخطط اللازمة وتوفير القوات الضرورية لتحقيق مثل هذا الهدف .

وكـيف سـتستطيع الجيوش العربية التي دخلت إلى فلسطين أن تدمر قوات العدو المقاتلة وهي لا تعـادل أكـثـر من نصف تلك القـوات المعـادية عندما بدأت المعركة ولا تسيطر عليها قـيـادة واحـدة ولا تعمل ضمن خطة عمليات عامة مبنية على استراتيجية صحيحة. بل تقدم كل جـيش الى فلسطين وهو يخضع لأمـرة قـيادته في بلده وكأنه يخوض هذه المعركة لوحده وبمعزل عن الآخرين .

وفـوق كل هدا وذاك فقد كان السيد عبدالرحمن عزام أول من يعرف أن الجامعة العربية كـانت قـد قـررت دخـول الجيوش العربية لحماية المناطق العربية من فلسطين ضمن حدود التـقـسـيم وللمحافظة على الأمن والنظام الذي انهار على إثر قرار بريطانيا انهاء انتدابها على فلسطين. لكن لربما دفـعه الحماس ليقول لنا هذا النوع من الكلام من قبيل التشجيع في مثل هذه الحرب السياسية الفريدة في نوعها .

● **المرحلة الثانية :**

عند حلول فجر يوم السبت ١٥ أيار ١٩٤٨م بدأنا المرحلة الثانية من تقدمنا إلى فلسطين

عندمـا بدأت قـوافلنا تعبر جسر اللنبي (جسر الملك حـسين) وقد كانت طريق تقدمنا تمر من اريحا إلى الجـفـتلك ثم تتـجه غرباً عبر وادي الباذان إلى نابلس ومنها جنوباً إلى رام الله ومن ثم إلى منطقة مرتفعات القدس. وقد كان ترتيب عبور قوافل الألوية كالآتى :

أولاً . ـ اللواء الثالث ـ إلى منطقة رام الله ومرتفعات القدس .

١ ـ الكتـيـبـة الرابعـه ـ في المقدمة وقد بدأت عبور الجسر في الساعة الرابعة والنصف صباحاً ثم تبعتها قافلة قيادة اللواء.

٢ ـ الكتـيـبـة الثـانيـة ـ خلف قيادة اللواء مباشرة وتتبعها سرية المدرعات ثم بطارية المدفعية .

ثانياً : ـ قيادة الفرقة التكتيكية ـ وتتحرك منفصلة .

ثالثاً : ـ اللواء الأول ـ إلى منطقة نابلس .

١ ـ الكتـيـبة الأولى ـ في المقدمة وقد بدأت عبور الجسر بالساعة السادسة صباحاً ثم تبعتها قيادة اللواء.

٢ ـ الكتـيـبـة الثـالثـة ـ خلف قـيـادة اللواء مـباشرة تتبعها سرية المدرعات وبطارية المدفعية.

رابعاً : ـ قيادة الفرقة الرئيسية : وقد عبرت الجسر بالساعة السابعة صباحاً .

لقـد كـان عـبور هذه القوافل جميعها عن طريق خانق وادي الباذان خلال ساعات النهار يشكل خطورة كـبيرة حـيث أن هذه القوافل الطويلة كانت هدفاً واضحاً ومغرياً لسلاح الجو المعادي لا مثيل له .

وبهذه المناسـبـة تحضرنى واقـعـة قـيـام سـلاح الجو البريطانى الذي كان تابعاً لجيش الجنرال اللنبي في الحـرب العالمية الأولى بتدمير الألوية التركية المنسحبه عبر نفس هذا الوادي حـيث كـان من غير الممكن أن تسـتطيع الخروج عن الطريق والانتشار بالسرعة الكافية. فما الذي يمنع من تكرار نفس العـمليـة على نطاق واسع. لاسـيما وان الطائرات أصـبحت أحدث وأكثر فتكاً. ونحن منقولون بالسيارات التي يستحيل عليها الخروج عن الطريق الذي يحاذيه من اليـمين سـفح الجبل ومن اليسار انحدار الوادي. ولكن كون أن العدو لم يكن لديه سلاح جـو فـعـال بهذه المرحلة المبكره من الحرب كان هو العامل الوحيد الذي انقذ قوافلنا هذه من التـدمير وهو السـبب الرئيسي الذي جعلنا نقبل بهذه المخاطرة ونتحرك على هذا الطريق أثناء النهـار حـيث أن اليـهـود كما هو مـعـروف لم يتـمكنوا من الحـصول على الطائرات المقاتله

والقـاذفه إلا أثناء فترة الهدنه الأولى عن طريق تشيكوسلوفاكيا. وكل ما كان متوفراً لديهم في بداية القـتال عبارة عن عدد محدود من طائرات الاستطلاع الخفيفة استعملوها في وقت لاحق لالقـاء بعض القنابل المصنوعـة محليـاً على شكل اسطوانات صغيرة كانوا يلقونها على منطقة الهدف باليد ولم يكن لها فعالية تذكر .

وعند وصـول تشكيـلاتنا إلى المنطقـة المخـصـصـة لها تمركزت في المواقع الآتية : (انظر الخارطة رقم ٢)

أولاً ـ قـيـادة اللـواء الأول ـ في مستنبت (عسكر) شرق مدينة نابلس.

الكـتـيـبـة الأولى ـ في قـرية دير شرف المسـيطرة على مـثلث طريق نابلس ـ جنين وتمركزت سراياها في المواقع الآتية :

السرية الأولى ـ في قلقيليه

السرية الثانية ـ في طولكرم ومنها نقاط أمامية في شويكه وباقه الغربيه

السرية الثالثة ـ في منطقة دير شرف

بطارية المدفعية الثانية ـ في منطقة قرية ذنابه شرق طولكرم

الكـتـيـبـة الـثـالـثـة ـ بالاحتياط في قرية حواره

سرية المدرعـات الأولى ـ عندما تلتحق من حرس القوافل تتمركز عند قيادة اللواء

ثانيـاً ـ قيادة اللواء الثالث ـ في قرية بيتونيا ـ جنوب غرب رام الله.

الكـتـيـبـة الـثـانيـة ـ قـيـادة الكتـيبة ومعها السرية المسانده وسرية القياده في قرية بدُّو :

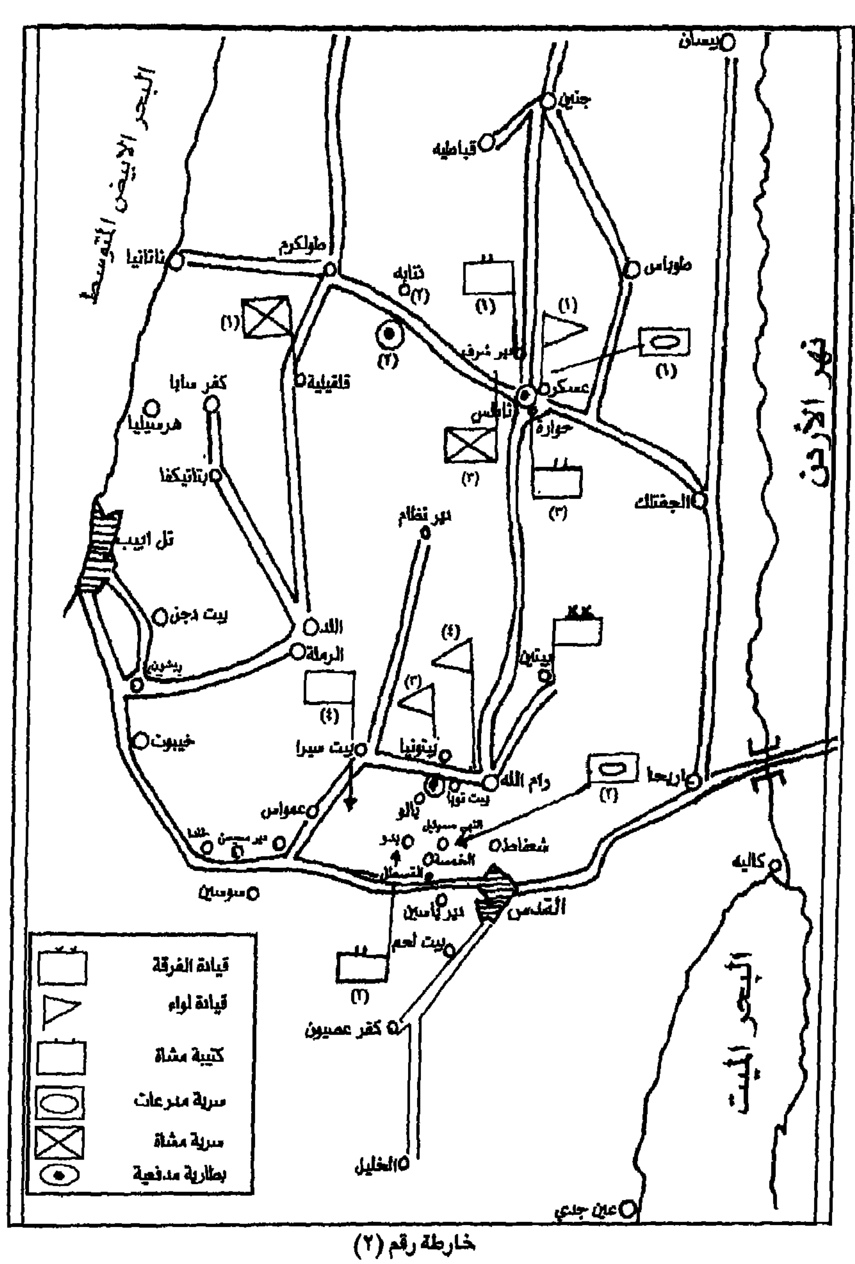
تكون الكتيبة مسؤولة عن مرتفعات القدس الغربية شرق منطقة اللطرون. وقد تمركزت سراياها في المواقع الآتية .

السرية الأولى ـ في قرية القبيبه

السرية الثانيه ـ في مرتفع النبي صموئيل

السرية الثالثه ـ في قرية (بدُّو)

سرية المدرعـات الثـانيـة ـ خلف مـرتفع النبي صموئيل وترتبط بامرة قائد اللواء مباشرة



خارطة رقم (٢)

توزيع وحدات الجيش العربي في فلسطين يوم ١٥ مايس ١٩٤٨م

الكتيبة الرابعة ـ قيادة الكتيبة مع السريه المسانده وسرية القياده بين قريتي دير نظام وخربثا في سفح المرتفعات الى الشمال الشرقي من اللطرون وقد تمركزت سراياها في المواقع الآتية :

السرية الأولى ـ في منطقة دير نظام

السرية الثانية ـ شرق قرية خربثا

السرية الثالثة ـ مثلث بيت سيرا

بطارية المدفعية الأولى ـ بمنطقة الجيب وترتبط بامرة قائد اللواء مباشرة

ثالثاً ـ قيادة الفرقة – في منطقة قرية بيتين الى الشمال الشرقي من مدينة رام الله.

رابعاً ـ قيادة اللواء الرابع – بقيت في مكانها بمدينة رام الله.

خامساً ـ الكتيبة السادسة – بمنطقة أريحا ـ الجفتلك لحماية خطوط المواصلات الخلفية للفرقة.

هكذا كان توزيع كتائب الجيش العربي يوم ١٥ أيار عام ١٩٤٨م بحيث كانت مسؤولية اللواء الأول الدفاع عن منطقة نابلس. وكانت احدى كتائبه موزعة على المراكز الأمامية والكتيبة الاخرى متجمعة في الاحتياط. وكانت مسؤولية اللواء الثالث الدفاع عن رام الله ومرتفعات القدس الغربية. وكانت احدى كتائبه موزعة على المواقع الامامية في مرتفعات (النبي صموئيل ـ بدُّو) والكتيبة الأخرى متمركزه في الاحتياط خلف مواقع (اللطرون ـ بيت سيرا). ولما لم يكن لدى الجيش العربي أي قوات احتياطية مهمة فقد كان هذا الخط الدفاعي الطويل يعتبر واهياً في كل المقاييس العسكرية. ولكنه كما ذكرت سابقاً فقد كانت نظرية قائد الجيش وقائد الفرقة وقادة الألوية هي أن هذه القوات ارسلت لحماية المنطقة العربية داخل حدود التقسيم. وان هذا التوزيع كان بنظرهم أفضل توزيع لتحقيق هذه الغاية. وانه إذا قام اليهود بأي تعرض في إحدى هاتين المنطقتين يمكن لقائد اللواء أن يستعمل الكتيبة الاحتياطية لصد مثل هذا التعرض. ولكن لم يكن ممكناً أن ينظر كل الناس لهذا الموضوع بالمنظور السياسي. أو ان يقتنعوا بأن قوات الجيش العربي لا تستطيع التعرض للعدو على نطاق واسع على الرغم من أن حجمها كان عبارة عن أربعة كتائب مشاة فقط. ولذلك فسرعان ما أحدث هذا التوزيع تذمراً بين الجنود والضباط العرب حيث كنا جميعاً تواقون للإشتباك مع العدو

بمجرد دخولنا إلى فلسطين بأي شكل من الأشكال وليكن ما يكون. ولكن قيادة الجيش كانت ترى انه ليس بالإمكان التعرض للقوات اليهودية بهذه الكتائب الأربعة وبنفس الوقت حماية تلك المناطق الشاسعة التي تمركزت فيها .

وعلى أي حال فإن أكثر التساؤلات كانت منصبة على عدم تقديم الكتيبة الرابعة إلى الخط الأمامي في منطقة اللطرون ومرتفعات باب الواد التي كانت تتمركز فيها قوة من جيش الانقاذ وانسحبت منها قبل وصول الكتيبة الرابعه بوقت قصير ولم يبق في اللطرون سوى فئة مشاة من السرية الحادية عشر من سرايا الحامية وبعض المناضلين ولهذا فقد أصبح وضعها خطيراً لاسيما وأن دوريات اليهود أخذت تتسلل الى بعض هذه القرى الأمامية لتكتشف حجم القوات المدافعه عنها. حيث دخلت إحدى هذه الدوريات الى قرية دير أيوب وتمكنت من نسف عشرة منازل ثم انسحبت. كما تقدمت دورية أخرى إلى اللطرون واصطدمت مع المناضلين المدافعين عنها ولكنهم أجبروها على الإنسحاب. ورغم هذا فقد بقى قائد الجيش وقائد الفرقة مترددين في أمر السماح بتوزيع الكتيبة الرابعة على المواقع الأمامية في اللطرون وباب الواد وترك اللواء الثالث بدون احتياطي .

وقد كان هذا التردد يشكل مجازفة خطيرة حيث كان من السهل على اليهود احتلال تلك المواقع بهجوم خاطف وعندئذ سيصبح من الصعب على الكتيبة الرابعه إخراجهم منها بعد أن يكونوا قد تثبتوا فيها .

وعلى أي حال فسوف نتكبد ضحايا كثيرة في عملية استردادها وهذا أمر يمكن أن نتحاشاه لو وزعنا الكتيبة الرابعة على المواقع الأمامية فوراً لاسيما وأن المجازفة بترك اللواء الثالث بدون احتياطي تعتبر أقل خطورة من ترك هذا القطاع المهم من الخطوط الأمامية خال من القوات نهائياً. وخصوصاً ونحن نعرف أن هذه الحرب هي حرب دفاعية محضة. وكذلك الأمر بالنسبة لمدينة القدس حيث ما زالت التعليمات تقضي بعدم التدخل فيها لعدم توفر قوات كافية لمثل هذه العمليه. وقد أصبح الوضع في غاية الخطورة خلال هذه الأيام الثلاثة الأولى من الحرب. ففي صباح يوم ١٤ أيار غادر المندوب السامي البريطانى البريطانى مدينة القدس واخلت القوات البريطانية جميع معسكراتها في المدينة قبل ذلك واحتلت قوات الهاغاناه والبالماخ اليهودية هذه المواقع في اعقابهم حيث تسلمت منهم مجمع الدوائر الحكوميه ومبنى البريد ومعسكر العلمين تسليمًا علنياً وكأنها قوات تابعه إلى دولتين صديقتين وتقومان بتسليم تلك المواقع لبعضهما بشكل رسمي مع أن دولة اسرائيل لم تكن قد أعلنت بعد ولم يعترف بها أحد بذلك التاريخ. وكانت هذه الاعمال تعتبر من آخر فضائل الاستعمار البريطانى علينا وطعنة لنا في ديارنا التي سلبوها علناً وسلموها لإعدائنا .

وفي يوم ١٥ أيار تمكنت القـوات اليـهودية من إحتلال معسكر اللنبي في القدس بعد قتال عنيف مع المناضلين العـراقـيين الذين انسـحبوا إلى داخل أسوار المدينة القديمة ... كما احتلت القـوات اليـهـودية كذلك وفي نفس اليوم المستشفى الايطالي ودير أبو طور وعمارة النوتردام بدون قـتـال لأنها كانت خالية من أي قوات. وفي يوم ١٦ أيار دار قـتال عنيف في حي (سعد وسـعـيـد). وحي المصراره. وتمكن اليهود من التغلب على مقاومة المناضلين العرب واستولوا عليها. ثم بعد ذلك تمكنت القوات اليهودية من الإستيلاء على حي الشيخ جراح والاتصال مع جبل سكوبس الذي تقع عليه مبانى الجامعه العبريه ومستشفى هداسا .

وفي يوم ١٧ أيار كـانت القـوات اليـهودية تحاصر المدينة القديمة من جميع الجهات وقد قطعت طريق الاتصـال بين القـدس ورام الله. أما قوات المناضلين التي كانت تقاتل في الأحياء الجديدة من القدس فقد انكفأت بكاملها إلى داخل الأسوار وأغلقت أبوابها وانتشرت تدافع من على هذه الأسـوار العظيـمـة التي كـان لها الفـضل في صـمـود هذه المدينة المقـدسة في وجه محاولات اليهود لاقتحامها .

وقـد كـان مجموع المناضلين بداخل الأسوار يقارب (١٥٠٠) ألف وخمسمائة مـقاتل من مخـتـلف الفئات. مـثل جـيش الانقـاذ والجـهـاد المقـدس والمناضلين الأردنيين والعـراقـيين والسـوريين وجنود البـوليس الفلسطيني السـابقين وغيرهم. ولكن فـعالية هذه القوات كانت محدودة لأنهم في غـالبـيتهم كانوا من المدنيين الذين لم يتلقوا اي نوع من التدريب العسكري ولم تكن لهم قـيادة واحدة تستطيع السيطرة على عملياتهم وتوجيهها بشكل فعال. بالإضـافة إلى أن كـمـيـات الذخائر المتوفرة لديهم كانت محدوده، وبهذه الاثناء تمكنت القوات اليهودية من فـتح فـجوة في السور من جهة الجنوب في باب النبي داوود وادخلت قوة من الهاغاناه الى الحي اليـهـودي الواقع بداخل البلده القـديمه بجوار منطقة الحرم الشريف لتقوية الدفاع عنه ورفع معنويات سكانه .

هكذا كـان الوضـع في القـدس حتى يوم ١٧ أيار ١٩٤٨م. أمـا في قـيادة الفرقة فقد كان وضعنا يومي ١٦، ١٧ أيار لا يزال مـائعـاً. ففي الشمال كانت وحدات الكتيبة الأولى مشتبكة مع العـدو في مـعـركـة بمنطقـة قلقـيلية وكفر سابا. والكتيبة الثالثة ما زالت في موقع حواره بالاحـتـيـاط. إلا أن قائد اللواء بدأ يستعد لاحتمالات تقدم قوات يهودية في جهات أخرى من منطقته .

وفي منطقـة اللواء الثـالث كـان قائد الكتيبة الثانية يستعد لاحتلال مرتفع الرادار المسيطر على أجـزاء من منطقـة دفاعات كتيبته. وكانت الكتيبة الرابعة ما تزال في مواقعها الخلفية ولم تشتبك مع العدو .

فماذا لو تمكنت القوات اليهودية من احتلال مدينة القدس بكاملها. فإنها عندئذ ستستطيع عزل جميع قواتنا في منطقة رام الله من الخلف. وقد أصبح هذا الاحتمال وارداً بشكل أوضح يوم ١٧ أيار حيث بدأ اليهود يهاجمون أسوار المدينة من الجنوب والغرب ويحاولون اختراق أبوابها. وأصبح السكان والمناضلين بداخلها بحالة حرجة للغايه. وأخذت صيحات طلب النجدة تنهال على عمان وتصل إلى جلالة الملك عبدالله بشكل متواصل .

وفي صباح يوم ١٧ أيار زارنا قائد الجيش في قيادة الفرقة واجتمعنا لبحث الموقف العام. وكنا في ذلك الوقت لا نعرف شيئاً عن موقف الجيوش العربية ولا نعرف حجم قواتها التي دخلت الى فلسطين ولا مواقعها الحالية سوى ما كنا نعرفه عن الجيش العراقي الذي كان لا يزال يخوض معركة عنيفه لاحتلال مرتفع كوكب الهوى المشرف على منطقة المجامع وما زال لم يحرز تقدماً كبيراً في هذه العملية . وبهذا الاجتماع برزت النقاط الآتية :

أولاً : ـ منطقة جنين ومعابرها الشمالية والجنوبية تعتبر مفتوحة أمام تقدم القوات اليهودية نظراً لخلو هذه المنطقة من أية قطعات عسكرية. وهذا يشكل خطراً على منطقة نابلس حيث يمكن لقوة رئيسية متقدمة من الشمال أن تطوي دفاعات اللواء الأول من ذلك الجناح وهذا معناه أن هذا اللواء لا يستطيع أن يستغني عن الكتيبة الثالثة التي هي القوة الاحتياطية الوحيدة لديه لكي يتمكن من مواجهة مثل هذا الاحتمال .

ثانياً : ـ المعبر المؤدي من دير قديس الى مثلث بيت سيرا ثم إلى رام الله واللطرون لا تتواجد فيه أية قوات على طول امتداده سوى سرية الكتيبة الأولى الموجودة في قلقيلية وهي في حالة اشتباك مع العدو في الوقت الحاضر والكتيبة الرابعة المتواجده في مواقعها جنوب شرق مثلث بيت سيرا خلف منطقة اللطرون وباب الواد والتي تعتبر في احتياط اللواء الثالث .

ثالثاً : ـ الوضع الراهن بداخل مدينة القدس أصبح خطيراً للغاية حيث كان اليهود بهذا التاريخ قد أحتلوا جميع أحياء المدينة خارج الأسوار بما فيها حي الشيخ جراح المسيطر على المداخل الشمالية للمدينة. كما أنهم اجتازوا باب النبي داوود واتصلوا مع الحي اليهودي بداخل الأسوار .

وبعد مناقشة كافة الاحتمالات كان الرأي الذي تم الإجماع عليه هو أننا لا نستطيع بهذا الوضع إجراء تغييرات كبيرة على المواقع الحالية لقواتنا. وكان قائد الجيش وقائد الفرقة ما زالا مصرين على أننا لا نستطيع دخول مدينة القدس لأن هذه العملية تحتاج إلى قوات كبيرة ليست متوفرة لدينا. وعلى أي حال فإن قائد الجيش لا يزال يتوقع ان تتمكن اللجنة

القنصلية التابعة الى هيئة الأمم المتحدة من التوصل الى عقد هدنة في المدينة. ولهذا فقد أمرنا بأن نرسل سرية واحدة من الكتيبة الرابعة إلى اللطرون ونترك باقي وحداتها في مواقعها الحالية .

وبهذه الاثناء وصلت برقية من الديوان الملكي موجهة الى قائد الجيش يبلغوه فيها بأمر جلالة الملك أن يرسل قوة بإتجاه القدس بقصد تهديد اليهود لعلهم يقبلون بالهدنة بالقدس. وبعد قليل وصلت برقية أخرى من وزير الدفاع يشرح فيها وضع القدس الحرج ويشير الى أن جلالة الملك قلق للغاية وانه ينتظر منا عملاً سريعاً بإرسال قوة بإتجاه القدس لتخفيف الضغط عن العرب فيها. وعندئذ أمرنا قائد الجيش بأن نرسل سرية من اللواء الرابع لاحتلال مستعمرة عثاروت عند مطار قلنديا ومستعمرة النبي يعقوب على طريق القدس - رام الله شمال قرية شعفاط. وان نضع فئة مدفعية ميدان خلف قرية بيت حنينا استعداداً لقصف مدينة القدس. كما أمر أن يقوم قائد الكتيبة السادسة بتحريك سرية من كتيبته من الغور إلى جبل الزيتون بنفس الليلة لكي تدخل القدس القديمة في اليوم التالي لتعزيز قوات المناضلين فيها. فقام قائد الكتيبة بتحريك سرية الأمن الأولى لهذه الغاية. وقد تمت جميع هذه التحركات مساء يوم ١٧ أيار. فاحتلت سرية اللواء الرابع مستعمرة عتاروت بسرعة ومن ثم تقدمت نحو مستعمرة النبي يعقوب وعند وصولها وجدت أن اليهود قد هجروها ولم يبق فيها أحد. فتوقفت هناك بانتظار التعليمات .

وفي صباح اليوم التالي ١٨ أيار عاد قائد الجيش لزيارتنا وكانت سرية الأمن الأولى قد دخلت القدس. وأثناء هذا الاجتماع قرر تحريك باقي سرايا الكتيبة الرابعة لاحتلال المواقع الأمامية بين اللطرون والتلال الشرقية حتى قرية (يالو). كما أمر بتحريك سرية أخرى من الكتيبة السادسة الى القدس القديمة. ولكنه بقي مصممًا وبالاتفاق مع قائد الفرقة على عدم زج قوات الجيش بداخل الأحياء السكنية في القدس الجديدة نظراً لإتساع تلك المناطق ولأن عمليات القتال في الشوارع تحتاج إلى قوات كبيرة غير متوفرة لدينا. وأن أي قوات نستطيع توفيرها ضمن امكانياتنا المحدودة ستضيع في تلك الأحياء وتستهلك بسرعة. وهذا أمر بحد ذاته سيشكل خطراً على جميع مواقعنا الدفاعية لأنه سيفقدها تلك القوات التي ستتطلبها ضرورة الدفاع عنها. ناهيك عن حرمانها من أية قوات إحتياطية مهما كان حجمها لأننا سنكون قد استوعبناها في مدينة القدس. ولكن على الرغم من كل هذه التحليلات فإنه لا يمكن التغاضي عن ان الوضع في القدس كان حرجاً وخطيراً، وبهذه الاثناء وقبل الاجتماع مع قائد الجيش حضر من القدس السيد منير ابو فاضل قائد إحدى مجموعات قوات المناضلين فيها وابلغنا ان الوضع الدفاعي فيها أصبح الآن في غاية الخطورة. وأنه مالم تدخل قوة من

الجيش العربي الى أحياء الشيخ جراح وباب العمود لتخفيف الضغط عن البلدة القديمة فإنها قد تسقط خلال يوم أو يومين. لاسيما وان اليهود استطاعوا ان يدخلوا قوة من البالماخ من باب النبي داوود لتعزيز الدفاع عن الحي اليهودي الملاصق لمنطقة الحرم الشريف. كما اخبرنا ان وفداً من وجهاء المدينة ذهب إلى عمان لمقابلة الملك عبدالله لطلب النجده . وبنفس الوقت وصلت برقية من وزير الدفاع موجهة إلى قائد الجيش يبلغه بأن جلالة الملك يأمر بأن تدخل قوات الجيش إلى القدس حالاً. ومع ذلك فإن قائد الجيش لم يتخذ قراراً نهائياً حول هذه المسألة وعاد بعد الاجتماع إلى عمان. وعندئذ قمنا بإصدار تعليماتنا إلى قائد اللواء الثالث لتحريك باقي سرايا الكتيبة الرابعة إلى مواقعها الجديدة وتمت حركتها مساء نفس اليوم ١٨ أيار وبعد وصول قائد الجيش الى عمان وصلتنا منه برقية عاجلة يطلب منا تجهيز قوة كافية لاحتلال منطقة حي الشيخ جراح والتقدم منها الى باب العمود والاتصال مع البلدة القديمة لتأمين حماية دفاعاتها من تلك الجهة. على أن يبدأ تنفيذ هذه العملية عند فجر اليوم التالي ١٩ أيار. كما أمر بإدخال ما تبقى من الكتيبه السادسة الى البلدة القديمة بنفس الوقت. وهذا معناه أنه لم يبق أمامنا سوى بضعة ساعات لوضع الخطة وتحضير القوات اللازمة وبدء الهجوم في الموعد المحدد. وبهذه الحالة لن تتاح الفرصة لقادة الوحدات لإجراء الكشف اللازم على ساحة المعركة وأهدافها. وهذه مجازفة علينا قبولها نظراً لخطورة الموقف. ولكن لو أن قائد الجيش اتخذ هذا القرار في الصباح لكان الأمر أسهل بكثير. ولأنه لم يكن لدينا أية قوة احتياطية سوى الكتيبة الثالثة الموجودة في نابلس وهذه يصعب الاستغناء عنها حالياً فلم يبق أمامنا سوى أن نسحب معظم وحدات الكتيبة الثانية من الخط الدفاعي غرب القدس ونضيف اليها بعض سرايا المشاه التابعة إلى اللواء الرابع في رام الله. وكان هذا الإجراء هو أقل المجازفات خطورة في وضعنا الراهن آنذاك

وبعد بحث سريع للموقف قررنا تشكيل قوة مختلطة يقودها قائد الكتيبة الثانية الكولونيل (سليد) لتنفيذ الهجوم. ثم طلبنا قائد الكتيبة الحضور للإجتماع في قيادة الفرقة. وبنتيجة البحث تقرر تأجيل عملية الهجوم على تلة الرادار. (التي كان مقرراً تنفيذها في اليوم التالي). وسحب السرية الأولى التي كانت متمركزة في قرية القبيبه. وسحب السرية الثالثة من مرتفع (بدو) للإشتراك بهذا الهجوم. ثم بعد ذلك ذهبت أنا والركن الأول للإجتماع مع قائد اللواء الرابع في رام الله وبحثنا معه الخطة وطلبنا منه تحضير سريتي مشاه حالاً لضمهما الى قوة الكتيبة الثانية في عملية الهجوم على الشيخ جراح والتي سوف تتحرك إلى منطقة الحشد خلال ساعة واحدة. وبنفس الوقت أوعزنا إلى قائد اللواء الأول أن يحرك سرية المدرعات الاولى وسرية مشاه مع حظيرة مورتر ٣ انش فوراً الى قيادة الفرقة لتكون قوة

احـتـيـاطيـة لدعم الهجـوم. وعلى هذا الأسـاس اصبحت القوة التي تم تجهيزها لتنفيذ هذه العملية كما يلي ·

أولاً : ـ القوة المختلطة التي ستنفذ الهجوم تتكون من العناصر الآتية :

قائد القوة ـ وكيل القائد سليد

سرية المشاة الأولى من الكتيبة الثانية ـ بقيادة الملازم عباطه عيد

سرية المشاة الثالثة من الكتيبة الثانية ـ بقيادة الملازم رفيفان خالد

سرية المدرعات الثانية من اللواء الثالث ـ بقيادة الملازم حمدان الصبيح البلوي

مجموعة الاسلحة المساندة ـ ٤ مدافع مورتر (٣ انش)

٦ رشاشات متوسطة (فكرز)

٤ مدافع ضد الدروع (٦ رطل)

مجموعة اللواء الرابع ـ بقيادة وكيل القائد عبد الحليم الساكت. وتتكون كما يلي ·

سرية المشاة التاسعة ـ بقيادة الرئيس سليمان مسعود

سرية الأمن الثانية ـ بقيادة الرئيس محمد خلف العمري

السرية الرابعة ناقص فئه ـ بقيادة الملازم أحمد الفياض الضرغام

ثانياً . ـ وضعت بطارية مدفعية ٢٥ رطل بقيادة وكيل القائد محمد المعايطه لاسناد الهجوم

ثالثاً · ـ سرية المشاة الثامنة ـ تلتحق بأمرة قائد الكتيبة السادسة في البلدة القديمه

رابعاً : ـ سرية المشاة السادسة ـ تتمركز في جبل الطور بانتظار أوامر أخرى

خامساً : ـ القوة الاحتياطية ـ تتجمع في قيادة الفرقه وتتكون من الوحدات الآتية ·

سرية المدرعات الاولى من اللواء الأول ـ بقيادة الملازم زعل الرحيل

سرية المشاة الثالثة من الكتيبة الأولى ـ بقيادة الملازم عواد حامد

مجموعة الاسناد : ٤ مدافع مورتر (٣ انش) + ٤ مدافع ضد الدروع (٦ رطل)

وقد كتبنا خطة هذه العملية وأمر المعركة استناداً إلى المرتكزات الآتية :

١ ـ بعـد تكامل وحـدات الكتـيـبة السادسة بداخل الأسوار يصبح قائد الكتيبة مسؤولاً عن الدفـاع عن المدينة القـديمـة بكاملهـا بما لديه من قـوات كـتـيبته والمناضلين المتواجدين بداخلها

٢ ـ بعد ان يحتل قائد القوة المختلطه منطقة الشيخ جراح وحي المصراره ويتصل مع باب العمود عليه ان يركز دفاعاته بهذه المناطق لكي يشكل حماية لدفاعات المدينة القديمة من خارج الأسوار .

٣ ـ يكون الإشراف العام على جميع العمليات بداخل الأسوار وخارجها لقيادة الفرقة .

ومن أبرز النقاط التي بني عليها أمر المعركة الذي سلمناه إلى قائد القوة المختلطة ما يلي .

١ ـ تحتشد القوة المختلطة في منطقة مطار قلنديا .

٢ ـ خط البدء في المرتفع الواقع جنوب شعفاط والمطل على حي الشيخ جراح مباشرة .

٣ ـ تنفذ العملية على مرحلتين كما يلي :

أ) المرحلة الأولى ـ احتلال حي الشيخ جراح بكامله .

ب) المرحلة الثانية ـ احتلال حي المصراره والاتصال بباب العمود .

٤ ـ بعد تنفيذ المرحلة الثانية تتمركز القوات المهاجمة في الدفاع في جميع هذه المناطق وتشكل خطاً دفاعياً متواصلاً في مواجهة خطوط العدو يمتد من باب العمود إلى الشيخ جراح (مشمولاً) .

٥ ـ بعد انجاز عملية الهجوم يتم الاتصال والتنسيق بين قائد القوة المختلطة وقائد الكتيبة السادسة لتأمين التعاون والمساندة بين قواتهما لتحقيق تكامل الدفاع عن المدينة القديمة والأحياء العربية خارج الأسوار .

كيفية تنفيذ معركة الشيخ جراح :

تم تجميع القوة المختلطة في منطقة الحشد عند مطار قلنديا قبل منتصف الليل. وكان قائد الكتيبة الثانية قد وضع خطته للهجوم استناداً إلى أمر المعركة الذي اصدرناه من قيادة الفرقة لهذه العملية وقام بإصدار أوامره التفصيلية الى قادة الوحدات في قسم الأمر للهجوم وكان ترتيب حركة القوة وتنفيذ المعركة كما يلي :

١ ـ تتقدم سرية المدرعات في الطليعة لتقود الهجوم وتتبعها سرايا الكتيبة الثانية والأسلحة المسانده ثم تليها سرايا اللواء الرابع .

وكانت الخطة تنص على أن تقوم سرية المدرعات وسرايا الكتيبة الثانية بإقتحام منطقة الشيخ جراح واحتلالها في المرحلة الأولى. ثم تتقدم سرايا اللواء الرابع من خلالها لكي

تلحق بسرية المدرعـات في تقـدمـهـا لاحـتـلال حي المصراره والوصـول إلى باب العـمود والاتصال مع الكتيبة السادسة في المرحلة الثانية .

ويلاحظ هنا أننا كنا نسـتـخـدم المدرعـات للقيام بدور الدبابات رغم انها لا تناسب هذه المهمات تماماً ولكن هذا كل ما كان متوفراً لدينا من الدروع في تلك الأيام .

٢ ـ عند الفـجـر تقـدمت القـوة من منطقـة الحـشد الى منطقة قرية شعفاط. وبتمام الساعة (٣,٤٥) الثـالثـة والدقـيـقة الخامسة والأربعين من صباح يوم ١٩ أيار ١٩٤٨م قطعت سرية المدرعات خط البدء وتبعتها سرايا الاقتحام حسب ترتيبها بالخطة .

كـان تقـدم هذه القـوة بأرض مكشوفة قبل الوصول الى منطقة البنايات في الشيخ جراح. وبهذه الاثناء تعرضت الى نيران كثيفه متقاطعة من الرشاشات ورافقها قصف شديد من قنابل المورتر وراجمات الالغـام من جـهـة اليـمين من عمارة مدرسة البوليس الواقعة في الطرف الغـربي من حي الشـيخ جـراح ومن بنايات (سنهادريا) الواقعة الى الغرب منها. ومن جـهـة اليـسـار من منطقـة جـبل (سكوبس) الواقـعة عليه بنايات هداسا والجامعة العبرية. وقـد دارت مـعركة عنيفة من منزل إلى منزل. استبسل خلالها الجنود والضباط وبرزت بطولات فردية كثيرة حيث كان الجميع متشوقون للقتال ونيل الشهادة في معركة الشرف هذه في الديار المقـدسة. وقد وقع العديد من الجرحى والشهداء ولكنهم تمكنوا من احـتـلال حي الشيخ جراح وتطهيره خلال ساعات قليلة. ثم واصلت القوة تقدمها إلى حي المصراره وباب العمود .

٣ ـ كـان قـائد الفـرقـة والركن الأول قـد ذهبا إلى منطقة خط البدء ليشرفا على سير المعركة وبقـيت انا أدير العـمليات من القيادة الرئيسية واتصل مع القوة المهاجمة بإستمرار لتتبع سير القـتـال والاتصـال مع باقي وحـدات الفـرقة لمتابعة ما كان يجري في مناطقها. وفي حـوالي السـاعـة التـاسـعـة صباحاً تم إبلاغي من ساحة المعركة بأن قائد القوة المختلطة القـائد سليـد قـد جـرح بشظية لغم عندما كان يحاول ازالة عائق من الحجارة في طريق المدرعات عند جسر الشيخ جراح .

٤ ـ بعد عودة قائد الفرقة استدعى مساعد قائد الكتيبة الثانية وكيل القائد بيوكانن الى قيادة الفـرقـة وامـره ان يذهب إلى الشيخ جراح ليتولى قيادة القوة المختلطة بدل قائدها الجريح وان يواصل إدارة المعـركـة حسب الخطة الأساسية ويكمل احتلال حي المصراره ثم يتقدم إلى باب العـمـود. وذهب بيـوكـانن لتـولي مـهـمته الجديدة وتنفيذ هذه التعليمات. وبعد وصـوله الى تلك المنطقـة اتصل مع قـائد الفـرقة وشرح له الموقف الراهن وطلب تزويده

بالتعليمات حسب المستجدات. وقد أمره قائد الفرقة ان يسحب الطلائع التي وصلت باب العمود إلى منطقة الشيخ جراح ويركز الدفاع حولها. وقد توصل قائد الفرقة الى هذا القرار على أساس ان سريتي الكتيبة الثانية اللتين نفذتا الهجوم الأساسي على منطقة الشيخ جراح لا تكفيان لاحتلال مناطق المصراره. وسعد وسعيد. وباب العمود. ولكي يمكنه تكوين خط دفاعي متواصل. وبما أن باقي سرايا المشاة وضعت بمواقع دفاعية في الشيخ جراح فإنه لا يمكن تقديمها الى باب العمود وترك الشيخ جراح خالية من القوات خلفها حيث اعتبرت منطقة الشيخ جراح هي منطقة الارتكاز الأساسية للدفاع ويجب الاحتفاظ بها بأي ثمن وترك مناطق باب العمود والمصراره لهجوم آخر يمر عبر دفاعات الشيخ جراح فيما بعد .

ولقد كان هذا القرار لا يخلو من المجازفة لأنه يعني ترك المنطقة الواقعة بين باب العمود والشيخ جراح خالية من القوات لمدة يومين على الأقل لبينما نتمكن من تجميع قوة أخرى لاحتلالها. لاسيما وانه كان من المحتمل أن يقوم العدو بهجوم معاكس عبر هذه الفجوة ويحاول الالتفاف من حول الجناح الأيسر لدفاعاتنا في الشيخ جراح لقطعها من الخلف. ولكن قائد الفرقة قرر ان هذه المجازفه يمكن قبولها مؤقتاً والاحتياط لها بتقوية مواقع دفاعات الشيخ جراح بقوة إضافية بحيث يمكنها ان تصد الهجوم المحتمل .

وعلى هذا الأساس تقرر إرسال القوة الاحتياطية الموجودة في قيادة الفرقة لهذه الغاية. وصدر الأمر الى قائد سرية المدرعات الملازم زعل الرحيل لكي يتحرك الى الشيخ جراح ويراجع وكيل القائد بيوكانن لتلقي التعليمات منه .

وحوالي الساعة الثانية بعد الظهر كلفني قائد الفرقة ان آخذ سرية المشاة والاسلحة الاسنادية الى الشيخ جراح لتسليمها الى بيوكانن وان ادرس الوضع العام للجبهة والحالة الراهنة للقوات المقاتلة هناك واعود بالتفصيلات الكاملة الى قيادة الفرقة. وعندما وصلت الى الشيخ جراح تركت القوة تتمركز في طرفه الشمالي على تلة شعفاط مؤقتاً وذهبت للبحث عن (بيوكانن) فوجدت الملازم علي ابو نوار والملازم حيدر مصطفى قائد حظيرة مدافع ٦ رطل يقفان بجانب الطريق على مقربة من (عمارة النشاشيبي) في وسط حي الشيخ جراح. ولدى سؤالهما عن (بيوكانن) اخبراني انه جرح بشظية قنبلة مورتر قبل قليل وتم اخلاؤه إلى مركز الاسعاف. عندئذ اتصلت مع قائد الفرقة وابلغته ان بيوكانن أصيب ونقل الى الاسعاف فأمرني ان اتولى قيادة القوة مكانه وان انظم عملية تركيز المواقع الدفاعية في منطقة الشيخ جراح واعززها باستخدام القوة الاحتياطية التي اخذتها معي. فبادرت فوراً بتولي هذه

المهمة. وبعد جولة سريعة على المواقع الدفاعية لجميع الوحدات اتضح لي أن أول عمل يجب الاهتمام به هو تأمين الدفاع ضد أي تقدم من اليسار عبر وادي الجوز. ويلي ذلك ضرورة احتلال مركز البوليس الواقع في الطرف الغربي من الشيخ جراح. وبهذه الاثناء وجدت أن سرية المدرعات الثانية بقيادة الملازم حمدان الصبيح كانت قد انسحبت من باب العمود الى خلف منطقة الشيخ جراح من جهة الشمال. وبموجب تعليمات ذاتية من قائدها وبحسب تقديراته الشخصية للموقف وجد أن هذا الانسحاب ضروري في تلك اللحظة الراهنة. ومع ذلك وبحسب تقديري لمقتضيات الدفاع عن المنطقة بكاملها وانسجاماً مع مخططاتي المقبلة فقد قررت ابقاء سرية المدرعات هذه في تلك المواقع الخلفيه مؤقتاً لتدعيم موقع تلة شعفاط التي ركزت فيها سرية المشاة والاسلحة المساندة بقيادة الملازم عواد حامد للتصدي لأي هجوم معاكس قد يشنه العدو من تلك الجهة بقصد تطويقنا من الخلف. ثم وزعت سرية المدرعات الاولى بقيادة الملازم زعل الرحيل حيث وضعنا فئة منها بمواجهة مرتفع سكوبس (هداسا والجامعة العبريه) وفئة أخرى في مواجهة حي مشيرم من الأمام والفئة الثالثة في الخلف في مواجهة مركز البوليس .

وأما سرايا المشاة الأخرى فقد تم توزيعها في الدفاع من جميع الجهات وبقيت سريتي اللواء الرابع في الاحتياط. وهكذا اصبحت دفاعاتنا مركزة بقوة بحيث تستطيع الصمود أمام أي هجوم يقوم به العدو. واصبح بإمكاني ان انفذ الخطوة التالية وهي احتلال مركز بوليس الشيخ جراح لكي اغلق الفجوة في دفاعاتنا بشكل نهائي. وكان أول إجراء اتخذته ان أجتمعت مع وكيل القائد عبد الحليم الساكت قائد مجموعة سرايا اللواء الرابع وطلبت منه ان يستدعي قادة سراياه لحضور (قسم الأمر) الذي سوف اعقده بعد نصف ساعة لأني سأستخدم هذه السريا لاحتلال مركز البوليس في تلك الليلة. وكان وكيل القائد محمد المعايطة قائد بطارية المدفعية يقوم بنفسه بمهمة ضابط الملاحظة وقد ابلى بلاءً حسناً اثناء معارك الصباح وقام بقصف مركز البوليس وحي مشيرم وسنهادريا بتركيز هائل اثناء تقدم الكتيبة الثانية في اقتحامها الأولي في الصباح. ولقد كان من السهل عندئذ احتلال مركز البوليس لو فصلت له إحدى السرايا الخلفية اثناء الموجه الأولى من الهجوم. ولكني لا أدري لماذا تركوه وشأنه بينما كانت فيه قوة من اليهود استمرت تصليهم النيران الحامية أثناء تقدمهم. وعلى أي حال فقد قررت احتلاله في تلك الليلة لإزالة هذا الخطر. ومن ملاحظاتي لنوعيات وكثافة النيرات التي كانت تطلق علينا من هذا المركز قدرت ان قوة العدو المتمركزة فيه لا تتجاوز فئتين. وعلى هذا الأساس قررت استخدام سرية الأمن الأولى التي كان يقودها

الرئيس محمد خلف العمري بهذا الهجوم وتدعمها جميع الاسلحة الاسنادية من مدافع المورتر ورشاشات الفكرز. وتقدمت السرية للهجوم بالساعة التاسعة ليلاً. وبعد معركة قصيرة قاوم جنود العدو خلالها بشراسة تمكنا من احتلال المركز وتثبيت قوتنا حوله وباشرت فوراً بتحصين مواقعها حسب الأصول .

وفي صباح اليوم التالي ٢٠ أيار خرجت بجولة على المواقع الأمامية مع وكيل القائد محمد المعايطة في مدرعة ملاحظة المدفعية ثم صعدنا إلى سطح بناية مركز البوليس لاستطلاع مواقع العدو في منطقة سنهادريا فشاهدنا احد جنود العدو يصعد على سلم بجانب إحدى البنايات التي كان فيها مركزاً أمامياً لهم فأطلق عليه محمد طلقة من بندقية كان يحملها فأرداه قتيلاً. وبعدما اتممنا جولتنا عدت الى موقع قيادتي وذهب محمد إلى موقع ملاحظه متقدم وأخذ يوجه قذائف المدفعيه الى منطقة حي مشيرم وسنهادريا وقد احدث هذا القصف خسائر كبيرة في صفوف العدو. ولكنه في عصر ذلك اليوم أصيب بجرح في ذراعه وعاد الى محطة التضميد بعد أن طلب من قيادته إرسال ضابط ملاحظة ليبقى بشكل دائم في الشيخ جراح لتوجيه القصف المدفعي .



الأول من اليمين يحمل المنظار المؤلف يقوم بجولة في القدس القديمة اثناء القتال في معارك عام ١٩٤٨

وبعد ظهر ذلك اليوم قمت بجولة ثانية على المواقع الدفاعية لسرايا المشاه. وبينما كنت متوقفاً بسيارتي (الجيب) بجانب أحد الخنادق اتحدث مع الجنود الموجودين بداخل الخندق سقطت قنبلة مورتر أمام مقدمة السيارة وانفجرت فاصابت شظية منها سائق سيارتي الجندي عوض يوسف وجرح في فخذه. كما أصابت الشظايا الاخرى جنديين بداخل الخندق بجروح بليغة واستشهد الثالث، ولا ادري كيف لم أصب أنا مع انى كنت جالساً بجانب السائق وموقعي بينه وبين الخندق. ومن المفروض ان اصاب انا أولاً. وعلى الرغم من النزيف الذي كان يتدفق من جرح السائق عوض فإنه كان في غاية الهدوء واصر على ان يقوم هو بنقل الجرحى الى المستشفى لأنه لم يكن لدينا سيارة اسعاف. وقد كان من الممكن ان يتولى هذه المهمة سائق آخر لكن عوض ابدى شجاعة وصموداً ممتازاً. وما دام انه هو

أيضـاً بحـاجة الى تضميد جرحه فقد حمل زملاءه وتحرك بهم الى رام الله حيث ادخل معهم إلى المسـتـشفى. وقد اوصيت بمنح السائق عوض يوسف وسام الإقدام العسكري ومنح له. وخـلال تلك الليلة كان العدو يقصف مركز البوليس بقذائف المورتر وراجمات الالغام بكثافة تمهـيـداً للهـجـوم المعـاكس الذي قـدرنا انه سوف يشنه لمحاولة استرداد هذا الموقع الهام وحـوالي منتـصف الليل بدأ الهجـوم المنتظر واحرز تقدماً في البداية تحت جنح الظلام وتمكن من الوصـول إلى الأسلاك الشائكة. ولكن جنودنا المدافعين عنه صمدوا بكل شجاعة وتمكنوا من صـد الهجـوم وكـبـدوا العـدو الكثير من الإصـابات. وبعـد ذلك لم يكرر العدو عمليات التعرض بهذه المنطقة مرة ثانية. وبقي هذا الموقع المهم بايدينا .

وفي اليوم التالي ٢١ أيار وصل الملازم محمـد نجـيب بركات النصيرات وابلغني انه حضر من قـيـادة المدفـعـية ليعمل كضابط ملاحظة عندنا. فأمرته ان يذهب بمدرعته ويستقر عند مـوقع قـائد سرية المدرعـات الملازم زعل الرحـيل الذي كان يتمركز مع فئة مدرعات بجانب عمارة النشـاشـيـبي المطلة على الجسر المقابل الى حي مشيرم. ولم يكن هذا الموقع يبعد آكثر من مائتي متر عن موقع قيادتى. وطلبت منه أن يركز انتباهه على جميع المواقع المهمة في حي مشيرم بالدرجة الأولى لأننا كنا بهذا الوقت نشاغل هداسا وسنهادريا بمدافع ٦ رطل ومدافع المورتر. التي ركـزناها في مـواجـهـتـهـا. وبعـدما تحرك صعدت الى سطح البناية التي كانت قـيـادتى فـيـهـا لكي ألقي نظرة على المواقع الأمامية. وفجأة رأيت احدى مدرعاتنا تسير على الطريق المؤدي من الجسر إلى جـهـة باب العـمـود. وعلى بعـد حـوالي خمسين متراً من نقطة المراقـبـة. وبهذه اللحظة شـاهدت قـذيفة (بازوكا) تنطلق من خندق بجانب الطريق من جهة حي مـشيرم فـتـصـيب المدرعـه اصابة مباشرة. ولأنه ليس من الممكن أن يكون الملازم زعل الرحـيل قـد ترك مكانه وتقـدم نحـو باب العـمود بمدرعه واحدة وبدون تعليمات مني فقد شـعـرت رأسـاً ان هذه يجب أن تكون مـدرعة محمد نجيب. ولكن لماذا لم يتوقف عند زعل الرحـيل في نقطة المراقبة بحسب تعليماتى له لاسيما وانه كان من المستحيل ان يمر من هناك دون أن يرى مـدرعـاته التي كـانت تقف بجانب الطريق خلف البناية. لست أدرى، لأن سره ذهب معه. هل هو القدر أم هو حماس الشباب أم الإثنين معاً. لا بد أن قدره المحتوم قاده الى هذا التصرف. على أي حال اتصلت مع زعل الرحيل وسألته عن محمد نجيب فأخبرنى انه لم يصل الى موقعه ولم يتصل معه. ولكنه رأى مدرعة تمر من جانبهم مسرعة نحو الجسر وقد حاولوا ايقافها ولكنها استمرت في طريقها دون ان تلتفت لإشاراتهم. وعندما تجاوزت الجسر أصـيـبت بقذيفة صاروخ أمامهم على بعد حوالي خمسين متراً من موقعهم. وقد كانت مدرعة محمد نجـيب غير مـسلحة ولا تحمل مدفعاً ولذلك لم تتمكن من حماية نفسها بعد إصابتها.

وعلى أي حال كان لابد من سحبها بسرعة لانقاذ طاقمها. ولذلك فقد تقدم الملازم زعل الرحيل لكي يسحبها بإحدى مدرعاته تحت ستار نيران المدرعات الأخرى كان اليهود يتمركزون في البنايات المسيطرة على موقع المدرعه المعطوبه ويغطون المنطقة كلها بنيران كثيفة من مختلف الاسلحة. ورغم ذلك تقدم زعل بمدرعته تحت النيران حتى وصل الى المدرعة المعطوبة فوجد بداخلها جثة محمد نجيب وإثنين من جنوده وكانوا جميعهم قد فارقوا الحياة. وعندما حاولوا سحب المدرعة المعطوبة اصيبت مدرعته هي الاخرى بصاروخ واعطبت. وعندئذ اضطر زعل الرحيل الى الانسحاب من الموقع ونقل معه الجريح الوحيد الذي بقي على قيد الحياة وبهذه الاثناء اتصل مساعد زعل الرحيل الوكيل سالم الشييكان الذي كان يقود فئة مدرعات بمواجهة هداسا وسأله ان كان يريد مساعده فابلغه زعل بأنه لا حاجة لحضوره. ولكن سالم لم يتقيد بهذه التعليمات وتقدم بمدرعته إلى موقع الحادث ولكنه وصل بعد انسحاب زعل منه وحال وصول سالم اصيبت مدرعته بصاروخ واحترقت وجرح هو وأحد جنوده ولكن رغم ذلك فقد تمكن من الانسحاب مع سائق مدرعته والجندي الجريح وهكذا خسرنا بهذه العملية ضابطاً وثلاثة جنود شهداء وضابطاً وجنديين جرحى وتدمير ثلاثة مدرعات بدون فائدة .

وقد تم ارسال دورية خلال الليل تمكنت من إحضار جثث الشهداء. وعلى الرغم من ان المدرعات المعطوبة كانت تحت المراقبة فإن اليهود تمكنوا من سحب مدرعتين منها أثناء الليل لأنها لم تكن تبعد عن خنادقهم الأمامية سوى بضعة أمتار فقط وكان من السهل عليهم ان يصلوها تحت ستر الظلام .

لقد اسهبت في ذكر هذه الحادثة بشيء من التفصيل لكي أبرز نقطتين :

أولاً : ان هذه الإصابات كلها وقعت نتيجة لمخالفة الأوامر التي ارتكبها اصحابها لفرط حماسهم واندفاعهم لمجابهة العدو. وجيمعهم كانوا يخالفون الأوامر وهم يعتقدون انهم إنما يقومون بعمل يستحقون عليه الثناء. ولكنهم مع الأسف دفعوا حياتهم ثمناً لهذه الاخطاء. وهذه عبرة احب ان انبه اليها بهذه المناسبة وهي ان مخالفة الأوامر في السلم قد ينتج عنها خسائر مادية ومعنوية ولكن في الحرب فمن المؤكد أن ينتج عنها خسائر في الأرواح قد تكون كبيرة وفي مقدمتها أرواح مرتكبي المخالفات انفسهم. كما حصل بهذه الحادثة. ولذلك فإني احب التأكيد على أنه لايجوز مخالفة الأوامر مهما كانت الأسباب سواء كانت في السلم أو الحرب. والعبرة لمن يعتبر

ثانياً : وهذه النقطة تتعلق في خطأ في القيادة. فعلى الرغم من اننا كنا مجبرين على المجازفة

وقـبـول التحدي حيث اننا بسبب افتقارنا للسلاح المدرع فقد كنا في كثير من الأحيان نسـتـعـمل المدرعة العادية (المسلحة بمدفع ٢ رطل ورشـاش) بدل الدبابة ونعطيـهـا واجـبـاتها. وهذا النوع من الاسـتخدام رغم انه كان لنا العذر فيه لعدم وجود البديل كلفنا خسائر كثيرة .

وبعـد ظهـر هذا اليوم وصلتني السرية الثالثة عشر قادمة من اريحا حيث ارسلتها قيادة الفرقة لكي تنضم إلى القوة المختلطة فوضعتها في الاحتياط مؤقتاً في عمارة راغب النشاشيبي التي تقع في وسط حي الشـيخ جراح. وكانت هذه العمارة عبارة عن دار سكنية ضـخمة مبنية حـديثاً ولم تكتمل بعد. وليس بداخلها شيء يمكن اتلافه. ولذلك لم أرى مانعاً من استعمالها لهذه الغـاية. وحـوالي السـاعـة الخـامسة مساء اتصل معي الركن الأول للعمليات من قيادة الفـرقة وابلغني ان اسلم قيادة القوة المختلطة الى وكيل القائد عبد الحليم الساكت واعود حالا الى قـيـادة الفـرقة وان اعيد سرية المدرعات الأولى بعد حلول الظلام إلى منطقة قلنديا لتلتحق الى الكتيبة الثالثة التي ستقوم بالهجوم على منطقة باب العمود عند الفجر .

وهكذا وبعـد قـتال مرير ومستمر طيلة الأيام الماضية تمكنا من الاحتفاظ بمنطقة الشيخ جراح وصد جميع محاولات العدو لزحزحتنا عن أي موقع فيها .

وسلمت القيادة في تلك الليلة الى وكيل القائد عبد الحليم الساكت بعد ان أعطيت التعليمات الى الملازم زعل الرحيل بسحب سريته الى منطقة قلنديا وعدت الى عملي في قيادة الفرقة وعند وصـولي وجـدت ان الكتـيـبة الثالثة قد تحركت من نابلس إلى منطقة الحشد في قلنديا حيث تقـرر ان تقـوم بالهجـوم عبر الشـيخ جـراح لاحتلال حي المصراره ومنطقة باب العمود عند فجر اليوم التالي ٢٢ أيار ١٩٤٨م. وكان قائد الكتيبة الثالثة وكيل القائد نيومان قد تسلم أمر العمليات من قيادة الفرقة وعاد للمباشرة بتنفيذه .

وعـقـد قـائد الفرقة اجتماعاً حضرته أنا والركن الأول وتدارسنا الوضـع العام على ضوء التطورات المستجدة الآتية

أولاً : ان القـوات العراقية قد أوقفت هجومها على تلال كوكب الهوى في منطقة المجامع وبدأت انسحابها من هناك عن طريق (اربد ـ المفرق ـ عمان) ثم إلى منطقة نابلس حيث تقرر ان تسـتلم جـبـهـة (نابلس ـ جنين) وان طلائعها ستصل صباح اليوم التالي ٢٢ أيار لكي تستلم مواقع اللواء الأول .

ثانيـاً . ان الكتـيـبة الرابعة تتعرض حالياً لعمليات هجومية وان خطوط دفاعاتها الأمامية من اللطرون حـتى مـرتفعات باب الواد طويلة وضعيفه لاسيما وان جناحها الأيسر الذي

كانت تدافع عنه الكتيبة الثانية بمنطقة (بدو ـ النبي صموئيل) لم يبق فيه قوة سوى سرية مشاة واحدة بعد سحب معظم وحداتها لتكوين القوة المختلطة للهجوم على الشيخ جراح .

ثالثاً . ان المعارك محتدمة بداخل القدس القديمة باستمرار منذ اربعة ايام ولا تزال القوات اليهودية تقاوم بداخل الحي اليهودي. وقد تحدث تطورات تتطلب دعم الكتيبة السادسة عند الضرورة لإتمام مهمتها باحتلال الحي اليهودي .

رابعاً بعد حركة الكتيبة الثالثة من نابلس إلى القدس اصبحت منطقة اللواء الأول بدون احتياطي ودفاعاتها رمزية. حيث لم يبق على طول تلك الجبهة سوى الكتيبة الأولى التي كانت سراياها موزعة بشكل مفارز وليس لديها مدفعية او مدرعات تسندها. والى حين وصول القوات العراقية سوف تبقى هذه المجازفة قائمة وفي غاية الخطورة

وعلى ضوء دراستنا لكافة الاحتمالات والتوقعات اتخذنا القرارات الآتية .

١ ـ بعد عبور الكتيبة الثالثة الى القدس واحتلال اهدافها تلتحق سريتي الكتيبة الثانية من الشيخ جراح إلى مواقع كتيبتها في منطقة (النبي صموئيل ـ القبيبه ـ بدو)

٢ ـ بعد استلام القوات العراقية مواقع اللواء الأول في منطقة نابلس تنسحب قيادة اللواء الأول من نابلس الى رام الله وتتمركز في موقع بطرف قرية شعفاط شمال القدس وتصبح مسؤولة عن جبهة القدس حتى حدود موقع النبي صموئيل وبدو غرباً .

٣ ـ تتحرك الكتيبة الأولى بعد ذلك لاستلام مواقع الكتيبة الثانية في منطقة (النبي صموئيل ـ بدو) ثم تتحرك الكتيبة الثانية لاحتلال مواقع دفاعية في منطقة جبال (يالو ـ باب الواد) على يسار الكتيبة الرابعة التي سوف تسحب سريتها من قرية (يالو) لتعزيز مواقعها في منطقة اللطرون. وهكذا ستصبح دفاعاتنا الممتدة من النبي صموئيل حتى اللطرون مسندة مسؤوليتها إلى ثلاثة كتائب بعد ان كانت تدافع عنها كتيبة واحدة زائد سرية مشاة فقط (وتلك مجازفة قبلناها بسبب تشكيل القوة المختلطة) .

٤ ـ وحتى تصل القوات العراقية الى نابلس وكإجراء احتياطي يائس طلبنا من اللواء الأول تشكيل دوريات متحركة منقوله على عدة سيارات تنتقل بين عدة مواقع في الفجوات التي لا تغطيها الكتيبة الأولى وتتعمد الظهور أمام العدو لكي يعتقد أن تلك الفجوات مغطاة من قبل قواتنا .

٥ ـ تنقل قيادة اللواء الثالث من منطقة بيتونيا الى خلف موقع (يالو) وتصبح مسؤولة عن جبهتها من اللطرون غرباً حتى يالو شرقاً .

وبعـد اتخاذ هذه القـرارات بدأنا بتنفيـذها تدريجياً حسب تسلسل الاحداث خلال الأيام القليلة القـادمـة. ولإيضـاح هذه الاحـداث سوف اشرح موجز المعارك التي دارت في مختلف القطاعات كل على انفراد كما يلي . (انظر الخارطة رقم ٣)

أولاً : هجوم الكتيبة الثالثة في القدس الجديدة

وصلت هذه الكتـيـبـة من نابلس الى منطقة الحشد في قلنديا مساء يوم ٢١ أيار. وهناك انضـمت اليـها سرية المدرعات الأولى التي انسحبت من القدس بعد ان خاضت قتالاً مستمراً لمدة ثلاثة أيام لكي تشترك مع كتيبتها في هذا الهجوم الجديد .

كما تحـركت بطارية المدفـعية الثانية التي كانت بإسناد اللواء الأول من منطقة نابلس إلى خلف قـرية بيت حنينا لتـسـاند الهجـوم بالإضـافة إلى فئة البطارية الأولى التي كانت هناك بإسناد القوة المختلطة

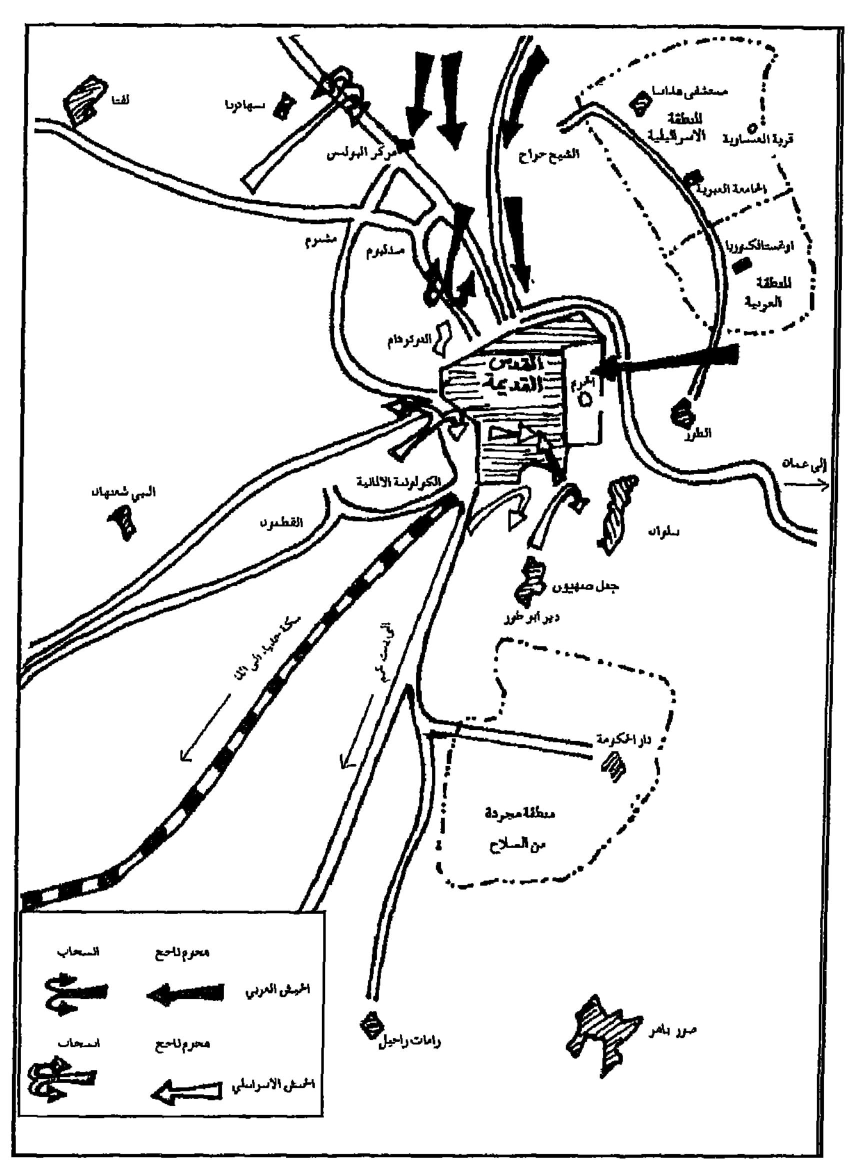
وبعـد تكامل وصول وحدات الكتيبة قام قائدها وكيل القائد نيومان بإعطاء أوامره لتنفيذ عـملية الهجوم إلى قادة الوحدات ثم تحركت الكتيبة إلى خط البدء على تلة شعفاط. وبالساعة الرابعـة صـبـاحاً قطعت قواتها خط البدء تتقدمها سرية المدرعات. وكانت الاهداف الرئيسية التي يتوجب على الكتيبة الوصول اليها واحتلالها هي :

أ - بناية النوتردام . وهي عـبارة عن قلعة ضخمة تتألف من عدة طوابق تسيطر على منطقة باب العمود وحي المصراره.

ب - بناية بنك باركلس : وهي تقع إلى يمين قلعـة النوتردام وتسـيطر على المنطقـة من جهة الغرب والشمال ومنها إلى المستشفى الإيطالي .

وقـد خـصص قـائد الكتـيـبة سرية المشاة التي يقودها الملازم غازي الحربي لتكون على الميـمنه وهدفـهـا احـتـلال بناية بنك باركلس عبر حي المصراره. وسرية المشـاة التي يقودها الملازم عـيـد أديلم على الميسره وهدفـهـا احـتلال بناية النوتردام من منطقة باب العمود كما خـصص السرية الاحـتـيـاطيـة التي يقـودها الملازم محمد النعمان القبيسي لتتبع في المؤخره لإسناد أي من سريتي الهجوم حسب الحاجة .

وبعـد اجـتـيـاز الكتيبة خط البدء اخذت المدفعية تقصف جميع الأهداف لإسناد الهجوم، وعندمـا اجـتـازت هذه السرايا منطقـة الشـيخ جراح جوبهت بمقاومه عنيفة من النيران من مختلف الاسلحـة التي كـانت تطلقها قوات العدو من منطقة بنايات (سنهادريا) الواقعة غرب الشيخ جراح ومن حي (مشيرم) على يمين خط تقدم سرايا الكتيبة .



خارطة رقم (٣)
المعارك في مدينة القدس من ١٥ مايس ١٩٤٨ م حتى الهدنة الأولى

وقد واجهت هذه السرايا صعوبات كبيرة اثناء تقدمها، وبسبب كثافة النيران وعدم خبرة الضباط بشوارع الاحياء اليهودية انحرفت سرية الميمنه عن مسارها الأساسي نحو اليمين ووقعت بين نيران متقاطعه من مشيرم وسنهادريا. فقتل منها عدد من الجنود وأصيب عدد آخر بجراح. وبالنتيجة اضطر قائد السريه الملازم غازي الحربي ان ينسحب الى الخلف ثم عاد وتقدم ثانية عبر الطريق الرئيسية المؤدية من الشيخ جراح الى منطقة باب العمود من أمام مشيرم لكي يستطيع الوصول الى حي المصراره ويتمركز فيه. وبهذا الشكل لم يحقق قائد هذه السرية هدفه الآساسي وهو احتلال بناية بنك باركلس حسب الخطة الأساسية لهذه العملية

أما سرية الميسرة بقيادة الملازم عيد أديلم فتقدمت من الشيخ جراح بمحاذاة الطريق الرئيسيه حتى وصلت الى منطقة باب العمود ولكن هذه السرية تأخرت في الوصول إلى أمام عمارة (النوتردام) لأن قائدها دخل إلى البلدة القديمة خطأ من باب الزاهرة ثم خرج من باب العمود ومن هناك بدأ هجومه على النوتردام عند الظهيرة .

كانت تساند هذا الهجوم سرية اسناد الكتيبة وفئة مدرعات بالإضافة الى نيران جنود الكتيبة السادسة المتمركزين على السور مقابل عمارة النوتردام .

وعندما تقدمت السرية لاقتحام البناية من بين عمارات صغيرة وعبر ارض مكشوفة في مواجهة نيران كثيفة من جنود العدو المتمركزين في الطوابق العليا لبناية النوتردام وقعت بين جنودها إصابات عديدة. وبعد وقت قصير من بداية الهجوم استشهد قائد السرية الملازم عيد أديلم وتولى القيادة مساعده الوكيل فليح ماطر فتثبت على الفور في البنايات الصغيرة المقابلة لعمارة النوتردام وأخذ يشاغل العدو بالنيران من مواقعه ولكنه لم يتمكن من التقدم الى بناية النوتردام بسبب شدة المقاومه وكون منطقة التقدم كانت مكشوفة للعدو . وهكذا بقيت هذه السرية في مواقعها حتى حلول الظلام حيث انسحبت الى منطقة غرب باب العمود

أما سرية المؤخرة بقيادة الملازم محمد النعمان فقد كان من المفروض ان تتقدم خلف سرية الميسره لتقوم بمساندتها عند اللزوم ولكنها انحرفت الى اليسار أكثر من اللزوم فعبرت من منطقة وادي الجوز إلى منطقة خلفية شمال باب العمود، ولذلك فإنها لم تتمكن من المساهمة في إسناد سرية الهجوم أثناء تقدمها نحو النوتردام .

وهكذا انقضى يوم ٢٢ أيار دون ان تحقق الكتيبة الثالثة اهدافها الرئيسية باحتلال بنايات النوتردام وبنك باركلس والمستشفى الإيطالي. ولكنها على أي حال تمكنت من احتلال حي المصراره ومنطقة باب العمود وأسست خطاً دفاعياً عبر البنايات الأخرى الممتدة من باب العمود حتى حي الشيخ جراح .

وأثناء تلك الليلة وضع قائد الكتيبة خطة جديدة للهجوم على بناية النوتردام في اليوم التالي. وكانت هذه الخطة تقضي بالهجوم بسريتين في الأمام. بحيث تتقدم السرية الرابعة من منطقة المصراره والسرية الثانية من جهة باب العمود. وقد وضع بإسناد هذا الهجوم سرية المدرعات والسرية المساندة مع كافة اسلحتها. كما وضع بالاسناد كذلك بطارية مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطل .

بدأ الهجوم ظهر يوم ٢٣ أيار بتمهيد من نيران مدفعية الميدان ومدافع المورتر والرشاشات المتوسطة (فكرز) من سرية الاسناد. كما استعملت مدافع ٦ رطل المضادة للدروع لفتح تغرات في جدران البنايه. ولكن فعاليتها كانت محدودة نظراً لضخامة الجدران حيث ان هذه البناية تشبه القلعة في ضخامة بنائها. تقدمت سريتا الهجوم تحت ستار النيران المساندة واخذتا تطهران مواقع العدو في البنايات الصغيرة القريبة من النوتردام وعند اقتراب سرايا الهجوم من الهدف توقف إطلاق نيران الاسلحة الاسنادية. وكانت السرية الرابعة قد تمركزت في بناية بالقرب من النوتردام. فأرسل قائدها مجموعة من الجنود لفتح ثغره في الأسلاك الشائكة وقاموا بفتحها تحت ستار نيران السرية. ولكنه لم يجازف بالتقدم لدخول بناية النوتردام ذاتها عندما لاحظ شدة وكثافة نيران العدو حيث كان جنود العدو قد تحصنوا في الطوابق العليا ليتجنبوا التعرض للمزيد من الإصابات وبنفس الوقت استطاعوا السيطرة على جميع طرق الاقتراب بفعالية أكثر .

أما السرية الثانية فلم تتمكن من التقدم الى أبعد من مواقعها التي وصلتها وبهذه الأثناء جرح قائدها الملازم محمد النعمان القبيبي ونقل الى مركز الاسعاف، وعندئذ وصل اركان حرب الكتيبة الملازم خالد المجلي الخريشة ومعه فئة من السرية الثالثة لدعم الهجوم. ولكن هاتين القوتين اضطرتا تحت تأثير نيران العدو الكثيفة للإنسحاب الى داخل الأسوار ثم تقدمت باقي السرية الثالثة بقيادة الوكيل فليح ماطر الى البنايات الصغيرة الواقعة غربي عمارة النوتردام وتمركزت فيها. واستقر الموقف على هذه الصورة حتى حلول الظلام. وأثناء الليل طلب قائد الكتيبة تزويده بمدفع ميدان ٢٥ رطل ليستعمله برماية مباشرة لكي يفتح ثغرة في جدار النوتردام وقد تم إيصاله اليه صباح اليوم التالي وبدأت الرماية المباشرة فوراً حيث فتح ثغرة كبيرة في واجهة المبنى. ولكن قائد المدفعية قام بسحب هذا المدفع عند الظهيره معتبراً ان مهمته قد انتهت. ولكن هذا الإجراء كان خطأ إذ إنه لو بقي هذا المدفع حتى المساء واستمر بالرماية لأمكن الحصول على نتيجة افضل بدعم الهجوم وربما حصل تطور جذري يسهل احتلال البناية .

كـان قـائد السرية الرابعة غازي الحربي قد تقدم عند الفجر من مواقعه ودخل الى ساحة النوتردام وتمكن من نسف البـاب الرئيسي بمـدفع (بيـات) ودخل مع قـسم من سريتـه الى الطابق الارضي من البناية وبقي قـسم من السرية في الساحة الخارجية حيث منعتهم النيران الكثـيـفـة والقنابل اليـدوية التي كان جنود العدو يطلقونها من الطوابق العليا. وهكذا أصبح مـوقف قـائد السرية حـرجـاً للغـاية ولم يكن قـادراً أن يصعد الى الطوابق العليا مع الجنود القـلائل الذين دخلوا البناية معه بسبب كثافة النيران التي كان يطلقها جنود العدو من الأعلى ولم يتمكن جنوده الموجودين في الساحة الخارجية من اللحاق به لتعزيزه حيث كانت تمنعهم النيران الكثـيـفـه التي كان يصبها جنود العدو عليهم من الطوابق العليا. وقد خسرت السرية حـتى ذلك الوقت مـعظم ضـباطها والكثيرين من جنهودها. وبهذه الأثناء اتصل قائد السرية مع قائد الكتيبه ليبلغه انه احتل الطابق الأرضي وأن جنوده يتمركزون حالياً في ساحة البنايه وطلب ارسـال تعـزيزات له على وجـه السرعـة لاتمام المهمه. فأبلغه قائد الكتيبة بأنه ليست لديه تعليمات بإرسال التعزيزات وأمره ان ينسحب ولكن قائد السرية رفض الأنسحاب وقد تكررت أوامـر قـائد الكتيبه اليه بالانسحاب وهو يصر على الرفض وعند حلول الظلام ايقن قـائد السرية أنه لا فـائدة من بقـائه وانسـحب الى البناية التي كـان فـيـهـا قـبل تقدمه الى النوتردام. وقـد فـقدت هذه السرية حوالي (٨٠) ثمانين من جنودها بين قـتـيل وجريح كما فـقدت معظم ضباطها بهذه العملية. وعندما نعرف ان مجموع ملاك هذه السرية كان (١٢٠) جندياً يتـضح أن هذه النسـبة من الخسـائر غير مقبوله تحت أي مقياس. وهذا معناه ان هذه السرية لم تعـد وحـده فـعـالة في القتال حيث لم يبق من جنودها سوى ما يعادل فئة مشاة واحـدة ولم يبق من ضـبـاطها سوى قائد السريه. ولكن ليس هذا هو المهم في الموضـوع لان هذا الحـجم من الإصـابات يمكن وقـوعـه عادة في الحرب ولكن المهم هو ان نعرف فيما اذا كانت هذه العملية تستحق كل هذه التضحيات أم لا .

صـحـيح ان احـتـلال النوتردام لم يكن سـيعطينا مدينة القدس ولكن هذه البناية كانت تسـيطر تمامـاً على جميع مـواقعنا في حي المصراره وباب العمود ولذلك كان احتلالها أمراً في غاية الأهمية ولكن هل كان بالإمكان احتلالها بالقوات التي كانت متوفرة آنذاك .

أعـتـقـد انه لو صدقت النية عندما وصلت سرية غازي الى داخلها. ولو لم يسحبوا المدفع ٢٥ رطل الذي اسـتـخـدموه في القصف المباشر · بل لو أضافوا عليه مدفعين أو ثلاثة لزيادة كـثافة القصف. ولو دفع قائد الكتيبة بالسرية الثالثة التي كانت تتمركز في البنايات الصغيرة غرب النوتردام والسرية الثانية التي انكفأت الى داخل الأسوار خلال الليل وقام بتنفيذ هـجوم

كـتـيـبـة مـركز عليها بدل الاكتفاء بهجوم سرية واحده لتمكن من احتلالها. وعلى الرغم من كـثـرة الإصـابات فإن إحـتـلال هذه البناية كـان ممكناً وكـان ضرورياً ما دام انه قد تقرر الهجـوم عليـهـا لأنها هدف مـهم. لاسيما وقد قاتل جنودنا فيها ثلاثة أيام متواصلة وقدموا الكثير من التـضحيات واستشـهد فيها ما يقرب من مائة جندي وضابط وقد كانوا يستحقون أن يجنوا ثمار تضحياتهم. وإلا فلم يكن من الضروري الإقدام على هذه العملية من البداية .

كـان إصرار قائد الفرقة وقائد الجيش على الانسحاب من عمارة النوتردام سببه كما كانوا يقـولون اننا خسرنا الكثير من الجنود والضباط وليس لدينا قوات احتياطية يمكن أن تعوض النقص الحاصل بهذه الكتيبه. ولذلك فإنه من الضروري الحفاظ على ما تبقى منها لكي تبقى هذه الكتـيـبـة وحدة مقاتلة فعالة يستفاد منها في المعارك القادمة. وهذه وجهة نظر معقولة. ولكن الهجـوم على عمارة النوتردام كـان قـد تقـرر أصلاً لأنهم اعتبروه ضرورياً. ولأن هذه العمارة اعـتبرت هدفاً حيوياً في غاية الأهمية. ولذلك تقرر الاستيلاء عليها لتأمين حماية باقي مـواقـعنا الأمامية المواجهة لها. وعملية الهجوم على أي حال كانت قد وصلت مرحلة متقدمه ومـهما كانت الخسائر المتوقع حدوثها لانجاز المهمة لا يمكن أن تكون بالحجم الذي سيدمر هذه الكتيبة لو شنت هجوماً مركزاً بكامل ثقلها لاسيما وان المرحلة الصعبة كانت قد انجزت واصـبح جنود السرية الرابعة يحتلون الطابق الارضي منها. فكان من الأولى أن تستمر بعملية الهجـوم بدل الانسـحـاب. خـصـوصاً وان جنود العدو كانوا يقاتلون باستمرار منذ أسبوع. وهم أيضـاً أصـبحوا مرهقين ولا يمكن أن يصمدوا كثيراً لو تابعنا الهجوم بزخم أكثر. ولكن هكذا كـان قـرار قـائد الجـيش وقائد الفرقة . وأعتقد أنه كان منعطف تحول إلى الأسوأ لأن النتـيجة كانت أننا بقينا محتفظين بالمواقع المنخفضة التي تسيطر عليها مواقع العدو المرتفعه باسـتـمـرار حـتى نهاية الحـرب. ولو تمكنا من احـتلال بناية النوتردام لأصبح من الممكن إحـتلال بناية بنك باركلس والمستشفى الايطالي ولأصبح خطنا الدفاعي يرتكز على قطاع مهم ومسيطر على منطقة واسعة خارج أسوار القدس القديمة من جهة الغرب .

وبهذه المناسـبة لابد من التساؤل. لماذا تقدمنا للهجوم على بناية النوتردام من منطقة باب العـمـود ولم نتـقدم عبر منطقة (مشيرم) والأحياء اليهودية من الخلف بل لماذا لم نتقدم عن طريق جـبل المكبر واحـتـلاله ثم عزل مدينة القدس من الجنوب لاسيما وانه من الواضح أن احد هذين الاحتمالين او كليهما كان أفضل من الهجوم المباشر على بناية النوتردام من منطقة باب العـمـود. ولكن عامل الفصل في ذلك الحين كان عدم توفر القوات الكافية للتوغل بداخل الأحـيـاء اليهودية في القدس الجديدة او لتطويق المدينة وعزلها من الجنوب. حيث أن الكتيبة

الثالثة وهي القوة الاحتياطية الوحيدة المتوفرة لدينا كانت ستضيع في تلك المناطق الواسعة دون ان تحقق شيئاً. ولقد كان من الضروري اغلاق الفجوة بين موقع الشيخ جراح وباب العمود لكي يصبح لدينا خطاً دفاعياً متصلاً من أسوار القدس القديمة حتى الشيخ جراح ولإبقاء خط المواصلات المؤدي من القدس إلى رام الله مفتوحاً .

لكن التساؤل المهم هنا هو لماذا منعنا من احتلال منطقة الجامعة العبرية ومستشفى هداسا (جبل سكوبس) والتي كانت تؤثر تأثيراً مباشراً على مواقعنا في الشيخ جراح وتهدد طرق مواصلاتنا الخلفية. وقد كان هذا ممكناً حتى بعد الارتداد عن بناية النوتردام ولاسيما وانه كانت قد صدرت التعليمات من قيادة الفرقة لاحتلالها وقد بدأت التحضيرات لتنفيذ الهجوم. ولكن بهذه الأثناء وصلتنا تعليمات من قائد الجيش بإلغاء هذه العملية وعدم احتلال تلك المنطقة ولم اطلع على ماهية الأسباب التي أدت الى إصدار هذه التعليمات ولكن قائد الفرقة أخبرنا ان القصد هو للمحافظة على محتويات هذه المؤسسات من المخطوطات والمراجع العلمية النادرة وحمايتها من التدمير. كما أن هذه المؤسسات تعود ملكيتها الى بعض الجمعيات الخيرية الأميركية وان احتلالها أو الإضرار بها سيؤدي إلى ردة فعل سيئة لدى الشعب الأمريكي ويؤلب الرأي العام ضدنا .

ولقد كانت هذه حجج واهية لأن من يعرف جنود الجيش العربي يعرف أنهم جند نظاميون ومحاربون شرفاء ولن يتسببوا بتدمير أي أثر حضاري حتى في شدة وطيس المعركة. ولكن مهما كان شأن هذه الكتب فإنها ليست أهم من ترك هذه المنطقة بيد العدو لتبقى شوكة في ظهورنا وخلف دفاعاتنا مما نتج عنه مشاكل كثيرة عانينا منها فيما بعد ومهما كانت الأسباب والدوافع لهذا الإجراء فإني لا أظنه كان لحماية المخطوطات بل ربما للإنجليز غايات اخرى أبعد من ذلك .

والدليل على هذا انه بعد فترة وجيزة وقع اللواء لاش قائد الفرقة بواسطة مندوب هيئة الأمم المتحدة على (اتفاقية هداسا) المشهورة التي اعترفت بترك هذه المنطقة بيد اليهود شريطة ان تقوم بحراستها قوة من البوليس اليهودي تحت إشراف مندوبي هيئة الأمم المتحدة. وأن تسمح الأردن بمرور قافلة يهودية مرة كل أسبوعين لنقل المؤن وتبديل الحرس عبر خطوطنا. وقد استغلها اليهود كما هو معروف فيما بعد لنقل الذخائر والاسلحة بالتهريب. أما الحرس فلم يكونوا سوى جنود من الجيش الاسرائيلي بدلوا ملابسهم بملابس الشرطة .

ولكن لماذا يوقع اللواء لاش الانجليزي على اتفاقية كهذه يلزم بموجبها الحكومة الاردنية

بشروط وتنازلات ومسؤوليات مهمة وينوب عنها بهذا التوقيع. ولماذا لم يوقعها وكيل القائد عبدالله التل كما وقع باقي الاتفاقيات المتعلقة بتحديد مناطق الحرام بداخل مدينة القدس حيث كان مخولاً بتوقيع مثل هذه الاتفاقيات نيابة عن الحكومة الاردنية. كل هذه التساؤلات محيرة ولم اعثر لها على تفسير أو جواب مقنع عند أحد .

لقد أسهبت في وصف عمليات الكتيبة الثالثة ومعركة النوتردام لكي أشرح ملابساتها كما حدثت فعلاً وأوضح دور جميع الأطراف التي اشتركت بقراراتها. وخصوصاً قرار عدم تعزيز سرية الهجوم بعد احتلالها للطابق الارضي ثم قرار سحبها من البناية نهائياً وذلك لكثرة الاحاديث التي دارت حول هذا الموضوع وما ورد من انتقادات واتهامات على ألسنة الكثير ممن قالوا انهم اطلعوا على تصرفات الضابط الانجليزي الذي كان مسؤلاً عن إحدى مراحل هذه المعركة. وقد أبديت وجهة نظري بكل وضوح وبتجرد تام مستنداً إلى الوقائع كما حصلت فعلاً في حينها وباطلاعي. ولقد بينت أنه كان من الممكن إحتلال هذه البناية وربما غيرها لو تصرف قائد الكتيبة الثالثة بحكمة وشجاعة وأدار المعركة بطريقة أفضل

ولو كان قرار قائد الفرقة وقائد الجيش يقضي بمواصلة الهجوم ومنع الانسحاب. ولذلك فإني أرى ان المسؤولية تقع عليهم الثلاثة رغم أني ذكرت حججهم التي استندوا عليها والتي تهدف الى تقليل الخسائر بالأرواح. ولكني اعتقد ان هذا التوفير في الخسائر في مثل هذا الموقف يجب أن لا يكون مقبولاً وان لا يعطي أولوية على تحقيق الهدف الحيوي في المعركة لأننا يجب أن لا نتوقع ان نخوض المعارك وهدفنا توفير الخسائر بل أن يكون هدفنا الأساسي هو كسب المعركة مهما كانت الخسائر ضمن الحدود المعقولة. ولاسيما وان هؤلاء القادة الانجليز هم الذين قرروا القيام بعملية الهجوم هذه منذ البداية. فإن كانوا يريدون توفير الخسائر والحد من الإصابات فمن الاولى عدم القيام بها اصلاً وعندئذ لا نكون قد خسرنا ثلاثة أرباع جنود السرية الرابعه وجميع ضباطها دون أن نحقق شيئاً سوى ان ندخل الى الطابق الارضي بهذه البناية ثم نعود الى حيث بدأنا. وعلى أي حال فإني سأترك هذا الموضوع الآن عند هذا الحد ولكني سوف اتطرق له ثانية في فصل قادم عند بحث موضوع الجيوش العربية وأسباب الفشل بهذه الحرب. أما الآن فسوف أواصل وصف المعارك الأخرى حسب تواريخ وقوعها .

ثانياً : معركة القدس القديمة :

كانت سرية الأمن الأولى قد تحركت من منطقة الخان الأحمر الى جبل الزيتون مساء يوم

١٧ أيار ١٩٤٨م اسـتـعـداداً لدخولها الى مدينة القدس القديمة لتعزيز قوات المناضلين فيها وبعـد منتـصف الليل بدأت حركتها سيراً على الأقدام عن طريق الجسمانية الى باب الاسباط حـيث وصلت الى مدرسة الروضة. وبعد التنسيق مع قائد قوة جيش الانقاذ هناك تم تركيز فئاتها في منطقـة البـاب الجـديد مبدئياً للدفاع عنها. وفي الصباح اجتمع قائد السرية الرئيس محمـود الموسى عـبـيـدات مع قـادة المناضلين وبحث معهم كيفية تنسيق الدفاع عن المدينة القـديمـة. ولكنه اكتشف ان الفوضى تسود صفوفهم. كما انه وجد أن اليهود قد تمكنوا من اختراق السـور من باب النبي داوود واتصلوا مع الحي اليهودي بداخل المدينة وادخلوا سرية من البـالماخ لتـعـزيز الدفـاع عن الحي. وعندئذ اتضح لقـائد السرية الاردنية ان منطقة باب النبي داوود اخطر منطقـة تهدد دفـاعـات المدينة بشكل مـبـاشر وأنه يتـحـتم عليه ان يقوم بإحـتـلالها بأقـصى السرعـة لكي يقطع اتصـال العـدو المتواجد في الحي اليهودي مع قواته خـارج الأسـوار. ولهذا قام بسحب سريته بكاملها من الباب الجديد لينفذ عملية الهجوم بقوة السرية. وعندمـا قام بالكشف على باب النبي داوود وجد أن اليهود يحتلون برجاً على السور ومنه يسـيطرون على الشـوارع المؤديه الى حي الأرمن. فـقـام بهجوم سريع واحتل البرج تم وضع مـفـرزة بداخله لكي تسـيطر على باب النبي داوود. وبعـد ذلك تقـدم قائد السرية مع مجمـوعـة اخـرى من الجنود للكشف على الحي اليـهـودي ولكنه جـرح في ساقه أثناء ذلك فـانسـحب مع جنوده الى دير الارمن حيث تتمركز قيادة السرية. فسلم قيادتها الى مساعده وعاد الى مركز الإسعاف .

وهكذا استمر تبادل إطلاق النار مع العدو طيلة النهار. وحوالي منتصف الليل عاود العدو هـجـومـه على باب النبي داوود بقـوة كـبيرة حـيث تمكنوا من الوصـول إلى البـاب وفـتحوه بالأكـسجين واندفعوا من خلاله نحو دير الارمن فاضطرت مفرزة الجيش العربي التي كانت تحتل برجاً فوق الباب ان تنسحب الى موقع قيادة السرية. وبعد ذلك ركز العدو جهد هجومه على المواقع الرئيـسـيـة في دير الارمن. ودارت المعـركـة طيلة الليل حـيث صـمـد جنودنا في مـواقـعـهم بثـبات وبسالة رغم تفوق قوات العدو عليهم. وبرزت خلال هذه المعركة بطولات فـردية نادرة بين الضـباط والجنود تبعث على الاعتزاز والفخر لأصحابها. كما سقط عدد من الشـهداء وجرح عدد آخر. وخلال هذه المعركة كان للملازم نواف الجبر الحمود مساعد قائد السرية دوراً أسـاسـيـاً في صـمود سريته بمواقعها حيث رفض ان ينسحب من أي جزء من مـواقع دفـاعـاته حـتى تمكن بالنهـاية من صـد الهجـوم رغم تفوق العدو الواضح بالأعداد والاسلحـة. وبهذا الصـمـود تمكن من الاحـتـفـاظ بمنطقـة دير الارمن. ولكن اليـهود ظلوا محـتـفظين بمنطقـة باب النبي داوود. ويحتلون برجين فـوق السـور هناك. وفي صباح اليوم

التـالي قـام قـائد السرية بشن هجـوم مـعاكس على منطقة باب النبي داوود وتمكن من طرد العـدو من الابراج التي كـان يحتلهـا واسترد تلك المنطقة بكاملها. وهكذا اصبحت قوات العدو في خـارج الأسـوار مـعـزولة عن مواقعه في الحي اليهودي في الداخل. ولكن العدو عاد وشن هجوماً آخر على منطقة النبي داوود اثناء الليل محاولاً اختراق الباب من جديد .

وقـد اسـتـمـرت هذه المعـركة حتى صباح اليوم التالي حيث تمكن جنودنا المدافعون عن البـاب والأبراج من صـد هذا الهجـوم الأخير بعد ان كبدوا العدو الكثير من الإصابات وهكذا تمكنت السرية من الاحـتـفـاظ بمـواقـعـها في باب النبي داوود ودير الارمن وحاصرت الحي اليهودي من جميع الجهات واستقر وضع السرية بعد هذه المعارك المستمرة التي خاضتها في منطقـة باب النبي داوود ودير الارمن والحي اليـهودي خلال يومي ١٨، ١٩ أيار وأمـا قوات المناضلين من جـيش الإنقـاذ والجـهـاد المقدس وغيرهم فقد كانت منتشرة في مختلف مناطق الاسـوار والأحـيـاء الأخـرى بشكل غير منتظم حـيث لم تكن لها قيادة واحدة تسيطر عليها وتنسق عـملياتها. وكانت كل مجموعة تتبع قائداً مسؤولاً عنها ومستقلاً عن الآخرين. ولذلك فإن موقفها العام كان ضعيفاً ويشكل خطورة على الموقف الدفاعي العام للمدينة .

وعند فجر يوم ١٩ أيار وبنفس الوقت الذي تقـدمت فـيـه القوة المختلطة لإحتلال منطقة حي الشـيخ جراح كما اسلفت. احضرنا سرية المشاة الثامنه بقيادة الرئيس عبدالرزاق عبدالله الى القـدس القديمة عن طريق جبل الزيتون وتمركزت فئاتها في القلعة عند باب الخليل. ومن هناك على طول الاسـوار حـتى باب العمود. ووضعت قيادتها في دير الروم. كما التحق وكيل القـائد عـبـدالله التل بالسرايا التي دخلت الى القـدس وعند وصـوله وضـع قـيادة كتيبته في مدرسة الروضة التي تشرف على منطقة الحرم الشريف .

وفي صـباح يوم ٢٠ أيار التـحـقت به السريه الســادسـة بقـيادة الرئيس ضرغام الفالح فأصـبح مجمـوع القـوة بداخل الاسـوار ثلاثة سرايا مـشـاه. وهكذا اخـذت تتشكل الكتيبة الســادسة تدريجياً من هذه القوات حيث تم بهذه الاثناء تشكيل سريه مساندة قوامها مبدئياً سـتـة مدافع مورتر ثقيل عيار (٤,٢ بوصـة) وبعض المدرعـات ومـدافع المورتر عيار (٣ بوصـه) ورشـاشين فكرز وبعـد وصـوله تمكن قـائد الكتيبة السادسة من الاتفاق مع قادة المناضلين على ان يرتبطوا بقـيـادته لتنسـيق عـمليـاتهم. وهكذا ضـمن وجود عدة فئات من المسلحين يمكن تنظيـمهم والاستفادة منهم عملياً حيث كان يتواجد بداخل المدينة القديمة قبل وصـول سرايا الجيش العربي حوالي سبعمائة مسلح ولكنهم لم يتمكنوا من تنظيم الدفاع عن المدينة بشكل فعال للأسباب الآتية ·

١ ـ لم تكن لهم قيادة واحدة تنظم عملياتهم وتقودهم في المعركة بموجب خطة قتالية سليمة ومتوازنة .

٢ ـ كان معظمهم من المدنيين المسلحين ينقصهم التدريب العسكري الصحيح والانضباط المطلوب في العمليات الحربية. ولهذا كان طابع الفوضى يسود صفوفهم رغم اخلاصهم وتفانيهم في القتال دفاعاً عن وطنهم .

٣ ـ كانت اسلحتهم مختلفة المصادر وتزويدهم بالذخائر اللازمة لها غير منتظم لعدم وجود القيادة الواحدة وعدم توفر الأجهزة المختصة لتولي هذه المهمة الدقيقة .

٤ ـ وبسبب نقص التدريب لهؤلاء المقاتلين وعدم خبرتهم في فنون القتال كان استهلاكهم للذخيرة ضخمًا وبنتائج ضئيلة في المعركة. ولهذا فقد كان مخزونهم من الذخائر ينفذ بسرعة دون ان يقابل ذلك انتظام بالتزويد وتعويض النقص ولذلك فقد كانوا دوماً يعانون من مشكلة نقص الذخيرة .

ومن محصلة هذه الأسباب المبينه باعلاه كانت فعالية المناضلين في المعركة محدوده إذا ما قورنت باعدادهم الكبيرة ولو أحسنت قيادتهم وترشد استخدامهم حسب الأصول العسكرية السليمة لكانت النتائج أفضل بكثير علمًا بأنه كان من بينهم مجموعة من جنود الشرطة السابقين الذين خدموا مع قوة بوليس فلسطين أثناء الانتداب. وقد كانوا بمستوى جيد من الانضباط وكانت فعاليتهم في المعركة أفضل بكثير من الآخرين. ولقد كانت معظم قوات المناضلين تعمل بداخل المدينة وتتألف من المجموعات الآتية :

١ ـ مجموعة الجهاد المقدس : بقيادة السيد خالد الحسيني الذي تولى القيادة بعد استشهاد السيد عبدالقادر الحسيني في معركة القسطل.

٢ ـ مجموعة جيش الانقاذ . من المتطوعين العراقيين والسوريين بقيادة الضابط العراقي السابق فاضل رشيد عبدالله .

٣ ـ مجموعة جنود الشرطة بقيادة ضابط الشرطة السابق السيد منير ابو فاضل.

٤ ـ سرية الحسين : من المناضلين الاردنيين بقيادة الاستاذ عثمان بدران وترابط في جبل الزيتون .

٥ ـ سرية المتطوعين الاردنيين . بقيادة الملازم بركات الطراد الخريشة والتي كانت ملحقة مع جيش الانقاذ قبل دخول الجيش العربي الى فلسطين .

وباستخدام مجموعات المناضلين المتواجدين بالداخل لتعزيز دفاعات جنوده على الأسوار تمكن قائد الكتيبة السادسة من توفير سريتين لاستخدامهما في حماية باب النبي داوود والسيطرة على منطقة الحي اليهودي تمهيداً لاحتلاله .

وبهذه الاثناء استمرت الكتيبة السادسة بالضغط التدريجي على الحي اليهودي واحتلال مواقعه الواحد تلو الآخر لمدة خمسة أيام. بينما كانت القوات اليهودية تشن هجمات متتابعة على منطقة باب النبي داوود بمحاولة لاحتلاله والوصول الى الحي اليهودي المحاصر والذي كان المدافعون عنه يحاولون التقدم منه نحو منطقة الباب لملاقاتهم بنفس الوقت فيما لو نجحوا بالدخول. ولكن جنودنا تمكنوا من صد جميع هذه المحاولات. وقد كان أهمها ذلك الهجوم الكبير الذي شنته قوات العدو بعد ظهر يوم ٢٥ أيار حيث اقتربت مشاة العدو من الباب ومعهم لغم ضخم ينوون تفجيره لفتح ثغره ينفذون منها للداخل إلا أن هذا اللغم انفجر بحامليه عندما قذفهم جنودنا بالقنابل اليدوية وقتل بالنتيجة عدد من جنود العدو وتم صد الهجوم بعد معركة استمرت طوال الليل وانتهت صباح يوم ٢٦ أيار

وكنا بهذه الاثناء قد ارسلنا سرية المشاة الخامسة بقيادة الرئيس محمد اسحق هاكوز لتعزيز الكتيبة السادسة واشتركت بهذه المعركة فور وصولها مباشرة. وفي الليلة التالية سقطت قنبلة مورتر على قيادة هذه السرية فجرح قائدها وعدد من جنوده. وعلى إثر هذا الحادث تم تعيين الرئيس اديب قاسم النواصره لقيادة هذه السرية. وفي يوم ٢٧ أيار نقلنا هذه السرية الى قيادة اللواء الثالث لتبقى كإحتياطي اللواء ودعم جبهته .

وبنتيجة الضغط المتواصل من قبل الكتيبة السادسة تقلصت المنطقة المتبقية بيد العدو من الحي اليهودي الى حد بعيد. وعندئذ تجمعت معظم قواتهم بداخل بناية الكنيس الكبير واخذت تطلق النار من داخله على جنودنا مما اضطر قائد الكتيبة ان يوجه لهم إنذاراً عن طريق مندوب الصليب الأحمر لكي يخرج المحاربون من الكنيس للمحافظة على المبنى من الدمار. كما اذاع هذا الانذار بواسطة مكبرات الصوت ولكن الجنود اليهود رفضوا هذه الانذارات واستمروا بإطلاق النار من داخل هذا الكنيس. وعندئذ عاود جنود الكتيبة السادسة إطلاق النار بعد ان كانوا قد توقفوا لفترة الانذار لكي يعطوا جنود العدو فرصة كافية للإنسحاب من الكنيس. ولكن عنادهم هذا وتعمدهم الاستمرار بإطلاق النار من داخل الكنيس تسبب بإصابته بأضرار كبيرة بنتيجة القصف المتواصل عليه أثناء حدة القتال وتبادل إطلاق النار. وعند فجر يوم ٢٨ أيار أطبقت سرية الأمن الأولى على الحي اليهودي من الجهة الشمالية والجنوبية واصبح وضع المقاتلين اليهود ميئوساً منه. وحوالي الساعة

العاشرة صباحاً خرج وفد منهم يحمل علمًا أبيض يطلب الاستسلام. وبعد المفاوضه مع قائد الكتيبة السادسة وقع قائدهم على وثيقة الاستسلام. وبحسب شروط هذه الوثيقة سمح بخروج جميع المدنيين وكانوا حوالي (٨٠٠) ثمانمائة من الرجال والنساء الى الاحياء اليهودية في القدس الجديدة بإشراف مندوب الصليب الاحمر. وكذلك تم تسليم الجرحى بنفس الطريقة، واما المقاتلين فقد تم اسرهم، وفي صباح يوم ٣٠ أيار ذهبت من قيادة الفرقة الى القدس حيث استلمت هؤلاء الاسرى من قائد الكتيبة السادسة وكان عددهم (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون أسيراً ثم نقلتهم بقافلة مسلحة الى معسكر الاعتقال الذي كنا انشأناه شرق مدينة المفرق قبل حركتنا الى فلسطين ببضعة أيام .

وهكذا انتهت المعارك بداخل القدس القديمة وأصبحت بكاملها بيد قواتنا وتركزت دفاعاتنا على طول الاسوار واغلقت جميع المنافذ المؤدية من أبوابها باتجاه العدو. ولكن المناوشات وتبادل إطلاق النار من مختلف الأسلحة بقيت مستمرة. كما استمر العدو بمحاولات الهجوم على مواقع قواتنا من مواقعه في الكنيسة الالمانية على جبل صهيون حيث كانت تتمركز إحدى فئاتنا في دير الفرنسيسكان المقابل لهم. كما كانوا يطلقون النار من دير ابو طور على مناطقنا الخلفية وعلى سرية الاسناد في منطقة رأس العمود وسلوان. ولكن خط دفاعنا اصبح متصلاً من جنوب القدس القديمة عبر الأسوار الى منطقة باب العمود ومنها الى حي المصراره ثم الى حي سعد وسعيد فالكولونيه الامريكية حتى حي الشيخ جراح وتحولت المعركة فيها الى الدفاع الثابت مع تبادل إطلاق النار والقذائف بشكل شبه مستمر تتخلله عدة محاولات هجومية موضعية كانت تقوم بها قوات العدو في مختلف المناطق ويتم صدها .

وبهذه الأثناء انتقل ثقل المعركة الى منطقة اللطرون وباب الواد حيث كانت قواتنا تغلق المعبر الرئيسي المؤدي من تل أبيب ومنعت وصول الإمدادات الى القدس التي أصبحت شبه محاصره وأخذ السكان اليهود يعانون من نقص حاد في المؤن والماء وأصبحت قواتهم فيها تعانى من تناقص موجوداتها من الذخائر التي استهلكوا منها كميات كبيرة منذ بدء القتال وتوقف تزويدهم بسبب الحصار الذي أحكم عليها في ذلك القطاع من الجبهة

ثالثاً : العمليات في منطقة اللطرون وباب الواد :

عندما تقدمت الكتيبة الرابعة التي كان يقودها المقدم حابس المجالي يوم ١٨ أيار ١٩٤٨م وتمركزت سراياها بين مرتفعات قرية يالو ومركز بوليس اللطرون كما ذكرت سابقاً وقامت بتحصين مواقعها الدفاعية اخذت ترسل الدوريات لاستكشاف مواقع العدو أمامها من جهة وللاتصال بموقع مركز بوليس عرطوف الذي يقع الى الجنوب من منطقة باب الواد وتوجد بالقرب منه مستعمرة يهودية. وبما أن هذا المركز كان يعتبر موقعاً حيوياً مهمّا فقد وضعنا فيه فئة مشاة لكي تكون نقطة مراقبة متقدمة وهمزة وصل بين مواقعنا في منطقة باب الواد والقوات المصرية التي كان من المفروض أن تواصل تقدمها من الجنوب لتتصل مع قواتنا. وبهذه الحالة سيتم عزل مدينة القدس نهائياً عن الساحل.

ولكن القوات المصرية كانت لا تزال بعيدة في النقب ولم تتمكن من التقدم نحونا. وهكذا بقي موقع عرطوف منعزلاً ولا يمكن الاتصال معه إلا عن طريق الدوريات التي كانت ترسل من الكتيبه الرابعة لايصال المؤن والذخائر التي كانوا بأمس الحاجة لها. وبقيت هذه الفئة ثابتة بموقعها رغم خطورته حتى تم سحبها في وقت لاحق بعد ان أصبح بقاؤها هناك مستحيلاً. وما كادت الكتيبة الرابعة تكمل تمركزها في مواقعها وتبث دورياتها حتى بدأ العدو يستكشف هذه المواقع ليحدد أبعادها ويعرف حجم وحداتها، فقد تقدمت أول دورية مقاتلة معاديه نحو مواقع السرية الثالثة في منطقة (يالو) واشتبكت معها ثم انسحبت ولم تقع إصابات بين جنودنا.

لقد كانت هذه الفترة من اصعب مراحل القتال بالنسبة لنا ان لم تكن من اخطرها. حيث كانت الدفاعات في منطقة اللطرون وباب الواد معتمدة على الكتيبة الرابعة وحدها بشكل أساسي حيث أننا بهذا الوقت اضطررنا لسحب معظم الكتيبة الثانية من مواقعها شرق باب الواد في منطقة النبي صموئيل والقبيبة لكي نشكل القوة المختلطة التي قامت بالهجوم على حي الشيخ جراح في القدس. ولم يبق في هذه المواقع سوى سرية مشاه واحدة فقط كما شرحت سابقاً.

كما أن كتائب اللواء الأول (الأولى والثالثة) كانتا لا تزالا في مواقعهما في منطقة نابلس. وبنفس الوقت كانت المعركة في الشيخ جراح التي كانت تخوضها القوة المختلطة ما زالت في بدايتها.

ولم يبق لدى الفرقة أية قوات احتياطية لمواجهة أي إختراق محتمل على طول الجبهة من القدس إلى اللطرون ومنها إلى قلقيلية ثم طولكرم ونابلس سوى الكتيبة الثالثة التي هي أصلاً موجوده في منطقة نابلس لمواجهة الاختراقات المحتملة من جهة جنين أو طولكرم. هذا

بالإضافة إلى أن موقعها هناك كان بعيداً عن ساحة المعركة في منطقة اللطرون. مما يجعل إمكانية تدخلها فيها تبدو عديمة الجدوى لأن العدو يستطيع اقتحام مواقع الكتيبة الرابعة قبل أن تتمكن الكتيبة الثالثة من الوصول للتدخل في القتال. أو على الأقل هذا هو ما يفرضه المنطق. وبنفس الوقت فإن نقلها إلى منطقة القدس سلفاً سيجعل منطقة نابلس معرضة لنفس الخطر وربما بشكل أشد خطورة نظراً لاتساع منطقتها وضعف مواقعنا الدفاعية الأمامية التي كانت تعتمد في معظمها على مواقع فئات أو على دوريات ثابتة ومقاتلة ونقاط مراقبة. وأمام هذا الواقع المرير كنا في قيادة الفرقة في موقف لا نحسد عليه حيث كانت المعركة دائرة على أشدها في القدس القديمة وليس لدى الكتيبة السادسة سوى ثلاثة سرايا مشاه لتقوم باحتلال الحي اليهودي بداخلها وبنفس الوقت لتواجه الهجمات المتكررة على مواقعها من خارج الأسوار. ولم تتوفر لدينا قوات لنستطيع تعزيزها بما يكفي لإحكام دفاعاتها على الأسوار.

كما كانت المعركة محتدمة من منطقة الشيخ جراح وحتى باب العمود من قبل القوة المختلطة وهذه لم تكن كافية لإحتلال جميع الأهداف المطلوب احتلالها بين الشيخ جراح وباب العمود. ونحن لا نستطيع في الوقت الراهن المجازفة بجلب الكتيبة الثالثة من منطقة نابلس واقحامها في معركة الشيخ جراح في القدس وترك منطقة نابلس خالية من أي قوة احتياطية أو ترك منطقة باب الواد واللطرون بدون أمل في دعمها بأي قوة إضافية اذا تطور الموقف إلى الأسوأ وتمكن العدو من إختراق دفاعات الكتيبة الرابعة. والأخطر من هذا كله أننا كنا نعرف ان قيادة الجيش لم يبق لديها هي الأخرى أية قوات يمكن أن ترسلها لنا حتى ولو من الجنود الأغرار لتعويض الخسائر على الأقل. ولو تمكن العدو من إختراق منطقة اللطرون وباب الواد لأستطاع الوصول إلى رام الله وقيادة الفرقة ثم إلى نهر الأردن بسهولة ويسر حيث لا توجد في طريقه أية قوات تذكر.

وكما يظهر ان العدو تمكن من اكتشاف ان قواتنا في اللطرون وباب الواد لا تزيد عن كتيبة واحده. ونظراً لحاجة قواته الماسة في القدس إلى الذخائر والمؤن فقد قرر المجازفة بإرسال قافلة ضخمة لتزويد القدس عبر الطريق الرئيسية من أمام مواقعنا في اللطرون على أمل ان يستطيع العبور تحت النيران لأنه قدر أن امكانيات مقاومة قواتنا لها ستكون قليلة الفعالية ولا تستطيع منعها من المرور. وكان العدو مستعداً أن يضحي بالخسائر المعقولة بهذه القافلة في سبيل امكانية إيصال ما تبقى منها الى المدينة كمحاولة يائسة.

وتقدمت هذه القافلة ليلة ٢١/٢٠ أيار معتمدة على ستر الظلام حيث يمكن أن يوفر لها نوعاً من الحماية. ولكن على عكس توقعات العدو فقد تم اكتشاف هذه القافلة بوقت مبكر

فبادرت قواتنا بقصفها بمدفعية الميدان ودمرت عدداً من آلياتها وعاد الباقون من حيث أتوا وبعد فشل هذه التجربة ادرك العدو أنه لم يبق أمامه سوى محاولة إزالة مواقعنا الدفاعية بهجوم مركز واحتلالها ليتمكن من فتح الطريق إلى القدس. وعلى هذا الأساس فقد قام العدو بعملية تعرض ليلة ٢١/ ٢٢ أيار بدفع قوة منفصلة لتحاول احتلال مركز بوليس اللطرون كمرحلة اولى ظناً منه ان القوة المدافعه عنه صغيرة ويمكن التغلب عليها بسولة وقد استطاعت قوة العدو هذه الوصول إلى الأسلاك الشائكة والخنادق الأمامية لهذا الموقع واستمرت المعركة طوال الليل ولكن جنودنا تمكنوا في النهاية من صد هذا الهجوم وارغام العدو على التقهقر صباح اليوم التالي مخلفاً وراءه عدداً من القتلى. وبعد ذلك كان لابد لنا من مواصلة ارسال الدوريات من الكتيبة الرابعة الى المناطق المقابلة لمواقعنا من الجنوب لإكتشاف مواقع العدو ومعرفة أبعادها لكي نكوّن صورة أوضح عن تحشداته حيث أصبح واضحاً لدينا أنه سوف يشن هجوماً على مواقعنا على نطاق واسع ليتمكن من فتح طريق القدس.

وفي مساء يوم ٢٢ أيار تم ارسال دورية مقاتلة الى عرطوف. ورغم انها اصطدمت مع إحدى دوريات العدو قرب قرية دير محيسن فقد تمكنت من الوصول إلى عرطوف وعادت بمعلومات جيدة ومفيدة عن مواقع العدو.

وفي الليلة التالية ٢٣ أيار ارسلت دورية مقاتلة اخرى تمكنت من إيصال الذخائر الى مركز عرطوف وعادت بسلام وابلغتنا عن تحركات للعدو إلى جهة الغرب.

وفي ليلة ٢٤ أيار تم ارسال دورية مقاتلة ثالثة واعطي لها واجب نسف جسر على طريق القدس ثم الاتصال بمركز عرطوف وجلب معلومات جديدة عن تحركات العدو. ولكن هذه الدورية تأخرت في تنفيذ مهمتها لأسباب إدارية مما اضطرها للعودة اثناء النهار يوم ٢٥ أيار عندما كان هجوم العدو قد بدأ. وكان لتأخيرها هذا تأثير مفاجيء على جناحه الأيمن أثناء الهجوم كما سيرد شرحه فيما بعد.

وخلال هذه الفترة كان العدو يحشد قواته للهجوم على مواقع اللطرون وقد كان يعرف ان قواتنا المدافعة عنها لا تزيد عن كتيبه واحده ولكن التطورات التي حدثت خلال هذه الأيام الحاسمة مكنتنا من تنفيذ القرارات التي أشرت اليها سابقاً لإعادة توزيع قواتنا لتقوية الدفاعات في منطقة جبال القدس الغربية الممتدة من النبي صموئيل حتى اللطرون. ففي يوم ٢١ أيار بدأت القوات العراقية انسحابها من منطقة المجامع بهدف استلام منطقة نابلس من الجيش العربي. وعلى هذا الأساس اتخذ القرار من قبل قيادة الجيش وقيادة الفرقة بسحب

الكتيبة الثالثة من نابلس يوم ٢١ أيار للهـجوم على منطقة باب العمود في القدس في فجر يوم ٢٢ أيار.

وعندما نفذت الكتيبة الثالثة هجومها هذا تمكنا من سحب سرايا الكتيبة الثانية التي نفذت الهجـوم الأول في الشـيخ جـراح كـجـزء من القـوة المختلطة واعادتها إلى مواقعها السـابقة في منطقـة النبي صموئيل يوم ٢٢ أيار. وحـيث ان طلائع القـوات العراقية كانت قد وصلت الى منطقـة نابلس بهذا اليـوم فـقد صدرت التعليمات الى قائد اللواء الأول بأن تنتقل قيادته بعد تسليم مـواقـعها للعراقيين يوم ٢٣ أيار إلى مـوقـعـهـا الجديد في طرف بلدة شعفاط شمالي القـدس، وان تسـتلم الكتـيبة الأولى مواقع الكتيبة الثانية في قرى بدو والنبي صموئيل وبيت سـوريك. وبنفس الوقت تتـحـرك الكتيبة الثانية إلى مواقعها الجديدة التي خصصناها لها في منطقـة باب الواد على أن تستلم إحدى سراياها موقع قرية يالو من سرية الكتيبة الرابعة التي سـتنضم لمواقع كـتـيـبتها في اللطرون. وهكذا أصبح لدينا كتيبتين في هذا القطاع من الجبهة بدل كتيبة واحده.

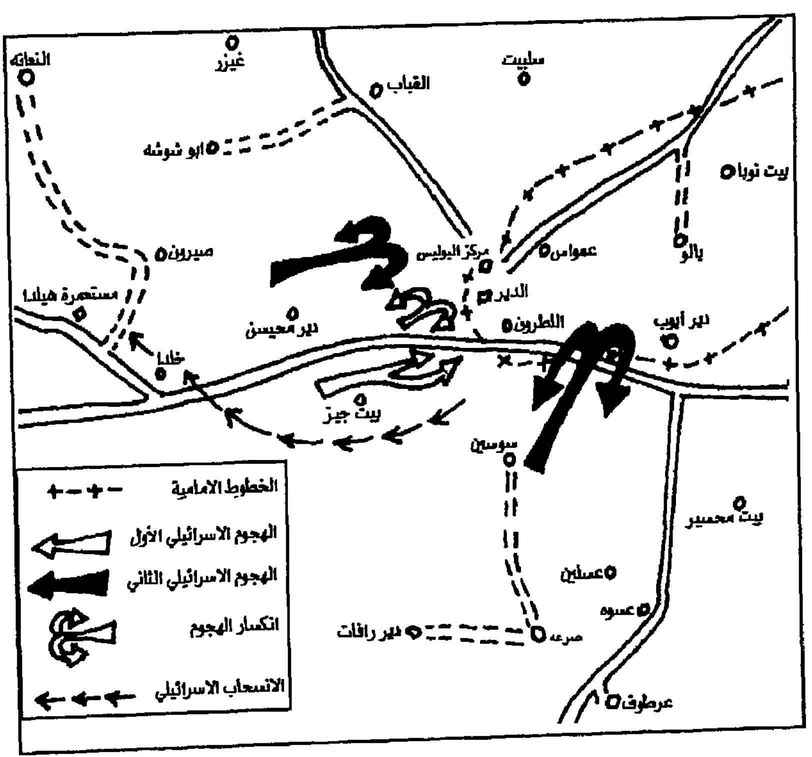
ولحسن الحظ أنه أمكن اتمام هذه التحركات وتركيز جميع الوحدات في مواقعها الدفاعية قـبل بدء الهجـوم على منطقة اللطرون. وأصبحت دفاعات الكتيبة الرابعة أكثر تماسكاً بنتيجة تقـصير طول جـبـهتها والتحاق سريتها التي كانت تتولى الدفاع عن مرتفعات (يالو) البعيدة عنها نسبياً.

الهجوم الأول على اللطرون وباب الواد ـ ٢٥ أيار عام ١٩٤٨م

لقـد حـشـد العـدو لهذا الهجـوم مجمـوعـة اللواء السابع المؤلفة من أربعة كتائب مشاه ومجموعة مدرعه تسندها مدفعية ١٧ رطل ومـدافع المورتر. وكانت منطقة تحشد هذه القوة في قـريتي خلده ودير محيـسن الواقـعـتين الى الغـرب من اللطرون. وكـان العـدو يهدف إلى اجـتـيـاح مواقع الكتيبة الرابعة في منطقة اللطرون معتمداً على كثافة النيران والتفوق العددي المتـوفـر لدى القـوة التي حـشـدها أمـامها. ومن ثم فتح طريق القدس وإحداث خرق بهذه المنطقة الدفاعية ليفتح طريق تقدمه باتجاه رام الله. (انظر الخارطة رقم ٤).

وحوالي السـاعة الواحدة صباح يوم ٢٥ أيار بدأ العدو بالتمهيد للهجوم بقصف شديد على منطقة مركز البوليس والدير الفرنسي وقرية عمواس من مدافع ١٧ رطل ومدافع المورتر لمدة سـاعـة. وحـوالي الثانية والنصف صباحاً تقدمت قوة تقدر بحوالي فئتين واشتبكت مع مواقع السريه الموجـوده في مركز البوليس والأحراش المحيطة بالدير. وبعد فترة انسحبت هذه القوة

تحت وطأة النيران الدفـاعـيـة. وبعـد هذا الاشـتباك الأولي تقدمت قوة الهجوم الرئيسية من مـرتفـعـات قـرية سوسين الواقعة جنوب اللطرون. ثم تقدمت كتيبتان نحو مواقع اللطرون شرق الدير الفـرنسي واتجـهت كـتـيـبـة نحـو مركز البوليس. فاكتشفتها المراقبات الامامية وعندئذ بدأت مـدفـعيتنا بالقصف المركز على هذه الحشود المهاجمه اثناء تقدمها فأوقعت بها الكثير من الإصـابات. لاسـيما وانها كما يظهـر تأخرت في بداية تقدمها مما جعلها تصل إلى المناطق المكشـوفـة أمـام دفـاعاتنا عند أول الضوء فأصبحت حشودها واضحة تماماً لمراقبة المدفـعـيـة. وقـد اسـتـمر قصفنا لها حتى طلوع الشمس. ورغم أن قوة العدو المهاجمه هذه وقـعت في منطقـة القتل المكشوفه وتكبدت الكثير من الإصابات بفعل القصف المدفعي إلا انها استمرت في تقدمها بوضح النهار وبعد طلوع الشمس.



خارطة رقم (٤)
الهجوم الاسرائيلي على اللطرون وباب الواد
الهجوم الأول بتاريخ ٢٥ آيار، والهجوم الثاني بتاريخ ٣٠ آيار ١٩٤٨م.

وعندما اقتربت من مواقعنا بمسافات قريبة قابلها جنودنا بنيران المورتر والرشاشات وباقي الأسلحة التي لديهم فأوقعوا بها إصابات ضخمة. والغريب ان قائد القوة الإسرائيلية عندما رأى ان كتائبه اصبحت منتشرة في أرض مكشوفة وتحصدها النيران الفتاكة من مختلف أنواع الأسلحة لم يحاول القيام بالانسحاب المنظم عندما كان يمكنه ذلك إلى منطقة أكثر أمناً لإعادة التنظيم وتوفير قواته لمعاودة الهجوم بها من جديد بوقت لاحق. بل استمر بالتقدم عبر الارض المكشوفة وجنوده يقتلون بالمئات حتى تم سحق هجومه نهائياً وهزم هزيمة منكره بعد قتال دام حوالي خمسة عشر ساعة. تاركاً في ساحة المعركة جثث المئات من القتلى ما عدا الجرحى الذين تم اخلاؤهم اثناء انسحابه. وقد قدرت خسائر العدو بهذه المعركة بحوالي ستمائة قتيل. كما غنمت الكتيبه الرابعه كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر.

ومما لاشك فيه أن صمود الكتيبة الرابعة في وجه هذا الهجوم الضخم كان يشبه المعجزه. ويرجع الفضل في ذلك إلى الشجاعه النادره التي أبداها جنود هذه الكتيبة وضباطها ومختلف مراتبها وتضحياتهم الهائلة في وجه هذا الخطر الماحق. الأمر الذي مكنهم من قطف ثمار تضحياتهم بهذا النصر المؤزر الذي حققوه رغم تفوق العدو عليهم بما يعادل أربعة إلى واحد.

ورغم إني لا أحبذ أن أشيد بأحد الضباط دون الآخرين حيث أنهم جميعاً اظهروا منتهى الشجاعة والصمود والاستعداد للتضحية. فإن هناك بعض المبادىء المهمه التي برز تطبيقها بشكل ملحوظ أثناء سير المعركة ولابد من الإشارة اليها نظراً لما كان لها من تأثير مباشر على نتيجة هذه المعركة وأوجزها بما يلي :

أولاً : ـ لقد ظهر حسن التصرف في تساند وتعاون الأسلحة المختلفة مثل المدفعية واسلحة الإسناد الأخرى في معاونة المشاة. وبهذا المجال فقد اظهر ضباط ملاحظة المدفعية مقدرة فائقة في تعيين الأهداف وإحكام اصابتها حيث كانوا يقتربون من مواقع العدو تحت كثافة النيران بكل شجاعه ويحددوا أهدافهم بدقة تامه وكان لإجراءاتهم هذه أثرها الفعال في إيقاع الإصابات الضخمة بجنود العدو ومعداته. واستحقوا الثناء.

ثانياً : ـ الابداع الذاتي والمسؤولية الفردية : ولقد ظهر هذا المبدأ بوضوح عند الضباط الذين كانوا يقودون الدوريات المقاتلة وتواجههم ظروف مفاجئة فيتصرفون فوراً وبدون تردد أو حتى مجرد التفكير بالانتظار لتلقي الأوامر من قياداتهم.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما قام به قائد احدى الدوريات المقاتلة الذي أرسل مع دوريته

في اليوم السابق للهجوم بهدف نسف جسر على الطريق الرئيسية المؤدية الى باب الواد والاتصال بمركز عرطوف.

ولكن قائد هذه الدورية فصل مجموعة من الجنود وارسلهم إلى عرطوف ونسي كما يظهر أن يتأكد من أن صواعق المتفجرات بقيت عنده حيث اخذها أحد الجنود الذين ذهبوا الى عرطوف معه. فاضطر قائد الدورية لإرسال مجموعة أخرى لتلحق بالأولى وإعادة الصواعق. وكانت هذه الحركة سبباً في تأخير تنفيذ عملية النسف بضعة ساعات واضطر بالنتيجة إلى العودة اثناء النهار عندما كان هجوم العدو على مواقع اللطرون وباب الواد على أشده. وفي طريق عودته شاهد أمامه كتيبة اسرائيلية كانت في طريقها لإحتلال قريتي بيت جيز وسوسين ثم التقدم الى قرية دير ايوب بهدف تطويق مواقع الكتيبة الرابعة من جهة الشرق. فوجد قائد الدوريه أنه يواجه قوة ضخمة تتفوق على دوريته تفوقاً هائلاً. ولكنه رغم ذلك اتخذ قراره بسرعة لمصادمة قوة العدو فوراً فأقترب من مواقعها وبادرها بإطلاق النار. وقد فوجيء العدو بهذا حيث لم يكن يتوقع وجود قوات للجيش العربي في تلك المنطقة.

وبهذه الأثناء سمع قائد مفرزة عرطوف صوت إطلاق النار فعرف أن الدورية اشتبكت مع العدو فقرر هو الآخر بدون تردد أن يخف لنجدتها على مسؤوليته. واخذ مجموعة من جنوده وتقدم فوراً واشتبك مع العدو من جهته كذلك. وعندئذ ظن العدو أن هناك قوات كبيرة من الجيش العربي تشن هجوماً معاكساً عليه من جهتين وتحاول تطويقه فبادر فوراً بالإنسحاب بشكل غير منتظم. وقد تكبد العدو بهذه الحركة المفاجئة الكثير من الإصابات بينما خسرت دوريتنا ثلاثة شهداء. ولقد لعبت الصدفة دوراً حاسمًا بهذه العملية. ومما لا شك فيه أن إشتباك هذه الدورية مع قوة العدو المتقدمة على جناحه الأيمن وفي ذلك الوقت بالذات كان له دور مهم في سير المعركة الرئيسية حيث أنه لو نجحت تلك الكتيبه المعادية بالوصول إلى هدفها لأصبح موقف دفاعات الكتيبة الرابعة حرجاً للغاية في خضم المعركة التي كانت دائرة في اللطرون. ولكن هذه العملية المحدودة التي نفذها قائد الدورية بمبادرته الذاتية حالت دون ذلك

معركة الرادار ٢٦ أيار عام ١٩٤٨م

تلة الرادار هذه هي تلة مرتفعه تقع إلى الشمال من الطريق المؤديه من باب الواد الى قرية ابو غوش ثم إلى قرية (بدُّو) وإلى مدينة رام الله. وهي تسيطر على هذه الطريق وعلى الطرق الأخرى المؤدية من قرية بدو إلى مرتفع النبي صموئيل وعلى الطريق الرئيسية المؤدية من

اللطرون إلى قـرية بيت عـور ثم إلى رام الله. هذا بالإضـافة إلى إنها تشرف على مواقع الكتيبه الأولى في قـرية القـبيبه ومرتفع النبي صموئيل وقرية بدو كذلك، وكان الجيش البريطانى قد أقـام على هذه التلة مـركـزاً للرادار وقـام بتـحـصينها بالخنادق والدشم الدفاعيه والأسلاك الشـائكة والألغام إبان عهد الإنتداب. وتقع إلى الغرب من تلة الرادار هذه وعلى تلة أخرى اقل ارتفاعاً على بعد حوالي اربعة كيلو مترات مستعمرة يهودية إسمها (مستعمرة الخمسه).

كـان اليهود يحتلون موقع تلة الرادار بقوة تقدر بحوالي سرية مشاه مسنده. كما كان لهم قوة أخرى في مستعمرة الخمسه.

وقـد دأب هؤلاء اليـهـود على إطلاق النار من تلة الرادار على مـواقع الكتـيـبة الأولى منذ وصـولها وأوقعوا العديد من الإصابات بين جنودها. وكان من المقرر احتلال هذه المواقع منذ البـداية ولكننا اضطررنا لتأجـيل هذه العملية التي كانت ستنفذها الكتيبة الثانية نظراً لقيامنا بسـحب بعض سراياها لتشكيل القوة المختلطة لاحتلال الشيخ جراح كما أسلفت.

أمـا الآن وقـد توفـرت القـوة الكافية بوجود الكتيبة الأولى في المنطقة فقد صدر الأمر من قـيـادة الفـرقـة إلى قـائد اللواء الأول لتنفـيذ هذه العملية من قبل الكتيبة الأولى لاحتلال تلة الرادار ومـسـتـعـمـرة الخـمـسـه سوية. وقد قام قائد اللواء والضباط المعنيين بهذه العمليه بـالـكشف على هذه المواقع يوم ٢٥ أيار لوضع خطة الهجـوم الذي تقـرر أن يتم بمـوجـبها إحتلال تلة الرادار بالمرحلة الأولى ثم احتلال مستعمرة الخمسه بعدها.

وتقـرر ان تقـوم بتنفـيـذ المرحلة الأولى من الهجـوم واحـتلال موقع الرادار سرية المشاه الرابعـة من الكتيبة الاولى بقيادة الملازم سلامه عتيقّ وتساندها بطارية مدفعية الميدان وستة مدافع مورتر ٣ إنش وستة رشاشات متوسطة (فكرز) من سرية الاسناد.

بدأ الهجـوم بالسـاعة الثالثة والنصف من صباح يوم ٢٦ أيار بقصف كثيف ومركز على مـواقع العـدو من المدفـعـيـة وباقي الأسلحـة المسانده. وبعد فترة وجيزه قام جنود السرية باقـتـحام الموقع بعد فتح عدة فجوات بالأسلاك الشائكة. وبهجوم صاعق تمكنوا من احتلاله بسرعـة بعـد أن كبدوا العدو عدداً لا يستهان به من القتلى والجرحى. وقد هرب من بقي من جنود العدو عبر الوادي المؤدي الى قرية القسطل وهم يحملون جرحاهم. وقد خسرت السريه الرابعـه خمسـة شهداء وخمسة عشر جريحاً كان من بينهم قائد السرية الذي جرح في بداية الاقـتـحام بشظية من مصيدة (مغفلين) كانت مربوطة بمسدس معلق على الأسلاك الشائكة. وقد رفض اخلاءه الى الإسعاف قبل انتهاء المعركة وكان له ما أراد.

بعد إكمال احتلال موقع الرادار نقلت المدفعيه نيرانها الى مستعمرة الخمسه تهيئة لتنفيذ المرحلة الثانية من الهجوم حسب الخطة الموضوعه للعملية وشبت فيها الحرائق وعندئذ تقدمت القوة المخصصه لتنفيذ هذه المرحلة وهي سرية المدرعات تتبعها سريتي المشاه الاولى والثانية وبدأت المدرعات بإطلاق نيران مدافعها ورشاشاتها على مختلف الاهداف في المستعمره أثناء تقدمها. وقد بدأ سكان المستعمرة المدنيين يهربون منها نحو الوادي القريب منها إلى الجهة الجنوبية. وبهذه الأثناء أصيبت إحدى مدرعاتنا بصاروخ كما قتل سائق مدرعة ثانية. وعندئذ تدخل قائد اللواء الزعيم (جولدي) وأمر بإيقاف الهجوم وعودة السرايا إلى خلف موقع الرادار بعدما كان احتلال مستعمرة الخمسه قد أصبح وشيكاً. وكانت حجته بهذا الإجراء إنه يريد تجنب وقوع المزيد من الإصابات. وأنه سيكون بإمكانه أن يعيد الكره لإحتلال هذه المستعمرة بعد وضع الاستعدادات اللازمة بالمستقبل القريب.

ولكنهم مع ذلك لم يعاودوا محاولة احتلال مستعمرة الخمسه هذه وبقيت بيد اليهود. ومنها اخذوا يشنون الهجمات الليليه على موقع الرادار لمحاولة استرداده. ولكن جنودنا كانوا يصدونهم باستمرار ويكبدونهم خسائر فادحه. لكن اليهود بالنتيجه احتفظوا بموقع مستعمرة الخمسه المهم نهائياً.

والغريب بهذه القضية انه لم تجري مساءلة لقائد اللواء على هذا التقصير رغم أن كل ما ابداه من أسباب لرجوعه عن هذه المستعمرة هي أنه كان يريد توفير الخسائر والإصابات مع أن كل خسائرنا حتى تلك اللحظة التي أوقف فيها الهجوم كانت شهيداً واحداً واعطاب مدرعه واحده. وبالمقابل فإن التل الذي تقع عليه تلك المستعمره كان في غاية الأهمية ولو استمرت القوة المهاجمه في تقدمها لتمكنت من احتلاله خلال مدة ساعه واحدة على الأكثر. ولن تزيد خسائرنا بهذا الهجوم عن خسائرنا بالهجوم الذي سبقه على موقع الرادار كثيراً. ولكن ما هي أهمية الإصابات في المعركة في سبيل احتلال هدف حيوي كهذا. السنا نتوقع التعرض للإصابات عندما نخوض كل معركة وبنسب متفاوتة ومع اعتبار أهمية هذا الهدف كان يجب أن نحتله في ذلك الهجوم حتى لو خسرنا ثلث القوه المهاجمه رغم ان هذه النسبه من الخسائر لم تكن محتمله ولا متوقعه على أي حال.

وعلى الرغم مما أبداه قائد اللواء من تفسيرات واعذار عن سبب عدوله عن إحتلال مستعمرة الخمسه فإن السبب الحقيقي بقي طي الكتمان بدليل أن قائد الفرقه وافق على إجراءاته رأساً بلا نقاش بدلاً من ان يحاسبه رسمياً. أو على الأقل أن تجري مساءلته ولو شكلياً. وفي معرض تفسير هذا الموقف فإني لا أجد سبباً واحداً معقولاً سوى أن الإنجليز لن

يسـمـحـوا بإحـتلال أي مستعمرة يهودية ضمن نطاق ما كانوا يعتبرونه من صميم المناطق المخصصه لليهود بموجب قرار التقسيم أو في موقع حيوي يهددها.

الهجوم الثاني على اللطرون وباب الواد : ٣٠ أيار ١٩٤٨م

بعـد فـشل العـدو بهجـومـه الأول على منطقة اللطرون كنا نتوقع انه سوف يعيد الكره بهجـوم آكبر على تلك المنطقة لمحاولة احتلالها وفتح طريق القدس. نظراً لما كانت تعانيه قواته فـيـها من نقص في الذخائر وما كان يعانيه السكان من ضيق بسبب النقص الخانق في المواد التـمـوينيـة وشح في المياه ولابد له أمام هذا الواقع من التوصل إلى حل جذري لهذه المشكلة الملحـة بفتح الطريق الرئيسيه أمام قوافل التزويد. وقد اتضح مدى الضيق الذي كان اليهود يعـانون منه في القـدس عندمـا اكـتشفت دوريات الكتيبة الرابعه انهم ينقلون الذخائر والمؤن على ظهـور البـغـال وأكـتـاف الجنود ليـلاً عبر التلال الواقعة جنوب باب الواد لإيصالها إلى القدس

أمـا موقفنا العام في جبهة الفرقة فلم يكن سهلاً. فمن جهة كانت الاشتباكات مستمرة في القدس رغم ان خطنا الدفاعي كان مستقراً. ولكن المعارك الموضعيه لم تتوقف حيث استمرت القـوات اليـهـودية بشن الهجمات على مواقعنا في القدس القديمه والجديده. وكذلك ضد موقع الرادار. ومن جـهـة أخـرى فـقـد خسرت جميع الكتـائب اعـداداً لا يسـتـهان بها من القتلى والجرحى تتراوح بين ١٥ بالمئة إلى ٢٠ بالمئة من مـرتبها خلال المعارك السابقة ولم نتمكن من تعـويضـهـا. كما لم يكن لدينا أية قـوات إحـتياطية نستطيع سد الثغرات بها أو مواجهة الإختراقـات في الجـبـهـة في حال حدوثها. والأخطر من هذا ان مخزوننا من الذخائر ولاسيما ذخائر المدفعيه والمورتر قد تناقص بشكل كبير ولم تصلنا أية كميات لتعويضها

وبهذه المرحلة الحـرجة التي كنا نتوقع فيها أن يشن العدو هجوماً ضخماً على مواقعنا في اللطرون وباب الواد حـدثت تطورات خطيرة للغـاية. فبتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٨م وافق مجلس الأمن الدولي على قـرار تقـدمت به بريطانيـا بدعـوة العرب واليهود للموافقة على عقد هدنة في فلسطين لمدة أربعـة أسـابيع ودعـوة جميع دول العـالم للإمتناع عن تزويد أي من الأطراف المشتركة في القتال بالأسلحة والمعدات الحربيه

وبنفس اليـوم وبدلاً من أن تلتزم بريطانيا بشروط المعاهدة وتزودنا بحاجتنا من الذخائر ولو على الاقل بدل الكمـيـات التي اسـتهلكناها في القتال-اتخذت قراراً بسحب جميع الضباط الانجليـز المعـارين للجـيش العـربي من منطقة العمليات الحربية على أن لا يتأخر تنفيذ هذا القرار عن يوم ٣٠ أيار.

(أي أنها اعطتنا مهلة ٢٤ ساعة فقط لكي نتدبر أمر تبديل جميع قادة الوحدات في الجيش أثناء القتال). رغم أن بريطانيا هي التي فرضت علينا استعارة هؤلاء الضباط وحالت دون تدريب اعداد كافية من الضباط العرب وتأهيلهم لقيادة وحدات الجيش طيلة ربع قرن مضى منذ ان استعمرت شرق الأردن بإسم الانتداب. كما أنها امتنعت عن تزويدنا بكافة أنواع الأسلحة والذخائر وأوقفت صرف المعونه الماليه للجيش وابلغت هذا القرار رسمياً الى الحكومة الأردنية.

ولقد كان هذا القرار طعنة قاسية وجهتها لنا هذه الدولة الحليفة خلال أخطر مرحلة من مراحل الحرب التي كنا نخوضها فقط للدفاع عن ما تبقى للعرب من فلسطين بموجب قرار التقسيم. وبالمقابل فقد كنا نعرف أن ضابطاً أميركياً برتبة (بريجادير جنرال) اسمه ماركوس كان في الجيش الإسرائيلي ويعمل في ذلك الوقت بالذات قائداً عاماً للقوات التي تم حشدها في منطقة (خلده) والمكونه من ثلاثة ألوية للهجوم على مواقعنا في اللطرون وباب الواد. ولم تقم أمريكا بسحبه من ساحة العمليات كما فعلت بريطانيا بضباطها. ولابد أنه كان يوجد غيره الكثيرين من الضباط والفنيين الامريكيين الآخرين يقاتلون في صفوف الهاغاناه. وقد ثبت لنا من المعلومات الاستخباريه ان الحكومة الإسرائيلية اتخذت قراراً بهذه الفترة يقضي بإعادة تنظيم قواتها المسلحة ووضعها بإمرة قيادة عليا واحده وسرحت عناصر الفئات المنفرده التي كان لها قيادات مستقلة عن الجيش كما نظمت قطعاتها بشكل ألوية وقسمت مناطق القتال الى جبهات وعينت لكل جبهة قائداً مسؤولاً عن جميع الألوية المقاتلة في تلك الجبهة.

وفي الوقت الذي سحبت بريطانيا ضباطها من الجبهة ومنعت عنا الذخيره وأوقفت صرف الميزانية الماليه للجيش كان الباب مفتوحاً أمام اليهود لجلب الأسلحة من مختلف انحاء العالم ولاسيما من دول الكتلة الشرقية حيث تعاقدوا على صفقة ضخمة من الدبابات والطائرات والمدافع ومختلف الأسلحة الأخرى التي اخذت تصلهم تباعاً وليس بمقدورنا نحن أو الدول العربية الأخرى ان نمنع وصولها.

وبهذه الفترة الحرجه شن العدو هجومه الثاني على مواقعنا في اللطرون وباب الواد مساء يوم ٣٠ أيار على النحو التالي

بدأ العدو تمهيده للهجوم بقصف مدفعي مكثف على مواقع الكتيبتين الثانيه والرابعه دام حوالي ساعتين وقبيل منتصف الليل تقدمت قواته المكونه من رتلين احدهما تتقدمه كتيبه مصفحة تتبعها قوة من المشاه باتجاه مركز بوليس اللطرون وتهدف إلى اقتحام هذا المركز

ثم تتـقدم بعد ذلك لتدمير مدافعنا المتمركزه خلفه وإحداث إختراق من ميمنة دفاعاتنا باتجاه رام الله.

كما تقـدم الرتل الثانى المكون من كتيبة (بالماخ) تتبعها كتيبة مشاه اخرى باتجاه منطقة باب الواد بهدف احتـلال مـرتفعات (يالو) والالتفاف خلف دفاعات كتائبنا من جهة اليسار. وفي حـالة نجـاح هذا الهجـوم فإن العـدو كـان يتـوقع ان الكتـيـبتين الرابعة والثانية سوف تضطران إلى الانسـحـاب من مـواقـعـهما الحـاليـة الى الخلف تجنبـاً للوقـوع بداخل الطوق والتعرض للتدمير

كـانت القـوة المدافـعـه عن مـركـز بوليس اللطرون مكونه من فئة مشاه تسندها حظيرة رشـاش مـتوسط (رشاشين فكرز) متمركزين على الأبراج. وتحيط بالمركز الأسلاك الشائكه والخنادق. وبشكل عـام كـانت تحصينات هذا الموقع جيده. ولكن قوة العدو كانت تتكون من حـوالي ثلاثين آلية مختلفة منها السيارات المصفحة التي تحمل مدافع المورتر وناقلات الجنود المجنزره والمدرعـات. وقـد تمكن هذا الرتل من الوصول الى مركز البوليس بسهولة واجتازت بعض مـصـفـحاته الأسلاك الشائكة ووصلت إلى مدخل المركز الذي كان بابه مسدوداً فقط حـيث نسي الجنود اغـلاقـه بالمزلاج والقـفل ولحسن الحظ أن جنود العدو افترضوا انه كان مـقـفـلاً ولذلك بدأوا يسـتـعـملون الاوكسجين لفتحه حيث كان الباب مصنوعاً من الحديد المصـفح وأثناء هذه العـمليـة كـانْ جنودنا المتـمـركـزين على الأبراج يمطرون العدو بنيران الرشـاشـات والقنابل اليـدويه وصـواريخ (البـيات) وكل ما لديهم من الاسلحة الفردية وقد شب حـريق في غـرفة خشبيه قريبة من الباب الخارجي بنتيجة القاء القنابل الفسفوريه التي كـانـت تـقـذف من فـوق الأبراج. وقـد سـاعـدت هذه النيران على وضـوح الرؤية وكـشـف مـصـفـحـات العـدو بحيث تمكن جنودنا من تحقيق الإصابات الدقيقة بجنود العدو وآلياته والحـقـوا بهم خـسـائر لا يستهان بها. وقد احترقت المدرعه التي كانت متوقفه خارج الباب. ولكن رغم هذا فـقـد كـان الموقف في غاية الخطوره لأن قوات العدو كانت تحاصر المركز من جميع الجـهـات وهي بنفس الوقت تتـفـوق على القـوة المدافعه عنه بعدة اضعاف وأمام هذا الموقف الخطر فـقـد اتخذ قـائد الفئه الملازم عـبـد المجـيـد عبد النبي المعايطه قراره الحاسم لمعـالجـة هذه الحـاله التي وجـد نفـسه فيها بأن طلب من قائد الكتيبه ان تطلق المدفعيه نار تخـليص الأرواح (SOS) على مـوقـعـه وقد كان هذا الطلب ينطوي على شجاعة نادرة وبطولة انتـحـارية لأنه كـان يعرف ان القذائف ستسقط على منطقة المخفر بكاملها وقد لا ينجو هو وجنوده منها وان هذا النوع من القصف لا يطلب عادة إلا بآخر لحظة عندما يكون العدو قد احـتل الموقع. ولكن هذا الضـابط الشـجـاع كـان على حق بهذا الطلب لأن مقاومته بما كان

متوفراً لديه من أسلحة لم تكن كافية لصد هجوم العدو الذي كان يحاصره بالدبابات والمصفحات. وعلى الرغم من الإصابات التي أوقعها بهم فإن طالت مدة المعركة سوف يتمكن العدو بالنهاية من اقتحام المركز وتصفية الجنود المدافعين عنه. ولذلك فقد وجد عبد المجيد أن أمله الوحيد بالنجاه يتمثل بطلب نار تخليص الأرواح رغم خطورتها عليه وعلى جنودد وان هي الا فترة وجيزه حتى انطلقت قنابل المدفعيه والمورتر بتجميع رهيب على منطقة مركز البوليس. وقد كان قصفاً فتاكاً حيث دمر عدداً من مصفحات العدو على الفور وبادر الباقون إلى الإنسحاب بسرعة حوالي الساعة الثالثة صباحاً. وقد تكبد العدو بهذا الهجوم خسائر فادحه بالأرواح والمعدات. ولكن مع الأسف فقد استشهد الملازم عبد المجيد المعايطة بآخر مراحل هذه المعركة فجر يوم ٣١ أيار.

كما استشهد عدد من جنوده رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته.

وأثناء هذه العملية كانت معركة اخرى ثانوية تجري عند قرية عمواس. حيث فصل العدو سرية مشاه وثلاثة مصفحات لتقوم بمحاولة احتلال قرية عمواس ودير اللطرون من الخلف ثم تلتقي مع القوة الرئيسية بعد احتلال مركز البوليس. ولكن هذه القوة الخاصه جوبهت بمقاومة عنيفة في كلا الموقعين اجبرتها على الإنسحاب بعد أن تكبدت خسائر بالارواح وعندئذ انتهى الهجوم على مركز اللطرون.

أما في منطقة الكتيبة الثانية فقد تقدمت كتيبة العدو المهاجمة عن طريق (دير ايوب) إلى منطقة (يالو) من جهة الشرق وتمكنت من الوصول إلى أمام مواقع السرية الثالثه حوالي الساعه الواحده صباحاً ووصلت إلى مسافة خمسين متراً عن الخنادق الأمامية ولم تكتشف إلا بعد أن بدأت بإطلاق النار فرد جنودنا على نيران العدو بسرعة وفعاليه ودام الاشتباك عدة ساعات حتى طلوع النهار وعندئذ عمدت قوة العدو إلى الانسحاب بسرعة بعد ان تكبدت خسائر فادحه بالأرواح.

وهكذا فشل هجوم العدو الثاني على منطقة اللطرون وباب الواد. وكانت حصيلة خسائره التي بقيت في ساحة المعركة كما يلي :

١ ـ في منطقة الكتيبة الرابعة :

حوالي ٢٠٠ قتيل ما عدا الذين تمكن العدو من إخلائهم كما غنمت الكتيبة كميات كبيره من الأسلحة والذخائر

٢ ـ في منطقة الكتيبة الثانية :

حوالي مائة قتيل ما عدا الذين تمكن العدو من إخلائهم. كما غنمت الكتيبة عدداً من البنادق والرشاشات.

طريق بورما :

بعد فشل الهجوم الثانى الذي شنه العدو على منطقة اللطرون وباب الواد بهدف فتح طريق القدس ـ تل أبيب اتضح له أنه لابد من إيجاد حل بديل وبسرعه لأزمة القدس لتأمين تزويدها على نطاق واسع بما يكفي لسد حاجاتها الحيوية من المؤن والذخائر حيث لا يمكنهم الاعتماد على نقل المؤن على البغال وأكتاف الجنود لمدة أطول. لاسيما وان وضع المدينة أصبح حرجاً واخذت معنويات السكان تتدهور واصبح عامل الزمن حاسمًا بالنسبة لهم. ولهذا فقد قرر العدو فتح طريق بديله عن الطريق الرئيسيه التي تمر من وراء التلال المقابلة لباب الواد من جهة الجنوب تبدأ من قرية (دير محيسن) الى (بيت جيز) ومنها الى (بيت سوسين) حيث تلتقي مع طريق القدس الرئيسية .

وقد كانت المسافة التي سوف يشقوها حوالي ستة أميال. وللمحافظة على سرية هذه العملية قاموا بإحتلال قريتي (بيت جيز) و(بيت سوسين) وطردوا جميع سكانهما وقد حشدوا لهذه العملية مجموعات كبيرة من الآليات والعمال في طرفي الطريق بحيث بدأت المجموعه الأولى من بيت جيز في الغرب والمجموعة الثانية بدأت من القدس في الشرق وتمكنوا من فتح هذه الطريق خلال بضعة أيام حيث عبرتها أول قافلة بتاريخ ٦ حزيران. ورغم ان الطريق كانت مخفيه عن مراقباتنا الأمامية إلا أن دورياتنا تمكنت من إكتشافها ولم يكن في الواقع بإمكاننا منع العمل بهذا الطريق إلا بإحتلال التلال المشرفة عليها والواقعة جنوب باب الواد. وهذا كان مستحيلاً بالنسبة لنا لعدم توفر أية قوات إحتياطية كافية لمثل هذه العملية والتي كانت تحتاج إلى لواء كامل لتنفيذها. وهذا لا يمكن توفيره. ولكن كان من الممكن أن نقوم بعرقلة العمل بإستعمال القصف المدفعي ولكن هذا إجراء غير مجدي لاسيما وان مخزوننا من قذائف المدفعيه كان محدوداً ولايمكن أن نضحي باستهلاكه لعرقلة العمل بالطريق لنجد بعد ذلك أننا لا نستطيع توفير الاسناد الكافي لجنودنا عندما يتعرضون للهجوم وخصوصاً ونحن نعرف أن عرقلة العمل لا تعني سوى تأخير انجاز فتح الطريق أسبوعاً آخر أو أسبوعين ولكنها بالتالي سوف تفتح. وإذن فمن الأفضل لنا أن نوفر جهد المدفعيه وقذائفها لاسناد جنودنا في القتال، وهكذا كان القرار .

يلاحظ أن اليهود استعملوا اسم (طريق بورما) لهذا المشروع وقد كان هذا الإسم مأخوذاً من واقعه مشهوره في الحرب العالمية الثانية عندما انقطع التزويد عن الجيش الرابع عشر البريطانى بقيادة الجنرال سليم (SLIM) الذي كان يقاتل في (بورما) واضطرت القيادة البريطانية ان تقوم بتزويده بالطائرات ريثما تمكنوا من شق طريق بريه طويلة اطلقوا عليها إسم (طريق بورما) لتزويد هذا الجيش من القواعد الرئيسيه في الهند.

سحب الضباط الانجليز من منطقة العمليات :

بعد قرار بريطانيا سحب ضباطها من منطقة العمليات اصبحنا مضطرين لتكييف اوضاعنا بشكل يمكننا من مواصلة القتال بكفاءة ونجاح دون إحداث فراغات خطيرة في القيادات التي سوف يتركها الضباط الانجليز قبل ان نستطيع ايجاد البديل.

وقد كان هذا القرار يشمل قائد اللواء الأول وقادة الكتائب الأولى والثانية والثالثة وقائد المدفعية والركن الأول للعمليات والركن الثالث للإدارة في قيادة الفرقة. ولما كانت الحكومة البريطانية قد حددت يوم ٣٠ أيار كآخر موعد لسحب ضباطها فقد كان هذا التاريخ أسوأ موعد بالنسبة لنا. فبهذا التاريخ كانت حشود العدو قد اكتملت في منطقة خلدا وأصبح الهجوم على اللطرون وباب الواد وشيكاً ومتوقعاً بأي لحظة. ومن جهة أخرى لم يكن لدينا العدد الكافي من الضباط العرب المدربين لملء جميع المراكز التي سيتركها الضباط الانجليز لاسيما وان الوقت المتاح لنا لإجراء عملية التكيف وإيجاد البدائل لا يتجاوز مدة ٢٤ ساعة. وأمام هذا الواقع تقرر إجراء بعض التغييرات في مواقع القيادات بحيث يتمكن معظم الضباط الإنجليز من الإستمرار بتنفيذ مهماتهم من خارج حدود فلسطين وعلى هذا الأساس تم نقل قيادة الفرقة الرئيسية من منطقة قرية (بيتين) شرق رام الله إلى منطقة (يوشع) شمال مدينة السلط على أن تستمر بممارسة كامل واجباتها الحربيه من هناك. وتحرك معها الركن الأول للعمليات الميجر داونز والركن الثانى للعمليات الرئيس صادق الشرع والركن الثالث للإدارة الكابتن دين. أما قائد الفرقة اللواء لاش الذي لا يشمله القرار لأنه كان متعاقداً مع الحكومة الاردنية وليس معاراً لها من الجيش البريطانى فقد بقي في القيادة الأمامية التي نقلت بدورها إلى قرية (بيتونيا) جنوب مدينة رام الله.

كما نقل إلى قيادة الفرقة الأمامية كضابط ركن عمليات وكيل القائد علي الحياري من قيادة الجيش بصفة مؤقتة. وكذلك نقلت قيادة اللواء الأول بكاملها من منطقة قرية شعفاط شمال القدس إلى منطقة يوشع بجوار قيادة الفرقة الرئيسية على أن تمارس كامل واجباتها الحربية من هناك. وبهذا الشكل يكون قائد اللواء الأول قد استمر بممارسة كافة مسؤولياته لكن من خارج حدود فلسطين. أما قائد اللواء الثالث فقد بقي في قيادته حيث كان متعاقداً مع الحكومة الأردنية للخدمه في الجيش العربي ولا يشمله القرار. أما قادة الكتائب الثلاثة فقد تم نقلهم إلى قيادة الجيش واستبدالهم بضباط انجليز آخرين من الإداريين الذين كانوا يعملون بموجب عقود مع الحكومة الأردنية. ولم يكن هذا الإجراء سليمًا تماماً لأن هؤلاء الضباط الإداريين لم يكونوا في واقع الأمر مؤهلين لقيادة الكتائب في المعركة ولكنهم عينوا

لهذه القيادات لإنهم انجليز فقط وبهذه الأثناء قام قائد الجيش بإيفاد الكولونيل (بلاكدن) قائد الكتيبة الأولى إلى بريطانيا ليتعاقد مع بعض الضباط المتقاعدين لكي يستخدموا كقادة كتائب ويمكنهم البقاء في منطقة العمليات. وخلال الفترة الإنتقالية سيعتمد على الضباط العرب (أركان حرب الكتائب) الذين كانوا برتبة ملازم أول.

ولم تمض بضعة أيام حتى تمكن بلاكدن من التعاقد مع عدد من الضباط الذين كان من بينهم الميجر لوكت الذي كان أول من وصل وعين قائداً للكتيبة الثانية. وهنا لابد من التنويه إلى أن قائد الجيش كان يستطيع الاستغناء عن كل هذه الإجراءات لاستقدام ضباط متقاعدين من بريطانيا لتعيينهم قادة كتائب مشاه لو رغب بذلك حيث كان بإمكانه أن يجد من بين الضباط العرب ثلاثة ضباط يستطيعون قيادة الكتائب الثلاثة التي يقودها الإنجليز حتى ولو كانت رتبتهم أقل من رتب القادة السابقين والدليل على ذلك أنه عندما تم نقل ضباط انجليز إداريين لقيادة هذه الكتائب تقرر بنفس الوقت الاعتماد على أركان حرب الكتائب من الضباط العرب في المعركة رغم ان رتبهم لم تكن تزيد عن ملازم أول. وهذا أوضح دليل على أنهم كانوا يعينون الضباط لهذه المناصب لإنهم انجليز وليس لأنهم مؤهلين لقيادة الكتائب. ولكن إذا اردنا ان نأخذ بعين الإعتبار الحجة التي كانوا يتذرعون بها بأنه لايوجد في الجيش من الضباط العرب من هم مؤهلون ومتخرجون من كلية الاركان لكي يتسلموا مراكز ضباط الركن العليا أو قيادات الألويه وما يعادلها فإنه على الأقل كان بإمكانهم تسليم قيادات جميع الكتائب للضباط العرب وسيكونون أفضل من الإنجليز لهذه القيادات. ولكن كان من الواضح أنهم كانوا يصرون على الاحتفاظ بجميع القيادات والمراكز المهمه بيد الضباط الانجليز حتى ولو كانت حكومتهم قد قررت إخراجهم من الجبهة.

ولقد احببت أن أذكر تفصيلات هذه الواقعة لكي أبين مدى الحيف الذي كانت تفرضه علينا المعاهده مقروناً بالابتزاز الإستعماري من الطراز الخبيث.

الهجوم الثالث على اللطرون وباب الواد : ٩ حزيران ١٩٤٨م

على الرغم من أن اليهود نجحوا بفتح طريق جانبيه تؤدي إلى القدس (طريق بورما) التي أشرت لها سابقاً واستطاعوا بواسطتها تسيير قوافل التزويد إلى المدينه لكنها مع ذلك لم تحل مشكلتهم حلاً جذرياً. ولهذا كان لابد لهم من إعادة محاولتهم لفتح الطريق الرئيسية بإحتلال مواقعنا في اللطرون وباب الواد وهو الحل الذي يفتح أمامهم احتمالات مهمة تمكنهم من السيطرة على طريق القدس الرئيسية والتلال المشرفة عليها مع إمكانية الانطلاق

نحـو مدينة رام الله وبالنتيجة تهديد جميع مواقعنا الرئيسية بضربة واحدة. وكان متوقعاً ان يقـومـوا بمـثل هذا الهجـوم بسرعـة قـبل موعد حلول الهدنة التي اتخذ مجلس الأمن الدولي قـراراً بها بتاريخ ٢٩ أيـار. كما ان الكونت برنادوت كـان قـد وصل إلى عمان بتـاريخ ١٠ حزيران بصفته وسيطاً دولياً عين لهذه المهمة الصعبة

وقـد بدأ العـدو نشـاطاته اعـتباراً من أول حزيران استعداداً لهذا الهجوم الجديد بقصف مـواقـعنا بالمدفـعـيـة بشكل مـتواصل وإرسال الدوريات المقاتلة للاحتكاك بمواقعنا الأمامية لتـحـديد إبعـادها وقد اخذ يزيد من كثافة نيران مدفعيته على جميع مواقعنا وخصوصاً على قـيـادات الكتـائب وقيادة اللواء الثالث حتى بلغت ذروتها يوم ٦ حـزيران مما اضطر قيادة اللواء لإخـلاء موقعها المتقدم في مرتفعات قرية يالو والانتقال الى موقع بديل شرق مثلث بيت سـيرا. وبـنـفس الوقت ازدادت نشـاطات دوريات العـدو المقـاتلة بحـيث صـارت تصل إلى مـسـافات قريبة من الخنادق الأمامية وتشتبك معها بالنيران ثم تنسحب لكي تكتشف نقاط الضعف والممرات المفتوحة بين دفاعات السرايا الأمامية. وقد تمكنت إحدى هذه الدوريات من قطع خط الهاتف الذي كـان يربط مـركـز بوليس اللطرون مع قـيادة السريه وزرعت بعض الالغام خارج الأسلاك الشائكة في الجهة الغربيه من المركز.

كل هذه المؤشرات كـانت تدل على أن هـجـوم العـدو أصـبـح وشيكاً لاسيما وان المعلومات المستقاة من دورياتنا كانت تشير الى وجود حشودات كبيرة جنوب منطقة جبال سوسين

وفي ليلة ٨/ ٩ حـزيران بدأ العـدو تمهـيـده للهجوم بالقصف المركز من المدفعيه والمورتر الثـقـيل على مـواقع الكتيبتين الرابعه والثانية وعلى مواقع المدفعيه وسرية النقليات. وقد ردت مـدفـعيتنا بقصف معاكس على مدفعية العدو لإسكاتها. وفي حوالي الساعة العاشرة ليلاً بدأت كـتـائب العدو زحفها نحو مواقع الكتيبة الرابعه أولاً حيث وصلت الى المواقع الأمامية للسرية الثـالثـة على تلة مـعـاذ بن جـبل ومواقع السريه المسانده بالقرب منها. وقد استطاعت سرايا العـدو المهـاجمة ان تتـغلغل بين سرايا الكتـيـبـه الرابعـة حتى وصلت إحداها إلى حرش دير اللطرون وأخـذت تطلق النار على مركز البوليس من هناك. وقد دارت معارك عنيفة في جميع مـواقع الكتيبة الرابعة مع جنود العدو على مسافات قريبة ووصلت في العديد من الحالات الى الاشتباك بالسلاح الأبيض.

وقد تطورت هذه المعركة بشكل خطير للغاية حيث وصلت قوات العدو المهاجمه إلى مركز مـلاحظة المدفـعـيـه واستولت عليه بعد أن انسحب جنودنا منه، ثم تغلغلت مشاة العدو بين مـواقع الاسلحة المسانده وسرية القيادة ووصلوا إلى القرب من قيادة الكتيبة. وعلى الرغم من

خطورة هذا التغلغل فقد تمكنت الكتيبه الرابعه من صد هذا الهجوم وكبدت العدو خسائر كبيرة بالأرواح. وبعد الفجر انسحبت قوة العدو المهاجمة نحو الجنوب مخلفة وراءها العديد من جثث قتلاها، حيث احصت الكتيبة مائة جثة وكسبت حوالي سبعين بندقية وعدداً من الرشاشات المختلفة وكميات من العتاد والتجهيزات الأخرى.

أما في جبهة الكتيبة الثانية فقد تقدمت قوة العدو المهاجمة حوالي الساعة الثالثة صباحا من مواقعها جنوب طريق باب الواد نحو مرتفع قرية (يالو) ولم تعمد الكتيبة الثانية للإشتباك معها في البداية حتى إقتربت صفوف سراياها الى مسافة قريبة من الخنادق الأمامية ففاجأهم جنودنا بالقاء القنابل اليدوية وبوابل شديد من نيران الأسلحة الآخرى بينما اخذت قنابل المورتر تنهال على مؤخرتهم. الأمر الذي أوقعهم بإرتباك مذهل وبدأوا يتقهقرون بسرعة تحت وابل النيران الكثيفة التي أوقعت بهم الكثير من الإصابات. وعند طلوع الضوء انسحبت كتيبة العدو هذه لا تلوي على شيء.

وهكذا فشل الهجوم الثالث الذي شنه العدو على منطقة اللطرون وباب الواد قبل موعد حلول الهدنة بمدة ٤٨ ساعه. حيث أصبح وقف إطلاق النار ساري المفعول اعتباراً من الساعة الثامنه صباح يوم ١١ حزيران ١٩٤٨م.

العمليات في منطقة اللد والرملة :

لم تكن هاتين المدينتين داخلتين ضمن خطة الجيش العربي الدفاعية كما أشرت سابقاً وذلك لعدم توفر القوات الكافية التي يمكن إرسالها للدفاع عنهما بفعالية. ونظراً لطول الخط الذي تمركزت فيه كتائب الجيش العربي الأربعه والذي كان يزيد عن سبعين ميلاً أصبح من المستحيل تمديده لكي يشمل اللد والرمله مع امكانية الإحتفاظ بجميع هذه المواقع بالقوات المتيسره.

ولذلك فقد تقرر منذ البداية ترك مهمة الدفاع عن هاتين المدينتين إلى قوات المناضلين المتواجده فيهما والتي كان قوامها بضع مئات من مناضلي الجهاد المقدس والمسلحين من السكان والحرس البلدي. ثم إنضم اليهم حوالي (٣٠٠) ثلثمائة متطوع من الأردنيين الذين تم تسليحهم من قبل قيادة الجيش العربي وإرسالهم إلى هناك.

وبتاريخ ١٩ أيار ١٩٤٨م بدأ اليهود سلسلة من العمليات لإحتلال عدد من القرى الواقعة غربي اللد والرمله والتي كانت تشكل طوقاً أمامياً في مواجهة تل أبيب. فقد احتلوا أولاً

معسكر صرفند الذي كانت تدافع عنه قوة من المناضلين العراقيين سبق أن احتلته عندما رحلت عنه القوات البريطانية. ثم احتل اليهود بعد ذلك قريتي كفرعانه واليهودية اللتين كان يدافع عنهما مناضلون محليون. وبتاريخ ١١ حزيران أصبح الخط الممتد من مستعمرة بتاح تيكفا شمالاً حتى مستعمرة رخبوت جنوباً كله بيد اليهود في مواجهة منطقة اللد والرملة.

بهذه الأثناء كانت الوفود من سكان المدينتين تتجه نحو العواصم العربيه المختلفة لتطلب النجدة. وذهبت وفود منها إلى عمان لهذه الغاية.

وكان الملك عبدالله يلح على قائد الجيش لكي يبذل ما في وسعه لنجدة هاتين المدينتين. ولكنه لم يكن بالإمكان توفير أية قوات لإرسالها اليهما إلا إذا سحبت من مواقع دفاعية أخرى مهمه للغاية. حيث كانت جميع كتائب الجيش الأربعة مشتبكة بشكل مستمر مع العدو في معارك القدس وباب الواد واللطرون. ومن المستحيل ترك المعركه والتضحيه بأي موقع من هذه المواقع الاستراتيجية الحيوية وإرسال القوة المدافعه عنها إلى اللد والرمله رغم اهميتهما وضرورة الاحتفاظ بهما لتغطية الفجوه بين الجبهه العراقية والجبهة الأردنية. ولكن لو نقلت القوات للدفاع عنهما فبهذه الحالة ستنهار جبهتنا في منطقة اللطرون وباب الواد ومعها ستسقط اللد والرملة تلقائياً بعد إنهيار الجبهة خلفهما ولأن القوة التي سترسل اليهما لن تكون كافية أصلاً حيث أن الدفاع عن هاتين المدينتين لمدة طويلة سيحتاج إلى قوات أكثر من لواء لاسيما وهما تقعان في أرض منبسطه وواسعة ويحتاج الدفاع عنهما إلى نشر اعداد كبيره من المشاة في مختلف المواقع مع الاحتفاظ بقوة ضاربه في الاحتياط وهذا لم يكن متوفراً لدينا منه أي شيء. ولذلك فإن مفتاح صمود الدفاع في جبهتنا يكمن بالاحتفاظ بمواقعنا في باب الواد واللطرون بأي ثمن. وبعكس ذلك فإذا سقطت تلك المواقع ستسقط القدس تلقائياً وستنهار الجبهة الأردنية بكاملها.

وكذلك ذهبت بنفس الوقت وفود من سكان اللد والرملة إلى القيادة العراقية لطلب النجدة وقد اعتذر العراقيون عن تلبية الطلب نظراً لإتساع منطقتهم وعدم توفر قوات كافية لديهم تمكنهم من توسيعها أكثر مما هي عليه وبهذه الأثناء كانت القوات اليهودية قد احتلت موقع رأس العين بتاريخ ٣٠ أيار فقام المناضلون بقيادة حسن سلامه بشن هجوم معاكس لاسترداد هذا الموقع الهام حيث كان هو المصدر الوحيد لتزويد القدس بالماء وتمكنوا من استرداده. ولكن قائدهم حسن سلامه استشهد أثناء المعركة.

وتجنباً لإحتمال انهيار معنويات المناضلين كما سبق ان حدث بعد معركة القسطل عندما

[1] تشهد عبد القادر الحسيني كان لابد من إظهار وجود الجيش العربي بينهم ولو بشكل رمزي بقدر ما تسمح به ظروف المعارك وإمكانيات قواتنا. وبناء على توجيهات جلالة الملك عبدالله صدرت لنا التعليمات من قيادة الجيش لتشكيل قوة متحركه تتمركز في مدينة اللد وتقوم بدوريات تعرضيه في مختلف أنحاء المنطقة المحيطة بها بإستمرار. وعلى هذا الأساس تم تشكيل هذه القوة من وحدات اللواء الثالث. وقد اعطي لها الإسم الرمزي (Sun Rise) شروق الشمس وكان قوامها كما يلي

فئة مدرعات - ثلاثة مدرعات

حظيرة مدافع ضد الدروع - مدفعين ٦ رطل

فئتي مشاة

وقد اسندت قيادة هذه القوة إلى الرئيس بروميج (T.N. Bromage) وهو من الضباط الإنجليز الذين بقوا في مسرح العمليات بعد صدور التعليمات بانسحابهم إلى خارج فلسطين على أساس ان القرار لا يشمله.

وبعد تجميع هذه القوة في قيادة اللواء الثالث تحركت مساء يوم ٢ حزيران إلى مدينة اللد وجعلت مقرها الدائم في بناية مركز البوليس. وكانت أول عملية قام بها قائد هذه القوة هي الهجوم على مستعمرة (غيزر) الواقعة شرقي مدينة الرملة حيث سبق ان قامت حامية هذه المستعمره بالتعرض لسكان قرية (البريه) العربية المجاورة لها وإجلائهم عن قريتهم بالقوة وقد اقتحمت دورية الجيش العربي هذه المستعمرة بالمدرعات تتبعها المشاه وبعد معركة سريعة تمكنت من تطهير الخنادق والاستحكامات واحتلال المستعمره. وقد سقط عدد من القتلى من جنود العدو واستسلم الباقون وعددهم خمسة وثلاثون. وغنمت قوتنا جميع أسلحة حامية المستعمرة. وتم نقل الأسرى من الرجال الى معسكر الإعتقال كما سلمت جميع النساء إلى مستعمرة بن شيمن بموجب أوامر قيادة الجيش العربي.

وبعد احتلال مستعمرة (غيزر) قام بروميج بتسليمها الى المناضلين وسكان قرية البريه الذين عادوا إلى قريتهم. ولكن قائد القوات اليهودية في منطقة اللطرون الجنرال الأمريكي (ماركوس) عندما علم بإحتلال المستعمرة ارسل قوة خاصة شنت هجوماً معاكساً بعد يومين من احتلالها وتمكن من استردادها من المناضلين. ولكنها كانت قد دمرت بكاملها بنتيجة هذه المعارك. وبعد هذه العملية نشطت القوة المتحركه بأعمال الدورية في مختلف أنحاء المنطقة. وبهذه الأثناء عزم الرئيس بروميج على مهاجمة مستعمرة (بن شيمن) بقصد احتلالها وتسليمها للمناضلين بنفس الطريقة التي احتل بها مستعمرة (غيزر) لأن دوريته لا

تستطيع البقاء في الدفاع الثابت بأي مكان نظراً لصغر حجمها وطبيعة المهمة المسندة إليها وهي القيام بأعمال الدورية والتعرض للعدو في مختلف انحاء المنطقة ولكن رئيس بلدية اللد ووجهاء القرى المحيطة بها طلبوا منه عدم التعرض لمستعمرة (بن شيمن) لأنه توجد بينهم وبين سكانها اتفاقية حسن جوار وعدم اعتداء وهم لا يريدون نقض هذه الاتفاقية لكي لا يتعرضوا في المستقبل للهجوم على قراهم من قبل الجيش الإسرائيلي. وعلى هذا الأساس تخلى عن فكرة الهجوم على بن شيمن. ولكن حتى لو لم يعترض سكان هذه القرى العربية فإن احتلال هذه المستعمرة من قبل دورية برومييج لن يحل مشكلتها لأنه كان سيسلمها للمناضلين كما سبق وسلمهم مستعمرة (غيزر). وإن لم يستطيعوا هم الدفاع عنها والاحتفاظ بها فسوف يستردها اليهود منهم بهجوم معاكس. أما مسألة وجود اتفاقية حسن جوار بينهم وبين اليهود فإنها لن تقدم أو تؤخر في شيء. لأن سكان قرية دير ياسين كانت بينهم وبين سكان المستعمرات اليهودية المجاورة لهم اتفاقية حسن جوار ولكن هذه الاتفاقية لم تمنع اليهود من احتلالها وذبح اطفالها ونسائها والتمثيل بجثثهم كما عرف كل العالم في حينها. واليهود لن يتورعوا عن احتلال تلك القرى العربية المحيطة بمستعمرة بن شيمن عندما يحين وقتها سواء وجدت اتفاقية حسن جوار معهم أو لم توجد. ولكن أحداً لا يستطيع لوم سكان هذه القرى العربية على موقفهم هذا لا سيما وأنه لا توجد قوات عربية ثابته عندهم تستطيع حمايتهم من هجمات القوات اليهودية مستقبلاً. أما قوة الجيش العربي المتحركة هذه فهي عبارة عن دورية صغيرة ارسلت بمهمة محدده ومؤقتة. وهكذا فقد اصبحت هذه الوضعية كحلقة مفرغة. وسكان القرى معرضون للخطر ولا توجد قوات تحميهم بشكل دائم. ولذلك لم يبق أمامهم سوى هذا النوع من المهادنه الهشة مع اليهود.

في الليلة التي سبقت موعد بدء الهدنة قرر قائد الدورية المتحركة الهجوم على مستعمرة (بير يعقوب) المجاورة لمعسكر صرفند. وقد تحرك عند الفجر من اللد وعندما اقترب من المستعمرة فتحت المدرعات نيرانها على الاستحكامات الأمامية. وتحت ستار هذه النيران تقدم جنود المشاه بهجومهم ولكنهم واجهوا مقاومة عنيفة ووقعت بينهم عدة إصابات دون أن يتمكنوا من إحراز تقدم ملموس.

وقد اتضح لقائد الدورية الرئيس برومييج أن حجم قوته ليس كافياً لإحتلال هذه المستعمرة فقرر سحب جنوده تحت ستار نيران المدرعات بينما لا يزال يمكنه ذلك. ولكن بهذه اللحظة أصيبت إحدى المدرعات بقذيفة صاروخ واعطبت. ولكنه تمكن من سحبها بمدرعة أخرى وانسحب بكامل قوته من منطقة المستعمرة قبل حلول موعد الهدنة بمدة نصف ساعة.

ولقد بقيت هذه القوة المتحركة في مدينة اللد ومنطقتها طيلة مدة الهدنة وتم تعزيزها بفئة مـدرعـات أخـرى واسـتـمرت بالقيام بأعمال الدورية والتعرض لمواقع العدو ودورياته التي كـانت هي أيضاً تقوم بنشاط مماثل. وبهذه الأثناء أعيد الرئيس برومیج إلى وحدته وسلمت قـيادة هذه القوة إلى الملازم نايف الحديد واستمرت بممارسة نشاطاتها بمنطقة اللد والرملة بالإضافة إلى قوات المناضلين من القرى المحيطة.

هذا مجمل مختصر عن عـمليـات الجيش العربي منذ دخولنا الى فلسطين بتاريخ ١٥ أيار ١٩٤٨م حـتى بداية الهدنة الأولى بحـسب إطلاعي المبـاشر عليـهـا من موقعي كضابط ركن عمليات في قيادة الفرقة طيلة مدة الحرب.

والآن لكي اسـتكمل الصـورة العـامه للعمليات الحربية التي جرت في فلسطين لابد لي من اسـتـعـراض مـوجـز عن حركات الجيوش العربية الأخرى وعملياتها خلال نفس الفترة من الحرب والتي يمكن أن ألخصها بما يلي :

أولاً : ـ القوات العراقية :

كـانت القـوة العراقية التي وصلت إلى الأردن في البداية للإشـتراك في حرب فلسطين تتألف من جـحـفل اللواء الأول ومـعـه كتيبه آلية واحدة. كما وصل باسناد هذه القوة سرب طائرات حربيه من نوع سي فيوري (Sea Furey) قاذفة مقاتلة قوامه ١٢ طائرة هبطت في مطار المفرق واتخذته قـاعدة لها. صباح يوم ١٤ أيار تحـرك فـوج من هذه القوة إلى منطقة جسر المجامع واحتل محطة كهرباء (روتنبرغ).

وفي صباح يوم ١٥ أيار عبرت سريتـان من المشـاه وبعض المدرعات الى غرب نهر الأردن لإحـتـلال مـستعمرة (غيشر) وبدأت بقصف مركز البوليس المجاور لها بالمدفعيه والطائرات ولكن تأثير القـصف كان محدوداً. وفي المساء بدأت قوة المشاه تسندها المدرعات هجومها على المسـتـعمره ومركز البوليس ولكنها لم تحرز تقدماً يذكر. وبنفس اليوم تحرك فوج آخر من المفـرق الى منطقـة المجامع وجددت القوة هجومها على المستعمرة واستطاعت ان تحتل محطة سكة الحـديد والتـلال المشرفة على المستعمره من الغرب. وفي صباح يوم ١٧ أيار تقدم فوج جـديد بقيادة المقدم عمر علي لإحتلال مرتفع كوكب الهوى الذي يسيطر على المنطقة من جهة الغـرب واسـتـمرت المعركة طوال الليل حيث تمكنت الكتيبة العراقية من احتلال أطراف قرية كـوكب الهوى. بينما اسـتمرت القوة الاولى بمحاولاتها لاحتلال مستعمرة غيشر. وقد وصلت مـدرعـاتها إلى الأسـلاك الشائكة. ولكن اليهود المدافعين عنها تمكنوا من إصابة واعطاب عدد

منهـا ولم يتـمكن العـراقيون من إحتلال المستعمرة بهذا الهجوم. وفي اليوم التالي شن اليهود هجوماً معاكساً على منطقة كوكب الهوى واضطر العراقيون للتراجع عن بعض مواقعهم

وبهذه الاثناء عـقـد اجـتماع في عمان برئاسة جلالة الملك عبدالله وحضره الأمير عبد الاله وعـبـد الرحمن عـزام والفـريق نور الدين محمـود والفـريق كلوب وضـبـاط القيادة العامة للجـيـوش العـربيـة. وتقـرر بهذا الإجـتماع نقل القوات العراقية لإستلام منطقة نابلس من الجـيش العـربي الذي ستنقل قواته منها إلى معركة القدس التي كانت في ذلك الوقت محتدمة على أشدها.

وعلى إثر هذا القـرار بدأت القـوة العـراقـيـة حركتها عن طريق المفرق الى عمان ثم جسر اللنبي الى نابلس عن طريق الجـفتلك يوم ٢١ أيار ١٩٤٨م. واسـتلمت طلائعها مواقع اللواء الأول في منطقة نابلس وطولكرم يوم ٢٣ أيار. وبتاريخ ٢٨ أيار تقدم فوج بقيادة المقدم عبد الكريم قـاسـم وتمركـز في منطقة قرية كفر قاسم ووصل الى رأس العين. كما تقدم رتل آخر من طولكرم واحـتل مـستعمرتى (كولم) و(كفار يونا). ولكن اليهود تمكنوا من صده بهجوم معاكس فانسحب إلى طولكرم.

وبتاريخ ٢٨ أيار تقـدم رتل من القـوات اليـهودية من العفوله باتجاه مدينة جنين واحتل قـرية زرعين التي تقع على الطرف الشمالي من مـرتفـعـات جـبل جلبـوع وأجبروا المناضلين العـرب على الإنسـحـاب من قـرية (نورس) القـريبة منها. وبعدئذ توقفت القوات الإسرائيلية لإعادة التنظيم. ثم استأنفت تقدمها يوم ٢ حـزيران نحو جنين واحتلت قرى (صندله، عرانه، الجلمـه، والمقـيـبله) من المناضلين وهذه القـرى تشكل حزاماً دفاعياً شمال مدينة جنين. وفي يوم ٣ حـزيران تقـدمت القـوات اليـهـودية الرئيسية لاحتلال مدينة جنين نفسها. وكانت قد انقـسـمت الى رتلين. وعند وصولهما الى المدينة وجدوها خالية من سكانها تقريباً ولكن كان فـيـهـا قـوة عـراقـية صغيرة كانت متحصنه في مركز البوليس الواقع في الطرف الغربي من المدينه. فاشتبكت معها. وعندئذ تحول رتل من هذه القوة اليهودية وتمركز على تل مرتفع الى الجنوب الغـربي من مـركـز البـوليس. بينما تمركز الرتل الثانى على التل الواقع إلى الجنوب الشرقي من المركـز. ثم حـاولت هذه القـوات التـقدم الى أطراف المدينة لاحتلالها. ولكن القوة العـراقية ناوشتها وأوقعت بها العديد من الإصابات وارغمتها على التوقف في مواقعها. وبهذه الاثناء وصلت قـوات جحفل اللواء الرابع العراقي في ساعات بعد الظهر وشنت هجوماً مضاداً على القـوات اليـهـودية في هذه التـلال المسيطرة على مدينة جنين من الجنوب وخاضت معها مـعـركـة شرسـة في هذه التـلال الصـخريه وتمكنت من دحرها واحتلال تلك المواقع بعد أن

كـبـدت القـوات اليهودية خسائر فادحة بالأرواح قدرت بأكثر من ثلثمائه قتيل بالإضافة إلى أعداد كبيرة من الجرحى وقد انسحبت قوات العدو هذه من جنين نفسـها ولكنها بقيت تحتل مجمـوعـة القـرى العـربيـة الواقـعة شمالها. ومن الغريب ان القوة العراقية توقفت في مدينة جنين رغم أنها حـقـقت نصراً سـاحـقـاً على العـدو ولم تحاول استغلال هذا النصر مباشرة وتلاحق العدو المنسحب.

وعلى الرغم من أن جـحـفل اللواء الثـالث كـان قد وصل إلى نابلس قبل موعد بدء الهدنه بعدة أيام لم يقم العراقيون خلال هذه الفترة الحساسة بأي عمليات هجومية كبيرة أخرى في جـبهتهم. كما أنهم لو لاحقوا القوات اليهودية المنسحبة بعد معركة جنين مباشرة لتمكنوا على الأقل من إسترداد تلك القـرى العـربية الواقعة شمال جنين والتي احتلها اليهود أثناء زحفهم على جنين. بل ربما تمكنوا من إحـتـلال مـرتفـعـات جـبل جلبوع الواقعة شمال جنين والتي تسـيطر على مـدينة العـفـوُله ومقترباتها والتي سيصبح سقوطها بيد العراقيين بهذه الحالة ممكناً. ولامكنهم عندئذ قطع طريق بيـسـان من الغـرب وهو الهدف الذي حـاولوا تحـقـيقه بهجومهم على كوكب الهوى ولم ينجحوا به.

ولو اسـتغل قائد اللواء العراقي الفرصة النادرة التي اتيحت له بعد اندحار القوة اليهودية في مـعـركـة جنين وتقـهـقـرها شمالاً لتطور سير المعـركة لصالحه ولأصبح موقف القوات اليـهـودية في المنطقـة الشماليـة صـعـباً وخصوصاً مع تواجد الجيش السوري شمال بحيرة الحـوله. وقـوات جـيش الإنقـاذ في الجليل. ولكن كما يظهر فإن قائد الجحفل العراقي فضل التوقف حالياً بموقف الدفاع في المواقع التي احتلها بعد معركة جنين هذه إلى إشعار آخر.

وقـد بقـيت القـرى الواقـعـة شمال جنين بيـد اليـهود الى ما بعد الهدنه الأولى حيث قام العراقيون باحتلالها خلال فترة القتال الثانية.

وهكذا استقر موقف الجيش العراقي دفاعياً عند حدود المناطق التي احتلها من جنين حتى منطقـة طولكرم وقلقيلية إلى كفر قاسم عندما بدأت الهدنة الأولى. ولم يتغير كثيراً حتى نهاية الحرب.

ثانياً : القوات المصرية :

تم حـشد القوات المصريه بقيادة اللواء أحمد صادق المواوي في منطقة العريش بتاريخ ١٤ أيار عام ١٩٤٨م. وكـانت تتألف من خمسـة كـتائب مشاه وكتيبة دبابات وكتيبة رشاشات مـتـوسطة وكـتـيـبة مدفعية. واعداد مختلفة من مدافع ضد الدروع عيار (٦ رطل) ومـدافع

مقاومة الطائرات. وقد نظمت هذه القوات في مجموعتي لواء احدهما أكبر من الأخرى. وكان لديها غطاءً جوياً مؤلفاً من خمسة عشر طائرة مقاتلة وخمسة طائرات قاذفة.

وبتاريخ ١٥ أيار عبرت هذه القوات الحدود وتحركت مجموعة اللواء الكبرى على الطريق الساحلي (طريق خان يونس) التي كانت تحتلها قوة من المناضلين. فاحتلت المطار وتركت قوة من المشاه والمدفعيه لكي تحتل مستعمرة نيريم المجاوره له. وواصلت القوة الرئيسية تقدمها شمالاً. وكانت مستعمرة نيريم هذه أقرب مستعمرات النقب إلى الحدود المصريه. وكانت تدافع عنها قوة من الهاغاناه بالإضافة إلى السكان المسلحين.

وبعد قصفها بالمدفعية وتدمير عدد من ابنيتها شنت القوة المصرية هجومها ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة ووقع في صفوفها العديد من الإصابات فأوقف قائد القوة المصرية هجومه وترك المستعمرة ليحاصرها المناضلون العرب ولحق بالقوات الرئيسية. وبعد ان اجتاز اللواء المصري بلدة خان يونس اصطدم بمستعمرة (كفر داروم) التي تقع بالقرب من محطة سكة الحديد وعلى مقربة من الطريق الرئيسية. وحاولت القوة المصرية احتلالها كذلك ولكن المدافعين عنها ابدوا مقاومة عنيفة. ولأن قائد القوة المصرية كان على عجلة من أمره فقد أوقف الهجوم وترك هذه المستعمرة وشأنها وواصل تقدمه شمالاً. وفي مساء يوم ١٥ أيار دخلت القوة الرئيسية مدينة غزة. وبعد ذلك أصبح تقدمها أكثر بطئاً حيث وصلت الى مستعمرة دير سنيد واحتلتها يوم ٢٠ أيار بعد معركة دامت عشرة ساعات . وكان هذا أول نصر تحرزه القوات المصرية. ثم تقدمت بسرعة إلى الشمال .

وبتاريخ ٢٣ أيار احتلت مستعمرة (ياد موردخاي) وبعد ذلك دخلت مدينتي المجدل وعسقلان العربيتين. ثم حاول قائد اللواء المصري احتلال مستعمرة (نقبا) التي كانت تسد طريقه المتجه شرقاً إلى بيت لحم. فقام بتاريخ ٢ حزيران بهجوم مركز تسنده المدفعية والدبابات. ولكن على الرغم من أنه تم تدمير معظم منازل هذه المستعمرة إلا أن المدافعين عنها صمدوا في وجه الهجوم. وعندما ازداد عدد الإصابات بين الجنود قرر قائد اللواء إيقاف الهجوم وترك المستعمرة مطوقة وتحرك بالقوة الرئيسية شمالاً فدخل بلدة اسدود يوم ٢٩ أيار. وبعد تمركزه فيها عاد قائد اللواء المصري لمهاجمة مستعمرة (نيتزانيم) التي تقع على بعد حوالي خمسة كيلومترات من المجدل بالقرب من الطريق الرئيسيه. وكان قد سبق ان تركها أثناء تقدمه شمالاً إلى اسدود. وبعد معركة ضارية ووقوع العديد من الإصابات بين الطرفين تمكنت القوة المصرية من احتلالها. وكان هذا ثالث انتصار حققه هذا اللواء أثناء تقدمه. وأما باقي المستعمرات التي كانت تقع في معظمها بالقرب من الطريق الساحلي المؤدي

من العـريش الى غـزة أو من طريق المجـدل الى بيت لحم فقد تركت وشأنها لأن المصريين لم يريدوا ان تعـيـقـهم عـمليـات احـتـلال هذه المستعمرات عن التقدم نحو تل أبيب كما كانوا يقولون، وقد كلفهم هذا الأمر غالياً فيما بعد.

أمـا اليهود فقد كانت تعليماتهم إلى سكان المستعمرات تقضي بأن يدافعوا عن مستعمراتهم حـتى النهـاية وان لا يسـتـسلمـوا حـتى لو ابيدوا فيها. ولقد كان لهذه التعليمات والمقاومة العنيـفة التي نفذت بموجبها أثرها الفعال على المصريين الذين كما يبدو لم يكونوا يتوقعونها. ولذلك كـانوا في الكثير من الحـالات يعـمـدون إلى إيقـاف هجـومهم قبل أن يصلوا إلى نتيجة حـاسـمـه. وعندمـا استطاعت معظم المستعمرات في النقب ان تصمد في وجه القوات المصرية التي كـانت تحصر تقـدمها على الطريق الساحلي تاركة الساحات الواسعة في النقب خالية من تواجـدها. قام اليهود بتشكيل قوة متحركة اخذت تعمل خلف خطوط القوات المصرية لتتصل بهذه المسـتعمرات ولتدعمها وتقوي معنوياتها وتدافع عنها في بعض الحالات التي تشعر بها أن المناضلين الذين يحاصرونها أصبحوا يشكلون خطراً عليها. فأصبحت هذه القوة المتحركة بمثابة خنجر في ظهر القوات المصرية المتقدمة.

ولما كـانت مـدينة اسدود التي احتلتها القوات المصرية تبعد عشرين ميلاً فقط إلى الجنوب من تل أبيب فقد شعر اليهود أن تقدم المصريين بهذا الشكل أصبح يشكل خطراً على تل أبيب ولذلك فـقـد قرروا إيقافه بأي ثمن وعلى هذا الأساس حركوا قواتهم من (رخوبوت) القريبة من تل أبيب الى الجنوب واسـتطاعت هذه القوات ان تحتل عدداً من القرى العربية في طريقها ثـم تمـركـزت عـلى تل مـرتفع يقع إلى الشمال من اسـدود واشـتـبكت مع القـوات المصرية واستمرت المعارك بضعة أيام.

وبتاريخ ٧ حـزيران تمكن المصريون من إخـراج هذه القـوة اليـهودية من الموقع المسيطر ودحـرها مـسـافة الى الشمال إلا أن اليهود ظلوا يحتلون مجموعة القرى العربيه الواقعة الى الشمال فـقـامـوا بتحصينها وتمكنوا من إيقاف تقدم القوات المصرية التي إستقرت في منطقة اسدود لإعادة التنظيم. ولم تقم بأي عمليات أخرى على هذا المحور حتى حلول الهدنة بتاريخ ١١ حزيران ١٩٤٨م.

أمـا بالنسـبـة لمجـموعة اللواء الثانية التي تحركت إلى العوجا فقد واصلت تقدمها إلى بئر السبع ووصلتها بتاريخ ٢٠ أيار. ثم واصلت تقـدمـهـا شمالاً ودخلت بعض قطعاتها مدينة الخليل بنفس اليـوم حيث استلمت المدينة من سرية الجيش العربي التي كانت متواجدة فيها ثم تقـدمت بعـد ذلك إلى مدينة بيت لحم ولم تشتبك مع أية قوات يهودية منذ بداية حركتها

إلا أنها بتاريخ ٢٢ أيار قامت بشن هجوم على مستعمرة (رامات راحيل) بمساعدة سرية الجيش العربي والمناضلين من أهالي الخليل وبيت جالا وبيت لحم وتمكنت من احتلالها بعد معركة دامت عدة ساعات ولكن اليهود ما لبثوا ان شنوا هجوماً معاكساً أثناء الليل واستردوا المستعمرة من المصريين. وخلال الأيام التالية استمرت الإشتباكات بين الطرفين وقد تبودل إحتلال بعض المواقع حول (رامات راحيل) ولكن بشكل عام فقد بقي اليهود في المواقع التي احتلوها واستقر الموقف عند هذا الحد بالنسبة للقوات المصرية عند حلول الهدنة الأولى.

ثالثاً : ـ القوات السورية :

كانت القوات السورية في البداية تتألف من لواء مشاه تسنده كتيبة مدرعه وكتيبة مدفعيه. وقد تم حشد هذه القوة في مرتفعات الجولان. وفي يوم ١٥ أيار تقدمت هذه القوة من الطرف الجنوبي لمرتفعات الجولان وانقسمت الى ثلاثة أرتال. وقد اتجه الرتل الرئيسي الذي ضم معظم وحدات اللواء والأسلحة الاسنادية الى مدينة سمخ. واتجه الرتل الثانى الى مستعمرتى (داجانيا) اللتين تقعان بالقرب من سمخ لجهة الجنوب الغربي. وأما الرتل الثالث الذي كان عبارة عن سريتي مشاه فقد تحرك على يسار القوة الرئيسية باتجاه الطريق المؤدي من سمخ إلى بيسان.

وفي صباح يوم ١٦ أيار بدأت القوة السورية بقصف مدينة سمخ بالمدفعيه والطائرات واستمر القصف طيلة ذلك اليوم. وفي يوم ١٧ أيار قام الرتل الرئيسي بهجوم مركز على المدينة تسنده الدبابات والمدفعية ودارت المعركة طيلة النهار. وعلى الرغم من شدة المقاومة التي أبداها اليهود ووصول نجدات إضافية لهم من طبريا إلا أن السوريين تمكنوا من إحتلال سمخ صباح يوم ١٨ أيار ولكن اليهود الذين انسحبوا منها تحصنوا في مبانى محطة الكهرباء الواقعة في الطرف الغربي من المدينه.

ورغم ان السوريين قاموا بشن عدة هجمات على هذا الموقع فإنهم لم يتمكنوا من إخراجهم منه. فرتب قائد اللواء دفاعاته حول المدينة وفصل جزءاً من الرتل الأول للإنضمام الى الرتل الثانى الذي توجه في البداية للهجوم على مستعمرتي (داجانيا) وذلك بقصد تجديد الهجوم وإحتلال هاتين المستعمرتين. وقد بدأ هذا الهجوم الجديد صباح يوم ١٩ أيار وقد احضر اليهود تعزيزات جديدة واستطاعوا إيقاف هذا الهجوم.

وفي يـوم ٢٠ أيار اسـتأنف السـوريون هجـومـهم من جديد وبهذه المرة قادت دباباتهم الهـجـوم وتمـكـنـت من اختراق الدفـاعـات الاسرائيليـة في بعض النقـاط الا أن الإسرائيليين اسـتطاعـوا ان يعطبـوا عدداً من هذه الدبابات بمدافع ٦٥ مليـمتر التي كـانت متوفرة لديهم وكـذلك بواسطة القنابل اللاصقة (كوكتيل مولوتوف) في بعض الحالات. ولهذا فقد انسحبت باقي الدبابات وتوقف زخم الهـجـوم. وبسـبب هذا التـوقف وقـعت عـدة إصابات بين جنود المشاه وعندئذ قرر قائد الرتل السوري الانسحاب.

أمـا الرتل الثـالث فـعلى الرغم من انه تجـاوز مـستعمرتى (مسعده) و(شعار هاجولان) ووصل إلى طريق بيـسـان إلا أنه تفـرق بالنهـاية وانسـحب دون أن يحقق نتائج تذكر وفي وقت لاحق انسحبت القوة السورية من سمخ نفسها بعد اشتباكات محدوده مع العدو

أمـا في الشمال وعند الطرف الجنوبي لبـحيرة الحـوله فـقـد كانت تقع مستعمرد اسمها (مـشمار هاياردن). وبعد فشل عمليات معركة سمخ قرر السوريون التقدم لاحتلالها وقطع الطريق المؤدي من مـسـتـعـمـرة (روشـبـينا) إلى مـستعمرة (هولاتا) ومن ثم التقدم غرباً للإتصـال مع القـوات اللبنانيـة في الشمال وقوات جيش الانقاذ في الغرب. وعلى هذا الأساس ارسلوا رتلاً عبر جسر بنات يعـقـوب تمكن من احتلال (مشمار هياردن) بعد معركة قصيرة وقـام بتـحـصـينهـا لتكون رأس جسر للقوات السورية المتقدمة. وبعد ذلك حاول هذا الرتل التـقـدم غـرباً ولكنه واجه مقاومة عنيفه من قبل القوات اليهودية المتمركزة في التلال الواقعة على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات غرب النهر وتوقف التقدم عند هذا الحد.

وهكذا بقي السوريون في مستعمرة (مشمار هاياردن) عند حلول الهدنة الأولى

رابعاً : ـ القوات اللبنانية :

كـانت القـوات اللبنانيـة التي اشتركت في الحرب تتألف من كتيبة واحده مجموعها حوالي (٨٠٠) ثمانمائه جندي تسندها بعض مـدافع المورتر. وكـانت قـوة يهودية قـد احـتلت قرية المالكيـة القريبه من الحدود اللبنانية الفلسطينية يوم ١٩ أيار عام ١٩٤٨م ولكنها لم تمكث سـوى بضـعـة أيام حـيث قامت الكتيبة اللبنانية بشن هجوم عليها واحتلتها واخرجت القوة اليـهـودية منها. هذا وقد كانت معركة المالكية هذه هي الانتصار الوحيد الذي حققته القوات اللبنانية خلال الحرب.

الهدنة الأولى :

بدأت الهدنة الأولى بالساعة الثامنة من صباح يوم ١١ حزيران عام ١٩٤٨م ولمدة أربعة أسابيع تنتهي يوم ٩ تموز عام ١٩٤٨م.

ولتوضيح كيفية التوصل الى عقد هذه الهدنة وموافقة الحكومات العربية عل شروطها ارى من الضروري ان اذكر لمحة عن النشاطات السياسية التي جرت على مختلف الأصعدة وخصوصاً من قبل هيئة الأمم المتحدة وأوجزها بما يلي :

١ ـ بتاريخ ٢٠ أيار عام ١٩٤٨م اتخذ مجلس الأمن الدولي قراراً بتعيين الكونت فولك برنادوت (Count Falk Bernadotte) وسيطاً دولياً بين العرب واليهود. وهو احد أفراد العائلة الملكية السويديه. وكان رئيساً لمنظمة الصليب الأحمر السويدي. كما كانت نشاطاته مشهوره في هذا المجال أثناء الحرب العالمية الثانية.

٢ ـ بتاريخ ٢٨ أيار وصل الكونت برنادوت إلى القاهرة حيث بدأ نشاطاته للتوصل الى وقف إطلاق النار وعقد هدنة بين الأطراف المتحاربة.

وبتاريخ ١ حزيران وصل إلى عمان واجتمع مع الملك عبدالله ومن ثم استمر ببذل جهوده الحثينة طيلة العشرة أيام التالية لإقناع الحكومات المعنية بالموافقة على عقد الهدنة.

٣ ـ كان المبدأ الأساسي الذي وضعه الوسيط الدولي لشروط الهدنه التي اقترحها هو ان لا يستفيد أي من الأطراف المتحاربة من فترة الهدنة. وكانت أهم هذه الشروط تتلخص بما يلي :

أ ـ عدم إدخال قوات إضافية من قبل أي طرف إلى مسرح العمليات.

ب ـ عدم استيراد اية أسلحة أو ذخائر إضافية.

ج ـ يتم تزويد مدينة القدس بالمياه والمؤن خلال فترة الهدنة تحت إشراف منظمة الصليب الاحمر الدولية.

٤ ـ بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٨م اتخذ مجلس الأمن الدولي قراراً بناء على اقتراح من الحكومة البريطانية يأمر الأطراف المتحاربه بوقف القتال وعقد هدنة لمدة أربعة أسابيع على أن تقوم الحكومات المعنية بإبلاغ مجلس الأمن بموافقتها أو رفضها لهذا القرار بموعد أقصاه ١ حزيران ١٩٤٨م.

وتجاه هذا الوضع فقد وجد الزعماء العرب انفسهم أمام قرار صعب. فإن هم وافقوا على

وقف القتال سوف يتعرضون إلى موجه عارمه من انتقادات شعوبهم التي وضعت كل ثقتها بجيوشها المقاتلة في فلسطين وما زالت تأمل أن تستطيع هذه الجيوش التي قدمت التضحيات الجسيمة إحراز النصر على العدو واسترداد حقوق إخوانهم الفلسطينيين في وطنهم وان هم رفضوا الموافقة على وقف القتال فإنهم يخشون أن يقرر مجلس الأمن فرض العقوبات على دولهم بموجب ميثاق الأمم المتحدة. وبنفس الوقت فإن الجيوش العربية جميعها كانت تعانى من نقص خطير في ذخائرها وقد اجتمع القادة والسياسيين العرب في عمان بتاريخ ١ حزيران ١٩٤٨م لبحث هذا الموضوع ثم انتقلوا الى بلدة عالية في لبنان في اليوم التالي لإستئناف مناقشاتهم ولا أعرف شيئاً عن تفصيلات ما دار بهذه الإجتماعات لأنى لم أحضر أي منها. لكني عرفت أنهم وافقوا بنتيجتها على قرار وقف إطلاق النار وعقد الهدنة لمدة اربعة أسابيع ابتداءً من يوم الجمعه ١١ حزيران ١٩٤٨م وذلك بحسب ما تم إبلاغنا رسمياً به وكانت موافقة الدول العربية هذه بتاريخ ٧ حزيران.

أما اليهود فقد رحبوا منذ البداية بقرار مجلس الأمن ووافقوا على وقف إطلاق النار وعقد الهدنة لأنهم كانوا بأمس الحاجة إلى هذه الفترة لكي يستردوا انفاسهم ويستكملوا إعادة تنظيم قواتهم الذي كانوا قد بدأوه لتوهم. والإنتظار حتى وصول الكميات الضخمة من الأسلحة والذخائر التي سبق ان ابتاعوها من مختلف انحاء العالم وخصوصاً من تشيكوسلوفاكيا لكي يستأنفوا القتال من موقع القوة.

وهنا احب أن أتوقف قليلاً عند موضوع هذه الهدنة لكي أحاول مناقشة مدى الضرر الذي نتج عنها على الجبهة العربية

لقد تضاربت الآراء كثيراً حول الحكمة من قرار الموافقة على هذه الهدنة وبذلك الوقت بالذات بصرف النظر عن الظروف التي أدت إليه. ولقد كان الكثيرون من الضباط العرب وانا واحد منهم نعتقد أن الموافقة على الهدنة كانت خطئاً وأنها ألحقت ضرراً جسيمًا بالجبهة العربية. وبهذا الصدد فإنى أطرح التساؤلات الآتية لأن الإجابة عليها سوف توضح ان كانت هذه الهدنة قد أضرت فعلاً بالجانب العربي وأفادت إسرائيل وانقذتها في الوقت الحرج بصرف النظر عن كون الدول العربية كانت مضطرة للموافقة عليها تحت ضغط من مجلس الأمن والدول الكبرى أم لا. حيث أن هذه الموافقة لا تعني ان الهدنة لم تكن مضرة بالموقف العربي ومفيدة لإسرائيل.

أولاً : من هي الدول التي كانت وراء إصدار قرارات مجلس الأمن الدولي بوقف القتال بصفة مستعجلة ولماذا.

ثانياً . من هو المستفيد الأكبر من وقف القتال وعقد الهدنة من أطراف النزاع.

ثالثاً : هل وصلت الجيوش العربية بذلك التاريخ إلى حالة الإنهيار وأصبحت غير قادرة على القتال فعلاً.

وجواباً على كل هذه التساؤلات أقول ما يلي

١ ـ ان بريطانيا وامريكا كانتا دوماً تمثلان القوة المؤثرة في مجلس الأمن الدولي لاستصدار القرارات حول الصراع العربي الإسرائيلي في فلسطين وهما بالتالي الدولتان الرئيسيتان اللتان كانت لهما اليد الطولى في تأسيس دولة إسرائيل وإظهارها الى حيز الوجود. وهما اللتان يهمهما بالتالي تثبيت دعائمها ضمن الرقعه التي احتلتها من فلسطين وان أمكن فبأكثر منها ولهذه الأسباب فقد كانتا منذ البداية تحاولان منع الدول العربية وخصوصاً الحكومة الأردنية من إرسال جيوشها للدفاع عن المناطق العربية في فلسطين رغم ان اليهود كانوا قد تمكنوا من الإستيلاء ليس فقط على المناطق التي خصصت لهم بموجب قرار التقسيم بل على مساحات كبيرة من المناطق التي خصصها هذا القرار للعرب رغم ان فلسطين كلها هي أصلاً وطن العرب الفلسطينيين.

وبهذه الأثناء كان اليهود قد احتلوا العديد من المدن والقرى العربية وطردوا سكانها منها بقوة السلاح ولم تقم هاتان الدولتان وخصوصاً بريطانيا التي كانت قواتها ما تزال في فلسطين لم تقم بحماية أرواح السكان العرب في بيوتهم وممتلكاتهم رغم مسؤوليتها عن ذلك بموجب صك الانتداب. وبعدما دخلت الجيوش العربية وتمركزت في الأجزاء المتبقية من المناطق العربية وأصبحت اسرائيل تشعر بالخطر وصارت الأحياء اليهودية في القدس تعانى من ضائقة الحصار وليس بمقدورها الصمود طويلاً تحركت هاتان الدولتان بسرعة واستصدرتا قرار مجلس الأمن القاضي بوقف القتال وفرض الهدنة لمساعدة إسرائيل. وبنفس الوقت مارستا ضغوطاً هائلة على الدول العربية لإجبارها على قبول الهدنة. ولتحقيق هذا الهدف قامت بريطانيا بمنع تزويد الدول العربية بحاجتها من الذخائر والأسلحة. كما حاولت شل قدرة الجيش العربي الأردنى على الإستمرار بالقتال بأن قامت بوقف صرف المعونة المالية المنصوص عليها بالمعاهدة الأردنية البريطانية. وبالإضافة إلى منع شحن الأسلحة والذخائر فقد سحبت جميع ضباطها المعارين للجيش العربي من ساحة المعركة في أخطر مرحلة من القتال.

٢ ـ لقد كان اليهود بأمس الحاجة لهذه الهدنة التي ستعطيهم فرصة ذهبية لالتقاط انفاسهم ولإعادة تنظيم قواتهم المسلحة على الأسس الجديدة التي وضعوها لتوهم. ولتدريب

التشكيلات الجديدة التي استحدثوها ولإستيعاب الأسلحة الجديدة التي ابتاعوها من الخارج ولاسيما الأسلحة الرئيسية الثلاثة (الطائرات والمدفعية والدبابات) والتي بدأت تصلهم تباعاً فالهدنة إذن تعطيهم الوقت اللازم لاستكمال وصولها والتدرب على استعمالها بدون أن تكون قطعاتهم مشغولة بالقتال.

والأهم من هذا كله ان الهدنة اعطت اليهود اخطر مكسبين لم يتمكنوا من تحقيقهما قبلها بقوة السلاح وهما .

أ - فك الحصار عن القدس حيث ضمنت شروط الهدنه لهم السماح بمرور قوافل التزويد اليها من تل أبيب عبر الطريق الرئيسية تحت إشراف منظمة الصليب الأحمر الدولية ومن يصدق ان مندوب هذه المنظمة كان يستطيع تفتيش هذه القوافل والتأكد من انها كانت تحمل المؤن والماء فقط ولا تحمل معها الاسلحة والذخائر التي كانت الوحدات العسكرية في القدس بأمس الحاجة لها ولم يعد بإمكانها الاستمرار بالقتال بدون تزويدها بها وبسرعة

وحتى لو كانت هذه القوافل لا تنقل سوى المؤن والمياه فهم بهذه الهدنة تمكنوا من تزويد مدينة القدس الجديدة بما تحتاج إليه بسهولة ويسر وأصبح لديها من الاحتياطي ما يمكنها من الصمود في المستقبل أمام الحصار مدة طويلة بعدما كانت على وشك السقوط والاستسلام. ولو قامت الجيوش العربية بجهد عسكري موحد وبتصميم أكيد وعزم شديد لتحقق ذلك. وهذه ميزة مهمه لم تتمكن اسرائيل من الحصول عليها إلا بواسطة الهدنة.

ب - لقد حصل اليهود بالهدنة على نوع من الاعتراف الضمني بدولتهم من قبل الدول العربية ولو أنه شكلي فقط. ورغم ان القيادات العربية كانت تنفي ذلك، فكون الدول العربية قد وافقت على وقف إطلاق النار والتفاوض على شروط هدنه بينها وبين دولة قائمة إسمها اسرائيل فإنها في الحقيقة تعترف ضمنياً بهذه الدوله التي ستعقد الهدنه معها.

٣ - أما الجيوش العربية فعلى الرغم من أنها كانت جميعها تشكو من نقص شديد في الذخائر والأسلحة إلا أنها لم تكن قد وصلت إلى حالة اليأس والإنهيار بحيث لا تستطيع الإستمرار بالقتال ولو لفترة قصيرة وجهد أخير لكي تصبح الهدنه بالنسبة لها مطلباً ملحاً لانقاذها. ولكن هذه الجيوش كانت تعاني من عدم التعاون وعدم تنسيق خططها او توحيد جهودها لكي تحقق مكسباً مهمًا بعملية مشتركه سريعة في ساحة القتال تستطيع

بواسطتـه ان تتـفـاوض على مطالب سياسيه مهمه ما دامت حربها هي في الاصل حرب سـياسية. وإذا نظرنا إلى الجيوش العربية عامة قبل الهدنه فسوف نرى أنها جميعها قد اسـتـقرت في وضـع الدفاع في الخطوط التي وصلتها وهي في أماكن كثيرة لم تصل حتى إلى حـدود التـقسيم. ولم تقم بجهد مشترك واحد لإحتلال هدف استراتيجي مهم كمدينة القـدس مـثلاً يمكن أن يعطيها ميزه عسكرية وسياسية في آن واحد. بينما كان اليهود قد أحتلوا سلفاً جميع المدن العربية المهمة تقريباً.

فإذا كـان الزعماء العـرب قـد وجدوا انفسهم مضطرين إلى قبول الهدنة بسبب الضغوط السـيـاسـيـة التي تعرضوا لها أو بسبب نقص الذخائر والأسلحة لدى جيوشهم فإن هذا لا يعني أن الهدنة لم تكن مضره بالموقف العـربي. لاسـيما وان الاحـداث قـد أثبـتت ان حـالة الجـيـوش العربية لم تتحسن أثناء الهدنة على الإطلاق. فهي لم تتمكن من استيراد أية كمية من الذخيره أو السـلاح خـلالها من أي مصدر رغم بعض المحاولات المحدودة التي لم تسفر عن شيء. وان كل مـا عـمله العـرب بمـوافـقـتهم على الهدنه انهم منحوا اليهود الفرصة التي كـانوا بأمس الحـاجة لها لكي تصلهم الذخائر والأسلحة الجديدة التي سبق ان ابتاعوها من مـختلف بلدان العـالم ومكنوهم من تزويد القدس بما تحتاج إليه من ذخائر ومؤن بما يمكنها من الصـمـود مـدة طويلة. وبنفس الوقت فـقـد بقـيت الجيوش العربية في مواقعها دون أن تتـمكن من زيادة اسلحـتـهـا أو ذخائرها تنتظر تجدد القتال بعد انقضاء مدة الهدنة لتتلقى الضربات من القـوات اليـهـودية التي أعـيـد تنظيمها وامتلأت ترساناتها بالأسلحة والذخائر خلال فترة الهدنه. فكيف بعد هذا كله يمكن أن نقول ان قرار الموافقة على الهدنه كان صائباً. أو أنها لم تلحق بنا ضرراً جـسـيمًا. ومن هذا المنطلق فإني أرى أن كل مـا قـيل من تبريرات ومسببات جعلت القيادات العربية مضطرة لقبول هذه الهدنة لا تعدو كونها تبرير لعجزها أو تقـصيرها في توحيد قدراتها وتزويد جيوشـها بحاجاتها من الأسلحة ووسائل القتال. وتهيئة أسـبـاب الـنصر لها في المعـركـة. ويكفي أن نعـرف أن المحـرك الرئيسي وراء الأسراع باتخاذ مجلس الأمن قـراره بالهدنة هو بريطانيـا صـاحـبة وعد بلفور ومنفذته على أرض الواقع في فلسطين.

وفي هذا المجـال ألم يكن من الأفضل لنا ما دمنا سنعود الى القتال بعد أربعة اسابيع ولم تكن قـدرات جـيـوشنا قـد تحسنت بشيء خلالها. ان نستمر بالقتال لاسيما وأن حالة قوات العـدو قـبل الهدنة كـانت اضعف بكثير مما أصبحت عليه بعدها. ثم إذا كانت الدول العربية وجـدت أن جيوشـها لا تستطيع الاستمرار بالقتال بسبب نقص ذخائرها واسلحتها وعلى هذا

الأســاس وجدت انه من الضروري الموافقة على الهدنة فلماذا إذن أصرت على عدم تجديد هذه الهدنة عند انتـهـائهـا وقـررت العودة إلى القتال رغم الحاح الوسيط الدولي عليها لتجديدها. لاســيما وهي تعـرف أنها لم تتمكن من تزويد جيوشها بأية كمية من الذخائر خلال سريان الهدنة. إنه لأمر عجيب ومحيِّـر لكل من يبحث بهذا الموضوع.

الإجراءات أثناء الهدنة :

١ ـ لم يكن بمقدورنا عمل الشيء الكثير لتحسين وضعنا العسكري خلال مدة سريان الهدنة، حـيث مـا زالت حكومتا بريطانيا وفرنسا مصرتان على موقفهما في منع تصدير الأسلحة والذخيره إلى المنطقـة. وهذا مـعناه ان الجـيـوش العربية لن تتمكن من تعويض الذخائر التي اسـتـهلكتـهـا خـلال فترة القـتال لأنها كانت جميعها تعتمد على هاتين الدولتين في تسليـحـهـا. كما أن بريطانيـا مـا زالت تمنع صرف القـسط المستحق من المعونه المالية للحكومـة الأردنيـة بمـوجب المعـاهده ولهذا لم يكن بمقدور قيادة الجيش تجنيد الأعداد اللازمـة لتعويض خسائر الكتائب من الجنود والتي كانت تعادل حوالي (٢٠ بالمائة) من مـلاكـهـا الأساسي. كما لم يكن ممكنا أمام هذا الوضع تشكيل وحدات جديدة على نطاق واسع لإضـافـة لواء آخـر إلى الفـرقـة كما كنا نأمل. وبنفس الوقت فقد كانت الحكومة الأردنيـة غير قـادرة عـملياً على تزويد الجـيش بأية مـبـالغ ماليه إضافية لمواجهة هذه الالتـزامـات بسرعة لكي نستفيد من فترة الهدنة في التدريب واحداث التشكيلات الجديدة التي يمكنها زيادة فعالية الجيش العربي القتالية بشكل مؤثر.

وإزاء هـذا الـوضـع الصـعب لم يكن أمـامنا أي خـيـار سـوى اتخاذ بعض الإجـراءات التنظيـمـيـة المحـدوده ضـمن الامكانيـات المتيسرة من قطعات الفرقة والوحدات الإدارية التـابعـة لقـيـادة الجـيش لتحسين أوضاع الكتائب المقاتلة بقدر الإمكان قبل انتهاء فترة الهدنة وتجـدد القـتال. أما بالنسبة لحاجتنا من الذخائر لتعويض النقص ولاسيما قنابل المدفـعـيه فقد كان واضحاً أننا سوف لن نتمكن من الحصول على شيء منها. وانه يترتب علينا ان نخـوض المعارك المقبلة في حال تجدد القتال بما تبقى لدينا من هذه الذخائر عند بدء الهدنه. أي أن وضـعنا عند بداية فترة القـتـال الثانية سوف لايكون أفضل منه عند نهاية فترة القـتـال الأولى ووقف إطلاق النار وكأن فترة الهدنة بينهما وجدت فقط لكي تخدم مـصـالح العـدو بحـيث يتمكن من إعادة تنظيم قواته واستكمال استيراد الأسلحة الجـديدة وتدريب جنوده عليـهـا واسـتيعابها في تشكيلاته الجديدة لكي يستأنف القتال

بقدرة أفضل. بينما نقف نحن مكتوفي الأيدي لا نستطيع عمل شيء يذكر لتقوية فعاليات قطعاتنا المقاتلة وننتظر العدو حتى يكمل استعداده ثم يوجه لنا الضربه القادمه. ولقد كانت هذه الأمور واضحة أمامنا منذ بداية الهدنه ولم يكن بمقدورنا ضمن الإمكانيات المتاحه عمل الشيء الكثير لتغييرها. اللهم إلا أن نغمض أعيننا وننسى جميع المبادىء العسكرية أو نشارك دولة رئيس الوزراء توفيق باشا أبو الهدى رأيه القائل أنه سوف لن يتجدد القتال. حيث كان يعتقد رحمه الله أن الدول الكبرى سوف تفرض على جميع الدول المعنيه تجديد الهدنه وان القضية سوف تتحول من ساحة القتال إلى ميدان السياسه لإيجاد حل لها. ولكن على فرض أننا استطعنا ان ننسى المبادىء العسكرية مؤقتاً ونفترض أن الدول الكبرى طلبت تجديد الهدنه فهل ننسى أن إسرائيل قادرة خلال الهدنه على زيادة فعالياتها العسكرية أضعافاً مضاعفة من حيث التسليح والتدريب وأنها ما زالت تطمح بإحتلال فلسطين بكاملها. أو على الأقل احتلال اهداف رئيسية اخرى مثل القدس والنقب وأنها قادرة أن تتحدى قرارات هيئة الأمم المتحدة كما اعتادت أن تفعل معتمدة على دعم أمريكا اللامحدود لها في مثل هذه الظروف. ولكن ما الفائدة الآن من التحليل والتأويل. فهذا هو الموقف الذي أصبحنا نواجهه. وهكذا كان وضعنا عندما بدأت الهدنة الأولى.

لا ذخائر كافية ولا أسلحة جديدة ولا أموال إضافية متاحه. وعلينا أن نعمل ما نستطيع عمله ضمن امكانياتنا الزهيدة المتيسرة فقط وننتظر ما سوف تسفر عنه الظروف المقبله

٢ ـ بهذا الوضع بدأنا بتشكيل الكتيبة الخامسة من السرايا المستقلة والتي سبق أن عمل بعضها ضمن القوة المختلطة في عملية الهجوم على حي الشيخ جراح، وبعضها متواجد في أماكن أخرى. كما تم تجميع ما تحتاجه هذه الكتيبة من اسلحة مسانده ونقليات من وحدات الفرقة.

وقد شكلت هذه الكتيبة وعين قادتها على النحو التالي :

قائد الكتيبة	ـ	وكيل القائد علي الحياري
مساعد قائد الكتيبة وقائد السرية المساندة	ـ	وكيل القائد كريم أوهان
أركان حرب الكتيبة	ـ	الملازم الأول صالح الشرع
قائد السرية الأولى	ـ	الرئيس سليمان مسعود
قائد السرية الثانية	ـ	الرئيس محمد خلف العمري

قائد السرية الثالثة – الملازم الأول راضي العبدالله الخصاونه

قائد سرية القيادة – الملازم الأول عبدالله العايد

وقد تجمعت هذه الكتيبة في منطقة قرية (بيت حنينا) للتدريب.

وقد وضعنا لها برنامج تدريب مكثف لكي تكون جاهزه للعمليات الحربيه قبل نهاية فترة الهدنه.

كما اعتمد رسمياً تشكيل الكتيبة السادسة من السرايا التي كانت في مدينة القدس القديمه ولتحسين وضعية ملاك الكتائب الأخرى زودتنا قيادة الجيش بإعداد من الجنود من الوحدات الإدارية ومن الجنود الأغرار الذين تم تجنيدهم بشكل مستعجل وقد وزعناهم على الكتائب لتعويض جزء من النقص الذي حصل في مرتباتها بنتيجة الخسائر في المعارك السابقة. وبالإضافة لهؤلاء الجنود فقد ارسلت لنا قيادة الجيش سرية المشاة التاسعة عشر التي تم تجنيدها وتشكيلها حديثاً من جنود الباديه. وقد وضعناها في بلدة (النبي صالح) شمال رام الله لاستكمال تدريبها ثم نقلناها بعد ذلك إلى قيادة اللواء الثالث حيث تمركزت في منطقة مثلث بيت سيرا كقوة احتياطية.

كذلك قمنا بتشكيل بطارية مدفعيه جديدة قوامها ثمانية مدافع مورتر ثقيل عيار (٤,٢) بوصه كانت في مستودعات الجيش. سبق ان سلمت لنا من الجيش البريطاني، وبهذه الأثناء قمنا بإجراء بعض التنقلات في مواقع القيادات. حيث اعدنا قيادة الفرقة الرئيسية من منطقة السلط وانضمت إلى القيادة الأمامية (التكتيكيه) في منطقة (بيتونيا). تم نقلناها جميعها إلى التلال الواقعة غرب مدينة رام الله. وبنفس الوقت اعدنا قيادة اللواء الأول من منطقة السلط إلى موقع جديد عند قرية بيتين شرق رام الله.

خلال هذه الفترة كان جلالة الملك عبدالله يبذل جهوداً مكثفة للحصول على كميات من الذخائر والأسلحة عن طريق اتصالاته الشخصيه مع رئيس جمهورية تركيا ولكنها لم تسفر عن شيء. وأخيراً وبعد اتصالاته مع الأمير عبد الاله تسلمنا من الجيش العراقي ثمانيه مدافع عيار (١٨ ملم) كانت ملغاة عندهم ومعها أربعة آلاف قذيفة فقط وقد شكلنا منها بطارية مدفعيه إضافية الحقت بقيادة المدفعيه ثم استخدمت بإسناد الكتيبتين السادسة والثالثة في مدينة القدس كما نقل العراقيون من جبهتهم مدفعين عيار (٦ عقده) مع طاقمهما الى منطقة شعفاط خلف التل الفرنساوي لإسناد قطعاتنا وللمساهمة بقصف مواقع العدو في القدس. ولكن ذخيرتهما كانت محدوده.

٣ ـ وبعد اتمام هذه الإجراءات بقي أمامنا مشكلتين رئيسيتين هما :

الأولى : مسألة الدفاع عن مدينتي اللد والرملة حيث ما زال الدفاع عنهما يعتمد أساساً على قوات المناضلين من مختلف الفئات وعلى سرية المشاه الخامسة التي نقلت اليهما بتاريخ ٢٣ حزيران. ولا تتوفر لدينا قوات احتياطية لدعم دفاعات هاتين المدينتين في الوقت الراهن على الأقل. وأصبحت سلامتهما مرهونة بعدم تجدد القتال واستمرار الهدنة.

والثانية : هي وجود الفجوة الواسعة بين طرف جبهتنا بمنطقة بيت سيرا وطرف جبهة الجيش العراقي في منطقة مجدل يابا. وكانت هذه الفجوه خالية من أية قوات نظامية مما يجعل امكانية اختراق قوات العدو بين الجبهتين أمر في غاية السهولة والخطورة في آن واحد. ولمواجهة هذا الاحتمال جرت اتصالات مع القيادة العراقية ليقوموا بتمديد خطوطهم الدفاعية إلى الجنوب لإغلاق هذه الفجوه. ولكنهم اعتذروا على أساس ان حجم قواتهم المتوفرة لا يسمح بإطالة خطوطهم الدفاعية لأي مسافة أكثر مما هي عليه حالياً. ولذلك فإنه لم يبق أمامنا خيار سوى قبول هذا الوضع الخطر مؤقتاً والانتظار حتى ينتهي تدريب الكتيبة الخامسة لكي نسلمها جبهة الكتيبة الأولى ثم نسحب هذه الأخيرة الى احتياطي الفرقة لكي نعالج بها أي تطور قد يطرأ عبر هذه الفجوة بيننا وبين العراقيين حسب الاحتمالات المستجدة في حينها.

٤ ـ وأما مدينتي اللد والرملة فلم يكن بالإمكان دعم دفاعاتهما سوى بسرية المشاه الخامسة والتي كانت هي القوة الوحيده المتوفره لدينا في ذلك الحين وقد تقرر ارسالها كقوة رمزيه لتدعيم وتنظيم قوات المناضلين المتواجده في المدينتين وتنسيق مواقعها الدفاعيه بقدر الإمكان. وقبل حركة هذه السرية ببضعة أيام كلفني قائد الفرقة بأن أقوم بزيارة الى اللد والرملة للإطلاع على أوضاع المناضلين فيهما ودراسة الموقف الدفاعي بشكل عام وإعلامه بنتيجة مطالعاتى. وقد تحركت بنفس الليلة واخذت معي الرئيس سليمان سعيد من ضباط البوليس الفلسطيني السابقين وكان قد بقي في مركز بوليس اللد ومعه عدد من جنود البوليس المسرحين للإشتراك بالدفاع عن المدينه. وقد قضينا تلك الليله في اللد وفي الصباح قمت بجولة على جميع مراكز المناضلين وأطلعت على موجوداتهم من الأسلحة المختلفة والتي كانت لديهم كميات كبيرة منها وخصوصاً جماعه الجهاد المقدس. لكن معظم اسلحتهم هذه كانت عبارة عن بنادق ورشاشات وتنقصهم الاسلحة

المسـانده الثـقـيلة مـثل مدافع الميدان والمورتر ومدافع ضد الدروع. وبعد عودتى ابلغت قـائد الفـرقـة بهذا الوضع بتـقرير مفصل وذكرت له أنه من المستحيل أن تتمكن قوات المناضلين بشكلهـا الحـالي من الدفـاع عن المدينتين ضـد هـجـوم مركز كبير تشنه قوات نظامـية مدربه ومسلحه تسليحاً جيداً حتى ولو أضفنا لها سرية مشاه، كما كان مقرراً، ولكن بإمكان قـوات المناضلين هذه لو أحسن تنظيمها وتوحدت قياداتها أن تقاوم هجوم العـدو لمدة يوم أو يومين على الأكـثـر بينما تصلهـا قـوة نظامية كبيرة لنجدتها او لشن هجـوم مـعـاكس بسرعـة فكان جـوابه أن الحكومة لا تتوقع ان يتجدد القتال. وعلى أي حـال فإنه لا تتـوفـر لدينا اية قـوات أخرى في الوقت الحاضر لإرسالها الى اللد والرمله هذا بالإضـافة إلى أن كون المدينتين تقعان في سهل منبسط ومساحتهما واسعة فإنهما لا تشكلان مـوقـعـاً دفـاعياً جيداً يمكن الصمود فيه لوقت طويل. فماذا نستطيع ان نعمل تجـاه هذه الحـالة وكل مـا هو مـتـوفر لدينا من القوات الإحتياطية هو السرية الخامسة فـقط والتي سـوف نرسلها كقوة رمزيه لرفع معنويات المناضلين والسكان ومساعدتهم بقـدر الإمكان وللحـفاظ على بقاء هاتين المدينتين ضمن المنطقة العربية في حال استمرار الهدنة.

وعلى هذا الأسـاس أصـدر قائد الفرقة أمراً بأن تتحرك السرية الخامسة إلى مدينتي اللد والرملة لتأسـيس مـواقع دفـاعـيه فيهما بالنقاط الحساسة ومن ثم الاتصال مع قيادات المناضلين لتنسـيق اعمالهم والتـعاون معهم لتنظيم الدفاع عن المدينتين حسب الإمكانيات المتوفره لديهم

وبعد وصول السرية قام قائدها بتركيز فئاته بالمواقع الآتية :

فئة في محطة سكة حديد اللد.

فئة في موقع تقاطع طرق اللد ـ الرملة ـ صرفند.

فئة في مقام النبي صالح في الطرف الجنوبي من الرمله.

كما وضع قـيـادته في مـركـز بوليس اللد. وقـد بقي ارتبـاط هذه السرية مع قائد اللواء الثالث من كافة الوجوه الحربيه والإدارية.

وفي اليـوم التالي حضر لزيارتنا قائد الجيش وعقد معنا اجتماعاً حضره قائد الفرقة وقائد اللواء الرابع القـائمـقـام أحمد صـدقي الجندي والركن الأول وأنا. وبعـد أن شرحت لهم نتيجة مشاهداتى في اللد والرملة كما سبق وشرحتها لقائد الفرقة. كرر قائد الجيش قوله

أن المأمـول أن تسـتـمـر الهدنه ولا يتـجدد القتال حسب تأكيدات دولة رئيس الحكومة توفيق باشا أبو الهدى له.

ولذلك فـقـد تقرر أن يتأسس في اللد والرمله نوع من الوجود الرسمي الأردنى في الوقت الحـاضر. وعليـه فـقـد تم تعـيين وكـيل القائد إدريس سلطان حاكمًا عسكرياً للمدينتين وصـدرت له التعليمات لكي يتحرك إلى مركز عمله بالسرعة الممكنة. وبنفس الوقت طلب من قـائد اللواء الرابع تزويده بما يحتاجه من جنود الحراسة وجهاز لاسلكي على أساس أن ارتبـاطه المبـاشر سوف يبقى مع قائد اللواء الرابع. وفي اليوم التالي تحرك إدريس مع احمد صـدقي الى اللد وقـامـا بتأسـيس مكتب الحاكم العسكري في بناية مركز البوليس الواقـعـة بين المدينتين. وقد زوده قائد اللواء الرابع مبدئياً بجنود لاسلكي وبعض ضباط الصف ثم ارسل له فـيما بعـد فئة مـشـاه لحـراسـة المكتب وكـمـية من ذخيرة البنادق لـتـوزيعـهـا على المناضلين. وبدأ إدريس سلطان عـمله بالاتصـال مع رؤسـاء البلديات ومحاولة تنظيم الإدارة والتنسـيق مع قـائد السرية الخـامـسـة وقـادة المناضلين لتنظيم الدفـاع وارسـاء التـعـاون بين الجـمـيع حسب مقتضيات الظروف والاستعداد لحالات الطوارىء فيما إذا تجدد القتال.

هذا مجمل مـا اسـتطعنا ان نقـوم به من إجـراءات خلال فترة الهدنة وهي ليست كثيرة ولاهي بحـجم يزيد من فـعالية قواتنا المقاتلة بشكل ملحوظ وذلك لعدم توفر الامكانيات اللازمـة لتشكيل وحدات جديدة وأهمها الذخائر والأسلحة والأموال.

صحيح أننا تمكنا من تشكيل كتيبه إضافية لكنها تكونت من سرايا كانت موجودة أصلاً ضـمن مـلاك الفـرقـة. ولكن وضـعنا بقي تقـريبـاً كما كان عليه الحال قبل الهدنه مع تحسينات طفيفة.

٥ ـ أمـا عن الجـيـوش العـربيـة الأخرى فلم نكن نعرف الكثير عن أوضاعها الداخلية لعدم وجـود التنسـيق أو الاتصـال المبـاشر مـعها باستثناء الجيش العراقي الذي كان يزودنا بمـعظم المعلومـات المهـمـة باسـتمرار عن طريق ضابط الارتباط العراقي الرئيس الأول مظفـر التك ومن أهم مـا تمكنت القـوات العـراقـيـه عمله أثناء الهدنه أنها جندت أربعة كـتـائب من المناضلين الفلسطينيين وسلحـتـهـا ودربتها واستخدمتها بالدفاع عن بعض المواقع بقـيادة ضباط عراقيين. وبهذه الطريقة امكنها توفير ما يعادل حجمها من القوات النظامـيـة كقوة إحتياطية يمكن استخدامها في مجالات اخرى. وبالإضافة لهذا فقد بدلت الفـوج النظامي الذي كـان مـسـتخدماً في الدفاع عن منطقة جسر المجامع بفوج من قوة

الشرطة وصل حديثاً من العراق ونقلت الفوج النظامي إلى منطقة نابلس. وبهاتين العمليتين توفر للقوات العراقية المقاتلة خمسة أفواج نظامية إضافية وهي تعادل جميع قوات الجيش العربي الأردنى وبالإضافة لكل ذلك فقد تم تزويدهم بجحفل لواء جديد هو جحفل اللواء الثالث الذي وصلهم بعد إنتهاء الهدنة بمدة يومين. وبهذا أصبحت القوات العراقية تتألف من فرقة كامله قوامها ثلاثة جحافل ألوية والقوة الآليه وبعض الكتائب الأخرى بالإضافة الى كتائب المناضلين الفلسطينيين. وهذا ما جعلنا نأمل آن يوافق العراقيون على توسيع خطوط دفاعهم إلى الجنوب لكي يغلقوا الفجوه بيننا وبينهم. ولكنهم رأوا أنهم لا يستطيعون القيام بذلك.

٦ ـ أما المصريون فلم يزودونا بأية معلومات عن تطور قواتهم كما لم يزودوا القيادة المشتركة رغم أننا فهمنا أنهم زادوا حجم قواتهم بأفواج أخرى واسلحة جديدة ومدفعيه ميدان رغم محدوديتها. كما أنهم لم يعطونا أية معلومات عن خططهم المستقبلية في حالة تجدد القتال.

٧ ـ وهكذا فيما عدا بعض الإجراءات المحدوده فقد أصبحت الجبهات العربية هادئه ساكنه بانتظار الضربه القادمه. وكأن هذه الهدنه كانت منحة لليهود لكي يتمكنوا من إتمام تجهيز تشكيلاتهم الجديده وتسليحها وتدريبها واستكمال استيراد الاسلحة والذخائر واستيعابها من قبل قطعاتهم والاستعداد لاستئناف القتال بعد انتهاء فترة الهدنه التي عرفوا كيف يستفيدون من كل دقيقة منها ولم يعرف العرب.

٨ ـ ولقد كانت الأولوية الأولى عند اليهود على صعيد التزويد هي مسألة ابطال فعالية حصار مدينة القدس. ولتحقيق هذا الهدف بدأوا بتمرير كميات ضخمة من المؤن بقوافل كبيرة عبر الطريق الرئيسيه التي تمر من باب الواد ليلاً ونهاراً حيث أن شروط الهدنه اتاحت لهم ذلك بحيث أصبح في القدس ما يكفيها من التزويد لعدة أشهر. وبنفس الوقت قاموا بتوسيع وتحسين (طريق بورما) واخذوا يمررون منها القوافل العسكرية الضخمة لتزويد حامية المدينة بالأسلحة والذخائر والوحدات العسكرية الإضافية، وقد كان هذا الإجراء مخالفاً لشروط الهدنه. ولكن كل ما كانت الحكومة الأردنية تستطيع عمله هو الاحتجاج إلى الوسيط الدولي الذي لم يتمكن بدوره من منعها.

كما تمكن اليهود من تمديد خط أنابيب جديد لجر المياه الى المدينه بمحاذاة طريق بورما لتزويدها بحاجتها من الماء بعد قطع مصدرها من رأس العين. وبنفس الأسلوب تمكنوا من تزويد جميع مستعمراتهم التي كانت معزولة في منطقة النقب خلف الخطوط المصرية

بجميع حاجاتها من الذخائر والمؤن بما يمكنها من الصمود مدة طويلة في حالة الحصار.

أما على الصعيد العسكري فقد تمكنوا من تجنيد اعداد هائلة من الرجال والنساء وشكلوا منهم كتائب جديدة باشروا بتسليحها وتدريبها على نطاق واسع حيث بدأت تصلهم شحنات الأسلحة الضخمة التي سبق ان تعاقدوا على شرائها من جميع انحاء العالم وأهمها تشيكوسلوفاكيا حيث اشتروا منها الطائرات والدبابات والمدافع. وكذلك من أمريكا وغيرها. وقد أصبحت تشيكوسلوفاكيا قاعدة رئيسية لشحن هذه الأسلحة جواً وبحراً والتي كانت تصل إلى إسرائيل تحت نظر مراقبي هيئة الأمم المتحدة الذين لم يكن بمقدورهم منع انزالها أو حتى الإطلاع عليها حيث كان اليهود يمنعونهم من دخول الموانىء والمطارات وما داموا انهم قادرين على تحدي قرارات هيئة الأمم المتحدة وجلب السلاح رغم الحضر المفروض من قبل هذه الهيئة الدوليه فماذا يهمهم من تحدي الوسيط الدولي ومراقبي هيئة الأمم المتحدة. وما دام أن العرب عاجزين عن مظاهاتهم بجلب الأسلحة من الخارج وقانعون بالاستمرار في حالة الجمود التي كانت سائدة على جميع الجبهات فماذا يريد اليهود أفضل من هذا الوضع لإستئناف القتال وتحصيل ميزات جديدة في ميدان المعركة ما داموا قد أصبحوا في موقع القدرة وأصبح العرب في موقع الضعف.

٩ - لقد أضاع العرب فرصتهم الأولى للتغلب على العدو بدخولهم الحرب بدون خطة متكاملة، وقيامهم بفتح جبهات متفرقة تقاتل فيها جيوشهم منفصلة عن بعضها. ولم يدخلوا الحرب بحشد كل ما كان متوفراً لديهم من وحدات عسكرية وما كان متيسراً من احتياطي حشداً واحداً متكاملاً وتطبيق أسس وقواعد الحرب المعروفة في العالم والتي في مقدمتها الهدف الأساسي وهو تدمير قوات العدو المقاتلة، وفي سبيل تحقق هذا الهدف ان يضعوا جيوشهم بإمرة قيادة واحده فعاله تدعمها وتسندها حكوماتهم لتحقيق أهداف الاستراتيجية العليا للحرب. وربما كانت تلك هي فرصتهم الأخيرة كذلك كما اثبتت الأحداث حتى الآن.

ولقد أضاع العرب فرصتهم الثانية بعد دخولهم الحرب وذلك بوضع جيوشهم بمواقع دفاعيه ثابتة ضمن الخطوط التي نص عليها قرار التقسيم ولم يتمكنوا من الاتفاق على توحيد جهودهم أو حتى على تحقيق التنسيق الصحيح بين هذه الجيوش لكي يستطيعوا الاستيلاء ولو على هدف استراتيجي مهم واحد على الأقل كمدينة القدس مثلاً قبل ان يوافقوا على الهدنة الأولى لكي يصبح لديهم مركز مفاوضه له قيمة حيوية ما داموا

يعـرفـون أن حـربهم هذه كـانت حرباً سياسية وانه ليس بمقدورهم تدمير قوات العدو المقاتلة لأنهم غير قادرين على الاتفاق المخلص فيما بينهم لتوحيد جهودهم في هذا السبيل وانهم يعـرفـون بالتـالي أنهم سـيكونون مـضطرين للإنصـياع للضغوط التي تمارسـها عليـهم هيئة الامم والدول الاسـتـعمارية لإجـبارهم على قبول الهدنة التي وضعت أصلاً لمسـاعـدة اسرائيل. ولكن على الأقل كان بمقدور الزعماء العرب ان يتفقوا ولو مؤقتاً لكي يحتلوا مدينة القدس بكاملها ثم يقبلوا الهدنة بعد ذلك.

وباتفـاقـهم المخلص لو تحقق كان بإمكانهم ان ينجزوا هذا الهدف المحدود والمهم بنفس الوقت ويفـرضوا أمراً واقعاً ولو مرة واحدة في حياتهم.

والآن، وبعـد كل هذه العنجـهـيـات والإصرار على التـفـرقـة والتناحـر والتـخاذل اخذوا يرفـضـون تجـديد الهدنة التي كـانوا يقولون انهم وافقوا عليها مضطرين لأن جيوشـهم كـانت تعـانى من نقص الذخـائر ولا تسـتطيع الاسـتمرار في القتال ومع ذلك فهم الآن يصرون على اسـتئناف هذا القـتـال من جـديد وهـم يعرفون جيداً أنهم لم يتمكنوا خلال الهدنة الأولى من تزويد جيوشـهم ولو بجزء مما كان ينقصها من الذخائر والأسلحة ولم يتمكنوا من زيادة فعاليتها بالقدر الذي يضاهي ربع ما حققه اليهود من زيادة في فعالية قـواتهم فلماذا إذن يصر هؤلاء السـادة على إنهاء الهدنة والعودة إلى القتال ما دامت حالة جيوشـهم لم تتحسن عن ما كانت عليه قبلها. ثم إذا كانوا يعتقدون أن جيوشـهم التي لم يزيدوا فـعـاليـتـها بشيء يذكر كانت قادرة على القتال فلماذا إذن اوقفوها عن هذا القتال عندما وافقوا على الهدنة الأولى.

ومـا هو قـول قـادة هذه الجـيـوش الذين كـانوا ينصـاعـون الى جميع أوامـر قياداتهم السـيـاسـيـة ويحملون هم أنفسـهم بنتيجتها أخطر المسؤوليات تجاه جنودهم ووطنهم والتاريخ. ولسوف اترك النقاش حول هذه المسائل الآن لبحثها بمكان آخر.

١٠- ولـكن لا بد هنا من الأشـارة إلى الإجـراءات التي قـام بها الوسـيط الدولي خـلال فترة الهدنة الأولى وأوجزها بما يلي :

أ - منذ اليـوم الأول لبـدء الهدنة قـام الكونت برنادوت بتـوزيع الضباط المراقبين الذين جندهم لهذه الغـاية على كافة الجبهات للأشراف على تطبيق وقف إطلاق النار والتقيد بشروط الهدنة.

وكـان أول عـمل قـام به هؤلاء المراقـبون هو تثبيت المواقع الأمامية التي تتمركز بها قـوات الطرفين في وقت بدء الهدنة على الخـرائط وإعتبار أن المناطق الواقعة بين هذه

الخطوط المتقابلة مناطق حرام لا يجوز لأي من قوات الطرفين دخولها.

وقد كانت هذه المهمة سهلة بالنسبة للخطوط الواقعة خارج المدن حيث أن هذه المواقع واضحة المعالم وبعيدة عن بعضها

وقد تم ترسيم هذه الخرائط لخطوطنا الأمامية بالتنسيق مع قادة الألوية وسلمت نسخة منها إلى المراقبين الدوليين. ولكن بالنسبة لمدينة القدس فقد كانت المسألة أكثر تعقيداً نظراً لاكتظاظ الأبنية وتداخلها وقرب المواقع التي تتمركز فيها القوات الأمامية من بعضها. ولهذا فقد دعي الوسيط الدولي لعقد اجتماع يحضره مندوبون عن الجيش العربي وعن القوات اليهودية بإشراف المراقبين الدوليين لتثبيت المواقع الأمامية لقوات الجانبين وبيان المناطق الحرام على خرائط يتم التوقيع عليها من قبل مندوبي الطرفين ليتقيدوا بها في المستقبل. وقد مثل الجانب الأردنى في هذا الاجتماع قائد الكتيبة السادسة وكيل القائد عبدالله التل وقائد الكتيبة الثالثة وكيل القائد (هينكل تيرفن) وأركان حرب الكتيبة الملازم الأول خالد المجلي الخريشة ومثل الجانب الإسرائيلي الكولونيل شالتيل قائد قواتهم في القدس والميجر دايان وعدد من ضباط الأركان. وقد تم الاتفاق بهذا الاجتماع على خريطة تبين الخطوط الأمامية للطرفين ومناطق الحرام في مدينة القدس وتم التوقيع عليها من قبل مندوبي الطرفين ولكن هذه الخرائط لم تشمل منطقة جبل المشارف (سكوبس) الذي تقع عليه بنايات هداسا والجامعة العبرية حيث وضعت لهذه المنطقة اتفاقية خاصة بتاريخ ٧ تموز ١٩٤٨م وقع عليها قائد الفرقة اللواء (لاش) عن الجانب الأردنى وقائد القوات اليهودية في القدس الكولونيل شالتيل عن الجانب الأسرائيلي كما وقعها قنصل بلجيكا في القدس بصفته رئيس اللجنة القنصلية التابعة لهيئة الأمم كما وقعها كبير المراقبين الدوليين في القدس.

وهكذا تركت منطقة هداسا والجامعة العبرية وشأنها وبقي الجنود اليهود فيها يطلقون النار على مواقعنا حتى بداية الهدنة.

وبعد ذلك اقترح الكونت برنادوت تجريد منطقة هداسا والجامعة العبرية من السلاح وتسليمها الى هيئة الأمم المتحدة، وعندئذ طلب قائد الجيش من قائد الفرقة اللواء لاش حضور الإجتماع والتوقيع على اتفاقية هداسا. وعلى إثر توقيع هذه الاتفاقية دخل مراقبو هيئة الأمم المتحدة إلى المنطقة وأشرفوا على خروج قافلة تحمل الجنود اليهود مع اسلحتهم الى الأحياء اليهودية في القدس الجديدة وتركوا فيها العدد

المسموح به من الرجال الذين كان من المفروض انهم من رجال الشرطة والذين ثبت فيما بعد أنهم كانوا سرية كاملة من الجيش الاسرائيلي بدلوا ملابسهم وكما ثبت فيما بعد ان المنطقة لم تجرد من السلاح بل بقي فيها كميات من الاسلحة الخفيفة والرشاشات ومدافع المورتر وخلافها. وان مندوبي هيئة الأمم المتحدة لم يوفوا بالتزاماتهم حول شروط الاتفاقية التي وضعت أصلاً بمبادرة من الكونت برنادوت عندما اقترح تجريد المنطقة من السلاح ووضعها تحت إشراف-هيئة الأمم المتحدة ومع مرور الزمن سيطرت القوة اليهودية التي بقيت في هداسا على تلك المنطقة وأخذت تمنع ضباط هيئة الأمم المتحدة انفسهم من التجول بداخلها بحرية ولم تعد تسمح لهم بالدخول الا لأماكن معينة ولفترات محدودة فقط.

ولكن لابد ان اللواء لاش كان مخولاً من جهة عليا بذلك. وبهذه الحالة هل من المعقول ان يوافق على مثل هذه الشروط قبل الرجوع إلى تلك الجهة العليا التي خولته. ولو فرضنا ان تلك الجهة العليا هي قائد الجيش الفريق كلوب فهل اخذ الفريق على عاتقه هذه المسؤولية. كذلك لست أدري. ولكن على أي حال فقد نفذت الاتفاقية وبقي أمر وضعها بهذه الصيغة وتوقيع اللواء لاش عليها لغزاً محيراً لم اعثر له على تفسير عند أحد.

(انظر النص الكامل للإتفاقية في الملحق رقم (٢)).

ب ـ ولنعد الآن الى الكونت برنادوت الذي انصرف بعد إتمام الإجراءات الأولية لتطبيق وقف اطلاق النار وشروط الهدنة بكل جهوده لتحضير مقترحاته لحل مشكلة فلسطين حلاً جذرياً. وفي سبيل ذلك نشط باتصالاته مع جميع الدول المعنيه بالصراع لتأمين موافقتها على تمديد فترة الهدنة لمدة أخرى لتجنب تجدد القتال من جهة ولاعطاء فرصة أفضل لإمكانية التوصل الى حل نهائي تقبل به جميع الأطراف المتنازعه من جهة أخرى.

وبتاريخ ٢٨ حزيران نشر الكونت برنادوت مقترحاته الأولية والتي كانت أهم مرتكزاتها ما يلي .

١ ـ ان تتحد المناطق العربية من فلسطين مع شرق الأردن. وان تقوم الأردن التي تكونت بهذا الشكل بالدخول باتحاد مع اسرائيل.

٢ ـ ان يتولى هذا الاتحاد الشؤون الاقتصادية والخارجية والدفاع.

٣ ـ مع الأخذ بعين الاعتبار شروط وثيقة الاتحاد تتولى كل من الاردن واسرائيل شؤونها الداخلية الخاصة بها.

وقد أرفق مع هذه المقترحات ملحقاً يبحث الشؤون التفصيلية الخاصة بتقسيم المناطق. وبهذا الملحق اقترح برنادوت ما يلي :

أولاً : ضم جميع منطقة النقب أو جزءاً منها إلى الأردن.

ثانياً : وبالمقابل ضم جميع منطقة الجليل الغربي أو جزءاً منها إلى اسرائيل.

ثالثاً : ان تضم القدس للمنطقة العربية وان يعطى السكان اليهود فيها ادارة ذاتيه.

رابعاً : ان تكون حيفا ميناء حراً وتكون اللد مطاراً حراً.

وعلى الرغم من ان هذه المقترحات قد اعتبرتها اسرائيل منحازة لمصلحة الأردن فإن الدول العربية رفضتها على اعتبار انها مبنية اساساً على مشروع التقسيم وعلى قيام دولة يهودية في فلسطين وهذا ما رفضته الدول العربية في السابق وما زالت ترفضه.

وأما اليهود فقد رفضوها لأسباب أخرى. أهمها انهم لا يمكن أن يوافقوا على سيطرة العرب على مدينة القدس. ولا ان يعطي النقب او قسمًا منه للعرب. ولا ان تضم الاقسام العربية من فلسطين الى الأردن.

ومهما كان الأمر فإن هذه المقترحات حتى لو قبلها العرب فإن مسألة الاتحاد بين الأردن وإسرائيل ستكون مشكلة يصعب فهم كيفية تطبيقها ومن المستحيل ان يقبل بها أي طرف عربي وبالأخص الشعب الفلسطيني. وعلى هذا الأساس فإنها لا تعدو كونها مقترحات نظرية لايمكن تطبيقها عملياً والأرجح أن (برنادوت) كان يعرف إستحالة تطبيق هذا النوع من المقترحات ولكنه كما يظهر كان يبحث في كافة الاتجاهات ويناقش أي نوع من الأفكار لعله يتوصل بالنهاية الى مقترحات معقولة يقبلها الطرفان كأساس للتسوية النهائية.

ومن هذا المنطلق استمر الكونت برنادوت بتكثيف نشاطاته وبذل اقصى جهوده بلا كلل ولا ملل لإقناع الدول المعنيه بالموافقة على تجديد الهدنه كمرحلة اولى. وكان يهدف من وراء ذلك كله كسب المزيد من الوقت لعله يستطيع التوصل الى حل سياسي ترضى به جميع الأطراف. وتجنب إراقة المزيد من الدماء في حالة تجدد القتال.

ومـن الغـريب ان اسرائيل هي التي وافـقت على تجـديد الهدنة رغم انها تمكنت من مضاعفة حجم قواتها وإكمال تسليحها وتجهيزها. وتجاوزت قدراتها القتالية قدرات كـافـة الجـيـوش العربية مجتمعة. بينما رفضته الدول العربية وهي التي كانت قد وافـقت على عـقـد الهدنه الأولى أصلاً بسبب نقص الذخائر والأسلحة لدى جيوشها بحيث لم يكن بإمكانها الاستمرار بالقتال بضعة أيام أخرى.

جـ - وعلى الرغم من أن قـادة الدول العـربيـة كـانوا يعرفون أنهم لم يتمكنوا من زيادة قدرات جيوشـهم وتزويدها بالأسلحـة والذخـائر التي كـانت تفتقر لها خلال الهدنة فإنهم كـانوا جميعاً (ما عدا الملك عبدالله) يصرون على عدم تجديد الهدنة. ولقد كانت هذه المواقف محيرة فـعـلاً. ولم نكن نفـهم اسبابها في ذلك الحين حيث كان يصعب علينا ان نقـبل أي تفـسير لما كنا نلمـسـه من تخاذل العرب وتناحر قياداتهم وعدم تعـاونها منذ بداية القـتـال. ذلك التـعاون الذي لو تم بإخلاص لكان بإمكان القوات العـربيـة ان تخوض مـعـارك مـتـوازنة ضد قوات العدو الإسرائيلي بحسب الأسس والقـواعـد السليـمـة للحـرب التي في طليعة أهدافها تدمير قوات العدو المقاتلة لكسر إرادته على القـتـال وبتـحـقـيق هذا الهدف سـوف نستطيع الاستيلاء على الأراضي والمدن كنتـيجة حتمية للقتال بعد ذلك. ولو لم تتمكن القوات العربية من تدمير قوات العـدو المقـاتلة بكاملها لأمكنها على أي حال ان تكبده خسائر هائله بالأرواح والمعدات لا قـبل له بها وقـد تكون نتـائجـهـا حـاسـمة في مسيرة تلك الحرب. أو على الأقل لاسـتطعنا الإسـتـيـلاء على مـدينة القـدس بكاملهـا بإعتبارها أهم هدف حيوي في فلسطين. الأمر الذي ربما نتج عنه تغيير جذري لنتائج الحرب برمتها .

كما كان يصعب علينا أن نفهم بعد أن قبلت القيادات السياسية العربية بوقف إطلاق النار وبعـقـد الهدنة بسـبب نقص الذخائر والأسلحة لدى جيوشها لماذا قررت الآن رفض تجديد الهدنة وأصرت على استئناف القتال من جديد وهـي تعرف جيداً أنها لم تتمكن من تحسين قدرات جيوشـها خلال فترة الهدنة بينما تمكن العدو من مضاعفة قـواته وتزويدها بكميات هائلة من الأسلحة والذخائر وإعادة تنظيمها. بحيث أصبح بمـقـدورها القـيـام بعـمليـات حـربيـة كبرى متوازنة وان تنتزع زمام المبادرة من الجيوش العربية وتحتفظ به حتى نهاية القتال .

وإنى لا أجـد تفـسيراً مـعقولاً لهذه المواقف المتناقضة سوى ان الزعماء السياسيين كـانوا يأخـذون القـرارات الحـربية كوسيلة لتحقيق غايات سياسيه معينة ولإرضاء الشارع العربي ولتجنب غضبة الجماهير بأي ثمن .

ومـهما كان الأمر فقد بدأت اللجنة السياسية للجامعة العربية إجتماعاتها في القاهرة بتاريخ ٣ تمـوز عـام ١٩٤٨م لكي تبـحث مـوضـوع الهدنة. وقـد كـان من أكـثر السـيـاسـيين العـرب حماسـاً لإنهاء الهدنة واسـتئناف القتال السيد محمود فهمي النقـراشي رئيس وزراء مصر رغم أنه كـان من أشدهم حماساً وإصراراً على ضرورة قـبـول الهدنة قـبل شهر فقط لدرجة أنه هدد الدول العربية إن لم توافق على قبول الهدنة فإنه سوف يعقد هدنة منفردة مع اليهود. كما كان في مثل حماسه هذا السيد ريـاض الـصـلـح رئيـس وزراء لـبنان رغم انه لم يكن للبنان في ذلك الوقت قـوات عـسكرية بداخل فلسطين لها تأثير مـهم في القتال. وقد أثر هذين الزعيمين بدورهما على باقي زعماء الدول العـربية لكي يقرروا عدم تجديد الهدنه. وقد كان الملك عبدالله هو الوحـيـد بين الزعماء العـرب الذي طالب بضرورة تجـديد الهدنه وعـدم العودة للقـتـال بسبب ما كانت تعانيه القوات الأردنية والقوات العربية الأخرى من نقص في الذخـائر والأسلحة وبسبب التفوق الهائل الذي استطاع اليهود تحقيقه في هذا المجال خـلال سريـان الهـدنه. وقـد أرسل رئيس وزرائه دولة السـيـد توفـيق أبو الهدى لحـضـور إجـتماع اللجنة السـياسية مزوداً بتعليمات مشدده أن لا يوافق على إنهاء الهدنة مهما كانت الظروف وان يقنع باقي الساسة العرب بوجهة النظر هذه .

وعـلى الـرغـم من محاولات الوسـيط الدولي الكونت برنادوت طيلة فترة الهدنة مع جميع الزعماء العـرب لإقناعـهم بقـبـول تجـديدها وعلى الرغم من تدخل الحكومـة البريطانيـة والحكومـة الامـريكيـة مع الدول العربية إلا أن اللجنة السياسية اتخذت قرارها يوم ٨ تموز عام ١٩٤٨م برفض تجـديد الهدنه وقد قام السيد عبد الرحمن عزام بإبلاغ هذا القرار الى الكونت برنادوت بإسم الجامعة العربية .

ومن غـرائب المفارقات أنه بتاريخ ١٠ تموز وعندمـا غادر برنادوت المنطقة متوجهاً إلى مـقـر هيئة الأمم المتـحدة في أمريكا أبرق إلى جميع الحكومات المعنيه يناشدها أن تـوافق على تمديد الهدنة لمدة عشرة أيام أخـرى. ورغم أن اليـهـود كـانوا قـد بدأوا العـمليات الحربية وكان هجومهم في منطقة اللد والرملة قد أصبح في مراحله المتقدمة إلا أنهم أبرقـوا إلى الكونت برنادوت يبلغـونه بمـوافـقـة الحكومـة الإسرائيليـة على إقتراحـه إذا وافـقت الدول العـربيـة عليـه. ولكنهم كانوا يتوقعون أن هذه الدول لن توافق وهذا سـوف يعطيـهم قـوة إضـافية لموقفهم السياسي في أوساط الرأي العام العالمي وخصوصاً في أمريكا .

أمـا الدول العـربية فقد رفضت هذا الإقتراح مباشرة. وقد كان قرارها برفض تجديد الهدنه بشكله الذي اتخذ فـيـه بمـثـابة دعوة الى الكارثة حيث أن السياسيين العرب قـرروا رفض تمديد الهدنه والعـودة إلى القـتـال ولكنهم إشترطوا أن تلتزم الجيوش العـربيـة بمـوقف الدفـاع. وهذا معناه أنهم قرروا أنه بدلاً من أن تبقى جيوشـهم في مـواقـعـهـا في حـالة هدنه أصـبح عليها أن تبقى في مواقعها الدفاعية الثابتة نفسها وتطلق يد العـدو بالهجـوم عليـهـا في أي مكان وزمـان يقـرره هو وأن عليها أن لا تتـعرض له سوى بإطلاق النار من مواقعها الدفاعية. وما على العدو بهذه الحالة إلا أن يكرر حـركـاته التـعـرضـيـة حتى تستهلك القوات العربية كل ما تبقى لديها من الذخـائر ثم يدمـرها بعد ذلك بسهولة وهذا أوضح دليل على عدم قدرة السياسيين الـعـرب عـلى فـهـم مـعنى الحـرب وإصرارهم رغم ذلك على التـدخل في الشـؤون العـسكرية. واتخاذ القـرارات الحـربيـة المصيرية التي تكون في غـالب الأحـيـان على خـلاف رأي قـادة جيوشـهم الذين عليهم رغم ذلك يقع عبء مسؤولية فشل المعارك الـنـاتج عن تلك القـرارات التي كـان لها النصـيب الأكبر في التـسـبب بما حل بهذه الجـيـوش العـربيـة من هزائم والتي اخـذ السـيـاسـيـون فـيما بعد يتنصلون من مـسـؤوليـتها ويلقون اللوم على القادة العسكريين ويصنعون منهم كبش الفداء أمام شعوبهم .

فترة القتال الثانية :

لقـد كـان إصرار العـدو الإسرائيلي على إحـتـلال منطقـة اللطرون وباب الواد لفتح طريق القـدس من أبرز معالم فترة القتال الأولى التي سبقت اعلان الهدنة. وعلى الرغم من الهجمات المتكررة التي شنهـا على هذه المواقع والخـسـائر الفادحة التي تكبدها في تلك المعارك الطاحنة فإنه لم يتـمكن من تحـقـيق أهدافه المتمثلة بفك الحصار عن مدينة القدس وتزويدها بالمؤن والذخـائر. وجـاءت الهدنة واعطت العـدو فرصته الذهبية لإعادة تنظيم قواته وتزويد القدس بما يكفـيها من الماء والمؤن والذخيره لفترة طويلة من القتال وليستعد للجولة الثانية التي كان يعرف أنها لابد قادمة حالما تنتهي فترة الهدنة .

وكما شرحت سـابقـاً فإننا لم نتـمكن من الإسـتـفادة من فترة الهدنة بزيادة قدرة قواتنا سـواء كـان ذلك بإضـافـة وحدات جديدة أو بإدخال كميات من الأسلحة والمعدات والذخائر التي كنا بأمس الحـاجـة لها كما فـعل اليهود. والأسباب التي كان المسؤولون يتذرعون بها

هي عدم وجود المال الكافي لتجنيد الأعداد الإضافية اللازمة ولشراء الأسلحة والذخائر. ولكن حقيقة الأمر هي أن الحكومة الأردنية عجزت عن توفير الأموال اللازمة لأن الحكومة البريطانية أوقفت صرف القسط المستحق من المعونة المالية بموجب المعاهدة. كما منعت شحن أي كمية من الأسلحة والذخائر مهما كان نوعها على أثر قرار هيئة الأمم المتحدة الذي صدر بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٨م بوقف العمليات الحربية. كما سحبت جميع الضباط الإنجليز العاملين في الجبهة بتاريخ ٣٠ أيار للضغط على الحكومة الأردنية لإرغامها على القبول بوقف القتال. ولا غرابة في كل هذا لأننا يجب أن لا نتوقع من المستعمرين أفضل من هذا النوع من التحكم والابتزاز ما دمنا نخضع لحكمهم .

وعلى الرغم من هذه الأوضاع البائسة فقد تمكنا من تشكيل وتدريب الكتيبة الخامسة خلال فترة الهدنة وقد تسلمت مواقعها الدفاعية في منطقة الرادار والنبي صموئيل من الكتيبة الأولى بتاريخ ٧ تموز أي قبل انتهاء فترة الهدنه بمدة يومين. وبالنتيجة أمكن سحب الكتيبة الأولى من الخط الأمامي ووضعها في الاحتياط الرئيسي لقيادة الفرقة بمنطقة قرية (دير القرع) شمال رام الله بدلا من إرسالها الى اللد والرملة للإشتراك بالدفاع عنهما وذلك لأن قائد الجيش وقائد الفرقة قررا أن وجود هذه الكتيبة في الاحتياط أهم لدعم الجبهة بكاملها لاسيما وأن الدفاع عن المدينتين سيحتاج إلى قوات أكبر من ذلك ليست متوفرة وأن الكتيبة الأولى لوحدها لن تفيد سوى زيادة المقاومة فيهما بضعة أيام أخرى. بينما إذا بقيت الكتيبة في الاحتياط سيمكنها دعم أي قاطع من الجبهة حسب تطور المعركة. وعلى أساس هذا القرار اصبح لدى الفرقة قوة احتياطية يمكن إستخدامها لمواجهة الحالات الطارئة وتعزيز نقاط الخطر بهذه الجبهة الواسعة. وهي على الرغم من صغر حجمها أفضل من لا شيء .

وكما أسلفت كذلك فقد تمكن اليهود من إعادة تنظيم قواتهم المسلحة بمستوى الألوية وأكملوا استيعاب الأسلحة الجديدة التي استوردوها واتموا تزويد القدس والمستعمرات النائية بما يلزمها من المؤن والذخائر لقتال طويل الأمد. وما أن اقتربت فترة الهدنة من نهايتها حتى أصبحت جميع قواتهم المسلحة جاهزة للقتال على نطاق واسع. وقد بقيت أهدافهم التي لم يتمكنوا من تحقيقها خلال فترة القتال الأولى قائمة. وفي طليعة أولويات هذه الأهداف إحتلال مناطق اللطرون وباب الواد لفتح طريق القدس وإخراج الجيش العربي من فلسطين الوسطى. ثم يليها تطهير منطقة الجليل الشمالي من بقايا جيش الانقاذ. ثم احتلال ما تبقى بيد القوات المصرية من النقب وجنوب فلسطين .

وقد كانت تصرفات الدول العربية خلال فترة الهدنة أكبر عون لليهود لتحقيق أهدافهم.

حـيث عـجزت هذه الدول عن تعزيز جيوشها وتزويدها بالأسلحة والذخائر كما عجزت عن الاتفـاق فيما بينها لتوحيد جهد هذه الجيوش وتنسيق عملياتها لكي تضمن قدراً معقولاً من التـعـاون وتخفيف الخسائر. وفوق هذا وذاك فقد قرروا عدم تجديد فترة الهدنة والعوده الى القتال مرة ثانية .

أمـا كـيف سـيـسـتأنفـون هذا القـتـال وبمـوجب أية خطط سـواء كـانت على المستوى الإستراتيـجي أو على المسـتـوى التكتيكي فليس هذا مهمًا عندهم بل المهم هو أن السياسيين قـرروا ان يسـتأنفـوا القتال وأصدروا الأوامر اللازمة الى قادة جيوشهم للتنفيذ. والأنكى من هذا انهم جميـعـاً وبدون اسـتـثناء أمـروا هذه الجيوش أن تبقى في مواقعها وتلتزم في حالة الدفـاع. ومـعنى ذلك أنهم سلمـوا زمـام المبـادرة للعـدو سلفـاً حيث اصبحت قواته حرة في تحـركاتها تهاجم أي جبهة بأي زمان ومكان تختاره وهي تعرف أن القوات العربية في جميع الجـبـهات الاخرى سوف تبقى ساكنه في مواقعها دون أن تقوم بأي عمل تعرضي قد يساعد الجبهة التي يقع عليها الهجوم

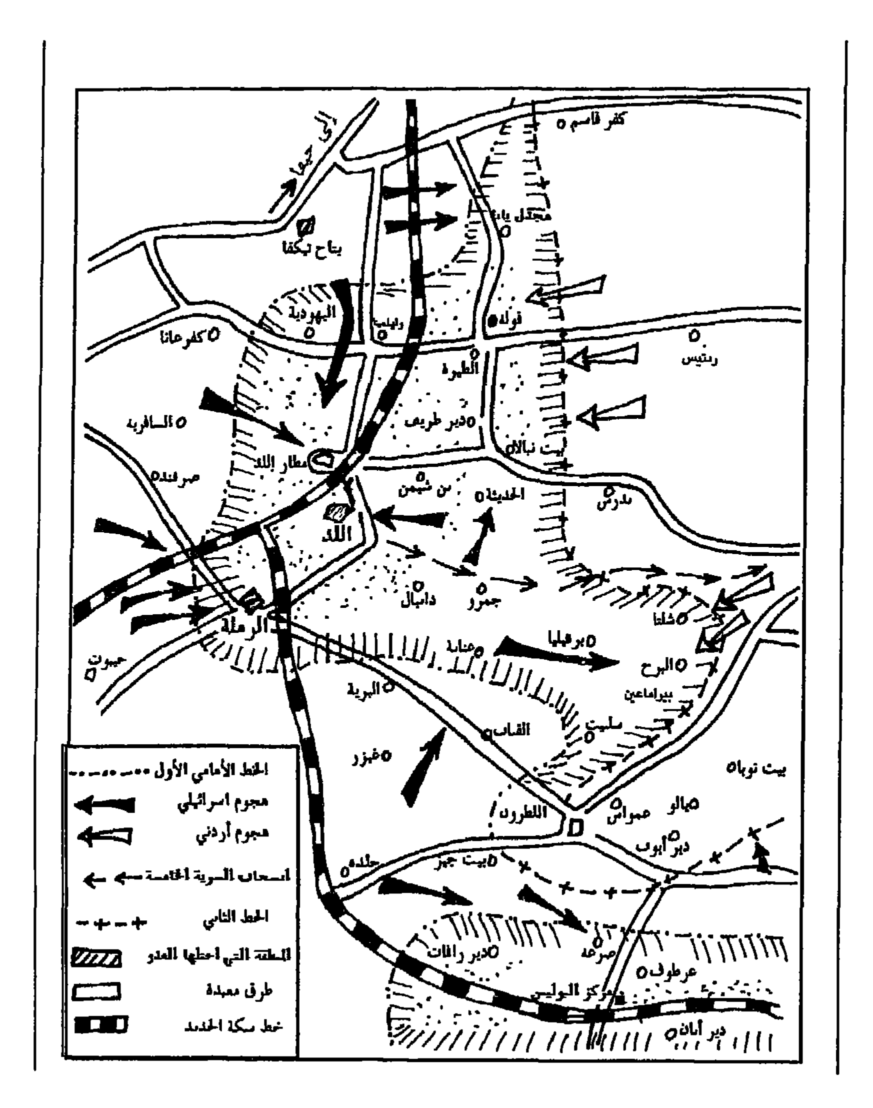
وحـتى القـوات التي تتـعـرض للهـجوم لا تستطيع ان تقوم بأي عمل سوى الصمود في مـواقـعها الدفاعية إذا استطاعت ذلك دون أن يكون بمقدورها أن تقوم بأي عمليات تعرضية أو أي حـركات أخرى قد تقتضيها ظروف المعركة لأنها أصلاً تفتقر الى القوات الكافية لتقوم بمـثل هذه العـمليات ما دام أن كل جيش يحارب معركته لوحده بدون تنسيق مع الآخرين ولأن جميع الجـيـوش كـانت تلتزم بموقف الدفاع ضمن مناطقها فقط. فقد أصبحت الحرب عـبـارة عن حـرب اسـتنزاف بالنسـبـة للجـيـوش العربية في موقفها الدفاعي الثابت بحيث تـسـتـطيع الصـمـود حـتى تنفـذ ذخـائرها المحـدوده والتي لا تملك القـدرة على تعـويض مـسـتـهلكاتها منهـا وبالتالي فإن العدو أصبح بموقف يمكنه أن يتفوق على كل قطاع عربي بمـفـرده فـيـحـتله ثم ينثني على القطاع الآخر وهكذا لاسيما وانه يعرف أن باقي الجيوش العـربيـة لن تخف لمسـاعـدة القطاع المتعرض للهجوم الإسرائيلي ولا حتى على مستوى القيام بعـمليات هجومية في مناطقها هي لتخفيف الضغط عنه. ولقد أصبح موقف الجيوش العربية بهذا الشكل غريباً وفريداً في نوعه ولا يتوافق مع أي عرف عسكري سليم .

أمـا اليـهـود فـقـد أخذوا زمام المبادره وبدأوا عملياتهم الهجومية على نطاق واسع بهدف الإسـتـيـلاء على أكبر مـسـاحة ممكنه من المناطق المتبقية بيد العرب من فلسطين. وقد كانت بداية عـملياتهم في مواجهة الجبهة الأردنية. وكان هدفهم الأول إحتلال منطقة اللطرون وفتح طريق القـدس. ومن ثم التـحـول لإزاحة القوات الاردنية من فلسطين الوسطى. وقد حشدوا

لهذه العملية قوة ضخمة كانت تتألف في البداية من ثلاثة ألوية أحدها مدرع. كما زودت هذه القوات بمدفعية الميدان وبإسناد جوي من الطائرات الحديثة. وقد اسندت قيادة هذه القوات الى الكولونيل (إيغال آلون). وقد كان اليهود على ما يبدو يعتقدون أنه تتواجد في مدينتي اللد والرملة قوات كبيرة من الجيش العربي ولذلك قرر الكولونيل (آلون) أن يكون هجومه على مرحلتين تكون المرحلة الأولى تطويق واحتلال اللد والرملة. وأن يستخدم بهذه المرحلة اللواء المدرع ولواء مشاه. ثم يتحول بكامل قوته إلى المرحلة الثانية وهي إحتلال اللطرون وفتح طريق القدس. (انظر الخارطة رقم ٥) .

وبتاريخ ٩ تموز بدأ العدو زحفه من اتجاهين حيث تقدم اللواء المدرع من منطقة تل أبيب باتجاه الجنوب الشرقي واحتل قرية اليهودية بعد معركة قصيرة يوم ١٠ تموز وتبعها احتلال قرى رنتيس، الطيره، وقوله. وبهذه الاثناء كان لواء مشاه قد بدأ زحفه من مستعمره غيزر في الجنوب متجهاً شمالاً فقطع طريق (القدس - تل أبيب) عند فجر يوم ١٠ تموز واحتل قرى عنابه، جمزو، ودانيال. حتى وصل الى مستعمرة (بن شيمن) التي تقع على بعد خمسة كيلومترات شرقي اللد. وباتصال طلائع هذا اللواء مع اللواء المدرع في منطقة بن شيمن تم إحكام الطوق على مدينتي اللد والرملة وعزلهما تماماً عن مواقعنا الرئيسية في اللطرون وبيت سيرا. وهكذا وعند وصول قوات العدو المدرعة الى قريتي دير طريف وبيت نبالا اصبح التهديد خطيراً على جبهتنا بكاملها فيما لو استمر اندفاع قوات العدو عبر هذه الفجوة بين دفاعات الجيش العراقي في (مجدل يابا) ومواقعنا في مثلث بيت سيرا ويبلغ طولها ١٥ كيلومتراً خالية من أي قوات نظامية وأما قوات المناضلين التي كانت تدافع عن القرى الأمامية فيها فقد اكتسحها اللواء اليهودي المدرع أثناء تقدمه. وباحتلاله لمنطقة بيت نبالا ودير طريف لم يبق أمامه أية قوات تذكر. ولو استمر باندفاعه لأمكنه الوصول إلى رام الله بدون قتال. ولذلك أصبح واضحاً أنه لابد من استخدام القوة الاحتياطية الوحيدة التي أصبحت متوفرة لدى قيادة الفرقة وهي الكتيبة الاولى التي تجمعت في منطقة (دير القرع) شمال رام الله قبل يومين وقد تقرر تحريك سرية مشاه وسرية المدرعات الى بيت نبالا للتصدي لقوات العدو المتقدمة على هذا المحور وترك باقي الكتيبة حالياً في الاحتياط. وسوف آتى على ذكر تفصيلات هذه العملية بمكان لاحق .

ولكن كما يظهر أن العدو كان بهذه الآونة يركز اهتمامه على إنهاء المرحلة الأولى من خطته بسرعة وهي احتلال اللد والرملة ثم الانقضاض بكامل قوته على مواقعنا في اللطرون



الخارطة رقم (٥) الهجوم الاسرائيلي في المنطقة

الوسطى واحتلال اللد والرمله ٩-١٢ تموز عام ١٩٤٨م

وبـاب الواد لفـتح طريق القـدس ـ تل أبيب حـيث كـانت خطتـه ترمي إلى إخـراجنا من تلك المواقع الدفـاعـيـه الهامـة أولاً. وبعد ذلك يستمر في تقدمه عبر تلك المنطقة إلى رام الله لدخول القـدس من الخلف ومن ثم التـقـدم نحو وادي الأردن وتصفية جميع مواقع الجيش العربي والقـضـاء على وحـداته المتـبـقـية في فلسطين. ولقد كان هذا التقدير صحيحاً لأن العدو كان يعـرف أن الجـيش العربي ليس لديه سوى هذه الكتائب المتمركزة في الدفاع في القدس وباب الواد. فلو تمكن من تدمير كـتـائب اللواء الثـالث المدافـعة عن اللطرون وباب الواد سوف لن يبـقى لدى الجـيش العـربي أية قـوات تسـتطيع التـصدي لهذا الهجوم حيث أن الإحتياطي الوحـيـد المتـوفـر هو الكتـيـبـة الأولى التي سـحبت لتوها من الرادار. وأما الكتيبتين الثالثة والسـادسة فمثبتتان في الدفاع بداخل القدس. وبمعنى آخر فإن العدو يستطيع بضربة كبرى واحـدة يوجـهـها ضد مواقع اللواء الثالث ان يدمر معظم قوات الجيش العربي ويشل حركته ويفـتح الطريق لإحـتـلال مـدينة القدس من الخلف ومن ثم احتلال باقي فلسطين الوسطى بوصـوله إلى نهر الأردن عبر مـدينة رام الله وإزاء هذا الوضع أصـبح واضحاً لدينا في قيادة الفـرقـة ان الخطر الحـقـيقي الذي يهددنا يكمن في احتمال سقوط مواقعنا في اللطرون وباب الواد. وبالتـالي فإنه يجب الاحتفاظ بها بأي ثمن لأنها أصبحت المفتاح الرئيسي لكامل جبهتنا وربما لجـبـهة الجيش العراقي أيضاً لأنه لو أنهارت جبهتنا سوف تصبح مواقعهم في نابلس وجنين تواجه موقفاً خطيراً للغاية .

هذه كـانت خـلاصـة تقدير الموقف الذي تمت دراسته في قيادة الفرقة. ومن منطلق هذه القناعـات كـان لابد من إغـلاق بعض مواقع التهديد عبر طرق الاقتراب المفتوحة لضمان أكبر قـدر من الحماية والتـوازن للمنطقـة الدفـاعية بكاملها مع الأخذ بعين الاعتبار بشكل رئيسي ومـسـتـمـر أن أي إجراء يتم اتخاذه يجب أن لا يكون من شأنه إضعاف المواقع الدفاعية في اللطرون وباب الواد لأن ضـياع هذه المواقع معناه ضياع كل شيء : (وبهذه المناسبة فقد كان هذا هو ما نجح العدو في تحقيقه في حرب عام ١٩٦٧م) .

ولم يكن هذا التـقـدير للمـوقف جـديداً علينا حيث كنا قد توصلنا اليه خلال فترة القتال الأولى. ولهذا طلبت قـيـادة الجـيش من القـيـادة العراقية تمديد جبهتهم الى الجنوب لإغلاق الفجوة بيننا وبينهم ولتأمين حماية كافية لمدينتي اللد والرملة. أو على الأقل لكي نتمكن نحن بنتـيـجـة هذا الإجـراء من توفير قـوة كافية للقيام بعمليات الهجوم المعاكس حسب الظروف وتطور المعـركـة. ولكن قـيـادتهم لم توافق على هذا الطلب بداعي أن جـبـهـتـهم واسعة ولا يتـمكنوا من تمديدها أكـثـر مما هي عليـه. ومما زاد في خطورة الموقف أننا فقدنا الاحتياطي الوحـيـد الذي كـان متوفراً لدينا عندما امرت قيادة الجيش بإرسال الكتيبة الأولى الى منطقة

الجفتلك في غور الأردن لكي تصد هجوماً متوقعاً كان سيقوم به العدو لقطع خطوط مواصلاتنا الخلفية عبر وادي الأردن. ولإيضاح هذه المسألة ربما كان من المناسب ان اشرح هنا حقيقة حركة هذه الكتيبة كما حصلت فعلاً وبحضوري. لاسيما واني لاحظت من قراءاتي لما كتب عن هذه المسألة أن معظم من كانت لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بها انكروا علمهم بموضوعها أو بالمعلومات التي أدت إلى تلك الحركة وكأنها مؤامرة حاولوا تبرئة انفسهم منها. حيث فسروها أنها كانت حركة متعمدة قصد منها ابعاد الكتيبة الاولى لكي لا تستخدم في الدفاع عن اللد والرملة مع أن القيادة قررت من الأصل عدم إرسالها الى داخل هاتين المدينتين وإبقائها في الاحتياط ومع أن نصف هذه الكتيبة كان في ذلك الوقت مشتبكاً مع قوة العدو التي كانت قد احتلت قريتي دير طريف وبيت نبالا وتمكن من اخراجها منهما. ومع ان مثل هذه الحركات تعتبر مسألة عادية تماماً في الحرب ومن قبيل مواجهة التهديد الأكثر خطورة والحاحاً .

ولكن حتى لو لم يتم تحريك هذه الكتيبة الى الجفتلك فإن كل ما كان يمكن أن تفعله هو ان تلتحق بسراياها التي تقاتل في بيت نبالا وتحاول تنظيم هجوم معاكس على جناح قوات العدو التي كانت في يوم ١١ تموز قد احتلت مطار اللد ودخلت المدينة ثم انطلقت الى الرملة. وعلى الرغم من أن مثل هذا الهجوم الذي ستقوم به كتيبة مشاه واحدة ضد قوة معادية قوامها ثلاثة ألوية احدها (مؤلل) أو مصفح سيكون بطبيعة الحال محاولة محدودة ويائسة إلا أنها ستكون ضرورية ولابد من تنفيذها رغم جميع الاعتبارات. ومهما كان الأمر فإنه بهذه المرحلة المتأخرة كان من المتعذر على الجيش العربي ان يحمي اللد والرملة بقواته الضئيلة المنتشرة على جميع قطاعات جبهته. ولكن حمايتها كانت ممكنة منذ البداية لو أن الجيوش العربية قاتلت ضمن خطة واحدة كما أسلفت ولتغير عندئذ شكل الحرب ونتائجها ومسؤولية كل هذا يجب أن تقع على السياسيين العرب الذين كرسوا خلافاتهم وليس على العسكريين.

أما وأن هذه الحرب قد جرت بهذا الشكل ووصلت الأوضاع على الجبهة الى ما وصلت اليه فإن مصير هاتين المدينتين كان مرتبطاً بإمكانية استمرار الهدنة. وبما أن هذه الهدنة قد انتهت فإن سقوطهما بيد العدو اصبح أمراً محتمًا. وأمام هذا الواقع المرير كان من الأفضل لو أن الكتيبة الأولى ارسلت للإشتراك بالدفاع عن اللد والرملة بدلاً من وضعها بالاحتياط رغم أنها قد لا تصمد أمام هذا الهجوم المعادي الضخم طويلاً ورغم انها ستكون محاولة يائسة إلا أنها قد تكون بمثابة الجهد الأخير المتوفر. ولكن قائد الفرقة وقائد الجيش قررا

إبقاء هذه الكتيبه في الاحتياط لاستخدامها في الهجوم المعاكس حسب تطور المعركة لأنهما كانا يعتقدان أن هذا هو الإجراء الوحيد الصحيح من الناحية العسكرية وان ادخالها الى اللد والرملة للدفاع بداخلهما لن يفيدهما بشيء ملموس إلا لفترة محدودة. وبنفس الوقت فإنه قد يعني تدمير الكتيبة وبالتالي لن يستفاد منها للمساعدة في تثبيت الدفاع عن المواقع الحيوية في اللطرون وباب الواد أو بعمليات الهجوم المعاكس في أي قطاع من الجبهة .

والآن لنعد إلى حركة الكتيبة الاولى كما حدثت فعلاً. فقد سلمت هذه الكتيبة مواقعها في منطقة الرادار الى الكتيبة الخامسة يوم ٧ تموز. أي قبل انتهاء فترة الهدنة بمدة يومين. ومن ثم تجمعت بنفس اليوم في منطقة (دير القرع) شمال مدينة رام الله كقوة احتياط للفرقة. وبهذه الأثناء كانت المساعي لا تزال مستمرة بين الوسيط الدولي والحكومات العربية لكي توافق على تمديد فترة الهدنة. ولكن هذه المساعي لم تنجح حيث أصرت الدول العربية على رفض التمديد .

وبتاريخ ٩ تموز تجدد القتال وبدأ العدو زحفه على منطقة اللد والرملة لتنفيذ المرحلة الاولى من هجومه العام على اللطرون وباب الواد. وعندما وصلت طلائعه إلى بيت نبالا أمر قائد الفرقة بتحريك سرية مشاه وسرية مدرعات من الكتيبة الأولى لمواجهتها وإيقاف تقدمها. وفي صباح ٩ تموز أتصل مدير العمليات في قيادة الجيش مع قائد الفرقة وأخبره انه وصلتهم معلومات مؤكده من قائد منطقة اربد تفيد أن المراقبات الأمامية شاهدت قوافل عسكرية ضخمة تتحرك من بيسان جنوباً باتجاه غور الجفتلك. وهذا معناه أن العدو قام بتحريك هذه القوة لقطع خطوط مواصلاتنا الخلفية وتطويقنا. ونظراً لعدم وجود قوات لنا في تلك المنطقة سوى سرية مشاه فإن قائد الجيش يطلب ارسال الكتيبة الأولى للتصدي لقوة العدو. عندئذ طلب قائد الفرقة قائد اللواء الأول للإجتماع معه واتفقا على تحريك باقي الكتيبة الاولى الى الجفتلك لهذه المهمة. وبما أنها كانت في حالة الانذار القصوى فقد بدأت حركتها خلال ساعة واحده. وسوف أبين في سياق الحديث كيفية استعادتها بعد ثبوت عدم صحة تلك المعلومات. ومهما كان من أمر هذه التحركات فإن الخطر الحقيقي الذي كان يهددنا ومن شأنه أن يؤدي الى تصفية وجود الجيش العربي في فلسطين هو احتمال سقوط مواقعنا الدفاعية في اللطرون وباب الواد ومع ذلك فإن الخطر الذي ظهر فجأة بتهديد خطوط مواصلاتنا الخلفية وعزلنا نهائياً عن قواعدنا الرئيسية هو خطر حقيقي لو كانت المعلومات عنه صحيحة. وبهذه الحالة لايمكن تجاهله لأن العدو لو استطاع تدمير الجسور على نهر الأردن والسيطرة على تلك المعابر فإنه سوف يتمكن من تطويق جميع قواتنا من الخلف. ولذلك فإنه في تلك الآونة ظهر أن الخيار الوحيد أمام قيادة الجيش وقيادة الفرقة هو تحريك

هذه الكتـيـبـة لمواجهة الخطر الطارىء وقبول المجازفة بخسران الاحتياطي الوحيد لديها لأن هذا الخطر أصبح له أولوية عالية لاسيما وان قيادة الجيش اعتبرت تلك المعلومات مؤكدة .

معركة اللد والرملة :

بهذه الأيام الأخيرة من الهدنة اصـبح واضـحـاً تمامـاً ان اليهود قد تمكنوا من مضاعفة قـواتهم واسلحـتـهم كما أنهم كانوا بنفس الوقت يعرفون ان الجيش العربي لم يبق لديه من الذخائر ما يمكنه من القتال لمدة طويلة. ولذلك فإنهم كانوا يحبذون استئناف القتال على أمل ان يتـمكنوا من الاسـتيلاء على القدس وأية مناطق أخرى يستطيعون احتلالها لتوسيع رقعة المناطق التي لديهم. ولكنهم كـانوا يعـرفـون كـذلك أنه جـرت العادة لدى الزعماء العرب أن يرفـضـوا اي اقتراح يوافق عليـه اليـهـود مـهما كان نوعه. ولكي يزيدوا من حماس العرب لرفض تمديد الهدنة اعلنوا اسـتجابتهم لنداء الوسيط الدولي وموافقتهم على تمديد الهدنة إذا وافق العـرب على ذلك. وكـتحصيل الحاصل رفض العرب الموافقة على التمديد وقرروا العودة الى القتال

وكـان اليـهـود قد عقدوا العزم على احتلال مواقعنا في اللطرون وباب الواد هذه المرة لفتح طريق القـدس وقـد كانت هذه العملية الكبرى سوف تتم على مرحلتين. تتمثل المرحلة الأولى باحـتـلال مـدينتي اللد والرملة والقـرى المحـيطة بهما. وحـشـدوا جميع القـوات اللازمة في مـواقـعـهـا النهـائيـة خلال الايام الاخيرة من الهدنة. وأما قوات العدو التي كانت على وشك الانقضاض على اللد والرملة فكانت تتألف من لواء مدرع ولواء مشاة مبدئياً وعلى الرغم من ان العـدو قد نجح في خداع قيادة الجيش العربي بتحريك قوافل وهميه من منطقة بيسان الى الجنوب وفسرتها على أنها كـانت توطئة لهجوم على خطوط مواصلاتنا الخلفية مما اضطرها لتـحـريك الكتـيبة الأولى الى وادي الأردن بدلاً من إبقائها في الاحتياط. ومع أنه رؤي من قبل المسـؤولين ان وضع هذه الكتـيبة بالدفاع بداخل اللد والرملة سوف لن يكون مجدياً إلا أنها يمكن أن تكون فـعـالة أكثر لو استخدمت بالهجوم المعاكس عندما كان هجوم العدو بمراحله الأولى لو أنها لم ترسل الى وادي الأردن ثم تعـاد ثانيـة لتـصل متأخرة الى مسرح العمليات. ورغم كل ذلك فإن النتـيـجـة في النهـاية ربما كانت واحده ما دام ان الدفاع عن المدينتين لم يؤمن بشكل فـعـال حـيث كـان هذا الأمـر يتطلب نشر مـالا يقل عن كـتـيبتين مع الاسلحة الاسنادية الكافـيـة وهذا مـالم يسـتطع الجـيش العـربي توفيره إلا إذا قام الجيش العراقي بتـوفيره وهو لم يفـعل. وهكذا فقد عجزت جميع الأطراف المعنية عن توفير كتيبتين أو ثلاثة لتركـيـزها بداخل اللد والرملة لحمايتـهما وبقي مـصيرهما بيد القدر بسبب المرض المستديم

الذي كنا نعـانى منه جميـعـاً وهو مـرض عـدم التـعـاون بين الجـيـوش العربية واختلاف حكوماتها .

وأخيراً وبعد ظهر يوم ٩ تموز بدأت قوات العدو تحركاتها الرئيسية لتنفيذ المرحلة الاولى من مـعـركة اللطرون وباب الواد والتي تمثلت بتطويق واحتلال مدينتي اللد والرملة. وعندما بدأت قـوات العـدو بمـهـاجمة مطار اللد تقدمت قوة منها باتجاه الشرق لاحتلال قريتي دير طريف وبيت نبـالا اللتين لم يكن فـيـهما سوى فئة من الجيش العربي حوالي عشرين جنديا تقـوم بحـراسـة مـعـسكر بيت نبـالا الذي كـان عبارة عن معسكر لتكديس مخلفات الجيش البريطانى من مختلف المواد الدفـاعية والهندسية ورحل عنه وترك محتوياته فيه وبالإضافة لهذه الفئة فقد كان يتواجد بعض المناضلين من سكان القريتين. وهكذا اصبح الموقف في غاية الخطورة حـيث لو اسـتمرت قوات العدو بالاندفاع عبر هذه الفجوة بين جناح القوات العراقية في مجدل يابا وبين مـواقـعنا في مثلث بيت سيرا والتي يبلغ طولها حوالي ١٥ كيلومتر لأصبح بإمكانه تهديد كـامل جـبـهتنا من الخلف، ولمواجهة خطر هذا التهديد اتصل قائد الفرقة مع قـائد الجـيش وطلب الموافـقـة على سـحب الكتـيـبة الأولى من غور الأردن فوراً وارسـالها الى منطقـة بيت نبـالا. لاسـيما وان المعـومات التي ارسلها قائد الكتيبة منذ وصوله الى الجفتلك وغـور طوباس تفـيـد أنهم لم يشاهدوا أية حشود عسكرية معادية بالحجم الذي أشـارت له المعلومـات الأوليـة. وعندئذ تم تحـريك الكتـيبة الأولى الى منطقة بيت نبالا بعد ظهر يوم ١١ تموز. وعند وصولها وجدت أن العدو قد احتل قريتي دير طريف وبيت نبالا. وعندئذ قامت قـوة من الكتـيـبـة مـؤلفـة من سرية مـشـاه وسرية مدرعات بشن هجوم معاكس على القوة المعـادية وتمكنت من طردها من هاتين القـريتين فـانسـحـبت قوة العدو الى قرية (الحديثة) القـريبـة. وقـد ترك قـائد الكتـيبة هاتين السريتين في منطقة بيت نبالا وتمركزت باقي سرايا الكتيبة في منطقة خربثا ودير قديس مؤقتاً .

كانت قوات العدو قد تقدمت في صباح يوم ١٠ تموز لاحتلال مطار اللد الذي كانت تدافع عنه مجموعات من المناضلين ومعهم فئة من جنود الجيش العربي كانت قد ارسلت أصلاً مع الحـاكم العسكري عندما تسلم مهمته لتقوم بحراسة مكتبه. وقد اشتبكت هذه القوة البسيطة مع القـوات المهـاجمه وقـاومـتـهـا لبضعة ساعات رغم ضآلة اعدادها وعدم تكافؤ اسلحتها الخـفـيـفة مع ما لدى العدو من آليات ومصفحات ومدفعية. وقد وقع بين صفوفها اعداد لا يستهان بها من الإصابات. وبالنهاية اضطرت قوتنا الى الانسحاب من المطار الى داخل مدينة اللد لتـشترك بالدفـاع عنهـا. وبعـد أن احـتل العـدو مطار اللد تقـدمت مـدرعاته الى المدينة وتغلغلت فـيـهـا لمسـافات قصيرة. ولكنها تحت ضغط المقاومة العنيفة التي أبداها المدافعون عنها اضطرت للانسحاب إلى مطار اللد لإعادة التنظيم ومواصلة الهجوم من جديد .

وفي اليـوم التالي ١١ تموز قـام العـدو بشن هجـوم عـام على مدينتي اللد والرملة بكامل قـواته المكونة من لواء مـدرع ولواء مـشـاه. وقـد بدأ الهجـوم بقـصف مـركـز من المدفعية والطائرات على جميع المواقع الدفـاعـيـة ومـراكـز البـوليس والمواقع الأخرى التي تدافع عنها فئات السرية الخـامـسـة، وبنفس الوقت قامت الطائرات بالقاء المناشير التي كانت تطلب من الأهالي والمدافـعين عنهم ان يسـتـسلموا لأنهم مطوقون ولا تستطيع القوات العربية إنقاذهم. ورغم هذا بقـيت مـعنويات الجـمـيـع عالية وصمدوا في مواقعهم رغم ما كانوا يشاهدونه من ضـخامة قوات العدو وضآلة امكاناتهم المتيسرة لمواجهة قوات العدو هذه. وذلك بالإضـافة الى عدم ظهور بوادر النجدة لهم من أية جهة كانت .

وحوالي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر بدأت قوات العدو المصفحة تتبعها المشاه تقدمها للهـجـوم على مـدينة اللد أولاً تحت سـتار من نيران المدفعيه والطائرات. وقد صمد المدافعون عنهـا فترة وجـيـزه في وجـه هذا الهجوم ثم انسحبوا بعدما تكبدوا الكثير من الإصابات. وما لبث العـدو على أثر ذلك حـتى اقـتـحم مـدينة اللد واحـتلها وقد وقعت إصابات ضخمة بين السكان المدنيين. واسـتـمـر الهجـوم بعـد ذلك على المواقع الأخرى في مركز البوليس الرئيسي حـيث كـانت قـيـادة السرية الخـامـسة. وعلى محطة سكة الحديد حيث تتمركز فئة من هذه السرية. وقـد اشـتـبكت مع طلائع العـدو وتمكنت من صـدها في البـداية. ولكن عندما اشتد القـتـال في محطة سكة الحديد اضطر قائد الفئة للإنسحاب من موقعه المتقدم والإنضمام إلى الفئة المدافـعـه عن موقع آخر كان يتعرض للهجوم. وبعد ذلك تمكن العدو من احتلال مثلث الطرق المؤدي الى صرفند فـانسـحبت القوة المدافعه عنه لكي تنضم الى قيادة السرية في مركز البوليس ولكنها أثناء انسحابها اصطدمت مع قوة العدو التي كانت تطوق هذا المركز واطلقت عليها النيران من الخلف وقد كان تأثير هذه المفاجأة أكبر من حجمها بكثير. حيث ظن العدو انها طليـعة هـجوم معاكس فبادر بالانسحاب باتجاه مدينة اللد. وهكذا تم فك الحصار مؤقتاً عن مـركز البوليس. لكن قوات العدو ما زالت تحتل باقي المواقع الأخرى في مدينة الرملة وقد قطعت الطريق بين اللد والرملة كما قطعت جميع الطرق الخـارجـيـة المؤديه اليـهما من جهة الشرق والشمال .

وبهذا الشكل اقتربت هذه المعـركـة من نهايتـها الأليمة. ومنذ بدايتها قبل ثلاثة أيام دأب قـائد السرية الرئيس أديب القاسم والحاكم العسكري وكيل القائد ادريس سلطان على إرسال البرقـيـات الى قيادة اللواء الثالث وقيادة اللواء الرابع وقيادة الفرقة لوضعها بالصورة القاتمة عن الحـاله التي يمـرون بها ويطلبون ارسال النجدات على وجه السرعة. ولكن هذه القيادات

لم تتمكن من نجدتهم بأكثر من برقيات التشجيع وبعض الوعود الغامضة من قائد اللواء الثالث الزعيم (اشتون) يخبرهم بها أنه ما زال ينتظر الأوامر رغم أن الجميع كانوا يعرفون انه لا توجد أية قوات يمكن أن يرسلوها لنجدة اللد والرملة. فالكتيبة الأولى التي كانت هي القوة الاحتياطية الوحيدة المتيسرة لدى قيادة الفرقة ارسلوا منها سريتين الى بيت نبالا للتصدي لتقدم العدو من تلك الجهة وارسلوا باقي الكتيبة الى غور الجفتلك للتصدي لتقدم العدو المتوقع من منطقة بيسان وقد ثبت ان المعلومات عن تقدم العدو من هذا القاطع لم تكن دقيقة واعيدت الكتيبة ثانية الى منطقة بيت نبالا بعد غيابها بهذه الرحلة مدة ثلاثة أيام وهي الآن مشتبكة في دير طريف وبيت نبالا في معارك تهدف لإيقاف تقدم العدو عبر هذا القاطع باتجاه رام الله. وعلى أي حال فبهذا الوقت وبعد عودة الكتيبة الاولى كانت معركة اللد قد انتهت واصبح العدو يسيطر على المدينة بكاملها في ساعات المساء. وكذلك اصبح يحتل معظم المراكز الدفاعية في مدينة الرملة ولم يبق بيد السرية الخامسة سوى مركز البوليس الذي أصبح شبه مطوق. وبهذه الأثناء ابرق قائد السرية الى قائد اللواء الثالث بأن اللد استسلمت لليهود وأن الرملة على وشك السقوط وان ما تبقى لديه من الذخائر لا يكفي للقتال أكثر من ساعتين وهو بإنتظار الأوامر .

عندئذ اتصل قائد اللواء الثالث مع قائد الفرقة وأطلعه على هذه المعلومات وهذا بدوره اتصل مع قائد الجيش وطلب منه التوجيه. وبنتيجة هذه الاتصالات صدرت الأوامر من قيادة الجيش الى قيادة الفرقة بسحب السرية الخامسة من مدينتي اللد والرملة. وتنفيذاً لهذه الأوامر تم إصدار التعليمات بذلك من قيادة الفرقة الى قيادة اللواء الثالث التي بدورها أمرت قائد السرية بأن ينسحب مع جنوده مصطحبين معهم اسلحتهم الشخصية أثناء الليل بعد أن يدمروا جميع معداتهم الثقيلة واجهزتهم ويحرقوا جميع وثائقهم ويتحركوا شرقاً باتجاه مواقع اللواء الثالث في بيت سيرا من أي طريق مأمونه .

وبهذه الأثناء كان وكيل القائد ادريس سلطان الحاكم العسكري قد قرر الانسحاب من تلقاء نفسه مع بعض جنود الشرطة المرتبطين معه وتحرك فعلاً بعد غروب الشمس ووصل الى رام الله قبل وصول السرية الخامسة ببضع ساعات وأثناء الليل تمكنت السرية الخامسة من الانسحاب بشكل منتظم عبر فجوة في خطوط العدو واتجهت شرقاً بين التلال نحو قريتي (جمزو) و (عنابه) ثم الى مثلث بيت سيرا الذي وصلته في صبيحة اليوم التالي ١٢ تموز .

ولقد خاضت هذه السرية التي لم يكن عددها يتجاوز مائتي جندي معارك مستمرة طيلة

ثلاثة أيام وصـمـدت أمـام قوات العدو المهاجمة التي كان قوامها لواء مدرع ولواء مشاه مع اسلحـتـها الإسنادية. ولقد أعطت هذه السرية دعمًا فعالاً لقوات المناضلين التي كانت تشترك مـعـهـا في الدفاع عن مطار اللد والمواقع الأخرى في الرملة وما حولها الأمر الذي كان له أكبر الأثر في صـمود قوات المناضلين وخوضها معارك عديدة ضد قوات العدو المتقدمة. ورغم أن العـدو كـان سـيتـمكن من احـتلال هاتين المدينتين بالنهاية نظراً لتفوقه الساحق، بالاسلحة والمعـدات والجند فإنه على أي حـال قـد أجبر على خوض عدة معارك متفرقة طيلة ثلاثة أيام تكبـد بنتيجتها الكثير من الخسائر قبل أن يتمكن من تحقيق هدفه. ولقد سجل قائد وضباط هذه السرية وجنودها اروع مـثل في مـعـركـة الدفـاع هذه والصـمـود في وجه قوات معادية متفوقة عليهم بشكل ساحق .

بعـد مـغـادرة السرية الخـامسـة مواقعها ليلاً كانت حظيرة منفصلة بقيادة النائب صلاح الدين عـزيز مـا زالت في منطقـة مطار اللد وقد انقطع اتصالها مع قيادة السرية اثناء القتال حـيث تم عـزلها عن مواقعها الرئيسية عندما أكمل العدو احتلال مطار اللد. واثناء محاولتها الوصـول إلى مـوقع قـيـادة السرية في مـركـز البـوليس كانت مضطرة لسلوك طرق ملتوية لتـتـجنب قـوات العـدو التي أصبحت تتواجد في كل مكان. الأمر الذي استغرقها وقتاً طويلاً وعندمـا وصلت إلى مـركـز البـوليس وجدته خال تماماً حيث كانت السرية قد انسحبت قبل وصـول صـلاح الدين وحظيرته هذه. ومن غرائب الصدف ان العدو لم يحتل مركز البوليس بعـد خـروج السرية منه مباشرة مع أنها كانت مشتبكة معه ثم انسحبت اثناء الليل. ربما أنه لم يتنبه لتوقف إطلاق النار وخلو المركز من الجنود .

وعلى أي حـال فقد تمركز صلاح الدين عزيز وجنوده بهذا المركز لبينما يتمكنوا من تدبر مـصيرهم بهذا الموقف الغـريب والخطير الذي أصبحوا فيه. وقد وجد جهازاً لاسلكياً صالحاً للعمل حيث كما يظهر ان المسؤولين في قيادة السريه لم يدمروه حسب الأوامر المعطاه لهم

فـبـدأ صلاح الدين يحاول النداء على هذا الجهاز بالكلام المفتوح فجاوبه مأمور لاسلكي قيادة الفرقة وطلب منه تحديد مركزه وتعريف شخصيته. وعندما ابلغونى أن شخصاً اسمه صـلاح الدين يناديهم من جـهاز لاسلكي موجود في اللد تبادر إلى ذهني على الفور أن العدو قـد تمكن من الاسـتيلاء على جهاز السرية الخامسة وشبكة ندائها وربما الشيفرة كذلك وهو الآن يستخدم النداءات المختلفة لكي يختبرها. فذهبت فوراً الى جهاز لاسلكي الفرقة واستلمت النداء بنفسي وطلبت من المنادي ان يعـرف عن نفـسـه فعرفته وقلت له يا صلاح ماذا تعمل عندك والسرية كلهـا قـد انسحبت هل انت لوحدك. فابلغني قصته بإختصار وانه وصل لتوه

الى بناية مركز البوليس ولم يجد أحداً من السرية وانه هو وجنوده الآن بداخل المركز. فسألته عن الذخيره التي لديه فأجابني ان لديه كمية محدوده فقط فأبلغته ان يستعملها باقتصاد شديد لكي يستطيع الخروج من المنطقة قبل أن تنفذ وانه يجب ان لا يقع هو وجنوده في الأسر مهما كلفه الأمر. وتمنيت لهم التوفيق وطلبت منه ان يبقى على اتصال مستمر معنا ليبلغنا عن تطورات موقفه. كما أمرته ان يدمر جهاز اللاسلكي عندما ينسحب بآخر لحظة وحذرته ان لا ينساه كما نسيه الذين سبقوه عند انسحابهم. وكما يظهر فإن العدو ظن أن مع صلاح الدين قوة كبيرة بداخل المركز ولذلك عمد إلى إرسال قوة لتطويق المنطقة بكاملها واخذوا يناوشونه بإطلاق النيران تمهيداً لشن هجوم مسند على المركز لاحتلاله. وقد بقي صلاح الدين وجنوده يقاومون العدو عدة ساعات وكان يتصل معنا بإستمرار. وبعد فترة طلب ان يكلمني شخصياً وقال : أنا صلاح الدين لم يبق لدينا سوى خمسة طلقات مع كل جندي فقلت له يجب أن لا تقعوا في الأسر بيد العدو ويجب أن تخرج فوراً من المنطقة وعليكم تدمير جهاز اللاسلكي قبل انسحابكم. واستطاع الخروج مع جنوده ليلاً عبر خطوط العدو بكل نباهة وشجاعة وقد وصلوا الى قيادة الفرقة في اليوم التالي. وقد اوصيت بمنح صلاح الدين وسام الإقدام العسكري الذي كان يستحقه بكل جدارة وقد منح له .

هذا وقد اخذت تتضح أمامنا ابعاد هذه الكارثة يوم ١٢ تموز عندما بدأت تصل افواج اللاجئين من النساء والأطفال والشيوخ وقد هدهم الإعياء والعطش وملأوا السهول والتلال والطرقات بين اللد ورام الله وكانت مناظرهم تفتت الأكباد وتستعصى عن الوصف. لقد أجبر اليهود حوالي ستين ألف نسمة من سكان المدينتين على إخلاء منازلهم خلال نصف ساعة تحت تهديد السلاح وطردوهم خارجهما باتجاه رام الله تلاحقهم نيران الرشاشات وقنابل المورتر لكي لا يفكروا بالتوقف أو العودة الى منازلهم. وسارت هذه الألوف من النساء والأطفال والشيوخ بين الشعاب والأودية تحت لهيب الشمس الحارقة يبحثون عن موقع آمن يلجأون إليه مؤقتاً بينما ينكشف ما تخبؤه لهم الأقدار في الأيام المقبلة. وفي رحلة الآلام والمآسي هذه توفي العديد من الأطفال والشيوخ بتأثير الحر الشديد والإجهاد والعطش قبل ان يصلوا الى رام الله .

وبما أن الاسرائيليين ما زالوا منذ تلك الأيام وحتى يومنا هذا ينكرون انهم اجبروا الفلسطينيين على ترك منازلهم والهجرة الى البلاد العربية ويدعون ان الزعماء العرب هم الذين كانوا يطلبون منهم ان يهاجروا لأن هجرتهم ستكون مؤقتة ... لأن الجيوش العربية ستدخل فلسطين وتعيدهم إلى بلدانهم. ولدحض هذه الإدعاءات أود أن أشير الى كتاب مولد

اسرائيل تأليف سيمحا فلابان والى ما جاء بكتاب العربي واليهودي تأليف ديفيد شيبلر عطفاً على مذكرات الجنرال اسحق رابين الذي كان يقود لواء (هاريل) في معركة اللد والرملة كما يلي[1]

> عندما كان القتال مستمراً كان علينا ان نجد حلاً لمعضلة مستعصية وليس لدينا خبره سابقه بمثلها وهي مسألة مصير السكان المدنيين في مدينتي اللد والرملة وعددهم حوالي خمسين ألف نسمة .

وحتى بن غوريون لم يستطع ان يقدم لنا أي اقتراح عندما كنا نناقش الموضوع في القيادة الحربية وبقي صامتاً طيلة الوقت كعادته في مثل هذه المناسبات، وكان واضحاً أننا لا نستطيع ترك السكان المسلحين والمعادين لنا وراءنا حيث يمكنهم تهديد خطوط تزويد لواء (يفتاح) الذي كان يتقدم نحو الشرق. وخرجنا بعد الاجتماع نتمشى ومعنا بن غوريون. فأعاد (آلون) سؤاله : ماذا سنعمل بهؤلاء السكان فأشار بن غوريون بيده إشارة كانت تعني (اطردوهم). وبعد ذلك ناقشنا الموضوع انا وآلون وقد وافقت على أنه كان من الضروري طرد السكان. وعندئذ اخذناهم الى طريق (بيت حورون) وافترضنا ان الجيش العربي سيكون مجبراً على الإعتناء بهم وبهذا سوف يتحمل أعباء إدارية وتموينيه هائلة مما سيؤثر على قدرته القتالية وبنفس الوقت سيجعل الأمور أسهل بالنسبة لنا. ومسألة الإجلاء هذه مسألة صعبة حيث ان سكان اللد لم يغادروا المدينة بإرادتهم وكان لابد من استعمال القوة. ولكي نجبر هؤلاء السكان على السير مسافة خمسة عشر ميلاً حتى النقطة التي يمكنهم ان يلاقوا الجيش العربي عندها كان لابد من إطلاق النار التحذيرية. وقد راقب سكان الرملة عملية طرد سكان اللد فتعلموا الدرس ووافقوا ان يخرجوا إذا قدمنا لهم وسائط النقل فنقلناهم إلى منطقة اللطرون حيث تولى الجيش العربي اخلاءهم وخلال تلك المسيرة الطويلة مات الكثير من الرجال المسنين والأطفال من شدة الحر والعطش، لعدم توفر الماء .

أما سيمحا فلابان (٢) فيؤيد ما جاء على لسان رابين في مذكراته ويزيد على ذلك بأن الاذاعات العربية كانت تذيع نداءات تناشد الفلسطينيين ان لا يغادروا قرأهم وأن يثبتوا بأماكنهم كما يؤيد أن القوات الاسرائيلية كانت تجبرهم على الرحيل بالتخويف والتهديد وإطلاق النار .

---

(١) كتاب العربي واليهودي ـ صفحة ٣٣، ٣٤، تاليف ديفيد شيلر
ARAB AND JEW. Wounded Spirit in a promissed land. Pages 33 - 34. By Daved K. Shipler.

(٢) مولد اسرائيل صفحة ٨٠ ـ ٩٠ تأليف سيمحا فلابان .
The BIRTH OF ISRAEL. Pages 80 - 90 By SIMHA FLAPAN.

وقد أصبحت هذه الحالة الطارئة مأساة انسانية يتوجب معالجتها بأقصى سرعة رغم تطورات المعركة وكون جميع كتائبنا مشتبكة مع العدو باستمرار في كافة قواطع الجبهة. حيث أن العدو حالما انتهى من احتلال اللد والرملة قام بدفع قسم من قواته باتجاه دير طريف وبيت نبالا عبر الفجوه بين مواقعنا والمواقع العراقية حيث يمكنه بحركة التفاف واسعه ان يزحف الى رام الله ويعزل جبهة اللطرون من الخلف. ولمتابعة تنفيذ هذه الخطة قام بنفس اليوم بتحريك باقي قواته للهجوم على مواقع اللطرون الرئيسية. كما كان أحد الويته يعمل من خلال الفجوة الواقعة بين مواقعنا في باب الواد والجبهة المصرية في منطقة بيت لحم. وقد احتل موقع عرطوف والقرى المحيطة بها. وبنفس الوقت كانت الكتيبتين الثالثة والسادسة مشتبكتين مع قوات العدو في مدينة القدس حيث كان يحاول اختراق أسوار البلده القديمة من جهة الباب الجديد. بينما اشتبكت الكتيبة الثالثة مع منطقة حي مشيرم لاحتلال بعض المواقع المهمة في جبهتها .

ولمواجهة هذه المأساة لم يكن لدينا في قيادة الفرقة أية امكانيات لمساعدة هذه الالوف من اللاجئين. وكل ما استطعنا عمله في ذلك اليوم هو اننا حركنا جميع الشاحنات وسيارات الاسعاف وصهاريج الماء المتوفرة لدى وحدات الفرقة الإدارية والكتائب إلى الطرق والأماكن التي تمر منها مجموعات اللاجئين لتقدم لهم الماء والإسعافات الأولية ومن ثم تقوم بنقل الاطفال والنساء والرجال المسنين وتوصلهم الى مدينة رام الله. كما أمرنا سرية التموين أن تقدم كل ما لديها من الخبز والمؤن لتوزيعه على اللاجئين بقدر الإمكان. وفي مدينة رام الله تولى الحاكم العسكري والشرطة توزيع اللاجئين على الأماكن العامة كالمدارس والنوادي وحتى على الحدائق لكي يصبح بالإمكان حصر مواقعهم وتنظيم التزويد المستمر لهم من قبل أجهزة الدولة. ولكن هذه الاجهزة لم تكن مهيأة لاستقبال ورعاية مثل هذا العدد الهائل من اللاجئين. ولم يكن في الأردن وجود لوكالة الغوث الدولية. ومع ذلك فقد بادرت الحكومة على وجه السرعة بإرسال كميات من الطحين والتمر والأرز وحتى الخبز كان يرسل من مخابز عمان بالشاحنات خلال الأيام الأولى ويوزع فوراً حال وصوله. كما ارسلت كميات من الخيام جمعت من مستودعات الجيش والوحدات الخلفية وتم إقامة مخيمين حول رام الله لإيواء الناس فيهما مؤقتاً. كما أن اعداداً لا يستهان بها من اللاجئين ذهبوا الى عمان وأماكن أخرى. وبقيت حالتهم غير مستقرة لفترة من الوقت بينما تم تنظيم جهاز وكالة الغوث الدولية الذي قام فيما بعد ببناء المخيمات في مختلف انحاء البلاد لاسكان اللاجئين وتأمين تموينهم بالشكل المعروف .

لقد كانت تلك أيام عصيبة بالنسبة لنا جميعاً. فالاشتباكات مع العدو مستمرة في جميع

ارجـاء جـبهتنا والإحداث تتوالى بسرعة لا نكاد نستطيع ملاحقتها، وقواتنا محدوده ولا تكاد تكفي للإحتفاظ بمواقعها الدفاعية الحيوية. وبنفس الوقت لم يبق لدينا اية قوة احتياطية بعد ان اضطررنا لدفع الكتـيـبـة الأولى الى الخط الأمـامي لإغـلاق الفـجـوه بين جبهتنا والجبهة العراقية في اليوم السابق وهي الآن مشتبكة مع العدو في منطقة بيت نبالا .

ولأن الموقف في مـدينة اللد في ذلك الوقت لم يكن واضـحـاً تماماً لدى قائد الكتيبة الأولى عندما تمكن من إيقاف تقدم قوة العدو في قرية دير طريف فقد قام بإرسال دورية من ثلاثة مدرعات بقيادة الملازم حمد ابو ادخينه بعد ظهر يوم ١١ تموز وطلب منه أن يتقدم نحو اللد ويستكشف موقف قوات العدو ليتأكد أن كان قد احتل مدينة اللد ام لا يزال القتال محصورا في منطقة المطار. وأمره ان لا يتوغل بداخل مناطق سيطرة العدو .

وتقـدم قـائد هذه الدورية عن طريق مـسـتـعـمرة (بن شيمن) وعندما وصل الى أطراف مـدينة اللد اشـتـبك بالنيران مع قـوات العـدو التي لاحظ أنها قـوات ضـخـمة من المدرعات ومختلف الآليات. ولم يكن يعرف انه توغل في وسط قوات اللوائين الذين كانا يقومان في ذلك الوقت بعـمليـة اقـتـحام مدينة اللد. ورغم صغر حجم هذه الدورية فإن اشتباكها مع العدو بهذا الشكل أحـدث تأثيراً مـهمًا. حيث ظن العدو انها عبارة عن طليعة لقوات أكبر جاءت لفك الحـصـار عن اللد. لأنه لا يعـقل ان تتـوغل ثلاثة مـدرعات بمفردها في وسط قوات ضخمة مكونة من لواء مـدرع ولواء مـشـاه. ولذلك فقد بدأ العدو على الفور بتحركات اعادة التنظيم لجـمـيع قـواته في المنطقـة لمواجهة الهجوم المعاكس الذي توقع حدوثه قريباً. وأثناء تحركات اعـادة التنظيم اتجـهت بعض قـوات العـدو نحو الشرق لكي تطوق مدرعات الدورية وتقطع عنهـا طريق الرجـعـه. وعندما لاحظ قائد الدورية خطورة موقفه سارع الى الانسحاب تحت سـتـار نيران مـدرعاته قبل أن يتمكن العدو من أحكام الطوق عليه وتدمير قوته وتمكن من العودة الى مركزه في بيت نبالا .

ولكن العـدو مـا لبث ان قرر إعادة الكره ومهاجمة دير طريف وبيت نبالا واحتلالهما من جـديد بعـد أن أكـمل احـتـلال اللد والرملة. فدفع بقوة مؤلفه من كتيبة مشاه تدعمها سرية مـدرعـات وتسندها المدفـعـيـة صباح اليوم التالي لمهاجمة مواقعنا. وقد دارت معركة حامية تمكنت بنتـيـجـتـهـا قوة الكتيبة الأولى من صد هجوم العدو وتكبيده خسائر لا يستهان بها حيث دمرت له ثلاثة مدرعات وغنمت مدرعه ومدفع ١٧ رطل واربعة رشاشات

ولكن قـائد الكتيبة الأولى عندما علم عن حجم قوات العدو المتواجدة في منطقة اللد بنتيجة الكشف الذي قامت به دورية حمد أبو ادخينه قدر انه لا يتمكن بقوته الصغيرة من الصمود طويلاً في مـواقع دير طريف وبيت نبـالا نظراً لأن موقعهما منخفض نسبياً ولا يشكل موقع

دفـاعي جـيـد. لاسـيما وإن العـدو لابد وإن يعيد هجومه مرة أخرى بقوات أكبر لاحتلالهما. ولذلك قرر سحب قوته من هاتين القريتين اللتين كانتا خاليتين من السكان الى مرتفعات دير قـديس التي تقع على بعد حوالي كيلو مترين الى الشرق وهي مواقع مرتفعه وحصينه ويمكنه الدفـاع عنهـا. وفـعلاً فقد تقدم العدو للهجوم على قريتي دير طريف وبيت نبالا صباح اليوم التالي ١٣ تموز بقـوات أكبر من قوته السابقة ولكنه وجدهما خاليتين فاحتلهما وتوقف هناك مؤقتاً. وسآتى على ذكر ما حدث بعد ذلك في تلك المنطقة بمكان لاحق .

إعادة التنظيم في الجبهة :

ولنعـد الآن الى وصف الوضـع العـام على الجـبـهة والمعارك التي وقعت خلال تلك الأيام وحتى بداية الهدنة الثانية .

عندمـا بدأت تحـركـات العـدو حول اللد والرملة درست قيادة الفرقة إمكانية تركيز خط دفـاعي مـتـوازن من قبل اللواء الثالث يمتد من عمواس الى جمزو شمالاً والى الحديثة لتأمين نوع من الحماية للفـجـوه بين قـواتنا والقـوات العراقية ولكن قائد اللواء الثالث لم يتمكن من توفير القـوات الكافية لتركيزها في مثل هذا الخط. وكانت الكتيبة الأولى بهذا الوقت قد ارسلت إلى وادي الأردن كما شرحـت سـابقـاً. ولم نتـمكن من تلافي هذا الوضـع الحـرج إلا بعـد ان اعـيـدت هذه الكتـيـبة من غور الأردن وارسلت رأساً الى منطقة (بيت نبالا) لتتولى مسؤولية اغـلاق هذه الفـجـوة. ولكن بعد ان كان العدو قد أكمل احتلال اللد والرملة واخذ يعيد تنظيم قـواته للمـبـاشرة بتنفـيـذ المرحلة الثانية من عملية الهجوم على اللطرون وباب الواد فـأصبح واضـحـاً انه لابد لنا من إجـراء عـملية اعادة تنظيم سريعة في منطقة اللواء الثالث لتوفير قوة احـتـيـاطية معقولة للدفاع عن منطقة مثلث بيت سيرا ولحماية خطوط المواصلات الرئيسية بين اللطرون ورام الله والتي اصـبـحت مـهـدده من المناطق الواقـعـة بينها وبين اللد والرملة والتي اخـذت قوات العدو تنشط فيها. وعلى هذا الأساس قررت قيادة الفرقة تنفيذ الإجراءات التالية والتي تمت يوم ١٢ تموز ·

١ ـ نقل قـيـادة اللواء الثـالث من منطقـة بيت سيرا إلى مـواقع جـديدة في منطقة (بيت عور التحتا) الواقعه الى الشرق منها

٢ ـ اعـتـبـار منطقـة (بيت سيرا) قطاع عـمليـات وتتـمـركز فيه القوات الآتية لحماية طرق الاقتراب المؤدية منه. وبنفس الوقت تعتبر كقوات احتياط بأمرة قائد اللواء الثالث .

أ ـ السرية الخامسه المستقلة التي عادت لتوها من اللد والرملة .

ب ـ سرية المدرعات الثانية .

ج ـ سرية المشاة التاسعة عشر التي شكلت حديثاً .

د ـ بطارية مدفعية ميدان ٢٥ رطل باسناد جبهة اللواء .

٣ ـ قطاع اللطرون . كتيبة المشاة الثانية ناقص سرية المدرعات .

٤ ـ قطاع باب الواد . كتيبة المشاه الرابعة .

ولكن بنفس هذا اليوم ١٢ تموز اضطرت القوات العراقية التي كانت تدافع عن رأس العين ومجدل يابا ان تنسحب منهما الى قرية كفر قاسم بعد تعرضها لعدة عمليات هجومية وضغط متواصل من قبل قوات العدو. وبالنتيجة اتسعت منطقة الكتيبة الأولى واصبحت مواقعها في منطقة بيت نبالا تشكل بروزاً خطراً ولايمكن مساندته من الجبهة العراقية التي ابتعدت خطوطها أكثر من السابق. ولذلك فقد اعيد توزيع سرايا الكتيبة بشكل يمكنها من تقصير خطوطها وتغطية باقي المنطقة بالدوريات .

وعلى هذا الأساس تمركزت قيادة الكتيبة في بلدة دير قديس وتوزعت سراياها مبدئياً بين رنتيس وبدرس وبيت نبالا ودير طريف .

وبهذه الأثناء كانت قوات العدو تتحرك إلى مناطق الحشد الجديده مقابل اللطرون وباب الواد استعداداً للبدء بتنفيذ المرحلة الثانية من خطة الهجوم. كما تقدمت بعض كتائبه لاحتلال القرى الواقعة شرق مدينتي اللد والرملة على التلال المسيطرة على منطقة مثلث بيت سيرا وللكشف عن كثافة القوات المعادية في تلك المنطقة قامت قيادة اللواء الثالث بإرسال الدوريات الكاشفة باتجاه قرى سلبيت وجمزو والبرج وبيرا ماعين. وقد كانت هذه الدوريات تعود بمعلومات تثبت تواجد قوات العدو بهذه المواقع بكثافة .

وفي يوم ١٣ تموز ارسلت دورية من فئة مدرعات يقودها الملازم حمدان الصبيح البلوي الى قرية (جمزو) وقد اشتبكت مع قوة العدو المتمركزة فيها وتمكنت من دخول القرية وأوقعت عدداً من الإصابات بين جنود العدو. ولكنها اضطرت بالنهاية ان تنسحب نظراً لكثافة القوات المعاديه. وقد اصيب خمسة من جنود الدورية بجراح .

وفي اليوم التالي ارسلت قيادة اللواء الثالث دورية مقاتلة اخرى من الكتيبة الثانية بقيادة الرئيس (بروميج) إلى قرية سلبيت الواقعة مقابل اللطرون من الغرب وقد اشتبكت هذه الدورية مع قوات العدو التي كانت متواجدة بكثافة في تلك القرية وقدرت بحوالي كتيبه ولهذا فقد اضطرت الدورية الى الانسحاب بعد ان قتل اثنين من جنودها وجرح قائدها. وبعد ذلك

أصبح واضحاً ان مواقع العدو بهذه القرى قوية ولايمكن التغلب عليها بقوات صغيرة مثل الدوريات المقاتلة .

ونظراً لعدم توفر القوات الكافية فقد تقرر ترك هذه المنطقة مؤقتاً وتركيز الجهد على الدفاع عن المواقع الرئيسية في منطقة مثلث بيت سيرا واللطرون وباب الواد. وبنفس الوقت تثبيت الوضع في جبهة الكتيبة الأولى في الشمال والتنسيق مع الجيش العراقي لضمان عدم اختراق الفجوة بيننا وبينهم .

بعد الإنتهاء من احتلال مدينتي اللد والرملة أخذ العدو يركز جهده الرئيسي لاحتلال مواقعنا في اللطرون وباب الواد. وقد اتبع أسلوب الالتفاف والتطويق والاقتحام بقوه. ولتنفيذ هذا النوع من التكتيك اخذ يركز جهده على احتلال مثلث بيت سيرا ابتداءً لعزل موقع اللطرون من الخلف. ولتنفيذ هذه العملية دفع بأحد ألوية المشاه يوم ١٥ تموز من منطقة اللد والرملة نحو الشرق حيث قامت هذه القوة باحتلال مجموعة قرى (سلبيت، عنابه، جمزو، البرج، بيراماعين، برفيليا). وجميع هذه القرى تقع في منطقة التلال المسيطره على منطقة مثلث بيت سيرا من جهة الغرب ومن تلك المنطقة يمكن الانقضاض على مواقعنا في قريتي صفا ورأس كركر الواقعتين الى الشمال من بيت سيرا ومن ثم على مواقعنا في مثلث بيت سيرا وفي قرية بيت لقيا حيث توجد مواقع مدفيعتنا التي تساند اللطرون. ولو نجحت هذه العملية لتمكن العدو من عزل منطقة اللطرون نهائياً عن رام الله ولأصبح سقوط تلك المواقع سهلاً. ولكي يجبرنا على تبديد قواتنا (القليلة أصلاً) ونشرها على مواقع متباعده دفع العدو بقوة أخرى من اللد باتجاه دير طريف وبيت نبالا وكانت قوة الكتيبة الأولى قد انسحبت منهما الى التلال المرتفعة الواقعة الى الشرق من بيت نبالا كما شرحت سابقاً. فتمكنت قوة العدو من احتلالهما بسهولة بدون قتال. ثم تقدمت باتجاه قرية بدرس واحتلت قرية قوله الواقعة الى الغرب منها. وبهذا الشكل أصبحت تهدد المنطقة الفاصلة بيننا وبين القوات العراقية والتي تتواجد الآن فيها الكتيبة الأولى للدفاع عنها .

وبهذا الأسلوب فإن العدو يجبرنا على إبقاء هذه الكتيبة موزعه في تلك المنطقة ويمنعنا كذلك من استعمالها كقوة احتياطية للتدخل في المعركة الرئيسية في منطقة اللطرون التي اخذ العدو يحرك قواته نحوها تمهيداً لتطويقها واقتحامها .

وبتاريخ ١٣ تموز دفع العدو بلواء المشاه (هاريل) إلى المنطقة الواقعة جنوب طريق تل ابيب ـ القدس. حيث اخذ هذا اللواء يعمل على تطهير المنطقة الواقعة بين خط سكة حديد (القدس ـ الرملة) من الجنوب. وطريق باب الواد من الشمال استعداداً للمعركة الرئيسية

لاحـتلال اللطرون. حيث كانت بعض القوات المصرية تنشط في تلك المنطقة بمحاولة للإقتراب من مخفـر عـرطوف الذي كانت تتواجد فيه فئة من الجيش العربي وفئة من الجيش المصري التحقت معها أثناء فترة الهدنة .

وقـد كـان العدو يهدف من عمليات هذا اللواء ان يمنع اتصـال الجيش المصري مع الجيش العـربي الأردنى بقوة تمكنهما من عزل مدينة القدس من الغرب واتصال الجبهة المصرية مع الجـبهة الأردنية فيما لو تمكن المصريون من إرسال قوات كبيرة الى تلك المنطقة ولكن الجيش المصري لم يتـمكن من التـقـدم بقوة كبيرة واعتمد بدلاً عن ذلك على نشاط الدوريات وتركيز حظائر مشاه صغيرة في بعض القرى. ولهذا فعندما تقدم لواء العدو الى تلك المنطقة تمكن من احـتلال قرية (صرعه) يوم ١٣ تموز. وفي اليـوم التـالي أحـتل قريتي (صوبا) و(بيت أُمَّـر) ومـسـتـعـمـرة (عرطوف) القريبة من مركز البوليس الذي كانت تتمركز فيه القوة الأردنية والمصرية .

وبتاريخ ١٤ تموز انســحبت القوة المصرية من مركز عرطوف. وعلى إثر ذلك صدر الأمر من قيادة الفرقة الى فئة الجيش العربي الموجودة هناك بأن تلتحق مع السرية الثانية عشر في الخليل وتخلى مركز عرطوف

وبتاريخ ١٨ تموز احـتل العـدو قـرية (دير رافـات). وبتاريخ ١٩ تموز كـان قـد أكمل احـتـلال المنطقة الواقعة بين طريق القدس ـ تل أبيب من الشمال وخط سكة حديد القدس ـ الـرمـلة من الجنوب بينما كـانت المعـارك في هذه الفترة تدور في منطقـة شمال اللطرون في المرتفـعـات الواقـعة شرق اللد والمسيطره على مثلث بيت سيرا. وإلى الشمال في منطقة (صَفا) ورأس كركر وقرية قوله في الطرف الشمالي من الفجوه بين جبهتنا والجبهة العراقية .

العمليات الحربية التي شنها العدو استعداداً لإحتلال اللطرون وباب الواد :

كـانت أولى هذه العـمليـات ذلك الهجوم الكبير الذي شنه العدو ليلة ١٥/١٦ تموز. حيث تقـدمت قواته المؤلفة من لواء المشاه (يفتاح) وكتيبة من اللواء المدرع الثامن وقطعات من لواء (كـرياتى) من منطقـة اللد والرملة باتجـاه الشرق. وتمكنت من احـتـلال منطقـة المرتفـعات الواقـعـة شمالي اللطرون بما فـيـهـا قـرى برفيليا والبرج وسلبيت وبيرا ماعين. مهيئة بذلك امكانيـة اقـتـحـام مـثلث بيت سيرا وعزل منطقة اللطرون من الخلف. وبهذا تصبح الطريق امامهم مفتوحة إلى رام الله .

وبنفس الليلة دفع العدو بلواء (هاريل) بكامله لاحتلال مواقع الكتيبة الرابعة في مرتفعات (يالو) شرقي اللطرون. وقد تقدمت طلائع هذا اللواء واشتبكت مع الخنادق الأمامية للكتيبة الرابعه وعندئذ أصبحت المسافة بين طلائع قوات العدو غربي اللطرون وطلائع قواته المتقدمه في قطاع الكتيبة الرابعة شرقي اللطرون لا تزيد عن ثلاثة كيلومترات. وقد كان العدو يأمل بهذه الحركة ان يطبق فكي الكماشه هذه التي شكلها حول منطقة اللطرون بسرعة فيتمكن بالنتيجة من تدمير الكتيبتين الثانية والرابعة بضربة واحده ثم يندفع بعد ذلك نحو رام الله فيطوق مدينة القدس من الخلف .

وهكذا أصبح الموقف بالنسبة لنا في غاية الخطورة لاسيما وانه لم يبق لدينا أية قوات احتياطية سوى احتياطي اللواء الثالث الذي شكلناه من سريتي مشاه وسرية مدرعات في منطقة بيت سيرا بعد أن استخدمنا الكتيبة الأولى لاغلاق الفجوة الخطيرة التي تكونت بين جبهتنا والجبهة العراقية بعد سقوط مدينتي اللد والرملة بيد العدو. وعندئذ أصبح أمامنا هدفين عاجلين يجب تحقيقهما بأي ثمن وهما :

أولاً : يجب القيام بهجوم معاكس وبسرعة على منطقة قرية البرج لإيقاف تقدم قوات العدو نحو طريق بيت سيرا ـ اللطرون : وتكثيف جهد الكتيبه الأولى بين بيت سيرا وموقع رأس كركر الى الشمال لمنع اختراق قوات العدو من هناك نحو رام الله .

ثانياً : ضمان ثبات الكتيبة الرابعة بمواقعها الدفاعية مهما بلغت التضحيات ومنع تقدم قوات العدو من تلك المنطقة .

وقد يكون من المناسب ان اشرح هنا بلمحة موجزة وصف المعارك التي خاضتها كتائب الجيش العربي خلال هذه الفترة الحرجة لصد الهجمات المتكررة التي قام بها العدو بقوات تفوقها عدداً وعده بأضعاف المرات وتمكنت من صدها جميعها وتكبيد العدو خسائر ضخمة والاحتفاظ بجميع مواقعنا الدفاعية .

أولاً : معركة يالو : ليلة ١٥/١٦ تموز

كانت مواقع الكتيبة الرابعة في مرتفعات قرية يالو تشكل الهدف الرئيسي للواء العدو (هاريل) الذي كان تقدمه يشكل فك الكماشه الأيمن الذي سوف يطبق على منطقة اللطرون من جهة الشرق كجزء من الهجوم الرئيسي الذي كان موجهاً لاحتلال منطقة اللطرون وتدمير اللواء الثالث والانطلاق بعد ذلك الى رام الله .

لقد بدأ العدو بالتحضير لهذا الهجوم بقصف مدفعي مركز على مواقع الكتيبه الرابعة منذ

صباح يوم ١٥ تموز حتى المساء مستخدما مختلف انواع الاسلحة الاسنادية المتوفرة لديه من مدافع الميدان والمورتر بقصد تدمير دفاعاتها واحداث أكبر ما يمكن من الخسائر قبل اقتحامها .

وحوالي الساعة العاشرة ليلة ١٥/١٦ تموز تقدمت إحدى كتائب العدو المهاجمة عبر منطقة باب الواد بالقرب من قرية بيت محسير الواقعة بمواجهة قرية يالو من الجنوب ورغم ان دوريات الكتيبة الرابعة المتقدمة قد تمكنت من إكتشاف حركة قوات العدو منذ البداية وتهيأت الفرصة الكافية لسرايا الكتيبة الرابعة للإستعداد لمواجهة هذا الهجوم المتوقع إلا أن كتيبة العدو الأمامية تمكنت من التقدم عبر الشعاب والأودية ووصلت إلى موقع متقدم في مواجهة مراكز الكتيبة الرابعه من الجهة الجنوبية من قرية يالو. ومن هناك أرسلت فئة تمركزت على تلة مرتفعة تقع الى الشرق من القرية واخذت تطلق النيران الكثيفة على مواقع السرية الثالثة لجذب الانتباه الى تلك الجهة ولتغطية حركة قوة الهجوم التي تقدمت من الجهة المقابلة وتمكنت من الوصول إلى الأسلاك الشائكة وفتحت ثغرة فيها والتحمت مع جنودنا في خنادقهم الأمامية . وبنفس الوقت ارسل العدو قوة اخرى تمركزت في مواجهة سرية المشاة الثانية في التلال المشرفة على قرية دير ايوب واشتبكت معها بالنيران بقصد مشاغلتها ومنعها من التدخل في المعركة .

واحتدم القتال في منطقة السرية الثالثة بعدما تمكن جنود العدو من اجتياز الأسلاك الشائكة. واشتد إطلاق النار من كافة الاسلحة والقنابل اليدوية واستمر القتال عدة ساعات واضطرت الفئة الأمامية للإنسحاب من موقعها حوالي الساعة الثانية صباحاً وبهذه الاثناء تمكن العدو من احتلال بناية صغيرة قديمة تقع على رأس تلة مشرفة على مواقع الفئات الاخرى وموقع سرية القيادة. فأصبح موقف دفاعات الكتيبة الرابعة حرجاً للغاية. ولإنقاذ الموقف كان لابد من ترتيب عملية هجوم معاكس على وجه السرعة قبل ان يتمكن العدو من التثبت في المواقع التي احتلها .



المؤلف في سيارة القيادة يعطي تعليماته من جهاز اللاسلكي في احدى المواقع الأمامية اثناء معركة يالو في باب الواد عام ١٩٤٨

وبعد الاتصالات التي تمت بين قائد السرية الثالثة وقائد السرية المساندة واركان حرب الكتيبة الملازم محمود الروسان أمكن شن الهجوم المعاكس بالساعة الثالثة والنصف صباح يوم ١٦ تموز بقوة قوامها السرية الثالثة وفئتين من سرية القيادة. وقد استخدمت بطارية مدفعية الميدان التابعة الى اللواء الثالث باسناد هذا الهجوم المحلي. وقد تكبد العدو خسائر كثيرة بالارواح حيث تم احصاء مائة جثة تركها في ساحة المعركة في واجهة الكتيبة الرابعة سقط معظمهم بنتيجة القصف المدفعي في الوادي الذي انسحبوا من خلاله بعد الهجوم المعاكس .

لقد ضرب جنود الكتيبة الرابعة وضباطها اروع مثل في الشجاعة والتضحية اثناء هذه المعركة. وقد ظهرت بطولات فردية نادره كان أعجبها قصة ذلك الجندي الطاهي الذي كان يعد طعام الإفطار لجنود السرية الثالثة في البناية القديمة التي احتلتها قوة العدو لتوها ولم يكن هذا الطاهي قد عرف ان جنود العدو احتلوا هذه البناية وفوجيء عندما وجد نفسه بينهم ولم يكن يحمل سلاحه لأنه كان مشغولاً بإعداد الطعام. فانقض على أحد جنود العدو وامسك به من رقبته واخذ يضغط عليها بكل قوته. كما أن الجندي اليهودي امسك كذلك برقبة الطاهي وبعد لحظات سقط الاثنان على الارض ميتين .

لقد كانت معركة (يالو) من أهم المعارك التي دارت خلال الايام الاخيرة من فترة القتال الثانية لاسيما وانه كان قد صدر قرار من مجلس الأمن الدولي يوم ١٥ تموز يقضي بوقف إطلاق النار يوم ١٧ تموز في مدينة القدس. وبعد ذلك الموعد بمدة ٣٦ ساعة يسري مفعوله في جميع انحاء فلسطين. ولذلك كان اليهود يحاولون الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنه من الارض خلال الايام القليلة المتبقية. وقد اتضح من تصرفاتهم في مختلف قواطع جبهتنا انهم اخذوا يكثفون جهودهم وينسقون تحركاتهم بهدف احتلال اللطرون وباب الواد لفتح طريق القدس الرئيسية. وانهم كما يظهر نظراً لضيق الوقت قد صرفوا النظر عن خطتهم الموسعة للتقدم نحو رام الله. حيث لم يعودوا يعطون أهمية لحركة الالتفاف من الشمال عبر الفجوة بيننا وبين العراقيين وأصبحت كثافة جهدهم تتمركز حول منطقة اللطرون. ومن هنا جاءت الأهمية التي اتخذوها لمعركة (يالو) من جهة الشرق ولاحتلالهم لموقع قرية (البرج) غرب اللطرون. ولكن قائد لوائهم الذي قام بهذا الهجوم على مواقع الكتيبة الرابعة قد ارتكب خطأً فادحاً (لحسن الحظ) حيث انه تقدم بكتيبة واحدة في الأمام بهجومه على مواقع السرية الثالثة ولكنه عندما تمكن من احتلال بعض مواقعها لم يستخدم كتائبه الاخرى لاستغلال هذا النجاح وتعزيز زخم الهجوم فوراً. ومن المؤكد انه لو اقحم باقي كتائبه في الهجوم وشدد الضغط على مواقع الكتيبة الرابعة بكاملها لكان من الممكن أن ينجح باختراقها

والانطلاق منها بحركة التفاف حسب خطته الأساسية. ولكنه بدلاً من ذلك ترك سرايا كتيبته الأمامية تقاتل بمعركة ثابتة عدة ساعات حتى تمكنت قواتنا من شن الهجوم المعاكس ضد فئاته التي تمركزت في مواقع السرية الثالثة وتمكنت من طردها منها في الصباح الباكر يوم ١٦ تموز ولقد كان غريباً فعلاً ان يتصرف بهذا الشكل مع أنه كان لديه باقي كتائب لوائه التي لم يستخدمها بهذه المعركة. ربما لأنه كان يعتقد ان كتيبته الأمامية عندما نجحت باحتلال بعض المواقع سوف تتمكن من تطهير المواقع الاخرى ولذلك لم يرد اقحام باقي كتائبه لكي يسوقها في حركة التفاف بقوس أوسع الى الشرق لتوفير الوقت فيتمكن من الوصول الى شمال اللطرون من الخلف بينما لا تزال معركة (يالو) مستمرة. ولكن هذه النظرية لا تعدو كونها نوع من الحدس بعيد المدى. لكن المهم أن الكتيبة الرابعة استطاعت ان تصمد طيلة معارك هذا اليوم المشهود وافشلت محاولة تقدم اليهود عبر مواقعها بهدف الالتفاف حول مواقع اللطرون من جهة الشرق ولكن على الرغم من هذا الانتصار الذي حققه رجال الكتيبة الرابعة بصدهم الهجوم وصمودهم في مواقعهم فإن الموقف العام على طول جبهتنا اصبح في غاية الخطورة حيث كانت قواتنا تتعرض لعدة عمليات هجومية في مناطق مختلفة بنفس الوقت تقريباً ونحن في قيادة الفرقة نتابع سير هذه العمليات ونضع الخطط المستعجله لمواجهة مواقع الخطر وتوفير ما نستطيع نقله من القوات من مكان الى آخر لتعزيز المواقع المعرضه للهجوم حسب تطور المعارك ضمن امكانياتنا المحدودة .

ومن السهل تصور مدى صعوبة موقفنا هذا في تلك الايام العصيبه إذا عرفنا اننا كنا نواجه جميع هذه المعارك بقوات محدودة جداً وبدون احتياطي رئيسي تحت تصرفنا يمكن أن نستخدمه في الحالات الطارئة سوى الكتيبة الاولى التي كانت في هذه الفترة قد استخدمت للدفاع عن الثغرة التي حدثت بين مواقعنا والمواقع العراقية واتسعت خطورتها بسقوط اللد والرملة قبل اربعة أيام. وبهذا اليوم الذي انتهت فيه معركة (يالو) كانت احدى سرايا هذه الكتيبه تخوض معركة في قرية (قوله) التي تقع على الطريق الرئيسية المؤدية من مدينة اللد الى مدينة طولكرم والتي كان اليهود قد استولوا عليها بعد احتلال اللد كمقدمه لدفع قواتهم عبر تلك المنطقة بهدف تطويق مواقعنا في منطقة اللطرون من الخلف وبالتالي اختراق جبهتنا والتقدم نحو رام الله. كما كان اليهود خلال اليومين السابقين قد اكملوا احتلال القرى الواقعة شرقي الرملة وآخرها قرية البرج التي تشرف على الطريق الرئيسية المؤدية من اللطرون الى مثلث بيت سيرا وهي طريق التزويد الوحيدة لقواتنا المقاتلة في منطقة اللطرون. وقد تمكن اليهود من السيطرة على هذه الطريق بنيران الرشاشات والمدافع المضادة للدروع وكان علينا ان نزيل هذا الخطر بسرعة. هذا بالإضافة إلى أنه خلال الأيام الثلاثة السابقة كان

اليـهـود يهاجمون مـواقـعنا في القـدس في واجهة الكتيبة الثالثة من باب العمود حتى الشيخ جـراح. وفي واجـهـة الكتيبة السادسة عند باب النبي داوود وعلى امتداد الأسوار. وفي جنوب القدس عند قرية المالحة .

وهكذا أصـبـحت جميع قـواتنا على طول الجـبهة في حالة اشتباك مستمر مع اليهود ليلاً ونهاراً. ولم يكن من السـهل سحب أي جزء منها للقيام بعمليات في مواقع أخرى وخصوصاً تلك القـوات المتـواجـده بداخل مـدينة القـدس. ولهذا لم يكن أمامنا سوى التصرف بالكتائب الأولى والثـانية والرابعة والخامسة حسب تطورات المعركة .

وفي يوم ١٥ تموز خططنا لعـمليتين سريعتين كان من الضروري تنفيذهما يوم ١٦ تموز. وكـانت العـمليـة الأولى الهجوم على قرية (قوله) في الشمال لكي نتمكن من تسليم ذلك الجزء من الجـبهة الى الجيش العراقي. وبعد ذلك نسحب الكتيبة الأولى بكاملها لتصبح مسؤولة عن الـدفـاع عن المنطقـة الواقـعـة بين بلدة (دير قـديس) ومـثلث بيت سيرا. وذلك لكي يصـبح بامكاننا بعـد تقـصير جـبـهـتـها بشكل ملموس التصدي للقوات اليهودية المتقدمة من هناك وإيقافها. وقد تم الاتفاق مع القيادة العراقية على هذا التوجه .

والعـمليـة الثـانية هي القيام بهجوم معاكس على موقع قرية البرج لاحتلالها وإزالة خطر تأثير نيران اليهود على طريق اللطرون - بيت سيرا وبالإضافة لهذا فقد وضعنا خطة هجوم محدود في داخل مـدينة القـدس تقـوم بتنفـيـذه الكتـيـبـة الثالثة لتعديل وتحسين خطوطها بالاسـتـيـلاء على بعض الأبنية المهمة المسيطرة في جبهتها. وكان من المقرر ان تتم جميع هذه العـمليات قبل نهاية يوم ١٨ تموز الذي سـيـبـدأ فـيه تنفيذ وقف إطلاق النار حسب قرار مجلس الأمن الدولي. ولقـد كنا نتـوقـع ان يقـوم اليهود بعمليات هجومية جديدة وخصوصاً على مـوقع اللطرون الذي كـان يعـتبر إنه هدفـهم الرئيسي طيلة الوقت. حيث كانوا هم أيضاً يحاولون ان يسـتـولوا على أكبر مـسـاحة ممكنة من الارض خلال الايام الثلاثة الباقية قبل سريان وقف إطلاق النار. ولهذا فـقد جمعوا قوة ضخمة مؤلفة من خمسة ألوية في مواجهتنا في قـاطع اللطرون لكي يستولوا على هذه المواقع الحيوية الهامة. وقد كان اليهود على ما يبدو واثقين من أنهم سـوف يحقـقوا هذا الهدف قبل موعد وقف إطلاق النار. ولذلك كنا نعتبر أن جميع المعـارك القـادمة سوف تكون قاسية وفي غاية الأهمية لأنها جميعها سوف تكون ذات صلة مباشرة بالهجوم الرئيسي الذي كان اليهود يعدونه لاحتلال موقع اللطرون وفتح طريق القـدس. وان هذه هي المعـركـة الحـاسـمـة التي يجب أن لا نخسرها مـهما كـان الثمن لأنه بخـسـارتها سوف تكون النهاية. وبذلك ربما نخسر القدس وباقي ما لدينا من مواقع اخرى وسيتقرر مصير وجود الجيش العربي في فلسطين نهائياً .

والآن سوف اشرح مجمل المعارك الفرعية أولاً ثم أتى على شرح معركة اللطرون الرئيسية .

ثانياً : الهجوم المعاكس على قرية قوله ـ ١٦ تموز

كان اليهود قد احتلوا قرية (قوله) بعد فراغهم من احتلال اللد والرمله مباشرة ثم تمركزت قواتهم على مرتفع يسيطر على الطريق المؤدي من اللد الى طولكرم وكانت وحدات الكتيبة الاولى بهذا الوقت قد تمركزت في مواقع دفاعية تمتد من مرتفعات (رنتيس ـ دير طريف) حتى قرية بدرس .

وبهذه الاثناء تم التنسيق مع القيادة العراقية حيث كانت كتيبتهم المتمركزة في منطقة قرية كفر قاسم تنوي شن هجوم معاكس لاسترداد موقع (مجدل يابا) الذي كانوا قد انسحبوا منه يوم ١٢ تموز وذلك لكي يتم الاتصال الفعلي بين قواتنا وقواتهم وتصبح نقطة الارتكاز عند اتصال جبهتينا قوية ولا تسمح للقوات اليهودية بالاختراق من خلالها ولما كان من المقرر ان يقوم قائد الكتيبة العراقية بهجومه هذا يوم ١٦ تموز فقد رتبنا نحن من جانبنا ان يقوم قائد الكتيبة الأولى بالهجوم على قرية قوله يوم ١٦ تموز كذلك لمساندة الجهد العراقي. وقد خصص قائد الكتيبة الاولى لهذه العملية سرية مشاه تسندها فئة مدافع المورتر وفئة مدرعات. وكان يقود هذه القوة الملازم عبدالله فلاح. وقد تم الكشف على مواقع العدو يوم ١٥ تموز وبدأ الهجوم عند الفجر يوم ١٦ تموز. وكان هجوماً سريعاً حقق نجاحا تاماً حيث تمكنت قوتنا من مفاجأة العدو وتكبيده خسائر جسيمه واستطاعت احتلال الموقع وتطهيره نهائياً حوالي الساعة الثامنة صباحاً. وقد ترك اليهود ثلاثين قتيلاً بينهم صابطين على ارض المعركة. واستشهد من جنودنا خمسة وقائد السرية الملازم عبدالله فلاح الذى اصيب برصاصة في رأسه اطلقها عليه أحد جرحى اليهود اثناء تطهير الموقع .

هذا وقد بقيت هذه السرية في موقعها الذي احتلته مدة ٢٤ ساعة فقط حيث تم تسليم هذا القاطع من الجبهة الى الجيش العراقي. حيث أنهم وافقوا اخيراً على تمديد خطوطهم لمسافة محدوده الى الجنوب لتشمل قرية بدرس لكي نتمكن من سحب الكتيبة الاولى بكاملها الى موقع (دير قديس ـ بيت سيرا) لتوفير حماية معقولة الى مواقع اللطرون وباب الواد .

ثالثاً : الهجوم على قرية البرج ـ ١٦ تموز

كان يوم ١٦ تموز يوماً صعباً بالنسبة لنا حيث على الرغم من أن الهجوم اليهودي على

مواقع الكتيبة الرابعه في تلال قرية (يالو) قد فشل في الصباح الباكر إلا أن الموقف العام ما زال في غاية الخطورة .

حيث كان اليهود قد أكملوا احتلال القرى الواقعة في مواجهة اللطرون وركزوا فيها لواء مشاه ولواء مدرع . منها كتيبة في قرية البرج وأخرى حول قريتي (بيراماعين) (وعجنجول) . والكتيبة الثالثة في الاحتياط في قرية (سلبيت) . وأما اللواء المدرع فتمركز حول قريتي (عنابة وجمزو) يوم ١٥ تموز . واعتبارا من فجر هذا اليوم ١٦ تموز كانت قوة من الكتيبة الأولى مشتبكة في معركة (قولة) التي كان اليهود قد احتلوها قبل ثلاثة ايام .

ورغم اننا اتفقنا مع العراقيين كي يمددوا جبهتهم قليلا الى الجنوب لتشمل قرية بدرس لكي نستطيع سحب الكتيبة الأولى من مواقعها الحالية وتركيزها بين دير قديس ومثلث بيت سيرا الا اننا لا نستطيع القيام بهذه التحركات قبل ان ننتهي من معركة قوله التي كانت ما زالت دائرة كما شرحت باعلاه

وبنفس الوقت ان ينتهوا هم من الهجوم المعاكس الذي كانوا ينفذونه ضد القوة اليهودية التي احتلت موقع (مجدل يابا) .

وقد كنا نخطط للقيام بهجوم معاكس بسرعة على موقع البرج وبيراماعين. لكي نوقف القوات الاسرائيلية التي كانت تهدف الى قطع طريق اللطرون من تلك المواقع وتطويق الكتيبة الثانية من الخلف. ولكننا كنا نفضل القيام بهذا الهجوم في اليوم التالي لكي نستخدم فيه جزءا من الكتيبة الاولى عند وصولها الى مواقعها الجديدة . ولكن هذا لم يكن ممكنا لان الانتظار لمدة ٢٤ ساعة سوف يكون لصالح الاسرائيليين الذين قد يشنون هجومهم ليلة ١٦/١٧ تموز وعندئذ سنخسر المعركة . ولذلك اصبحت الامكانية المتوفرة مبدئيا هي تدبير قوة من الكتيبة الثانية للقيام بهذا الهجوم رغم ان سحب اية قوة من مواقعها الدفاعية في اللطرون كان ينطوي على مجازفة خطيرة لأن الاسرائيليين لو قرروا شن هجومهم من الجنوب على موقع اللطرون بنفس الوقت الذي نكون فيه قد سحبنا منه نصف القوة المدافعة عنه لكي تقوم بالهجوم على قرية البرج ربما امكنهم اجتياح هذا الموقع الحيوي بسهولة ، وعندئذ سيصبح من الصعب علينا وقف هجومهم او استرداد مواقعنا التي خسرناها ، ولكن على الرغم من ذلك وعلى ضوء الموقف العام فقد حتمت الظروف قبول المجازفة واتخاذ هذا القرار . ولكننا على اي حال تريثنا باتخاذه حاليا .

وفي صباح يوم ١٦ تموز بينما كنا في قيادة الفرقة نتابع مختلف العمليات في جميع ارجاء الجبهة ابلغنا قائد اللواء الثالث إنه حصل هياج بين جنود الكتيبة الثانية وانهم تمردوا على

قـائد الكتـيـبـة (الميـجـر لوكت) واخذوا يطالبونه بان يقوموا بالهجوم على اليهود لانهم غير مـقتنعين ببقائهم في موقف الدفاع في اللطرون بينما قام اليهود باجتياح مدينتي اللد والرملة وها هي قواتهم قد وصلت الى مواقع تسيطر على طريق مواصلاتنا ولقد كان هذا الموقف من نتـائج تأثير كـارثة اللد والرملة على مـعنويات جنودنا الذين كانوا يضحون بارواحهم للدفاع عن ثرى فلسطين وبنفس الوقت كـانوا يشاهدون مناظر الاف اللاجئين من الرجال والاطفال والنســاء قـادمين من هاتين المدينتين ويكيلون لهم الشـتـائم مـعـتبرين انهم مـسئولون عن مـصيبتهم دون تقدير لاهمية المواقع التي يدافع عنها هؤلاء الجنود البواسل الذين لم يتوانوا عن التـضحية بارواحهم دفاعا عن هذه الديار العزيزة وقد جاد زملاء لهم كثيرون بارواحهم وذهبـوا شــهـداء في مختلف المعـارك السابقة وسيلحق بهم اخرون من هؤلاء الجنود (الذين يشتمونهم الان) في معارك اخرى قادمة . ولم يكن اللاجئون انفسهم على استعداد ان يفهموا في وسط هذه المحنة ان هؤلاء الجنود ليـسوا هم المسئولون عن ما حل بهم من كوارث ، وان ظروفـا وسـيـاسـات مـعـينة هي التي ادت بهم الى هذا المصير وليس الجنود والضباط هم المسئولون عنهـا .ومـهما كـان الامـر فان مناظر هؤلاء اللاجئين الأليمة وتصرفاتهم المؤسفة وأوضـاعـهم المحـزنة كـان لها ابلغ الأثر على مـعنويات جنودنا واصـبـحـوا بوضع ليـسوا مـسـتـعـدين معه ان يفهموا الاهمية الاستراتيجية للمواقع التي يدافعون عنها وانها يجب ان تعطى الاولوية القـصوى على أي شيء اخر لانهم اذا خسروها سوف نخسر المعركة بكاملها ومـعـها سوف نخسر جميع ما تبقى بيدنا من فلسطين وليس اللد والرملة فقط . بل كان كل همهم ان يشنوا هجـومـا على القـوات الاسرائيليـة ويسـتـشـهدوا في سبيل فلسطين حتى لو خسروها بعد ذلك .

لقد كان واضحا ان معنويات جنودنا اصبحت تتأثر بشكل جدي وتنحدر الى الاسوأ. وقد اصـبح واضـحـا كـذلك ان هذا الموقف اصـبح حساسا وخطيرا وانه يتحتم معالجته بسرعة لاسـيما وان قـائد اللواء وقائد الكتيبة الثانية لم يستطيعا تهدئة هياج هؤلاء الجنود لكونهما ضابطين بريطانيين . ولذلك فقد قرر قائد الفرقة انه من الافضل ان يقوم بهذه المهمة ضابط عربي من خارج الكتيبة الثانية ولذلك طلب من وكيل القائد عبد الله التل ان يتحرك الى مواقع الكتـيـبة الثانية لكي يشرح للجنود والضباط خطورة الموقف. وان الضرورة العسكرية تفرض علينا ابقائهم في وضع الدفاع في مواقع اللطرون نظرا لاهميتها الاستراتيجية بالنسبة لجبهتنا بكاملهـا وانا في صـدد اتخاذ بعض الاجـراءات المهـمة ضمن قدراتنا لايقاف زحف اليهود. ولذلك فإن اي تخلخل في دفاعات اللطرون سيعرض موقفنا للخطر .

ولكن بعـد عـودتى من زيارة منطقـة الكتـيـبـة الاولى ابلغني قائد الفرقة ان وكيل القائد

عبدالله التل ذهب الى الكتيبة الثانية وحاول تهدئة الجنود ولكنه لم ينجح تماما . حيث انه اخبره بعد عودته ان وضعية هؤلاء الجنود ليست مرضية وانهم مالم يقوموا بعملية هجومية ضد اليهود فان معنوياتهم سوف تتدهور الى مستويات خطيرة ولن تكون عواقبها سليمة .

ولهذه الاسباب جميعها قرر قائد الفرقة ان تقوم هذه الكتيبة بعملية الهجوم المعاكس على مواقع اليهود في منطقة البرج بهدف احتلالها وايقاف زحفهم شرقا نحو طريق بيت سيرا - اللطرون

وعندئذ اصدرنا الامر الى قائد اللواء الثالث لكي يسحب سريتي مشاه من موقع اللطرون الى منطقة التجمع في منطقة بيت نوبا لكي تشتركا في عملية الهجوم . وان يستعيض عنهما في مواقع اللطرون مؤقتا بما يمكن توفيره من جنود الكتيبة الرابعة ومن المناضلين المتواجدين في بعض القرى في منطقة اللواء .

وقد تم تجميع قوة الهجوم في منطقة الحشد بعد ظهر ذلك اليوم ١٦ تموز وكانت تتألف من الوحدات الآتية بقيادة قائد الكتيبة الثانية الميجر لوكت :

١ ـ سرية المدرعات الثانية ـ بقيادة الملازم حمدان الصبيح البلوي

٢ ـ سرية المشاة الثانية ـ بقيادة الملازم محمد كساب

٣ ـ سرية المشاة الثالثة ـ بقيادة الملازم رفيفان خالد الخريشة

٤ ـ فئة مدافع ضد الدرع ٦ رطل ـ بقيادة الملازم حيدر مصطفى

٥ ـ مجموعة اسناد الكتيبة مؤلفة من ٤ مدافع مورتر ٣ انش + ٤ رشاشات فكرز

٦ ـ وضعت بطارية مدفعية الميدان الثانية باسناد الهجوم

ولتعزيز الدفاع في موقع اللطرون بدل السرايا التي سحبت للقيام بالهجوم ارسل قائد الكتيبة الرابعة المقدم حابس المجالي بناء على طلب من قيادة اللواء قوة مؤلفة من حوالي مائة جندي جمعها من مختلف سرايا كتيبته لكي تحتل جانبا من المواقع الدفاعية في اللطرون بدل السرايا التي سحبت منها . كما تم تجميع حوالي مائة وخمسين مناضلا من القرى القريبة وارسلوا كذلك الى اللطرون لتوزيعهم على مواقع السرايا لتكثيف دفاعاتها .

قام قائد الكتيبة الثانية بالكشف السريع على مواقع العدو ووضع خطة الهجوم ثم عاد الى منطقة الحشد وجمع قسم الامر لاعطائهم اوامره النهائية . وقد كانت خطته تقضي

بالهجوم على موقع قرية البرج على اعتبار انها تقع على ربوة عالية تشرف على المنطقة المحيطة بها وعلى الطريق الرئيسية. وقد ترك موقع قرية (بيراماعين) القريبة منها الى الجنوب لانه اعتقد انها خالية من القوات اليهودية عندما قام بالكشف على المنطقة . كما قرر ان تكون ساعة الصفر بتمام الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر . وان تتقدم سرية المدرعات في طليعة الهجوم تتبعها سريتا المشاة تحت ستار نيران المدفعية والاسلحة المساندة الاخرى . وقد انتخب طريق (بيت سيرا ـ اللطرون) والتي تبعد حوالي الف متر عن قرية البرج (الهدف) لتكون خط البدء وفي تمام الساعة الرابعة بعد الظهر بدأت المدفعية بقصف قرية البرج وتقدمت القوة المهاجمة نحو خط البدء وما ان وصلته حتى فتحت عليها نيران اليهود من مواقعهم في (بيراماعين) التي ظن قائد الكتيبة انها كانت خالية، وعندئذ لم يكن امامه خيار سوى التقدم بسرعة نحو قرية البرج لانه لا يمكنه بهذه اللحظة المتأخرة التوقف واعادة النظر في خطته اذن لتضاعفت اصابات جنوده . كما ان توقيت الهجوم كان سيئا لأن الشمس كانت وهي تنحدر للغرب قبيل غروبها تعكس اشعتها الساطعة على عيون الجنود اثناء تقدمهم نحو الهدف وكان قائد الكتيبة قد قرر قبول هذه المجازفة نظرا لضيق الوقت ولما كانت نيران المدفعية والاسلحة المساندة في البداية تتركز كلها على قرية البرج فقد تمكنت القوة اليهودية في (بيراماعين) من ايقاع العديد من الاصابات بين قواتنا وعلى الرغم من صعوبة الموقف وكثرة الاصابات بين جنودنا واصابة عدد من المدرعات المتقدمة ومن ضمنها مدرعة قائد السرية. فقد تمكنت سرايانا من الوصول الى قرية البرج واحتلت معظمها وطهرت خنادق اليهود فيها . ولكن القوات اليهودية تمكنت من شن هجوم معاكس قبيل غروب الشمس بقوة كبيرة ولم تتمكن سرايانا من الصمود طويلا امام هذا الهجوم نظرا لتناقص عددها بسبب كثرة الاصابات فاضطرت للانسحاب. وقد لاحقها اليهود بقذائف المدفعية والمورتر ونيران الرشاشات اثناء انسحابها عبر الارض المكشوفة فأوقعوا بين افرادها المزيد من الاصابات . ولكن على الرغم من ان هذا الهجوم لم يكن ناجحا بالشكل المطلوب نظرا للعديد من الصعوبات والاخطاء الا انه حقق الغاية الاساسية التي تم تنفيذه من اجل تحقيقها وهي ايقاف زحف العدو من مواقعه الحالية بالاضافة الى تكبيده خسائر كبيرة بالأرواح حيث قدرت اصاباته باكثر من مأتين بين قتيل وجريح . بينما كان مجموع خسائرنا ستون اصابة بين قتيل وجريح ومفقود وتدمير ثلاثة مدرعات ومدفع واحد (عيار ٦ رطل) ضد الدرع . وهي خسائر تعتبر عالية جدا بالنسبة الى حجم قواتنا المهاجمة . ولقد كان هذا الهجوم من اهم العمليات الحربية التي قامت بها وحدات الجيش العربي رغم محدوديته وذلك نظرا لخطورة الموقف العام على طول الجبهة انذاك وضرورة ايقاف زحف

اليـهود من تلك الجبهة بأي ثمن. وقد ابدى جميع الجنود والضباط شجاعة وبسالة نادرتين وتصـمـيمًا على القتال واستماتة في سبيل تحقيق الهدف. وقد ظهرت خلال هذا الهجوم أمثلة نادرة على الشـجـاعـة الفـردية من قـبل القـادة والجنود بمـخـتلف مراتبهم وعلى الرغم من التـضحيات الهائلة والشجاعة النادرة التي اتسم بها جميع الجنود وضباط الصف والضباط فـان هذا الهجـوم لم ينجح باحـتـلال مـوقع البرج لعدة اسباب . لكنه على اي حال نجح في تحـقـيق الغـاية الاسـاسية منه وهي ايقاف تقدم القوات اليهودية شرقا لاحكام الطوق حول موقع اللطرون .

اما اسباب فشل هذا الهجوم فيمكن تلخيصها بما يلي :.

أ ـ كـانت القوات اليهودية المتمركزة في موقع البرج وبيراماعين حوالي كتيبتين وخلفهما كتيبة في الاحـتـيـاط لان هذه القوة كانت محتشدة كجزء من الهجوم العام الذي سيوجه ضد مـوقع اللطرون، ومـعنى هذا ان القـوة المدافـعة عن اي موقع منها تعادل ضعف القوة المهـاجمة وهذا مخالف لاي منطق عـسكري ولهذا فـقـد كـان القيام بهذه العملية بقوة تعـادل نصف كـتـيـبة عمل خاطيء الا انه كان امرا ضروريا فرضته الظروف الطارئة حـيث لم يكن هنالك بد من المجـازفـة في وجـه التـهـديد الخطير الذي سينتج عن تقدم القـوات اليـهودية من هذا الجناح نحواللطرون . ولم تكن عملية الهجوم على البرج سـوى جـزء من عملية الدفاع عن موقع اللطرون الذي كان يجب ان يصمد بقوة الكتيبة الثانية فـقط امـام قـوات مـعـادية مـؤلفة من ثلاثة الوية . وقد كنا نعرف ان هذه هـي وقفتنا الاخيرة في مـواقع اللطرون وباب الواد ومن المسـتـحـيل ان نقـبل الانسحاب منها لاننا بهـذه الحـالة سـوف نخسر القـدس وباقي فلسطين الوسطى. ولذلك كـان على قـواتنا المدافـعة عن هذه المواقع ان تصمد فيها او ان تموت فيها .. وامام هذا الموقف كان لا بد من قـبـول المجـازفات الخطيرة مثل عملية الهجوم على مواقع (البرج) والتي نجحت على اي حـال بايقـاف تقـدم القـوات اليـهودية عند ذلك الحد ومنعها من اتمام الطوق حول اللطرون من الشمال . لقـد كـان هذا الهجـوم امرا حتميا فرضته علينا ظروف تطورات المعـارك بعـد احـتلال مدينتي اللد والرملة لان قوات العدو الامامية وصلت بعد ذلك الى مـوقع البرج وبيرامـاعين واصـبـحت تسيطر منهما على طريق مواصلاتنا بين اللطرون ورام الله . ولذلك كـان لابد لنا من مـهاجمة هذه المواقع لاخراجها منها او ايقاف تقدمها عندها .

وقـد كـانت النيـة تتـجـه الى تشكيل قـوة خـاصـة من سرايا الكتيبة الاولى للقيام بهذا

الهجـوم. ولكن عندمـا لم ينجح عـبد الله التل باقناع جنود الكتيبة الثانية الذين تمردوا وابلغ قـائد الفـرقـة بانه لابد من اشراكـهم في عـمليـة هجوم لرفع معنوياتهم قرر قائد الفـرقـة تغـيير طريقـة تجـميع القوة واسناد العملية الى الكتيبة الثانية رغم اننا لم نكن راغـبين بالاقدام على هذه المجازفة لان الهجوم الكبير على اللطرون بات وشيكا بالإضافة الى ان اسناد تنفيذ هذه العملية الى الكتيبة الاولى كان يقتضي تأجيلها مدة ٢٤ ساعة كما اسلفت وهذا غير مـقبول كذلك . اما بالنسبة الى حجم هذه القوة التي خصصت للهجوم فـقـد كان من المستحيل بذلك الوقت بالذات وفي تلك الظروف توفير قوة اكبر لان جميع قـواتنا كـانت مثبتة في مواقعها الدفاعية ومعظمها في حالة اشتباك مع العدو وكان علينا ان نعـالج الاحداث في جميع انحاء الجبهة وان نتصرف بالقوات المتوفرة لدينا على افضل الطرق التي توفـر اكبر قـدر من الامن وامكانيـات النجـاح لجميع قواتنا المقاتلة في كافة المواقع .

ب ـ لم تكن الاسـتـعدادات قبل العملية كافية. حيث تم الكشف من قبل قائد الكتيبة ووضع الخطة والمبـاشرة بالتنفـيـذ خلال فترة قصيرة. الامر الذي نتج عنه عدم اكتشاف جميع مـراكـز العـدو بشكل دقـيق. وعـدم تحديد حجمها الحقيقي. وقد ركز قائد الكتيبة كل اهتمامـه على مـوقع البرج واهمل مـوقع بيرامـاعين الواقعة جنوبها وقدر انها خالية من جنود العـدو . وقد اوقعه هذا الخطأ في مفاجأة خطيرة اثناء التقدم نحو الهدف وعرض جنوده لنيران كـثـيـفـة اثناء مـرورهم بارض مكشوفة وكبدهم خسائر بالارواح. وعلى الرغم من ان قائد الكتيبة قد برر موقفه هذا بسبب ضيق الوقت حيث كان ملزما بالبدء بالهجـوم خـلال سـاعتين فان الخطأ الذي ارتكبه كان خطيرا. ونظرا لضيق الوقت فقد حدد قائد الكتيبة ساعة الصفر بالساعة الرابعة والنصف بعد الظهر حيث كانت الشمس تميل الى الغـروب وبما ان اتجـاه الهجـوم كـان من الشرق الى الغـرب فـان وهج ضوء الشـمس كـان ينعكس على عيون جنودنا بقوة عنيفة . وكان لهذا الوضـع تأثير كبير على دقـة وفـعـالية نيرانهم. وعلى العكس كانت دقة وفعالية نيران العدو ذات تأثير كبير على جنودنا وأوقعت بهم اصابات كثيرة. وعلى الرغم من ان هذا ألتوقيت لا يتحمل مسؤليته قـائد الكتـيـبـة لانه تلقى امرا من قائد اللواء بالهجوم قبل حلول الظلام الا انه على اي حـال ارتكب خطأ خطيرا بعـدم اعطائه الاهتمام الكافي لتـحديد جميع مواقع العدو أثناء الكشف وركـز اهتمامـه على مـوقع البرج فـقط كما انه لو انتبه الى مسألة تأثير شعاع الشـمس عند الغروب على عيون الجنود لعرف انه كان عليه تغيير اتجاه الهجوم ومكان خط البـدء وان يتقدم من الشمال الى الجنوب ويبدأ هجومه من نقطة على التلال الواقعة

غرب مثلث بيت سيرا . اذن لكانت النتائج افضل بكثير. ورغم كل هذا فلم يحاسبه احد في تلك الظروف التي كان من السهل فيها ايجاد الاعذار لضابط انجليزي .

ج ـ تفوق القوات اليهودية المدافعة عن الموقع وتوفر الاحتياطي المباشر لديها مكنها من القيام بشن الهجوم المعاكس على قواتنا حال وصولها الى الهدف وقبل مرحلة التثبت وتحصين الموقع والتمركز في خنادق دفاعية تمكنهم من الصمود في وجه الهجوم مما اضطرهم للانسحاب المنظم ليتجنبوا المزيد من الاصابات بدون جدوى . لاسيما وان هذه القوة قد خسرت من افرادها حوالي ١٨ بالمائة اثناء الهجوم . ولم يكن لها امل بالبقاء طويلا في موقع البرج امام التفوق الساحق لقوات العدو المتواجدة حولها . وعلى الرغم من كل ذلك فإن عملية الهجوم على موقع البرج قد حققت هدفها لانها اوقفت تقدم العدو عند خط البرج ـ بيراماعين. وافشلت بالتالي محاولة تطويق مركز اللطرون من الخلف مؤقتا على الاقل واعطتنا فسحة من الوقت لمدة ٢٤ ساعة لكي نتمكن من اتمام نقل الكتيبة الأولى الى منطقة دير قديس ـ بيت سيرا . واعادة تنظيم خط الدفاع بكامله بشكل افضل قبل موعد وقف اطلاق النار .

وعلى هذا الاساس تم اعادة سرايا الكتيبة الثانية (التي قضت ليلتها بعد الانسحاب من البرج في منطقة بيت سيرا) الى مواقعها في اللطرون صباح يوم ١٧ تموز

رابعا : نقل الكتيبة الاولى الى جبهة دير قديس ـ بيت سيرا وعملياتها اللاحقة

بعد الانتهاء من معركة (قولة) وعندما تأزم الموقف حول منطقة اللطرون كان لابد من سحب هذه الكتيبة جنوبا الى منطقة دير قديس ـ بيت سيرا لايقاف تقدم العدو من تلك المنطقة وتوفير قدر معقول من الحماية لجناح اللواء الثالث الايمن . ودعم الدفاع في منطقة اللطرون بشكل عام . لاسيما وانه بعد فشل الهجوم على موقع البرج واعادة سرايا الكتيبة الثانية الى مواقعها السابقة في اللطرون لم يبق لدينا اية قوة متوفرة للدفاع عن المنطقة الممتدة من اللطرون حتى مثلث بيت سيرا . وعلى هذا الاساس تقرر نقل الكتيبة الاولى الى مواقع جديدة لدعم الدفاع وحماية تلك المنطقة . وقد بدأت حركتها الى مواقعها الجديدة صباح يوم ١٧ تموز حيث اسندت لها مهمة الدفاع عن المنطقة الواقعة بين اللطرون وحدود الجبهة العراقية .

ولتنفيذ الواجبات المسندة اليها قام قائد الكتيبة بتوزيع سراياها على المواقع التي تسيطر على طرق الاقتراب التي يمكن لليهود ان يتقدموا منها شرقا نحو خطوط دفاعاتنا كما يلي .

١ ـ قيادة الكتيبة ومعها سرية مشاة ـ في قرية خربثا

٢ ـ سرية مشاة (لاغلاق طريق اللد ـ بدرس) ـ في قرية دير قديس

٣ ـ سرية مشاة (لاغلاق معبر وادي الملاقي) ـ في مرتفع راس كركر

٤ ـ سرية المدرعات وفئة المورتر (٣ انش) ـ في قرية صفا شرق راس كركر (وترسل دوريات مستمرة نحو بيت سيرا)

وفي مساء ذلك اليوم كانت جميع هذه الوحدات قد اكملت تمركزها في مواقعها الجديدة حيث كان يوم ١٧ تموز قد مضى هادئا نسبيا في هذا الجزء من الجبهة وقد أنصرف اهتمام اليهود بعد انتهاء معركة البرج في اليوم السابق الى الاستعداد لمعركة اللطرون الرئيسية التي حشدوا لها جميع الالوية المتوفرة لديهم في المنطقة بقصد احتلالها نهائيا هذه المرة بعدما فشلت جميع محاولاتهم السابقة .

وكما اتضح لنا من تحركاتهم فانه يبدو انهم صرفوا النظر عن حركة الالتفاف من الشمال حول منطقة اللطرون والانطلاق نحو رام الله لاسيما وانه لم يبق امامهم من الوقت سوى ٤٨ ساعة قبل موعد وقف اطلاق النار الذي قرره مجلس الامن الدولي ليبدأ اعتبار من يوم ١٨ تموز . كما ان المعارك التي سوف يتعرضون لها في حركة الالتفاف الواسعة قد تستغرق وقتا طويلا وستعرضهم الى مخاطر كثيرة تجعل فرص نجاحهم غير مضمونة ولكنهم على أي حال قرروا القيام بهجوم ثانوي محدود في قاطع الكتيبة الاولى بهدف احتلال بعض التلال المشرفة على مثلث بيت سيرا لاشغال هذه الكتيبة في معارك جانبية لكي يثبتوها ويحولوا دون اشتراكها في معركة اللطرون الرئيسية المقبلة . ففي ليلة ١٨/١٧ تموز حركوا كتيبة مشاة من منطقة اللد باتجاه مثلث بيت سيرا عبر (وادي الملاقي) الذي يمر من امام مرتفع راس كركر الذي تمركزت فيه سرية مشاة من الكتيبة الاولى . وكما يظهر فان اليهود لم يكتشفوا وجودها هناك . وحوالي الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم ١٨ تموز عندما وصلت طليعتهم الى الشمال من مرتفع راس كركر فوجئت بنيران الدورية الثابتة التي سبق ان ارسلها قائد الكتيبة الى وادي الملاقي لهذه الغاية . فتوقفت القوة اليهودية وانحرفت الى اليمين واخذت تصعد سفح مرتفع راس كركر .

ولما كانت تعتقد ان هذا المرتفع خال تماما من قواتنا فقد تمركزت على طرفه الجنوبي غير بعيد عن مواقع سريتنا واخذ جنودها يحفرون الخنادق الدفاعية. وعندما مرر قائد السرية هذه المعلومات الى قائد الكتيبة الأولى امره بالاستعداد للهجوم على القوة اليهودية بعد ان يتم قصفها بمدافع المورتر الموجودة في قرية (صفا). وبنفس الوقت حرك قائد الكتيبة

سرية المدرعات من قرية صفا لكي تطوق مواقع اليهود من جهة الجنوب . وبعد قصف دام حوالي نصف ساعة بمدافع المورتر تقدمت سرية المشاة بالهجوم عند شروق الشمس وبنفس الوقت فتحت سرية المدرعات نيرانها على مواقع اليهود الذين اصبحوا الان محصورين بين القوتين ولم يتمكنوا من المقاومة كثيرا وبدأوا بالانسحاب على وجه السرعة نحو قرية (شلتا) وما لبث انسحابهم حتى تحول الى هزيمة . فاخذت المدرعات تلاحق فلولهم بين الشعاب والاودية وتلحق بهم الكثير من الاصابات وبنتيجة هذ المعركة ترك اليهود ١٢٠ مائة وعشرين قتيلا في ارض المعركة وكميات من الاسلحة والذخائر المختلفة .
ولقد كان انتصار الكتيبة الاولى بهذه المعركة ينطوي على اهمية خاصة للاسباب الآتية

١ ـ لانها منعت وصول اليهود الى مثلث بيت سيرا البالغ الاهمية وكبدتهم خسائر فادحة بالارواح .

٢ ـ لان هذا الانتصار جاء على اثر فشل الهجوم على موقع البرج فكان بمثابة انتقام سريع لشهدائنا فيها .

٣ ـ لان اليهود جربوا عنف الصدام وقوة الدفاع في هذه المنطقة فعرفوا انه لا جدوى من اثارة المعارك الجانبية فيها ولذلك لم يكرروها .

٤ ـ لان هذا الانتصار كان مهما لمعنويات جنود هذه الكتيبة الذين شعروا وكانهم خارج الحرب عندما قضوا عدة ايام في السفر الى غور الجفتلك والعودة منه بينما كان زملاؤهم يقاتلون في مختلف المعارك. وقد كانت معركة راس كركر اول انتصار يحققونه بعد عودتهم من الغور. لاسيما وان معركة (قولة) التي خاضتها احدى سرايا هذه الكتيبة قبل ثلاثة ايام لم تكن بهذا المستوى من حيث الحجم والنتيجة

هذا ولقد قام اليهود بمحاولة اخيرة صباح يوم ١٨ تموز في هذه المنطقة حيث تقدمت قوة تقدر بحوالي سريتين باتجاه بيت سيرا من منطقة بيراماعين للاستيلاء على مثلث الطرق هناك . فتصدت لها السرية الخامسة واشتركت معها ثلاثة مدرعات من الكتيبة الاولى كانت تقوم بمهمة الدورية بين قريتي صفا وبيت سيرا . وقد اجبرت القوة اليهودية على التراجع بعد تكبيدها عددا كبيرا من الاصابات .

خامسا : ـ الهجوم الرابع والاخير على اللطرون وباب الواد ـ ١٨ تموز

كان موقع اللطرون بهذه الاثناء شبه مطوق من الغرب والشرق والجنوب حيث كان

اليـهـود خـلال الايام القليلة التي سـبـقت موعد الهدنة الثانية قد تمكنوا من توسيع مناطق كـتـائبـهم المتقدمة حول اللطرون من الغرب والشرق بحيث اصبحت المسافة التي تفصل بين وحـداتهم الامـامـيـة في منطقـة البرج وبيرامـاعين في الغرب وبين وحداتهم التي كانت تحتل مرتفعا مشرفا على قرية بيت نوبا في الشرق حوالي ثلاثة كيلو مترات فقط كما كانت وحداتهم الامـامـيـة في منطقـة البرج تسـيطر على طريق مـواصلاتنا بين بيت سيرا واللطرون . ولكن الهدوء كـان يسيطر على تلك المنطقة طيلة يوم ١٨ تموز. وعلى الرغم من خطورة الموقف فان الجـو السـائد كان يشير الى قرب انتهاء القتال . حيث كان قد تحدد موعد وقف اطلاق النار بالسـاعـة الخـامـسـة من مـسـاء ذلك اليوم الا ان اليهود كانوا في الواقع قد اعدوا للهجوم الاخير الذي كـانوا يأملون بنتـيـجته ان يحتلوا مواقع اللطرون بسرعة قبل حلول موعد وقف اطلاق النار . امـا من جـانبنا فقد كانت القوة المتواجدة في بناية مركز بوليس اللطرون عبارة عن فئة مـشـاة تسندها حظيرة مـورتر (٣ انش) من مـدفـعين . وحظيرة رشـاش متوسط (فكرز) من رشـاشين وحظيرة مدافع ضد الدرع (٦ رطل) من مـدفعين . تم تركيز احدهما على سطح البناية والاخـر في السـاحة الخارجية ، واما باقي سرايا الكتيبة الثانية فقد كانت في مـواقعها في مرتفعات اللطرون المسيطرة على طريق وادي الصرار وطريق باب الواد .

وعند الظهيرة كـان قـائد الكتـيـبة الميجر (لوكت) قد ذهب الى قيادة اللواء وبقي مساعده الرئيس (برومـيج) واركـان حـرب الكتـيـبـة الملازم عكاش الزبن في قـيادة الكتيبة وحوالي السـاعـة الثـانية بعد الظهر بدأ زحف القوات اليهودية التي كانت تتألف من لواء مشاة ولواء مـدرع وكـانت الدبابات تنـقـدم في طليـعـة الهجـوم وتتبعها ناقلات الجنود المدرعة وخلفها الشـاحنات التي تحـمل جنود لواء المشـاة. وعندمـا اتضح ان هذه القـوة تتقدم للهجوم على مـواقع الكتـيـبة الثانية اتصل اركان الحرب مع قائد اللواء الزعيم (اشتن) ليبلغه عن الهجوم ويطلب اسناد مدفعية الميدان وذلك لان الامر باطلاق نيران المدفعية كان في ذلك الوقت منوطا بقـائد اللواء شـخـصـيـا نظرا للنقص الخطير الذي كنا نعانى منه في قنابل المدفعية . وما ان اقتربت قـوة الهجـوم من مـواقـعنا حـتى فـتحت نيران اسلحتها الثقيلة من المدفعية والمورتر الثـقيل وخلافها على جميع دفاعات الكتيبة الثانية بكثافة هائلة . وقد ركزت الدبابات قصفها على بناية مـركـز البوليس لتدمير مواقع اسلحتنا ومدافع ضد الدروع بالدرجة الاولى . ولكن دباباتهم هذه عندمـا دخلت ضـمن مسافة مرمى مدافع ٦ رطل اطلقت عليـها قذائفها بكثافة فـاعطبت احـدى الدبابات المعـادية الثـلاثة ولكن الدبابتين البـاقيتين استمرتا بتقدمهما نحو مـركـز البـوليس وهما تقـصـفان استحكاماته التي كانت مبنية من اكياس الرمل ولكن هذا القصف لم يخترقها بكاملها لانها كانت مبنية من عدة طبقات مما ساعد جنودنا على الصمود

فيها رغم شدة القصف . ولكن على اي حال فقد تمكنت دبابات العدو المهاجمة من تدمير احد المدفعين (٦ رطل) وقتل جميع جنوده الا ان المدفع الاخر استمر بقصف هاتين الدبابتين وتمكن من اعطابهما اخيراً .

وتحت تأثير النيران المكثفة التي انهالت على القوة المهاجمة من مدفعية الميدان وجميع الاسلحة الاخرى التي بحوزة الكتيبة الثانية اضطرت الى التوقف لاعاة التنظيم . وكان من نتيجة الاصابات الكبيرة التي منيت بها القوة اليهودية وخصوصاً بين جنود المشاة انهم لم يتمكنوا من مواصلة الهجوم رغم انهم مكثوا مدة طويلة في الوادي الذي انتشروا فيه وهم يحاولون اعادة التنظيم .

وكما اتضح لنا من محصلة هذا الهجوم ومن تقديرنا لطريقة تنفيذه ان اليهود لم يتمكنوا من تنفيذ خطتهم كما وضعوها في الاصل بسبب المقاومة العنيفة التي واجهوها من قبل جميع مواقعنا الدفاعية ولان دباباتهم لم تنجح في تدمير دفاعاتنا في مركز البوليس حيث بقي المدافعون عن هذا المركز يصلونهم نارا حامية من مدافع ٦ رطل والمورتر من داخل المركز ويوقعون بهم اصابات كثيرة بالاضافة الى النيران الفتاكة التي كانت تصبها عليهم مدفعية الميدان وتفتك بجنودهم منذ بداية الهجوم وقد اتضح ان هنالك خللا في توقيت الهجوم وتنفيذ خطته من اساسها الامر الذي تسبب بفشله حيث انهم اجبروا على الانسحاب حوالي الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر قبيل موعد بدء الهدنة دون أن يحققوا شيئا ملموسا من هذا الهجوم . وقد تكبدوا خسائر فادحة بالارواح والمعدات كان معظمها بنتيجة قصف المدفعية المركز . حيث تركوا العديد من الشاحنات وناقلات الجنود المحترقه وكميات من الذخائر والمعدات الاخرى . كانت خسائر الكتيبة الثانية ستة شهداء واربعة جرحى خلال هذه المعركة السريعة التي دامت ساعتين ونصف . وهكذا فشل آخر هجوم شنته القوات اليهودية ضمن سلسلة المعارك التي خاضتها لاحتلال اللطرون دون جدوى .

سادسا : عمليات الكتيبة الخامسة

لم تحدث في جبهة الكتيبة الخامسة خلال هذه الفترة عمليات رئيسية مهمة بل اقتصرت على القصف المدفعي والتعرضات المحدودة من قبل الدوريات المقاتلة والهجمات الصغيرة . فقد كانت هذه الكتيبة في مواقعها في منطقة (بدو) و(الرادار) تحقق مهمتين اساسيتين .

أ ـ السيطرة على القطاع الشرقي من طريق القدس .

ب ـ دعم دفاعات الكتيبتين الرابعة في باب الواد والثانية في اللطرون .

كما انه بعد ان تم نقل الكتيبة الاولى الى مواقعها الجديدة بين دير قديس وبيت سيرا وتثبيتها في الدفاع عن ذلك القطاع المهم الواقع الى الشمال من منطقة اللطرون اصبحت الكتيبة الخامسة بمثابة الاحتياطي الوحيد المتيسر لدى قيادة الفرقة ، فاذا حدثت حالة طارئة قصوى يمكننا عندئذ ان نجازف بترك سرية واحدة لحماية موقع الرادار وسحب باقي الكتيبة للقيام بهجوم معاكس على مواقع الخطر حسب تطور المعركة تماما كما سبق وان اتخذنا مثل هذا الاجراء مع الكتيبة الثانية التي كانت بنفس الموقع عندما شكلنا القوة المختلطة للهجوم على الشيخ جراح في القدس .

وعلى هذا الاساس فقد قمنا في قيادة الفرقة بوضع بعض الخطط الاحتمالية لمثل هذه الحالات المتوقعة ولكننا لم نضطر لتطبيقها وبقيت الكتيبة الخامسة في مواقعها التي كانت تدافع عنها والتي كانت في غاية الاهمية لسلامة الجبهة بكاملها .

وكما اسلفت فان القوات اليهودية لم تقم بعمليات تعرضية كبرى في جبهة هذه الكتيبة حيث كانت حركاتها محصورة بارسال الدوريات المقاتلة لتتعرض لبعض المواقع المتقدمة والتي كانت وحدات الكتيبة تتصدى لها وتردها على اعقابها . ومن هذه العمليات المحدودة محاولة احتلال تل مهم كان يعرف باسم (خراب اللحم) يقع بالقرب من قرية (قطنا) في باب الواد مقابل مستعمرة الخمسة حيث تحركت قوة قوامها سرية مشاة من هذه المستعمرة لاحتلال مرتفع خراب اللحم صباح يوم ١٨ تموز . وقد كانوا يهدفون من هذه العملية اشغال الكتيبة الخامسة وتثبيتها في مواقعها الحالية لكي لا نستطيع استخدامها لتعزيز الكتيبة الثانية في منطقة اللطرون عندما يبدأ الهجوم عليها بعد ظهر ذلك اليوم اذا اقتضى الامر . وقد كانت الكتيبة الخامسة فعلا لاتزال مشغولة بمعركة خراب اللحم ومصادمة دورية اخرى عندما بدأ الهجوم على اللطرون بعد الظهر .رغم ان هذه العمليات المحدودة ما كانت لتمنعنا من تحريك الكتيبة الخامسة (ربما تنقص سرية) لنستخدمها بهجوم معاكس خارج منطقتها فيما لو حدثت تطورات خطيرة تجبرنا على قبول مثل هده المجازفة لاسيما وان الكتيبة الخامسة كانت بهذه الفترة هي الكتيبة الوحيدة التي نستطيع استخدامها كاحتياط في عمليات خارج منطقتها حيث ان جميع كتائبنا الاخرى كانت في حالة اشتباك مستمر مع العدو ومثبته في مواقعها بالدفاع

وعلى اي حال فعندما وصلت السرية اليهودية الى قرب قرية قطنا تصدى لها بعض المناضلين من سكان القرية ولكنها تغلبت عليهم واستمرت في طريقها نحو خراب اللحم . وعندما وصلت الاخبار عن هذه السرية الى قائد الكتيبة الخامسة ارسل قوة من الكتيبة

لمواجـهـتـهـا. وقد انضم الى هذه القوة عدد من المناضلين اثناء تقدمها وقد وصلت الى موقع خـراب اللحم حـوالي السـاعـة الخـامسة صباحا وتمكنت من شن هجوم معاكس فاجأ القوة اليـهودية قبل ان تتمكن من تحصين مواقعها والتثبت فيها. وقد دار قتال عنيف استمر حتى سـاعـات الظهيرة حـيث اضطرت القـوة اليـهـودية للانسحاب بعد ان تكبدت خسائر كبيرة بالارواح وتركت ثلاثين قتيلا على ارض المعركة من بينهم قائد السرية .

وتحـسـبـا لاحـتمال قـيـام اليـهـود بهجوم معاكس ارسل قائد الكتيبة القوة الاحتياطية المتـحـركـة المتـوفرة لديه لتعزيز القوة الاولى في عملية الدفاع عن موقع خراب اللحم وتثبيت الدفاع عن تلك المنطقة لتمكينها من الصمود امام الهجمات المحتملة مستقبلا .

وبهذه الاثناء دفع اليهود دورية مقاتله اخرى لتخترق المنطقة بين مواقع الكتيبة الخامسة والكتـيـبة الرابعة ولتصل إلى الطرق الخلفية بهدف جذب انتباه الكتيبة الرابعة الى هذا التهديد الجـديد من خلفـهـا فـتنشغل عن المعركة الرئيسية التي كانت بهذه الفترة محتدمة في منطقة اللطرون . فـقـام قـائد الكتيبة الخامسة كذلك بارسال فئة مشاة للتصدي للدورية اليهودية وتمكنت من اكتشافها والاشتباك معها وردها على اعقابها بعد تكبيدها عددا من الاصابات .

ورغم ان هذه العـمليـات كـانت تجـري في نفس الوقت الذي كـانت فيه معركة اللطرون محتدمة على اشدها الا ان صمود جنود الكتيبة الثانية وضباطها وتضحياتهم الهائلة في وجه الهجـوم السـاحق الذي شنه اليـهـود قـد افـشل مخططاتهم وقلب حساباتهم واجبرهم على الانسـحـاب من امـام مـواقع اللطرون . ولم يبق بعـد ذلك لزوما لاستخدام اية وحدات من الكتـيـبـة الخـامـسـة لتعزيز دفاعات اللطرون او شن هجوم معاكس هناك رغم اننا كنا قد وضـعنا في قيادة الفرقة خطة احتياطية لمثل هذا الاحتمال وبالنتيجة فان تعرضات اليهود في منطقة الكتيبة الخامسة لم تحقق اهدافها .

سابعا : العمليات في مدينة القدس

عندمـا بدأ اليهود بتنفيذ المرحلة الاولى من عملية احتلال اللطرون حالما انتهت فترة الهدنة الاولى وذلك بزحـفـهم لتطويق واحتلال مدينتي اللد والرملة يوم ٩ تمـوز بدأوا بنفس الوقت بتنفـيـذ المرحلة الاولى من العـمليـات المخـتلفـة التي خططوا لها لاحـتلال مدينة القدس من الداخل. ففي ليلة ٩/ ١٠ تموز قـامت سرية من اليـهـود المجندين التي سبق لها ان اشـتركت بجـمـيع العمليات بالقدس طيلة مرحلة القتال الاولى باحتلال التلة التي تسيطر على بلدة عين كـارم، ، بنفس الوقت تحـركت سرية اخرى من منظمة (شتيرن) للهجوم على تلة تشرف على

طريق (عين كارم ـ المالحة) ولكنها لم تبلغ هدفها حيث اشتبكت مع المدافعين عنها فاضطرت للانسحاب بعدما تكبدت بعض الخسائر .

كانت مهمة الدفاع عن قرى عين كارم وصوبا والمالحة والتي تقع جميعها في الطرف الجنوبي الغربي من مدينة القدس منوطة بالقوات المصرية والمناضلين المحليين ولكن المصريين الذين كانوا متواجدين في الخليل وبيت لحم لم يقوموا بتعزيز هذه القرى اثناء الهدنة . ولذلك فان دفاعاتها لم تكن قوية بحيث يمكنها الصمود امام الهجمات المركزة ففي ليلة ١٣/ ١٤ تموز شن اليهود هجوما على قرية المالحة وتمكنوا من احتلال جزءا منها ودارت معركة استمرت طيلة اليوم . فارسل قائد الكتيبة السادسة قوة صغيرة ومعها مدرعتين ومدفعي (مورتر ٣ انش) لنجدة المالحة. وقد تمكنت هذه القوة من التأثير المباشر في المعركة حيث استطاع المدافعون صد هجوم اليهود، ولكنهم مالبثوا ان شنوا هجوما جديدا بقوة اكبر واحتلوا القرى الثلاثة .

اما في مدينة القدس نفسها فقد اقتصر القتال في البداية على تبادل القصف المدفعي والاشتباك بنيران الاسلحة الخفيفة بين المواقع الدفاعية من الجانبين على طول الجبهة في البلدة القديمة والاحياء الجديدة .وقد ازداد قصف اليهود المدفعي كثافة يومي ١٠/ ١١ تموز حيث سقط عدد كبير من قنابل المدفعية وراجمات الالغام على جميع احياء المدينة القديمة وقد اصابت احدى هذه القنابل قبة الصخرة المشرفة واحدثت فيها ضررا بالغا .

وبهذه الاثناء باشرت مدفعيتنا بقصف كافة الاحياء اليهودية في القدس الجديدة واوقعت فيها اضرارا كبيرة وكبدت اليهود خسائر جسيمة وعندئذ اصبح واضحا لنا من تحركات قواتهم وكثافة القصف المدفعي على مختلف طرق الاقتراب والمواقع العسكرية الامامية بانهم يستعدون لهجوم عام على جبهة الكتيبة الثالثة عبر منطقة الشيخ جراح للاتصال بمرتفع المشارف (سكوبس) حيث تقع هداسا والجامعة العبرية. ومن ثم احتلال المدينة القديمة بنفس الوقت الذي كانوا يتوقعون فيه ان تنجح قواتهم المتقدمة نحو اللطرون باحتلاله والانطلاق منه نحو مدينة رام الله. وبالتالي تصفية الجبهة الاردنية بكاملها بضربة كبرى واحدة .

ومن هنا كان لزاما علينا الاحتفاظ بقلعة اللطرون ومرتفعات باب الواد باي ثمن. كما كان يتحتم علينا ان لا نسمح باي اختراق عبر خطوط الكتيبة الثالثة او بخلخلة الدفاعات في مدينة القدس القديمة على طول جبهتها. وبالتالي فانه كان يجب ان نثبت في خطوطنا الحالية مهما بلغت التضحيات. وعندما نعرف انه لم يكن لدينا في ذلك الوقت اية قوات احتياطية

لتعزيز دفاعاتنا الحالية او لتعويض الخسائر او القيام بهجوم معاكس عند الضرورة يتضح مدى خطورة موقفنا والصعوبات التي كنا نواجهها في قيادة الفرقة لمواجهة هذه الاخطار وتأمين متطلبات القتال الطارئة. ولقد كانت تلك ايام عصيبة تزخر بالمفاجئات التي كان علينا مواجهتها بكل جرأة وثبات وصبر. ووضع الخطط الطارئة للتصدي لها والتغلب عليها بما هو متيسر لدينا من موارد ضئيلة من الاسلحة والمعدات والذخائر والجنود . ونحن نعرف ان اي موقع رئيسي نخسره قد يؤدي الى حدوث اختراق خطير في خطوطنا والى احتمال انهيار جبهتنا بكاملها ان لم نتمكن من ايقافه بسرعة . لاسيما وان المعارك في معظم الحالات كانت تجري في عدة مواقع من الجبهة في آن واحد . الامر الذي يصعب علينا معه نقل اي قوة مهما كان حجمها من موقع الى آخر إلا في الحالات الطارئة البالغة الاهمية نظرا لما ينطوي عليه مثل هذه الاجراءات من مجازفة .

كانت مدينة القدس تتعرض للقصف الشديد من نيران المدفعية والمورتر على طول خطوط الجبهة من الجانبين منذ ابتداء فترة القتال الثانية بتاريخ ٩ تموز. وقد كان اليهود بهذه الاثناء يستعدون للهجوم من الداخل لاحتلالها بوقت يتزامن مع معركة اللطرون الرئيسية كما اسلفت. وقد بدأ هجومهم الاول في قاطع الكتيبة الثالثة بالساعة الثامنة من مساء يوم ١٢ تموز بعد ان مهدوا له بقصف شديد من راجمات الالغام ومدافع المورتر لمدة ساعتين . ورغم ان هذا النوع من القصف كان شبه مستمر على جميع انحاء المدينة الا انه كان واضحا من شدة وكثافة القصف خلال هذه الفترة ان الهجوم اصبح وشيكا . وقد حرص اليهود على ان يشمل قصفهم معظم مناطق القدس القديمة وطرق الموصلات الخلفية وذلك بقصد جذب انتباهنا بعيدا عن منطقة الهجوم الحقيقية .

وما لبثت قواتهم حتى بدأت تقدمها نحو مواقع الكتيبة الثالثة في حي المصرارة المقابل لبناية النوتردام والاحياء اليهودية الواقعة غربها. وكان هدفهم واضحا حيث انهم لو اخترقوا دفاعات السرية المتمركزة هناك سوف يصلوا بسرعة الى منطقة وادي الجوز الواقعة امام مرتفع المشارف (سكوبس) مباشرة. وبهذه الحالة سوف يصبح خط تقدمهم يمر من خلف دفاعاتنا في حي الشيخ جراح. وسوف يمكنهم عندئذ دفع المزيد من القوات بسرعة لاحتلال الشيخ جراح من الخلف .

ولمساعدة هذا الهجوم الرئيسي قام اليهود بعمليتين فرعيتين بنفس الوقت ٠ كانت العملية الأولى أنهم أشتبكوا بكثافة مع دفاعاتنا في مركز بوليس الشيخ جراح المقابل لمنطقة (سنهادريا) وتقدموا بقوة فرعية نحو المركز لإشغال مواقعنا الأمامية في تلك المنطقة وجذب

انتباهنا الى جهة الغرب على القوة المتقدمة نحوها من سنهادريا بينما سوف يأتي الخطر الحقيقي علينا من الخلف من جهة وادي الجوز بعد أن يكون هجومهم قد نجح باختراق مواقعنا في حي المصرارة .

وأما العملية الثانية فكانت على شكل دورية مقاتلة تقدمت عبر وادي شعفاط الذي يؤدي الى التل الفرنساوي المواجه الى هداسا من جهة الشمال والذي يعتبر موقعاً حيوياً هاماً بالنسبة لجميع مواقعنا في حي الشيخ جراح، وكذلك بالنسبة لطرق مواصلاتنا الخلفية وكان تقدير اليهود أنه عندما تظهر هذه الدورية في قرية شعفاط أو التل الفرنساوي من خلف خطوطنا سوف يؤدي هذا إلى ذعر وفوضى بين قواتنا الأمامية التي سوف تعتقد للوهلة الأولى أن القوات اليهودية قد نجحت بإحداث اختراق كبير في جبهتنا من الخلف وأنها أصبحت مطوقة. ولكن لحسن الحظ أن هذه الدورية تم إكتشافها في مدخل الوادي من الغرب وقصفت بالمورتر والرشاشات وانسحبت على أعقابها بعدما خسرت عدة إصابات .

وأما في مركز بوليس الشخ جراح فقد استمر الاشتباك بين قواتنا والقوة اليهودية في منطقة سنهادريا وتم تثبيتها ومنع تقدمها نحو مواقعنا أما المعركة الرئيسيه في حي المصراره والمواقع المقابلة لها فقد استمرت طيلة الليل واشتركت فيها الكتيبة السادسه من مواقعها على سور المدينة القديمة في منطقتي باب العمود والباب الجديد حيث اطلقت من هناك نيران اسنادية كثيفة لحماية الجناح الأيسر لسرية الكتيبة الثالثة بالرشاشات ومدافع المورتر الثقيل (٤,٢ بوصه) الموجودة في رأس العمود على مواقع اليهود لإعاقة تقدمهم. وقد تكبد اليهود خسائر كبيرة بالأرواح ونجحت الكتيبة الثالثة بصمودها في إحباط الهجوم اليهودي الذي كانوا يعلقون عليه آمالاً كبيرة وانتهى بإنسحاب ما تبقى من جنودهم عند الفجر يوم ١٣ تموز ولكن القصف المدفعي والاشتباك بنيران الاسلحة الخفيفة استمر في جميع أنحاء القدس طيلة الايام اللاحقة.

هذا وقد كان اليهود يحتلون عدة بنايات في مواقع متقدمة من طرف حي مشيرم والمنطقة المحاذية لها والتي صارت تعرف فيما بعد بإسم (مندلبوم) وكانت هذه الابنية تسيطر على الطريق الرئيسية التي تصل حي الشيخ جراح مع باب العمود .

ولذلك كان لابد لنا من احتلالها لحماية هذه الطريق من جهة ولتحسين وضع الخط الدفاعي في تلك المنطقة من جهة ثانية. ولكن الكتيبة الثالثة وسرايا المشاه الملحقة بها كانت جميعها مثبتة في مواقعها الدفاعية ولا تكاد تتمكن من صد الهجمات المتلاحقة التي كانت تتعرض لها ولعدم وجود أية قوات احتياطية لدينا لم نتمكن من تزويد هذه الكتيبة بأي قوة

إضافية لكي تستطيع شن الهجوم على هذه البنايات واحتلالها لاسيما وأن الأهمية القصوى اصبحت الآن تعطى للحفاظ على مواقع اللطرون وباب الواد في وجه الهجمات الساحقة التي كانت تتعرض لها باستمرار. ولابد أن نشير هنا إلى حقيقة أن جميع الجيوش العربية كانت تتخذ موقف الدفاع على طول امتداد جبهاتها منذ بدء فترة القتال الثانية. وهذا الموقف مكن اليهود من حشد معظم قواتهم مقابل الجبهة الأردنية بقصد اختراق منطقة اللطرون وباب الواد واحتلال مدينة القدس ثم الانثناء على الجبهات العربية الأخرى بوقت لاحق

وبعد انتهاء الهجوم الأول الذي شنته القوات اليهودية على مواقع الكتيبة الثالثة ارسلت لنا قيادة الجيش سرية مشاه من الجنود الاغرار الذين أكملوا تدريبهم الأولي حديثاً. فحولناها رأساً إلى الكتيبة الثالثة لكي تستخدمها في الدفاع ويصبح بإمكانها سحب بعض سراياها من خط الدفاع الثابت وتقوم بالهجوم على بعض البنايات التي تقرر احتلالها في حي (مشيرم) وعندئذ تمكن قائد الكتيبة الثالثة من تشكيل قوة هجوم خاصة مؤلفه من سرية المشاه الثانية وسرية القيادة. وقد وضعت سرية المدرعات بإسناد الهجوم وتولى قائد الكتيبة قيادة هذه العملية. وقد بدأ القصف التمهيدي من مدفعية الميدان والمورتر على مواقع العدو في منطقة الهجوم بالساعة السابعة صباحاً. وبالساعة الثامنة نقلت المدفعية قصفها الى المواقع الخلفيه وبدأت سرايا المشاه تقدمها. واحتدم القتال حيث كان اليهود يتحصنون بداخل البنايات وأصبح القتال يدور من غرفة إلى غرفة وكانت نسبة الإصابات لدى الطرفين عالية. واستمرت هذه المعركة حتى الظهيرة حين أكملت سرايا الهجوم احتلال جميع أهدافها التي كانت تشمل عدة بنايات أهمها عمارة (المندلبوم) وعمارة الأوقاف. وقد أصبح خط دفاعنا متصلاً ومتماسكاً في ذلك القطاع. وأصبحت طريق الشيخ جراح المؤدية الى باب العمود محمية من نيران اليهود .

وعلى الرغم من توقف هذا الهجوم عند الحدود التي وضعت له إلا أن التراشق بنيران الاسلحة المختلفة إستمر طيلة ساعات النهار. وكانت حدة نيران قصف اليهود من راجمات الالغام ومدافع المورتر قد ازدادت أثناء الليل. وكان معظمها يسقط في مختلف أحياء مدينة القدس القديمه داخل الأسوار .

وبما أن قرار مجلس الأمن الدولي بوقف إطلاق النار سوف يصبح ساري المفعول إعتباراً من الساعة الخامسة صباح يوم ١٧ تموز فقد أصبح واضحاً أن اليهود سوف يحاولون القيام بجهد أخير خلال الساعات الباقية لكي يردوا على الخسارة التي حلت بهم بنتيجة هجوم الكتيبة الثالثة في الصباح .

وقـد كـنا نقـدر أنهم سـوف يقـومـون بهجـوم في مناطق جنوب القـدس أو على مناطق الاسـوار. وأهمها حيوية منطقة باب النبي داوود التي سبق أن قاموا بعدة محاولات للدخول منهـا وقـد نجـحـوا في إحـداها واتصلوا مع الحي اليـهودي قبل أن نقوم بإحتلاله. ولحسن الحظ أن قـيـادة الجيش قررت بهذه الاثناء سحب السرية الثانية عشر من الخليل الى القدس لأن المصريين اصروا على أن نترك لهم مـسـؤوليـة الدفـاع عن تلك المنطقـة. وقد وصلت هذه السرية بنفس اليـوم الى القـدس وتم الحـاقها بأمرة قائد الكتيبة السادسة لكي يستخدمها في تقـوية دفـاعاته. وبينما كنا نتوقع ان يشن اليهود هجوماً مركزاً على المدينة القديمة من جهة واحـدة ليـحـاولوا دخولها بقوة كافية ظهر انهم قاموا بهذه المحاولة من جهتين وربما أنهم بنتـيـجـة الهجـوم الذي شنته الكتيبة الثالثة في الصباح على منطقة (مشيرم) اعتقدوا أنه من الممكن أن تسـتانف هذه الكتيبة هجومها أثناء الليل. ولذلك لم يجازفوا بتخفيف حجم قواتهم أمـامـهـا. وعلى هذا الأسـاس كـانت محاولاتهم التي قـاموا بها بعد منتصف الليل محدوده واقـتصرت على حـجم كـتـيـبـة مـشـاه تحاول اقتحام الباب بعد نسفه واحتلال تلك المنطقة والأسوار المحيطة بها .

وكـان من الممكن طبـعـاً أنه في حـالة نجـاحـهم في نسف احد الأبواب والدخول منه بقوة صـغيرة أن يعززوها بسرعة بقوة أكبر لكي يحتفظوا بتلك المنطقة بعد ان يكون قد حان موعد وقف إطلاق النار. وعندئذ تصـبح لديهم نقطة مساومه مهمة في المفاوضات تؤهلهم للمطالبة بالعـوده الى الحي اليهودي بداخل المدينة القديمة الذي كانوا قد خسروه في فترة القتال الأولى ولو كـان هذا التـحليل صـحيحاً فإنه سيكون هدفاً متواضعاً جداً إذا ما قورن بالهدف الذي وضـعـوه لهجـومـهـم الأول قـبل يومين في قـاطع الكتيبة الثالثة الذي كانوا يأملون في حالة نجـاحـه ووصـولهم إلى جـبل المشـارف (سكوبس) أن يطوقـوا القـدس القـديمة ويحتلوها بكاملهـا. وخصوصاً أنهم كانوا يأملون أن يخترقوا دفاعات اللطرون في نفس الوقت ويصفوا بهذه الحـالة كـامل الجـبـهـة الأردنية. ومهما كانت خطط اليهود فإن صمود كتائب الجيش العـربي واسـتماتة جنودنا وضـبـاطنا في الدفاع عن مواقعهم أفشل تلك الخطط وقلبها رأساً على عقب .

لقد كان هذا اليوم ١٦ تموز مليئاً بالأحـداث. وسأبين تاليـاً تسلسل تلك الأحداث حسب توقيت حدوثها خلال ذلك اليوم في جميع ارجاء جبهتنا .

أحـبـبت أن أذكـرها هنا لأنها تعطي مـثالاً جيداً عن كيفية النشاطات التي كنت أقوم بها بحـسب طبـيـعـة عـملي ومـسؤولياتى كركن عمليات في قيادة الفرقة بمتابعة هذه العمليات

ومراقبة تنفيذ الخطط التي كنا نضعها لهذه العمليات بإستمرار والإشراف على سير المعارك التي كانت تخوضها كتائبنا بموجب هذه الخطط. ولتزويدها بما يلزمها من وسائل حسب امكانياتنا للتأكد من نجاحها في تلك المعارك. كما أنها بنفس الوقت تعطي صورة واضحه عن ثقل الواجبات التي كانت تتحملها وتنفذها كتائبنا وقياداتها بمختلف مستوياتها والجهود الجبارة التي كان يبذلها جنودنا وضباطنا ضمن الأمكانيات المحدوده المتاحة لهم. والتضحيات الهائلة التي كانوا يقدمونها في مقارعة القوات اليهودية في مختلف المعارك الطاحنة التي كانوا يخوضونها .

حركات يوم ١٦ تموز عام ١٩٤٨م :

الساعة ٣,٣٠ صباحاً - بدأ هجوم قوة من الكتيبة الأولى على قرية (قوله)

الساعة ٨,٠٠ صباحاً - تم احتلال قرية قوله والمزرعه من قبل قواتنا

الساعة ٨,٠٠ صباحاً - بدأ هجوم الكتيبة الثالثة على مشيرم لاحتلال بعض البنايات المهمة

الساعة ١٠,٠٠ صباحاً - عدت من (قوله) بعد الاطلاع على نتائج المعركة والوضع العام هناك

الساعة ١١,٠٠ صباحاً - اصدرنا أمر العمليات لقيادة اللواء الثالث لهجوم الكتيبة الثانية على البرج

الساعة ١٣,٠٠ بعد الظهر - أكمل قائد الكتيبة الثانية تجميع قوة الهجوم على البرج في منطقة الحشد

الساعة ١٦,٣٠ بعد الظهر - بدأ الهجوم على موقع البرج

الساعة ١٧,٠٠ بعد الظهر - زرت مواقع الكتيبة الثالثة في القدس وتفقدت البنايات التي احتلتها في حي مشيرم ثم ذهبت الى قيادة الكتيبة السادسة حيث مكثت حتى السابعة مساءً. وكان القصف المعادي على أشده. وقد طلبت من قائد الكتيبة ان يكون على آتم الاستعداد لتلك الليلة الأخيرة من القتال

وأما الذي حصل في القدس بعد ذلك ان القصف المدفعي المعادي قد استمر طيلة تلك

كـانت اشد كثافته على أحياء القدس القديمة بداخل الأسوار. وبنفس الوقت استمرت
ـيـتنا بقـصـف الاحـيــاء اليـهـودية في القدس الجديدة ولا سيما حي مشيرم ومناطق
ـيا والنوتردام لتـغطي جميع المراكز المعروفة بتواجد القوات العسكرية اليهودية فيها.
تـصف الليل اتصل معي قائد الكتيبة السادسة ليخبرني بوجود تحركات مقابل باب
وود وأنه يعـتـقـد ان الهجـوم على تلك المنطقـة بات وشيكاً. وبعد المباحثة قليلاً على
اتفـقنا أن الاسناد من مـدفـعية الميدان لا يفيد كثيراً بل سيشكل خطورة على مواقعنا
ـافة محدودة أمام السور وأنه إذا قصرت قنبلة عن مداها سوف تسقط على جنودنا.
ـإن أفـضل طريقـة هي الاعـتماد على الاسلحة الخفيفة والرشاشات والقنابل اليدوية.
ـتـفـاد من مدافع المورتر في بداية تقدم الهجوم. وبعد نصف ساعة اتصل معي مرة
ـقـال ان الوضعية الآن قد تطورت وان هنالك قوة اخرى يظنها من البالماخ تقترب من
لجـديد ومـعـهم برمـيل ضخم يجرونه نحو السور ويعتقد أنه عبارة عن لغم ضخم
ـوون نسف باب السور هناك والدخول الى المدينة لأنهم الآن يحتشدون خارج السور
ـنطقة الباب. ثم قال · على أي حال نحن الآن مشتبكون معهم في باب النبي داوود وفي
لجـديد بالنيران بكثـافة ولكن يظهر أن القوة المتقدمة نحو باب النبي داوود هي القوة
ـة وأنها تعادل كتيبة. أما القوة المتقدمة نحو الباب الجديد فلا تزيد عن سرية مشاه .

ـوالي السـاعـة الواحـدة بعـد منتـصف الليل بدأ زحف القـوات اليـهوية للإطباق على
ـر في المنطقـتين في آن واحـد. حـيث تقدمت كتيبة من لواء (عتسوي) تتقدمها مجموعة
ميل متفجرات ضخم محمولاً على عربة يدفعها الجنود نحو باب النبي داوود فاشتبك
ـا جنود السرية الأولى من الكتـيـبـة السـادسة بالرشاشات والبنادق والقنابل اليدوية.
اقتربت عربة المتفجرات من الباب سقطت عليها قنبلة يدوية فانفجر اللغم وقتل جميع
الذين كـانوا يجرونه. ولكنه لم ينسف الباب. وعلى الرغم من ذلك فقد استمر الجنود
ـد بهجـومـهم ودامت المعـركـة عـدة سـاعـات خسروا خلالها اعداداً كبيرة من القتلى
ـحى ولما لم يتـمكنوا من اقـتـحـام البـاب انسحبوا حوالي الساعة الخامسة صباحاً الى
ـ الخلفية على جبل صهيون .

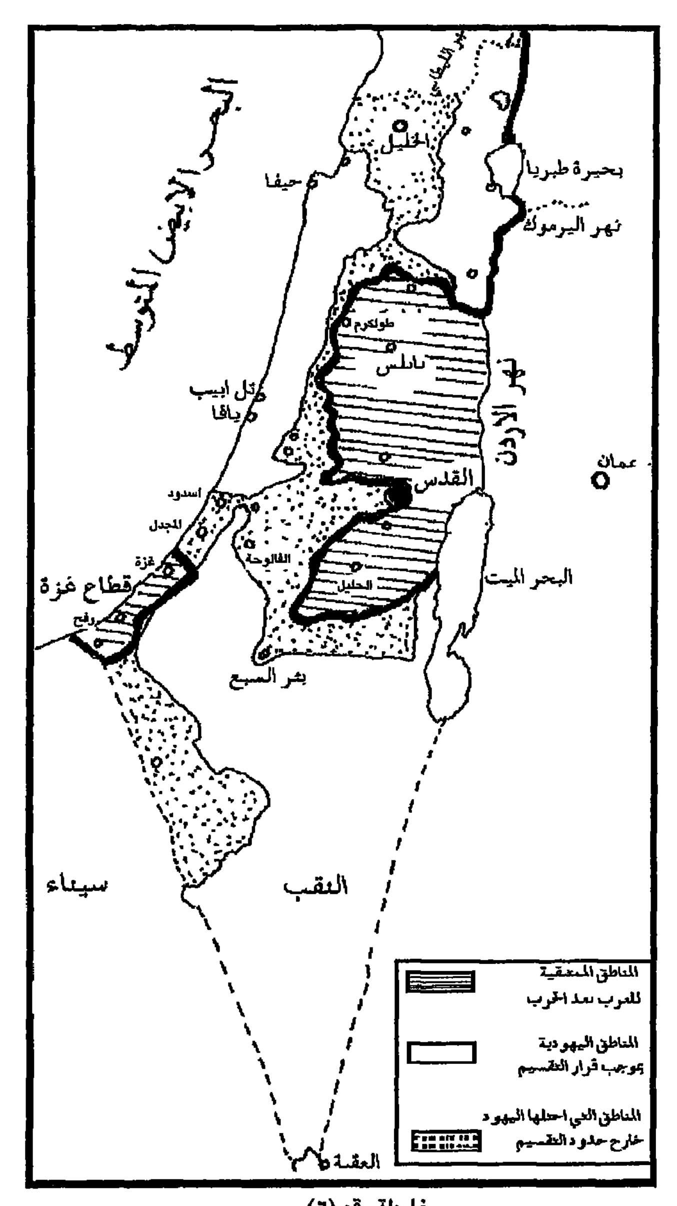
في منطقـة الباب الجديد فقد تقدمت سرية من الارغون من بناية النوتردام التي كانت
ـ على أسـوار المدينة وتمكنوا من الوصـول إلى البـاب تحت حماية النيران الكثيفة من
ـهم في عمارة النوتردام وأوصلوا اللغم الذي كان معهم إلى الباب وتمكنوا من تفجيره.
ـا فجوة بهذا الباب وتمكنت مجموعة صغيره من جنودهم العبور من خلالها الى داخل
لمسـافـة قـصيره ولكنها اجبرت على الانسحاب بسرعة عندما تصدى لها جنودنا من

فوق السور بمختلف الأسلحة وقد استمر هذا الاشتباك حتى الصباح وعندئذ اضطر جنود اليهود للإنسحاب بسرعة الى بناية النوتردام المجاوره تاركين عدداً من جثث قتلاهم التي لم يتمكنوا من سحبها اثناء المعركة. وأثناء الإشتباك في منطقة الباب الجديد تقدمت مجموعه من عصابة شتيرن ومعها لغم بسيارة نحو باب الخليل فتصدى لها جنود السرية الثانية عشر والتي كانت قد وصلت من الخليل بذلك اليوم وتمركزت على الأسوار بين باب الخليل والباب الجديد. وبنتيجة الاشتباك بالقنابل اليدوية أنفجر اللغم ودمرت السيارة التي كانت تحمله وقتل من كان حولها من الجنود وانسحب الباقون الى البنايات الخلفية. وهكذا فشلت المحاولات الثلاثة التي قام بها اليهود لإقتحام أسوار القدس خلال الساعات الأخيرة من القتال .

وفي الساعة الخامسة من صباح يوم ١٧ تموز حان موعد وقف إطلاق النار في القدس حسب قرار مجلس الأمن الدولي. ولكن اطلاق النار لم يتوقف نهائياً بهذا الموعد حيث استمر تبادل النيران بالاسلحة الخفيفة والرشاشات طيلة ذلك اليوم على فترات متقطعة. إلا أنه لم يحدث أي تقدم أو هجوم بل ثبت جنود الطرفين في مواقعهم الأمامية التي كانوا فيها عند موعد وقف إطلاق النار .

وفي الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي ١٨ تموز حان موعد وقف إطلاق النار على طول الجبهات الاخرى. وبدأت بذلك الموعد الهدنة الثانية . ولقد كان موقفنا قبل انتهاء الهدنه الأولى افضل بكثير منه عند ابتداء الهدنة الثانية. وكذلك كان موقف الجيوش العربية الأخرى .

ولكي نعرف مدى فداحة خسائرنا وخطورة الموقف الذي أصبحنا فيه سوف استعرض هنا بشكل موجز العمليات التي دارت على الجبهات العربية الأخرى خلال فترة القتال الثانية التي دامت عشرة أيام بعد أن استعرضت المعارك على الجبهة الاردنية بشيء من التفصيل. (انظر الخارطة رقم ٦) .



خارطة رقم (٦)

المناطق التي احتلها اليهود خلال فترة القتال الثانية
وبعدها خلال الهدنة الثانية خارج حدود قرار التقسيم

أولاً : جبهة الجيش المصري :

على الرغم من أنه لم تطرأ زيادات مـهـمة على قدرة القوات المصرية واسلحتها خلال فترة الهدنة الأولى إلا أنهم تمكنوا من زيادة عـددها واعـادة تنظيـمـهـا بحيث أصبحت تتكون من أربعة ألوية موزعه على المناطق الآتية :

١ ـ اللواء الأول : مـسـؤولاً عن منطقـة الطريق السـاحلي ابتـداءً من خط الحدود الدولية في الجنوب عبر مدينة غزة وحتى بلدة المجدل في الشمال .

٢ ـ اللواء الثانى · مسؤولاً عن القطاع الشمالي في منطقة أسدود .

٣ ـ اللواء الثـالث . قـاعـدته في الفـالوجة ومسؤولاً عن حماية الطريق الممتده من المجدل الى الخليل عند بيت جبرين

٤ ـ اللواء الرابع : مـؤلف من مـتطوعين من الإخـوان المسلمين والسودانيين وكان موزعاً على محور بئر السـبع ـ الخليل ـ بيت لحم ـ حـتى مداخل مدينة القدس من الجنوب .

وكـان يواجـه هذه القـوات في الجـانب الإسرائيلي لوائين أحـدهما مـسؤول عن المنطقة من شمال طريق المجـدل الى بيت جبرين. والآخـر مـسؤول عن المنطقة جنوب طريق غزة المؤدي الى بئر السـبع ومـعـه كـتـيبة مغاوير (كوماندوز) مسؤولة عن تأمين طريق المواصلات مع المستعمرات المعزولة في النقب خلف الخطوط المصرية .

ومع اقتراب مـوعد انتهاء الهدنة الأولى أخذ الطرفان يستعدان لبدء القتال ووضع الخطط لتحسين موقفهما العسكري كل على حساب الآخر .

وعلى الرغم من أن القـوات المصرية كـانت تلتـزم بمـوقف الدفاع في جبهتها إلا أنها كانت تخطط للقـيـام ببـعض النشـاطات الهجـومية المحلية ضمن موقفها الدفاعي العام. ومن هذا المنطلق فـقـد خططت لتـوسـيع رقـعة المنطقة التي تسيطر عليها من الغرب إلى الشرق. بينما كـانـت الـقـوات الاسرائيليـة تخطط لفـتح الطريق المؤدي الى النقب وقطع طريق المواصـلات المصرية المؤدي من الغرب إلى الشرق وإخراجهم من منطقة أسدود .

وعندمـا أكـتـشف المصريون هذه الاسـتـعـدادات الإسرائيلية للهجوم قرروا أن يبدأوا هم بتنفـيـذ ضربة وقائية لإفشال الهجوم الاسرائيلي المتوقع. وعلى هذا الأساس فقد بدأت القوات المصرية هجـومها يوم ٨ تموز أي قـبل مـوعـد انتـهـاء الهدنة الأولى بمدة ٢٤ سـاعة لكي يسـتـفـيـدوا من عنصر المفـاجأة وليأخذوا زمام المبادره منذ البداية. وقد نجح اللواء المصري

الذي قام بعملية الهجوم هذه باحتلال مواقع اليهود في (الحليقات) و(كوكبا) والتل رقم ١١٣ الواقع إلى الشمال من ملتقى الطرق المؤدية من اسدود الى بئر السبع والنقب. وكذلك المؤدية من عسقلان إلى بيت جبرين وبهذا يكون المصريون قد سيطروا على عقدة الطرق المهمه .

ولكن اللواء الإسرائيلي الذي أخذ على حين غره واربكته المفاجأة ما لبث ان أعاد تنظيمه بسرعة وقدم موعد هجومه الذي كان مخططاً له أن يبدأ في الليلة التالية. وقد بدأ بالهجوم على مخفر عراق سويدان وهو موقع مهم يقع على الطريق الرئيسية الى الغرب من قرية عراق سويدان ولكن القوات المصرية تمكنت من صدهم بعد معركة حامية دامت عدة ساعات. إلا أن اللواء الاسرائيلي تمكن من احتلال عدة قرى في المنطقة منها (بيت داراس) و(بيت عفا) و(عبديس). وقد شنت القوات المصرية عدة هجمات معاكسة تمكنت بنتيجتها من استرجاع قرية (بيت عفا) .

وفي يوم ٩ تموز شنت القوات المصرية هجوماً رئيسياً على مستعمرة (نقبا) التي اعتبروها نقطة ارتكاز للمنطقة بكاملها ومفتاح المواقع الدفاعية الإسرائيلية. ورغم أن القيادة المصرية خصصت جهداً ضخمًا لهذا الهجوم إلا أنها لم تنجح في احتلال هذه المستعمرة .

وبعد ذلك حاولت القوات المصرية الهجوم على الجناح الشرقي للقوات الاسرائيلية وعلى مستعمرة (بيرون يتسحاق) ولم تنجح في هذين الهجومين كذلك ورغم أن القوات المصرية شنت عدة هجمات طيلة الأيام الخمسة الأخيرة من القتال في منطقة عقدة الطرق وحول مستعمرة (نقبا) ولكنها لم تنجح باحتلالها .

كما قام الاسرائيليون بعدة هجمات لاحتلال حليقات وكوكبا وبيت عفا ولكنهم فشلوا بذلك. إلا أنهم استطاعوا ان ينجحوا باحتلال قريتي (حطة) و(خراطيه) اللتين تسيطران على الطريق الرئيسية من المجدل إلى بيت جبرين وبذلك يكون اليهود عند حلول الهدنة الثانية يوم ١٨ تموز قد نجحوا بفتح طريقهم الى النقب وبإغلاق طريق التزويد الرئيسيه للقوات المصرية مما اضطرها الى شق طريق فرعيه خلفية من عراق سويدان الى الفالوجه .

وهكذا أصبح موقف القوات المصرية عند انتهاء فترة القتال الثانية أسوأ مما كان عليه قبل بدايتها. رغم أن جميع العمليات الهجومية التي خططوا لها كانت عمليات محدوده وموضعية تهدف فقط إلى تحسين موقفهم الدفاعي. ولكن بالنتيجة أصبح موقفهم هذا أسوأ مما كان عليه . بينما تمكن اليهود من فتح طريقهم الى منطقة النقب والاتصال بمستعمراتهم التي تركها المصريون سليمة خلف خطوطهم. وأصبح بإمكان القوات الاسرائيلية العمل

بحرية تامة في منطقة النقب ومن خلف الخطوط المصرية استعداداً لما هو قادم في المستقبل القريب .

ثانياً : جبهة الجيش العراقي :

كان الجيش العراقي شأنه شأن باقي الجيوش العربية يلتزم بموقف الدفاع عند استئناف مرحلة القتال الثانية، وعلى الرغم من أن قواته المتواجده في الجبهة قد ازدادت كثيراً خلال فترة الهدنه فأصبحت فرقة كاملة مع اسلحتها الاسنادية تزيد عن عشرة آلاف فرد بالإضافة الى كتائب المناضلين الفلسطينيين الذين سلحتهم القيادة العراقية ودربتهم واستخدمتهم بقيادة ضباط عراقيين في المواقع الدفاعية في الجبهة فإن هذه القوات لم تقم بأية عمليات تعرضية هامة سوى بعض العمليات المحدودة التي كانت تهدف إلى تحسين الموقف الدفاعي فقط. وقد انحصرت هذه العمليات في هجومين محدودين كان أولهما في الطرف الشمالي من الجبهة وكان يهدف الى استرداد بعض القرى والمواقع التي تقع شمال مدينة جنين وذلك لتأمين خط دفاعي معقول حول جنين .

وبهذا الصدد علينا أن نتذكر أنه كان بمقدور القوات العراقية إحتلال هذه القرى بعد نجاحها بطرد القوات اليهودية من تلال جنين الجنوبية في فترة القتال الأولى لو أنها لاحقت القوة اليهودية المنسحبة كما شرحت سابقاً. وأما الهجوم الثانى فكان في الطرف الجنوبي من الجبهة العراقية في منطقة رأس العين. ففي يوم ٩ تموز شن العراقيون هجومهم الأول على مواقع اليهود في مرتفع تل الخروبه الواقع شمال مدينة جنين والذي كان قد بقي بيد اليهود بعد معركة جنين المشهورة. وقد كان هذا الهجوم ناجحاً حيث تمكن العراقيون من طرد القوة اليهودية من هذا الموقع المسيطر واسترداد مجموعة القرى الواقعة الى الشمال والغرب من جنين والتي تشكل قوس دفاعي أمامها وهي قرى (فقوعه، جلمه، صندله، عرانه، عربونه، دير غزاله، المقيبله) ورغم أن القوات اليهودية شنت عدة هجمات معاكسه لاحقة فقد تمكنت القوات العراقية من صدها جميعاً والاحتفاظ بهذه القرى حتى النهاية .

وأما الهجوم الثانى في الجنوب فلم يكن ناجحاً. ففي منطقة رأس العين سبق أن قام اليهود بعد احتلالهم اللد والرملة بالهجوم على مواقع الجيش العراقي في قرية (مجدل يابا) بالقرب من رأس العين. فصمد العراقيون وصدوا الهجوم الأول. ولكن اليهود أعادوا الكره بهجوم أكبر يوم ١٢ تموز وتمكنوا من احتلال هذا الموقع من القوة العراقية المدافعه عنه والتي قامت بنسف مضخات الماء في رأس العين التي كانت تزود مدينة القدس بالماء قبل

انسـحـابها. وقـد قام العراقيون فيما بعد بشن هـجومين على منطقة رأس العين ومـجدل يابا أحدهما يوم ١٦ تموز والآخـر يوم ١٨ تموز ولكنهم فـشلوا في احـتـلالها رغم عنف القتال الذي دار حـولها وقد وقع الهجوم الأول عندما كانت الكتيبة الأولى من الجيش العربي تقاتل لاحـتلال قرية (قوله) وفي يوم ١٧ تموز عندمـا اضطررنا لسـحب الكتيبة الأولى الى الجنوب نحـو منطقـة (صفا ـ بيت سيرا) لتعزيز الدفاع عن منطقة اللطرون من جناحها الشمالي نقل العـراقـيـون إحدى كتائبهم الى منطقة دير نظام لإستلام المواقع الدفاعيه التي أخليت واغلاق الفـجـوة بين خطوطنا وخطوطهم. وعندئذ عـاودوا الهجـوم صباح يوم ١٨ تموز على مجدل يابا الا أنهم اضطروا للإنسـحـاب عنها عند حلول موعد وقف إطلاق النار مساء ذلك اليوم وهكذا استقر موقف الجيش العراقي عند هذا الحد مع حلول موعد الهدنة الثانية .

ثالثاً : جبهة الجيش السوري :

عندمـا بدأت الهدنة الأولى كـان السـوريون يحتلون مـستعمرة مشمارها ياردن ومنطقة صـغـيرة حـولهـا تشكل رأس جسر غـرب نهر الأردن إلى الجنوب من بحيرة الحـوله. وقـد خـصـصـوا للدفـاع عن هذه المنطقة قوة تتألف من لواء مشاه تدعمه الدبابات والمدفعيه. كما وضعوا لواء مشاه آخر تمركز في المرتفعات الشرقية التي تسيطر على نهر الأردن من الشرق.

وقـد كـان اليـهـود يعتبرون القوة السورية المتواجده في رأس الجسر هذا حول مستعمرة (مـشمار هاياردن) بمثابة تهديد خطير لمواقعهم لأنها لا تبعد أكثر من كيلومترين عن الطريق الرئيـسـية التي تعبر الجليل الشرقي من الشمال الى الجنوب. ولهذه الأسباب كانوا مصممين على احـتـلاله واخراج السوريين منه حالما تسنح لهم الفرصة، وقد حشدوا أمام رأس الجسر السوري هذا قوة من لوائي مشاه مع اسلحتهما الإسنادية لتنفيذ هذه العملية. وعندما انتهت الهدنة يوم ٩ تموز قـامت قـوة الهجـوم الرئيـسية المكونة من لواء مشاه بعبور نهر الأردن شرقـاً باتجـاه جسر بنات يعـقوب لكي تقوم بحركة التفاف حول المواقع السورية من الخلف وتقطع خطوط تزويدها وتفـصلهـا عن اللواء السوري المتمركز على المرتفعات الشرقية بنفس الوقت. وقـد نجـحت القـوة اليهودية بعبور النهر بصعوبة ولكنها لم تتمكن من الوصول إلى بناية الجـمـرك الواقـعـه فـوق جسر بنات يعـقوب خلال ساعات الليل وأمام عنف المقاومة السورية اضطرت للإنسحاب الى غرب النهر .

وعلى إثر ذلك قـام السـوريون عند الفـجـر بشن هجوم معاكس تدعمه الطائرات وأوقعوا باليـهود خسائر فادحه. وبنفس الوقت قام اللواء السوري في المرتفعات الشرقية بالهجوم على

القـوات اليـهـودية التي بقـيت شرقي النهـر. واسـتـمر القتال طيلة يومين واضطرت القوات اليـهـودية التي بقـيت شرقي النهـر بعدها للإنسحاب الى غربه بعد أن تكبدت خسائر كبيرة بـالأرواح. وفي يوم ١٤ تموز شنت القـوات اليهودية هجوماً آخر على منطقة رأس الجسر من جـهـة الجنوب ولكن هذا الهجوم فشل كذلك أمام عنف المقاومة السورية. وقد اسْتمر القتال طيلة الأيام المتـبـقـية في مختلف المواقع وكانت المصادمات في منتهى العنف والخسائر فادحة لدى الطرفين. ولكن السـوريين صـمـدوا في مـواقعهم وعندما حان موعد الهدنة الثانية كانت قوات الطرفين لا تزال في مواقعها التي كانت فيها عند بدء القتال قبل عشرة أيام .

رابعاً : جبهة الجيش اللبناني وجيش الإنقاذ

كـان الجـيش اللبنانى يتـمـركز على طول الحدود اللبنانية الفلسطينية من رأس الناقورة غـرباً حـتى بنت جبيل بالقرب من المالكية شرقاً. والتي كان قد احتلها من القوات الاسرائيلية. ومـا عـدا ذلك فلم تكن تتـواجـد أية قـوات لبنانيـة بداخل فلسطين سـوى بعض المتطوعين اللبنانيين الذين انضـموا الى جيْش الإنقاذ إلا أن الجيش اللبنانى من مواقعه بداخل لبنان كان يؤمن حماية خطوط المواصـلات والتـزويد لوحدات جيش الانقاذ التي كانت تحتشد في قطاع هام في وسط الجليل. والذي كـانت مـدينة الناصره مـركـز قـيادته وقاعدته الرئيسية ونظراً لأهميـة هذا القطاع الاستراتيـجي فـقـد ركـز الاسرائيليون كل جهدهم لإحتلاله. وقد وضعوا خـطة الهجـوم على هذا القطاع مـتـزامنة مع هجـومـهم على القـوات السـورية جنوب بحيرة الحـوله. وعندمـا بدأت القـوة الاسرائيلية زحفها نحو قطاع جيش الانقاذ وبينما كانت عملية الهجـوم على القـوات السـورية في أوجـهـا كـان القاوقجي قد حشد القسم الأعظم من قواته لاحـتـلال قـرية الشـجـره التي تسـيطر على الطريق الرئيسية المتجهة نحو الشمال عبر كفر طابور الى طبريا. وقـد احتدم القتال حول الشجره لعدة أيام حيث شن القاوقجي الهجوم تلو الهجوم ولكنه لم يفلح باحتلالها. وبتاريخ ١٤ تموز وصلت حدة القتال اعنف مراحلها حيث شن القـاوقـجي حـوالي ثمانيـة هجمات تسندها المدرعات والطائرات العراقية ولكنه لم ينجح باحتلالها .

وبهذه الاثناء بدأ الزحف الاسرائيلي الرئيسي بقـوة لواء من قـواعـده شمال مـدينة حـيـفا باتجـاه مـدينة الناصره. وتقـرر بهذا الزحف مـصير معركة الشجرة حيث اضطر القاوقجي للإنسـحـاب وتركيز قواته للدفاع عن قاعدته الرئيسية في الناصرة. وعندما اتضح لليهود ان الجـيش اللبنانى في الشمال لن يتـدخل في المعـركة تقدمت قواتهم شرقاً نحو الناصره واحتلت

مـواقــع هامــة على طريق عكا ـ الناصره يوم ١٤ تموز. وفي اليــوم التــالي تقـدم لواء آخر من قـاعـدته في (نهلال) نحـو المرتفعات الغربية واحتل بلدة كفر حوريش الواقعه غرب الناصره وقــد كـانت دفـاعـات جـيش الانقـاذ بالناصره مـركزه على طريق الاقتراب المؤديه من وادي جـرزيل الذي كـان القـاوقجي يعتقد أن الهجوم اليهودي يجب أن يأتى من اتجاهه ولم يكن يتـوقع ان الهجـوم سـيأتيـه من جـهـة كفر حوريش من الغرب. وهذا خطأ مميت ومخالفة صريحة لمبـادىء القتال حيث لا يجوز للقائد ان يعتبر أي جهة مأمونة ولا يستطيع العدو ان ينفـذ منهـا بل يجب أن يؤمن دفاعه ضد جميع الاحتمالات ومن جميع الجهات وهكذا وقع القــاوقجي في المحذور واخذه العدو على حين غره واخترق مواقعه بسرعة .

وفي يوم ١٥ تموز اعـاد القـاوقـجي تنظيم قـواته وارسل قوة من المدرعات ومعها سرية مـشـاه لمواجـهـة التـقـدم الاسرائيلي الجـديد نحـو مؤخرته. ولكن الاسرائيليين استطاعوا ان يدمروا معظم مدرعاته وعندئذ اضطر القاوقجي الى الانسحاب على وجه السرعة .

وفي يوم ١٦ تموز سـقطت الناصره بيد اليهود. وبتاريخ ١٨ تموز انســحبت قوات جيش الانقـاذ من الجليل الجنوبي نحـو الشمال. وعندمـا اعلنت الهدنه الثـانيـة لم يبق لدى قوات القاوقجي سوى جيب محدود في الجليل الشمالي يرتكز على الحدود اللبنانية .

الهدنة الثانية :

لقـد بدأت الهدنة الثـانيـة عندما اصبح وقف إطلاق النار نافذ المفعول اعتباراً من السـاعة الخـامسة مساء يوم ١٨ تموز عام ١٩٤٨م وقـد ثبـتت قـوات الاطراف المتحاربه في المواقع التي وصلت اليـهـا في جميع الجـبهات وبذلك انتهت فترة القتال الثانية التي اصبحت تعرف مجازاً بإسم (حـرب العشرة أيام). هذه الحـرب التي أصر الزعماء العـرب على بدئهـا وانهاء الهدنة الأولى وهم جميـعاً يعرفون أن الأسباب التي من أجلها وافقوا على تلك الهدنة ما زالت قـائمـة حـيث أن الجـيوش العربية لا زالت تحارب فرادى بدون قيادة موحدة فعاله وبدون خطة واحـدة تحكم مـعاركها. كما أنها ما زالت تعانى من النقص الخطير بالذخائر والاسلحة بل أصــبحت حالتها أسوأ بكثير مما كانت عليه لاسيما وأن بريطانيا وفرنسا ما زالتا تمنعان تصــدير الأسلحـة والذخـائر الى الجـيـوش العربية. بينما استطاعت اسرائيل ان تحصل على كـمـيـات هائلة من مختلف أنواع الاسلحـة بما فـيـها الدبابات والطائرات خلال فترة الهدنة الأولى

ومع ذلك أصر الزعماء العـرب على العودة الى القتال من جديد وبنفس الوقت أصروا على عدم توحيد جيوشـهم وعدم تنسيق خططهم وتكتيل قدراتهم العسكرية تحت قيادة واحدة .

ولايمكن تفـسـير موقفهم هذا إلا أنه كان مبنياً على دوافع سياسية محضة ينظر اليها كل واحد منهم من زاوية المصلحة القطرية فقط

وعلى هذا الأســاس فقد اصبح مطلوباً من الجيوش العربية في الميدان أن تدفع ثمن اخطاء القادة.السياسيين في سبيل تحقيق اهداف سياسية قصيرة المدى .

وعلى أي حـال فـقـد انهى الزعماء العـرب الهدنة الاولى وعـادوا الى القتال مختارين. ثم وافـقوا على عقد الهدنة الثانية مكرهين. ولقد كان الموقف العربي عند بدء الهدنة الاولى افضل بكثير مما أصـبح عليه عند بدء الهدنة الثانية. فماذا خسرنا نحن العرب بالنتيجة من محصلة كل هذا وماذا كسب اليهود .

أولاً : لقـد تحـول زمـام المبـادرة على جميع الجبهات الى الجيش الإسرائيلي منذ بداية القتال. واستمر كذلك حتى بداية الهدنة الثانية وخلال المعارك التي دارت فيما بعد اثناء فترة سريانها وحتى توقيع اتفاقيات رودس لعدة أسباب آهمها ما يلي :

١ ـ تمكنت القـوات الاسرائيليـة خـلال فترة الهدنة الأولى من مضاعفة اعدادها وجلب كـمـيـات هائلة من الاسلحـة والتدرب عليها واستيعابها. واعادة تنظيم وحداتها. بينما لم يتحسن موقف الجيوش العربية بهذه المجالات تحسناً يذكر .

٢ ـ ادرك الاسرائيليـون بسرعة ان قرار الزعماء العرب بالعودة الى القتال كان بدوافع سـيـاسـيـة. وبالتالي فإنه لا يوجد أي أمل بأن تتوحد الجيوش العربية بالقتال ضـدهـم بشكل فـعال. ولذلك فإن عليهم ان يكسبوا كل ما يستطيعون كسبه على الارض وبسرعـة قبل ان تفرض هيئة الأمم المتحدة وقف القتال مرة ثانية. ولكي يحقـقـوا هذا الهدف كـان عليـهم أن يأخـذوا زمـام المبـادرة فـوراً ويتحولوا الى العمليات الهجومية ويواصلوها بكل قوة وعزم .

٣ ـ لابد أن اليـهود قدروا ان الزعماء العرب عندما قرروا العودة الى القتال أمروا قادة جيوشـهم ان يلتزموا بموقف الدفاع بسبب ما كانوا يعانونه من نقص في الذخائر والأسلحـة. وهذا معناه ان زمام المبادره تحول تلقائياً الى الجيش الاسرائيلي بقرار عـربي. الأمـر الذي اعطى له فـرصـة لا تعوض لكي يستفيد من جهد قواته الى اقـصى الحـدود حـيث أصـبح بإمكانه أن يحرك الويته من جبهة الى أخرى وان

ينتخب الأهداف التي يريد الهجوم عليها في أي جبهة وهو متأكد من أن الجبهات الأخرى لن تستطيع اعاقته لانها سوف تبقى ساكنة ثابتة في مواقعها الدفاعية تنتظر حتى يأتي دورها بالتعرض للهجوم .

ولا أظن أن تاريخ الحروب يعرف موقفاً كهذا لأي جيش مقاتل بحيث يقبل طواعية ان يضع نفسه في الدفاع الثابت ويجعل من وحداته أهدافاً ثابتة للعدو يأتي لضربها عندما يشاء ولم يكن هذا الموقف الواهي سوى نتيجة حتمية للتفرقة العربية التي حالت دون توحيد قدرات جيوشها ووضعها بأمرة قيادة واحدة فعاله في الميدان. فتبعثرت جهودها وذهبت تضحيات جنودها وضباطها هباء ودماء شهدائها ضياعاً دون جدوى .

ثانياً : الخسارة في الميدان :

١ ـ لقد كانت أكبر خسارة على الأرض تلك التي حلت بالجبهة الأردنية حيث تمكن اليهود من إحتلال مدينتي الرملة واللد مع مطارها الدولي بالإضافة الى عدد كبير من القرى المحيطة بهما ودفع الخط الدفاعي العربي من أبواب تل أبيب بعيدا إلى الشرق عند خط بيت سيرا ـ اللطرون. كما تمكن اليهود من توسيع الممر المؤدي الى القدس جنوب الطريق الرئيسية باحتلالهم لمنطقة عرطوف والتقدم حتى بلدة بيت جبرين. كما احتل اليهود مشارف مدينة القدس من الجنوب عند بلدة المالحه واصبح خط سكة الحديد من القدس الى اللد يقع تحت سيطرتهم .

وقد حشد اليهود لهذه العمليات في وجه الجيش العربي الأردنى خمسة ألوية تسندها المدفعية والدروع والطائرات. وبقيت كتائب الجيش العربي الخمسة تقاتل ليلاً ونهاراً متشبثه بالدفاع عن القدس وباب الواد واللطرون لكي لا تنهار جبهتها نهائياً. ولم تقم الجيوش العربية بنجدتها على الأقل لمنع سقوط اللد والرملة لعدم توفر قوة كافية للدفاع عنهما بفعالية .

لم تقم الجيوش العربية بهذا ليس لأنها متخاذلة وتتقاعس عن نجدة بعضها. بل لإنها كانت تخضع لقيادات سياسية مختلفة فيما بينها ومتناقضة في توجهات حكوماتها القطرية ـ وبالنتيجة فإن هذه الجيوش لم تكن خاضعة لقيادة ميدانية واحدة ولا تقاتل ضمن خطة استراتيجية واحدة بمواجهة عدو واحد مشترك تهدف جميعها لتدمير قواته المسلحة. وهكذا فإنها كانت تخوض معاركها بمعزل

عن بعضها. وكل جيش منها يتلقى أوامره من قيادته العليا في بلده الذي كان يتصرف بحسب مصالحه القطرية بالدرجة الأولى. وبالتالي فإنها كانت تخوض حرباً سياسية لا تتفق مع مبادىء القتال الصحيحة .

٢ ـ لقد خسر المصريون بعض المواقع الهامة مما مكن اليهود ان يفتحوا طريقهم إلى النقب ويشطروا الجبهة المصرية الى شطرين ويقطعوا طريق تزويدها الممتدة من المجدل غرباً الى بيت جبرين شرقاً عبر بلدة عراق سويدان والفالوجه. كما تمكن اليهود من تأمين الإتصال مع مستعمراتهم المعزولة في النقب خلف الخطوط المصرية، وبهذا الإجراء احدثوا وضعاً أصبح في غاية الخطورة على الجبهة المصرية بأكملها كما ظهر فيما بعد .

٣ ـ أما جيش الانقاذ فقد تلقى ضربة قاصمة حيث خسر معظم المنطقة التي كان يحتلها في الجليل وخسر معها مدينة الناصره وعدداً من القرى المحيطة بها. وبهذا تمكن اليهود من فتح معظم طرق المواصلات المؤدية من الجنوب الى الشمال ومن الغرب الى الشرق عبر الجليل .

ثالثاً : لقد كسبت القوات الاسرائيلية بنتيجة هذه المعارك كسباً معنوياً كبيراً. وبنفس الوقت فتحت أمامها جميع طرق المواصلات واصبحت هذه القوات تشعر بالتفوق وبالسيطرة على الموقف العسكري العام وتتحرك أمام الجبهات العربية كما تشاء وبكل حرية. بينما اكتفت الجيوش العربية بمحاولة المحافظة على ما تبقى لديها من المواقع التي تقلصت كثيراً عما كانت عليه قبل استئناف القتال .

رابعاً : وأما على الصعيد السياسي والاجتماعي فقد انعكس الفشل في ميدان القتال على معنويات السكان في مختلف البلدان العربية سواء كانوا من سكان تلك البلدان أو من اللاجئين الفلسطينيين الذين تشتتوا في جميع البلاد العربية. واخذت مرارة الفشل تنعكس بسرعة على نفسيات الناس وتتحول الى نقمة عارمه سرعان ما تحولت الى مظاهرات في الشوارع واضطرابات وأعمال عنف مختلفة انعكست سلبياً وبسرعة على الأمن الداخلي في هذه البلدان. وأخذت حكوماتها تصرف الكثير من طاقاتها لمواجهة هذه القلاقل. وبالتالي فقد أصبحت تنظر الى مسألة تأمين سلامة وضعها الداخلي بأهمية تفوق نظرتها لوضع جيوشها في جبهات القتال .

وقـد كـان هذا عاملاً مهمًا من العوامل التي حدت بالزعماء العرب الى الموافقة على تحويل الهدنة المؤقتة الى اتفاقيات هدنة دائمة والتي جرى التفاوض عليها فيما بعد واصبحت تعرف باتفـاقـيـات رودس لأن اجـتـماعـات الوفـود التي قـامت بهذه المفـاوضات عقدت في جزيرة (رودس) .

الإستعداد لتطبيق الهدنة :

عـلى الـرغم من أن قـرار مجلس الأمن الدولي بوقف إطلاق النار اعـتـبـاراً من السـاعـة الخامسة مساء يوم ١٨ تموز أصبح نافذ المفعول رسمياً إلا أن القتال لم يتوقف نهائياً بذلك الوقت حـيث اسـتـمـرت الاشتباكات بنيران الاسلحة الخفيفة والرشاشات بين الجانبين على طول الجبهات وبشكل خاص بداخل مدينة القدس وهذا أمر كنا نتوقعه. إذ ليس من المعقول ونحن نعـرف أن اليـهـود لم يخفـوا أطماعـهم بإحتلال القدس وكامل التراب الفلسطيني ان يتـوقـفـوا عن جميع أشكال المصـادمـات الحـربية فوراً وبشكل نهائي بل بالعكس فقد كنا نتـوقع أن يسـتمروا بخلق المشاكل واختراع الأسباب التي تؤدي الى خرق الهدنة والعودة الى القـتـال شريطة القـاء المسـؤوليـة على الجـانب العربي لكي يتجنبوا إثارة الرأي العام العالمي ضـدهم. لاسـيما وهم يعـرفـون جـيداً أنهم أصبحوا يملكون التفوق التام بالأسلحة وحجم القـوات على الجـيوش العربية التي أصبحت بسبب تعمق الخلافات السياسية بين حكوماتها أكثر تباعداً وأشد ضعفاً وأصبح التعاون بينها شبه معدوم. فلماذا إذن لا يستغل اليهود هذا الوضع العام الممزق لمصلحتهم وإلى أقصى الحدود .

ولمواجـهـة هذا التـهـديد الواضح كـان أهم أولوياتنا، أن نتـخـذ جميع الإجراءات الكفيلة بضمان اسـتـمـرار حـالة الهدنة وتأمين الاسـتـقـرار على طول الخطوط الأمامية عن طريق مـراقـبي هيئة الأمم المتـحدة الذين تم تشكيل وحدات كافية منهم للإشراف على وقف إطلاق النار من قـبل الاطراف المتـحـاربة. وقد اعتبرت خطوط وقف إطلاق النار هي الخطوط الماره من أمـام المواقع الدفاعية التي تواجدت فيها قوات الطرفين عند تنفيذ قرار وقف إطلاق النار. واعـتـبرت المسـاحـات الواقـعة بين الخطين المتقابلين (مناطق حرام) يمنع دخولها من قبل أي من الطرفين المتـحـاربين. على أن يتم ترسـيم الخرائط الرسميه لهذه الخطوط من قبل وفود رسمية من الطرفين المتحاربين تحت إشراف مراقبي هيئة الأمم المتحدة .

وقـد عـيـنت الحكومـة الاردنيـة وكـيل القـائد عـبـدالله التل ليرأس الوفـد الاردني لهذه الاجـتماعات. وقد عقد أول إجتماع بين الوفد الاردني والوفد الاسرائيلي في القدس بتاريخ ٢١

تموز برئاسة ممثل هيئة الأمم المتحدة وبعدئذ تم التوقيع من قبل الوفود الرسمية على خرائط وقف إطلاق النار التي زودونا بنسخ عنها وتم توزيعها على وحداتنا الامامية للتقيد بها بحسب شروط الهدنة .

وبتاريخ ٢٤ تموز بدأ ضباط الرقابة الدولية بالوصول لمواقعهم وإنشاء نقاط المراقبة على طول الخطوط الأمامية للإشراف على تطبيق وقف إطلاق النار بدقة وإيجاد الحلول للمشاكل الطارئة عن طريق التوفيق بين الطرفين. وقد كانت أولى هذه المشاكل بالنسبة لنا تتمثل في الطلب الذي تقدم به اليهود عن طريق الوسيط الدولي للسماح لهم بايصال مياه رأس العين الى القدس حيث كانت أجزاء من الأنابيب قد نسفت كما أن محطة الضخ الرئيسية تقع في المنطقة الحرام المواجهة إلى اللطرون وتحت سيطرة اسلحة قواتنا. وبالتالي فإنهم لا يستطيعون إصلاح الانابيب واعادة تشغيل محطة الضخ بدون موافقتنا. وقد رفضت الحكومة الأردنية هذا الطلب إلا إذا وافق اليهود على إعادة السكان العرب الذين نزحوا عن القدس إلى منازلهم. كما رفضت الحكومة كذلك السماح بمرور القوافل من تل أبيب الى القدس عن طريق اللطرون بينما كان الكونت برنادوت يصر على السماح بتزويد القدس بالماء من رأس العين. ولذلك قرر وضع محطة الضخ تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة بإعتبارها موجودة بداخل المنطقة الحرام. وعلى هذا الأساس قام بزيارة المحطة وسمح لمجموعة من المهندسين اليهود ليقوموا بالكشف عليها بمرافقة المراقبين الدوليين تمهيداً لتشغيلها. وإزاء هذا الموقف تم إتخاذ الترتيبات لإرسال مجموعة من المناضلين بإشراف قيادة الكتيبة الثانية لنسفها .

وقد تمت عملية النسف هذه ليلة ١١/١٢ آب ١٩٤٨م. وعلى إثر ذلك ثارت زوبعة من الاحتجاجات من قبل مراقبي هيئة الأمم المتحدة وطلبوا منا رسمياً البحث عن الفاعلين. وقد ابلغناهم بعد فترة أننا لم نستطع العثور على الذين قاموا بهذا العمل لأن المحطة تقع أصلاً في المنطقة الحرام. وقد سبق أن وضعها الوسيط الدولي تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. ولذلك فما المانع من أن يكون الذين نفذوا عملية النسف قد حضروا من المنطقة التي تحتلها إسرائيل.

ورغم أن مراقبي هيئة الأمم المتحدة لم يقتنعوا بهذا الجواب وظلوا يتهموننا بتدبير العملية إلا أن إجراءاتهم الرسمية توقفت عند هذا الحد. وقد قدم اليهود احتجاجاً ضدنا واعتبروا عملية النسف بحد ذاتها خرقاً لإتفاق وقف إطلاق النار .

أما نحن في قيادة الفرقة فقد صرفنا النظر عن هذا الحادث مؤقتاً وركزنا اهتمامنا على

محاولة تثبيت وقف إطلاق النار على طول الجبهة والتقليل بقدر الامكان من حوادث الاشتباكات الموضعية لكي تخف حدة التوتر تدريجياً وقد كان هذا الأمر في غاية الاهمية لآن الموقف العسكري ليس لصالحنا لاسيما وانه لم يبق لدينا من الذخائر وخصوصاً قنابل المدفعية ما يكفي لأكثر من أسبوع قتال لكافة الوحدات. والحكومة البريطانية ما زالت عند موقفها السابق بمنع تزويدنا بأية كميات من الأسلحة والذخائر. ولذلك فإن خرق الهدنة أصبح أمراً خطيراً والعوده الى القتال تحت هذه الظروف قد تعني الكارثة .

وخلال هذه الأيام الصعبة كان علينا ان نستقبل عدة شخصيات ووفود رسمية مهمه ونقضي معظم وقتنا في الإجتماعات أو الجولات على الخطوط الأمامية. ولقد كنا نحسب لهذه الجولات الف حساب لأن الوضع على خطوط الهدنة ما زال غير مستقر وإطلاق النار متوقع دوماً بأي مكان وبشكل مفاجيء. ولا نستطيع ضمان سلامة الزائرين رغم كل الاحتياطات التي يمكن أن نقوم بها فإنها لن تحول دون وجود القناصة اليهود في مناطق مشرفة ويمكنهم بواسطة المناظير تمييز شخصيات الزوار من حيث اهميتهم وإصابتهم بسهولة. ولكن على أي حال كان يتوجب علينا قبول هذه المسؤوليات والقيام بها على أفضل ما نستطيع .

وقد كانت أولى هذه الزيارات بتاريخ ٢٨ تموز حيث زارنا الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق وكان بمعيته الفريق صالح صائب الجبوري رئيس أركان الجيش العراقي والعقيد عباس علي غالب مدير العمليات الحربية وعدد من كبار الضباط العراقيين وقد وصل ركب الامير الى قيادة الفرقة حوالي الساعة العاشرة صباحاً وبعد اجتماع قصير تحركنا لزيارة الخطوط الأمامية .

وعندما كنا نتأهب لركوب السيارات جاءنى الرئيس الأول مظفر التك ضابط الارتباط العراقي الملحق بقيادة الفرقة ليقول لي ان الامير يدعونى لإركب معه بسيارته لكي نتحدث أثناء الرحلة. فذهبت على الفور وانضممت اليه. وبعد ان شرحت للأمير الموقف العام بالنسبة للقوات الاردنية مستعيناً بالخارطة التي كنت أحملها معي لهذه الغاية. وبينت له خطورة الجبهة الاردنية وأهميتها بالنسبة للموقف العربي العام في فلسطين نظراً لصغر حجم القوات الاردنية التي تدافع عنها وان العدو قد يستغل هذا الموقف ويفتعل حادثاً معيناً يؤدي إلى اصطدام مسلح بين المواقع الأمامية المتقابلة بحيث ينتشر إطلاق النار ويشمل جميع الخطوط الأمامية. وتحت ستار موقف من هذا النوع سوف يزجون بقوات كبيرة تخترق خطوطنا ويحققون حلمهم بإحتلال القدس بكاملها ونحن لا نستطيع الآن الاستمرار طويلاً بالقتال

لأن مـا بقي لدينا من ذخـائر لا يكفي لخـوض مـعـركة رئيسية واحدة وخصوصاً بالنسبة لقـذائف المدفـعـية . وعندئذ سيصبح بمقدور القوات اليهودية ان تطوي الجبهة العراقية من الخلف. وإذا حدث هذا فإنها سوف تستطيع الاستيلاء على باقي فلسطين بسهولة .

وقـد كان الأمير يصغي لهذا الشرح بإهتمام بالغ. وبعدما انهيت كلامي قال : ما رأيك ما هو الحل ؟ فأجـبـتـه : أعـتـقـد أن الحل هو أن نتدارك الأمور التي كانت تنقصنا منذ بداية الحـرب وهي أولاً وقبل كل شيء تزويدنا بما ينقصنا من جميع انواع الذخائر وبسرعة. وعلى الاقل ذخـائر الخط الأول والثـاني. ثم السعي لتدبير المزيد من الاسلحة الثقيلة والخفيفة على حـد سـواء بما يكفي لمضـاعـفـة حـجم قـواتنا الحالية وتأمين الاسناد المعقول لهذه القوات بالمدفـعـيـة والدبابات والغطاء الجـوي الفعال. ومن المهم جداً توحيد قيادات الجيوش المقاتلة بقيادة ميدانية واحدة يرأسها قائد كفوء بالسرعة الممكنة .

ثم قلت له : يا سمو الأمير أنه لو صحت العزيمة وصفت النوايا سوف يكون تحقيق هذه الأمـور ممكناً. وليس هذا مـسـتـحيلاً بدليل أن اليهود استطاعوا ان يحصلوا على أضعاف ما كـان لديهم من كـافـة أنواع الأسلحـة واسـتـحـدثوا سلاح جو كامل يمتلك الطائرات المقاتلة والقـاذفـة خـلال فترة الهدنة الأولى. ونحن لو صحت عزائمنا نستطيع عمل أكثر من هذا لو تهيأت لنا الوسـائل. ولو على الأقل لأننا نزيد عليـهم بعشرات المرات من حـيث عـدد السكان ومن المفـروض ان تكون قـدراتنا كأمة عربية أكثر بكثير من قدراتهم. ولقد ظهر لي ان الامير كـان مـقـتنعاً بما كنت أقوله وكان مستغرقاً في التفكير. ثم قال لي : صحيح هذا الذي تقوله لكن إن شاء الله يصير خير . ولم يفصح عن شيء آخر .

أمـا أنا فـقد سررت كثيراً لهذه المقابلة التي أتيحت لي وظننت أنها سوف تسفر عن نتائج مـهـمـة. وقـد كنت مـعـذوراً بهذا التفاؤل لأنى لم أكن في ذلك الحين اعرف شيئاً عن اسرار السـيـاسـة العليـا في العالم العربي ولا حتى في بلدي. وما أنا الا ضـابط ركن في قيادة فرقة. لكن آمـالنا في تلك الأيام كانت عظيمة وآلامنا من نتائج ما كان يحدث في ميادين القتال كانت مـريره. ودار فلك الزمـان وشـاءت الاقدار ان أقابل الامير عبد الاله بعد عشر سنين في قصر الرحـاب في بغداد أثناء المباحثات التي كنا نجريها لتأسيس الاتحاد العربي الهاشمي وذكرته بحـديثنا ذاك فـقـال (لم يكن بالامكان عمل شيء أكثر مما تم فعلاً) فقلت له : (ارجو الله أن يكون مـا هو آت افضل مما مضى) فابتسم الامير ولم يعقب على هذه الملاحظة. ولم أره بعد ذلك حيث وقع الانقلاب في بغداد بعد حوالي شـهر .

وبتاريخ ٢٩ تموز عام ١٩٤٨م حضر لزيارتنا وفـد من اعـضـاء مجلس النواب العراقي

ضـمن جولة قاموا بها على الجبهتين العراقية والاردنية. حيث كانوا مكلفين أصلاً من المجلس بزيارة الجـبـهـة العراقية وكتابة تقرير بنتيجة مطالعاتهم عن سير المعارك التي وقعت خلال فترة القتال الثانية. وذلك لمواجهة الهياج الشعبي الذي وقع في البلدان العربية على أثر إحتلال اليـهـود لمدينتي اللد والرملة. وعـدم نجـاح الجـيـوش العربية بتحقيق انتصار ذو أهمية في جـبـهات القتال. وهذا هو المدخل الذي حملهم على القيام بهذه الزيارة للجبهة الاردنية كذلك. وقـد رافـقت هذا الوفد بجولة على خطوطنا الامامية في مدينة القدس حيث قام قادة الوحدات بشرح الموقف ووصف المعـارك التي وقـعت كل فيما يخصه في منطقته والإجابه على الأسئلة والاسـتفسارات التي كانت توجه اليهم من قبل النواب. ثم بعد ذلك تحركت هذه المجموعة الى نابلس لزيارة الجبهة العراقية .

وفي صباح يوم ٣١ تموز حضرت مجمـوعـة ثانية من النواب ورافقتهم بجولة أخرى على خطوطنا الأمـامية خارج مدينة القدس. وبدأنا جولتنا بزيارة مواقع الكتيبة الخامسة وشرحنا لهم مـعركة الرادار خلال مرحلة القتال الاولى. كما شرحنا باقي العمليات التي نفذتها الكتيبة الخـامـسـة في هذه المنطقـة. ثم تحركنا الى منطقة الكتيبة الرابعة حيث توقفنا في موقع قرية (بـدُّو) وشرحنا لهم مـوجـزاً عن العمليات الحربية التي دارت في تلك المنطقة وبينا لهم مدى خطورتها بالنسـبة للدفاع عن منطقة اللطرون وأهمية صمود سرايا هذه الكتيبة في تلك الموقع في وجـه محاولات اليـهـود للإلتـفـاف حول اللطرون من الخلف واغلاق فكي الكماشه حول مـواقع الكتـيـبـتين تمهـيـداً لتـدميرهما. ثم تحـركنا الى مركز بوليس اللطرون وشرحنا لهم تسلسل هجمات القـوات اليـهودية المتكرره على هذا الموقع ومحاولاتها اليائسة لاحتلاله مهما كلفـهـا الثـمن. وخـصـوصـاً محاولتها الأخيرة التي زجت فيها بثلاثة ألوية لاكتساح منطقة اللطرون وباب الواد بكاملها بثقل التفوق الهائل الذي أصبح متوفراً لديها

وبينا كيفية صمود قطعات الكتيبة الثانية بهذا الموقع وحجم الخسائر التي تكبدها اليهود في هجماتهم المتـعـددة كما شرحنا لهم أهميـة الاحتفاظ بمواقعنا في اللطرون بالنسبة للدفاع عن القـدس وخطورة ضـيـاع مواقع اللطرون التي نعتبرها زاوية الارتكاز الأساسية بالنسبة للجبهة الاردنية .

وبعـد ذلك عـدنا الى قيادة الفرقة ومنها غادر الوفد إلى نابلس لتفقد الجبهة العراقية. وقد عـرفنا فيما بعد أنهم كتبوا تقريراً مفصلاً يشيد بمواقف القطعات الاردنية والعراقية بمختلف مسـتـوياتها وبصـمـودها واستبسال جنودها وضباطها في الدفاع عن ثرى فلسطين خلال فترتى القتال الاولى والثانية .

وعلى أي حال فإني أحببت أن أذكر هذا العرض لهاتين الزيارتين لسبب مهم وهو أننا في تلك الأيام كان همنا الأكبر هو الحصول على ما نحتاجه من ذخائر على وجه السرعة لأننا كنا نشك بإمكانية استمرار الهدنه الى ما لا نهاية ولا بد ان اليهود سوف يختلقون سبباً لإستئناف القتال ما داموا يعرفون حقيقة ما نعانيه من نقص في الذخائر بحيث لا نستطيع الصمود في معركة طويلة الأمد. وهم ما زالوا مصممين على احتلال مدينة القدس بكاملها. أو حتى إخراجنا من فلسطين نهائيا وكنا نتوقع أن مثل هذه الزيارات من قبل كبار المسؤولين العرب وخصوصاً العراقيين لابد أن ينتج عنها بعض الأمكانيات لسد حاجتنا من الذخائر ولو بشكل محدود فسيكون أفضل من لا شيء. لاسيما ونحن نتعامل مع خصم لا يهمه التقيد بالتزامات أو مواثيق أو هدنه عندما يرى أن مصلحته تتطلب ذلك. تماماً كما فعل في الجبهة المصرية أثناء سريان الهدنة الثانية كما سيأتي شرحه فيما بعد .

ولكن من محصلة جميع هذه النشاطات لم نحصل على أية ذخائر أو أسلحة وبقيت حالتنا كما هي واستمرت الهدنة .

سبق أن ذكرت أن اليهود بدأوا يطالبون بإعادة استئناف ضخ مياه رأس العين الى مدينة القدس عندما بدأ وقف إطلاق النار وأن الحكومة الأردنية رفضت هذا الطلب إلا إذا وافق اليهود على إعادة اللاجئين العرب من سكان القدس إلى بيوتهم ورفض اليهود ذلك أيضاً. وبهذه الأثناء وضع برنادوت موقع هذه المضخات تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. وقام بزيارتها من جهة الجانب الاسرائيلي وسمح لمهندسين يهود بزيارتها والكشف على المضخات والموتورات تمهيداً لتشغيلها .

وعلى أثر هذه الإجراءات قمنا بتحضير خطة لنسف هذه الموتورات كما أسلفت وفي صباح يوم ٩ آب وصل قائد الجيش لزيارتنا وبعد أن قام بجولة على مواقع الكتائب الأولى والثانية والرابعة عاد الى مطار قلنديا وقد ذهبت مع قائد الفرقة لمقابلته ثم انتظرنا جميعاً وصول الكونت برنادوت الذي وصل بالساعة الواحدة والنصف ظهراً وعقدنا اجتماعاً في المطار أثار برنادوت خلاله موضوع عدم التقيد بوقف إطلاق النار من قبل جنودنا وابدى قلقه من هذا الموقف وطلب من قائد الجيش الاهتمام بهذه المسألة وقال أنه سوف يطلب من الجانب الاسرائيلي نفس الطلب لكي يضمن استمرار الهدنة بشكل فعال. ثم أشار الى موضوع ضخ الماء الى القدس وانه يتوقع ان ينتهي العمل في إصلاح المواسير والموتورات قريباً ويأمل أن لا تقوم قواتنا بإطلاق النار على فرق الاصلاح التي ستباشر عملها قريباً في المنطقة الحرام. كما طلب ان يسعى قائد الجيش لإقناع الحكومة الاردنية للموافقة على السماح لقوافل المؤن

اليـهـودية ان تمر الى القـدس عن طريق اللطرون. ولم يعلق الفـريق كلوب على هذه الطلبات سـوى بقـوله سـوف نعـمل كل ما نستطيع في سبيل تحقيق الهدوء ووقف الاشتباكات من جانبنا ولكن نأمل أن تتمكن من حمل اليهود على التقيد بذلك من جانبهم بدقة. ثم قال باللغة العـربيـة مـوجهاً الكلام إلى قائد الفرقة وإلي أنا (من فضلكم أوقفوا إطلاق النار نهائياً مهما كـانـت الظروف لأن المسألة صـارت خطيره). وبعـد ذلك أنفض الإجـتماع وذهب برنادوت لزيارة المنطقة اليهودية وعدنا نحن إلى قيادة الفرقة .

وفي اليوم التالي ١٠ آب عـاد الفـريق كلوب من عمان إلى القدس للإجتماع مع برنادوت. وبتمام الساعة ٨,٣٠ صـبـاحاً عقد الإجتماع في قيادة الكتيبة السادسة في مدرسة الروضه بين برنادوت وممثل الجـامـعـة العـربية وحضره الفريق كلوب وقائد الفرقة ولم أحضر هذا الإجـتماع ولكن قـائد الفـرقة اخبرنى انهم استعرضوا مسألة التعديلات التي كان برنادوت ينوي إدخـالها على مـقترحـاته الأصليـة التي سبق ان اعلنها قبل مرحلة القتال الثانية وأنها أفضل من المقترحات السابقة

وفي صباح اليوم التالي ١١ آب حضر برنادوت من القـدس لزيارة اللطرون ثم عاد لتناول طعام الغذاء معنا في قيادة الفرقة

وتحـدث برنادوت أثناء الغـذاء عن الكثير من المواضـيع المتعلقة بتثبيت وقف إطلاق النار وأكـد أنه على جميع الأطراف المتـحـاربة ان يخفـفـوا من غلوائهم ويوقفوا الاشتباكات نهائياً لكي ننتـقل الى مـرحلة الهدنة الدائمـة. كما تحـدث بإيجاز عن مـقترحـاته التي هو في صدد تعـديلها ثم قال ان أهم ما يسعى لتحقيقه هو أن تكون المناطق العربية متصلة مع بعضها بشكل مـعـقـول وان يؤمن اتصـالاً برياً بين مصر والاردن عن طريق النقب الذي سـيـقترح اعطاءه الى العـرب ويعطي بدله الجليل الغـربي لليـهـود بحـيث تصـبح المناطق المخـصصة لإسرائيل متصلة ببعضها كذلك .

وبعـد الغـذاء تحـركت الى عمان حـيث قـضيت تلك الليلة وفي صباح اليوم التالي ١٢ آب حضرت إجتماعاً بمعية جلالة الملك عبد الله وحضره عدد محدود من ضباط الجيش (العرب) وقـد تحـدث جـلالة الملك عن الأوضاع الراهنة وابدى ألمه واستياءه من التفرق العربي وكيف أن العـرب أضـاعـوا القـضـيـة لأنهم لم يتفقوا على شيء. بالإضافة الى أنهم لم يحشدوا كامل قـدراتهم منذ البـداية ولو أنهم عـملوا هذا لاخـتلفت الصـورة. ثم قال : أنا لن أسمح بتدمير جـيشي الذي ضـحى بكل شيء في سـبيل الدفاع عن فلسطين. وأن هذا الجيش قد مضى عليه مـدة طويلة وهو في الخنادق وقـد آن الأوان لكي يخرج منهـا ليـعود الى معسكراته للتدريب

ولينال قسطاً من الراحة التي يستحقها. وما زلت أذكر كلمته عندما وضع يده على ياقة قميصه وقال (الجيش مثل زيق ثوبي هذا ولا يمكن أن أبعده عني) وبعد أن أنهى جلالة الملك حديثه الذي قصد منه حسب اعتقادي ان يشعر الضباط العرب انهم قريبون منه وأنه يرغب ان يكون له اتصال مباشر معهم وليس فقط عن طريق قائد الجيش .

وبعد الإجتماع عدت الى قيادة الفرقة في رام الله وكانت عملية نسف مضخات المياد في منطقة اللطرون قد تمت في الليلة السابقة ١١/١٢ آب. وأدرك اليهود أنه أصبح يترتب عليهم ان يجدوا مصدراً جديداً بدلها لتزويد القدس بالماء. ولكنهم بدأوا يحضرون خططهم واستعداداتهم للإنتقام والتي قدرنا انها تستهدف الاستيلاء على هدف مهم يمكنهم المقايضة به مستقبلاً ليأخذوا بدله المنطقة الحرام التي تقع فيها تلك المضخات. وقد بدأوا بزيادة كثافة القصف المدفعي وتراشق النيران في مختلف المناطق وخصوصاً في مدينة القدس .

وللتخفيف من تأثير حادث نسف المضخات قامت الحكومة الأردنية بخطوة إيجابية بناء على الحاح الكونت برنادوت فسمحت بمرور القوافل اليهودية الغير مسلحة الى القدس عن طريق اللطرون وقد ابلغتنا قيادة الجيش بتاريخ ١٤ آب أن معالي وزير الدفاع وافق على السماح للقوافل اليهودية الغير مسلحة بالمرور من اللطرون تحت إشراف مراقبي الهدنة على أن يقدم اليهود لنا قوائم بمحتويات السيارات وتعطى لنا مهلة مدة ٢٤ ساعة قبل موعد مرورها. وقد وافق مراقبو الهدنة على هذه الترتيبات .

لكن هذا الإجراء من قبل الحكومة الأردنية لم يؤثر على موقف اليهود ولم يمنعهم من تنفيذ ما خططوا له سلفاً وهو محاولة الاستيلاء على جبل المكبر ومنطقة دار الحكومة وقطع طريق القدس ـ عمان. أو محاولة اختراق منطقة الشيخ جراح للوصول الى جبل المشارف (سكوبس) حيث تقع الجامعة العبرية ومستشفى هداسا. ولو حققوا أي من هذه الاهداف سوف لن يكون بالإمكان إخراجهم منها عن طريق هيئة الأمم المتحدة .

وفي صباح يوم الإثنين ١٦ آب بدأ هجوم اليهود على منطقة الشيخ جراح من مواقعهم في بنايات (سنهادريا) المقابلة لمركز بوليس الشيخ جراح بعد تمهيد بقصف شديد من المدفعية والمورتر. ولكن الكتيبة الثالثة صمدت في وجه هذا الهجوم وتمكنت من صده بعد قتال دام عدة ساعات وتكبيد اليهود خسائر كبيرة .

وفي مساء يوم الثلاثاء ١٧ آب بدأ اليهود قصفاً مدفعياً مكثفاً على جميع مواقعنا في جنوب القدس حتى بلدة صور باهر وشملت جبل المكبر وقرية سلوان. وفي الساعة الثامنة مساءً بدأ هجوم اليهود على منطقة جبل المكبر التي كانت تتمركز فيها بعض القوات من

المناضلين وفئة من الجيش العربي ووحدة من الجيش المصري. وتمكن اليهود من احتلال (الحرش) المقابل لبناية (دار الحكومة) ثم أكملوا احتلال باقي المنطقة حتى الكلية العربية. وعند منتصف الليل سيطروا على منطقة جبل المكبر بكاملها. وبهذه الاثناء جمع قائد الكتيبة السادسة قوة من كتيبته مع مجموعات من المناضلين وشنت هجوماً معاكساً على جبل المكبر حوالي الساعة الرابعة صباحاً وتمكنت من طرد القوة اليهودية منه وانتهى تطهير المنطقة بالساعة الثامنة صباح يوم ١٨ آب. ولقد كان هجوم اليهود هذا على جبل المكبر يعتبر اخطر عملية خرق لوقف اطلاق النار حدثت حتى ذلك التاريخ. وكادت ان تؤدي الى تجدد القتال على نطاق واسع. ورغم ذلك فلم يتوقف اليهود عند هذا الحد. فمنذ الصباح الباكر يوم ١٩ آب بدأوا بقصف جميع مواقعنا في القدس بالمدفعية والمورتر واندلعت الاشتباكات بمختلف الاسلحة على طول الخطوط الأمامية. وعلى إثر هذه الاشتباكات رتب كبير مراقبي هيئة الأمم المتحدة عقد اجتماع يوم ٢٠ آب برئاسته وبحضور مندوبين عن الاردنيين والمصريين والاسرائيليين لبحث كيفية وقف إطلاق النار والمشاكل التي استجدت بنتيجة الهجوم اليهودي على منطقة جبل المكبر .

ولكن هذا الإجتماع لم يسفر عن أي اتفاق على مواضيع البحث. فقرر كبير المراقبين الدوليين تأجيله لتاريخ ٣ أيلول حيث تم بهذا الاجتماع الأخير الاتفاق على جلاء القوات اليهودية عن الكلية العربية. كما وضعت المنطقة التي تضم دار الحكومة والمدرسة الزراعية والكلية العربية تحت إشراف هيئة الرقابة الدولية التي وضعت مكاتبها في بنايات دار الحكومة وأصبحت مقرها الدائم، كما تم الاتفاق بهذا الإجتماع على أن تتقيد جميع الأطراف بوقف إطلاق النار تقيداً تاماً وشاملاً. وفي وقت لاحق تم تحديد المناطق المنزوعة السلاح على خرائط خاصة جرى التوقيع عليها من قبل الضباط المعتمدين وصادقت عليها الحكومات المعنية حيث تم التقيد بها بعد ذلك من قبل القوات العسكرية في الخطوط الأمامية وبهذا ضمن اليهود إخراج منطقة جبل المكبر من سيطرة الجيش العربي واصبحت هي ومنطقة مرتفع (سكوبس) التي سبق أن وضعت لها اتفاقية خاصة تحت حماية الأمم المتحدة وهما أخطر منطقتين تسيطران على مدينة القدس من الشمال والجنوب .

وبتاريخ ٣٠ أيلول وقع مندوب عن الأردن ومندوب عن اسرائيل على اتفاقية وقف إطلاق النار لمنطقة مدينة القدس .

وبهذه الأثناء بدأت النشاطات السياسية على مختلف الاصعدة والمستويات سواء كان ذلك على صعيد هيئة الأمم المتحدة أو على صعيد الجامعة العربية بمبادرة الدول المعنية مباشرة.

وقد كان الوسيط الدولي الكونت برنادوت منهمكاً في تعديل مقترحاته السابقة لبلورة مشروع نهائي ومتكامل ليقدمه الى مجلس الأمن الدولي بالسرعة الممكنة. وكان يأمل عن طريق هذا المشروع المعدل ان يتوصل الى حل نهائي لقضية فلسطين وإحلال السلام في المنطقة. ولقد كان برنادوت في تفكيره هذا يجهل جشع اليهود وأطماعهم الواسعة في المنطقة ومدى تأثير الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية بشكل خاص وفي باقي دول العالم بشكل عام. ولهذا فقد كان ينظر الى هذه القضية برمتها من زاوية العدالة والإنصاف لجميع الأطراف كما يراها بمثاليته وأخلاقه العالية . ومن هنا كانت غلطته القاتلة التي دفع ثمنها حياته في أحد شوارع القدس. حيث لم يغفر اليهود له أن يكون شريفاً عادلاً لا يخشى في الحق لومة لائم. ولذلك فقد قرروا اغتياله واغتيال العدالة معه. وقبل أن تتمكن مثاليات هذا الرجل النزيه من النجاح في تحقيق العدالة للجميع وبسط السلام في ارض السلام وإعادة بعض الحقوق المسلوبة لأصحابها الشرعيين من عرب فلسطين الذين شردهم اليهود قسراً من ديارهم واستولوا على ممتلكاتهم وتركوهم يهيمون في بقاع الارض لا يملكون ما يسدون به رمقهم. وقد كان برنادوت يدرك هذه الحقيقة ويستوعب ابعادها. ولذلك كان مصممًا على أن يكون أهم بند من بنود مشروعه يشترط عودة اللاجئين الى بيوتهم وممتلكاتهم وتعويض من لا يرغب العودة منهم .

وعلى الرغم من ان برنادوت كان يمقت الأساليب النازية وما ارتكبه النازيون خلال الحرب العالمية الثانية من جرائم بشعه ضد الكثير من شعوب الارض ومن ضمنهم اليهود. إلا أنه لم يكن يؤيد وبنفس القوة ان يدفع عرب فلسطين ثمن جرائم هتلر وممارساته. ومن هذا المنطلق كان يصر على أن الإعتداء على الارض العربية في فلسطين يجب أن يقف عند حده وأن لا يسمح بالتمادي في اقتلاع باقي عرب فلسطين من بيوتهم وممتلكاتهم وأن العدالة والسلام يجب أن يسودا في المنطقة ويعيش الجميع بأمان واطمئنان وهذا لن يتأتى إلا إذا تمكن من وضع صيغة عادلة منصفة وقابلة للتطبيق ويدعمها المجتمع الدولي. وعلى أساس هذه الثوابت وضع برنادوت توصيات جديدة تتضمن تعديلات جوهرية على مشروع التقسيم الذي اقره مجلس الأمن الدولي عام ١٩٤٧م. وكان من أهم ما جاء بهذه التعديلات بالإضافة إلى مقترحات أخرى ما يلي :

أولاً : اعطاء منطقة النقب للعرب وبالمقابل اعطاء منطقة الجليل الغربي ومدينة يافا (والتي خصصها مشروع التقسيم للعرب) إلى اليهود .

ثانياً اعادة اللد والرملة إلى العرب .

ثالثـاً : تجـريد مدينة القدس من السلاح ووضعها تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة (وكان في تقريره السابق قد أوصى بوضعها تحت السيادة العربية) .

وقـد رفض اليـهود هذه المقترحات كما رفضها العرب. وفي يوم ١٦ أيلول أصدر (موشي شاريت) وزير خارجية إسرائيل تصريحات اتهم فيها الكونت برنادوت بأنه متحيز ضد دولة إسرائيل لمصلحـة الدول العـربيـة. وبنفس هذا اليـوم كـان برنادوت قد وقع تقريره النهائي ورفعه الى مجلس الأمن الدولي .

وفي صـباح يوم الجمعة ١٧ أيـلـول وصـل الكونت برنادوت الى مطار قلنديا الواقع بين القـدس ورام الله حـيث اسـتـقـبلناه وأحضرناه الى قيادة الفرقة وأجتمع مع اللواء لاش قائد الفـرقـة وحضرت هذا الاجـتماع حـيث شرحنا له الحـالة العامة على طول خطوط الهدنة في منطقـتنا. كما شرح لنا هو مجمل توصـيـاته الأخيرة التي ضـمنهـا بتـقريره النهائي. وبعد الإجـتماع اصطحـبته الى القدس حيث كان يريد الذهاب لتفقد بناية دار الحكومة الواقعة على جـبل المكبر والتي كـان في صـدد تحويلها الى مقر دائم للوسيط الدولي لأنه كان يرغب بنقل مـقـره من جـزيرة رودس الى مـدينة القـدس بأسرع وقت ممكن. فأوصلته إلى نقطة العبور الوحـيـدة المسموح العبور منها الى الأحياء اليهودية في القدس الجديدة عند البناية التي كانت تسـمى بوابة (المندلبوم) الواقعة في الطرف الشرقي من حي مشيرم عند حافة المنطقة الحرام. وبعد أن أجتاز خطوطنا الأمامية عدت الى قيادة الفرقة .

وحـوالي السـاعـة الخـامـسـة مـسـاءً تلقينا النبأ عن طريق هيئة الرقابة الدولية وكانت المعلومـات الأوليـة تفـيد أن الكونت برنادوت قد اغتيل عندما كان في طريقه الى دار الحكومة بعد تناوله طعام الغذاء في جمعية الشباب المسيحية (YMCA) وقد اغتيل معه معاونه الفرنسي الكولونيل (سيرو). وقـد جاء في المعلومات انه عندما وصلت قافلة سياراته الى حي القطمون على الطريق المؤدي الى حي (رحـابيـا) اعترضـتهم سيارة جيب كانت تقف في وسط الطريق وقـفـز منهـا ثلاثة مـسلحين من اليـهـود وأطلقوا النار على برنادوت ومساعده وهربوا ولم تقـبض السلطات الإسرائيليـة على أحـد منهم . وقـد اعلنت الحكومـة الاسرائيلية أنه ليس لها عـلاقـة بهذا الحادث الذي قامت به جماعة من العصابات السرية. وللتغطية على هذه المؤامره الإجـرامـيـة ولكي يستفيدوا بنفس الوقت من الناحية السياسية أصدر (بن غوريون) رئيس وزراء اسرائيل أمـراً بتجريد المنظمتين الإرهابيتين (ليحي) و(ايتسل) من السلاح وتصفيتهما رغم أنه كـان راض كل الرضى عن تصـفـيـة برنادوت. وهكذا فـقـد تخلص من المنظمـتين المعارضتين له ومن برنادوت في آن واحد .

أمـا القتلة فلم يتعرض لهم أحد. وفي اليوم التالي تم نقل جثمان الكونت (فولك برنادوت) من القـدس إلى مطار اللد بقـافله من سـيـارات هيئة الأمم المتـحدة عن طريق اللطرون وقد وضـعنا سرية مراسم اصطفت بجانب الطريق أمام مواقعنا لتحتية أثناء مروره في طريقه إلى بلاده .

وهكذا ذهب برنادوت قـبل أن يحقق أغلى أحـلامه بتحقيق السلام في أرض السلام ودفع حـيـاته ثمناً للدفـاع عن مـبـادئه السامية ومثله العليا. ولكنه أحتل مكاناً محترماً في التاريخ وضرب أروع مـثل لكيـفـية المحافظة على القيم الإنسانية والمثل السامية واستحق إحترام كل الناس الذين يقدرون هذه القيم السامية .

ومما لاشك فـيـه أن السلطات الاسرائيليـة كـانت ضـالعـة أو على الاقل مـشجعة لعملية تصـفـيـة الكونت برنادوت. وبهذا الصـدد أسـتطيع الإشارة الى واقعتين هامتين تشيران إلى ضلوع الحكومـة الاسرائيليـة في هذه الجـريمـة. أولاهما تتمثل بالتصريح الذي أدلى به موشي شـاريت قـبل وقـوع الجـريمـة بيـوم واحد واتهم برنادوت علانية بأنه متحيز ضد إسرائيل لصـالح العـرب. وهذا مـعناه أن حكومـة اسرائيل تقف عـلانية ضد الوسيط الدولي وبالتالي فإنها تعطي الضـوء الأخضر للمتآمرين لتنفيذ خطتهم التي لابد أنها كانت مرتبة وموضوعة سلفاً منذ مدة .

أمـا الواقـعـة الثـانيـة والتي حـدثت بعـد جريمة اغتيال برنادوت مباشرة فتتمثل بخرق اسرائيل للهـدنة ومـبـاشرتها بتنفيذ الخطة التي كانت قد وضعتها مسبقاً والتي تعتبر جريمة اغـتـيال برنادوت مقدمة لها أو جزءاً منها والتي كانت تقضي باحتلال ما تبقى من النقب بيد المصريين واحـتـلال مـا تبـقى من الجليل بيـد جيش الانقاذ كما سيأتى شرحه بمكان لاحق. وهكذا فإن إسرائيل بقـيـامها بتدبير اغتيال برنادوت واحتلال النقب والجليل ستقطع الطريق نهائيـاً على مجلس الأمن الدولي لتنفـيـذ ما جاء بتقرير برنادوت بأي وسيلة كانت ما عدا ان يتمكن العـرب من إخراجها منها بقوة السلاح. وهذا أمر أصبحت اسرائيل متأكدة من انه لن يحصل في المستقبل المنظور .

وبهذه المناسـبة فإنى أحب أن أذكر رد الفعل الذي ظهر من اللواء لاش قائد الفرقة عندما ذهبت لمكتـبـه لابلغـه نبأ اغـتيال الكونت برنادوت حيث ذهل بالمفاجأة ثم نظر إلي وقال (لا أدري بعـد هذا كـيف يمكن تحصيل منطقة النقب للأردن واعتقد الآن أن مصير فلسطين قد تقرر لعشرين سنة قادمة على الأقل) .

ولم اتنبـه لأهميـة مـلاحظته في تلك اللحظة. ولكن بعد عودتى الى مكتبي فكرت بما قاله

بتـعـمق واتضح لي واقعياً أنه بهاتين الجملتين البسيطتين شرح الموقف القادم وأنه لا أمل لنا في الحـرب ولا أمل في الســلام أيضاً. وأنه ما دامت الدول العربية مصرة على تكريس التفرقة والخـلافـات فـيما بينها والتمسك بمصالحها القطرية الضيقة فإنه لا أمل لها بأن تسترد أية أراض فلسطينيـة أو غيرها مما خسرته أو ستخسره في الحرب. وان اقصى ما يمكن أن يأملوا به خـلال العـقـدين القـادمين على الأقل هو الاستمرار بحالة الهدنه الدائمة على الأراضي التي تقف عليـهـا الجـيوش العربية حالياً وبما أنى لم أكن مطلعاً على ما كان يدور من مباحثات سرية وراء الســتار فقد قلت لنفسي لابد أن (لاش) كان يخفي عني أشياءً مهمة لا يريد البوح بها. ولكن مـهما كـان الأمـر فليس بوسـعي إلا أن آخـذ كلامه على ظاهرة ولننتظر لنرى ما تخبؤه لنا الأيام .

وبهذه الفترة الحـرجـة التي اعـقـبت وقف إطلاق النار وبينما كـان اليـهود منهمكون في تطوير قـواتهم المسلحـة ومـضـاعـفة اعدادها وجلب الأسلحة المختلفة واستيعابها على وجه السرعـة استعداداً للضربة القادمة. كان العرب يغوصون في مرحلة المهاترات المحلية وكأنه لا يكفـيـهم التشرذم والتـفـرقـة التي كانوا يتمسكون بها فأخذوا يكيدون لبعضهم البعض سراً وعـلانيه بدلاً من توحيد جهودهم وتنمية قدراتهم العسكرية إستعداداً لما هو لا ريب آت من الاخطار والمحن الرهيبة

وكلما تعـمـقت الخـلافـات بين الأقطار العـربيـة كلما إزدادات ضعفاً في مواجهة القدرات الاسرائيليـة العـسكرية والسـيـاسـية والتي أصبحت متفوقة الآن على جميع القدرات العربية لاسـيما وان اسرائيل كـانت منذ اعلان قيامها تحظى بدعم الدول الاستعمارية جميعها غربية كـانت أم شرقـيـة ولا تزال . فكان الاتحـاد الســوفـيـاتى أول دولة اعترفت اعترافـاً كـاملاً بإسرائيل. لأن اعتراف أمـريكا رغم أنها اعلنتـه قـبل الموعد المحدد لأعلان قيام دولة إسرائيل (إذا اعـتبرنا الفـرق بالتـوقـيت بين امـريكا والشرق الاوسط) كـان اعترافـاً واقـعـيـاً فـقط (ابسوفاكتو ـ Epso Facto) كما كـانت تشـيكوسلوفاكيا أكبر بلد مصدر للسلاح إلى اسرائيل منذ عام ١٩٤٧م أي قـبل بدء الحـرب وأثناء الإنتداب البريطانى على فلسطين سواء كان ذلك عن طريق البـيع المبـاشر أو عن طريق تقديم التسهيلات اللازمة لنقل الاسلحة عبر مطاراتها الى اليـهـود في فلسطين حـيث كـانت تشيكوسلوفاكيا تعتبر مركز التجمع للاسلحة والمعدات التي كـان اليهود يشترونها من مـختلف بلدان العالم ويجمعونها هناك لنقلها جواً الى فلسطين بطرق غير مباشرة (بالتهريب) .

ورغم أن الخـلافـات العـربية كانت كثيرة إلا أن من أهم معالمها التي ظهرت على السطح

خـلال هذه الفترة الحـرجة من مراحل الصراع هي مسألة اعلان قيام حكومة عموم فلسطين. حـيث اجـتـمـعت اللجنة السـياسية للجامعة العربية في القاهرة بتاريخ ٢٢ أيـلول ١٩٤٨م. وبتأثير من الحكومـة المصرية والحكومـة السـورية اعلنت مـوافقتها على إعلان قيام حكومة عـمـوم فلسطين بناء على طلب الهيئة العربية العليا ودعمها لها. وقد تقرر ان يكون مقر هذه الحكومـة في مـدينة غـزة وعين السيد أحمد حلمي عبد الباقي رئيساً لها. وبتاريخ ٣٠ أيلول عـقـد اجـتماع للمجلس القومي الفلسطيني في مدينة غزة وانتخب هذا المجلس مفتي فلسطين سماحـة الحـاج أمين الحـسـيني رئيـسـاً له. وبنتيجة الاجتماع صدر عن المجلس بيان اعلن بموجبه وحدة فلسطين بكامل اراضيها واستقلالها التام .

ولقـد عـارضت الحكومـة الأردنية قيام حكومة عموم فلسطين منذ البداية سواء كان ذلك على الصـعـيـد السـيـاسي ضـمـن الجـامعة العربية وخارجها أو على الصعيد العملي. وكانت معارضة الحكومة الاردنية لهذا المشروع موضع خلاف حاد بينها وبين معظم الدول العربية وخـصـوصـاً مصر التي حملت حملة شـعـواء ضـد الحكومـة الاردنيـة مما ادى الى تعميق الخـلافـات العـربيـة وتكريس التناقضات بين مواقفها من القضية الفلسطينية برمتها وأبعد بالتالي إمكانية التوفيق بين الزعامات العربية في المستقبل المنظور .

وكـان من أهم أسـبـاب مـعارضة الحكومة الاردنية التي اعلنتها حينذاك لتشكيل حكومة عـموم فلسطين أن هذه الحكومة ليست لديها القدرة على حماية المناطق التي تدافع عنها قوات الجـيـش الـعـربي فـيما لو انسـحـبت منهـا الى شرق الاردن وكـذلك فإن المجلس القـومي الفلسطيني الذي انعـقـد في غـزة لم يكن مجلسـاً منتخباً ولا يمثل الا جزءاً قليلاً من الشعب الفلسطيني. وعلى هذا الأسـاس سـتصبح الموافقة على إجراءاته معناها تغليب رأي الاقلية على رأي الأكثرية التي لا تعترف بتمثيل هذا المجلس لها. وكنتيجة لهذه المعارضة الاردنية ظهرت مـعـارضـة فلسطينية لإنشاء حكومة عموم فلسطين قادها الشيخ سليمان التاجي الفاروقي. وهو من الشـخـصيات الفلسطينية الذين نزحوا الى عمان وأخذوا على عاتقهم تمثيل اللاجئين الموجـودين في شرق الأردن. وقـد عـقدوا مؤتمراً لهم في عمان بتاريخ ١ تشرين أول ١٩٤٨م برئاسـة الشـيخ سليمان التـاجي الفـاروقي وأصـدروا بياناً بإسم الفلسطينيين رفضوا فيه الاعتراف بحكومـة عـمـوم فلسطين وفـوضوا الملك عبدالله بمعالجة المشكلة الفلسطينية وقد كـان هذا المؤتمر بمـثـابة مقدمة للمؤتمر الذي عقد فيما بعد في عام ١٩٤٩م وسمي بمؤتمر أريحا وحضره عـدد كـبير من زعماء فلسطين واعلنوا فـيـه ضم الاراضي المتبقية من فلسطين تحت سـيطرة الجـيش العـربي الى شرق الاردن وسموها الضفة الغربية على اعتبار أن شرق الأردن هي الضفة الشرقية لنهر الأردن وبايعوا الملك عبدالله بن الحسين ملكاً عليها

تجدد القتال في الجبهة المصرية :

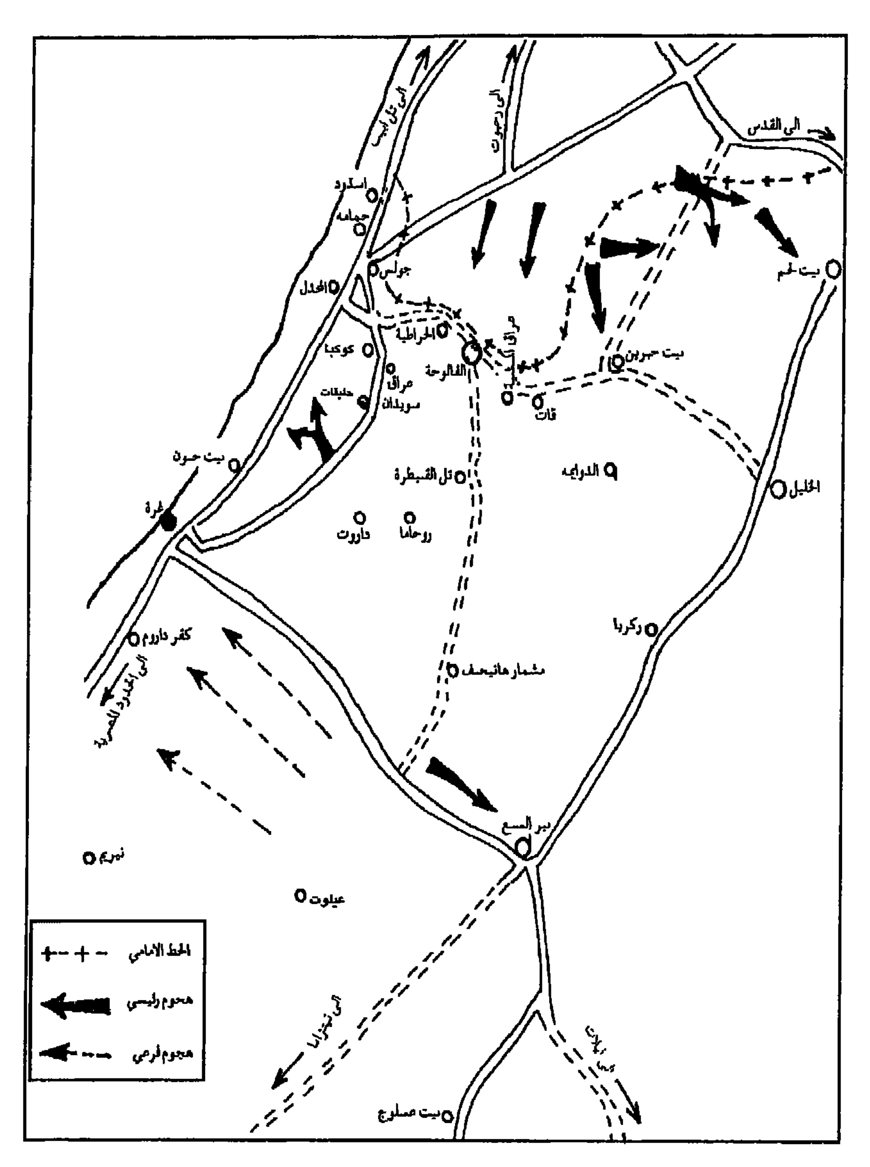
على الرغم من أن الهدنة كانت قائمة لكنها كانت مهددة بالانهيار لأن اليهود لم يكفوا عن اختلاق الحوادث والاشتباكات على الحدود متذرعين بمختلف الأسباب والتبريرات لأعمال خرق الهدنة التي كانوا يتعمدونها. وقد كانوا يتحينون الفرص لإيجاد الحجة المناسبة التي يستطيعون التذرع بها للعودة الى القتال من جديد وذلك لأنهم أدركوا مدى تفوقهم العسكري على الجيوش العربية في الميدان بفضل الكميات الضخمة من الاسلحة والذخائر التي حصلوا عليها وتمكنوا من استيعابها بسرعة. كما أدركوا مدى ما اصبحت عليه الجيوش العربية من الضعف بسبب عدم تمكنها من الحصول على الاسلحة وخصوصاً الدبابات والطائرات والمدفعية ونضوب ما لديها من الذخائر، وهذا فضلاً عن ما وصلت اليه الدول العربية من الخلافات والتفرقة والتناحر على مختلف الأصعدة. ومن محصلة هذه الأحوال ادرك اليهود أن هذه هي فرصتهم المناسبة وقد تكون الأخيرة للإستيلاء على النقب والجليل وإبطال مشروع برنادوت نهائياً على ارض الواقع .

وقد تضاعف حماسهم لتحقيق هذا الهدف بعد أن قاموا باغتيال برنادوت ولم يظهر من هيئة الأمم المتحدة أي رد فعل أكثر من الاحتجاج ونوع من الصدمه النفسية المؤقتة التي ما لبثت أن تلاشت آثارها وتجاوزت إسرائيل الاحراج الدولي الذي تعرضت له على أثرها بسرعة.

كان من شروط الهدنة التي وافقت عليها مصر السماح بمرور قوافل التزويد اليهودية الى مستعمراتهم في النقب عبر الخطوط المصرية تحت إشراف مراقبي هيئة الأمم المتحدة. وقد وجد الاسرائيليون أن هذه القوافل يمكن إستخدامها لخلق الذريعة التي ينشدونها للعودة الى القتال. فعندما أكملوا خططهم واتموا كافة استعداداتهم العسكرية للهجوم قاموا يوم ١٥ تشرين أول ١٩٤٨م بتحريك قافلة تزويد تحت إشراف مراقبي هيئة الأمم باتجاه الخطوط المصرية لتمريرها الى النقب. ولكنهم كانوا قد صمموا ان يستدرجوا القوات المصرية لكي تقوم بإطلاق النار عليها، ولتحقيق هذا الهدف اعطوا التعليمات لجنود الحراسة بأن لا تتوقف القافلة عند مرورها من نقطة التفتيش المصرية وان تحاول اجتيازها عنوة. وكان هذا التصرف هو الذي أجبر المصريين على إطلاق النار التحذيريه على القافلة فعادت على إدراجها من حيث أتت. وعندئذ اعتبر اليهود أن المصريين بتصرفهم هذا قد خرقوا الهدنة عمداً وبدأوا بتنفيذ خطتهم بشن الهجوم العام على الجبهة المصرية والتي كانوا قد أكملوا الاستعدادات لها سلفاً. وفي مساء ذلك اليوم قصفت الطائرات الاسرائيلية غزة والمجدل وبيت حنون. كما

اغــارت على مطار العــريش واعطبت عدداً من الطائرات المصرية وهي جاثمة على أرض المطار. وبنفس الليلة قــامت كــتيبة من (الكوماندوز) بغارات على عدة اهداف في المعسكرات والمنشآت المصرية كما وضــعت ألغــامــاً على سكة الحــديد الموصله بين العــريش ورفح. وبنفس الوقت تقــدمت كــتــيــبة أخرى نحو الجنوب عبر المنطقة الواقعة شرق عراق المنشيه وقطعت الطريق الموصلة من عراق المنشية الى بيت جبرين. وفي صباح اليوم التالي ١٦ تشرين أول تقدمت قوة من كــتــيــبــة دبابات وكتيبة مشاه وشنت هجوماً رئيسياً على موقع عراق المنشيه. ولكن هذا الهجــوم باء بالفــشل حــيث وقــعت القــوة اليــهــودية المهاجمة في منطقة القتل للمدفعية التي جــهــزها المصريون بعناية تامــة فــدمــرت المدفــعية المصرية والمدافع المضادة للدبابات معظم الدبابات الاسرائيليــة وكــبــدت مــشاتهم خسائر فادحة بالأرواح حيث لم ينج من قوة الهجوم هذه ســوى عــدد قليل من الجنود الذين تمكنوا من الهرب من ســاحــة القتال. وعلى إثر هذا الهجــوم الفــاشل غير الاسرائيليــون منطقــة التــعرض وأسلوب الهجوم وقرروا بهذه المرة أن يعــودوا الى منطقــة عــقــدة الطرق ويخترقوا الجبهة من موقع الحليقات الواقعة جنوبي عراق ســويدان حــيث كــانت الدفاعات المصرية حول عقدة الطرق ترتكز على (عراق سويدان) التي جــعلهــا المصريون بمــثــابة قلعة دفاعية تسيطر على كافة المنطقة. وكانت تتألف من مرتفعين يســيطران على عــقــدة الطرق من الشمال ومــوقعين متساندين من الغرب. وإلى الجنوب تقع بلدتى (حليــقات) (وكوكبه) الواقعتين على تلين مرتفعين يسيطران على المنطقة من تلك الجهة. وقــد بدأ اليــهــود هجومهم هذا بإحتلال أحد التلين المسيطرين على عقدة الطرق من الشمال. وعلى باقي المراكــز الدفاعية الاخرى. حيث اخذوا يهاجمون هذه المراكز الواحد تلو الآخر. وقد احــتــدم القتال في كافة المواقع واستمات الجنود الذين كانوا يدافعون عنها. واشتبكوا بالسلاح الابيض ودار قــتــال مــرير طوال الليل. وعلى الرغم من صمود وتضحيات المدافعين عن هذه المواقع فإن اليــهــود قــد تمكنوا من اقــتــحــام الموقعين المسيطرين على عقدة الطرق من جهة الشمال عند فجر يوم ١٧ تشرين أول. وأمــا منطقــة عقدة الطرق نفسها فقد قاوم المصريون فــيــها مقاومة عنيفة ودارت معركة حامية هناك دامت حتى فجر يوم ١٨ تشرين أول عندما تمكن اليــهــود من احــتــلالها. وقــد شنت القــوات المصرية عدة هجمات معاكسة لاستردادها ولكنها فشلت بذلك (انظر الخارطة رقم ٧) .

وعلى الرغم من أن اليــهــود تمكنوا من إحتلال موقــع (كوكبا) بنفس الليلة إلا أنهم فشلوا في الهجــوم الذي شنوه لاحــتــلال موقع (الحليقات) حيث صمد فيه المدافعون عنه من القوات المصرية وصــدوا هذا الهجوم. وبذلك لم يتمكن اليهود من فتح الممر الذي خططوا لفتحه نحو الجنوب عبر تلك المنطقة .



خارطة رقم (٧)
الهجوم الإسرائيلي على الجبهة المصرية أثناء الهدنة الثانية

وأمـا في قطاع السـاحل فقد تمكنت القوات الاسرائيلية هناك من قطع الطريق الساحلي عند بيت حنون، وبهذا أصـبحت مواقع القوات المصرية في الشمال مهدده بالتطويق، وبنتيجة ذلك قـرر المصريون الانسـحـاب من منطقـة اسـدود والمجدل واستخدموا اللواء الذي سحبوه من هناك للدفـاع عن مـدينة غزه والمنطقة المحيطة بها وبهذه الاثناء لم يكن المصريون قد اتصلوا بأي من الدول العـربيـة لطلب المسـاعـدة. أو حـتى لابلاغـهم عن تفصيلات سير المعارك في منطقتهم. وبالنتيجة لم يظهر أي رد فعل جاد من قبل الدول العربية لنجدة مصر. وهذا دليل آخر مؤلم على عمق التشتت العربي حتى في ساحة القتال .

وإنطلاقـاً من هذا الموقف فـقد أخذ اليهود يسحبون بعض قواتهم من الشمال إلى الجبهة المصرية. وسـحـبـوا لواء كـامـلاً من منطقة الجليل قام بالهجوم على منطقة الخراطيه الواقعة شمال غـربي (الفـالوجـة) على الطريق الرئيسي بقـصـد قطع الطريق الثـانوية التي فـتحها المصريون لتـزويد مـوقع الفالوجة بعد أن احتل اليهود الطريق الأصلية ولكن هذا الهجوم لم ينجح. ويلاحظ أن جميع هذه المعـارك كـانت تدور على الجبهة المصرية بينما بقيت الجبهات العـربية الاخرى ساكنة في مواقعها وكأن الحرب لا تعنيها. وقد كان اليهود متأكدين من بقاء الجـبهات العربية خارج القتال. ولذلك اخذوا يسحبون قواتهم من أمامها الى الجبهة المصرية. ولكن عندمـا بدأ النشـاط يظهـر في أروقـة هيئة الأمم المتـحدة لفرض وقف إطلاق النار من جـديد قـرر اليـهـود الاسراع في عـمليـاتهم لكي يحققوا أهم أهدافهم خلال فترة وجيزة. وقد ركـزوا جـهـدهم الرئيسي لاحـتلال موقع الحليقات وهو آخر موقع يغلق طريق النقب ما زال بيد المصريين .

وقد كان موقع الحليقات هذا يتكون من ستة تلال تساند بعضها بعضاً وقد حفرت فيها الخنادق وبنيت التحصينات بإحكام تام وأصبحت تشبه قلعة حصينة يصعب اقتحامها. وقد حـشد اليهود لمهاجمتها لواء مسنداً بمختلف أنواع الأسلحة. وبدأ الهجوم ليلة ١٩/ ٢٠ تشرين أول. وقـد دارت فـيها اعنف معركة خاضها الجيشان في منطقة النقب حتى الآن. وقد احتدم الصراع طوال الليل. وفي جميع تلك التـلال الحـصينة دارت المعارك بالسلاح الأبيض والقنابل اليدويه ومن خندق إلى خندق وقاتل المدافعون عنها قتالاً مريراً في كل شبر من هذه المواقع .

ورغم كل هذه التـضحيات فقد تمكن اليهود من احتلال جميع تلك المواقع الدفاعية صباح يوم ٢٠ تشرين أول بعـد أن تكبـدوا في سـبيل ذلك خسائر فادحة بالأرواح. وبسقوط موقع الحليـقـات اصـبـحت الطريق الى النقب مفتوحة أمام القوات الاسرائيلية. وبنفس الوقت الذي كـان فـيه الاسرائيليون يهاجمون موقع الحليقات قاموا بهجوم آخر على موقع عراق سويدان.

وللمــرة الخــامســة فـشلوا باحــتـلاله بعد أن تكبدوا خسـائر فادحه. وعندئذ قرروا التحول بهجـومهم نحو مدينة بئر السبع. وحشدوا لهذه الغاية قوة رئيسية قوامها لواء مدرع وثلاثة كـتائب مشاه. وعند فجر يوم ٢٠ تشرين أول كـانت هذه القـوة قد وصلت الى مشارف بئر السبع من الغرب

وبنفس الوقت تقـدمت قـوة أخـرى بهجـوم ثانوي من جهة الشمال وبعد معركة عنيفة دامت عـدة سـاعات تمكن اليهود من إحتلال مدينة بئر السبع حوالي الساعة التاسعة صباح يوم ٢٠ تشرين أول

وبنتـيـجـة هذه المعـارك أصـبـحت القـوات المصرية مقسمة الى أربعة أقسام معزولة عن بعضها وهي كما يلي :

١ ـ لواء في منطقة رفح ـ غزة .

٢ ـ لواء منسحب من منطقة المجدل الى الجنوب .

٣ ـ لواء قـوامه حوالي اربعة آلاف جندي بقيادة الزعيم سيد طه الذي اطلق عليه لقب (ضبع الفـالوجـه) وكـان أركـان حـربه البكبـاشي جمال عـبد الناصر واصبح محاصراً في جيب الفالوجه .

٤ ـ كتيبتين معزولتين في منطقة الخليل ـ بيت لحم .

وبهذه الاثناء قـامت القـوات الاسرائيلية المتمركزة في منطقة جبال القدس الغربية بتوسيع نطاق عـملـيـاتها في ممر القـدس الى الجنوب واحتلت بلدة بيت جبرين فأكملت طوق الحصار حـول جـيب الفـالوجـه. كما تحـركت شرقاً وأصبحت تهدد بيت لحم وكفار عصيون بهدف تطويق القـدس من الجنوب. وعندما انتشرت انباء اختراق اليهود للجبهة المصرية وتحركاتهم نحـو بيت لحم شـعر سكان مدينة الخليل بالخطر المحدق بهم وعندئذ جمعوا وفداً كبيراً من وجـهـاء تلك المنطقـة برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري وذهبوا الى عمان لمقابلة جلالة الملك عـبـد الله ومناشـدته لإرســال قوات للدفاع عن منطقتهم. وعندئذ طلب الملك من قائد الجيش اتخاذ مـا يمكن لتـعـزيز القوات المصرية في منطقة الخليل بالسرعة الممكنة على اعتبار ان تلك المنطقـة مـا زالت ضــمن نطاق مسؤوليتهم وعلى أثر ذلك اتصل قائد الجيش مع قائد الفرقة وطلب تشكيل قـوة لارســالها على وجـه السرعة الى الخليل خلال مدة لا تتجاوز ٤٨ ساعة. فـبـدأنا فـوراً بتـشكيل قوة خاصة متحركة اطلقنا عليها الإسم الرمزي (قوة جـ) واشتهرت فيما بعد بهذا الاسم .

وقد عين وكيل القائد لوكت قائداً لها وكان قوامها كما يلي :

سريتين مشاه

سرية مدرعات

بطارية مورتر ثقيل عيار ٤,٢ إنش

وكان مجموع هذه القوة حوالي (٣٥٠) ثلثمائة وخمسون جندياً. وقد تم تزويدها بما يكفيها من الذخائر والمؤن لمدة أسبوعين مبدئياً. كما رتبنا طريقة تزويدها بالمستقبل من قبل قيادة اللواء الأول حسب الحاجة .

وكانت الواجبات المسندة لهذه القوة تتطلب الاتصال مع القيادة المصرية في منطقة الخليل والتنسيق معها في أمور الدفاع عن المنطقة والقيام بأعمال الدورية غرباً وجنوباً الى اقصى مسافة ممكنة وإحداث التماس مع القوات الاسرائيلية لإظهار تواجد الجيش العربي في تلك المناطق بشكل عام .

وفي صباح اليوم التالي قمت بزيارة الى منطقة بيت لحم والخليل تنفيذاً لتعليمات تلقيناها من جلالة الملك عبد الله لكي اتصل بالقيادة المصرية للحصول على معلومات دقيقة عن جبهتهم بعد المعارك الاخيرة وان ابلغهم اني موفد لهذه الغاية بأمر من الملك بصفته القائد العام للجيوش العربية. ورغم ذلك فإنى لم أتمكن من الحصول على أي معلومات ذات قيمة من الضباط المصريين الذين اتصلت بهم لعدم رغبتهم بالتعاون في هذا المجال. ولكني على اي حال استطعت ان اتبين مؤشرات كثيرة عن مدى خطورة الموقف العام. وخصوصاً من بعض المعلومات التي نقلها اللاجئون القادمون من بئر السبع عن حجم القوات الاسرائيلية التي احتلت تلك المدينة خلال ساعات قليلة. وعن تحركاتها شمالاً باتجاه مدينة الخليل .

ولم تكن هذه المعلومات ذات قيمة عسكرية كبيرة ولكنها كانت مؤشراً لاتجاه تحركات القوات الاسرائيلية ونواياها المستقبلية. وعلى أي حال فقد كانت أفضل ما أمكنني الحصول عليه بنتيجة هذه الزيارة. وعدت بعد ذلك على وجه السرعة الى قيادة الفرقة حيث تدارسنا الموقف على ضوء المعلومات التي جمعتها والتي كانت تؤكد وجود قوات لليهود في التلال الغربية بين عرطوف وبيت جبرين بالإضافة الى القوات التي احتلت بئر السبع واحتمالات تحركها شمالاً باتجاه الخليل. وعلى هذا الأساس تقرر ان تتحرك (قوة جـ) الى بيت لحم أولاً وتحاول إكتشاف مواقع اليهود وحجم قواتهم في تلك المنطقة ثم تتحرك الى الخليل بمرحلة لاحقة. وأن تنشط على طول الخطوط باعمال الدورية في المناطق الحيوية الهامة. ومن ثم تتخذ مدينة الخليل قاعدة رئيسية لها. وقد أكدنا على قائد هذه القوة أهمية تعاونه مع

القـيـادة المصرية الى اقـصى الحـدود. وفي صـبـاح اليـوم التالي تحركت قافلتها عبر الطريق الترابيـة التي تمر من قـرية العيزرية الى بيت لحم خلف التلال الشرقية حيث كانت هذه هي طريق الاتصال الوحيدة المفتوحة والمؤدية من القدس إلى بيت لحم بعد ان استولى اليهود على الأحـيـاء الجنوبيـة بمدينة القدس والتي كانت الطريق الرئيسية تمر منها. وقد استقرت هذه القـوة مـبدئياً في منطقة بيت لحم لفترة وجيزه حيث بدأت تقوم بعمليات الاستطلاع على طول الجـبـهـة هناك وتمرر لنا المعلومـات عن تحركات القوات الاسرائيلية ومواقعها المتقدمة التي تمركـزت فـيـهـا على طول التلال الواقعة الى الغرب من بيت لحم والممتدة من عرطوف حتى بيت جبرين وبعـد أن مكثت (قـوة جـ) في بيت لحم مـدة يومين تحركت إلى الخليل يوم ٢٤ تشرين أول حـيث توقـفت فـيـها يوماً واحداً ثم تحركت الى منطقة (ترقوميا) الواقعة غربي الخليل واتخذت لها مـواقع دفـاعـية على الجبال الوعرة حول بلدة ترقوميا. ومن هذه القاعدة اخـذت تنشط في اعمال الدورية باتجـاه الغرب والجنوب لتحديد مواقع العدو ونقاط التماس المناسـبة. وفي صباح يوم ٢٦ تشرين أول تحـرك قـائد القوة (الميجر لوكت) على رأس دورية من فئتي مدرعات باتجاه بيت جبرين وكانت الطريق المؤدية لها متعرجه وتمر عبر وادٍ ضيق تحـيطه تلال مـرتفعة تكسوها الأشجار الحرجية وهي على أي حال كلها منطقة جبلية قليلة المسـالك وتعـتبر هذه الطريق هي المعبر الرئيسي الى بلدة بيت جبرين من الشرق حيث تتصل بها عبر هذا الوادي ثم تصـعـد على ربوة مرتفعة تشرف على البلده وتسيطر على أجزاء كبيرة من المنطقـة المحـيطيـة بها وعلى هذه الربوه توقـفت مدرعة الطليعة لاستكشاف المنطقة قبل مـواصلة تقـدم الرتل لمسافة أبعد وراء بلدة بيت جبرين. وما لبث قائد هذه المدرعة ان شاهد أمـامـه رتلاً من مدرعات اليهود قوامه حوالي سريتين يتقدم نحوهم. وعندئذ قام بتمرير هذه المعلومـات الى قـائد الدورية الذي أمـر جميع مدرعاته بالتوقف حالاً ثم الانتشار بسرعة الى مـواقع دفـاعـيـة مـسـيطرة على طريق تقدم المدرعات اليهودية بحيث يمكنها ضربها بفعالية عندمـا تصل ضـمن مـرمى مـدافع مـدرعـاتنا. وعندما اقتربت طليعة رتل اليهود من مواقع مـدرعـاتنا اطلقت عليـها القنابل من إحدى مدرعاتنا فاعطبت المدرعه الأمامية. وعندما ترجل جنودها رشـقـتـهم بنيران الرشـاش وقـتلت عددا منهم وعندئذ اشتبكت باقي مدرعاتنا مع مـدرعـات اليـهـود بكافـة اسلحـتـها وأوقعت بها عدداً من الإصابات المباشرة. وقد دام هذا الاشـتـبـاك حـوالي سـاعـه. وبعـدها بادر اليـهود بالانسحاب تاركين في أرض المعركة ستة مـدرعـات محترقـة. ويظهـر أن اليهود اعتقدوا ان هذه الدورية عبارة عن طليعة لقوة مدرعة كـبيرة سـوف لا تلبث ان تصل الى ساحة المعركة ولذلك قرروا الانسحاب بسرعة. وعند هذا الحـد قـرر الميجر لوكت قائد الدورية الاكتفاء بهذا القدر والانسحاب الى مركزه لا سيما وانه

حقق الهدف الذي ارسلت دوريته من أجله وهو استطلاع مواقع اليهود والتماس معهم لإظهار وجود الجيش العربي في المنطقة وتجنب الاشتباك بمعارك طويلة المدى حيث أن قوته بحجمها الصغير ليست مؤهلة لخوض مثل هذه المعارك

وعندما بدأت مدرعاتنا بالانسحاب قصفها اليهود فأصيبت إحداها اصابة مباشرة وقتل جنودها الثلاثة كما اعطبت مدرعة أخرى ولم يتمكنوا من سحبها ولذلك فقد قام جنودنا بتدمير المدرعتين قبل مواصلتهم الانسحاب الى ترقوميا . وقد كانت تقديراتهم أن اليهود تكبدوا حوالي خمسين إصابة بين قتيل وجريح بالإضافة الى تدمير سبعة مدرعات

وحالما وصل الميجر لوكت الى قاعدته ابرق بهذه التفصيلات الى قيادة الفرقة وطلب تزويده بالتعليمات الجديدة. فأبلغناه بأنه يترتب عليه أن يدافع عن موقع ترقومية ويحتفظ به كقاعدة ثابتة وان يجهز جزءاً من قوته ليدفعها على طريق الخليل ـ بئر السبع. وليتخذ لها مواقع دفاعية مناسبه جنوب بلدة الظاهرية لإيقاف محاولة تقدم اليهود عبر تلك الطريق، كما عليه أن ينتخب مواقع دفاعية أخرى بالاماكن المناسبة لتغطية المنطقة من الشمال الى الجنوب على شكل ستار من دورياته لاغلاق طرق الاقتراب عبر المحاور المؤدية اليها وان تمرر المعلومات عن تحركات اليهود مقابل منطقتي بيت لحم والخليل باستمرار الينا .

وقد اتضح لنا فيما بعد ان الرتل الاسرائيلي الذي اصطدمت معه دورية (جـ) في منطقة بلدة بيت جبرين كان جزءاً من قوة كبيرة كانت تتقدم لاحتلال مدينة الخليل وان هذه المعركة المحدودة التي خاضتها مدرعاتنا مع قوته المتقدمة قد تسببت بتغيير خطته حيث اعتقد ان الجيش العربي يتواجد في تلك المنطقة بقوات كبيرة. ولم يكن راغباً في خوض معارك جانبيه طويلة الأمد مع الجيش العربي في جبال الخليل خوفاً من تأثير ذلك على زخم القتال الذي كانت تخوضه قواته مع القوات المصرية الرئيسية في المناطق الساحلية .

لاسيما وانه لا يستطيع استعمال قواته المدرعه على نطاق واسع في هذه المناطق الجبلية الوعره بسهولة حيث من الممكن أن يتحول القتال فيها الى معركة استنزاف طويلة المدى وهذا أمر لا يريد الجيش الاسرائيلي ان يقبله في الوقت الراهن على الأقل نظراً لضيق الوقت المتاح ولأن الاهداف التي يريد أن يحققها ضمن هذا الوقت في منطقة النقب هي من وجهة نظره أثمن وأكثر الحاحاً من محاولة الاستيلاء على الخليل التي قد ثبت له انها عملية باهظة التكاليف .

وهكذا فقد استطاعت هذه القوة الصغيرة التي ارسلناها الى منطقة بيت لحم والخليل ان تحافظ على منطقة واسعة حوالي ٦٠٠ ميل مربع حيث كانت مفارزها الامامية متواجده على

طول خطوط التماس فـيـهـا عندما اعلن وقف اطلاق النار نهائياً ولم تكن القوات الاسرائيلية قد تمكنت من الدخول الى أي جزء منها .

ردود الفعل العربية :

وأمـا على الصـعـيـد العـربي فإنه عندمـا اتضح مدى خطورة اختراق القوات الاسرائيلية للجـبـهـة المصرية وتفـتـيـتـها الى عدة جيوب وعلى الرغم من أن الحكومة المصرية لم تطلب المسـاعـدة مباشرة من الحكومات العربية إلا أنها كما يبدو تقدمت بطلبها هذا بواسطة الامين العـام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام باشا حيث كان من نتائج اتصالاته بالدول العربية وحـثـهـا على تقديم المساعدة للجيش المصري في معركته ان عقد اجتماع في عمان بتاريخ ٢٣ تشرين أول لرؤسـاء الحكومـات العـربية وقادتها لبحث هذا الموضوع وقد اتخذوا قراراً بأن يقـوم الجـيش العـراقي والجيش السوري بعمليات تعرضيه في مناطقهما في الشمال والوسط لتـخفيف الضغط عن الجبهة المصرية ولكن رئيس حكومة مصر عاد وطلب إلغاء هذه الخطة لأن نائب الوسـيط الدولي الدكتور رالف بانش تمكن من التوصل لوقف اطلاق النار استناداً الى قـرار مجلس الأمن الصـادر بتاريخ ١٩ تشرين أول. وقـد طلب الدكـتور بانش أن تعود القـوات الاسرائيليـة الى الخطوط التي كانت ترابط فيها يوم ١٤ تشرين أول. ولكن القتال لم يتوقف وقد تدهورت الاوضاع في الجبهة المصرية الى ابعد مدى وأصبحت قواتها معزولة عن بعـضـها نهائياً وتشكل جيوباً دفاعيه محاصره وفي حالة اشتباك دائم مع القوات الاسرائيلية. وعلى هذا الأسـاس قـرر الرؤسـاء من جديد تشكيل قوة مشتركة على النحو التالي لتقوم بفك الحصار عن القوات المصرية المحاصره في جيب الفالوجه .

أ ـ كتيبة أردنية

ب ـ فوج عراقي

ج ـ الوحدات المصرية المتواجده في منطقة الخليل

كما تقـرر ان تسند قـيـادة هذه العـملية الى الزعيم سعد الدين صبور الذي كان مندوب مصر في القـيـادة العامة العربية في الزرقاء منذ بداية الحرب ولم يكن هذا القرار بتكوين قوة مـشتركـة من ثلاثة جيوش وبهذا الحجم الصغير هو الأسلوب الأمثل من الناحية العسكرية. وكـان من الافضل لو أمكن تدبير قوة من جيش واحد لتقوم بهذه المهمة حتى لو لم تكن أكبر حـجمًا لتـوفر لها إمكانية أكبر من النجاح. ولهذا فقد طلب الملك عبد الله من العراق أن يستلم

الجـيش العراقي جبهة اللطرون من الجيش العربي الاردنى لكي نتمكن من جمع قوة ضاربة قـوامـهـا لواء من ثلاثة كـتـائب مع اسلحتها الاسنادية للقيام بعملية فك الحصار عن جيب الفالوجه

وينتـيـجـة هذه الاتصـالات حضر لزيارتنا في قـيادة الفرقة الفريق الركن صالح صائب الجـبـوري رئيس أركـان الجيش العراقي ومعه مدير العمليات العقيد الركن عباس علي غالب وعـدد من ضـبـاط الاركـان لاسـتطلاع مواقعنا في جبهة اللطرون وقد رافقتهم بهذه الجولة الاستطلاعية من قرية (خربثا) شمالا حتى اللطرون وباب الواد ثم انتهت جولتنا على مرتفع النبي صـمـوئيل غـرب القـدس ثم تحركنا الى قرية ابو ديس شرق القدس وقمنا باستطلاع المناطق الواقـعة خارج أسوار المدينة من الجنوب. ومنطقة جبل المكبر والطريق المؤدية من أبو ديس الى بيت لحم. وبنتـيـجـة هذا الاسـتطلاع قـرر الفـريق الجـبوري أن الجيش العراقي بمـوارده الحالية لا يستطيع تمديد جبهته جنوباً لتشمل جبهة اللطرون وأن اقصى ما يمكنه الموافـقـة عليـه هو الالتـزام بتوفير كتيبة مشاه واحدة لتشترك في القوة المختلطة المشار اليها سابقاً .

وقـد كنا بهذه لاثناء ننشط ضـمن امكانياتنا المحدودة لمساعدة القوات المصرية المحصورة في الفـالوجـة حـيث رتبت قيادة الجيش العربي إرسال المؤن والذخائر من الخليل على ظهور الابل بقـوافل صـغيرة تسير ليـلاً عبر الممـرات الجـبليـة وعندما تصل الى الفالوجة تترك مع حمولتـهـا هناك لكي يذبحوها ويأكلوا لحمها. واخذ يزداد حجم هذه القوافل تدريجياً حسب الامكانيات والظروف المواتية .

وقـد كانت القوة المصرية في الفالوجة بحالة اشتباك دائم مع القوات الاسرائيلية التي كانت تشن عليـهـا الهجمات المتلاحقة لكي تستنزف ذخائرها وتجبرها على الاستسلام. ولكن هذه الحـامـية صمدت ببسالة نادرة رغم قسوة الظروف وقلة الموارد وشح الامدادات المتوفرة لها ولا سيما الذخائر حيث كانت مجبره على استهلاكها بكميات كبيرة .

وللوقـوف على الصـورة الحـقيقية عن أوضاع القوة المحاصرة اصدر قائد الفرقة تعليمات الى الميـجر لوكت قائد قوة (جـ) بناء على أوامر من قائد الجيش لكي يتسلل ليلاً الى الفالوجة للإتصـال مع حـامـيـتـهـا وجلب المعلومات الكافية عنها من حيث الموقف العسكري وحالة الامـدادات لديهم. وقـد اصطحب لوكت مـعه ضابط صف من الجيش العربي له خبرة جيدة بـتلك المنطقـة. وتمكن من التـسلل عبر فـجـوات بين مـواقع القـوات الاسرائيليـة ووصل الى الفـالوجـة بنفس الليلة ومكث مع القـوة المصرية مـدة يومين وبعد عودته ابلغنا ان معنويات

هذه القـوة عالية جداً وهي تقاوم الهجمات الاسرائيلية بكل جرأة وتصدها في كل مرة رغم أن مـواقـعـها الدفاعية تتعرض للقصف المدفعي الشديد بإستمرار. الا أنهم كما يبدو قد اعتادوا عليه وهم مصممون على الاحتفاظ بمواقعهم مهما كان الثمن .

وبمـوجب آخـر قـرار اتفـقت عليه القيادات العربية ونظراً لرفض العراقيين استلام جبهة اللطرون من الجـيش العربي لكي نتمكن من توفير لواء اردني للقيام بعملية فك الحصار عن الفـالوجة فقد استقر الرأي على أن تقوم بهذه المهمة القوة المختلطة بقيادة الزعيم سعد الدين صبور. وعلى هذا الأساس وصلت الكتيبة العراقية الى بيت لحم بحسب الترتيب المتخذ سابقاً لتشكيل هذه القوة .

وقـد عقد الزعيم صبور بصفته قائد هذه القوة اجتماعاً لقادة الوحدات المشتركة ووضعوا الخطة اللازمـة لعـملية فك الحصار وتقرر أن ترسل فرق الكشف لمعرفة طرق تقدم القوات وكـيـفية تنفيذ العملية على الارض. وقد كانت الخطة تقضي بأن تقوم القوة المصرية المحاصرة بالخـروج من الفالوجة ليلاً بمعرفة أدلاء من الجيش العربي عبر خطوط العدو باتجاه الشرق بينما تكون القـوة الاردنيـة قـد تقـدمت من مواقعها الامامية مسبقا لملاقاتهم والاشتباك مع القـوات الاسرائيليـة لمنعـهـا من اعتراض طريق القـوة المصرية المنسحبة والتي عليها ان تشق طريقـهـا بالقـوة كـذلك اثناء انسـحـابها باتجـاه القوة الاردنية. وبنفس الوقت تقوم الكتيبة العـراقـيـة المتواجدة في منطقة بيت لحم بمهاجمة مراكز اليهود في صور باهر والخضر لجذب انتباههم الى تلك الجهة .

وقـد كـانت المسـافـة بين الفـالوجة والمواقع الأمامية للجيش العربي حوالي ١٥ كيلومتر. وبهذه الأثناء تم ارسال الميجر لوكت مرة ثانية الى الفالوجة ومعه مجموعة ضباط صف من الجـيش العـربي ليكونوا ادلاء للقـوة المصرية اثناء انسـحـابها. كما اخـذ لوكت مـعـه خبير متـفـجـرات ليـقوم بتفجير المعدات والاسلحة الثقيلة وخصوصاً المدافع قبل الانسحاب. كما حمل مـعـه رسـالة من الزعـيم سـعـد الدين صبور إلى الزعيم سيد طه قائد القوة المحاصرة يشرح له فـيها الخطة التي تم الاتفاق عليها وابلغه كذلك أن وزارة الحربية المصرية قد وافقت على هذه الخطة

ولكن الميـجـر لوكت ومجمـوعـته عادوا بعد يومين لأن الزعيم سيد طه رفض تنفيذ هذه العملية حيث أنه لم يتلق التعليمات بشأنها من قيادته. فأبرق الزعيم صبور الى قيادة القوات المصرية في رفح ليطلب مـوافـقـتـهـا على الخطة ولكنه تلقى جواباً بتأجيل العملية حالياً لأنه توجـد إمكانية حل سياسي شامل. وربما كانوا يعتمدون في ذلك على قرار مجلس الأمن الدولي

الذي صدر بتاريخ ٤ تشرين ثاني والذي يدعو الحكومات المعنيه لسحب القوات التابعة لها والتي تقدمت من المواقع التي كانت تحتلها قبل ١٤ تشرين أول مع تخويل الوسيط الدولي بالوكالة سلطة إقامة خطوط مؤقتة لا يجوز تجاوزها من قبل جنود الطرفين المتحاربين .

وبتاريخ ٢٤ تشرين ثاني أبرق الزعيم صبور ثانية الى القيادة المصرية بوجوب تنفيذ الخطة وتلقى جواباً بأنه إذا اخفقت المساعي السلمية سوف تصدر الأوامر بتنفيذها. وبعد ذلك انتهى الموضوع عند هذا الحد لأن القيادة المصرية ظلت تماطل وبقيت القوات المخصصة للعمليه في مواقعها .

وعلى أي حال فقد صمدت القوة المحاصرة في مواقعها بكل شجاعة وصبر بفضل تفاني وصمود ضباطها وجنودها رغم شدة الحصار الذي فرض عليها مدة طويلة وبإصرار وجرأة قائدها المحنك الزعيم سيد طه واركان حربه الشجاع البكباشي جمال عبد الناصر وقد كان آخر هجوم شنته القوات الاسرائيلية على جيب الفالوجه ذلك الهجوم الذي شنه لواء الكسندروني والذي كان من أكثر الوية الجيش الاسرائيلي تمرساً بالمعارك. وقد بدأ الهجوم ليلة ٢٧/ ٢٨ كانون أول. وقد مني هذا اللواء بهزيمة ساحقة وتكبد خسائر كبيرة بالأرواح أثناء الهجوم. وقد عزى القادة الاسرائيليون أسباب هذه الهزيمة الى كثرة الاخطاء التي ارتكبت أثناء تنفيذ عملية الهجوم وانعدام التنسيق بين القيادات وعدم كفاءة الاتصالات مما نتج عنه تفتت القوات المهاجمة بسرعة وانعزالها عن بعضها. حيث ان بعض الوحدات المعزولة قد أبيدت تماماً. وقد اعتبر الاسرائليون ان هذا الهجوم كان بمثابة كارثة وقد ارتفعت معنويات القوات المصرية المحاصرة. وكانت النتيجة ان القوات الاسرائيلية لم تكرر الهجوم على جيب الفالوجة حتى النهاية .

وعندما وقعت اتفاقية الهدنة بين مصر واسرائيل بتاريخ ٢٤ شباط عام ١٩٤٩م كانت القوة المصرية ما زالت محاصرة. واجتمع القائد الاسرائيلي (يجال آلون) مع الزعيم سيد طه في قرية (قات). وكان سيد طه قد سبق ورفض طلبات من القادة الاسرائيليين للإجتماع به عدة مرات. وعندما عرض عليه آلون بهذا الاجتماع انه سوف يضمن له ولقواته سلامة العودة الى مصر مع جميع الاعتبارات العسكرية المتعارف عليها اذا هو وافق على الاستسلام. وقد كان جواب سيد طه انه مع علمه بأن موقفه العسكري ميئوس منه إلا أنه يرفض الاستسلام لأن واجبه الآن أصبح ينحصر بالمحافظة على شرف الجيش المصري. وقد اعطى بهذا التصرف أروع مثل للقائد الشجاع .

وبهذه الاثناء كان قد تم التوصل الى اتفاق وقف اطلاق النار الفعلي في القدس وبيت لحم

في الإجتماع الذي عقد بتاريخ ٢٨ تشرين الثانى بترتيب من المراقبين الدوليين بين وفد أردنى برئاسة القائد عبدالله التل ووفد اسرائيلي برئاسة الكولونيل موشي دايان. وأصبح هذا الاتفاق نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ ٢٩ تشرين الثانى وتم التوقيع عليه نهائياً من قبل ممثلي الطرفين بتاريخ ٣٠ تشرين الثانى ١٩٤٨م .

وأما بالنسبة للكتيبة العراقية فقد بقيت بمواقعها في منطقة بيت لحم حتى تاريخ ١٤ كانون الأول حيث عادت لأمرة الجيش العراقي بعد موافقة القيادة المصرية على ذلك .

الحالة العامة على الجبهات قبل الهجوم على الجليل :

لقد توقف القتال في الجبهة المصرية مؤقتاً عند هذا الحد وساد الجبهة حالة من الركود والترقب ولم يستقر الوضع القتالي بشكل حاسم لاحد الفريقين نهائياً رغم أن الموقف العام أصبح واضحاً لصالح اسرائيل حيث تمكنت قواتها من اختراق الجبهة المصرية وعزل قواتها عن بعضها بحيث اصبحت تشكل ثلاثة جيوب منفصلة واصبحت القوات الموجودة في جيب الفالوجه مطوقة تماماً كما أسلفت، وقد اصبح واضحاً ان حالة الركود هذه لن تدوم طويلاً اذ لا بد ان تستغل القوات الاسرائيلية تفوقها العسكري الذي حققته بالدرجة الاولى بفضل حصولها على الكميات الهائلة من الاسلحة المختلفة ولا سيما الطائرات والدبابات خلال فترة الهدنة لحسم الموقف نهائياً وإخراج الجيش المصري من فلسطين .

وقبل ان أدخل في شرح تفصيلات المرحلة الاخيرة من القتال على الجبهة المصرية أود أن أشرح هنا موجزاً عن المعارك التي كانت تدور بهذه الاثناء في شمال فلسطين ضد جيش الانقاذ والتي ادت بالنهاية الى دحر هذا الجيش وإخراجه من فلسطين نهائياً. وفي هذا الصدد لا بد لي أولاً من الإشارة إلى نقطتين في غاية الخطورة والاهمية وهما :

أولاً : إنه بينما كانت القوات الاسرائيلية تشن هجومها الواسع ضد القوات المصرية والذي بدأته منذ تاريخ ١٥ تشرين أول وهجومها الآخر ضد جيش الانقاذ في الجليل والذي بدأ بتاريخ ٢٤ تشرين اول كانت الجيوش العربية الاخرى ملتزمة بوقف إطلاق النار والهدنة التي اصبحت نافذة اعتباراً من ١٨ أيلول. ولم تقم هذه الجيوش بأي تعرض ضد اليهود في جبهاتها لتخفيف الضغط عن المصريين في الجنوب أو عن جيش الانقاذ في الشمال، كما انها لم تحرك أي جزء من قواتها لنجدة أي من هاتين الجبهتين اللهم ما عدا مجموعة القوة الاردنية والكتيبة العراقية التي ارسلت لمحاولة مساعدة القوة المصرية المحصورة في جيب الفالوجة لتأمين انسحابها واخراجها من طوق الحصار .

وبسبب هذا الموقف استطاع الجيش الاسرائيلي ان يسحب معظم قواته الرئيسية من واجهات هذه الجيوش العربية ويستخدمها في عمليات الهجوم الواسعة النطاق في الجنوب والشمال لإنه كان متأكداً من أن هذه الجيوش العربية سوف تبقى ملتزمة بالهدنة ومحافظة على وقف اطلاق النار وبالتالي فهي لن تشكل خطورة عليه لا سيما وان التنسيق بينها ما زال شبه معدوم .

وهنا يجب ان نتذكر ان الجيوش العربية كانت قد التزمت بنفس هذا الموقف عندما كان الجيش العربي الاردنى يتعرض للهجوم الاسرائيلي في اللطرون والقدس وقد اصبح موقف هذه الجيوش شاذاً بوقوفها في جبهاتها على الحياد. وكأن التقيد بشروط الهدنة ليس مطلوباً من الجيش الاسرائيلي تماماً كما هو مطلوب من الجيوش العربية وبنفس القدر من المسؤولية. صحيح أن هذه الجيوش كانت تنقصها الذخائر والاسلحة ولكن عندما تصل الامور الى الحد الذي وصلت اليه لا يجوز بأي عرف ان يترك الميدان مفتوحاً للإسرائيليين بحيث يستطيعوا ان يركزوا كل ثقل قواتهم ضد القوات المصرية في النقب وضد جيش الانقاذ في الجليل بكل حرية بينما هنالك أربعة جيوش عربية اخرى ترقب القتال عن بعد وعلى الرغم من محدودية الذخائر الباقية لديها والتي قد لا تكفي لحرب طويلة المدى فإنه كان من الممكن أن تقوم هذه الجيوش بعمليات محدودة في جبهاتها بحيث أنها لو نفذت بذكاء وتصميم لكان من الممكن أن تثبت قطعات كبيرة من الجيش الاسرائيلي في مواجهة جبهاتها وتمنعها من الاشتراك بالمعارك ضد المصريين وضد جيش الانقاذ. وبالتالي قد يتطور الموقف لصالحنا ولكن شيئاً من هذا لم يحدث .

وعلى الرغم من أن مثل هذا الإجراء قد طرح فعلاً للبحث في اجتماع القادة العرب الذي عقد في عمان على إثر الاتصالات التي قام بها السيد عبد الرحمن عزام ودعى الدول العربية لمساعدة مصر الا ان رئيس وزراء مصر عاد وطلب الغاءه. ولكن لو أن الجيوش العربية كانت تقاتل تحت قيادة ميدانية فعاله واحدة لما انصاعت لطلب الالغاء هذا الذي كان سببه دوافع سياسية قطرية. وكانت نتائجه بمثابة كارثة عسكرية حلت بالجيش المصري في الجبهة الجنوبية وبجيش الانقاذ في الشمال. ورغم هذا وذاك فما دام ان الدول العر بية تصر على خوض هذه الحرب باساليب سياسية كان من الافضل لو أن جميع الجيوش العربية عندما خرق اليهود الهدنة قامت هي الأخرى بالتحول للقتال في جبهاتها. عندما اشتبكت القوات اليهودية مع الجيش المصري حيث سيشكل هذا القتال (بالإضافة الى تخفيف الضغط عن الجبهة المصرية)

عـامل ضغط آخر مهم على مجلس الامن الدولي فيسرع باتخاذ إجراءات حاسمة لوقف اطلاق النار قبل ان تكون القوات المصرية قد خسرت معظم مواقعها واصبحت معزولة ضمن ثلاثة جيوب محاصره. وقبل ان يكون جيش الانقاذ قد خسر الجليل بكامله

وعلى أي حال فإن أي إجراء عسكري معقول كان أفضل من لا شيء .

ولكن ماذا كانت النتيجة المباشرة لهذا الموقف. لقد اصبح هم كل جيش ان يحافظ على مواقعه فقط بصرف النظر عن الآخرين. واصبح القادة السياسيين العرب يعتقدون ان الجـيش الاسرائيلي اصـبح من القـوة بحـيث يمكنه التغلب على كافة الجيوش العربية والسـبب واضح وهو أن الجيش الاسرائيلي استطاع ان ينفرد بكل جيش عربي لوحده ويحشـد ضده معظم قواته ثم يوجه له ضربة قاصمة ويحقق انتصاراً مؤكداً دون آن يضطر الى الاخـذ بعين الاعـتـبـار اية احتمالات لتدخل الجيوش العربية الاخرى التي أصرت حكوماتها على تكريس التفرقة بينها .

ثانياً : لقـد تذرع اليـهود عندما شنوا هجومهم المفاجيء ضد القوات المصرية مساء يوم ١٥ تشرين اول بأن المصريين خـرقـوا الهدنة لأنهم أطلقـوا النار على قـافلة التـموين التي ارسـلـوهـا تحـت اشراف المـراقـبـين الـدولـيـين لـكي تمر عبر الخطوط المصرية الى المسـتـعـمـرات اليـهـودية حسب شروط الاتفاق بين الطرفين . ولكن حقيقة الامر ان المصريين لم يطلقـوا النار على القـافلة ابتـداءً. بل ارادوا ايقـافـهـا لتـفـتـيشـها حسب نصـوص الاتفـاق للتأكـد من انها لا تحـمل سـوى الاغذية والمؤن المصرح بها وليس الذخـائر والاسلحـة ولكن اليـهـود رفـضوا ايقاف القافلة رغم ان مراقبي هيئة الأمم كـانوا مـوافقين على التفتيش. وعرض المصريون ان يتم التفتيش من قبل مراقبي هيئة الامم بدلهم. ولكن اليـهـود رفـضـوا هذا العـرض ايضاً. واستمروا في سيرهم ليعبروا الخطوط المصرية عنوة رغم انف المصريين الذين اصـبـحـوا ملزمين تجـاه هذا الموقف المتـعنت وللمـحـافظة على كـرامـتـهم وسـلامة جبهتهم من خطر تهريب الاسلحة الى المسـتـعـمـرات الواقـعة خلف خطوطهم. ان يجبروا هذه القافلة على التوقف حتى يتم إيجاد حل لمسألة التـفـتـيش، فأطلقوا بعض العيارات النارية التحذيرية باتجاهها ولم يصب أحـد من ركابها بأذى، لأنهم لم يقصدوا اصلاً ضرب القافلة. فاعتبر اليهود ان المصريين خـرقوا الهدنة لأنهم رتبوا الظروف التي ستؤدي الى هذا الموقف مسبقاً. وقد ثبت فـيما بعـد ان اليـهـود كـانوا قد وضعوا خطة الهجوم على القوات المصرية بهدف احـتلال النقب منذ مدة طويلة وحشدوا القوات المخصصة لهذه العملية بمواقع الحشد

استعداداً لبدء الهجوم كما ان الطائرات كانت جاهزة في قواعدها للإغارة على الاهداف المخصصة لها والمعينة سلفاً عند اعطاء أول إشارة. وبعد اتمام جميع هذه الترتيبات ارّسلوا قافلة المؤن هذه واعطوها التعليمات بأن لا تتوقف للتفتيش وان لا تنصاع لاوامر مراقبي هيئة الأمم. والغاية طبعاً التحرش بالمصريين واستدراجهم الى اطلاق النار لكي يتخذوه ذريعة للبدء بالهجوم

الهجوم الثاني في منطقة الجليل :

بنتيجة المعارك التي دارت خلال فترة القتال الثانية التي اطلق عليها اسم (حرب العشرة ايام) بعد انتهاء الهدنة الاولى تمكن الاسرائيليون من احتلال مدينة الناصرة ومعظم المناطق التي كان يسيطر عليها جيش الانقاذ في الجليل. وعندما اعلنت الهدنة الثانية كانت هذه المناطق قد تقلصت واصبحت تشكل جيباً يرتكز في طرفه الشمالي على الحدود اللبنانية من رأس الناقورة حتى المطلة ثم يمتد جنوباً الى نقطة غرب بحيرة طبريا عند (عبكره) ومنها غرباً عبر (عيلبون) إلى (كوكبا). ثم شمالاً من غرب (مجد الكروم) حتى يلتقي الحدود اللبنانية ثانية .

أما قوات جيش الانقاذ التي تقلص حجمها حتى اصبحت حوالي (٣٥٠٠) رجل فكانت موزعه على النحو التالي :

١ ـ فوج اليرموك الاول ـ ومعه مجموعات من المتطوعين اللبنانيين كان يعمل في التلال الواقعة جنوب طريق عكا ـ صفد .

٢ ـ فوج اليرموك الثانى ـ كان يعمل في مواجهة صفد بين (سعسع) و(ميرون) .

٣ ـ فوج اليرموك الثالث ـ كان مسؤولاً عن الطرف الغربي للجيب من قاعدته في طرشيحه .

هكذا كان الوضع اثناء سريان الهدنة ولكن الاسرائيليين لم يكونوا معنيين بالمحافظة على الهدنة فيما يتعلق بالنقب والجليل، بل انهم منذ ان دبروا جريمة اغتيال الكونت برنادوت وهم مصممون على محو آثار تقريره المشهور الذي أوصى فيه بضم النقب للمنطقة العربية وتبديله بالجليل الغربي الذي اقترح ضمه للمنطقة الاسرائيلية. ولذلك فقد قرروا احتلال هاتين المنطقتين وفرض الأمر الواقع وعندئذ لا يبقى اية أهمية لتقرير برنادوت ولا حتى لقرار التقسيم ذاته. وإذا استطاعوا احتلالهما بسرعة فإن كل ما يتوقعونه هو صدور قرارات من مجلس الامن الدولي تأمرهم بالعودة الى الحدود السابقة وسوف يرفضون الانسحاب وستساندهم امريكا. وما دام ان العرب متفرقون وغير قادرين على صدهم بقوة

السلاح فسوف يبقون في هذه المناطق نهائياً وهذا ما حدث فعلاً .

وقد وضع اليهود الخطط لهاتين العمليتين وحشدوا القوات اللازمة لتنفيذهما واخذوا يدبرون الأسباب التي تخلق المبررات التي سيتذرعون بها لشن الهجوم خلال مدة سريان الهدنة لتخفيف حدة النقد العالمي في هيئة الأمم المتحدة من جراء خرق الهدنة بهذا الشكل الصارخ .

وكما ذكرت سابقاً فقد دبروا مشكلة مرور القافلة في منطقة النقب واستدرجوا المصريين الى موقف اظهروهم فيه وكأنهم هم الذين خرقوا الهدنة بمنع مرور هذه القافلة. واعتبر اليهود هذا العمل سبباً كافياً لشن هجوم عام على القوات المصرية يوم ١٥ تشرين أول وهم متأكدون من مساندة امريكا لهم ومن تخاذل العرب في مواجهتهم. والآن وعندما توقف القتال مؤقتاً في الجنوب بعد ان تم عزل القوات المصرية في ثلاثة جيوب وساد المنطقة نوع من الركود قرر اليهود تنفيذ عملية الجليل قبل المباشرة بالمرحلة الثانية من عملية تصفية القوات المصرية في النقب .

وعلى هذا الأساس قاموا بحشد قوات الهجوم في مواقعها وكانت تتألف من ثلاثة ألوية ثم سحبوا لواء آخر من النقب وضموه لقوات الجليل. ولكنهم في هذه المنطقة يريدون ايضا ان يخلقوا سبباً يبرر قيامهم بالهجوم اثناء الهدنة. وقد حدث هذا السبب يوم ٢٢ تشرين أول. حيث تمكنوا من جر القاوقجي عن طريق المناوشات في منطقة المناره الواقعة على الحدود اللبنانية الشرقية لشن هجوم عليها. وتمكن القاوقجي من احتلال موقع حصين اسمه (الشيخ عبد) وباحتلاله يكون قد عزل (المناره). وعندئذ شن اليهود هجوماً معاكسا وتمكنت قوات القاوقجي من صده. وبهذا الوقت بدأت القوات الاسرائيلية زحفها العام على منطقة الجليل بأكملها لتصفية قوات القاوقجي نهائياً وتدميرها .

وقد بدأ هذا الهجوم العام ليلة ٢٨/٢٩ تشرين أول على شكل كماشة يلتقي ذراعيها في بلدة (سعسع) الواقعة بالقرب من الحدود اللبنانية وبهذا الشكل تغلق منطقة الجيب الذي تتواجد فيه قوات القاوقجي بكاملها. ويسهل بذلك تفتيتها .

وضمن هذه الخطة زحف لواء مشاه اسرائيلي من صفد الى سعسع بينما تحرك لواء آخر من الغرب لاحتلال طرشيحه ومنها يتقدم الى سعسع. وبنفس الوقت قام لواءان آخران بعمليات خداع في مواقع اخرى من الجبهة حيث تقدم لواء من الجنوب باتجاه عيلبون بينما تقدم لواء آخر في الشمال لاشغال القوات السورية .

وأثناء تقـدم لواء المشـاه من صـفـد الى سـعـسع اصطدم بقـوات جـيش الانقاذ في قرية (ميرون) ودارت معركة حامية خسرت فيها قوات جيش الانقاذ حوالي مائة قتيل ثم انسحبت منـهـا. وعـنـدئذ تـقـدم اللواء الاسرائيلي نحـو بلدة (الجش) واحـتلهـا. وبهذه الاثناء كـان السـوريون قـد ارسلوا كـتيبة سورية عن طريق لبنان لتعزيز قوات جيش الانقاذ ولكن هذه الكتـيـبة وقعت اثناء تقدمها في كمين اسرائيلي ودمر معظمها حيث خسرت حوالي (٢٠٠) قتيل وانسـحب البـاقون ثانية الى لبنان. وبعد ذلك تقدم اللواء الاسرائيلي الى (سعسع) حيث انتهت مهمته بإطباق الذراع الشرقي للكماشة على بلدة سعسع .

أمـا عـمليـات الذراع الغـربي للكماشــة فقد كانت أقل حظاً حيث فشل هذا اللواء باحتلال (طرشـيـحـه). ولكن الحظ لعب دوره حـيث عندمـا سـمع جنود جيش الانقاذ المدافعين عن طرشـيـحـه بتـقـدم لواء اسرائيلي من جـهـة الشرق واحـتلاله بلدة سعسع اسقط في ايديهم وانسـحـبـوا رأسـاً الى داخل لبنان تاركين معداتهم الثقيلة خلفهم رغم انهم تمكنوا في البداية من إيقاف زحف اللواء الذي هاجمهم

وفي اليوم التالي ٣٠ تشرين أول شن اللواء الاسرائيلي هجوماً جديداً فاستسلمت طرشيحه بسرعـة. ثم تقـدم الى سـعسع وتم بهذه العملية التقاء ذراعي الكماشه واصبح جيش الانقاذ محاصراً من الشمال والجنوب .

وبهـذه الاثناء تقـدم لواء إسرائيلي آخـر من سـعـسع الى المالكيـة وتمكن من احـتـلالها. وبانسـحـاب قـوة جيش الانقاذ من المالكية اصبح الجيش الاسرائيلي يسيطر على خط الحدود اللبنانيـة بكامله من رأس الناقـورة على سـاحل البـحـر الابيض المتـوسط حتى النبي يوشع غـربي بحيرة الحـوله. ثم تقـدمت القـوات الاسرائيلية شمالاً واحتلت اربعة عشر قرية بداخل لبنان .

وفي صباح ٣١ تشرين أول انتـهت جميع العـمليـات الحـربية في الجليل وقد خسر جيش الانقاذ خسائر فادحة بالأرواح والمعدات حيث فقد أكثر من ٣٠ بالمائة من مجموع ملاكه بين قـتـيل وجـريح واسير. ومن بقي من جنوده انسحبوا بدون نظام عبر الحدود إلى لبنان. ولم يعـد يشكل وحـدة مـقـاتلة بالمعنى المفـهـوم. كما ان كتائب الجيش اللبنانى التي كانت طيلة الوقت تعـسكر بداخل لبنان على طول الحـدود انسـحبت هي الاخرى شمالاً الى ما وراء نهر الليطانى. وبهذا الشكل يكون الجـيش اللبنانى قـد خرج من الحرب نهائياً. أما جيش الانقاذ فـعند اتمام انسـحـاب بقـايا وحـداته الى داخل الحـدود اللبنانيـة تم نقلهم الى سوريا حيث سرحوا نهائياً من الخدمة .

وعلى الرغم من ان الجيش السوري بقي محتفظاً برأس الجسر الذي كان يحتله في منطقة مستعمرة (مشمار هاياردن) فإنه لم يعد يقوم بأي عمليات تعرضيه بأي حجم ضد القوات الاسرائيلية. وعند هذا الحد تعتبر الحرب في شمال فلسطين بما يخص الجبهات السورية واللبنانية وجيش الانقاذ اصبحت بحكم المنتهية عملياً ومن كافة الوجوده .

المرحلة الثانية من العمليات الحربية على الجبهة المصرية :

بعد انتهاء العمليات في منطقة الجليل تفرغت القوات الاسرائيلية كلياً لتصفية ما تبقى من الجبهة المصرية في النقب واخراج الجيش المصري نهائياً من فلسطين. وعندئذ ستتم سيطرة اسرائيل على منطقة النقب بكاملها. ولقد كانت هذه هي انسب فرصة أمام الاسرائيليين لتحقيق اهدافهم حيث لم يبق من الجيوش العربية بحالة اشتباك معهم سوى الجيش المصري الذي اصبح مبعثراً ومحاصراً في مناطق منعزلة عن بعضها. أما الجيش العربي الاردنى والجيش العراقي فقد كانا ثابتين في مواقعهما الاساسية وملتزمين بوقف إطلاق النار. وكذلك الحال بالنسبة للجيش السوري وفي واقع الحال فقد كانت هذه الجيوش الثلاثة خارج المعركة التي كانت تدور على الجبهة المصرية في النقب بهذه المرحلة. ولو أن الجيش العربي الاردنى كان ما زال يحتفظ ببعض المخافر والدوريات في منطقة النقب الشرقية وجنوب البحر الميت بمحاولة لإثبات حقه بالمطالبة فيها والاحتفاظ بها بشكل نهائي اذا تم التوقيع على الهدنة الدائمة. ولكن هذا لم يتحقق كما سنلاحظ فيما بعد من تطورات الاحداث في تلك المنطقة حيث تقدمت القوات اليهودية واستولت عليها بكاملها حتى وصلت الى ميناء العقبة

وهكذا وبعد انتهاء المعارك في الجليل عاد الجيش الاسرائيلي يجدد نشاطه في منطقة النقب لحسم الموقف فيها نهائياً. وقد بدأ عملياته من جديد في تلك المنطقة بشن هجوم مركز على موقع (عراق سويدان) وكان هذا الموقع قد تم تحصينه بشكل قوي للغاية وسبق أن صمد في وجه العديد من الهجمات التي شنها اليهود وكبدهم خسائر فادحة في كل مرة وقد حشد الاسرائيليون لإسناد هذا الهجوم اعداداً كبيرة من مدافع الميدان من مختلف الاحجام. وقد امطرت هذه الاسلحة موقع عراق سويدان بوابل هائل من القذائف بكثافة لم يسبق لها مثيل تمهيداً للهجوم النهائي. وقد استمر القصف المتواصل مدة ساعتين بحيث لم تبق بقعة في هذا الموقع لم تصلها القنابل. وعندما تقدمت الدبابات وناقلات الجنود تحت ستار هذه النيران الهائلة واخترقت حواجز الموقع تمكنوا من احتلاله بسهولة. وهكذا سقطت قلعة عراق

سـويدان صباح يوم ٩ تشرين ثاني. وبسـقـوطها تقلصت مساحة جيب الفالوجه واصبحت تتكون من المسـاحـة بين الفـالوجة وعراق المنشية والتي بقي اللواء المصري محاصراً بداخلها حتى توقيع الهدنة .

بعد ذلك حاول المصريون ارسال قوة من منطقة غزة لفك الحصار عن جيب الفالوجه بعد ان رفـضـوا تنفـيـذ العملية المقترحة من قبل القوات المشتركة عبر منطقة الخليل كما اسلفت. ولكن حـركـة التـعـرض هذه لم تنجح رغم ان القـوة المصرية في المرحلة الاوليـة من تقدمها تمكنت من احـتـلال بعض المواقع المسـيطرة تمهيداً للهجوم الرئيسي. وقد نشبت عدة معارك ضارية في تلك المنطقة. وبنتيجة سلسلة من الهجمات المعاكسة التي شنتها القوات الاسرائيلية تمكنت من احـتـلال العـديد من النقـاط الاستراتيجية على طول خط المواجهة. وبهذه المرحلة اندفـعت القـوات الاسرائيليـة المكونة من خمسـة الوية بهجومها النهائي ضد القوات المصرية بهدف تصـفيتها واخراجها من فلسطين، وقد كانت الخطة الاسرائيلية تقضي بتجنب الهجمات الثـانوية المتـعـددة على المواقع المصرية الحـصـينة في الجناح الشرقي والتي كـانت تتركـز في عـسلوج والعـوجا وابو عقيله. ولذلك قرروا الالتفاف من حولها. ومن ثم التقدم عبر الحدود الدولية والتغلغل في سيناء .

وبهذا سـوف يتـمكنوا من فـصل القـوات المصرية عن قـواعد تزويدها. لكن عملية تمرير الآليـات والدبابات عبر الرمال تعتبر عملية صعبة للغاية بدون استعمال الطرق. الا ان اليهود اكـتـشـفوا وجود طريق رومانية قديمة تتجنب هذه المواقع المصرية وهي تمر من بئر السبع الى العـوجا. رغم انها كانت مغطاة بالرمال الكثيفة وتحتاج إلى عمل وجهد كبير للكشف عنها وترمـيـمها لتصبح صـالحة للإستعمال. ولكن هذا العمل لا يمكن تنفيذه بمدة قصيرة ولذلك ولضمان عـدم اكـتشاف اعمال تصليح هذا الطريق من قبل المصريين كان لابد لليهود من ان يضعوا (خطة تعميه) لضمان جذب انتباه المصريين نحو القطاع الغربي من الجبهة. وعلى هذا الأسـاس قاموا بالهجوم على (المرتفع ٨٦) المسـيطر على الطريق الرئيسية المؤدية من غزة الى رفح بتاريخ ٢٢ كـانون اول بقوة لواء مشاه وتمكنوا من احتلاله. إلا أن المصريين ما لبثوا ان شنوا هجـومـاً مـعاكساً واستردوا هذا التل، وبهذه الاثناء قامت الطائرات الاسرائيلية بالإغارة على مـدينة غـزة وعلى مـواقع القـوات المصرية في القطاع الغربي من الجبهة فقط بينما قامت السـفن الحـربيـة الاسرائيلية بقصف تلك المواقع من البحر. وقد نجحت هذه العمليات باقناع المصريين بأن الهجـوم الرئيسي سـيكون في القطاع الغربي من الجبهة. بينما كان الاسرائيليون منهـمكون باصـلاح الطريق الرومانية في الشرق. وبتاريخ ٢٥ كـانون اول تمكنوا من تمرير رتل من الدبابات عبر هذا الطريق. وبنفس الوقت تقدمت قوة من (الكوماندوز) عبر الصحراء

واحتلت المواقع المشرفة الواقعة بين عسلوج والعوجا. وقد تمكن الرتل المدرع المتقدم عبر الطريق الرومانية من احتلال العوجا يوم ٢٧ كانون أول وهكذا اصبحت طريق بئر السبع - العوجا بكاملها بيد القوات الاسرائيلية وانهارت الدفاعات المصرية على هذا الجناح الشرقي من الجبهة .

وللإستفادة من حالة الفوضى التي نتجت عن هذه الضربة المفاجئة دفع اليهود بقوة مؤلفة من لواء مدرع ولواء مشاة عبر الحدود الدولية الى داخل صحراء سيناء يوم ٢٨ كانون أول بهدف الاستيلاء على موقع ابو عقيله. وبعد التغلب على المقاومة البسيطة التي واجهتها في أم قطف دخلت القوة الاسرائيلية الى ابو عقيله .

وفي اليوم التالي توجهت شمالاً نحو العريش. وبعد التغلب على حامية (بير لحفان) وصلت الى مطار العريش بنفس اليوم بينما وصلت قطعات لواء المشاه الآخر في الجنوب الى (القسيمه) وقد توقفت القوات الاسرائيلية في العريش لاعادة التنظيم وفي اليوم التالي ٢٩ كانون أول اجتمع مجلس الامن الدولي واصدر قراراً آخر بوقف إطلاق النار ولكن العامل الحاسم بهذا الموقف جاء هذه المرة على غير توقع من بريطانيا. حيث اصدرت إنذاراً الى اسرائيل تم تبليغه الى الحكومة الاسرائيلية عن طريق السفير الامريكي في اسرائيل بتاريخ ١ كانون ثانى عام ١٩٤٩م جاء فيه انه مالم تنسحب القوات الاسرائيلية من سيناء فإن الحكومة البريطانية ستصبح ملزمة بتطبيق المعاهدة البريطانية المصرية لسنة ١٩٣٦م وسوف تتقدم لمساعدة المصريين في القتال. والغريب بهذا الأمر ان الحكومة المصرية لم تطلب من بريطانيا اية مساعدة ولم تطلب تطبيق المعاهدة بل بالعكس فإنها كانت تطالب بإلغائها. وربما كانت غاية بريطانيا من التطوع لإصدار هذا الانذار التأثير النفسي على المصريين لكي يعدلوا عن المطالبة بالغاء المعاهدة. ولكن على أي حال فإن النتيجة كانت إيجابية وفورية حيث كان بن غوريون غير مستعد بهذا الظرف أن يدخل في مثل هذه المواجهة مع بريطانيا فأمر قواته بتأجيل الهجوم على مدينة العريش والانسحاب الكامل من سيناء صباح يوم ٢ كانون ثانى ١٩٤٩م

وبعد ذلك قرر الاسرائيليون تحقيق هدفهم الاساسي بعزل القوات المصرية في منطقة الشريط الساحلي من جهة الجنوب بدون دخول سيناء وذلك باحتلال منطقة تقاطع الطرق عند مدينة رفح. وقد قام لواء مشاه بتنفيذ هذا الهجوم ليلة ٣/ ٤ كانون ثانى ١٩٤٩م. ودارت عدة معارك في المنطقة ولم يتمكن هذا اللواء من تحقيق جميع أهدافه. وقد قام لواء مدرع مصري بهجوم معاكس واخرج اللواء الاسرائيلي من تلك المواقع. وبهذه الاثناء تمكن

لواء اسرائيلي آخر من تطويق معسكرات رفح. وبهذا الشكل اصبحت القوات المصرية في شريط غزة معزولة. وان هي الا ساعات حتى تصبح مطوقة تماماً ومقطوعة عن قواعد تزويدها. وبنتيجة هذه التطورات اعلنت الحكومة المصرية موافقتها على الدخول في مفاوضات مع اسرائيل للتوصل الى اتفاقية هدنة دائمة .

وقد حدث بهذه الاثناء ان سلاح الجو البريطاني في منطقة قناة السويس ارسل دوريات جويه استطلاعية للكشف على منطقة الحدود للتأكد من ان القوات الاسرائيلية قد انسحبت من سيناء فتصدت لها الطائرات الاسرائيلية في معركتين جويتين وتمكنت من اسقاط خمسة طائرات بريطانية. وقتل بهذه المعركة الجوية طيارين بريطانيين ووقع اثنان آخران أسرى بيد اليهود وهنا ازداد رد فعل بريطانيا عنفاً وأصبح ينذر بالخطر. وشعرت اسرائيل بخطورة الموقف ولم يبق لديها خيار سوى الموافقة على وقف اطلاق النار الذي اصبح نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ ٧ كانون ثاني ١٩٤٩م .

وقد تمت المفاوضات فيما بعد بين مصر واسرائيل في جزيرة رودس وتبعتها الدول العربية الأخرى. وبالنتيجة تم التوقيع على اتفاقيات الهدنة الدائمة والتي اصبحت تسمى فيما بعد (اتفاقيات رودس) بالتواريخ التالية :

٢٤ شباط ١٩٤٩ - بين مصر واسرائيل

٢٣ آذار ١٩٤٩ - بين لبنان واسرائيل

٣ نيسان ١٩٤٩ - بين الأردن واسرائيل

٢٠ تموز ١٩٤٩ - بين سوريا واسرائيل

ولم توقع العراق ولم تجري مفاوضات مع اسرائيل بشأن الهدنة لأنها انسحبت من فلسطين عند البدء بهذه المفاوضات بحجة أنه ليس لها حدود مشتركة مع اسرائيل. وهي لا ترغب أن تكون طرفاً بهذه المفاوضات. وقد كان لانسحاب الجيش العراقي المبكر من الجبهة اثر بالغ الخطورة على الجبهة الاردنية وتسبب بالنتيجة بخسران مساحات واسعة من الاراضي والقرى العربية في منطقة المثلث تمكن اليهود من الاستيلاء عليها تحت الضغط والتهديد باستئناف القتال ضد الأردن مما جعله يرضخ لمطالب اليهود لأنه لا يستطيع الصمود أمام مثل هذا الهجوم لوحده بعد انسحاب الجيش العراقي .

وبنتيجة الاتفاقية التي عقدت بين مصر واسرائيل أمكن اخراج اللواء المصري المحاصر في جيب الفالوجه مصطحباً اسلحته واعلامه وانسحب الى مصر .

كما أنه بنتيجة الاتفاقية بين سوريا واسرائيل انسحبت القوات السورية من جيب (مشمار هاياردن) واعتبرت هذه المنطقة مجرده من السلاح تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. وسيأتى الحديث فيما بعد عن نتائج هذه الاتفاقيات وما تركته من آثار وما تعرضنا له من مشاكل عبر السنين بسببها .

أما الآن وقد شرحت جميع الحركات الحربية على الجبهة الاردنية مفصلة كما عرفتها وشاركت فيها من موقعي كضابط ركن عمليات في قيادة الفرقة طيلة مدة الحرب. كما شرحت وقائع ما دار من معارك على الجبهات العربية الاخرى بشكل مجمل حسب مشاهداتى في حينها ومن المعلومات التي تمكنت من تجميعها من مختلف المصادر بما فيها المعلومات التي كنا نحصل عليها من اسرى الحرب الذين اسرتهم قواتنا في مختلف المعارك ولاسيما بالنسبة لتحركات قوات العدو في مختلف مراحل القتال. ومن مطالعاتى المختلفة في ذلك الحين وفيما بعد. وأظن انها تفي بالغرض الذي ذكرت من أجله .

أما الآن فسوف اشرح في الفصل القادم الاخطاء التي ارتكبت بهذه الحرب والدروس المستفادة منها وسأعرض بعد ذلك بعض التحليلات الاجتماعية والسياسية التي ارى انها سوف تكون مكملة لهذا الموضوع لعلنا نقتبس منها بعض العبر لنستيفد منها بمستقبل ايامنا. أو يستفيد منها ابناؤنا في صراعنا الدائم على تراب وطننا الذي ورثناه عن أجدادنا ولم نحسن حمايته .

الفصل الثالث

الاخطاء والدروس المستفادة من هذه الحرب

قبل ان اتطرق لشرح الاخطاء العسكرية التي وقعت فيها الجيوش العربية. ولا أقول ارتكبتها لأنها فرضت عليها بسبب واقع الامة العربية وتضارب سياسات حكوماتها أود أولاً ان اقرر الحقائق الآتية :

أولاً : أن الجيوش العربية زجت في معركة مرتجلة دون ان تكون لها قيادة عامة واحدة فعاله تدير عملياتها القتالية حسب الأصول وبدون ان توضع لها خطة شاملة واحدة تنفذها بإشراف هذه القيادة العامة وتوجيهها ودون توفير الوسائل الكافية من الاسلحة والذخائر والامكانيات الاخرى المادية والبشرية .

ثانياً : ان الجيوش العربية عانت في هذه الحرب كما عانت في جميع الحروب اللاحقة. من لعنة الخلافات العربية ومن وباء الغيرة والتناحر الذي استشرى بين قياداتها السياسية بحيث وصل بهم الى حد الوقيعه والاذى لبعضهم البعض. وهذا هو البلاء الدائم الازلي الذي حال دوماً دون التعاون والتنسيق الصحيح بينهم وأدى بالنتيجة الى عدم تعاون الجيوش في ساحة القتال. فذهبت جهودها هدراً وتضحيات رجالها هباءً ودماء شهدائها ضياعاً. وما زالت هذه هي حالنا .

ثالثاً : لقد زجت الدول العربية بجيوشها في المعركة وهي تعرف ان الاستعمار ما زال يمسك بخناقها رغم انها كانت دولاً مستقلة حيث انها كانت تعتمد على الدول الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا) في تزويدها بجميع اسلحتها وذخائرها. وهي بالتالي لن تحصل على ما تريد من هذه الاسلحة. بل ستحصل فقط على الكميات التي تريد الدولة المستعمرة منحها لها شريطة التزامها بخط سياسة تلك الدولة. وبالتالي فإن الدول العربية وبدون استثناء كانت تعرف انها مقيدة بإرادة الدول الاستعمارية قبل ان تقرر دخول الحرب .

وإنطلاقاً من هذا الواقع المرير وهذه السياسة المقيدة قررت الدول العربية دخول جيوشها الى فلسطين بهدف المحافظة على الأمن والنظام في المناطق العربية من فلسطين بعد خروج القوات البريطانية التي كانت مسؤولة عن هذا الأمن كما كانت تقول تصريحاتهم في ذلك الحين. وبالتالي فإن قرار الدول العربية الاشتراك بهذه الحرب لم

يكن يعني أكثر من محاولة الدفاع عن الاراضي التي بقيت بيد الفلسطينيين عند خروج قـوات بريطانيـا منهـا. وبمـعنى آخـر تكريس حدود التقسيم التي قررتها هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م (منقـوصـة). حيث كان اليهود قد احتلوا الكثير من المدن والقرى العربية التي كانت داخلة ضمن المناطق المخصصة للعرب قبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين .

رابعاً : ان الحكومـات العـربيـة كـانت قـد رفـضت مشروع التـقسيم هذا فور إعلانه عام ١٩٤٧م كما رفـضته الهيئة العربية العليا بصفتها كانت ممثلة الشعب الفلسطيني في ذلك الحين. وها هي نفس الحكومات العربية تكرس هذا التقسيم عملياً بسبب الطريقة التي ارسلت بها جـيـوشها النظامية للقتال تحت شعار المحافظة على الامن والنظام في المناطق العـربيـة ونصرة اخـواننا الفلسطينيين وحمايتـهم من الاعتداءات الصهيونية. وهذا شـعور وطني نبيل وواجب قومي يتحتم عليهم القيام به ولكن واجبهم القومي هذا كـان يحتم عليـهم ان ينبـذوا خلافاتهم ويوحدوا صفوفهم لكي يستطيعوا تجميع قـدراتهم وتوحـيد جيوشـهم لكي يمكنوها من خوض الحرب تحت قيادة واحدة فعاله وبمـوجب خطة حـربيـة مـتـوازنة تسـتطيع من خلالها التصدي لضرب قوات العدو بهدف تدميرها وتحـرير الاراضي العـربيـة كنتـيـجـة حـتمية للمعركة التي تكون قد كسبتها. ولكن لسوء حظنا فإن شيئاً من هذا لم يحصل وخضناها حرباً سياسية كما سبق الشرح .

خامساً : ان قـرار الدول العـربيـة بدخـول الحرب بهذه الطريقة قد وضع جيوشها بموقف مـسـتحيل منذ البداية حيث ان هذه الجيوش اصبحت ملتزمة بالموقف الدفاعي الذي فـرض عليـهـا ضـمن المناطق المخـصصة لها. وبالنتيجة فإنها تخلت سلفاً عن زمام المبـادرة للجـيش الاسرائيلي الذي اصـبح يملك الحرية الكاملة بالتصرف بقواته والقيام بالعمليات الهجومية ضد أي جبهة عربية بمعزل عن الجبهات الاخرى وهو متأكد من عـدم تدخل هذه الجـبـهـات لمسـاندة بعـضـها ضده بشكل فعال لأن كل واحدة منها مهتمة فقط بالدفاع عن منطقتها. وكأن ما يجري في المناطق الاخرى لا يعنيها

سادساً : ورغم ان الدول العربية كانت واقعة بين المطرقه والسندان بالنسبة لقضية فلسطين في ذلك الوقت حـيث انها كانت من جهة لا تملك أن تتقاعس عن نجدة الشعب العربي الفلسطيني في وجـه الاعـتـداءات الصهيونية والتي كانت ستتمكن من سحقه لو ترك لوحـده في سـاحة القتال وهو شبه اعزل من السلاح أمام جيش اسرائيل الضخم بعد

خـروج الجيش البريطانى من فلسطين. سواء كان ذلك من منطلق إحساس تلك الدول القـومي أو لإرضـاء الرأي العام لشعوبها التي كانت تتحرق شوقاً للإشتراك بالجهاد الى جـانب اخـوانهم الفلسطينيين ومن جـهـة اخـرى فهي لا زالت مرتبطة مع الدول الاسـتـعمارية بمعاهدات وقيود كثيرة ولا تملك حرية التصرف بحسب ما تمليه عليها واجـباتها القومية. ولا سيما الحكومة الاردنية التي كانت لا تزال تربطها مع الحكومة البريطانيـة مـعـاهدة قـائمـة. وقـيادة جيشها وجميع وحداته بيد الضباط الانجليز. بالإضـافة الى أن الحكومة البريطانية كانت تقدم ميزانية الجيش العربي المالية بكاملها وهي المصـدر الوحـيد لتزويده بالاسلحة والذخائر ومع ذلك فإن جميع هذه القيود لا يمكن اعـتـبارها عذراً مقبولاً لكي تكون القيادات العربية على هذه الدرجة من الخلاف والتناحـر بحـيث تمتنع عن التـضـحـية بمصالحها القطرية في سبيل تحقيق المصلحة القـومـيـة العليـا. حـيث كـان من واجبها ان تنبذ خلافاتها وتوحد صفوفها وتحشد قـواتها تحت قـيـادة مـيـدانيـة واحدة لتتمكن من مقارعة خصمها في المعركة بحسب القـواعد العسكرية السليمة مهما عظمت التضحيات. وعندئذ ستكون عزيزة لو نجحت ومعذورة لو فشلت. أما ان تستمر بتكريس خلافاتها وتزج بجيوشـها متفرقة بمعركة لم تهيء لها اسـبـاب النجـاح وتعـرض مصير هذه الجيوش للخطر بسبب الخلافات السـيـاسـيـة وبالتـالي لا نسـمع سوى تبريرات الفشل بالقاء اللوم على عاتق الرجال العـسكريين من هذه الجـيـوش الذين ضـحوا بارواحهم رخيصة في سبيل الدفاع عن المواقع التي وضـعـوهم فيها. فهذا أمر غير مقبول ويجب ان يبرز له مكان في التاريخ لايضاحه. وهذا ما سأحاول بهذه الدراسة المتواضعة تلخيصه وتوضيحه .

سابعاً : رغم ان الجـيـوش العـربيـة وضعت في هذه الحرب بموقف مستحيل لا ينطبق على الأصـول والأسس العـسكرية السليـمـة بسـبب خـلافـات الدول العـربية وتضـارب سـيـاسـاتها. وعلى الرغم مما سأورده تاليـاً من مـقارنة بين التصرفات التي طبقتها الجـيـوش العربية وبين الأسس العسكرية الصحيحة فإني أود أن أبرز حقيقتين أجد فيهما عذراً لجميع العسكريين العرب الذين خاضوا هذه الحرب قادة وجنوداً .

أ ـ انهم جميـعاً خاضوا المعارك التي فرضت عليهم بكل شجاعة ورجوله وتركوا على ارض فلسطين اعـداداً كـبيرة من زمـلائهم الذين اسـتـشـهـدوا دفاعاً عن ثراها الطهور.

ب ـ أن مـا سأورده تالياً من مقارنة المبادىء العسكرية الصحيحة مع ما تصرفت به

الجيوش العربية فعلياً بهذه الحرب لا يعني أن قادة وضباط هذه الجيوش لم يكونوا على دراية تامة بهذه المبادىء. ولكنهم وضعوا بظروف فرضت عليهم ان يتصرفوا خلافاً لها. وان غايتي من هذه المقارنة هي ان أبين ان المعركة كانت خاسرة من بدايتها. ولا يمكن ان يتوقع احد من هؤلاء العسكريين الذين خاضوا غمارها ان يحققوا نتائج افضل من التي حققوها في ظل تلك الظروف .

وأخيراً وليس آخراً أود أن أبرز هنا واسجل للتاريخ ان نجاة هذه الأمة وحماية اجيالها القادمة لن تتحقق إلا باتحادها. وان تفرقها وخلافات قياداتها لن تجر عليها إلا الدمار والويلات. وهذه حربنا الاولى مع اسرائيل وجميع الحروب التي تلتها اكبر دليل على ذلك. فهل سنعي هذه الحقيقة قبل فوات الأوان ونضحي في سبيل الوحدة العربية الحقه ونضعها فوق كل المصالح الشخصية والقطرية. ومتى سننفض عن انفسنا غبار السنين ونتناسى خلافاتنا واحقادنا ومصالحنا الشخصية ونتجاوز الحدود المصطنعة التي فرضها علينا الاستعمار واصبحنا اشد حرصاً منه على تكريسها وتأكيد شرعيتها. ومتى سنعود الى التمسك بمبادىء ديننا الحنيف الذي نقلنا من ظلمات الجاهلية الى نور العلم والحضاره .

متى سنفيق من سباتنا ونحس بقوميتنا ونسعى بجد وهمة لتحقيق وحدة امتنا تحت راية الاسلام الذي كرم الله هذه الأمة بنور هدايته واعزها بعزته لكي نصبح قوة واحدة وأمة واحدة تدافع عن كيانها بفعالية واقتدار لتهيء لأجيالها القادمة امكانية العيش الكريم والعزة القومية الحقه. وكيف سيتحقق هذا ان لم نباشر العمل الجاد في سبيله ونضحي بكل غال ونفيس لتحقيقه. اللهم اهدنا سبيل الرشاد .

ثامناً : لقد قلت ان الدول العربية دفعت بجيوشها للقتال في فلسطين بشكل مرتجل لأنها لم تكن لديها خطة حربية عامة واحدة تخوض الحرب بموجبها او قيادة واحدة مؤهلة لقيادة جميع هذه الجيوش في المعارك المختلفة. والذي حدث فعلاً ان الدول العربية اتخذت قرارها النهائي لخوض الحرب بأواخر نيسان أي قبل بدء القتال بحوالي اسبوعين فقط. كما قررت ان تدخل جيوشها فرادى وخصصت لكل جيش منطقة خاصة به من فلسطين تقع مقابل البلد التي قدم منها ما عدا الجيش العراقي الذي عبر من شرق الاردن واستقر في منطقة نابلس وجنين. واشترطوا ان يتلقى كل جيش أوامره من قيادة بلده وحكومتها التي كانت ترسم خطط عملياتها وتنفذها بمعزل عن الجيوش الأخرى

كـان للعـرب كـدول وحكومات شقيقة تنتمي الى امة واحدة استراتيجية عليا واضحة المعالم ومتفق عليها (Grand Strategy) .

وبهذه الحـالة هل كـان للجـيوش العربية التي ارسلتها حكوماتها للحرب في فلسطين استراتيـجية عسكرية موحدة تنبثق عن تلك الاستراتيجية العليا التي وضعتها واتفقت عليـهـا هذه الدول للحـرب تؤدي الى تحـقـيق اهدافـها. فإن كانت الإجابة على هذين السـؤالين بالنفي فلنسأل إذن هل كـان لكل دولة عـربية بمفردها استراتيجيتها العليا الخاصة بها. وهل كان لجيش تلك الدولة استراتيجيته الخاصة به والتي ترمي بالتالي الى تحـقـيق الأهداف الموضـوعـة لحكومته. وان كان الجواب هنا ايجاباً فما قيمة هذه الاستراتيـجـيات المتعددة والتي قد تكون متضاربة وتلغي بعضها. وما هو تأثيرها في مـواجـهـة الغـزوه الصهيونية المسلحة التي وضعت استراتيجيتها العليا الواحدة قبل نشـوب هذه الحـرب بمـدة نصف قـرن والتي جاءت بهدف واحد ومحدد هو احتلال فلسطين واقـتـلاع سكانها العـرب منهـا وتشريدهم كـمـرحلة اولى ومن ثم التـحـول لتأسـيس دولة اسرائيل الكبرى على انقـاض باقي البلاد العربية. واما اذا كان الجواب على هذين السـؤالين الاخيرين نفـياً فإن هذا هو أساس الكارثة. اذ كيف تزج الجيوش في الحـرب من قـبل حكومـات ليس لديها استراتيجية عليا موحدة. ولا حتى منفصلة تتـبـعـهـا خطط واضحة مبنية على اهداف تلك الاستراتيجية العليا وتستند الى تقدير موقف سليم ويكون لديها أمل معقول بالنصر. بل وكيف تضع مصائر جيوشها تحت رحمة المجـهـول وتخوض معارك مرتجلة لم تكن تضمن امكانية لنجاحها لأنها اصلاً ارسلت جـيـوشـهـا للحـرب دون ان تضع لنفـسـها استراتيجية عليا واضحة تعمل الجيوش ضمن إطارها وتنفذ عملياتها العسكرية على أساسها .

ولـكـي اصـل الى الإجـابـة عـلى هذه التـسـاؤلات احب ان اعطي هنا لمحـة بسـيطة عن استراتيـجـيـة ومـبـادىء الحرب. وأحاول مقارنة هذا الوصف مع الإجراءات التي قامت بها الدول العـربيـة وجـيـوشها لكي نتعرف بالنتيجة على مواطن الضعف بهذه الإجراءات ونبين النتائج التي أسفرت عنها .

١ ـ الاستراتيجية :

لقـد اختلفت الآراء في وصف معنى الاستراتيجية على مدى الزمان من قبل مشاهير القادة العظام. فمثلاً قال الجنرال فون مولتكه (General Von Moltke) ان الاستراتيجية هي التوصية

العليا في الحرب (Grand Recomendation)[1] .

وهي حقل مستقل تمام الاستقلال عن السياسة العليا للدولة. بينما عارضه آخرون بهذه الفكرة الاخيرة حيث قالوا ان الاستراتيجية العليا هي توجيه الحرب لتحقيق الهدف السياسي الذي وضع لها. وهي لهذا السبب محبوكة مع السياسة العليا للدولة . وقد عقب آخرون من العسكريين الذين يؤمنون بالفكرة العملية للحرب بأفكار متشابهة يمكن تلخيصها بما أكده الجنرال السويسري (كلوزويتز) (Clouswitz) بأن الهدف السياسي هو الهدف الأساسي للحرب. ولهذا فإنه يجب أن يكون العامل الرئيسي الذي يقرر الهدف العسكري للقوات المسلحة. وكمية الجهد الذي يجب توظيفه لتحقيق هذا الهدف .

ومن خلاصة الآراء المختلفة نرى ان اقرب تعبير للواقع السليم في وصف الاستراتيجية العسكرية هو ما يلي :

الاستراتيجية العسكرية هي الوسائل المستعملة لجر العدو إلى المعركة بينما (التكتيك) هو الوسائل المستعملة لتدمير قواته المسلحة في المعركة وعلى هذا الأساس لو استعرضنا المعارك العظمى في التاريخ في مختلف المراحل لوجدنا أن الدارسين للتاريخ العسكري في مختلف العصور كان همهم الأول أن يكتشفوا سر احراز النصر في الحرب. وبمعنى آخر ان يستخلصوا المبادىء الأساسية التي ساهمت في تحقيق النصر للقادة العظام. وهنا أيضاً اختلفت تعابير القادة العظام في وصف هذه المبادىء. فقد وصفها بعضهم بأنها (الأساليب التي بموجبها تطبق الاستراتيجية بنجاح) ووصفها آخرون بأنها (آراء عملية في القتال ثبت نجاحها). ومن هنا خرج بعض عظماء القادة بتصنيف هذه الاعمال التي تحقق النصر أو بموجبها تطبق الاستراتيجية بنجاح. الى اوصاف متفق عليها وقد كانت عرضة للنقد والتمحيص والتحسين في مختلف الآراء في الحروب ولكنها كانت جميعها متقاربة بشكل عام. وقد سميت هذه التصانيف (مبادىء الحرب) .

لكن هذه المبادىء وعلى الرغم من اهميتها فان تطبيقها بحد ذاته ليس سوى عامل رئيسي من بين عدة عوامل أساسية تؤدي في مجموعها الى كسب المعركة واحراز النصر. وهذه العوامل الاساسية يمكن وصفها بانها الكيان الاساسي في ترجيح كفة القائد الناجح على خصمه بشكل يكفل نجاحه .

فاذا اعتبرنا ان الغاية من الحرب هي فرض الارادة على الخصم بقوة السلاح فمن

---

(١) انظر كتاب صانعي الاستراتيجية الحديثة، تاليف ادوارد ميد ايرل.

Makers of Modern Strategy. By Edward Mead Earl.

الطبيعي ان هذا الخصم سيقاوم هذه القوة . وعندئذ تصبح المعركة بين الخصمين سجالا وتكون الارجحية فيها للأكفأ . وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار كل عامل من هذه العوامل جزءا من كل يشكل في مجموعه قوة الصدمة الاساسية التي عندما يتمكن القائد من حيازتها والتعامل معها بكفاءة واستخدامها لأقصى حدود طاقاتها ستعطيه الارجحية على خصمه . ويمكن اجمال هذه العوامل الاساسية بما يلي .

١ ـ مادة القائد وكفائته

٢ ـ مادة الجنود وكفائتهم

٣ ـ القوة المعنوية

٤ ـ المصادر المتوفرة (السلاح والذخائر والتجهيزات الخ)

وقد يتبادر للذهن لاول وهلة ان هذه العوامل الاساسية لا تنطوي في معناها على جميع مبادىء الحرب المعروفة ولكن اذا فكرنا في كل عامل من هذه العوامل بامعان ودقة وجدنا ان كل مبدأ من مبادىء الحرب يمكن ادخاله ضمن هذه العوامل الرئيسية الاربعة بحيث تنطبق عليها معنى وتفسيراً . ولا نقصد بهذا التحليل ان نخلص بنتيجة ان الحرب عبارة عن عملية حسابية لانها في الحقيقة ليست كذلك بل هي فن وخبرة وتنافس بين الكفاءات والامكانيات العقلية والمعنوية والجسمية والمادية . والان لنترك البحث التحليلي لمبادىء الاستراتيجية لبحث الناحية العملية في الحرب وبتعبير أصح بحث العوامل الاستراتيجية العملية التي تجلب النصر النهائي للقائد الناجح في الميدان .

وهنا لابد من التساؤل. هل هنالك عامل استراتيجي في الحرب يمكن اعتباره انه ينطبق على جميع المعارك الناجحة. فان اعتبرنا ان القصد الاساسي من القتال هو السيطرة على العدو بقوة السلاح او بمعنى اخر سحق قواته في الميدان فانه لابد لنا لتحقيق هذا الهدف من ان نضع هذه القوة المعادية المراد سحقها في موضع يجعل مهمتنا هذه اسهل ما تكون بالنسبة لقواتنا. ولنأخذ ابسط مثل لهذا .فان انت اردت ان تكسر حبة جوز مثلا . فانك يجب ان تضعها على قاعدة قاسية ثم تضربها بجسم آخر أقسى منها فعندئذ تنكسر بسهولة. أما إذا ضربتها بجسم اقل قساوة من جسمها فسوف يتعذر كسرها. وعلى هذه النظرية البسيطة يمكن ان تنطبق النظريات الاستراتيجية العمليه فالقاعدة الصلبة التي يجب ان تضع عليها قوة العدو لتسحقها يمكن ان تكون احدى الاشياء الاتية .

١ ـ قسم منفصل من قواتنا الرئيسية يقوم بعملية التفاف ليضع القوة المعادية بينه وبين القوة الرئيسية تمهيدا لسحقها .

٢ ـ قوة اخرى منفصلة تعمل مستقلة وتشترك بنفس المعركة طبقا لقاعدة الخطوط الخارجية .

٣ ـ حاجز طبيعي مانع يحجز القوة المعادية ويجعلها معرضة امام القوة المهاجمة .

جميع هذه النظريات يمكن ان تنطبق على جميع المعارك المعروفة لولا ان هنالك احتمال للشك بانها لا تشمل عمليات التطويق والحصار او الاستسلام النهائي في الميدان بسبب الجوع والعطش وقطع التزو يد وانهيار المعنويات ويمكن لو فكرنا مليا بعمليات التطويق والحصار ان نجد انها عبارة عن تطبيق عمليات الخطوط الخارجية بشكل يضمن احكام الخناق كاملا على العدو وذلك عندما تقوم قوتين او أكثر بمهاجمة قوة العدو من جهتين او أكثر ثم تحقق اتصالهما فيتم الحصار الكامل على العدو .

■ **التعليق :**

اذا استعرضنا عمليات الجيوش العربية واساليب حشدها ومن ثم اشتراكها بمعركة فلسطين سنجد أنها في معظم الحالات طبقت المبادىء والاسس الاستراتيجية بما يتعلق بمناطقها وقواتها ومعاركها التي خاضتها بشكل منفصل . لكنها من حيث مجموعها كقوات عربية تقدمت لضرب القوات الاسرائيلية كعدو مشترك لم تنجح في تطبيق اي من هذه المبادىء وذلك لأنها في الاصل لم ترسل لتقاتل هذه القوات بهدف هزيمتها في ميدان المعركة بل ارسلت بهدف حماية ماتبقى بيد العرب من ارض فلسطين . وهي لهذا تقيدت بالمفهوم الضيق من الاستراتيجية المحلية التي لن تكون بالضرورة ذات تأثير جذري على قوات العدو الرئيسية. وبمعنى اخر فان هذه الجيوش العربية وضعت بمواقف محددة قيدت تحركاتها منذ البداية وثبتتها بمناطق معينة جعلت منها هدفا ثابتا للقوات الاسرائيلية بدلا من ان تكون خطرا على كيان تلك القوات وعلى احتمالات بقائها من اساسه . والأسوأ من هذا كله ان الجيوش العربية جميعها باستثناء الجيش العربي الاردنى والجيش السوري دخلت فلسطين (بالتقسيط) على دفعات حسب مقتضيات الاحوال وحاجة جبهاتها المحدودة . فمثلا دخل الجيش العراقي مبدئيا بقوة لاتزيد عن جحفل لواء واصبح مجموع قواته في فلسطين عندما بدأت الهدنة الثانية حوالي فرقتين . وكذلك دخل الجيش المصري بقوة مؤلفة من لوائين واصبح عند الهدنة الثانية خمسة الوية مع اسلحتها الاسنادية بالاضافة الى كتيبتين من المتطوعين من الاخوان المسلمين وكتيبة من السعوديين . اما الجيش الاردنى والسوري فقد دخلا بكل مالديهما من قوات لكنها لم تكن تتجاوز لوائين للجيش السوري واربعة كتائب للجيش الاردنى . واما الجيش اللبنانى فلم يتجاوز منطقة الحدود الا قليلا . وباستثناء

معركة المالكية فقد اكتفى بنشر قواته على طول الحدود الدولية بداخل اراضيه . وهنا لابد من التساؤل أنه اذا كان لدى الجيش العراقي فرقتين ولدى الجيش المصري خمسة الوية وهما اكبر جيشين عربيين فلماذا لم تنسق خططهما حسب الاصول وتدخل هذه القوات بكاملها منذ البداية بهدف تدمير القوات الاسرائيلية المسلحة لكي يمكن بنتيجة القتال التغلب على تلك القوات وكسرها . وبعدئذ يصبح بالامكان حماية الاراضي العربية بسهولة واسترداد جميع ماسبق ان استولى عليه الاسرائيليون منها كتحصيل الحاصل . والسبب هنا طبعا واضح جدا وهو التفرقة العربية والخلافات المستعصية بين الدول وتفضيل المصالح القطرية على المصالح القومية العليا . وكل هذه الامور افرزت وضعا عسكريا غير سليم لم تكن الجيوش العربية معه قادرة على التصرف بالحرب حسب الاعراف العسكرية الصحيحة ومبادئها المتعارف عليها بل اخذت تخوض معاركها الدفاعية ضد هجمات اليهود لحماية الاراضي التي دخلتها فقط ومع استمرار هذه المعارك استهلكت مخزونها من الذخائر بدون ان تحقق هدفا استراتيجيا مهما واحدا او تكسر ظهر قوات العدو المسلحة . وبالتالي اخذت هي تطالب بوقف اطلاق النار وهذا اوضح دليل على سوء نتائج تغليب المصالح السياسية على متطلبات المعركة

٢ ـ مبادىء الحرب :

عند وضع الخطط للحرب هنالك مبادىء اساسية يجب اخذها بعين الاعتبار . وعلى الرغم من ان هذه المبادىء ليست قوانين صارمة لكنها تعطي الدليل الذي على اساسة يبنى العمل العسكري . كما ان قيمة كل مبدأ من هذه المبادىء تتفاوت باستمرار بحسب الظروف . وفي كثير من الاحيان نجد ان تطبيق احد هذه المبادىء على وضعية معينة سينتج عنه خرق جزئي على الاقل لمبدأ اخر

أولا : اختيار الهدف :

في ادارة الحرب ككل وفي اي معركة من معاركها يكون انتخاب الهدف وتحديده بكل وضوح امرا اساسيا في غاية الاهمية . والهدف النهائي للحرب هو كسر ارادة العدو على القتال . وعلى هذا الاساس فان كل مرحلة من مراحل الحرب واي معركة ضمن نطاقها يجب ان توجه نحو تحقيق هذا الهدف الاساسي . وعندما يحدد الهدف يجب ان تكرس جميع الجهود وتوظف جميع الامكانيات والقدرات المتاحة لتحقيقه وكل خطة توضع لاي عملية يجب ان تقدر قيمتها وفائدتها على اساس مدى تأثيرها على تحقيق ذلك الهدف المنتخب .

التعليق :

مع الأخذ بعين الاعتبار الكيفية التي زجت بها الدول العربية بجيوشها بهذه الحرب فاننا لا نستطيع ان ندعي ان هذه الجيوش كان لها هدف عسكري صحيح ينطبق على الغاية الحقيقية من الحرب حسب القواعد المتعارف عليها كما هو موضح باعلاه . وإذا كنا نريد ان نسمي عملية توزيع هذه الجيوش العربية على مواقع دفاعية لحماية مناطق معينة من فلسطين (هدف) فان هذا الهدف لايمكن ان يحقق النصر بنتيجة الحرب لان الجيش الذي يضع قواته بمكان ثابت ويلتزم بموقف الدفاع فقط طيلة مدة الحرب سوف يجعلها هدفا ممتازا للعدو يسهل عليه تدميرها وفي احسن الاحوال يمكن القول بأن هنا الهدف هو ابعد مايكون عن الهدف المتعارف عليه في مبادىء الحرب والمشار اليه باعلاه والذي لو التزمت به الدول العربية لكانت مجبرة على توحيد جيوشها ووضعها بامرة قيادة واحدة وحشدها سوقيا وتعبويا بحسب اسلحتها وتشكيلاتها وليس بحسب جنسياتها بل بموجب مستلزمات الخطة الموضوعة للحرب ومعاركها بجميع اصنافها ومراحلها سواء كانت معركة دفاعية او هجومية أو انسحاب او تقدم او خلافها . وهذا هو ما عملت الدول العربية عكسه تماما . ومهما كانت الاسباب التي دفعتها الى هذا التصرف فانه على اى حال لن يؤدي الى كسر ارادة العدو على القتال ولذلك فان النتيجة كانت عكسية تماما .

ثانيا : القوة المعنوية :

ان النجاح في الحرب يعتمد الى حد كبير على القوة المعنوية اكثر من اعتماده على الوسائل المادية. فعدد القوات والتسليح والامكانيات المتاحة لايمكنها التعويض عن انعدام الشجاعة والجهد والتصميم والكفاءة وروح الاقدام التي تنبع جميعها من معين التصميم القومي على احراز النصر. ولهذا فان بعث صفات الروح المعنوية وادامتها تعتبر ركيزة اساسية لاحراز النصر في الحرب .

التعليق :

على الرغم من كل الظروف السيئة التي وضع فيها الجندي العربي اثناء هذه الحرب فان الروح المعنوية لهؤلاء الجنود والضباط في جميع الجيوش العربية كانت عالية وبقيت طيلة مدة الحرب في اعلى مستوياتها. وخير دليل على هذه الحقيقة ماكان يظهره هؤلاء الجنود والضباط من صبر وتصميم وقوة ارادة اثناء القتال في احلك الظروف وأشدها قسوة . وحتى حينما كانوا يحاصرون في مواقعهم وتنفذ ذخائرهم

وحينما كان العدو في بعض الحالات ينجح باجتياح مواقعهم كانوا يستمرون في القتال لاخر لحظة باسلحتهم وايديهم. ان مثل هذه الشجاعة وهذا الصمود والتصميم على القتال لاخر نفس لايمكن ان يحصل الا من قبل جنود معنوياتهم عالية فوق كل وصف . ولست هنا في صدد الدخول باستعراض تفصيلي لموضوع القوة المعنوية ولكن يكفي ان ابين ان تحلي الجنود والضباط في كافة الجيوش العربية بمستوى رفيع من القوة المعنوية كان له تأثير حاسم في الكثير من المعارك يتجاوز حجم قطعاتهم التي خاضتها باضعاف المرات. ولا غرو فالقوة المعنوية هي حالة عقلية لها اسس روحية وثقافية ومادية تغذيها وتنميها . ومن اهم دوافعها الروحية الايمان بالله والتمسك بفرائض الدين الحنيف. فبالإيمان تثبت النفوس كل النفوس في وجه الاخطار. ولذا فان الجنود العرب البواسل كانوا يتقدمون للقتال ومطلبهم الاساس هو النصر أو نيل الشهادة في سبيل الدفاع عن عقيدتهم ووطنهم ومن المحزن حقا ان تضيع تضحياتهم على مذبح السياسة بسبب سذاجة السياسيين وتناحرهم المزمن وخلافاتهم الازلية التي كانت ومازالت هي السبب الاساسي لجميع الكوارث المتلاحقة التي تحل تباعا بهذه الامة .

ثالثا : الاعمال التعرضية :

الاعمال التعرضية هي المقدمات التي تؤدي الى النصر في الحرب . وقد تأتي متأخرة ولكنها في سياق القتال . الا انه مالم يؤخذ زمام المبادرة ويتم التحول الى الهجوم فان النصر سيكون مستحيلا .

التعليق :

ان الجيوش العربية لم تقترب من تطبيق هذا المبدأ باي مرحلة من مراحل الحرب حيث انها تخلت عن زمام المبادرة للعدو منذ بدء القتال وتحولت جميع معاركها الى الدفاع المستكن او المرن احيانا. ولكن هذه الجيوش علاوة على ذلك قد التزمت بالتمركز ضمن مناطقها التي خصصت لها ولم تخرج عملياتها عن نطاق تلك المناطق. وبالتالي فانها تركت عمليات الهجوم الواسع للعدو . وبقيت هي بمواقعها الدفاعية تحاول جهدها صد هجمات العدو المتلاحقة بدرجات متفاوتة من النجاح والفشل . وبهذا فقد تخلت عن زمام المبادرة للعدو طيلة مدة الحرب . ولم يتعدى اقصى ما وصلت اليه عملياتها الهجومية عملية هجوم معاكس لاسترداد موقع استولى عليه العدو . او في بعض الحالات للاستيلاء على موقع محدود ذو قيمة لدفاعاتها ولكنها كانت دائما ضمن مناطقها الدفاعية .

رابعا : الامن

ان موضوع الامن يعتبر في غاية الاهمية في الميدان وخارجه . حيث ان اساس النجاح في المعركة يعتمد الى حد كبير على بذل اقصى الجهد لمنع تسرب المعلومات بمختلف جوانبها عن قواتنا المقاتلة وخططها الحربية واسلحتها وأساليب تزويدها الى العدو وبنفس الوقت من الضروري ان نسعى وباستمرار الى الحصول على اكبر قدر ممكن من المعلومات عن قوات العدو بمختلف انواعها فهي اذن تتلخص في منع وصول المعلومات عن قواتنا للعدو والسعي باستمرار للحصول على اكبر قدر من المعلومات عن قوات العدو .

التعليق :

إذا استعرضنا أساليب الجيوش العربية في مسألة الأمن كل جيش بمفرده سنجد أنها كانت معقولة في الحفاظ على الأمن بما يتعلق بها. رغم أن العدو كان يستطيع في الكثير من الأحوال الحصول على المعلومات الهامة عن طريق العملاء المحليين. وأما بالنسبة لقدرة هذه الجيوش الحصول على المعلومات عن قوات العدو فقد كانت ضعيفة الى حد كبير، هذا على أن أخطر مسألة بالنسبة لحصول العدو على المعلومات عن قواتنا هي إمكانية حصوله على المعلومات عن التسلح وكميات وأنواع الأسلحة والذخائر التي لدى الجيوش العربية حيث كان من السهل عليه ان يحصل عليها من مصادرها في بريطانيا وفرنسا حيث كانت جميع الجيوش العربية تحصل على أسلحتها من هاتين الدولتين فقط وقد كان باستطاعة اليهود ان يحصلوا على تفصيلات وكميات هذه الأسلحة التي سترسل الى الجيوش العربية قبل شحنها. ولم يكن لدى الدول العربية نفس الامكانيات بالنسبة للاسلحة التي يستوردها اليهود .

خامساً : المفاجأة :

تعتبر المفاجأة أكثر الحالات فعالية وتأثيراً في سياق الحرب. وتأثيرها المعنوي على القوات المقاتلة هائل. ولذلك فإنه يجب بذل اقصى الجهد لتحقيق المفاجأة لقوات العدو واتخاذ جميع الاحتياطات لتجنب مفاجأة العدو لقواتنا. وإذا أمكن تحقيق المفاجأة ضد العدو فإن النتائج التي يمكن الحصول عليها تفوق حجم الجهد الذي بذل في تحقيقها أضعافاً مضاعفة. كما أنه في عمليات معينة عندما تكون بعض الظروف ضدنا فإن عامل المفاجأة يمكن أن يكون حاسمًا في تحقيق النصر. هذا على أنه من الممكن تحقيق المفاجأة استراتيجياً أو تكتيكياً او باستخدام أسلحة متطورة تظهر في

المعركة لأول مرة. أما عناصر المفاجأة فأهمها (المكتوميه، التخفي، الخداع، السرعة، الابداع، والجرأة) .

التعليق :

لقد كان من المستحيل على الجيوش العربية ان تحقق المفاجأة عندما تقدمت لدخول فلسطين سواء كان ذلك بالنسبة لها مجتمعة أو بالنسبة لكل جيش بمفرده ولو لسبب بسيط وهو أن جميع الإذاعات والصحف العربية كانت تذيع كل شيء عن تحركات هذه الجيوش حتى قبل أن تبدأ حركتها. وقد كان الناس في الشارع العربي يتفاخرون بالحديث عن تحركات جيش بلدهم ومواقع تواجد كتائبه ولذلك فإنى أحببت أن أطلق على هذه الحرب بالذات اسم (الحرب السياسيه) لأن الجيوش العربية كانت تتصرف حسب الأهواء والميول السياسية لحكوماتها وليس حسب القواعد والأسس العسكرية السليمة. ولكن على أي حال بعد أن وصلت هذه الجيوش الى مناطقها المخصصة لها واشتبكت مع العدو في معاركها الدفاعية التي تخللها بعض الحركات الهجومية المحلية حسب ظروف وتطور المعارك لكل جيش في منطقته أمكن في حالات معينة أن تحقق بعض القطعات مفاجأة للعدو بهذه العمليات وتحقق نجاحات جيدة بالنتيجة. ولكن هذا النوع من الحركات وهذا الحجم من المفاجأة يبقى حجمًا محدوداً ولم يؤثر جذرياً على الموقف العام بشكل مباشر وبالتالي فإن النتيجة المحدوده التي تكون هذه القطعات قد حققتها تلاشت قيمتها مع تطور المعركة. وبالمقابل فإن العدو في عملياته الهجومية في مناطق الجيوش العربية المختلفة قد حقق مفاجآت كثيرة ومختلفة تتفاوت في حجمها كما سبق شرحه في وصف المعارك المتعددة في سائر الجبهات العربية ولكن العبرة بالنتائج. والفرق هنا هو أن العدو استطاع ان يحصل على نتائج أفضل في عملياته الحربية المختلفة لأنه تمكن من الاحتفاظ بزمام المبادرة طيلة فترة العمليات وقد سمحت له الجيوش العربية بذلك بسهولة لأنها لم تكن قادرة على توحيد قواتها بإمرة قيادة واحدة تستطيع إدارة عملياتها في الميدان حسب الأصول العسكرية الصحيحة. ولهذا انتصر العدو علينا بالنهاية وخسرنا نحن تلك الحرب المأساه. هذا ولقد قدر على الجيوش العربية ان تنتظر ربع قرن من الزمان حتى تستطيع تحقيق نوع من التنسيق المحدود بين جيشين منها في معركة عام ١٩٧٣م التي سميت (حرب رمضان) أو (حرب العبور) والتي تمكنت فيها القوات المسلحة المصرية والسورية من تحقيق المفاجأة التامه على القوات الاسرائيلية وبمستوى رفيع في حقول مختلفة ولا سيما بالحشد والتوقيت والأسلحة الجديدة وخصوصاً الصواريخ المضادة للطائرات

ومقاومة الدروع والتي ظهرت لأول مرة في المعركة. وبالنتيجة فقد حققت القوات المصرية والسورية نصراً ساحقاً على القوات الاسرائيلية في بداية القتال واعتبرت هذه المفاجأة وعملية عبور القناة معجزة عسكرية بنظر معظم المفكرين العسكريين على المستوى العالمي .

ولولا أن خطل السياسه وتدخل امريكا بالنهاية قد أضاعت قيمة هذا الانتصار العظيم لتغيرت مسيرة التاريخ في الشرق الأوسط .

سادساً : الحشد

لتحقيق النصر في الحرب يجب حشد قوة متفوقة على قوة العدو مادياً ومعنوياً في المكان والزمان الحاسمين. وحشد القوة هذا لا يعني بالضرورة التجميع الهائل للقوات في مكان واحد بل توزيعها في الميدان بشكل يمكنها من التجمع بسرعة وسهولة لتوجيه الضربة القاصمة للعدو في المكان والزمان المطلوبين. أو لمواجهة تهديدات القوات المعادية لمواقعنا. وهذا معناه ان الحشد في الواقع هو مسألة وقت أكثر منه مسألة مسافات .

التعليق :

لو نظرنا الى كيفية توزيع الجيوش العربية على الجبهات المختلفة لرأينا أنها جرت على عكس هذا المبدأ تماماً. فمن جهة نرى انها قامت بالانتشار في الجبهات التي خصصت لها واتخذت وضعية الدفاع في تلك المناطق (أي أنها لم تحشد كجيش مقاتل سوقياً وتعبوياً بحسب تشكيلاتها المختلفة واسلحتها) ومن جهة أخرى فإن توزيعها بالدفاع بهذا الشكل حال دون أية امكانية لتجميعها أو تجميع أجزاء منها لتوجيه ضربة كبرى لقوات العدو المقاتلة في منطقة معينة وهي منطقة القتل التي يجب ان نستدرجها اليها لهذه الغاية فالجيوش العربية في واقع الامر قد بعثرت قواتها بدلاً من أن تحشدها بشكل يعطيها زخم الاندفاع والقدرة على توجيه الضربة المدمرة لقوات العدو في الزمان والمكان المناسبين. ولكنها قبعت في مناطقها الدفاعية وتحولت الى أهداف ثابتة للعدو لكي يضربها متى شاء في المكان والزمان الذين يعينهما هو. وبالنتيجة فقد بقيت قوات العدو متماسكه وسليمة كوحدة مقاتله لأن الجيوش العربية لم تتمكن من تدميرها .

أما بالنسبة الى الشق الثاني من هذا المبدأ وهو القدرة على التصدي لتهديدات العدو لقواتنا. فإن الجيوش العربية بسبب الحالة التي كانت سائدة والموقف الدفاعي الذي

التزمت به قد عجزت تماماً عن القيام بأي عملية تصدي لقوات العدو خارج نطاق دفاعاتها ضمن مناطقها التي خصصت لها من قبل السياسيين. فمثلاً عندما كانت قطعات الجيش العربي الاردني تتعرض لهجوم ساحق في منطقة اللد والرملة واللطرون لم تتمكن القوات العراقية من نجدتها أو التعرض للقوات الاسرائيلية المهاجمة تعرضاً جوهرياً يجبرها على التقهقر لأن القوات العراقية نفسها كانت موزعة في الدفاع على طول خطوطها الأمامية. وعلى أي حال فلن يكون بإمكانها ان تخف لمساعدة الجيش الاردني في معركته حتى لو توفرت لها الامكانيات الا إذا سمحت لها حكومتها بذلك لأن الجبهة ليست واحدة والجيوش لا تخضع لقيادة عسكرية واحدة.

ونفس الحكاية تنطبق على القوات المصرية عندما كانت تتعرض للهجوم ولم يكن بمقدور الجيش العربي الأردني أو الجيش العراقي ان يخفا لمساعدتها او يقوما بهجوم ضد قوات العدو في جبهتيهما لتخفيف الضغط. وهكذا الحال بالنسبة لباقي الجيوش العربية لأنها أصلاً لم تحشد قواتها حشداً سليمًا لتخوض الحرب كقوة مقاتلة واحدة بإمرة قيادة واحدة هدفها تدمير قوات العدو المسلحة بل دخلت فلسطين لكي تتوزع في الدفاع لتحمي قطاعات من الارض خصصت لها في مناطق ضمن حدود التقسيم. وهذا القرار هو الذي فرض على الجيوش العربية هذا النوع الفريد من القتال .

سابعاً : الاقتصاد بالجهد :

الاقتصاد بالجهد يعني الاستخدام المتوازن للقوات والاستهلاك الحكيم لجميع الموارد المتاحة بهدف تحقيق الحشد الفعال للقوات بالمكان والزمان الحاسمين .

التعليق :

إذا أردنا تطبيق هذا المبدأ على كل جيش عربي بمفرده فإنه يمكن القول أن كل جيش قد طبق هذا المبدأ فيما يتعلق بمنطقته تطبيقاً حسناً واستخدم قواته وموارده على الرغم من محدوديتها استخداماً حكيمًا واستطاع بالتالي ان يخوض معاركه الدفاعية بشكل جيد .

أما إذا أخذنا الجيوش العربية بمجموعها واردنا ان نعتبرها قوات عربية موحدة أو جيشاً عربياً جاء لمواجهة الجيش الاسرائيلي في المعركة بهدف التغلب عليه وكسر شوكته (وهو المفروض أن يكون) للتوصل الى تحرير الوطن العربي من مغتصبيه فإننا عندئذ نجد أن الجيوش العربية قد خرقت هذا المبدأ ولم تتصرف بحسب شروطه

ومتطلباته إذ أنها بسبب تفرقها وتشاحنها بددت قواتها وبذرت مواردها المتاحة ولم تستطع بالتالي ان تظهر ثقل قواتها في الميدان بشكل فعال لكي تغير سير المعركة لصالحها. ولذلك فإنها خسرت المعركة الكبرى رغم أنها احتفظت بأجزاء من الاراضي العربية التي جاءت للدفاع عنها على الرغم من أنها خسرت أجزاء كبيرة من هذه الاراضي التي كانت بيد أصحابها عرب فلسطين عند قدوم هذه الجيوش وأهمها النقب واللد والرمله والجليل بصرف النظر عن الأسباب والمسؤوليات .

ثامناً : المرونه

تتطلب الحرب الحديثة درجة عالية من المرونه لكي يمكن تعديل الخطط الموضوعة مسبقاً لتلائم الأوضاع المتغيرة والظروف الطارئة في المعركه. وهذا أمر يحتاج الى التدريب الجيد والتنظيم والضبط وواجبات الاركان. وفوق كل شيء فإنه يتطلب مرونه العقل وسرعة القرار من قبل القائد ومرؤسيه بحيث يضمن عدم ضياع الوقت. كما يتطلب مستوى عال من قدرة النقل الاستراتيجي والتكتيكي لكي يصبح بالإمكان تركيز القوات بشكل سريع واقتصادي في المكان والزمان الحاسمين .

التعليق :

من متابعة مجريات الحوادث خلال الحرب كان واضحاً أن مستويات الجيوش العربية بالنسبة للمرونة كانت جيدة رغم أنها تتفاوت من جيش الى آخر .

ولكنه لم يكن بالإمكان اختبار هذه القدرات على المستوى الاستراتيجي أو حتى على المستوى التكتيكي لأن طبيعة المعركة الدفاعية لم تكن تتطلب سرعة تجميع قوات ضخمة وحشدها للقيام بعملية كبرى تشمل هذه الجيوش مجتمعة أو لإعادة تركيز هذه القوات وتعديل خططها لمواجهة معركة أخرى بوضعية متغيرة وبوقت محدد وبالتالي فإن مسألة فحص قدرة كل جيش على تطبيق مبدأ المرونه بقيت محصورة ضمن نطاق العمليات الموضعيه الخاصة بجبهته الدفاعية. والأهم من هذا أننا لم تتح لنا الفرصة لخوض معارك متنوعة في حرب طويلة لكي نستطيع على ضوء الخبرات المكتسبه في مثل تلك الحرب أن نقدر مدى قدراتنا على السيطرة والمرونه ومواجهة متغيرات المعارك وظروفها الطارئة والمتسارعة في مختلف مراحل القتال .

تاسعاً : التعاون

التعاون يبنى على أساس روح الفريق ويتطلب التنسيق التام بين كافة الوحدات لكي

تحقق أعلى مستوى من الجهد المشترك الذي يقدمه المجموع وفوق كل شيء فإن حسن النية والرغبة في التعاون تعتبرا أموراً أساسيه على جميع المستويات. ومع ازدياد الاعتماد على التعاون المتبادل بين الاسلحة والخدمات والتشكيلات ضمن الجيش الواحد وبين الجيوش المشتركة وكذا الاعتماد على المجهود الحربي للشعب فقد أصبحت مسألة التعاون بينها جميعاً في غاية الأهمية وتعتبر أمراً حاسمًا في الحرب الحديثة

التعليق :

لقد كان التعاون خلال هذه الحرب بين الجيوش العربية بمفهومه الواسع وفي أكثر الحالات شبه منعدم. إلا أنه كان هنالك تعاون محدود بين جيشين متجاورين. ولكنه لم يكن تعاوناً فعالاً في المعركة بحيث يمكن بنتيجته توحيد الجهد والمشاركة بوضع الخطط الحربية وتنفيذها. ولكنه كان على مستوى ضيق من التنسيق وتبادل المعلومات الضرورية فقط. وفي حالات قليلة بتقديم الاسناد الجوي والمدفعي المحدود. وهذا النوع من التعاون كان موجوداً بين الجيش الاردني والجيش العراقي. وكذلك بين الجيش السوري والجيش اللبناني وجيش الانقاذ. ولكنه لم يكن هنالك تعاون بين هذه الجيوش مجتمعة كقوة عربيه متكامله. ولا حتى على مستوى كونها جيوش حليفة تخوض معركة مشتركه ضد عدو واحد. علمًا بأن الأسباب التي أدت الى هذه الحاله المؤسفة لم تكن عائده الى القيادات العسكرية لهذه الجيوش بل كانت مسؤولية حكوماتها .

فالقادة السياسيين هم الذين قرروا زج جيوشهم في المعركة بشكل منفرد بحيث يخوض كل جيش معركته بمعزل عن الجيوش الأخرى. رغم أنها كانت لها قيادة عامة مقرها في مدينة الزرقاء ولكنها لم يكن باستطاعتها تنفيذ أي شيء عملياً لأن الجيوش العربية التي كانت بإمرتها شكلياً لم تكن تنفذ تعليماتها. بل كان كل جيش يتلقى أوامره من قيادته في بلده. والخلافات العميقة التي كانت متأصلة بين هذه القيادات السياسية هي التي فرضت على قيادات جيوشها ان تتصرف مع بعضها بهذا الشكل وان لا تجرؤ حتى على مساندة بعضها في المعركة المشتركة بشكل فعال. والزعامات السياسية وخلافاتها هي التي منعت تشكيل قيادة عسكرية واحدة ميدانية فعاله لهذه الجيوش في وقت مبكر بحيث يكون بإمكانها ان تسيطر على حركاتها وتقودها بفعالية في المعركة وتتصرف بتحركات قطعاتها وعملياتها ضمن خطط

عسكرية موحدة وشامله حسب مقتضيات الظروف ومتغيرات الحرب. رغم أن الدول العربية اتفقت على إسناد مهمة القائد العام للجيوش العربية إلى جلالة الملك عبد الله بوقت متأخر جداً قبيل المعركة كما اسلفت ولكن هذه الدول لم تضع تحت تصرفه جهاز قيادة عامة متكامل بالمعنى الصحيح يستطيع السيطرة على حركات هذه الجيوش وإدارة معاركها. كما أن قيادات الجيوش لم تخضع لأوامره حسب الأصول. وبالتالي فإنه لم يكن بإمكانه عمل أي شيء فعال وحاسم في المعركة. وكانت النتيجة ان العرب خسروا معركتهم الرئيسية بينما كان بإمكانهم إحراز النصر لو أنهم هيأوا له الأسباب .

عاشراً : الإدارة :

الترتيبات الإدارية يجب تنظيمها بشكل يعطي للقائد المسؤول اعلى مستوى من حرية العمل بتنفيذ الخطة. وكل تنظيم إداري يجب أن يكون بسيطاً. وكل قائد عمليات يجب أن يعطى له قدر من السيطرة على الخطة الإدارية ضمن منطقة قيادته بحيث يتناسب مع المسؤوليات الملقاة على عاتقه تجاه خطة العمليات الحربية .

التعليق :

بما أن الجيوش العربية دخلت المعركة مستقلة عن بعضها البعض وكانت خاضعة لإمرة قياداتها القطرية فإن هذا المبدأ لا ينطبق عليها كمجموعة بل ان كل جيش كان يطبقه بحسب النظام الإداري المتبع لديه وامكانيات التزويد المتوفرة في بلده. وعلى الرغم من أن أساليب الإدارة في الجيوش العربية تتشابه في بعض الأمور وتختلف في أمور أخرى إلا أنها كانت جميعها تطبق المبادىء الإدارية المتعارف عليها بشكل سليم ضمن نطاق جبهاتها ولكنها على أي حال كانت تتشابه في أشياء أساسية مثل نقص الذخيرة وعدم كفاية الأسلحة حيث كانت هذه الشكوى عامة لدى جميع الجيوش العربية. بل كانت هذه المسألة هي الذريعة الرئيسية التي اتخذتها الحكومات العربية للموافقة على الهدنه الأولى، كما أنها كانت جميعها متشابهة بعجزها عن تأمين حاجاتها من الأسلحة والذخائر بمختلف الوسائل من العالم الخارجي كما كان يفعل اليهود. بل كانت جميع الدول العربية هذه تنتظر ما تقرره دول الاستعمار التي كانت هي المصدر الوحيد لتزويد جميع الجيوش العربية بالاسلحة وبالتحديد بريطانيا وفرنسا. ومهما كانت الأحوال فإن الأسباب الحقيقية لفشل الدول العربية في الحصول على حاجاتها من الاسلحة والذخائر هي أولاً وقبل كل شيء ارتباطها مع

هذه الدول الاستعمارية بدرجات متفاوتة ولكن هذه الارتباطات كانت جميعها تقيد وتحدد مصدر تزويد الاسلحة بهذه الدول. وثانياً فقد كان تفرق الدول العربية وتناحرها سبباً جوهرياً في عدم توحيد جهودها وقدراتها المالية للتحرر من قيود الاستعمار والسعي لشراء الاسلحة من مختلف اقطار العالم كما فعل اليهود. وثالثاً ضعف التواجد العربي أو إنعدامه في دول العالم جعلهم عاجزين تماماً أمام التواجد الهائل لليهود بتنظيماتهم الصهيونية وتغلغلهم في جميع القطاعات الاقتصادية والعلمية والسياسية والاعلامية حيث كان هذا التواجد حاسمًا في خلق دولة اسرائيل على أرض الواقع وبتزويدها بكل أسباب المنعه والبقاء ومستلزماته من أسلحة ومال وعلم ورجال .

ومن محصلة كل هذه الأمور فإنه لم يكن ممكناً تطبيق هذا المبدأ على الجيوش العربية مجتمعة لسبب بسيط هو أن الدول العربية بسبب خلافاتها لم تتمكن من تكوين قيادة ميدانية واحدة فعاله تأتمر هذه الجيوش بإمرتها وتنفذ خططها وأوامرها وتعليماتها ولكنها أصرت على أن تجعل من حربها هذه مظاهرة حربية سياسية فريدة من نوعها في تاريخ الحروب .

الخلاصة :

لقد قصدت بهذا الشرح لبعض المبادىء والأسس الرئيسية لإدارة الحرب أن أبين الأسباب الفنية التي أدت إلى الخسارة الفادحة التي منيت بها الجيوش العربية بنتيجة هذه الحرب. كما أني أردت أن أسجل هنا أن هذا الفشل لم يكن سببه عائداً الى تقصير هذه الجيوش بواجباتها الأساسية بل الى الظروف التي وضعت بها بسبب القرارات السياسية التي فرضت عليها مواقف عسكرية غير سليمه جعلت من المستحيل عليها ان تتصرف في المعركة كجيش مقاتل واحد وبحسب القواعد والأسس والمبادىء الحربية المتعارف عليها. بل تم حشدها وإرسالها الى مواقع دفاعية ثابتة ضمن مناطق محدده خصصت لها مما جعلها تتخلى سلفاً عن زمام المبادرة للعدو .

كما انها بسبب دخولها المعركة كجيوش منفصلة تأتمر بأوامر قياداتها المختلفة ولا تجمعها قيادة مشتركة واحده كانت تقاتل بموجب خطط متفرقة ومختلفة عن بعضها بصرف النظر عن مدى علاقة هذه المعارك ببعضها ومدى تأثيرها على الموقف العام لهذه الجيوش في فلسطين. وهكذا نرى انها قد كرست خسارتها للحرب سلفاً قبل أن تبدأ لأنها لم يكن بإمكانها ان تتصرف بقدراتها المتاحة ضمن خطة واحدة متوازنة تهدف الى تدمير قوات

العدو المسلحة بل إنها وضعت بنتيجة السياسات المتناقضة بمواقف فرضت عليها تبديد جهودها وهدر طاقاتها .

وبسبب انعدام التنسيق فيما بينها لم تتمكن من مساندة بعضها في معاركها المنفصله وهي بهذا الموقف تركت الساحة للقوات الاسرائيلية التي كانت تملك زمام المبادرة وحرية الحركة كاملة. بحيث كان بمقدورها ان تختار الزمان والمكان الذين تضرب بهما الجبهات العربية كل واحدة بمفردها . والقوات العربية موزعة بحسب اقطارها في المناطق المخصصة لها وتقف ثابتة في الدفاع عن تلك الجبهات وتتلقى الضربات الموجهة لها عندما يأتى دورها بينما تبقى القوات الاخرى تنتظر وكأن الأمر لا يعنيها .

وبالإضافة الى كل هذه التناقضات فقد تعرضت الجيوش العربية الى نقص خطير في ذخائرها وعدم كفاية ما لديها من أسلحة طيلة مدة الحرب وخصوصاً الاسلحة الثقيلة مثل الدبابات والطائرات والمدفعية. وقد عجزت جميع الحكومات عن تأمين حاجة جيوشها من هذه الاسلحة والذخائر حتى كاد ما لديها من مخزونها أن ينضب نهائياً في أواخر أيام الحرب. الأمر الذي اعطى الجيش الاسرائيلي تفوقاً خطيراً على جميع الجيوش العربية في هذه المرحلة الحاسمة. ومكنه من دحر الجيش المصري والاستيلاء على منطقة النقب بكاملها وتصفية جيش الانقاذ والاستيلاء على الجليل وكذلك تثبيت الجيش الاردنى في اللطرون والقدس والاستيلاء على مدينتي اللد والرمله وما حولهما من القرى العربية .

وأخيراً فإن هذا موجز عن الأسباب الفنية التي أدت الى خسارتنا لهذه الحرب. ولكن أين تقع المسؤولية عن هذه الكارثة ؟ هذا هو االسؤال الذي سأحاول بهذه العجالة القاء بعض الضوء عليه .

حالما انتهت الحرب واعلنت الهدنة الثانية بدأ سيل الاتهامات بين الدول العربية والتراشق بمختلف النعوت بين جميع الأطراف التي كانت لها علاقة بالحرب. فقد حاولت كل قيادة سياسية التنصل من مسؤلياتها بالقاء اللوم على غيرها من القيادات وأخذت الجماهير الشعبية في خضم نقمتها وغضبها تلقي اللوم على العسكريين وتتهمهم بالتقصير في القتال وبنفس الوقت تتهم الحكومات والزعامات العربية بالتواطؤ بينما كانت مجتمعات اللاجئين الفلسطينيين ناقمة على الجميع وتعزي أسباب نكبتها الى تخاذل الحكومات العربية والى تقصير جيوشها في الحرب. كما اخذ ضباط هذه الجيوش بدورهم يتهمون القيادات السياسية في بلدانهم بالتقصير في تأمين متطلباتهم من الاسلحة والذخائر وبتقييد حركاتهم العسكرية ضمن ميادين معينة حددتها سياسة حكوماتها وهكذا اصبح كل بلد عربي يعيش

في دوامـة رهيـبـة من البلبلة وعدم الثقة وأخذت روح التمرد تنمو في كافة المجتمعات. ومنها بدأت التنظيمات السرية المعـارضـه تتـشكل بين السـيـاسيين الحزبيين والضباط الناقمين في مـعظم البلاد العربية وخصوصاً تلك التي شاركت جيوشها في الحرب. الأمر الذي قدر له أن يكون نواة تغـييرات جـذرية في أنظمـة الحكم في تلك البلدان بمـراحل مختلفـة خلال عقد من الزمان .

وفي هذا الجـو المفـعم بالبلبله والنقـمـة والغـضب تاهت الحـقـيـقة. وفي موجة العواطف والشـعـور بالأسى والإحـباط تغاضي معظم الناس وخصوصاً المفكرين والمثقفين عن محاولة البـحث عن الأسباب الحقيقية التي آلت بالأمة العربية الى هذا المصير وهذه الكارثة التي قد لا تنهض من آثارها لأجـيال طويلة قادمة. كما لم يحاول المسؤولون في مختلف البلدان العربية البـحث عن هذه الأسباب لو افترضنا انهم لا يعرفونها سلفاً. بل واحجموا عن إجراء التحقيق الرسـمي بهذا الموضـوع لمعـرفـة أسـبابه وتحديد ابعاده وابرازها ونشرها لإطلاع الشعوب عليـهـا كما اعـتـادت الدول التي خـاضت الحروب ان تفعل عندما تخسر الحرب. وربما لأن التـحـقـيق قد لا يكون في صـالحهم ولذلك لم يكن متوقعاً ان يحققوا في أسباب الكارثة. ومع انعـدام الديمـقـراطية الصحيحة فإنه لا توجد هيئات تمثيلية حقيقية تجرؤ على إجبارهم على التـحـقـيق في أسـبـاب خسارتهم الحرب ونشرها للرأي العام ليكون على بينة منها وليصبح بالإمكان على الأقل تلافيها في المستقبل .

هذا مـا عدا المحاولة المحدودة التي أشرت لها سابقا عندما قام وفد برلمانى عراقي بزيارة الجـبـهـة العـراقـيـة والأردنيـة وكتب تقريرا يشيد بصمود وبطولة منتسبي هذين الجيشـين وتضـحـيـاتهم في الدفـاع عن ثرى فلسطين. ولكن هذا الوفد لم يتطرق إلى أسباب خسارتنا الحـرب. أولا لأنهم لم يكونوا مكلفين بالتـحـقـيق بهذه الأسباب. وثانيا لأنهم حتى لو كانوا مكلفين بهذه المهـمـة فإنه من المسـتـحـيل عليهم أن يتمكنوا من معرفة هذه الأسباب بمجرد قـيـامـهم بزيارة واحـدة للجـبـهـة وبدون إجـراء تحـقـيق رسمي يشمل القادة العسكريين والسـيـاسـيين الذين كـانوا عل سـدة الحكم آنذاك لتـحديد مسؤولياتهم الفعلية عن الحرب ونتائجها.

وهكذا فـقـد أسـدل السـتار مؤقتا على هذه الحرب التي كانت عبارة عن مرحلة أولى من صراعنا مع الصـهـيونية والتي تعتبر بنفس الوقت أخطر مرحلة من مراحل هذا الصراع لأنها أرست قـواعـد تأسـيس دولة اسرائيل في قلب الوطن العربي في فلسطين. ولا أظنني استطيع هنا الخوض في تفصيلات الأسباب التي أدت إلى خسارة الأمة العربية وجيوشها لهذه الحرب للأسباب التالية :

أولاً : لأن هذا الموضـوع يحتـاج إلى بحث مسـتقل يتضمن جميع تحليلاتها وبيان أسبابها وملابساتها بالتفصيل على جميع الصعد السياسية والاجتماعية والعسكرية.

ثانياً : لأنى لا أعـتـقـد إنى بمـفردي أو أي شخص آخر بمفرده مؤهل لإيفاء هذا الموضوع حـقـه من البـحث والاستقصاء والتحليل. بل يحتاج (كما اعتادت الدول التي خاضت الحـروب أن تعـمل بعـد انتهائها). إلى تشكيل لجنة مؤهلة من القانونيين والسياسيين والمؤرخين والعـسكريين ومن علماء الاجـتماع. لتـقوم بدراسة جميع القضايا التي لها صلة بهذه الحـرب وبكيـفـيـة إدارتها والنتائج التي تمخضت عنها، واستنباط أسباب الفـشل وتوثيق جميع هذه المعلومـات واصـدارها بكتب توضـع في متناول يد القارىء العـربي لكي نأخـذ منهـا العبر ونتعلم من أخطائنا. والآن وعلى الرغم من مرور أكثر من خمسـة وأربعين سنة على هذه الحرب فاني اعتقد انه مازال بالإمكان دراستها من قـبل مـثل هذه اللجنة التي اشرت اليـهـا بالاسـتـعـانة بالمتـيسر من الوثائق والملفات القـديمة. وبمن بقوا على قيد الحياة من السياسيين والعسكريين الذين اشتركوا في هذه الحـرب. بل ودراسة جميع الحروب التي تبعتهاوكتابة وقائعها وتقييم نتائجها لفائدة الأجـيـال القـادمـة وبالإضـافة إلى هذه العجالة فإنى أحب في هذا المجال أن أؤكد على بعض الأسـبـاب التي أعـتقد أنها أسهمت إلى حد بعيد في خسارتنا لهذه الحرب والتي قـد تنطبق على الحروب التي تبعتها عبر العقود الاربعة الماضية والتي يمكن ان تنطبق على الحـروب القـادمـة. والتي لا شك انها ممكنة الوقـوع طالما بقـيت إسرائيل قـوية ومتماسكة. وطالما بقي العرب متفرقون متناحرون. واوجز هذه الأسباب بما يلي :

١ ـ التـفـرقة التي كانت سائدة بين الدول العربية والخلافات التي كانت متأصلة بين قـيـاداتها والتي بسـبـبـهـا لم تستطع توحيد جهودها وتوحيد مصادرها المادية والـبـشرية وحـشـدها بمـواجـهـة العـدو. كما أن قـادتها لم يتـمكنوا من وضـع استراتيـجـيـة واحدة للحرب او تكوين قيادة عسكرية عليا واحدة تقود جيوشـهم الموحـدة بحيث تستطيع هذه الجيوش ضمن اطارها ان تخوض المعارك وتديرها في الميدان بحسب الاسس والمبادىء الحربيه الصحيحة .

٢ ـ عـدم كفاية الاسلحة والذخائر التي كانت متيسرة لهذه الجيوش لتخوض المعركة لمدة مـعقولة تمكنها على الاقل من احراز موقف يلغي تفوق العدو ان لم يؤدي الى التغلب عليه .

٣ ـ عـدم اشراك الشـعـوب العربية بهذه الحرب. فعلى الرغم من ان الحروب الحديثة

اصبحت صراعاً بين الشعوب بحيث يشترك في القتال فيها الجندي في الميدان والصناعي والعامل والتاجر وجميع طبقات الشعب كل ضمن اختصاصه وتجند جميعها في خدمة المجهودالحربي ضمن الخطة العامة عند اعلان النفير العام وتستخدم جميع موارد الشعب المادية والبشرية وكل ما هو متوفر لديه من آليات وأغذية وأموال لصالح المعركة. لان هذا هو الجهاد الصحيح. وهذا ما هو مطلوب من جميع المواطنين. وهكذا تكون التضحيات للدفاع عن الوطن الذي يجب ان يفتدى بالأموال والأرواح ولكن الدول العربية خاضت هذه الحرب بجيوشها بمعزل عن شعوبها التي كان دورها محصوراً بمتابعة سماع اخبار المعارك من الاذاعات التي كانت تذيعها بالصورة التي تريدها ا لحكومة المعنية.

وبالمقابل فان اليهود حاربونا بكل ما لديهم من امكانيات مادية وبشريةواشترك في القتال مع قواتهم المسلحة كل قادر على حمل السلاح من رجالهم ونسائهم وجندوا جميع طاقات شعبهم وقدموا لجيشهم كل ما يملكون من وسائل نقل ومنتجات صناعية وزراعية وغذائية وغيرها ضمن اطار النفير العام. حتى اليهود المنتشرون في جميع انحاء العالم حاربونا بأموالهم وما قدموه معها لإسرائيل مس خبراء وضباط وطيارين وأسلحة وذخائر مكنوا جيش اسرائيل بواسطتها اں يتفوق على الجيوش العربية خلال فترة وجيزة. بينما كنا نحن نعجز عن تجنيد كتيبة واحدة لعدم وجود المال الكافي لتجهيزها وادامتها وعدم توفر الأسلحة اللازمة لها. وهذا وضع تلام عليه الحكومات العربية لعجزها عن التخطيط السليم وعدم استغلال طاقات شعوبها على الوجه الأكمل.

٤ ـ الغاء الدور الفلسطيني كلياً من هذه الحرب وكأن الامر لا يعني هذا الشعب صاحب البلد والمعني بالدفاع عنه بالدرجة الاولى. فقد دخلت الشعوب العربية لتحارب نيابة عنه واكتفت بما استطاعت ان تجمعه من المناضلين الفلسطينيين الذين جعلت دورهم هامشياً فقط. بينما قبع مئات الألوف من الشعب الفلسطيني في مخيمات اللاجئين ينتظرون تحقيق حلم تحرير وطنهم على ايدي اشقائهم كما كانت تؤملهم الحكومات العربية بقرب تحقيق النصر والعودة الى ديارهم. تلك العودة التي لم تتحقق حتى الآن وربما لن تتحقق أبداً.

٥ ـ الدور الذي لعبه الاستعمار كان حاسما في تحقيق الهزيمة العربية. ولا سيما الاستعمار البريطانى الذي كان أساس البلاء منذ البداية. وهنا يكفي ان نعرف ان

بريطانيـا اعطت لليهود وعد بلفور واستعمرت فلسطين ثلاثين سنة هيأت خلالها لليهود جميع الأسباب والوسائل اللازمة لبناء جيش قوي، وضمنت بنفس الوقت ان يبقى اهل فلسطين عزلاً من السلاح.

كما ان بريطانيـا اسـتـعـمـرت مصر والعـراق والاردن ثلاثين سنة كذلك ضمنت خـلالها ان تبـقى هذه البلدان ضـعـيـفـة ولا تسـتطيع الاسـتـغناء عن بريطانيا لمسـاعدتها عسكرياً واقتصادياً. وعلى الرغم من انها أعطت مصر والعراق نوعاً من الاسـتـقلال المنقوص فانها بقيت هي المصدر الوحيد لتسليح جيشي هذين البلدين وقـد ضـمنت بهذه الطريقـة ان يبـقى مـا لدى هذه الجيوش من اسلحة وذخائر محدوداً بحيث لن يكون بامكانها ان تبني قدرة عسكرية كبيرة تستطيع ان تشكل خطراً على اسرائيل. ولكي تبـقى السـيطرة كـاملة بيدها لم تكن تزود اي من هذه الجـيـوش العربية بالذخائر اللازمة لاسلحتها إلا بكميات محدودة جداً لا تمكنها من خـوض حـرب طويلة المدى على نطاق واسع. وكـذلك كانت حال شرق الاردن الا ان السـيطرة عليـهـا كـانت اشـد حـيث كـانت بريطانيا تزود الجيش العربي الاردني بمـيـزانيـتـه المالية وكانت هي المصدر الوحيد لتزويده بالسلاح والذخيرة بالاضـافـة الى ان قـيادة هذا الجيش وكافة وحداته حتى مستوى قيادات الكتائب كـانت بيد الضباط البريطانيين. واما سوريا ولبنان فقد كانت تستعمرهما فرنسا، وقـد سلكت معها نفس سلوك بريطانيا ان لم يكن اشد قسوة، وبقيت بعد نيلهما الاسـتـقـلال تتـحكم بمـقـدرات جـيـشـيـهما مدة طويلة عن طريق السيطرة على تزويدهما بالذخيرة والسـلاح وهكذا كانت هذه الدول الاستعمارية تريد ان تسير حـركـات الجـيـوش العـربيـة في حرب فلسطين ضمن اطار سياستها تجاه هذه القضية برمتها. تلك السياسة التي كانت دوماً ضالعة مع الصهيونة. ولذلك رأينا ان بريطانيا عندما ارادت فرض وقف اطلاق النار بعد نشوب القتال بفترة وجيزة اوقـفت صرف الميزانية المالية للجيش العربي وسحبت الضباط الإنجليز من جبهة القـتـال خـلال فترة انذار مـدتها اربعـة وعشرين سـاعـة فقط لكي تضغط على الحكومـة الاردنيـة وتوقع الارتبـاك في الجـيش العربي لانها كانت تعرف انها لم تقم بتدريب العدد الكافي من الضباط العرب ليحلوا محلهم رغم انها كانت تسيطر عـلى هذا الجـيش منذ تأسـيسـه. كما انها بنفس الوقت منعت شـحن الاسلحـة والذخـائر الى الجـيش الاردني وباقي الجـيوش العربية. كما اتخذت فرنسـا نفس الاجـراءات بالنسـبـة لسـوريا ولبنان مـدعية انها بذلك تطبق قرار مجلس الامن الدولي والذي كـانت هي اصـلاً قـد تقـدمت بصـيغته الى ذلك المجلس. بينما بقي

استيراد الاسلحة لاسرائيل مفتوحاً من جميع بلاد العالم غربية وشرقية على حد سواء.

ومن تحليل هذه الاسباب التي اوجزتها باعلاه اخلص الى التساؤلات الآتية :

أولاً : هل اخطأت الدول العربية بدخولها هذه الحرب بجيوشها النظامية اذا كانت ترى ان حالة هذه الجيوش لا تؤهلها لخوض معركة حاسمة مع الجيش الاسرائيلي.

ثانياً . هل كان بمقدور الحكومات العربية ان لا تخف لنجدة اهل فلسطين وهي تعرف ان اليهود اكتسحوا معظم مدنهم وقراهم قبل خروج بريطانيا من فلسطين.

ثالثاً : ما هو البديل

وللاجابة على هذه التساؤلات اقول ما يلي :

١ ـ في الإجابة على التساؤل الأول : نقول أنه على الرغم من ان مخزون الدول العربية من الذخائر كانت غير كافية لحرب طويلة الأمد. وإن أسلحتها الإسنادية كانت قليلة فإن هذه الحالة كانت تنطبق أيضاً على اليهود إلى حد كبير في بداية الحرب حيث أنهم لم يستطيعوا جلب الكميات الضخمة من الأسلحة التي ابتاعوها من مختلف أنحاء العالم إلا بعد حلول الهدنة الأولى .

ولو كانت الجيوش العربية قد وضعت بإمرة قيادة واحدة وحشدت كامل قواتها منذ البداية دفعة واحدة وليس بالتقسيط كما فعلت واقعياً. ولو أنها تصرفت بخوض هذه الحرب ضمن خطة واحدة متوازنة وبحسب الأسس والمبادىء العسكرية الصحيحة المتعارف عليها للحرب لأمكنها تغيير ميزان المعركة لصالحنا بسرعة. أو على الأقل لتمكنت من احتلال هدف استراتيجي رئيسي مهم كمدينة القدس مثلاً خلال الأسبوع الأول من القتال تستطيع عن طريقه الحصول على نتائج سياسية أفضل ما دامت أنها أرادت أن تخوضها حرباً سياسية. ولو اتبعت جادة الصواب وطبقت مبادىء الحرب الصحيحة بقواتها المسلحة الموحدة لتمكنت من توجيه ضربة قاصمة للقوات الإسرائيلية المسلحة وكسبت بعد ذلك جميع جوائز الحرب. ولكن هذا لم يكن ليحصل لأن الخلافات العربية كانت ومازالت حتى يومنا هذا هي التي تسيطر على الساحة العربية في جميع المجالات. لكن المسئولية بتكريس هذه الخلافات وزج الجيوش بالحرب بأسلوب غير صحيح لتحارب معارك غير ناجحة تقع على عاتق السياسيين العرب وليس على عاتق العسكريين. وفي هذا المجال أقول بأنه كان بمقدور الجيوش العربية لو أنها توحدت

كـقـوة مـقـاتلة تحت قيادة واحدة فعالة أن تتغلب على جيش اسرائيل في بداية الحرب لو توفـرت لها خطة حـربيـة حكيـمة متوازنة يقودها قائد كفؤ لديه قيادة عامة متكاملة في الميـدان. وليس من الضروري أن تلغي هذه الجـيـوش صـفـتها القطرية لتتوحد كجيش واحـد. بل يمكن أن تندمج كـقـوة مـقـاتلة واحدة مؤلفة من عدة جيوش على غرار قيادة الحلفـاء التي قـادت جـيـوشـهـا التي كانت تتبع دولاً مستقلة من جنسيات مختلفة في مـعـاركـهـا ضـد جـيوش ألمانيا في الحرب العالمية الثانية. بل أن الجيوش العربية كانت مـؤهلة لتـخـضـع لقـيادة مشتركة واحدة أكثر من جيوش الحلفاء لأنها كلها من جنسية واحدة وتدريبها وتسليحها متقارب لأنه كله من صنع انجليزي أو فرنسي. هذا بالإضافة إلى أن لغـتها واحدة وحالتها الإجتماعية متشابهة. وهي بالتالي أقرب ما تكون إلى تأهيلها لتصبح جيشاً عربياً واحداً يعتز بعروبته ويخوض حرباً جهادية دفاعاً عن وطنه.

وأحب أن أُشير هنا إلى أنه اتيـحت لي الفـرصـة فـيما بعد أن اكتشف أن هذا الرأي كان يؤيده قـائد من أشهر قادة الحرب العالمية الثانية هو المارشال (مونتجمري) عندما كنت أدرس في كليـة القـيـادة والأركان في عام ١٩٤٩م في بريطانيـا. وقـد حضر الماريشال إلى الكليـة وألقى محاضرة عن استراتيـجـيـة الدفـاع عن العالم الحر في وجه المد الشيوعي. وأثناء كـلامـه عن منطقة الشرق الأوسط تطرق إلى الحرب العربية الإسرائيلية التي كانت حـينذاك أحـدث الحـروب المحلية وانتهت لتوها حيث كانت محاضرة مونتجموي هذه في مطلع عام ١٩٤٩م. وقد قال في معرض حديثه الملاحظة التالية : ـ

(لقـد اتلف العـرب قـضـيـتـهم ولو كنت اقـود الجيوش العربية لدخلت تل أبيب خلال أسبوع)

"The Arabs have bogged. Their case, If I was commanding the Arab Armies I would have entered tel Avive withen one week".

ولقد تألمت كثيراً عندما سمعت هذا الكلام حيث اعتبرته تهكمًا على قادة الامة العربية ولم يكن مـقـبـولاً بالنسـبـة لي وخـصـوصـاً وانه صـدر من قـائد بريطاني مشـهـور مثل مـونتـجـمري الذي يعرف جيداً سياسات بلده ضد الامة العربية منذ صدور وعد بلفور وحتى تأسيس دولة اسرائيل. وقد خدم في فلسطين في مطلع عقد الثلاثينات كقائد كتيبه. ولكن في ذلك الظرف وتلك المناسـبـة لم يكن بمـقـدوري ان اناقـشـه بهذا الموضوع او اعترض على مـلاحظتـه لأنى كنت اعرف أن ما قاله صحيحاً وانه لولا خلافات حكوماتنا لتمكنا فعلاً من حشد جيوشنا كقوة قتاليه منسجمة ومتكاملة تقودها قيادة عامة واحدة

فعاله في الميدان ولتمكنت هذه الجيوش من تحقيق النصر خلال المرحلة الاولى من القتال ولكن لكي أكون منصفاً أحب أن اطرح الاستفسار الآتي :

(هل لو تمكن القـادة الســياســون العرب من تجاوز خلافاتهم وأمكن تجميع الجيوش العـربيـة تحت قيادة واحدة ستسمح لنا بريطانيا وامريكا بأن نكسر إسرائيل عسكرياَ في ســاحــة القــتــال ؟ أم أنهما سوف ترسلان قواتهما المسلحة لتحاربنا الى جانب اسرائيل) وفي الإجـابة على هذا التساؤل أقول : إننا لو حققنا نصراً سريعاً في الميدان فأن اقصى ما يمكن أن تفـعله الدول الاســتـعمارية هو أن تطلب منا أن نتـوقف عن القـتـال وتهددنا بفـرض العـقـوبات الاقتصادية أو حتى بالتدخل عسكرياً وعندئذ تبدأ مرحلة المباحثات الســياسية. ومهما كان من أمر تدخلهم فإن النتائج التي نكون قد حققناها سوف تكون أفضل بكثير مما نتج عن خسارتنا الحرب بهذا الشكل المريع

وحــتى لو حــاربتنا بريطانيــا وأمــريكا بعــد أن نكون قــد هزمنا القوات الاسرائيلية فإن حــربهما ســتكون من نوع خــاص تهدف الى الفصل بين القوات المتحاربة وتأمين حماية اسرائيل ضــمن مناطقــهــا المخـصـصـــة لها بمــوجب قــرار التـقسيم. ولو فرضنا أسوأ الاحــتمالات وهو أن جـيــوش هذه الدول العظمى قـد وصلت فـعلاً إلى الجبهة وخاضت الحـرب ضدنا فإن أسوأ ما يمكن أن يحصل هو أن تتغلب هذه الجيوش الجرارة التابعة لدول عظمى علينا. وبهذه الحالة ستصبح جيوشاً محتله ونتحول نحن إلى ثوار نحاربهم حرب عصابات. وهذا مصير أكرم لنا من أن يهزمنا جيش إسرائيل .

٢ ـ وللإجـابة على التـســاؤل الثانى أقول أنه ليس فقط لم يكن بمقدور الدول العربية أن لا تهب لنجـدة أهل فلسطين بل ان واجبها الوطني ومسؤولياتها القومية تجاه شعوبها على الاقل إذا لم يكن تجـاه تاريخ أمــتــهــا ان تهب فــوراً لنجدة أهل فلسطين في وجه الغزو الاسرائيلي ولطالما ســمعت هذا التعليق دوماً من مختلف الناس عندما تطرح مسألة حرب عام ١٩٤٨م إن الدول العــربيــة كانت مجبرة على خوض الحرب ولكن جيوشها لم تكن مــؤهلة للحــرب. وان جـيش اسرائيل كــان أقــوى منهــا مجتـمعة. ولطالما كنا نسمع هذا التــفــسير كذلك من قائد الجيش الفريق كلوب ومن الضباط الانجليز في معرض شرحهم لأســبــاب تغلب اسرائيل على العــرب. وجوابي على كل هذا اللغو والذي أود أن أدونه هنا للتــاريخ هو أن الدول العــربيــة كــانت فــعــلاً مجبره بل وملزمه بدافع من مسؤولياتها القــومــيــه أن تخوض الحــرب لنصرة أهل فلسطين. ولكنـي أرفض القــول بأن الجيوش العــربيــة لم تكن مــؤهلة لخــوض الحرب. وأقول أنها كانت مؤهلة لخوض هذه الحرب

وكسبها لو أحسن استخدامها كما شرحت سابقاً. وان المسؤول عن هذا الفشل هو الخلافات العميقة التي كانت مستشرية بين الدول العربية في ذلك الحين. تلك الخلافات التي كانت السبب في تبديد قدرات جيوشها ووضعها في موقف غير سليم. وبالنتيجة حشدها للمعركة بطريقة خاطئة وسوقها للقتال على دفعات متتالية حسب متطلبات الاحوال الآنية بالشكل الذي سبق شرحه. والدليل على هذا ان حجم قوات الجيوش العربية قد تضاعف اثناء القتال بحسب ما كانت تمليه ظروف جبهاتها المحلية. وبهذه المناسبة أحب أن أشير هنا الى أن مقولة ان الجيوش العربية لم تكن مؤهلة لخوض الحرب وان جيش إسرائيل كان أقوى منها قبل أن تبدأ الحرب كانت دوماً ترد على لسان المعلقين الأجانب ممن كتبوا عن هذه الحرب. وهذا الكلام ليس دقيقاً وعلى الأقل في بداية الحرب. وحتى لو كان صحيحاً فإني أقول أنه كان بمقدورنا ان نحصل على نتائج أفضل بكثير لو استخدمنا جيوشنا بحسب الأسلوب العسكري الصحيح .

٣ ـ ما هو البديل :

لو أمعنا النظر بالظروف التي كانت سائدة في تلك الأيام لوجدنا انه لا يوجد بديل مضمون له فرصة معقولة في النجاح في وجه القوات الاسرائيلية عن زج الجيوش العربية في القتال موحدة كقوة مقاتلة لولا ما فرضته عليها الخلافات العربية من ظروف منعتها من تحقيق ذلك وخسرت الحرب بالنتيجة .

لقد قيل في ذلك الحين ان المفتي الحاج أمين الحسيني كان يعارض دخول الجيوش العربية النظامية للحرب في فلسطين وأنه طالب الدول العربية ان تزوده بالسلاح والدعم المادي وهو يقوم بتجنيد قوات كافية تقاتل اليهود .

فإن كان هذا القول صحيحاً فإنه ينطوي على خطأ فادح لأنه من المستحيل عملياً أن يستطيع تكوين قوة كافية وبحجم يمكنها من التغلب على إسرائيل ضمن المدة التي كانت متاحة قبل موعد انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين والتي لم تكن تتجاوز شهراً واحداً. حيث أن الدول العربية لم تقرر رسمياً إرسال جيوشها للقتال في فلسطين إلا بأواخر شهر نيسان عام ١٩٤٨م. وعلى أي حال فما دامت الجيوش العربية جميعها لم تستطع التغلب على الجيش الاسرائيلي بسبب الخلافات العربية فكيف يمكن لقوة من المناضلين مهما كان حجمها على افتراض امكانية حشدها عملياً أن تتغلب على هذا الجيش أو أن تصمد أمامه وتدافع بنجاح عن ما تبقى من فلسطين مع وجود نفس الخلافات بين الدول العربية التي ستتولى تمويل وتسليح هؤلاء المناضلين. وأوضح دليل حي على

هذه النظرية هو جـيش الانقـاذ الذي اثبت عـدم جـدوى مـثل هذه القـوات المتطوعة في مواجهة الجيوش النظامية بمفردها. ولذلك فإن الحل الوحيد الذي كان ممكناً وعنده أمل مـعـقـول في النجـاح هو دخـول الجيوش العربية للقتال ولكن تحت قيادة واحدة وطبقاً للأسس العسكرية الصحيحة على أن تستخدم هذه الاعداد الهائلة من الشباب الفلسطيني المتطوعين بعـد تسليـحـهم وتدريبهم كقوات فدائية تعمل خلف خطوط العدو. وكذلك في المواقع الدفـاعية الثابتة لتوفير الاعداد الكبيرة من القوات النظامية التي ستتفرغ لعمليات التـعـرض لقـوات العـدو. ولكن هذا الأمر لم يكن سهلاً وممكناً بسبب الخلافات العربية وتلكؤ حكومـاتها وتأخـرها باتخاذ القرار النهائي لدخول الحرب وحصر صلاحية اتخاذ القـرارات العـسكرية الحـاسـمة بيد السياسيين الذين قرروا توزيع القوات على الجبهات التي خـصـصـوها لها وتصـدوا حـتى لتـقرير شكل المعارك وهم لا يعرفون شيئاً عن الحـرب. ومـا دام أن هؤلاء السـيـاسـيين لَم يتمكنوا من التغلب على خلافاتهم في سبيل المصلحـة القـومـيـة العليا ولم يتيحوا الفرصة لتوحيد الجيوش العربية بشكل سليم أو حـتى جمعـهـا بمنظومـة مشتركة بإمرة قيادة واحدة ولم يتمكنوا من الاتفاق على وضع اسـتراتيـجـيـة عليـا واحـدة للحرب. بل كان لكل دولة أهدافها ومصالحها الخاصة التي تختلف عن أهداف ومصالح الدول الأخرى فإن النتيجة الوحيدة الممكنة هي المأساة التي وقـعت فـعـلاً. وأمـا ما تبع تلك المأساة من انقلابات عسكرية وثورات ومشاكل داخلية ومـآسي عمت جميع الاقطار العربية فما هي الا نتيجة حتمية لخسارة هذه الحرب ونكبة فلسطين هي الدافع الرئيسي لها. ولقـد ثبت لنا منذ ذلك التـاريخ وحتى يومنا هذا انه لا أمل لنا في الوقـوف بوجـه العـدو إلا بتـحـقيق الوحدة العربية مهما طال الزمن. وسواء أمكن تحـقـيق هذه الوحـده على مـرحلتين أو عشرة مـراحل فإنها يجب أن تبـقى هدفنا الأسـاسي وأملنا المنشود على مر السنين وتعاقب الاجيال لأنه لا بقاء لأمتنا بدون تحقيق وحـدتها الحـقـيقية الشامله التي لا مجال فيها لتكريس القوميات القطريه بل أمة عربية واحـدة الاسـلام دينهـا والقرآن دستورها. لغتها واحدة ووطنها واحد هو جميع الاقطار العـربية التي جزأها الاستعمار من المحيط الى الخليج. وهدفنا يجب أن يكون اعادة جمع شـملها حول لواء واحد هو لواء امة العرب. وعلينا ان نضحي بكل غالٍ ونفيس في سبيل تحـقيق هذا الهدف إذا كنا نريد بقاء اجيالنا القادمة وصون كرامتنا وحماية قوميتنا من الزوال. وفي سـبـيل ذلك علينا قـبل كل شيء أن نضـحي بمصالحنا الشخصية في سبيل المصلحـة القـومـيـة العليـا. وعندئذ فقط ستصبح الوحدة العربية الحقيقية ممكنه لانها سـتأتى بنتـيـجـة كفاح الشعب العربي الذي نبذ القطرية وعاد الى قوميته الاصيلة التي

يعتز بالدفاع عنها والسير في ركابها. وعندئذ فقط نستطيع حشد طاقاتنا القومية وبناء قدراتنا العسكرية لكي نصمد في وجه اعدائنا ونحمي وطننا وقومنا من اخطارهم الماحقة.

كما يجب علينا أن نتذكر دوماً أن أمتنا الماجدة ما عزّت إلا بعزة الإسلام وما انتصرت الا تحت راياته. وأنها ما ذلت وخضعت واستكانت للغزاة الغاصبين إلا بعد أن ابتعدت عن الإسلام فتفرقت وضعفت وتشتت شملها وذهب ريحها. وعلينا ان نعلم كذلك أن أمتنا العربية المسلمة يجب أن تكون رائدة بين الأمم الإسلامية الشقيقة وخير عون لها في مسيرة التاريخ. ولكي تصبح الامة العربية مؤهلة للقيام بهذا الدور يجب عليها أن تستغل مواردها وطاقاتها من كافة المصادر لبناء قدراتها الذاتية لترقى إلى مصاف الأمم المتطورة وتصبح نداً لها كأمة واحدة قادرة وفاعله في الميدان العالمي. بدلاً من الإصرار على تكريس القطرية والتمزق والتشتت فتبقى ضعيفة مهزومة ومفتوحة للطامعين والغاصبين .

فهل سنفيق من سباتنا العميق هذا ونخرج من دهاليز الظلام إلى رحاب نور العلم والمعرفة قبل فوات الأوان لنتمكن من مقارعة اعدائنا بقوة وإقتدار .

والله أسأل أن يوفق أمتنا لخيرها ويهديها سواء السبيل .

وأخيراً فإنى اختم هذا الفصل عند انتهاء شرح موجز عن الحرب العربية الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م. وقد ضمنته بعض التحليلات العسكرية والآراء عن اسباب خسارتنا لهذه الحرب لأنى اعتقد ان ما بينته فيها ينطبق على جميع الحروب التي وقعت بعدها حتى الآن. وقد ينطبق على الحروب القادمة التي أظنها لا محالة آتية طال الزمان أم قصر. ولعلنا نعتبر من دروس الماضي لنستعد وتستعد أجيالنا القادمة للصراعات المقبلة. وإنى آمل أن أكون قد اسهمت بهذه العجالة المتواضعة في التنبيه الى هذا الخطر المميت فتتنادى شعوب هذه الامة وأجيالها القادمة لتحقيق وحدتها والدفاع عن وطنها وحماية جنسها من الزوال. فهل تثبت شعوب هذه الامة أنها بمستوى هذا التحدي .

اللهم هل بلغت ... اللهم فاشهد

الفصل الرابع
مرحلة ما بعد الحرب

١ ـ لا بد هنا لكي نحافظ على التواصل والتناسق بين التطورات التي حدثت في الجيش العربي والجبهة الاردنية على الصعيد العسكري من ذكر مجمل هذه التطورات خلال السنين التي أعقبت انتهاء حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨م وحتى ابتداء حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م .

وعلى الرغم من أنى سأتناول تفصيلات تلك الأحداث بمختلف أنواعها وبحسب تسلسل وقوعها في كتاب مذكراتى الذي آمل إصداره مستقبلاً لكني أحببت أن أذكر هنا موجزاً عن الإجراءات والاستعدادات والحوادث التي جرت على الساحة الأردنية خلال السنين الفاصلة ما بين هاتين الحربين والتي لها صلة مباشرة بالحرب المحتملة المقبله. لا سيما ونحن في تلك الفترة كنا في حالة هدنة مع اسرائيل وهذا معناه أن الصدام العسكري كان دوماً محتمل الوقوع في أي ظرف ولأي سبب سواء كان ذلك ناتجاً عن حدث طارىء أو بتدبير من العدو تطبيقاً لخططه الموضوعه سلفاً لهذا الغرض .

٢ ـ ولسهولة الايضاح فإنى سأقسم البحث بهذا الفصل الى المواضيع الرئيسية التالية :

أ ـ اعادة تنظيم الجيش العربي الاردنى وما طرأ عليه من توسعات في بناء التشكيلات والتسليح .

ب ـ تأسيس الحرس الوطني وتطور تشكيلاته .

ج ـ الخطة الدفاعية العامة عن المملكة الأردنية الهاشمية .

د ـ حوادث الحدود وتطور أساليب اليهود في مختلف مراحل الاعتداءات على القرى الأمامية .

هـ ـ انضمام الاردن الى القيادة العربية المشتركة بعد تعريب الجيش والاستغناء عن خدمات الفريق كلوب والضباط الانجليز .

ـ اعادة تنظيم الجيش العربي الاردني :

عندما وقعت الهدنة بين الاردن واسرائيل في جزيرة رودس بتاريخ ٣ نيسان عام

١٩٤٩م كانت قوات الجيش العربي تتألف من تسعة كتائب مشاه قوام كل كتيبة منها ثلاثة سرايا مشاه وسرية قياده وسرية اسناد تحتوي على (٤ مدافع مورتر ٣ انش)

(٤ مدافع ضد الدرع ٦ رطل)

(٤ رشاشات متوسطة فكرز)

ولم يكن لدى الجيش العربي أية دبابات من أي نوع. وكانت الأسلحة الاسنادية مقتصرة على بطاريتين من مدافع الميدان عيار ٢٥ رطل وبطاريتين من مدافع ١٧ رطل وبطارية مورتر ثقيل (٤,٢ بوصه) كما كان الجيش يفتقر الى الأسلحة الاسنادية الأخرى بالشكل المتكامل المتعارف عليه مثل سلاح الهندسة وسلاح المدفعية وسلاح اللاسلكي وأهم من كل هذا عدم توفر سلاح الجو ولا حتى أي نوع من الطائرات الحربية وقد كان مجموع ملاك الجيش العربي حوالي (١١,٥٠٠) إحدى عشر الفاً وخمسمائة فرد من جميع الرتب .

وأما عملية اعادة تنظيم الجيش العربي هذه فقد كانت تشمل ما يلي :

أ ـ اعادة تنظيم الفرقة بمستوى يماثل فرقة مشاه كاملة حسب التنظيم المتبع في الجيش البريطاني .

ب ـ اعادة تنظيم الوية المشاه بحيث تصبح ثلاثة ألوية كاملة .

ج ـ إحداث وتشكيل قيادة سلاح مدفعية. واعادة تنظيم وحدات هذا السلاح بحيث تصبح ثلاثة كتائب مدفعية ميدان كاملة .

هـ ـ اعادة تنظيم سرايا المدرعات الموجودة حالياً بحيث تشكل منها كتيبة مدرعات وتشكل بنفس الوقت كتيبة مدرعات أخرى من الأسلحة الجديدة .

و ـ تشكيل كتيبة دبابات لتكون نواة لتشكيل اللواء المدرع .

ز ـ تشكيل كتيبة هندسة ميدان كاملة جديدة .

ح ـ يعاد تنظيم قيادة الفرقة بفروعها المختلفة وملاكها من ضباط الركن .

ط ـ كما تقرر تشكيل سلاح الجو الملكي الذي كان عبارة عن نواة صغيرة من بضعة طائرات خفيفة من نوع (أوستر) غير مسلحة كانت تستخدم في اعمال ملاحظة المدفعية .

وعندما عدت الى قيادة الفرقة بعد تخرجي من كلية الأركان في بريطانيا بتاريخ ١٠

كانون ثانى عام ١٩٥٠م كـانت التـعليمات التنفـيذيه لإعادة التنظيم هذه قد وصلت من قـيـادة الجـيش قـبل يومين. وكـان علينا أن نبـدأ بتنفيذها حالاً، ولقد كان حجم العمل المطلوب منا في هذا المجال ضخمًا ولا سيما في البداية حيث لم يكن يتوفر في قيادة الفرقة من ضباط الأركان المدربين سوى ثلاثة هم :

الركن الأول للعمليات - القائد جون داونز

الركن الثانى للعمليات - وكيل القائد صادق الشرع

الركن الأول للإدارة - وكيل القائد جونز

وقد ظهرت لنا ضخامة حجم المشكلة عندما وضعنا التفصيلات التنظيمية لكافة الوحدات واتضح اننا سنحـتـاج الى حـوالي الف ضـابط جـديد من مختلف الرتب لملء الشـواغـر المطلوبة . ومن الطبـيـعي ان الغالبية العظمى من هذا العدد ستكون من الضباط العرب والصـعـوبة هنا تكمن في إمكانيـة تدبير هذه الاعـداد من الضـبـاط خـلال فترة زمنيـه محدوده. لا سـيما وانه لم تكن لدى الجيش العربي في ذلك الوقت كلية مرشحين يمكنها تخريج اعـداد كبيرة في دورة واحده. وحتى لو وجدت فإن المطلوب من الضباط يتضمن كـافـة الرتب من ملازم ثانى حتى وكيل قائد بأعداد كبيرة. ولا يمكن ملء هذه الشواغر بالمرشـحين فقط. ولمواجهة هذه المشكلة عمدنا إلى توفير أكبر عدد ممكن من الضباط عن طريق الترفـيع من بين صـفـوف ضـبـاط الصف المؤهلين والإسراع بتـدريب أعداد أكبر بدورات المرشـحين. وبنفس الوقت اعتمدنا الموازنات المخفضة مؤقتاً لكي نتمكن من ملء الشواغر الممكنة عملياً بالأعداد الضرورية فقط .

كما عمدنا بنفس الوقت الى إجازة تسليم المراكز المختلفة الى ضباط تقل رتبهم عن الرتبة المطلوبة بميزانية التنظيم للإستفادة من جميع الضباط من كافة الرتب المتيسره .

لقـد أجملت هذه المشكلة ببـضـعـة سطور لأنه لا مجال للتفصيل هنا. ولكنها كانت فعلا مـشكلة ضـخـمة تشكل تحدياً هائلاً بالنسبة لنا لا سيما ونحن نريد تنفيذ عملية اعادة التنظيم هذه وتشكيل الوحـدات الجديدة ضمن أقصر فترة زمنية ممكنة. ولقد تطلب هذا الأمـر منا جـهـوداً هائلة حـيث كنا نواصل العمل ليلاً ونهاراً ونسابق الزمن لكي نتمكن من إنجاز جميع الاعمال المطلوبة منا بأقصر وقت ممكن .

وعلى الرغم من كل الصـعـوبات فقد تمكنا من إنجاز جميع التنظيمات الهيكلية للوحدات المنوي اسـتـحداثها وكل ما يتعلق بها من جداول الاركان والموازنات المخفضة التي قررنا

العمل بموجبها. كما وضعنا جميع طلبيات الاسلحة الإسنادية وذخائرها ومستلزماتها وبدأنا تدريجياً بإبراز هذه التشكيلات إلى حيز الوجود حسب توفر الامكانيات .

وعندما وصلتنا أول شحنة من الدبابات وكانت من نوع فالنتاين (Valentine) ومعها عدد من دبابات الارشر (Archer) التي تحمل مدفع عيار ١٧ رطل مضاد للدروع تكفي لتشكيل كتيبة دبابات قمنا فوراً بتشكيل قيادة السلاح المدرع . كما شكلنا قيادة سلاح المدفعية عندما حصلنا على بطاريات إضافية من مدافع الميدان تكفي لتشكيل أول كتيبة مدفعية ثم اتبعناها بتشكيل سلاح الهندسة. وقد أصبحت هذه القيادات جميعها مرتبطة بقيادة الفرقة. ثم سحبنا جميع المدرعات من كتائب المشاه والحقناها بكتائب المدرعات التي تم تشكيلها. وهكذا أصبحت كتائب المشاه مكونة من سرايا المشاه المعتادة ومنتظمه ضمن الألوية الثلاثة. ثم الحقنا مع كل لواء ملاكه من الخدمات مثل اسعاف الميدان ومشغل الميكانيك وسرية نقليات اللواء. أما الأسلحة الاسنادية كالمدفعية والدروع والهندسة فسوف تلحق مع اللواء عند الضرورة وحسب متطلبات الواجبات التي يقوم بها ذلك اللواء وتوضع، أما تحت الأمر أو بالإسناد حسب الحاجة .

أما التطبيق العملي لهذه التنظيمات فقد استغرق وقتاً أطول بكثير مما توقعنا وحسب الامكانيات المتاحه. وأما تدريب التشكيلات المختلفة بعد استحداثها وخصوصاً بالنسبة للأسلحة المسانده فقد استغرق أكثر من سنتين حتى وصلت هذه التشكيلات الى المستوى المطلوب من الكفاءة الحربية في الميدان .

ـ تطورات في قيادة الفرقة :

في أواخر شهر آذار عام ١٩٥٠م انتقلنا بقيادة الفرقة من معسكرها المؤقت شمال مدينة اريحا الى مقرها الدائم في مدينة رام الله وأخذنا نستعد لإجراء تنقلات الوحدات الى مواقع التدريب حسب خطة اعادة التنظيم وإجراء التنقلات اللازمة بين الضباط وضباط الصف والجنود من الوحدات الحالية الى الوحدات المستحدثة والتي سيتم تشكيلها بموجب الخطة العامة الموضوعة لهذه الغاية .

ومما ساعدنا في تخفيف حدة النقص الهائل بعدد الضباط بحسب متطلبات التشكيلات الجديدة قيام قيادة الجيش بتأسيس مدرسة المرشحين وإفتتاح أول دورة فيها في عام ١٩٥٠م فأصبح بإمكاننا أن نحصل على اعداد لا بأس بها من الضباط الصغار للوحدات الجديدة بعد الدوره الأولى الأمر الذي سوف يسهل مهمتنا في قيادة الفرقة

لبناء الوحدات الجديدة. ورغم ان افتتاح مدرسة المرشحين جاء متأخراً مدة خمسة عشر سنة على الأقل لكنه أفضل من لا شيء .

وفي أواخر هذا العام حضر الجنرال (السير برايان روبرتسون) القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط بزيارة الى الأردن وحضر لزيارتنا في قيادة الفرقة ومعه قائد الجيش الفريق كلوب. وقد عقد معنا إجتماعاً مطولاً ناقشنا خلاله التفصيلات الرئيسية لخططنا التنظيمية والتدريبية اللازمة لعملية اعادة التنظيم

ويجب أن نتذكر هنا ان بريطانيا في تلك الأيام كانت تزود الجيش العربي بالموازنة المالية والأسلحة والضباط الذين كانوا يقودون كافة الوحدات الرئيسية والفنية وبالتالي فإن قيادة الشرق الأوسط كانت تشرف بشكل واسع على الكثير من النواحي التزويديه والتدريبية والإدارية وخلافها. وفي هذا الإجتماع برزت مسألة تدبير العدد الكافي من الضباط اللازمين لملء هذه المراكز. فسألني الجنرال روبرتسون عن رأيي حول مصادر تأمين الاعداد اللازمة من الضباط العرب لملء الشواغر المطلوبة وخصوصاً من ضباط الركن فعقبت على خطتنا التي تقضي بترفيع الضباط من بين رتب ضباط الصف من جهة وافتتاح مدرسة المرشحين من جهة أخرى بإنها سوف تعطينا معظم حاجتنا كحل مرحلي مؤقت. ولكن لا بد لنا من فتح كلية القيادة والأركان للجيش العربي لأن اعتمادنا على ارسال ضابطين كل سنة الى كلية الاركان البريطانية لا يمكن أن يلبي جميع حاجاتنا من ضباط الاركان ولا سيما ان هذه الحاجة سوف تستمر بالازدياد المضطرد بحسب التوسعات في ملاك الجيش وخططنا المستقبلية. واما اذا أسسنا كلية الاركان هنا ودرسنا فيها منهاج (كامبرلي) سوف نستطيع تدريب اعداد لا بأس بها من ضباط الركن كل سنة وسوف تغطي حاجتنا في المستقبل. وعند هذا الحد قال الجنرال روبرتسون إلى كلوب باشا (معه حق) ولا مانع من أن تبدأوا بعمل الدراسة اللازمة لها وتكتبوا لنا بالموضوع. (ولكن مع الاسف فقد قدر لهذه الفكرة أن تتعثر ويتأخر تنفيذها لكثرة الدراسات والاتصالات مع القيادة البريطانية) .

وأخيراً فتحت هذه الكلية في عام ١٩٥٤م وقد عقدت بها دورة واحدة فقط تخرج منها ستة ضباط. ثم جاءت عملية الاستغناء عن الفريق كلوب وتعريب الجيش فتقرر اغلاق هذه الكلية ثم اعيد فتحها بعد فترة من الزمن وتوسعت تدريجياً حتى أصبحت كلية الاركان المتكاملة التي نراها اليوم .

وبعدما انفض اجتماعنا هذا اجتمع الجنرال روبرتسون مع الفريق كلوب واللواء لاش

لوحدهم زهاء ساعه. ويظهر انه ناقش معهما مسألة إنهاء خدمة اللواء لاش من الجيش العربي وتبديله بضابط نظامي معار من الجيش البريطاني لأنه عرف ان خبرة لاش السابقة كانت معظمها مع البوليس الفلسطيني ومنه التحق بخدمة الجيش العربي برتبة ملازم أول ثم رقي بسرعة بمختلف الرتب حتى وصل الى رتبة لواء قائد فرقة بمدة لا تزيد عن عشر سنوات .

وبعد سفر الجنرال روبرتسون اخبرني (لاش) أنه سوف يأخذ إجازة طويلة ليذهب الى انجلترا وانه سوف يرسل استقالته من خدمة الجيش العربي من هناك. ثم بعد ذلك تم تعيين الزعيم (سام كوك) بدله. وكان كوك هذا قد وصل حديثا من قيادة الشرق الاوسط وتسلم قيادة اللواء الأول. وجاء تعيينه لقيادة الفرقة بناء على رغبة الجنرال روبرتسون لأنه كان يعرفه شخصياً حيث سبق أن عمل في قيادته كما تقرر بنفس الوقت تبديل الكولونيل (جون داونز) الركن الأول في قيادة الفرقة والذي انتهت مدة إنتدابه للجيش العربي بضابط انجليزي آخر في وقت لاحق. وسوف تشمل هذه التغييرات كثيراً من الضباط الانجليز على مراحل وبحسب تطور تكوين الوحدات الجديدة.

وسوف لا اتطرق لاسماء هؤلاء الضباط إلا بقدر ما هو ضروري بالنسبة لتسلسل الاحداث التي لها علاقة بهم أو لهم علاقة بها .

ولقد كان هدفي من ذكر هذا الموجز هنا ان ابرز صورة حقيقية عن الظروف التي كنا نحن الضباط العرب نعيشها والصعوبات التي كنا نواجهها تحت قيادة الإنجليز سواء كان في السلم أو الحرب .

٥ - وفي قيادة الفرقة بعد أن أكملنا وضع كافة التفصيلات الخاصة بخطة التدريب العامة على ضوء التشكيلات الجديدة تقرر إعادة توزيع الألوية بحيث يترك في الضفة الغربية لواء مشاه واحد توزع كتائبه على المناطق الرئيسية ويعتمد في عملية مراقبة خطوط الهدنة على كتائب الحرس الوطني بحسب خطة الدفاع العامة الموضوعة من قبل قيادة الجيش .

كما تقرر أن تنقل قيادة الفرقة ولوائي المشاه الآخرين إلى الضفة الشرقية لكي تستطيع قيادة الفرقة بناء تشكيلات الاسلحة الإسنادية الجديدة والخدمات بموجب خطة اعادة التنظيم. وتقوم بتدريب الويتها وتشكيلاتها مع الاسلحة الاسنادية تدريباً متكاملاً

يشـمل بالنهـاية تدريب الفـرقـة ووحداتها كفرقة مشاه كاملة : على أن يتم تبديل اللواء المخـصـص للضـفة الغربية بلواء آخر عندما يتم تدريبه مستقبلاً. ثم تتعاقب الألوية على إسـتلام مهمة الدفاع عن الضفة الغربية والتدريب بشكل دوري. وبنتيجة هذه الإجراءات تقـرر إبقـاء اللواء الثـالث الذي كـان يقوده الزعيم تيل أشتن (Teal Ashton) في الضفة الغـربيـة كما تقرر نقلي من قيادة الفرقة الى هذا اللواء كركن عسكري. اعتباراً من تاريخ ١٠ آيار عام ١٩٥١م حـيث بقـيت بهذه الوظيفة حتى تاريخ ١٠ حـزيران عام ١٩٥٢م عندما نقلت قائداً للكتيبة الثامنه .

كـان عملي في قيادة اللواء أكثر متعة من قـيـادة الفـرقـة حـيث اقـتضت طبيعة واجـباتى كضابط ركـن الـلواء ان اقضي الكثير من وقـتي مع الكتـائب والوحدات الاخـرى سـواء كـان ذلك في مـواقـعـها الأمـامـية أو في معسكراتها الخلفية. كما تضـمنت واجـبـاتى الإشراف على تدريب كتائب الحرس الوطني المحلية بالإضافة الى مـتـابعة حوادث الحدود وزيارة كافة القـرى الامـامـيـة في المناسبات المختلفة وللتـفـتـيش على تدريب ونشاطات افراد الحـرس الـوطني التـابعين لهذه القـرى ضمن كتائب الحدود .



المؤلف في موقع المراقبـة في اللطرون في عـام ١٩٥١م

وهكذا وبعـد انتـقـال قـيـادة الفرقة الى الضـفة الشرقية بقي اللواء الثالث وحده مسؤولاً عن الدفـاع عن الضـفـة الغربية. وكنا نعتمد الى حد كبير في مراقبة الحدود على وحـدات الحـرس الوطني من كتائب الحدود في القرى الأمامية والتي كان يقودها ضباط صف من الجـيش وكـانت مـهـمـتـها الدفاع عن قراها عند وقوع الاعتداء عليها وإنذار الوحدات العسكرية عن تحركات القوات الإسرائيلية بأسرع وقت وبدون أي تأخير .

كما كنا نعـتـمـد على الكتـائب المحلية التي كانت تشكل من سكان القرى الخلفية بحيث يمكن جمعـهـا وتركـيـزها بمـواقع دفاعية على محاور تقدم العدو لتخوض معه معركة

موضعية لاعاقة تقدمه فترة من الزمن ريثما تتمكن الوحدات النظامية من القيام بالهجوم المعاكس ضد العدو حسب الخطة العامة الموضوعه لهذه الغاية وقد كنت أكرس الكثير من وقتي لوضع خطط وبرامج التدريب لوحدات الحرس الوطني كما كنت ازور هذه الوحدات في القرى ومعسكرات التدريب والتفتيش على مواقعها الدفاعية. وكان هدفي الاستفادة من أشهر الصيف لتنفيذ أكبر عدد من المشاريع التدريبية خلالها. لاسيما وأن الحالة العامه على الخطوط الأمامية كانت تمر بفترة من الهدوء شبه مستقرة .

تأسيس الحرس الوطني

١ ـ خطوط الهدنة :

بعد الموافقة على الهدنة الثانية تم التوقيع على اتفاقيات الهدنة الدائمة بنتيجة المفاوضات التي جرت في جزيرة رودس بين الوفود العربية والاسرائيلية تحت إشراف نائب الوسيط الدولي الدكتور (رالف بانش) تلك الاتفاقيات التي عرفت منذ ذلك الوقت بإسم (اتفاقيات رودس). ومهما حاولنا ان نجد للمفاوضين في رودس اعذاراً ومهما حاولنا ان نلقي عليهم من لوم فإن هذا أمر لا يقدم ولا يؤخر من حيث النتيجة. لأن هنالك حقائق واضحة لا يمكن تجاهلها واخطاء خطيرة نتجت عنها. وما يعنيني هنا هو الاتفاقية الاردنية الاسرائيلية وما تمخضت عنه من مشاكل عانينا منها سنين طويلة. فهنالك مثلاً الخرائط التي رسمت عليها خطوط الهدنة وقد نظمت بشكل لا يدل على أي قدر من الإكتراث والمسؤولية. فالخرائط التي استعملت كانت من قياس غير مناسب أبداً لهذه الغاية. لأن الخط حتى لو كان عادياً رفيعاً إذا رسم عليها سوف يعني مساحة كبيرة على الارض. ومع ذلك فقد رسمت خطوط الهدنة على هذه الخرائط بخط عريض مما يجعل المساحة التي يغطيها على الخارطة تعني مساحة كبيرة جداً على الارض نسبة لهذا القياس من الخرائط. وقد ازداد الأمر تعقيداً في داخل المدن وخصوصاً في مدينة القدس حيث كنا نجد في بعض الاماكن أن بيتاً بكامله يطمسه خط الهدنة العريض. الأمر الذي كان ينتج عنه مشاكل كثيرة حول تقرير مصير هذا البيت حيث كان اليهود يصرون على أنه يقع بداخل حدودهم وبالمقابل نصر نحن على أنه بداخل حدودنا وفي أحسن الحالات كان مراقبو الهدنة يضعون حلاً وسطاً أما بإن يعتبروا أن هذا البيت يقع بداخل المنطقة الحرام أو يقرروا مبادلته بشيء آخر . وفي كلتا الحالتين نكون نحن الخاسرون. ومما زاد في تعقيد الأمور كذلك أن الخرائط الرسمية التي جرى التوقيع عليها وأصبحت فيما بعد هي المرجع الوحيد لحل جميع المشاكل المتعلقة بالهدنة كانت قد نظمت على نسخة اصلية

من هذا القـيـاس واحـده لكل طرف من أطراف النزاع. وكأن هؤلاء المفاوضون لم يكونوا يقـدرون وقتئذ مدى الصعوبات والمشاكل التي ستنتج عن وجود نسخة واحده من هذه الخـرائط وبهذا القـيـاس. مع الأخـذ بعين الاعـتبار ما تعرضت له من الاهتراء من كثرة الاسـتـعمال مـع مـرور الزمن مما أدى الى ارتبـاكـات وتشـوهات في شكل خط الهدنة المرسـوم عليـهـا والذي هو عريض أصلاً مع كل ما يعنيه هذا الأمر من ضياع ممتلكات السكان .

٢ ـ ينتـيـجـة اتفـاقيات رودس خسرت قرى كثيرة معظم اراضيها الزراعية التي تركها خط الهدنة في جـانب اسرائيل. وفي عـدد من الحـالات خسرت تلك القـرى جميع اراضيها ولم يبق لدى سكانها سوى بيوتهم. ولقد كان هذا الخط عجيباً حيث لم يكن وضعه يتناسب مع حـالة سكان القـرى وحاجاتهم المعيشية. ففي بعض الحالات نجد أن القرية بكاملها تقع بداخل منطقـتنا بينما يقع بئر الماء الوحـيـد الذي يزود سكانها بماء الشرب قد ترك بالمنطقـة المحـتلة. وفي حـالات اخـرى نجدبناية بكاملها بداخل منطقتنا ودرج البناية أو قـسم من غـرفـة من البـيت تقع بداخل المنطقة المحتلة. وفي بعض الحالات نجد أن خط الهدنة يقـسم القـرية إلى نصـفين بحـيث نجد أن بعض العائلات قد انقسمت الى قسمين بعـضـهـا عندنا وبعضها الآخر في المنطقة المحتلة. وهكذا أصبح سكان هذه القرى الذين فـقـدوا جميع أراضيهم ومصادر رزقهم لاجئين ولكن بداخل بيوتهم وقراهم، كما كانت هنالك قـرى كـثيرة لها علاقات زراعية وغيرها مع سكان القرى التي فصلها خط الهدنة الذي رسم في جـزيرة رودس واصبحت بداخل المنطقة المحتلة. وبالإضافة لهذا فقد وجد في الضـفـة الغـربيـة عدة مخيمات للاجئين يتجمع فيها مئات الألوف من السكان الذين فـقـدوا قـراهم وجميع ممتلكاتهم وأصبـحـوا لا يملكون أية وسيلة للعيش سوى المؤن الضئيلة التي تقدمها لهم وكالة الغوث وهم يعانون من ضنك العيش ومحنة الضياع .

٣ ـ كـذلك بنتـيجة اتفاقيات رودس وجدت على طول خط الهدنة رقاع من الارض تركت بين خطى الدفـاع المتقابلين سميت مناطق حرام وهي ساحات فاصلة بين الطرفين ولا يسمح لأي منهما بدخـولها. وهي بحـسب مـفهوم اتفاقيات رودس لا تعود لأي طرف. والغاية من وجـودها ان تكون حـاجـزاً في بعض المناطق الحـسـاسـة مثل منطقة اللطرون. كما وجـدت في مـدينة القـدس مناطق أخـرى ذات صفة تختلف عن مناطق الحرام حيث أنها وجـدت بمـوجب اتفاقيات خاصة وضعت من أجلها وسميت مناطق مجرده من السلاح مـثل منطقة جبل سكوبس حيث تقع هداسا والجامعة العبرية. وبالإضافة لهذا وجد نوع

آخر من هذه المناطق وهي ما عرف باسم منطقة تحت إشراف دولي مثل منطقة جبل المكبر التي استقرت فيها قيادة المراقبة الدولية وهي منطقة ذات طابع خاص حيث وضعت لها اتفاقية مستقلة تسمح للسكان الأصليين الذين كانوا يسكنونها من الطرفين بالبقاء في مناطقهم الأصلية والعيش بداخلها بحرية كل في الجانب الذي يخصه .

أما المنطقة التي تقع فيها بناية دار الحكومة وأصبحت مقراً لرئاسة المراقبة الدولية وهي محاطة بالأسلاك الشائكة ولا يسمح لأحد بدخولها إلا بموافقة خاصة من المراقبين الدوليين. وبالإضافة إلى كل هذه المشاكل يجب ان لا ننسى خسارتنا لمنطقة المثلث التي اشرت لها سابقاً .

٤ ـ التسلل الى المنطقة المحتلة :

لقد كانت الأوضاع التي نتجت عن اتفاقيات رودس والتي شرحتها بأعلاه من أهم الأسباب التي أدت إلى بدء عمليات التسلل عبر خطوط الهدنه الى الأراضي المحتلة. ورغم أن عملية التسلل هذه هي في الحقيقة نوع من الخطر الذي يجب أن لا نسقطه من حسابنا ورغم أن المتسللين يكونون سليمي النيه في معظم الحالات ويتسللون بقصد الفائدة المادية لكنه قد يدخل بينهم بعض الناس تحت ستار التسلل البريء وهم في الحقيقة إما عملاء للعدو ينقلون له المعلومات الخطيرة عن قواتنا ومراكزنا الحساسة (وقد حدث فعلاً انه تم إكتشاف عدة شبكات تجسس من هذا النوع). أو انهم يقومون بتهريب المواد الغذائية لليهود تحت ستار انهم يهربونها للسكان العرب هناك. وكذلك تم إكتشاف عدة شبكات مهمتها تهريب اعداد كبيرة من الأبقار والمواد التموينية الاخرى لحساب تجار من اليهود. هذا بالإضافة الى أن العدو لم يكن يتهاون مع المتسللين إلا الذين له علاقة معهم. أما باقي المتسللين فقد كانت دورياته تقتلهم رأساً حال إكتشافهم. وقد خسر الكثيرون حياتهم دون ان يحققوا غاياتهم التي تسللوا من أجلها .

ولهذا فإن عملية التسلل بحد ذاتها كانت مضرة لجميع الأطراف وكان يجب ايقافها حفاظاً على سلامة المتسللين انفسهم وصيانة للأمن الداخلي والاقتصادي. أما الأسباب التي كانت تدفع الناس للتسلل فهي كما يلي :

أ ـ إما لزيارة أقاربهم وممتلكاتهم. لاسيما وانه بنتيجة النزوح القسري الذي حصل على عجل اثناء الحرب نجد انه في حالات كثيرة قسمت العائلة ذاتها واصبح قسم منها في المنطقة المحتلة والقسم الآخر عندنا فمثلاً في بعض الحالات يكون الرجل في

الاردن وزوجته وأولاده في المنطقة المحتلة او العكس. وفي مثل هذه الحالات فإن أول ما يخطر ببال هذا الإنسان هو ان يذهب لزيارة عائلته وذويه ليستطلع إخبارهم ولكي يحضر بعض النقود او العوائد من املاكه التي تركها هناك فيصبح بهذا الشكل متسللاً ويشكل خطراً على إسرائيل بنظرهم. وفي كثير من الحالات كان يفقد حياته

ب ـ إن حالة اللاجئين المزرية في المخيمات وطريقة حياتهم التي هي أسوأ من حياة البطالة والبؤس والعوز والفراغ كانت أكبر دافع لهم على التسلل للحصول على ما يمكن أن تصل إليه أيديهم من ممتلكاتهم التي تركوها في المنطقة المحتلة لكي يستعينوا بما يحصلون عليه في معيشتهم. وهؤلاء يعتبرون بمنطق اتفاقيات الهدنة متسللون. وكثيراً ما كانوا يفقدون حياتهم في سبيل ذلك .

ج ـ لقد كان من بين اللاجئين الكثير من المنكوبين الذين فقدوا عزيزاً من أبنائهم أو أحد أفراد عائلتهم قتله اليهود أثناء الحرب أو بعدها. ومنهم من فقد معظم أفراد عائلته أو جميعهم بنتيجة المجازر الوحشية التي ارتكبها اليهود مثل مجزرة دير ياسين وغيرها فهو لهذا السبب ورغم حياة الشقاء التي أصبح يعيشها بقي تواقاً للإنتقام من قاتليهم. ولذلك فإنه كان يتسلل لداخل اسرائيل لهذه الغاية فقط .

ولكن مع الأسف فإنه في حالات كثيرة كان هؤلاء الرجال يقعون في كمين أو تصادفهم دورية فتفاجؤهم ويفقدون حياتهم بسهولة قبل أن يكونوا قد تمكنوا من تحقيق غايتهم أو يصلوا الى اهدافهم .

أما إذا استعرضنا حالات التسلل هذه فإننا نجدها دوماً من جانب واحد أي من الجانب العربي الى الجانب الإسرائيلي. ولم يصدف ان تسلل أحد من اليهود الى المنطقة العربية إلا إذا كان قد ضل طريقه او قصد الهرب من اسرائيل وهذه حالات نادره. ولذلك فقد جعل اليهود من قضية التسلل هذه ذريعة ضدنا في المحافل الدولية وكسبوا كثيراً من العطف العالمي رغم انهم هم الذين كانوا يقتلون المتسللين ويشنون الغارات الانتقامية على القرى العربية الامامية. ولم يحاول احد أن يفهم الأسباب الدافعة لعملية التسلل من الناحية الانسانية والإجتماعية والحياتية. وتجاه هذا الواقع المرير فقد كنا في حيرة حول كيفية التعامل مع هذه الحركة. فمن جهة كنا نتعاطف مع هؤلاء المتسللين ونتفهم دوافعهم ونود لو أنهم يستطيعون تحقيق غاياتهم بنجاح .

ومن جهة اخرى كنا نعرف مدى الخطر الذي كانوا يتعرضون له أثناء محاولاتهم تلك.

وكـذلك مـدى التـهـديد الأمني الذي تشكله عـملية التسلل ضدنا والمكاسب التي يحققها العـدو عن طريق عـمـلائه الذين كان يجندهم من بين المتسللين انفسـهم مما كان يتطلب منع عـمليـة التـسلل حـفـاظاً على حـيـاة المتسللين وصيانة للأمن الداخلي والاقتصادي ولحرمان العدو من المكاسب التي كان يحققها من عملية التسلل .

ورغم ان هذا كـان قـراراً صـعـبـاً لكنه في النهاية كان هو القرار الذي فرض نفسه على الحكومة وقـيـادة الجـيش فـاتخذوه رغم انه بالنتيجة لم يستطع منع أو إيقاف عمليات التـسلل نهائيـاً ولكنه خـففها كثيراً · وسأستعرض فيما يلي كيفية تطور عمليات التسلل هذه وكيفية مواجهة اعتداءات اليهود على قرى الحدود بسببها .

٥ ـ ومع اسـتـمرار حركة التسلل هذه قام الاسرائيليون بتغيير اسلوبهم في مواجهة المتسللين فـبـدلاً من إخـراج الدوريات العسكرية ضمن مناطق سيطرتهم لمطاردة المتسللين اخذوا يـرسلونها عبر خطوط الهدنة الى داخل مناطقنا حـيث كـانت في البـداية تتـقـدم دورية صـغيرة بحجم حظيرة مشاه ولا تزيد عن عشرة جنود لتدخل الى قرية نائية وبعيدة عن مـواقع الجـيش فـتطلق النار على من تصـادفـهم من السكان أو ترمي قنبلة بداخل بيت فـتـقـتل معظم الموجودين فيه والذين يكونون في غالب الأحيان نيام. ثم تختفي عبر خط الهدنة ثانيـة. ولما كانت هذه العمليات الخاطفة لا تستغرق وقتاً طويلاً نظراً لقرب القرى الامـامـية من خط الهدنة فإن قوات الجيش العربي كانت في غالب الأحيان تصل متأخرة بعـد أن يكون العـدو قـد نفـذ عـمليـتـه وانسحب ولمواجهة هذه الحالة الجديدة وجدت القـيـادة أن الضرورة تقضي بتـسليح سكان القـرى الأمامية التي تقع ضمن نطاق عمق ثلاثة كـيلومترات على طول خط الهدنة ليتمكنوا من الدفاع عن انفسـهم عندما يتعرضـون للاعـتداء وليصمدوا في وجه الـهجوم المعادي مدة كافية حتى تصلهم النجدة. وقد وزعت الاسلحـة والذخائر في البداية على القرى بواسطة المخاتير وكانت اعدادها تختلف من قرية الى أخـرى حـسب عـدد السكان. وبالنتـيـجة فقد اقتضت الضرورة تدريب السكان على اسـتـعمال هذه الاسلحة لكي يتمكنوا من استعمالها بكفاءة وفعالية وإلا انعدمت الفائدة من توزيعها .

وعلى هذا الأسـاس تم توزيع عـدد من ضـباط الصف المدربين ليقوموا بهذه المهمة. وقد سميت كل قـرية (مـوقع) ووضع في كل مـوقع ضابط صف أو أكثر حسب حجمه وقد اعـتبر ضـابط الصف هذا قائداً للموقع وعليه بالإضافة الى تدريب السكان على استعمال الاسلحـة تقع مسؤولية تنظيم الدفاع عن القرية وحفر الخنادق الدفاعية حولها وتوزيع

المسلحين على هذه الخنادق وان يقود عملية مقاومة العدو المهاجم ومنعه من دخول القرية حتى تصلها نجدة الجيش أو يتمكن من صد الهجوم. ولكي تصبح هذه العملية منظمة رؤي أن تحدد واجبات ومسؤوليات هؤلاء المسلحين. فتوصلنا الى إيجاد تسمية لهذه القوة التي اخذت تتزايد باستمرار حسب الحاجة التي كانت تمليها علينا زيادة تحركات العدو واعتداءاته على القرى الامامية فسميناها (الحرس الوطني). ولكي نحدد لها مسؤولياتها ونضفي عليها الصفة الشرعية تم سن قانون الحرس الوطني الذي جعل الخدمة فيه الزامية ضمن شروط حددها القانون. ومع مرور الزمن اخذت تتبلور لدينا تدريجياً مسألة تنظيم وتشكيل وحدات الحرس الوطني .

٦ ـ كانت الفكرة الأولية لدينا أن تكون الوحدة الأساسية في الموقع هي الحظيرة وان يكون قوامها عشرة مسلحين. وكانت بداية التسلح تقتصر على البنادق والرشاشات والقنابل اليدوية بحيث تكون الحظيرة مسلحة بثمانية بنادق ورشاش واحد. ويقود هذه المجموعة قائد من أفضل شباب القرية مقدرة وقوة شخصيه. وقد كان هذا الترتيب الذي اتبعناه قبل وضع نظام الملابس والرتب. وقد كانت القرية (الموقع) تحتوي على عدد من الحظائر حسب حجمها وعدد سكانها .

بعد هذه المرحلة اقتضت الضرورة أن نتقدم بتنظيم حرس قرى الحدود خطوة اخرى. وبعد ارتفاع مستوى التدريب بدأنا بتنظيم الفئات. وقد كان يقود هذه الفئات ضباط صف وضباط من الجيش. وأما الأفراد فكانوا بملابسهم المدنيه. ثم أضفنا بعض الاسلحة الاخرى في المواقع فوضعنا مع كل فئة مدفع مورتر ٢ انش ومدفع بيات (PIAT) ضد الدروع. كما وضعنا جهاز لاسلكي في القرى النائية يديره جنود من الجيش.

وبهذه الاثناء قامت كتائب الجيش كل في قطاعها بتنظيم دورات لتدريب ضباط صف من ابناء القرى لكي يصبحوا قادة حظائر. كما أدخل عدد من الشباب المتعلمين الذين اظهروا كفاءة في التدريب مع الحرس الوطني الى دورات المرشحين في الكلية الحربية ليصبحوا قادة فئات .

وبعد فترة أخرى ومع تزايد أفراد الحرس الوطني وتحسن مستوى تدريبهم بدأنا بتشكيلهم بمستوى السرايا في القرى الكبيرة التي يتوفر من سكانها عدد يساوي سريه كما زدنا عدد أجهزة اللاسلكي في القرى واضفنا الى تسليحها مدافع المورتر عيار (٣ انش) في القرى الكبيرة .

وكـان تخطيطنا للمسـتقبل هو ان ننظم وحدات القرى الحدودية هذه بشكل مجموعات بحيث تصـبح كل مجمـوعـة قرى متقاربة تشكل كتيبة يقودها ضابط من الجيش ويتم تزويدها بأجـهزة الاتصالات اللازمة لضمان تساندها والسيطرة على منطقتها. وقد كانت الخطة تتـضمن تشكيل ١٣ كـتـيـبـة من هذه الكتـائب الامامية على طول خط الهدنة في الضـفـة الغـربيـة. وقـد تم تحـقـيق هذه الخطة فيما بعد وسميت هذه الكتائب (كتائب حدود)

٧ ـ بعـد إكتمال تنظيم الحرس الوطني في قرى الحدود الى هذا المستوى بدأت مرحلة تدريب سكان القـرى الخلفـيـة وكان هذا التدريب يتم في معسكرات معينة يجتمع فيها المكلفون من القـرى البـعيدة عن خط الهدنة ويتم تدريبهم خلال مدة الدورة السنوية ثم يعادون الى قـراهم عندمـا لا تستدعي الحاجة إبقاءهم مدة أطول. وأما إذا كانت الحاجة تستدعي بقـاءهم في الخـدمة بعد مدة التدريب فقد كانوا يتقاضـون رواتب اثناء مدة خدمتهم ولقد جرى تشكيل كتائب الحرس الوطني من هذه القرى الخلفيه بتنظيم مماثل لتنظيم كتائب المشـاه النظامـيـه في الجـيش ما عدا النقليات. وقد كانت تخصص مجموعة القرى التي تتـشكل منهـا الكتـيبة بحيث يتناسب موقعها الجغرافي وعدد سكانها لكي تشكل منطقة دفاعية مناسبه وبنفس الوقت يمكن أن يتوفر من سكانها الاعداد اللازمة لتشكيل كتيبة كـامله. فـمثلاً كان يؤخذ من القرية الصغيرة فئة ومن القرية الكبيرة فئتين فتعتبر سريه من قـريتين. وهكذا يجمع عدد من القرى القريبة من بعضها لتكفي تشكيل كتيبة كاملة. وقـد نظمت جميع كـتـائب الحـرس الوطني من هذه القـرى الخلفـية على أساس الموقع الجـغـرافي. واعطيت لها ارقـام أصـبـحت تعرف بها. كما كانت تصرف لجنودها ملابس عـسـكرية كـاملة خـاصـة بالحـرس الوطني. وصرفت الاسلحـة لهذه الكتـائب بالأنواع والاعـداد التي كـانت تسلح بها كـتـائب المشـاه في الجيش العربي. إلا أننا لم نتمكن من توفير وسـائط النقل الكاملة للحـرس الوطني نظراً لعدم توفر الاموال اللازمة ولهذا فقد كـانت تعـتـمـد على نقليـات الجيش المتواجده في مناطقها حسب الحاجة وقد سميت هذه الكتائب (كتائب محليه). وقد كان التخطيط يتضمن تشكيل (٣٠) كتيبه من هذه الكتائب على المحـاور الدفـاعـيـة الرئيـسـيـة وتم ربطها بأمرة قيادات الألوية للأغراض الحربية والتـدريبـيـة . وبعـد ذلك تم تشكيل قـيـادة عـامة للحرس الوطني مسؤولة عن جميع النواحي الإدارية والتنظيـمـيـة يقـودها ضـابط كـبير من الجـيش ويرتبط بقائد الجيش مـباشرة ويتعاون مع قيادة الفرقة وقيادات الألوية للتنسيق بالمسائل الحربية والتدريبية للحرس الوطني .

٨ ـ أما دور الحرس الوطني في الدفاع عن الحدود فقد كان يتلخص بما يلي .

أولاً · كتائب الحدود تكون مسؤولة عن الدفاع عن القرى الأمامية التي تسكنها هذه الكتائب ومهمتها المقاومة الأولية في حالة وقوع الاعتداءات المحلية لاعاقة العدو لأطول مدة ممكنة حتى تتمكن قوات الجيش من الوصول الى المكان والتدخل في المعركة. وفي حالة وقوع الحرب الشاملة وتقدم قوات العدو بهجوم رئيسي تبقى واجبات هذه الكتائب محاولة التأثير على قوات العدو واعاقتها بقدر الامكان ثم التحول للعمل خلف قواته لإيقاع أكبر الأضرار الممكنة بها حسب تطور المعركة .

ثانياً : الكتائب المحلية تأخذ مواقع دفاعية على محاور تقدم العدو في مناطقها عند وقوع الهجوم الرئيسي لإعاقة تقدمه على تلك المحاور لأطول مدة ممكنة بينما تتمكن قوات الجيش من تنفيذ هجومها المعاكس ضد العدو حسب الخطة العامة للجيش .

وبهذه الطريقة أمكن تجميع ألوية الجيش بمواقع مناسبة كإحتياطي رئيسي متحرك. واعتمد في الدفاع في القطاعات المختلفة على كتائب الحرس الوطني (المحلية) يعززها عدد محدود من كتائب الجيش النظامية .

لقد أحببت أن أذكر هذا الموجز عن كيفية تشكيل وتدريب الحرس الوطني نظراً لما كان له من أهمية خاصة في تلك الأيام حيث كان بعد اكتماله قوة لا يستهان بها يمكنها تقديم مسانده هامة للقوات المسلحة في الدفاع عن البلاد بحيث تستطيع اعتراض تقدم قوات العدو على المحاور المختلفة في حالة قيامها بهجوم عام على المملكة الأردنية الهاشمية وتأخير تقدمها لفترة محدودة يمكن خلالها لقطعات الجيش ان تحتشد بالمواقع الهامه لتوجيه الضربة المعاكسه ضد العدو حسب الخطة الموضوعة مسبقاً .

ولقد واكبت عملية تأسيس الحرس الوطني منذ بدايتها عندما كنت أشغل منصب الركن الثانى للعمليات الحربية في قيادة الفرقة وكان من ضمن مسؤولياتى الإشراف على تنظيم وتدريب وتزويد هذه القوات في مختلف مراحلها. كما إني في وقت لاحق استخدمت ودربت كتائب الحرس الوطني في مختلف المناطق عندما كنت قائداً للكتيبة الثامنة. ولقد عملت قائداً عاماً للحرس الوطني من تاريخ ٢٤ أيار عام ١٩٥٥ حتى تاريخ ٢٣ أيار عام ١٩٥٦م وتمكنت خلال هذه الفترة من تطوير تدريب وتسليح كتائب الحرس الوطني بنوعيها وتنظيم دفاعاتها على مختلف المحاور في الضفة الغربية بالتنسيق مع قيادة الفرقة وقادة الألوية بحيث أصبحت قوات هذا الحرس تشكل قسمًا رئيسياً هاماً من خطة المعركة التي وضعت للدفاع عن المملكة .

ولقد اسفت كثيراً عندما سمعت في مطلع عقد الستينات بعدما تركت الجيش أنه جرى حل قوات الحرس الوطني وسحبت اسلحتها رغم تلك الجهود الجبارة التي بذلها الجيش العربي وضباطه على مدى عدة سنين في تنظيم وتدريب هذه القوات .

الحرس الوطني في الخطة الدفاعية :

لقد وصل الحرس الوطني في نهاية عام ١٩٥٦م الى مستوى فعال في الميدان واصبح يعتبر قوة أساسية يعتمد عليها الجيش العربي في عملياته الدفاعية في الضفة الغربية وكذلك في المناطق الامامية من الضفة الشرقية مثل قطاع وادي الأردن وقطاع اربد في الشمال وقطاع الكرك في الجنوب. ولم نقتصر في تنظيم وتدريب الحرس الوطني على الضفة الغربية فقط حيث كان المقصود من هذا المشروع ان يتطور لكي يشمل كافة انحاء المملكة. وليصبح قوة فعاله في دعم قوات الجيش العربي في المعركة وليكون ظهيراً لها في الدفاع عن البلاد وعلى هذا الأساس فقد ادخلت كتائب الحرس الوطني بنوعيها وبحسب مناطقها ضمن الخطة الدفاعية العامة للجيش العربي التي وضعت في نيسان عام ١٩٥٦م رغم ان عدد الكتائب المحلية لم يكن قد اكتمل بحسب خطة التنظيم عندئذ .

وقد كان توزيع تلك الكتائب على القطاعات كما يلي :

أولاً : قطاع إربد : بقيادة قائد قطاع الحرس الوطني في إربد
- ٢ كتيبة حرس وطني - محلية
- ١ كتيبة حرس وطني - حدود

ثانياً : قطاع وادي الاردن : بقيادة قائد اللواء المصفح العاشر
- ٢ كتيبة حرس وطني - محلية

ثالثاً : قطاع نابلس : بقيادة قائد اللواء الهاشمي (أو اللواء الذي يحل محله)
- ٦ كتائب حرس وطني - محلية
- ٥ كتائب حرس وطني - حدود

رابعاً : قطاع القدس : بقيادة قائد لواء الأميرة عاليه (أو اللواء الذي يحل محله)
- ٥ كتائب حرس وطني - محلية
- ٣ كتائب حرس وطني - حدود

خامساً : قطاع الخليل : بقيادة قائد قطاع الخليل

٣ كتائب حرس وطني - محلية

٤ كتائب حرس وطني - حدود

هذا هو المستوى الذي وصل اليه الحرس الوطني خلال فترة قيادتي له والتي انتهت بتاريخ ٢٣ أيار عام ١٩٥٦م ولقد كانت الصعوبات التي تواجهني بهذه المهمة بشكل أساسي تنحصر في شح الموارد المالية والتي كانت تعيق الى حد بعيد عملية التجهيز الكامل للكتائب المحلية وخصوصاً بالنسبة لتوفير ما يلزمها من اسلحة إسنادية حسب الملاك المقرر للكتيبة المحلية. ولولا ما كان يقدمه الجيش لسد حاجاتها من أجهزة الاتصالات ووسائل النقل اثناء استدعائها للتدريب وما كنا نحصل عليه من المساعدات العينية مثل الخيام ولوازم المنامه والمأوى لمعسكرات التدريب ومواد الاعاشة للجنود الذين يتم استدعاؤهم لما تمكنا من تدريب هذه الكتائب المحلية بالمستوى الذي وصلت اليه عملياً. ومن الطبيعي أن الجيش النظامي كان يستفيد من كتائب الحرس الوطني عند استدعائها للخدمة وتسليمها المواقع الدفاعية الأمامية مما كان يمكنه أن يجمع قوات احتياطية من الكتائب العسكرية النظامية لاستخدامها بعملياته الحربية الاخرى. ولكن ميزانية الجيش كانت أيضاً محدوده بحيث لا يمكنها تحمل جميع متطلبات الحرس الوطني ولا سيما عندما وصل إلى هذا الحجم الضخم وعلى الرغم من هذه الصعوبات فقد استطعنا انجاز الكثير من حيث التدريب والتجهيز بحيث أصبح من الممكن الاعتماد على كتائب الحرس الوطني (الحدود) في عمليات الدفاع عن القرى الأمامية وكذلك على الكتائب (المحلية) في المواقع الدفاعية الرئيسية المخصصه لها ضمن قطاعات الكتائب النظامية للاشتباك مع قوات العدو وإيقاف تقدمها لبعض الوقت حتى وصول القوات النظامية الضاربة وإشتراكها في المعركة حسب تطورها .

حوادث الحدود :

المجمل :

١ - يبلغ طول خطوط الهدنة بين الأردن وإسرائيل حوالي (٦٥٠) ستمائة وخمسون كيلومتراً. كما أن عدد القرى الأمامية الواقعه على طول إمتداد خط الهدنة في الضفة الغربية من الأردن مائة وستون قرية تقع على عاتق الجيش العربي مسؤولية حمايتها

٢ - كانت تواجه الجيش العربي مشكلتان رئيسيتان في مراقبة وحماية حدود المملكة هما

أ - مواجهة وصد أي هجوم رئيسي قد يشنه اليهود بقصد احتلال الضفة الغربية أو المملكة الأردنية بكاملها. وهذا هو الواجب الأساسي للقوات المسلحة .

ب ـ حماية القرى الامامية على طول خطوط الهدنة ضد اعتداءات اليهود وغاراتهم المتكررة باستمرار .

٣ ـ بما أن الأردن كان دوماً ملتزماً بعدم البدء بخرق الهدنة أو الدخول مع اسرائيل بحرب واسعة النطاق فإن زمام المبادره في كلا الاحتمالين (أ ، ب) باعلاه كان دوماً بيد الجيش الاسرائيلي .

٤ ـ إن قوات الجيش العربي كانت دوماً قليلة جداً بالنسبة للمسؤوليات الضخمة الملقاة على عاتقها إذا ما قورنت بقوات اسرائيل التي كانت تزيد عن خمسة أضعاف قوات الجيش العربي .

٥ ـ سأتقيد هنا بموضوع حماية القرى الامامية ضد اعتداءات اسرائيل المحلية فقط لأن هذا هو موضوع هذا الفصل .

المواصلات والتوزيع :

إذا نظرنا الى الخارطة نجد أن المسافة بين البحر الأبيض المتوسط وخط الهدنة ضيقة ومحدوده. كما أن اغلب معسكرات الجيش الإسرائيلي تقع في المنطقة الساحلية بين حيفا وصرفند. ومن هذه المعسكرات يمكنهم ان يشرفوا على القرى الاردنية الأمامية ضمن مسافة تتراوح من ثمانية الى عشرين كيلو متراً ولهذا فإنه كان بإمكان القوة الاسرائيلية أن تتحرك من معسكراتها ليلاً وتصل الى القرية التي تريد مهاجمتها خلال مدة ساعة واحدة على الأكثر .

بينما نجد في المقابل ان منطقتنا واسعة والمسافات بعيدة نسبياً. بالإضافة الى أنها كلها مناطق جبلية وعرة المسالك ولا يوجد فيها سوى عدد قليل من الطرق المعبدة الجيده .

ولما كان زمام المبادرة بيد الاسرائيليين فإنه بإمكانهم أن ينتخبوا القرية التي يريدون مهاجمتها ثم يضربوها بقوة متفوقة وبسرعة خاطفة نظراً لقرب المسافة وسهولة المواصلات وتمتعهم بشكبة ممتازة من الطرق المعبده .

وبالمقابل نجد أن القائد الاردنى المسؤل في المنطقة لا يبدأ حركته الا بعد وقوع الاعتداء ووصول الخبر إليه. حيث يترتب عليه عندئذ أن يرسل قوة النجدة الى تلك القرية عبر طرق ضيقه وعره في غالب الأحيان وتتحرك السيارات التي تحملها بدون أن تستعمل الأضواء العالية تجنباً لإكتشافها لأن الاعتداءات على القرى الأمامية كانت دوماً تتم أثناء الليل. وعندما

تقترب قـوة النجـدة من منطقة القرية كانت تضطر الى الترجل من السيارات عند نقطة بعيدة عن القـرية نفـسـهـا لتجنب الوقوع في كمين أو حقل الغام. وبعد ذلك يترتب على الجنود ان يتـقدموا بحذر تحت جنح الظلام لمصادمة العدو إذا كان لا يزال في المنطقة ومن الواضح أن عـملية من هذا النوع تحتاج إلى وقت طويل لانجازها بنجاح. ولهذا فإننا نجد أنه من المتعذر على قـوة الجـيش أن تصل الى القـرية قبل ان تكون قوة العدو المهاجمة قد دخلتها ولا سيما اذا لم تتـمكن قـوة الحرس الوطني في القرية من المقاومة مدة كافية لتمنع العدو من دخولها حتى وصول قوة النجدة .

أساليب اليهود في الهجوم على القرى الأمامية :

في كل هجـوم قام به الجيش الإسرائيلي على القرى الأمامية كان يتبع الطريقة الآتية ·

أولاً قـبل البـدء بالهجـوم يتم ارســال مجموعات من القوة المخصصة للهجوم لتأخذ مواقع مـسـيطرة على جميع الطرق المؤدية الى القـرية (الهدف) من داخل الاردن وتقوم هذه المجموعات بنفس الوقت بزرع الألغام على الطرق ثم تسيطر عليها بنيران اسلحتها من مواقعها الدفاعية

ثانيـاً . بعد ذلك تتقدم القوة الرئيسية المخصصة للهجوم نحو القرية وتحتفظ بقوة احتياطية كـبيرة في الخلف لكي تسندها اذا فـشلت في مـهـمتها. أو إذا تعرضت لهجوم معاكس وعندمـا تأتى قوة النجدة بسياراتها ليلاً أثناء المعركة فإنها ستقع أولاً في حقل الألغام ثم تشـتـبك مع القـوة الإسرائيليـة السـاترة التي تسـيطر على مـوقع الحقل وتضطر لخـوض مـعـركة فرعية تؤخرها عن الوصول الى القرية للإشتراك في المعركة الدائرة فيها بينما تتمكن القوة الاسرائيلية الرئيسية من إنهاء مهمتها خلال هذا الوقت .
أمـا إذا كـانت القوة الاردنية تريد تجنب الوقوع في الكمين للوصول الى القرية مباشرة فإنها ســتكون مجبرة على الترجل من سياراتها على بعد بضعة كيلو مترات عن القرية ثم تقطع هذه المسـافـة ليـلاً في المســالك الوعـرة سيراً على الأقـدام حـتى تصل اليها وتشترك في المعـركـة. وكل هذه الإجـراءات تسـتـغرق وقتاً طويلاً ينتج عنه في معظم الحـالات أن تصل قـوة النجـدة مـتأخـره بعد أن يكون العدو قد أنهى مهمته وغادر المنطقة

الخلاصـــة :

١ ـ من جميع ما تقدم تتضح لنا الحقائق الآتية ·

أ ـ أن قـرب مواقع حشد الجيش الاسرائيلي ومعسكراته من القرى الأمامية وتوفر شبكة الطرق المـتازة لديه تجعل من السهل على قواته القيام بعمليات سريعة وخاطفة ضد هذه القرى .

ب ـ مـا دام أن زمـام المبادرة بيد الجيش الإسرائيلي فإنه يمكنه انتخاب أي قرية من بين (١٦٠) مـائة وسـتين قـرية على طول خطوط الهدنة التي يبلغ طولها حوالي ستمائة وخمسـون كـيلو متراً ويجعلهـا هدفـاً لعملية اعتداء سريعة. ويمكن بهذه الحالة أن يضمن سلفاً أنه يستطيع الوصول إلى القرية وإتمام العملية والعودة إلى منطقته قبل أن تتمكن قوة النجدة من الوصول .

ج ـ نظراً لإتسـاع مناطقنا ولبـعـد المسـافـات ووعـورة المسالك والطرق فإنه يتعذر على قـوات الجـيش في مـعظم الحالات الوصول الى القرى النائية التي يقع عليها الاعتداء بسرعة كافية قبل أن يتمكن العدو من ضربها .

د ـ ان نجـاح قـوة النجدة في صد القوة المعادية يعتمد إلى حد كبير على قدرة قوة الحرس الوطني في القـرية على المقـاومـة لكسب الوقت الكافي حـتى تتـمكن قـوة النجدة من الوصـول والإشـتراك بالمعـركـة. مـا عـدا في بعض الحـالات النادره التي يمكن فيها الحـصـول على المعلومـات المسـبـقـة بأن العـدو ينوي مهاجمة قرية معينة وتتخذ الإجراءات المسبقة من الجيش لوضع قوة كافية بالقرب من تلك القرية بحيث يمكنها الاشتباك مع القوة المعادية حال وصولها للمنطقة .

٢ ـ وعلى الرغم من كل هذه الصـعـوبات المشـار اليها بأعلاه فإنه ليس مستحيلاً أن تتمكن قـوة النجـدة المرسلة من الجيش أن تصل الى القرية المهاجمة وتشترك في المعركة وتوقع الخـسـائر بقـوات العدو وتطاردها الى خارج الحدود. وفي كل الأحوال فإن قوات الجيش كـانت دوماً ترسل فوراً لنجدة أي قرية يقع عليها الهجوم مهما كان موقعها نائياً. ولكن نسب النجـاح كـانت تتـفـاوت بحسب ظروف كل حادث ومدى قرب أو بعد القرية من مـواقع الكتـائب العـسكرية المسـؤولة عن المنطقـة وسرعـة وصـول الاخبار اليها ومدة مـقـاومـة الحرس الوطني وطول أو قصر مدة استمرار المعركة. كما كانت نسبة النجاح كـذلك تعـتـمـد الى حـد كـبير على مدى فاعلية الكتائب العسكرية ونشاط وكفاءة قادتها واسـتعدادها المستمر للتحرك الفوري لأي اتجاه. لاسيما وأن الكتائب التي كانت موزعه في مختلف مناطق الضفة الغربية كان لديها قوة متحركة تسمى (قوة النجدة) لا تقل عن فئة مـشـاه مع الأسلحة المساندة. وفي بعض الاحيان تكون من حجم سرية مشاه وتفرز

لهذه القـوة وسـائط نقل خـاصـة بها بحـيث تبقى جاهزة باستمرار للحركة خلال مدة عشرة دقـائق الى مـوقع الحـادث وفي كثير من الأحيان كانت تنجح بالوصول في الوقت المناسب وفي بعض الحـالات كـانت تصل مـتأخـرة. كما أنها في حـالات اخرى فشلت في الوصول إلى القرية المهاجمة بسبب إهمال القائد المسؤول في المنطقة كما حدث في الهجوم على قرية (قبية) والذي سوف اعرض تفصيلاته في مكان لاحق .

٣ ـ أمـا حـجم القـوات الاسرائيليـة التي كـانت تهاجم القرى فقد تطورت مع الزمن بالنسبة لازدياد عـدد الحـوادث التي كـان يقـوم بها المتـسللون العـرب بداخل اسرائيل وحجمها ونوعـها. حيث كانت في البداية تتألف من قوة صغيرة بحجم حظيرة مشاه تدخل المنطقة خلسـة وتطلق النار على بعض الأهالي او ترمي قنبلة يدوية بداخل بيت أو تنسـفـه بلغم بسرعـة وتنسـحب. ثم أصـبحت هذه الدوريات تأخذ طابع الهجوم الصغير تقوم به فئة مـشـاه ثم ارتفع حجم هذه العمليات وأصبحت تقوم بها سرية مشاه ثم تطور الى هجوم مركز تقوم به كتيبة مسنده او أكثر على قرية كبيرة وتحدث فيها أضراراً بالغة .

٤ ـ لقـد دامت عـمليات الاعتداءات الاسرائيلية على القرى الأمامية العربية على مر السنين ولا مجال هنا لذكـر تفصيلات جميع هذه الاعتداءات ولكني سأحاول ذكر بعض الأمثلة عن الحـوادث المهـمـة فـقط كما عـرفـتـهـا شخصياً. وسوف أكتفي هنا بذكر مجمل نتائج الحـوادث الهامـة التي وقـعت خـلال فترة زمنية محدده. وبيان مجموع الإصابات التي نتـجت عنهـا كما وردت عندي في بعض وثائقي المكتوبة في حينها أضعها هنا كدليل على مدى خطورة هذه الحوادث على الموقف العام على الحدود من جهة وعلى الوضع السياسي السائد في المنطقة في ذلك الوقت من جهة أخرى :

أ ـ لقـد كـان مجمل الإصـابات التي أوقعها العرب باليهود خلال ثلاث سنوات مأخوذه من الشكايات التي قدمها الاسرائيليون الى لجنة الهدنة كما يلي :

عام ١٩٥١م ـ قتل وجرح ١١٢ اسرائيلي

عام ١٩٥٢م ـ قتل وجرح ١١٦ اسرائيلي

عام ١٩٥٣م ـ قتل وجرح ١١٧ اسرائيلي

وكـانت معظم هذه الإصابات قد وقعت بهم من قبل قوات الجيش والحرس الوطني أثناء المصادمات على الحدود .

ب ـ ومن كانون ثانى حتى نهاية ايار عام ١٩٥٣م وقع حـوالي مائتي حادثة حدود على القـرى والأفراد من السكان العرب قام بها اليهود. حيث كانوا بهذه الاثناء قد شكلوا



المؤلف مع اللواء عبد الحكيم عامر في نقطة مراقبة على جبل الزيتون في القدس وذلك اثناء زيارته لمواقع الكتيبة الثامنه التي كنت أقودها سنة ١٩٥٢م بعد قيام الثورة في مصر .



في الخطوط الأمامية في القدس ومعي العقيد عدنان المالكي من الجيش السوري وعدد من الضباط السوريين سنة ١٩٥٢م. اثناء زيارتهم لقيادة الكتيبة الثامنة التي كنت اقودها في ذلك الحين .

قـوة خـاصــة لتنفيذ العمليات الإنتقامية اطلقوا عليها اسم (الوحدة رقم ١٠١) وقد دربوها تدريباً خاصاً لغايات مهاجمة القرى العربية على طول خطوط الهدنه. وكان تشكيل هذه الوحـدة بتـخطيط من الجنرال (دايان) ومـوافـقـة بن غـوريون رئيس وزراء اسرائيل آنذاك للرد على عمليات التسلل وعلى اشتباكات الحدود .

تطورات الأوضاع على الحدود :

١ ـ لقـد كـانت تظهـر لنا دلائل كـثيرة في أواخـر عام ١٩٥٢م تشير الى احـتمالات حـدوث تطورات هامــة في المســتقبل القريب بدأت إسرائيل تخطط لها ويجب علينا مراقبتها بحذر شــديد والاســتـعداد لمواجهتها. وعلى الرغم من كل هذه النذر كان يترتب علي أن لا أهمل مـسألة التدريب ولذلك كنت أكرس الكثير من جهدي ووقتي لتطبيق برامج التدريب التي وضـعـتـهـا للجنود والضـباط على المستويين الفردي والجماعي لسرايا كتيبتي بقدر ما تسـمح به الظروف والأوضــاع الســائدة على الخطوط الأمــامية حيث كنت أحاول اغتنام فـرصة الهدوء النسبي الذي كان سائداً على طول الحدود مما كان يسمح لنا بإطالة مدة الإنذار في الطوارىء وبالتــالي يمكن استخدام معظم الجنود في التدريب سواء كان ذلك في مـواقع سراياهم أو في قــيـادة الكتـيبة بعقد الدورات المختلفة التي كنت أجريها في المناطق القـريبــة من المعـسكر لرفع مستوى الوحدات القتالي. وعلى الرغم من كل ذلك فقد كنت مــضطراً لتخصيص وحدة متكاملة مؤلفة من فئتين من المشاه وحظيرة مورتر (٣ أنش) وحظيرة رشــاشات (فكرز) لتكون دائمًا جاهزة في قيادة الكتيبه ومستعدة للحركة خلال فترة لا تزيد عن ربع ساعة بسياراتها الى أي مكان ضمن منطقة مسؤولية الكتيبة عندما يتــعـرض للهـجـوم وقد سميت هذه القوة (قوة النجدة). وكانت تؤخذ من سرايا الكتيبة بالتناوب بحـيث تتـسلم هذا الواجب كل سرية لمدة شــهـر ومن الطبيعي ان يشكل هذا الإجـراء عـبئاً ثقـيـلاً على السرايا الموزعـة على طول الخط الأمامي على مستوى الحظائر نظراً لاتســاع جبهة الكتيبة. ولكن هذا الأمر كان في غاية الأهمية لا سيما وأننا وجدنا أن قـوة النجـدة هذه رغم صـغـر حـجـمها قد تمكنت من التدخل في الكثير من الحوادث في الوقت المناسب ونجـحت في صــد قـوات العدو وتكبيده خسائر متفاوتة بالإضافة الى أن تأثيرها المعنوي كـان هائلا على جنودنا في الخط الأمــامي وعلى السكان الذين يتعرضون للهـجوم وتصلهم قوة النجدة هذه في الوقت المناسب وتساعدهم في صد العدو وقد كان تأثيرها في كلتــا الحــالتين يفوق حجمها كثيراً وبالإضافة الى إجراءات الاستعداد المختلفة

كان علي أن أعيد النظر في جميع المواقع الدفاعية على طول جبهة الكتيبة. وقد بدأنا بتنفيذ برنامج متكامل لبناء الاستحكامات من الاسمنت المسلح لمختلف انواع الأسلحة تستوعب جميع الجنود العاملين في تلك المواقع ويضاف اليهم الاعداد التي كانت مخصصه للإلتحاق بالمواقع في حالة اعلان النفير العام. وقد كانت أكثر هذه الاستحكامات كثافة تلك التي بنيناها بداخل مدينة القدس. حيث حولنا الطوابق الارضية في جميع الأبنية الممتدة على حافة خط الهدنة الى قواعد متينة من الاسمنت المسلح من الداخل. كما اغلقنا بعض أبواب سور المدينة القديمه المقابلة لخطوط العدو بالإسمنت المسلح بسماكة السور نفسه. وقد تمكنا من إتمام هذه الاعمال خلال مدة ثلاثة أشهر .

ولقد كان هذا عملاً جباراً حققه جنود وضباط الكتيبة الثامنة بجهدهم المتواصل ليلاً ونهاراً وأصبح بإمكاننا بهذه القوات الصغيرة المنتشرة على طول خطوط الهدنه الممتده من جنوب مدينة القدس حتى موقع اللطرون أن نصمد في وجه تقدم العدو فترة من الزمن بينما تتمكن باقي قوات الجيش من التدخل في المعركة. وقد كانت جهود جنود الكتيبه الثامنة مدعاة فخر لهم ولقادتهم واعتزاز لي شخصياً. وأصبحوا موضع ثناء وتقدير قادة الجيش بمختلف المناسبات .

٢ ـ وخلال هذه الفترة بدأت الأوضاع على الحدود تتدهور تدريجياً وبدأ اليهود يكثفون دورياتهم ونشاطاتهم بشكل عام بالقرب من خطوط الهدنة. وقد برزت حالتان تنذران بتطورات وشيكة استناداً الى خبراتنا السابقة بأساليب اليهود كانت أولاهما أن مندوب اسرائيل في لجنة الهدنة اخذ يكثر من تقديم الشكاوي الرسمية ضدنا بحيث أصبحت حالة يومية تقريباً وكلها كانت تتركز على إدعائهم بقيام متسللين بالدخول الى إسرائيل من حدودنا ونهب الابقار وغيرها من المزارع اليهوديه. أو دخول المستعمرات ونهب الممتكات المختلفة منها. أو دخول الرعاة العرب مع قطعانهم للرعي بداخل اسرائيل. وفي كثير من هذه الحالات الاخيرة كان اليهود يصادرون القطعان ويحتجزون الرعاة ثم يتقدمون بشكوى ضدنا الى لجنة الهدنة .

وثانيهما : أن حوادث إطلاق النار من المواقع الاسرائيلية على مواقعنا اخذت تزداد تدريجياً وبدون سبب واضح .

وعندما كنا نتقدم بشكوى ضد اسرائيل الى لجنة الهدنه كانوا في معظم الحالات ينكرون وقوع الحادث أصلاً ولا نستطيع نحن أن نقدم دليلاً مادياً الى لجنة الهدنة ومراقبي هيئة الأمم المتحدة لأن إطلاق النار لم يترك أثراً لأنه لم يصب أحد بجراح لكي يمكن أن

يكون دليلاً على وقوع الحادث فتصبح المسألة محصورة بكلمتنا ضد كلمتهم ويغلق موضوع الشكوى بدون إدانة رسمية. بينما تكون شكاوى اليهود ضدنا في معظم الحالات مصحوبة بدليل مادي حيث أنهم عادة يصادرون الاغنام والمواشي ويحتجزون الرعاه أو يقتلون متسللاً أو يلقون القبض عليه فتصبح شكواهم مثبته بالدليل المادي ويصبح من واجب مراقب الهدنه ان يأخذ قراراً ضدنا وعلى أي حال ليس هذا هو المهم هنا وليس المقصود أن أدخل بشرح كيفية تقديم الشكوى الى لجنة الهدنة لكني أردت أن أشرح مسببات الحوادث لا سيما وقد علمتني خبرتي في مقارعة الاسرائيليين أنهم عندما ينوون القيام بإعتداء كبير على الحدود والوصول الى أزمة قد تؤدي الى نشوب حرب فإنهم يبدأون بالتحضير لها بخلق جو مليء بالحوادث التي يحاولون إبرازها على مسرح هيئة الأمم تدريجياً ويزيدون اعدادها لكي يظهروا كثرتها ويضخموا حجمها ويبرزوا خطورتها على مدى عدة أشهر لكي يظهروا للرأي العام العالمي وخصوصاً الأمريكي أن الوضع على الحدود أصبح خطيراً ولا يطاق ولذلك فإن اسرائيل لا تستطيع السكوت عليه ولم يبق أمامها إلا أن تتخذ الإجراء العسكري المناسب للمحافظة على أمنها وسلامة مواطنيها. ولقد اتبعت اسرائيل هذا الأسلوب منذ قيامها عام ١٩٤٨م حتى يومنا هذا. ولقد أيدتها امريكا باستمرار في كل ما تدعيه ان كان حقاً أو باطلاً وبدون تردد. مما جعل اسرائيل تعربد في المنطقة كما تريد دون أن يردعها أحد لأن العرب بسبب تفرقهم وتناحرهم ليسوا قادرين على ردعها عسكرياً ولو استطاعوا في يوم من الأيام أن يتغلبوا عليها فإن أمريكا جاهزة لصدهم ولو بقوة السلاح. ولأن امريكا تستطيع أن تسيطر على مجلس الأمن باستعمالها حق النقض (الفيتو) فإنها تستطيع إبطال أي قرار يمكن أن يتخذ ضد اسرائيل عندما تعتدي هي على العرب. وبهذا تضمن إسرائيل تحييد هيئة الأمم المتحدة ولم يبق أمامها إذن إلا أن تضلل الرأي العام العالمي وتقنعه بأنها ضحية الخطر العربي الداهم وأنها إنما تدافع عن نفسها عندما تقوم بعمل عسكري ضد هذا الخطر حتى ولو كان عملها العسكري هذا ليس موجهاً ضد وحدات الجيش العربي وانما ضد القرى العربية وسكانها المدنيين بهدم بيوتهم فوق رؤوسهم وهم نيام وقتلهم بشكل جماعي رجالاً ونساءً وأطفالاً بدون استثناء. وهذا النوع من الهجوم الوحشي تستطيع إسرائيل تنفيذه وحجبه عن الرأي العام العالمي بإستمرار لأن اليهود في أمريكا وفي معظم بلدان العالم يسيطرون على الصحافة ومعظم وسائل الإعلام ولطالما اثبتت أساليبهم هذه نجاحاً منقطع النظير في جميع الظروف .

وتجـاه هذا الوضـع الذي أخـذت السلطات الاسرائيلية تهيء له الظروف المناسبة وتخترع له المسـبـبـات الأسـاسـيـة على الحـدود كـان علينا ان نضـاعف اسـتعداداتنا لمواجهة الاحتمالات المتوقعة المختلفة، وبنفس الوقت كان علينا الاستمرار في التدريب على مختلف المستويات، ولقد كانت تلك فترة خطره وفي غاية الصعوبة بالنسبة لنا .

وبهذه الاثناء كنت قـد ركـزت جـهـودي على تدريب وحدات الحرس الوطني في منطقتي لكي اسـتفيد من فئاتها الامامية بالدفاع عن قراها. كما تمكنت من إنجاز تجهيز وتدريب كـتـيبة حرس وطني محلية وزعتها في مواقع دفاعية بالإشتراك مع فئات الكتيبة الثامنة على الخطوط الأمـامـية. الأمر الذي مكنني من تقوية الخط الدفاعي من جهة ومن توفير بعض الفئات الاخـرى للتـدريب الجماعي والقـيـام ببـعض المناورات المحـدوده من جهة ثانية.

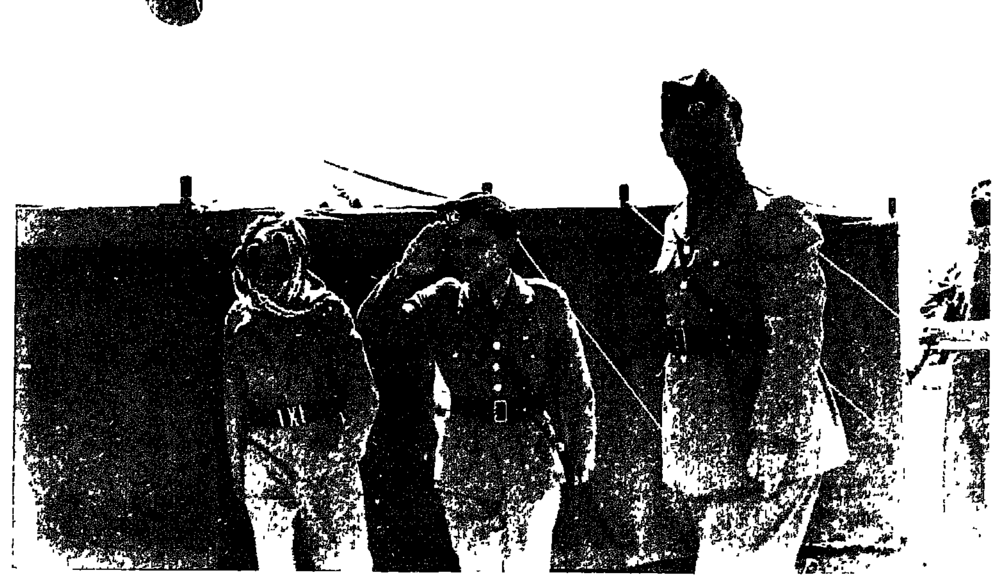
٣ ـ وأمـا على الصـعـيـد السـياسي فقد صاحب هذه المرحلة الجديدة من التوتر على الحدود بعض التصريحات والتـعليـقـات بداخل اسرائيل وفي الصـحـافـة العالمية عن الصعوبات الاقـتـصـادية التي بدأت تعـانى منهـا بشكل ملموس والتي كان سببها الرئيسي الاعداد الهائلة من المهـاجـرين اليـهود الذين استقدمتهم اسرائيل من مختلف أنحاء العالم ضمن فترة قـصيرة من الزمن ولم تعـد الرقـعـة التي اسـتـولت عليـهـا من فلسطين كـافـية لاسـتيعابهم. وتوفير متطلبات استيطانهم إضافة الى السكان الموجودين فيها. ولهذا فقد أصـبح الوضـع ينذر بالخطر لا سـيما وان (بن غـوريون) قال في احدى خطبه (انه على اسرائيل ان تتـخـذ الترتيـبـات اللازمـة والاستعدادات المطلوبة لإستقدام مليونى مهاجر جـديد من يهود الشرق الأوسط وأوروبا الشرقـيـة خلال العشرة سنوات القادمه) وهذا سوف يزيد من حجم الضائقة الاقتصادية التي تعانى منها اسرائيل .

وسـوف يعني ان اسرائيل يجب أن تتـوسع على حساب البلدان العربية المجاورة لتتمكن من إسـتـيـعاب هذه الأعداد الهائلة من المهاجرين. ولم يكن الاسرائيليون يخفون نواياهم التـوسـعـيـة هذه بل كـان قـادتهم يدلون بتصريحاتهم في جميع المناسبات ويدعون الى تحـقـيـق إسرائيـل الكبرى من الفـرات الى النيل. وعلى الرغم من أن اسرائيل حـصلت في السنة المالية ١٩٥٢م على ٩٣ بالمئة من مجموع المساعدات الامريكية الرسمية المخصصة لجـمـيع بلدان الشرق الأوسط فإنها بقـيت تعـانى من أزمـة اقـتـصـادية خـانقـة لأن مصروفـاتها الضـخـمـه على توطين مئات الألوف من اللاجئين اليهود في الاراضي والمدن العـربيـة التي احـتلتـهـا كانت أكبر بكثير من مواردها الذاتية. ولكن الانقاذ هذه المرة لم

يأتها من أمـريكا أو من الصـهيونية العالمية كالمعتاد بل جاءها من ألمانيا الإتحادية حيث رضـخت للضـغط الذي مـارسته عليها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ودفعت مبالغ طائلة إلى اسرائيل كتـعويضات عن الأضرار التي لحقت باليهود إبان حكم النازية. وفوق هذا وذاك فإنها ارادت أن تقول لليهود ان المانيا الحالية تتبرأ من هتلر ومن طغمته. ولكن على الرغم من أننا نحن أيضاً نستنكر اعمال هتلر وندين جرائمه ضد الإنسانية. فإننا لا نـرى ان عـلاج آثار جـرائم هتلر يكون بإرتكاب اعمال مماثله ضـد الشـعب الفلسطيني الذي لا علاقة له بهتلر ولا بشعبه الالمانى ولا يؤيد مبادئه النازية .

ومـهما كان الأمر فقد جاءت مبادرة المانيا بتقديم العون المالي الضـخم لاسرائيل تعبيراً عن تأييـدها لأعمالها ضـد عـرب فلسطين رغم أنها قـدمتها تحت شعار تعويضات الحرب حـيث وافـقت المانيـا ان تدفع الى اسرائيل مبلغ (٨٤٠) ثمانمائة وأربعـون مليون دولار نقـداً بحـيث تدفع أول مائة مليون في موازنة عام ١٩٥٤م. وكـان هذا الرقم يعادل ٣٠ بالمائة من قـيـمـة جميع المسـتوردات الاسرائيلية لنفس الفترة أي لتلك السنة ثم تستمر سنوياً بنفس المستوى .

وقـد دفـعت المانيـا فـوق هذا خلال السنوات اللاحقه مساعدات عينية من مختلف المواد بقيمة لا تقل عن مبلغ التعويضات المذكورة .



المؤلف يقف الى يمين جلالة الملك حسين أثناء زيارة جلالته الى قيادة الكتيبة الثامنة في معسكر النبي يعقوب شمال القدس عندما كان قائدها عام ١٩٥٣م .

وعلى الرغم من أن بريطانيا هي التي أعطت لليهود وعد بلفور فأرست حجر الأساس لقيام دولة إسرائيل في فلسطين ثم هيأت الظروف اللازمة لتنفيذ هذا الوعد وتحقيقه على أرض الواقع طيلة السنوات الثلاثين التي حكمت فلسطين خلالها حكمًا مباشراً كما هو معروف. وبعد قرار هذه الدولة المستعمره بالتخلي عن مسؤلياتها وتركها البلد في حالة رهيبة من الفوضى المسلحة عام ١٩٤٨م . جاءت امريكا وحلت محلها وتولت زمام المبادره وقامت بمناوراتها المعروفة في أروقة هيئة الأمم المتحدة واستخدمت نفوذها وتأثيرها المباشر على مندوبي بعض الدول لضمان صدور قرار تقسيم فلسطين الذي صدر عن الجمعية العامة عام ١٩٤٧م ثم رغم أن أمريكا قدمت لإسرائيل السلاح والمال والضباط والخبراء لدعمها في الحرب عام ١٩٤٨م فإنه من العجيب ان تكون تشيكوسلوفاكيا هي المصدر الرئيسي لتزويد اسرائيل بالأسلحة بموافقة روسيا ودعمها. وهذه الأسلحة بالذات هي التي مكنت اسرائيل من ضرب الجيش المصري أثناء الهدنة الثانية وإخراجه من فلسطين. ومكنتها كذلك من السيطرة على الموقف الحربي في باقي الجبهات العربية. حيث اعطتها تفوقاً على الجيوش العربية بكاملها بينما منعت الدول الغربية بنفس الوقت شحن الأسلحة والذخائر بمختلف أشكالها إلى الدول العربية .

وفي عام ١٩٥٣م تأتى المانيا بخلاف جميع دول العالم لتساهم في انقاذ اقتصاد اسرائيل وتقويتها وتمكينها من الاستمرار في اعتدائها على البلدان العربية. فأين العرب من هذا الخطر الداهم المحدق بديارهم. وإلى متى سيبقون في سباتهم غارقون وفي تشتتهم وتناحرهم تائهون .

٤ ـ وبهذه الاثناء ومنذ مطلع عام ١٩٥٣م بدأت سياسة اسرائيل العدوانية الجديدة التي كانوا يهيئون لها الظروف منذ عدة أشهر تظهر بشكل عملي على الحدود. وقد كانت هذه السياسة الجديدة ترتكز أساساً على شن غارات انتقامية ضد قرانا الأمامية القريبة من الحدود بدعوى أنها جاءت للإنتقام عن الحوادث التي يقوم بها المتسللون العرب بداخل اسرائيل والتي يعتبرون ان هذه القرى الحدودية مسؤولة عنها. وكانت هذه الغارات تقوم بها قوة بحجم سرية أو كتيبة وربما أكثر من ذلك في بعض الحالات بحسب نوع وحجم الغارة المنوي القيام بها ضد القرية الهدف بحيث تدخل هذه القوة المهاجمة عبر الحدود وتطوق القرية وتبث الكمائن على الطرق المؤدية اليها على مسافة تبعد حوالي كيلومتر عنها لكي تعيق وصول قوة النجدة المرسلة اليها من الجيش وتمنعها من الإشتراك بالمعركة بالوقت المناسب حتى تكون العملية قد انتهت. وبعد إتمام تمركز الكمائن بهذا الشكل تدخل القوة المهاجمة الى القرية ومعها مجموعة الهندسة تحمل

المتفـجـرات لتـبـثـها في البيوت المراد نسفها وتبدأ عملية إطلاق النار على السكان الذين يكونون بهذا الوقت نيـام فـتقتل منهم من تقتل ثم يتم نسف عدد من البيوت وتنسحب القـوة المهـاجمة وتتبعها الكمائن ويعودون جميعاً بسرعة من حيث أتوا وقد كان العامل الحـاسم بهذه العـمليـات هو السرعـة بحيث تتم عملية الأقتحام خلال اقصر مدة ممكنة والتي لم تكن في العـادة تتـجـاوز السـاعـة إلا في الحـالات النادرة. وبنتـيجة ممارسات القـوات الإسرائيليـة وتجاربها بهذه العمليات فقد قام الجنرال دايان رئيس أركان الجيش الاسرائيلي آنذاك بتـشكيل قـوة خاصة من (الكوماندوز) تتولى مهمة تنفيذ هذه العمليات أطلق عليـها اسم (الوحدة ـ ١٠١) واسندت قـيـادتها الى الكولونيل آرئيل شـارون وقد بدأت هذه القـوة بحـجم كتيبة كوماندوز ثم توسع حجمها الى لواء كامل في وقت لاحق. بهذه الاثناء كنا قـد رفـعنا حـجم وحـدات الحرس الوطني في القرى الأمامية وزودناها بكمـيـات جـيـدة من الأسلحـة والذخـائر واسندنا قيادتها الى ضباط صف وضباط من الجيش العربي. كما تم تزويد معظم القرى الرئيسية بأجهزة اتصال لاسلكي وتم تعميم فكرة قـوة النجـدة المتـحـركة التي سبق وأشرت الى تشكيلها في الكتيبة الثامنة وجهزت قـوة مماثلة لها في باقي كـتـائب اللواء الثـالث الذي كـان مسؤولاً عن الدفاع عن الضفة الغربية كما قمنا بتنظيم وتسليح وتدريب عدد أكبر من كتائب الحرس الوطني وسلمناها مـواقع دفـاعـيـة في مناطق الكتـائب النظامـية لكي يمكنها جمع قوة أكبر من حجم قوة النجـدة المعروفة وارسالها الى القرية المعرضة لهجوم إذا كانت المعركة أكبر من قدرة قوة النجـدة المشـار اليها. وقد بدأت هذه الإجراءات تعطي نتائج إيجابية في مختلف الحوادث التي ينفـذها اليـهـود ضـد القـرى الامـامية والتي أصبحت تتزايد باضطراد. ولا يتسع المجـال هنا لذكر جميع هذه الحوادث نظراً لكثرتها ولكنها كانت جميعها متشابهة تقريباً وتنفذ بحسب الترتيب الذي شرحته بأعلاه وتختلف فقط بحجم الهجوم ونتائجه .

وقـد اسـتـمـر هذا النوع من الحوادث الهجومية ضد القرى الأمامية على فترات مختلفة وبنتائج مـتـفـاوتة من النجـاح والفـشل بحـسب الظروف المواكـبـة له وسرعة وصول المعلومـات الى الكتيبة النظامية وفعالية الحرس الوطني في الدفاع الأولي عن القرية ومدى نشـاط القـادة المسـؤولين وسرعـة وصـول قوة النجدة قبل انتهاء المعركة ومهما كانت الأحـوال فإن محصلة النتـائج في معظم الحالات كانت جيدة وكان العدو يتكبد الكثير من الخـسـائر رغم انه في حالات اخرى كان ينجح ويوقع إصابات ضخمة ومؤلمة في سكان القرى التي يقع عليها الهجوم .

ومن رصـدنا للتحركات التي كان العدو يقوم بها في منطقة القدس قدرنا انه كان يخطط للقـيـام بعملية كبيرة في مدينة القدس نفسها قد تؤدي الى هجوم عام وخلق وضع معين في المدينة يحقق عن طريقـه مكاسب هامة سياسية أو إقليمية. وكجزء من هذه التحركات قـام العـدو في إحـدى الليالي بإرسال دورية يقدر حجمها بحوالي سرية مشاه من منطقة بنايات سنهـادريا الواقعة الى الغرب من حي الشيخ جراح وتقدمت هذه القوة عبر الوادي العـمـيق الواقع بين قـرية شـعفاط والطرف الشمالي لمدينة القدس والذي يؤدي في طرفه الشرقي الى الطريق الرئيسية التي تتجه من القدس الى رام الله .

وحـوالي منتـصف الليل اتصل مـعي قـائد السرية المتمركزة في الشيخ جراح وابلغني عن تقدم قـوة العدو هذه ولكنه قال إن الغريب بأمر هذه القوة أنها تتقدم في قاع الوادي ولـم يبـدأ جنودها بإطلاق النار على مـواقـعنا وكأنهم يظنون أننا لم نكتشفهم. فقلت له : من الواضح ان هذه القـوة عـبـارة عن دورية مـقـاتلة مـرسلة لتـحقيق غاية محددة. ولكي يسـتطيعوا الوصول الى غايتهم فإنهم يحاولون أن يتجنبوا الاشتباك معكم لأنهم يأملون أن يصلوا الى هدفـهم قـبل أن نكتشفهم. والأرجح أنهم يريدون الوصول الى هداسا لنقل بعض المعدات والذخائر حيث أنهم بعد حادثة تفتيش قافلة هداسا التي حصلت قبل فترة وجـيـزة وإكـتـشـاف الذخـائر التي كانوا يحاولون تهريبها بواسطة تلك القافلة لم يبق أمـامهم سوى محاولة إرسال هذا النوع من الدوريات ومعها كمية من الذخائر المطلوبة وبنفس الوقت يصـبح أفـراد هذه الدورية كـقـوة تعزيز الى حامية هداسا واذا نجحت في الوصـول سـوف يكرروها وربما نجحوا مرتين أو ثلاثة فيصبح بهذه الطريقة لديهم في هداسـا حامية قوية لا يستهان بها وسيكون لها تأثير مهم في حالة نشوب معركة كبيرة في القدس مستقبلاً ولذلك طلبت من قائد السرية أن لا يطلق النار على هذه الدورية فورا بل يسـمح لها بالوصـول الى عـمق كـاف وعندمـا تصـبح في منطقـة القتل الواقعة بين مـواقـعنا الدفـاعـية في تلة شعفاط في طرف الشيخ جراح من الشمال والمواقع المقابلة لها من الشمال في الطرف الغـربي من قرية شعفاط. وعندئذ تفتح النيران عليها من الجهتين ويمكن تدميرها نهائيـاً. وهكذا كان فقد تمكنت قواتنا في تلك المنطقة من قتل وجرح عدد كـبير من أفـراد هذه الدورية التي تركت وراءها اربعين حـقيبة مملوءة بقنابل المورتر ٣ إنش والقنابل اليـدوية كـانوا ينوون إيصـالها مع الجنود الى هداسا. وقد حضر الجنرال (دي ريدر) كـبير المراقـبين الدوليين في الصـبـاح الى مـوقـع الحـادث واخـذ صوراً لهذه الذخـائر. وبالتـالي وجـه إدانة صريحة ضد إسرائيل لارتكابها هذا الحادث. ولكن ما هي قـيـمة هذه الادانات ما دامت إسرائيل لم تكن تنظر لجميع إجراءات لجان الهدنة أو حتى

إلى قـرارات مجلس الامن الدولي أكـثـر من أنها حبر على ورق وتتـعـامل مـعـهـا على هذا الأسـاس بينما تمضي هي في تطبيق خططها المختلفة التي تؤدي بالتالي الى استيلائها على فلسطين بكاملهـا مهما طال الزمن لأن هذا بالنسبة لها هو الهدف الأساسي وما عدا ذلك فهو كلام تافه لا قيمة له .

(هكذا كـان تحليلنا للأوضـاع العـامـة في تلك الأيام من عـقد الخمسينات وقد ثبتت لنا صحتها في هذه الأيام من عقد التسعينات) .

وبعـد ذلك الحـادث بفترة وجـيـزة بدأت التطورات التي كنا نتوقعها. ففي حوالي الساعة الخـامسة من مساء يوم ٣ نيسان ١٩٥٣م فـتـحت القوات الاسرائيلية النيران من جميع مـواقـعـهـا الامـامية بداخل مدينة القدس على جميع مواقعنا على الاسوار وخارجها على طول خطوط الهدنة وأجـاب جنودنا على هذه النيران فـوراً ودام الإشـتـبـاك حوالي ثلاث سـاعـات. ولم يتوقف إطلاق النار إلا بعد الجهود الحاسمة التي بذلها كبير مراقبي هيئة الأمـم المتـحـدة مع الطرفين واتصـاله مع السكرتير العـام لهيئة الأمم في نيـويورك لمنع انتـشـار الاشتباكات الى مواقع أخرى. وهكذا أمكن تطويق هذا الحادث دون أن يؤدي الى مـا هو أسـوأ كما كـان مـتوقعاً ولكن حوادث إطلاق النار من مواقع العدو على مواقعنا



جـلالة الملك حـسين يتـفقد جبهة الكتيبة الثامنة في منطقة القدس وبمعيته المؤلف عندما كان قائد الكتيبة عام ١٩٥٣م .

الامـامـية خارج القدس كانت روتينية وتكاد تكون يومية. وقد كان واضحاً لنا أن العدو يهدف الى إبقاء الحالة على الحدود ساخنة بشكل أو بآخر للوصول الى هدف معين لأنهم كـانوا يعـمدون إلى اطلاق النار بدون سبب واضح لكي يخلقوا جواً من التوتّر الدائم على طول خطوط الهدنة يتـخـذونه ذريعـة لأي عملية ردع كبرى يخططون لها ويتم تنفيذها بالوقت الذي يرونه مناسـبـاً بعـد تهيئة الرأي العـام العـالمي وإقناعـه بواسطة التمويه والدعـاية المدروسـة بأن العـرب هم المسـؤولون عن تردي الاوضـاع على طول خطوط الهدنة بتـغـاضيهم عن عمليات التسلل عبر هذه الخطوط . ولذلك فإن اسرائيل اصـبحت مـضطرة للقـيـام بعـمليات مضادة على الحدود لحماية أمنها. وفي مـعظم الحالات كانت تنجح في إقناع الرأي العـام العـالمي بإدعـاءاتها بسبب سيطرة اليهود على معظم وسـائل الاعـلام والصحافة المهمه في العالم ما عدا في بعض الحالات عندما يكون الاعتداء ضخمًا وعـدد الضـحـايا بين السكان المدنيين كبيراً فإنه يصعب على إسرائيل تبريره مثل حوادث الاعـتـداء على قـبيه ونحالين وغيرهما حيث كانت توجه بعض الانتـقادات ضد اسرائيل وربما في حـالات نادرة ادانتـهـا من قـبل مجلس الامن الدولي. ولكن سرعان ما يتلاشى تأثير هذه الادانات لأن امـريكا تسـتعمل حق النقض (الفيتو) فيصبح قرار مجلس الامن بهذه الحـالة لا قـيـمـة له. وبعـد ذلك تتـولى الصـحـافة تبرير موقف إسرائيل بواسطة الحـملات المضللة فتمحو من أذهان الناس ما قد يكون علق بها من آراء ضد إسرائيل ولا يبقى لها أثر .

٥ ـ ومن مجمل تطورات الحـوادث على طول خطوط الهدنة والتـزايد التـدريجي بحـجم هذه الحـوادث أصـبح واضـحـاً لنا أنها تنفـذ ضـمن إطار خطة عـامة تطبق مراحلها حسب المتطلبات والأهداف السياسية لحكومة اسرائيل .

فـمن جـهـة كـان بن غـوريون ينظر الى خطوط الهدنة على أنها ليست أكثر من خطوط مؤقتة يمكنه إزالتـهـا مـتى سمحت الظروف بذلك. ومن جهة أخرى كان يعلن باستمرار عن رغبته باستقدام الملايين من المستوطنين اليهود من مختلف أقطار العالم لتوطينهم في الأراضي المحـتلة. ولذلك فـهـو بحـاجـة الى أراض جديدة لإسكان هؤلاء اليهود القادمين وإعـاشـتهم وتشغيلهم ويرى أن منطقة صحراء النقب إذا أمكن تطويرها وزراعتها فإنها يمكن أن تساعد عملية الاستيطان هذه كخطوة مرحلية ولكنها لا تحلها جذرياً. ومن هنا جـاء مشروع تحـويل مـيـاه نهر الاردن الذي نفـذه اليهود في منطقة جسر بنات يعقوب مـقـابل الحـدود السـورية كضرورة حـيـوية لتحقيق هذه المرحلة من عملية الاستيطان لإرواء النقب وزراعتـه وبناء المسـتـعمرات الجديدة فيه ولكن بن غوريون بنفس الوقت



المؤلف مع الزعيم اديب الشيشكلي رئيس جمهورية سوريا في عام ١٩٥٤م أثناء إجتماعات وفود لجان الهدنة العرب في دمشق. ويقف بجانب المؤلف العقيد اسماعيل شيرين من الجيش المصري والاستاذ محمد اديب العامري .



في انقرة مع قائد القوات البرية في الجيش التركي في مكتبه اثناء زيارتي لتركيا سنة ١٩٥٤م بمناسبة عيد تركيا الوطني .

كـان يرفض أن يتخلى عن ما يدعيه من حقوق تاريخية لليهود في الأراضي العربية الباقية ولا سـيما في منطقـة نابلس والقـدس في الضفة الغربية ولما كان من المؤكد أن العرب لن يوافـقوا على الدخول في مفاوضـات سلام مع إسرائيل ضمن هذه الشروط والافكار الا اذا كـانوا مـرغـمين على ذلك فإن هذا مـا كان بن غوريون يسعى لتحقيقه عن طريق فرض اقـصى قـدر من الضغط على العرب لإجبارهم على الدخول في المفاوضات بحسب شروط اسرائيل. ومن هذا المنطلق فـقـد كـانت خطط بن غـوريون التكتيكية المرحلية تستند على القـيـام بعـمليات انتقامية كبرى مركزه ضد الاهداف العربية العسكرية والمدنية على حد سواء.



مع الوفـد العـراقي اثناء زيارتي تركـيـا سنة ١٩٥٤م بمناسـبـة عـيدها الوطني، ويظهر في الصـورة المقـدم صـادق الشرع والعـقيد عبد الكريم قاسم والزعيم طارق سعيد والسيد ادهم مندريس وزير الدفاع التركي باللباس المدني .

وأمـا استراتيـجـيـتـه فقد كانت تستند على بناء التفوق العسكري التام على كافة القوات العربية مجتـمـعة ومن كافة الوجوه مع اقصى درجة من الاعتماد على النفس ولذلك فقد بدأوا بعـمليـة صناعـة الاسلحـة بمختلف أنواعها جنباً الى جنب مع عملية الحصول على الاسلحـة المتطورة وتحديثها باستمرار عن طريق المساعدات الامريكية التي لا تنضب ولا تتـوقف لأي سـبب مـهما كـان خطيراً. وبهذا الشكل يكون التـسلح الاسرائيلي مـتـقدماً

ومـتـفـوقـاً دوماً على كل ما يمكن أن يحصل عليه العرب من هذه الاسلحة من أي جهة كـانت حـتى من أمـريكا نفـسـها لأنها لن تبيع للعرب أي سلاح يكون متفوقاً أو جتى مـسـاوياً لما تزود به اسرائيل. وأمـا الهدف الرئيسي الثـابت لبن غوريون وجميع القادة الاسرائيليين فـقـد كـان دومـاً هو توسع اسرائيل باسـتمرار على حساب البلدان العربية المجـاوره لها. وضمن هذا الإطار اخذت حوادث الاعتداءات الاسرائيلية على القرى الأمامية تتطور حجمًا ونوعاً ضمن عملية الضغط المستمر على العرب كما أشرت باعلاه ولم تكن الجـبـهة الاردنية وحدها التي كانت تتعرض لمثل هذه الحوادث بل كانت تشمل الجبهات العـربيـة الاخـرى ضـمن الخطة الاسرائيليـة العامة التي يقصد منها أن تؤدي الى نفس الهدف .

٦ ـ الاعتداء على قرية قبية وتدميرها

لاعطاء صـورة واضـحة عن نوع هذه الحوادث الكبيرة البشعة التي بدأ الجيش الاسرائيلي بتنفـيـذها على طول خطوط الهدنة بتـخطيط من قـيـادته العليـا وبمـوافـقـة الحكومـة الاسرائيليـة مستخدمين الوحدة رقم (١٠١) التي أشرت لها سـابقاً فسوف أشرح وقائع أول حـادث من هذا النوع نفـذوه ضـمن إطار خطتـهم الجديدة وهو حادث الهجوم على قـرية (قـبـيـه) التي تقع على بعد خمسة عشر كيلومتراً شمال غرب مدينة رام الله. وقد اخترت هذا الحادث كمثال مهم عن حوادث الحدود الكبيرة لسببين هما :

أولاً . لأنى لا زلت اعـتقد أنه وان لم يكن بالإمكان الحيلولة دون وقوع هذا الحادث فإنه كـان بالإمكان توجـيـه ضربه عنيـفـة للقـوة الاسرائيليـة المهاجمه وتكبيدها افدح الخـسـائر لو أن قـائد اللواء الثالث الزعيم (أشتن) ابلغني عندما حضرت لوداعه اثناء حـركـتي مع كـتيبتي إلى الضفة الشرقية أن هنالك إعتداء على قرية قبية كما سأشرح تالياً .

ثانيـاً : لأن هذا الحـادث بالذات نتج عنه تطورات في غاية الخطورة فيما بعد على الصعيد الاردنى والعربي :

أ ـ وقد بدأت مقدمات هذا الحادث بأن قام اليهود كالعادة بتقديم شكوى إلى لجنة الهدنة المشـتركة بتاريخ ١٣ تشرين أول عام ١٩٥٣م يدعـون فيها بأن ثلاثة من المتـسللين العرب دخلوا الى مستعمرة (طيرة يهوذا) والقوا قنبلة يدوية على أحـد البيوت مما ادى الى مقتل إمرأة وطفلين. وقبل التحقيق بهذا الحادث من قـبل مراقبي هيئة الأمم المتحدة قام اليهود بشن هجومهم في الليلة التالية على

قـرية قـبيه بقوة الوحدة رقم (١٠١) الـكومـاندوز مما يدل على أن شكواهم كانت مفتعلة ويقصد منها إظهار سبب مبرر لهذا الهجوم .

ب ـ في لـيلة ١٤/ ١٥ تشرين أول عـام ١٩٥٣م تقـدمت قـوة الهجوم المؤلفة من كتيبة كوماندوز حوالي (٦٠٠) سـتمائة جندي وتمركـزت على التلال الواقعة غـربي قـرية قـبـيه. وبالساعة التاسعة والنصف مساءً بينما كان رجلين من سكان القـرية يحرسـان أشـجار الزيتون اعتقلهما الجنود الأسرائيليون آثناء تقـدمهم نحو القرية لكي لا يتمكنا من تنبيه السكان عن الخطر القادم إلا أن أحـد هذين الحـارسين استطاع ان يهرب وينبه افراد الحرس الوطني بوجود قـوة يهودية كـبيرة تتـقـدم نحـو القرية. وبهذه الأثناء وصلت سرايا اليهود لمواقـعـهـا وطوقت القـرية من ثلاث جـهات واشتبكت فوراً مع أفراد الحرس الوطني الذين تمركـزوا في خنادقـهم وأخـذوا يقاومون الهجوم بما لديهم من أسلحـة. ودام إطلاق النار مـدة سـاعتين توقف بعدها أفراد الحرس الوطني عن المقـاومـه وانسـحـبـوا لأن ذخيرتهم نفـذت، ولكن لسوء الحظ أن هؤلاء الشـبـاب قـد نسوا انه كان لديهم ذخيرة احتياطية لا تزال في المستودع حيث وجـد فيما بعد ستة صناديق من العتاد لم تفتح وكان من المتوقع ان تمكنهم من المقـاومـة سـاعـتين على الاقل لو انهم فطنوا لها قـبل ان يخلوا مـواقـعـهم وينسـحـبـوا تاركين القـرية مكشـوفـة تمامـاً أمام الجنود اليهود مما سـهل وصولهم الى البيوت بسرعة. وقد اقتتح اليهود المعركة بإطلاق النيران الكثيفة من الرشـاشـات الخـفيفة والمتوسطة وقنابل المورتر على جميع أنحاء القرية بالإضـافـة الى التركـيـز على خنادق الحرس الوطني، وعندما توقفت مقاومة افـراد الحـرس وانسـحـبوا اقتحم الجنود اليهود القرية مستعملين الطوربيد لفـتح فـجـوات بالأسـلاك الشـائكة وتقـدم مـعـهم جنود الهندسة يحملون صناديق المتـفـجـرات واخذوا يطلقون النار على السكان عندما كانوا يحاولون إخـراج النسـاء والاطفـال من القـرية بعـيـداً عن الخطر لمنعـهم من مـغادرة منازلهم. وقـد وجـد فـيما بعد العديد من الناس مقتولين عند أبواب منازلـهم. ومن الواضح آنهم قتلوا أثناء محاولتهم الخروج منها .

وبهـذه الأثـناء بدأ جنود الهندسـة اليـهـود بوضع المتـفـجـرات التي كـانوا يحملونها عند جـدران المنازل واخـذوا ينسفونها فوق رؤوس سكانها بعد ان منعوهم من مغادرتها بقوة النيران. وقد نسفوا بهذه الطريقة (٤٢) منزلاً كما نسـفـوا مدرسة القرية. وكان مجموع الاصابات (٦٦) قتيلاً و(٧٥) جريحاً

كـان مـعظمـهم من النسـاء والاطفـال وقـد دامت هذه العملية حوالي سبعة سـاعـات وانسحبت القوات الاسرائيلية بعدها مخلفة وراءها دماراً رهيبا بهذه القـرية المنكوبه. وبعد ذلك اعلنت السلطات الإسرائيلية أنها نفذت هذه العملية إنتـقاماً لمقتل امرأة وطفلين في مستعمرة (طيرة يهوذا) من قبل متسللين عرب في الليلة السـابقـة. مع أنهم لم ينتظروا التحقيق بهذا الحادث لمعرفة الفاعلين إن كـانوا من المتـسللين العـرب أم غيرهم. هذا إذا كان الحادث قد وقع فعلاً. وحـتى لو صح ادعاؤهم فهل من المنطق ان يكون الجواب بهذا الحجم والنوع من الانتـقـام الوحشي بتـدمير قرية بكاملها انتقاماً لمقتل أمرأة يهودية واحدة من قبل مجهولين

طبـعـاً لم يكن هذا هو القـصـد الحـقـيقي من تنفيذ حادث قبيه وأمثاله من الحوادث الاخـرى، بل كانت حلقة من سلسلة الاهداف الموضوعة ضمن خطة عـامة للوصول إلى حالة معينة تؤدي الى انفجار كبير واحتلال الضفة الغربية عندما تتهيأ الظروف التي تتطلبها الخطة .

ج ـ لقـد تم إبلاغ قـائد اللواء الثـالث الزعـيم (أشتن) بالساعة العاشرة والنصف ليـلاً بأن قرية قبيه تتعرض للهجوم ولكنه لم يقدر أهمية وحجم هذا الهجوم وكأن كل مـا عمله أنه طلب من ركن اللواء وكيل القائد عكاش الزبن الاتصال مع الحظيرة الموجودة في قرية (بدرس) التي تبعد حوالي كيلو مترين عن قبيه والطلب منهـا ان ترسل دورية الى قـبـية للإستطلاع وجلب المعلومات. ولكن هذه الدورية اشـتـبكت مع اليـهـود ولم تتمكن من العوده بالمعلومات. وعند منتـصف الليل دخل اليـهـود إلى قـبـية وبدأوا بنسف المنازل. وبنفس الوقت كانوا يقصفون قريتي بدرس وشقبا القريبتين منها بالمدفعيه .

د ـ قـبل وقـوع الاعـتداء الآثم على قرية (قبيه) بمدة أسبوعين تبلغت بأنه تقرر نقل كـتـيبتي (الكتيبة الثامنه) من القدس الى المفرق لمدة ثلاثة أشهر للتدريب وأن الكتـيـبـة الخامسة التي كان يقودها المقدم علي الحياري ستستلم الدفاع عن منطقـة القـدس. وقـد تحدد يوم ١٤ تـشرين أول ١٩٥٣م موعداً لإنهاء تسليم مواقعنا والخروج من القدس الى المفرق .

وبعـد القـيـام بالكشف المشترك من قبل جميع قادة سرايا الكتيبتين واتمام عملية التسليم والاسـتـلام أخـرجت جميع سرايا الكتـيبة الثامنة بقوافلها حسب امر الحركة الذي أصدرته للكتيبة وتحركنا أثناء الليل بحيث نتمكن من الخروج من عمان قبل شروق الشمس .

وعندمـا وصلت مؤخرة قوافلنا بين القدس والخان الأحمر ذهبت الى قيادة اللواء لكي ابلغ قـائد اللواء الزعيم (أشتن) بخروج كتيبتي من القدس والحق بالقافلة وقد دخلت على الزعيم في غـرفـته حوالي منتصف الليل وكان جالساً يقرأ كتاباً فابلغته بموقفنا وأننا الآن قد خرجنا نهائيـاً من منطقـة القـدس وأصبحت جميع قوافلنا في طريقها الى عمان فالمفرق. وسألته هل لديه أية تعليمات أخـرى (كما جرت العادة في مثل هذه الأمور) فقال شكراً (لا شيء) وودعته وانصرفت. ولكن الغـريب بهذا الموقف هو أن مـعـركة (قبيه) كانت بذلك الوقت على أشدها. وأن كل ما كان يحتاجه الزعيم اشتن هو ان يخبرنى عن المعركة ويطلب ان أحول سريتين أو حـتى الكتـيـبـة بكاملهـا وأذهب الى قـرية قـبيه. ولو طلب هذا لكان بإمكانى الوصول اليها والتـدخل بالمعـركـة خـلال فترة أقل من سـاعـة. وعلى أي حـال كنت سأصل اليـها قبل ان ينسـحب اليـهـود منهـا ولتـمكنت من ضربهم بكل قـوة الكتيبة ضربة ماحقه. ولكن لماذا لم يخبرنى مع أنه كان يعرف أن قرية قبيه تتعرض لهجوم. لست أدري. هل انه لم يكن في ذلك الوقت يعرف أو يقدر أن حجم الهجوم كان بهذه الضـخامة فاستهان بالأمر . أم أنه اعتقد أن قـائد الكتـيـبـة العاشرة الذي كان مسؤولاً عن منطقة قبيه سيكون قادراً على معالجة الموقف ولا حاجة لتدخلي وتأخيري عن السفر. أم أنه بهذا التصرف كان مهملاً بهذا المستوى الخطير مما دعـاه لعـدم الإكتراث والتـقصير باتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة الموقف. هذا ما سوف اشرحـه بعد قليل عندما اتطرق لتفصيلات التحقيق الذي أجريناه معه ومع الضباط الآخرين بأمر من الحكومة .

بعـد مـغادرتى قيادة اللواء لحقت بقوافل كتيبتي وتابعنا مسيرتنا الى عمان وخرجنا منها قـبل شروق الشـمس في طريقنا الى المفرق. وكان من عادتي في مثل هذه التحركات أن أتوقف في نقاط معينة لكي أراقب حركة مرور القوافل ثم الحق بها واتجاوزها لكي انتظرها في مكان آخـر وهكذا. وعندمـا تجـاوزنا عمان وبينما كنت واقـفـاً على جـانب الطريق العام في منطقة (مـاركا) ارقب سير القوافل مر بي الكولونيل (جيم هتن) مدير هيئة الاركان في قيادة الجيش وكـان في طريقـه إلى المفـرق. فـتـوقف وسألني عن قـوافل الكتيبة فأخبرته أن سرية الطليعة تقترب الآن من المفـرق. وعندئذ قـال لا أظن أنكم سـوف تسـتطيـعون البقاء لفترة التدريب وأخبرنى عن كـارثة قبيه التي وقعت في الليلة الماضية وان القرية قد دمرت على من فيها من السكان. فـقلت له : لكنني قـابلت الزعيم اشتن عند منتصف الليل وودعته بعد خروج قافلتنا من منطقـة القدس ولم يخبرنى عن شيء من هذا. فلم يعلق (هتن) على ما قلته ولكنه أخبرني ان جميع تشكيـلات الجـيش العـربي وضـعت في حـالة الإنذار القـصوى وأن قيادة الفرق تحركت إلى وادي الأردن وهي الآن تعسكر في منطقة الشونة الجنوبية .

كما أبلغني أن كتيبتي بنتيجة هذه التحركات أصبحت مرتبطة بقيادة اللواء الأول التي تتمركز الآن مؤقتاً جنوب قرية كفر أسد. وأنى يجب أن أتحرك رأساً الى قيادة هذا اللواء لحضور قسم الأمر الذي سيعقده قائد اللواء لتنفيذ خطة الطوارىء الجديدة. وعندئذ اتصلت باللاسلكي مع قادة سرايا الكتيبة وامرتهم ان يتوقفوا عند معسكر المفرق لفترة وجيزه لإعطاء جنودهم وجبة الغذاء ثم تتحرك السرايا بنفس الترتيب الذي حضرت به من القدس بسياراتها الى منطقة قرية كفر اسد وينتظروا تلقي تعليمات جديدة مني لاسلكياً أثناء الحركة ثم توجهت بسرعة الى قيادة اللواء الأول .

وبعد إجتماعي مع قائد اللواء الزعيم (جيلتلي) ابلغني انه تقرر تركيز كتيبتي مبدئياً بالدفاع عن قطاع الغور الشمالي الممتد من بلدة العدسيه شمالاً حتى جسر الشيخ حسين جنوباً. واغلاق جميع طرق الاقتراب والمعابر المؤدية من الغرب الى الشرق حيث كان متوقعاً أن تشن اسرائيل هجوماً عاماً على الأردن . ونظراً لإتساع هذا القطاع بالنسبة لقدرة كتيبة مشاه واحدة فقد وضع بإسنادنا كتيبة المدرعات الأولى بقيادة القائد (جيمز لنت) (James Lunt) الذي وصل فيما بعد الى رتبة جنرال في الجيش البريطانى .

وعندئذ عينت مواقع السرايا على الخارطة وابلغت قادتها باللاسلكي أن يتحركوا رأساً إلى هذه المواقع ويباشروا فوراً بحفر الخنادق وتحضير دفاعاتهم حسب الأصول وأنى سأقابل كل قائد سرية في موقعه الجديد. وبهذه الطريقة اختصرت الكثير من الوقت حيث تمكنت جميع سرايا الكتيبة التمركز في مواقعها قبل الساعة العاشرة ليلاً. وبما أننا جميعاً لم نذق طعم النوم منذ يومين ومنذ غادرنا القدس ونحن مسافرون بإستمرار ما عدا بعض فترات توقف قصيرة للإستراحة. وبما أنى اعتقد أن الجندي المرهق لا يكون له فعالية جيدة في المعركة مهما بلغت شجاعته وصبره. فقد أصدرت الأمر لجميع قادة السرايا لكي ينام نصف الجنود والضباط فوراً لمدة أربعة ساعات ثم ينام النصف الآخر بعدهم. وحوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تلقيت برقية عاجلة من قائد الفرقة يطلب مني أن أقابله في قيادته الأمامية بالساعة السابعة صباحاً وأن اتخذ الترتيبات اللازمة لغيابي عن الكتيبة لمدة ثلاثة أيام على الأقل .

وبعد وصولي شرح لي قائد الفرقة الموقف العام والخطة العامة لتشكيلات الفرقة بالنسبة للتطورات الجديدة. ثم ابلغني ان الحكومة شكلت هيئة تحقيق وزارية برئاسة معالي السيد أحمد طوقان وزير المعارف وعضوية معالي السيد شفيق الرشيدات وزير العدلية والقائد صادق الشرع عضواً عسكرياً باللجنة للتحقيق في ملابسات حادثة قبيه. وابلغني أنه يترتب

علي أن أذهب الى قيادة الجيش في عمان واتصل مع هيئة التحقيق لترتيب برنامج عملنا. وبعد ذلك سلمت قيادة الكتيبة الى مساعدي الرئيس معن أبو نوار وذهبت الى عمان. وبعد إجتماعي مع هيئة التحقيق تحركنا سوية الى قرية قبيه حيث أطلعنا على آثار الدمار الرهيب الذي تعرضت له هذه القرية المنكوبة .

وسمعنا وصفاً كاملاً لكيفية سير هذه المعركة من افراد الحرس الوطني وبعض سكان القرية ومشاهداتهم خلال تنفيذ مراحل هذه الجريمة البشعة، ثم ذهبنا الى مدينة رام الله لكي نباشر التحقيق مع جميع المسؤولين واتخذنا مقرنا الثابت في بناية مركز الشرطة هناك. ولا مجال لذكر تفصيلات التحقيق هنا. ولكن بعد ان حققنا مع قائد اللواء الزعيم أشتن وركن اللواء وقائد الكتيبة العاشرة الذي كانت كتيبته مسؤولة عن منطقة قبيه وقائد المقاطعة وعدد من ضباط الشرطة وغيرهم. وجدنا بنتيجة التحقيق ان هنالك إهمالاً واضحاً من قبل عدد من الضباط المسؤولين المباشرين ولا سيما قائد الكتيبة العاشرة وقائد اللواء الذي عندما ذكرته بمقابلتي له عندما كانت المعركة محتدمة ولم يخبرني عنها كما شرحت سابقاً افاد ان المعلومات لم تكن واضحة لديه. ولكننا اعتبرنا ان عذره هذا غير مقبول ولا يعفيه من المسؤولية

وبالنتيجة وضعت هيئة التحقيق قرارها بطلب محاكمة جميع الضباط الذين ثبتت مسؤوليتهم. ولكن قائد الجيش قرر بالنهاية الاستغناء عن خدمات الزعيم أشتن قائد اللواء الثالث ووكيل القائد كامل عبد القادر قائد الكتيبة العاشرة ولا بد لي ولأمانة التاريخ أن أدون هنا نص الحديث الذي دار بيني وبين معالي الأخ المرحوم شفيق ارشيدات أثناء عودتنا الى عمان بالسيارة بعد إنتهاء التحقيق. حيث اخذنا نناقش توصياتنا التي سوف يتضمنها تقريرنا النهائي والتي كانت تدور حول مدى مسؤولية قائد اللواء الزعيم أشتن وغيره من الضباط وقد اتفقنا بالرأي على أنه رغم اقتناعنا بمسؤليته عن الحادث فإننا لسنا مقتنعين تماماً أن الاستغناء عن خدماته وغيره من الضباط سيكون إجراءاً يتناسب مع حجم الكارثة التي هزت جميع طبقات الشعب واصابتها بصدمة عنيفة وخرجت على أثرها المظاهرات العارمه في جميع مدن المملكة وهي تحمل الشعارات التي تندد بالانجليز وبقائد الجيش الفريق كلوب. فعندما تخرج الحكومة بنتيجة التحقيق بهذه القضية بطلب الاستغناء عن خدمات الزعيم أشتن سوف يعتبر الناس موقف الحكومة هزيلاً. وأن هذا الضابط ما هو إلا عبارة عن كبش فداء استخدم الاستغناء عنه لتخفيف نقمة الشعب على الانجليز. ولكننا اتفقنا اننا كهيئة تحقيق لا نملك سوى أن نطلب معاقبة جميع المسؤولين عن هذا الإهمال

الرهيب وهذا هو مـا اوصينا به. وعندئذ تطرقنا الى فكرة أخرى جديدة لكي نحاول تجربتها ولو أنها خارجه عن صلاحيات هيئة التحقيق : وهي ان الاستغناء عن خدمات الفريق كلوب وتنحـيـته عن قيادة الجيش هي العملية التي سيكون لها التأثير الفعال لتخفيف نقمة الشعب التي نتجت عن كارثة قبيه التي يضع الناس اللوم والمسؤولية عن وقوعها على الانجليز وعلى عاتق الفريق كلوب بالدرجة الأولى

ثم اتفـقنا ان نكتب تقـريراً نقترح فـيـه على الحكومـة ان تتـخذ هي مثل هذا القرار لكي تعـرضــه على جلالة الملك. وتعهدت أن أشير بهذا التقرير الى أنى وبحسب خبرتى العسكرية أسـتطيع ان أؤكـد أنه بإمكان الضباط العرب ان يملأوا الفراغات التي ستحدث في الجيش في حـالة الاسـتـغناء عن الفـريق كلوب والضـبـاط الانجليـز. ولكن الأخ شـفيق ارشيدات عاد واخبرنى في اليـوم التـالي انه لم يجد اسـتـعـداداً لدى مـعظم زمـلائه الوزراء للخوض بهذا الموضـوع. ولذلك أصـبح لا فـائدة ترجى من كتابة تقريرنا الخاص وسنكتفي بتقرير هيئة التحقيق بطلب محاكمة الضباط المسؤولين مباشرة عن الإهمال بهذا الحادث .

لقـد أحـببت أن أشير الى هذه الواقعة كما حصلت فعلاً لا لشيء إلا لأنى اعتقد ان كارثة قبيه كانت بداية العد التنازلي لخدمة الفريق كلوب كقائد للجيش العربي ولعلاقة بريطانيا مع الأردن. حـيث أن الرأي العـام الاردنى والعربي حمله المسؤولية الكاملة عن وقوعها ولم يعد من الســهل إيقـاف تيـار السـخط والكراهيـة الذي انتشر ضـده بين طبقات الشعب وقد كنا نلمس هذا بكل وضوح من حجم المظاهرات التي كانت تجوب شوارع المدن الرئيسية وتنادي بسـقـوط كلوب والانجليـز. ومـعنى ذلك أن جميع الناس كانوا يحملونه المسؤولية. ولو أنه انصف نفـســه لاسـتقال آنذاك وانسحب لبلاده بهدوء فأراح واستراح. ولكن في تلك الأيام لم يكن مـتـاحاً لي أن أطلع على السياسة العليا للجيش لكي اتمكن من معرفة أسباب تحمله كل هذه الحملات ضده والتنديد به شخصياً في جميع المناسبات .

إلا أنني بعد مدة ثلاثين سنة من تنحيته اطلعت على كتاب ألفه الجنرال جيمز لنت ويشير فـيـه الى تفسير لهذه المسألة ورد على لسان الفريق كلوب نفسه حول هذا الموضوع. وجيمز لنت هذا كان في ذلك الوقت يخدم في الجيش العربي برتبة مقدم قائداً لكتيبة المدرعات الاولى. وقـد وضـعت كتيبته بإسناد كتيبتي بعد حادثة قبيه. وهو يقول في كتابه عن موقف الفريق كلوب من قضية الاستغناء عن خدمات الزعيم أشتن ما يلي[1] :

---

(١) انظر كتاب سيرة حياة كلوب باشا ـ الصفحتين ١٧٩ ـ ١٨٠ تأليف الجنرال جيمز لنت
Glubb Pasha - A Biography - Pages. 179 - 180 By : General James Lunt.

«وبعـد عـدة سنين قـدم كلوب باشا تفسيراً مقنعاً لقضية طرد الزعيم أشتن على الشكل التـالي من وجـهـة نظر السياسيين فإن الطريق الوحيد للخروج من مسؤولية مجزرة قبيه كـانت تتـمـثل بالقاء المسؤولية على الانجليز. ولهذا فقد قرروا فوراً طرد (تيل اشتن) وكذلك طرد قائد الكتيبة العربي ·

[ملحـوظة . وعلى من اذن تلقى المسـؤوليـة مـا دام ان الانجليز يتولون القيادات الفعلية لجـمـيع وحدات الجيش الكبرى والصغرى وقيادة الجيش بجميع فروعها وعلى رأسها كلوب نفسه. فهل هو يغالط نفسه بهذا التساؤل] ثم يقول كلوب : ولقد كان أمامي ثلاثة خيارات.

١ ـ أن أطيع أمر الحكومة .

٢ ـ ان اسـتـقيل من تلقاء نفسي. وكثير من الناس كانوا سوف يرحبون بهذا لكنهم كانوا يخشـون طردي لئلا تقـوم بريطانيـا بقطع المعـونة الماليـة. اما اذا استقلت من تلقاء نفسي فإن الحكومة البريطانية لا تستطيع لومهم .

٣ ـ كـان يمكن أن أرفض أمـر الحكومـة الاردنيـة وبهذه الحالة سيكونون على حق بأن يطلبوا من الحكومة البريطانية عزلي وعلى أي حال فإن الدعاية كانت دوماً تقول أني لا أخـدم الحكومـة الاردنيـة بل اخـدم الحكومة البريطانية والتي بدون شك تعطيني أوامـر سرية ولهذا فلو رفضت أوامر الحكومة الاردنية فإني سأضع نفسي والحكومة البريطانيـة في الخطأ. ولهذا فإني بحـسب تقـديري لم يكن لدي خـيـار سوى تنفيذ أوامر الحكومة الاردنية .

واضح من هذا الشرح أن الفـريق كلوب كـان مصراً على البقاء في الجيش العربي رغم كل الظروف. وانه كـان يعـتـقـد أن الحكومة الاردنية لا تجرؤ على طرده خوفاً من قطع المعونه الماليـة البريطانيـة ولكنهـا بنفس الوقت كـانت سترحب بإنهاء خدماته فيما لو اعطاها المبرر لذلك. كـرفضه تنفيذ قرار الحكومة بطرد الزعيم أشتن أو لو أنه هو شخصياً قدم استقالته. وانه وافق على طرد الزعـيم أشتن لكي لا يعطي للحكومة هذا المبرر. واظن انه بهذا الموقف لم يكن منصـفـاً بحق نفـسـه. حيث أنه لو استقال بهذه الآونة لكان ذلك أكرم له من أن يطرد بالطريقة التي طرد فيها على أثر حوادث حلف بغداد بعد ذلك بمدة سنتين تقريباً .

سـبق وأشرت الى أن كارثة قبية كانت بداية العد التنازلي بالنسبة لخدمة الفريق كلوب في الجـيش العـربي. وكـذلك بالنسـبة لعلاقة بريطانيا مع الاردن. وهنا أحب أن أذكر ما يقوله الجنرال (جـيـمز لنت) في كتابه المشار اليه بأعلاه عن رأيه في كارثة قبيه وتأثير نتائجها على العـلاقـات الاردنيـة البريطانيـة نظراً لأهميـة هذا الرأي الصادر عن ضابط بريطانى كان في

خدمة الجيش العربي في الوقت الذي وقعت فيه الحادثة. حيث يقول في الصفحة (١٧٧) وبعد ان شرح تفصيلات المعركة كما وردت ووصف نسف البيوت على رؤوس أصحابها (أن هذه المذبحة كانت من نوع وحجم مذبحة دير ياسين ولا شيء في الاردن سيعود كما كان) ثم نجده يقول في الصفحة (١٧٨) ما يلي :

(إن مذبحة قبيه كونت نقطة تحول في العلاقات الانجليزية الاردنية. ولو كان الاسرائيليون قصدوا عمداً تدمير هذه العلاقات فلا يمكنهم أن يخططوا لها أفضل من ذلك) .

ولكنه في هذا المجال أحجم عن الافصاح عن حقيقة مسؤولية الحكومة البريطانية بتقصيرها المتعمد في تسليح وتجهيز وتدريب الجيش العربي منذ تأسيسه وتعمدها ابقاءه بحجم صغير وغير متوازن بحيث لا يستطيع قيادة نفسه بدون استخدام الضباط الانجليز وخصوصاً من ذوي الرتب العليا لأنها لم تدرب أعداداً كافية من الضباط العرب ليحلوا محلهم وبهذا الشكل فإنه لا يستطيع القيام بواجباته بشكل فعال في وجه التهديد الخارجي القادم من اسرائيل وبالنتيجة سيبقى مضطراً للإعتماد على بريطانيا ومعاهدتها بإستمرار. وواضح هنا أن الجنرال (لنت) يقصد من كلامه هذا أن بقاء الفريق كلوب والضباط الانجليز في الجيش العربي قد أصبح مسألة وقت بانتظار توفر الظروف المناسبة التي ستفرض تنحيته عن قيادة الجيش ومعه الضباط الانجليز كما حدث فعلاً بعد سنتين. ولقد كان تحليله هذا مستمداً مما كان يراه من غضبة الشعب الاردنى ضد بريطانيا وكل من يمثلها في البلاد وبالدرجة الاولى الفريق كلوب والضباط الانجليز الذين يعتبرهم الشعب مسؤولين عن وقوع هذه المجزره الرهيبة وما سبقها من كوارث. حيث أنه ما لبثت ان وصلت انباؤها الى الناس حتى خرجت المظاهرات الصاخبة تجوب شوارع المدن في جميع أنحاء البلاد. وقد كانت هذه الجموع الضخمة الغاضبة على اقصى درجات العنف بحيث لم يكن من السهل السيطرة عليها وكلها كانت تندد بشدة بالانجليز وبقائد الجيش الفريق كلوب وضباطه وتتهمهم بالتواطؤ مع اليهود وتطالب بطردهم من الجيش .

وقد أصبح موقف الحكومة الاردنية في غاية الحساسية. حيث أنها من جهة لا تستطيع تجاهل غضبة الشعب على أثر هذه المجزرة البشعة المؤلمه. ومن جهة اخرى فإنها كانت ترى أنها لا تستطيع تحقيق مطالبه باتخاذ إجراءات عنيفة ضد الفريق كلوب والضباط الانجليز في ذلك الوقت وبسرعة وتجاه هذا الموقف الصعب قررت الحكومة الاكتفاء بطرد قائد اللواء الثالث الزعيم (تيل أشتن) واعتبرته مسؤولاً عن هذا الحادث. وكذلك قررت الاستغناء عن خدمات قائد الكتيبة العاشرة الذي كان مسؤولاً عن الدفاع عن المنطقة التي تقع قرية قبيه ضمنها .

وبنفس الوقت صـدرت بعض التصريحات التطمـينيـة عن دولة فوزي باشا الملقي رئيس الوزراء التي نشرت في الصـحف المحلية وقصد منها تهدئة الرأي العام. وقد توقعت الحكومة أن تكون هذه الإجـراءات كـافـيـة لتـهـدئة شعور الناس والتخفيف من غضبتهم ولكن دون جـدوى لأن حـجم الكارثة كـان أكبر بكثير من أن يعـالج بالتصريحات. ومـتـزامناً مع هذه النشـاطات اتخذت الإجـراءات العسكرية اللازمة لمواجهة احتمالات الخطر على الحدود ضمن الامكانيـات المتـاحـة. فـقـد اعلنت حـالة الطوارىء في الجيش العربي وأعيد توزيع تشكيلات الفـرقـة من جـديد وتقـرر تركـيـز لوائين في الضفة الغربية بدل لواء واحد كما كان الترتيب سـابقـاً. وذلك لأن قـيـادة الجيش وجدت أن توزيع لواء واحد فقط على طول خطوط الهدنه سـيـجـعل وحداته موزعة على نقاط متباعدة وستكون مواقعها الدفاعية من مستوى الفئات والحظائر لكي تسـتطيع تغطيـة كامل المنطقة بقواتها المتوفرة. وبالتالي فإنها ستكون ضعيفة في كل مكان ولا يتـمكن قـادة الكتـائب من الاحـتـفـاظ بقوات احتياطية لاستخدامها بالـهجوم المعاكس أو لدعم المواقع المتعرضة للهجوم المعادي .

وعلى هذا الأسـاس تقـرر سـحب اللواء الثـالث بكامله من الضـفـة الغـربيـة الى منطقـة مـعـسكرات (خـو) شرق مـدينة الزرقـاء للتـدريب. ووضـع اللواء الأول مسؤولاً عن منطقة (نابلس - جنين) واللواء الثـانى مـسـؤولاً عن منطقـة (القـدس - الخليل) وبعـد عـودتى الى قـيـادتى في منطقـة الغور الشمالي بعد الانتهاء من أعمال هيئة التحقيق مباشرة تلقيت برقية من قيادة الفرقة تبلغني بنقل كتيبتي الى اللواء الأول بدل الكتيبة العاشرة التي تقرر نقلها مع اللواء الثـالث الى الضـفـة الشرقـيـة وان أتولى الدفاع عن المنطقة الممتده من طريق طولكرم - نابلس حـتى حـدود خط الهدنة الواقـعة شمال مدينة جنين ثم الى الشرق حتى تصل الى نـهر الأردن. وعلي أن اتحـرك لاسـتـلام المواقع الجديدة حالاً، وبعد الاجتماع مع قائد اللواء الأول وضـعت خطة توزيع سرايا الكتـيـبـه بشكل يتناسب مع خطورة الموقف الحـالي. وقد اتبعت اسلوبي السـابق الذي كنت اتبـعـه في منطقة القدس في توزيع نقاط الدفاع والذي كان يعتمد آسـاسـاً على وجـود قـوة احتياطية متحركة سريعة تستطيع الوصول إلى أي مكان يتعرض للاعـتـداء بسرعة كافية. وكانت نظريتي التي بنيت عليها خطتي الدفاعية أنه ما دمنا لسنا في حـالة حـرب فـعلية فإنه بإمكانى ان اعتمد توزيع نقاط مراقبة على المواقع المتقدمة على طول خطوط الهدنة تكون مـهـمـتـهـا مـراقبة مناطق الحدود من جانب اليهود باستمرار وتمرير المعلومـات حـالاً عن كل تحـرك يجري أمامها مهما كان تافهاً. وقد تمكنت من تزويد جميع هذه النقاط بأجهزة لاسلكي لتأمين الاتصال المباشر والمستمر معها. ولكي لا يكون هنالك أي مجال لأي تأخير في وصـول المعلومـات بأقـصى سرعة الى قيادة الكتيبة التي كانت أجهزتها

وجميع مـرتبـاتها تعـمل باستمرار ليلاً ونهاراً بالتناوب ولا لزوم للخوض في تفصيلات هذه الشبكات من أجهزة الاتصـال لكن يكفي أن أشير الى أن المعلومات عن هذه التحركات في أي قطاع من جـبـهة الكتيبة كانت تصلني خلال مدة لا تزيد عن عشرة دقائق أياً كان مصدرها وأينما كنت كما خـصصت قوة احتياط متحركة في قيادة الكتيبة استطيع استخدامها للهجوم المعـاكس ضـد أي قـوة معادية تهاجم أي موقع في جبهة الكتيبة. كما خصصت في قيادة كل سرية قـوة احـتـياط متحركة قوامها حظيرة على الاقل ليتمكن قائد السرية من التدخل بسرعة بأي حـادث ضـمن منطقـتـه ريثما يتـمكن إحـتياطي الكتيبة من الوصول إذا دعت الحاجة لإرساله .

وبعد وضع كافة تفصيلات الخطة وتوزيع مراكز السرايا على الخارطة جمعت قسم الأمر في قـيادة الكتيبه بالساعة السادسة مساءً. وبعد اعطاء كافة الأوامر التفصيلية والتأكد من أن كل قائد وحده قد فهم واجباته بكل وضوح تحركنا بالساعة السابعة مساءً من منطقة الغور الى مـواقـعنا الجـديدة. وبنفس الوقت طلبت من قـائد الكتـيـبـة العـاشرة الذي كان لا يزال مـسـؤولاً عن المنطقـة التي سنسـتلمـهـا ان يبلغ قادة سراياه بأنه حال وصول وحداتنا الى مـواقـعـهـا ان تنسحب وحدات الكتيبة العاشرة منها الى نقاط تجمعها في الخلف بدون تأخير لأنى لا اريد إضـاعـة الوقت في مسألة التسليم والاستلام الروتينية التي لا أرى ضرورة لها في الظرف الحـاضر ولا أريد أن اسـتلم منهم شـيئاً من تعليماتهم وأوامـرهم الثـابتة في تلك المواقع لأنى وضعت تعليماتى الخاصة الشاملة التي تنطبق على الأوضـاع الجديدة .

وحـوالي الساعة الثامنة صباحاً كانت جميع وحدات كتيبتي في مواقعها الأمامية وكنت على اتصـال دائم مع جميع السرايا من قـيـادتى التي وضعتها في مركز شرطة سيلة الظهر. وقد أصـبحت منطقة دفاعنا تمتد من قرية شويكة الواقعة شمال طولكرم وتتجه شمالاً الى مدينة جنين ثم تنحـدر شرقاً حتى قرية فقوعه ثم الى غور الاردن جنوب بيسان. ولقد كان واضحاً أن هذه المنطقـة الواسـعـة فـوق قـدرات كـتـيـبـة مشاه واحده مهما كانت وسائلها للحركه والاسناد. ولذلك قررت أن استخدم كل طاقات الحرس الوطني المتواجده في منطقتي. فعمدت أولاً الى تجـهيز وتعزيز تسليح جميع أفراد الحرس الوطني من سكان قرى الحدود، وزودت كل قـرية بضـابط صف من الكتـيبه ليقود جنود الحرس الوطني في الدفاع عن قريتهم وأن يقـوم بتـدريب افـراد الحـرس أثناء النهـار تدريباً متكاملاً وخصوصاً تدريبهم على الرماية باسلحتهم الفردية ليتقنوها بمستوى جيد .

كما نظمت هذه القرى بمجموعات حسب عدد أفراد الحرس الوطني فيها بحيث تكون كل قريتين أو ثلاثة تشكل سرية واحده وعينت لها ضابطاً يقودها .

وكل مجموعة ثلاث سرايا من حوالي خمسة قرى أو أكثر حسب عدد السكان تعتبر كتيبة. وعينت لها قائداً كذلك. وربطت جميع هذه القيادات باللاسلكي أو الهاتف مع قيادة سرية الكتيبة الثامنة المسؤولة في منطقتها. وبعد ذلك قمت بتجميع ثلاثة كتائب حرس وطني محلية من القرى الخلفية جمعتها للتدريب كل واحدة بمفردها وبشكل دوري. وهكذا أصبح لدي في منطقتي حوالي خمسة كتائب من الحرس الوطني الأمامية والخلفية اعتمدت عليها إعتماداً كبيراً في الدفاع عن المنطقة طيلة وجودي فيها. وقد اثبتت هذه الخطة فعاليتها في الكثير من الحوادث حيث اصبح بمقدوري أن أجمع قوات احتياطية من سرايا الكتيبة الثامنة لمواجهة أي اعتداء يقوم به العدو ضد أي قرية ضمن منطقة مسؤوليتي .

ولقد وقعت حوادث كثيرة خلال هذه المدة ولم يتمكن العدو من الوصول الى أي قرية واحداث تفجير فيها. كما لا أذكر ان العدو حاول الاقتراب من أي قرية وتمكن من العودة سالماً دون أن نكبده الخسائر من القتلى والجرحى التي كانت تتفاوت اعدادها حسب حجم الحادث ونوعه. وقد اختلفت الصورة عندئذ واخذت شكاوي اليهود تصل الى لجنة الهدنة ضدنا كالمعتاد ولكنها بدلاً من أن تشير الى حوادث التسلل أصبحت تقول أن جنود الجيش العربي اطلقوا النار على موقع كذا وأوقعوا الإصابات بين جنودهم وهذا يعتبر خرقاً خطيراً لشروط الهدنة ... الخ .

تصعيد الحوادث على الحدود والمداخلات الدولية :

لقد تسلمت كتيبتي مهمة الدفاع عن منطقة طولكرم ـ جنين كما شرحت سابقاً. وبعد إتمام توزيع وحدات الكتيبة على مواقعها الجديدة بدأت بإنجاز الترتيبات الدفاعية المطلوبة للمنطقة الواقعة ضمن مسؤوليتي بالشكل الذي يضمن منع تكرار مثل مأساة قبيه مستقبلاً. كما اتخذت جميع الإجراءات التي تضمن تمكيني من إيصال قوات الكتيبه الى أي مكان يتعرض للهجوم وبالسرعة اللازمة .

وبهذه الأثناء تلقيت أمراً بالتوجه إلى قيادة الجيش لكي أقوم بتقديم شرح عن الوضع الدفاعي على طول الحدود وعن تفصيلات حادثة قبيه أمام اللجنة السياسية للجامعة العربية التي اجتمعت في عمان لبحث هذا الموضوع بناء على طلب من الحكومة الاردنية. فتحركت حالاً الى عمان وباشرت بتحضير الخرائط اللازمة وكتبت الخطاب الذي سألقيه أمام اللجنة السياسية في اليوم التالي. وقد انهيت هذه الاعمال التحضيرية في المساء. ثم ذهبت لاعرضها على دولة رئيس الوزراء في مكتبه حيث وافق عليها وفي اليوم التالي حضرت إجتماع اللجنة السياسية الذي عقد في مبنى رئاسة الوزراء الذي كان في شارع السلط. (في الموقع الذي

أقيمت عليه بناية البنك المركزي الحالي) وكان الوفد الاردنى برئاسة دولة رئيس الوزراء فوزي باشا الملقي وعضوية معالي وزير الخارجية الدكتور حسين فخري الخالدي .

وبعد انعقاد الجلسة وإجراء بعض المناقشات اقترح فوزي باشا على المجلس ان يسمح لي بعرض شرح كامل عن الوضعية العسكرية على الحدود الاردنية وعن تفصيلات معركة قبيه كما حدثت واقعياً نيابة عن الوفد الاردنى بصفتي مستشاراً عسكرياً للوفد فوافق المجتمعون على هذا الاقتراح. وعندئذ قمت بالقاء خطاب شامل عن توزيعات القوات الاردنية ومقارنة حجمها مع طول الحدود على امتداد خط الهدنة. وابرزت خطورة المسؤولية التي يضطلع بها الجيش الاردنى بقواته المحدوده. ثم قلت ان الغاية من حديثي ليست للتبرير أو إيجاد أعذار لما حدث في قبيه ولكن لكي يكون القادة العرب على علم بحاجات الاردن العسكرية والمادية التي تمكنه من الاضطلاع بمسؤولياته لمواجهة الخطر الدائم على طول خطوط الهدنة التي تبلغ حوالي (٦٥٠) ستمائة وخمسون كيلو متراً .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى شرح تفصيلات مجزرة قبيه كما وقعت فعلاً على ضوء مشاهداتي اثناء زيارتي لها مع هيئة التحقيق والمعلومات التي عرفتها من التحقيقات التي آجريناها مع الضباط المسؤولين في حينها. وخلصت بنتيجة بعد ذلك أنه لابد من تقوية الدفاعات في القرى الامامية وتعزيز قدرات قوات الحرس الوطني. وكذلك ضرورة زيادة حجم قطعات الجيش العربي المتواجدة في الضفة الغربية. وهذا ما قمنا به حالياً ضمن امكانياتنا عندما اعدنا انتشار قواتنا بكاملها مما اضطرنا لالغاء جميع برامج التدريب لهذه القوات وهذا أمر لا يجوز استمراره مدة طويلة

وبعد الانتهاء من خطابي أبدى رؤساء الوفود تعاطفهم مع الأردن واستعدادهم لتقديم المساعدات اللازمة كما أيد المؤتمرون وضع ميثاق الضمان الجماعي موضع التنفيذ ولكن هذه القرارات لم تسفر بالنهاية عن أي شيء عملي من الناحية العسكرية .

وقد كان هذا متوقعاً وأما من الناحية المادية فقد تقرر دفع مبلغ مليون دينار لتقوية الحرس الوطني. ولكن الحكومة الاردنية لم تتلقى بالنهاية سوى جزء منه فقط

أما على الصعيد الدولي فقد اتخذت الحكومة الاردنية الإجراءات الآتية

أ - تقدم الوفد الاردنى في لجنة الهدنة المشتركة بشكوى عاجله وطلب عقد جلسة طارئة لبحث جادثة الاعتداء على قرية قبيه. واجتمعت اللجنة ظهر يوم الخميس ١٥ تشرين أول ١٩٥٣م وعلى الرغم من فظاعة هذا الاعتداء ووضوح مسؤولية اسرائيل عن تنفيذه فإن

قـرار لجنة الهدنة جـاء ضعيفاً وسـخيفاً في آن واحد. حيث أنه بعد شرح حيثيات الاعتداء السـافر الذي قامت به القوات الاسرائيلية ودمرت معظم البيوت في قرية قبيه على رؤوس اصـحـابها وقتلت عدداً هائلاً منهم أطفالاً ونساءً ورجالاً فقد نص قرار لجنة الهدنة على مـا يلي : «تقـرر لجنة الهدنه أنه من المهم جداً ان تقوم السلطات الاسرائيلية باتخاذ اشد الإجـراءات لمنع تكرار هذه الاعتدادات على الاردن ورعاياها». وعلى أي حال فما هي قيمة قـرارات لجنة الهدنة حـتى لو كانت أشد من هذا القرار في مثل هذه الحالات التي لا يفيد فيها سوى ردع المعتدي بقوة السلاح .

ب ـ طلبت الحكومـة الاردنيـة من العـراق تنفـيـذ مـعـاهدة التعاون العسكري المعقودة بين البلدين.

وبهذه الفترة تقـدمت دول التصريح الثـلاثي (امـريكا وبريطانيا وفرنسا) (١) بطلب عقد جلسـة عـاجلة لمجلس الامن الدولي من تلقـاء نفسـهـا وبدون تكليف من الحكومة الاردنية. ورغم ان هذه الدول اسـتنكرت الاعـتـداء الاسرائيلي على قـبيه إلا أن كونها نقلت القضية الى مجلس الامن فإن مـوقـفـهـا هذا يدعو الى الشك والارتياب حيث كانت هذه الدول تستهدف وضع العـالم العـربي أمـام قرار يدعو الفريقين للدخول في مفاوضات مباشرة تؤدي الى عقد الصلح .

لكن الحكومـة الاردنيـة تنبـهت الى هذا المسـعى واجرت اتصالات مع الدول العربية لكي تقـوم هي بتـقـديم الشكوى الى مجلس الأمن الدولي. وقـد ابلغت السفير الاردني في واشنطن ليتخذ الإجراءات اللازمة لتقديم الشكوى عن طريق مندوبي الدول العربية في الجمعية العامة وان تحصر موضوعها في حادث الاعتداء على قرية قبيه فقط .

وقـد اتضـحت خطورة مـبادرة دول التصريح الثلاثي التي كانت تهدف ظاهرياً الى إدانة اسرائيل ولكن باطنياً كانت تهدف الى جر الدول العربية الى مفاوضات الصلح .

وقـد القى بن غـوريون خطاباً أذاعـتـه إذاعـة اسرائيل يوم الإثنين ١٩ تشرين اول عـام ١٩٥٣م وأنكر فيه أن تكون القوات الاسرائيلية النظامية هي التي نفذت هذا الاعتداء. كما أكد أن اسرائيـل لن توافق على أن يعـيش مـواطنوها بدون حماية ولا أن يسـتـمـر المتسللون في اعمالهم دون تدخل الهيئات الدولية أو حلفاء بعض الدول العربية (وهو يقصد بهذا بريطانيا وامـريكا). وها هي هذه الدول ذاتها قـد تقـدمت بطلبـهـا لعـقـد جلسة مجلس الامن بحجة الشكوى ضد اسرائيل لكي تجر الدول العربية الى مفاوضات الصلح .

---

(١) انظر نص التصريح الثلاثي وجواب الدول العربية عليه في الملحق رقم (٣) .

وبنفس الوقت غادر مستشار وزارة الخارجيه الاسرائيلية لحضور جلسات مجلس الامن الدولي وادلى قبيل سفره بتصريحات قال فيها :

(إن الدول العربية خلقت وضعاً يتطلب تدخلاً دولياً وان العالم يجب أن يفهم انه لا يمكن فصل حادثة قبيه عن سلسلة الحوادث العدوانيه المستمرة على حدود اسرائيل ـ ثم قال : ان اسرائيل ستطلب الى الأمم المتحدة إيجاد حل جذري مبني على اسس سلميه للوضع الحالي الذي لا يطاق)

إذن أصبح واضحاً ان اسرائيل سوف تستغل مأساة قبيه التي خلقتها هي وستقلب الأوضاع بحيث تظهر بأنها هي البلد المعرض للاعتداء عليه من قبل المتسللين العرب وليست هي المدانه بارتكابها هذه الجريمة والتي تعتبر أصلاً حلقة من سلسلة الاعتداءات التي خططت لها منذ مدة وشكلت قوة خاصة لتنفيذها اطلقت عليها اسم (الوحدة ـ ١٠١) . وسوف تستمر بتنفيذها بحسب خطتها العامة التي ترمي الى الضغط على الدول العربية لارغامها على الدخول بمفاوضات الصلح بحسب شروط اسرائيل. ومن هنا يتضح مدى الخبث والمكر من وراء الطلب العاجل الذي تقدمت به دول التصريح الثلاثي الى مجلس الامن الدولي لعقد جلسة طارئة لبحث جريمة الاعتداء على قرية قبيه والذي مهدت لقبوله من قبل الدول العربية بإصدارها بعض تصريحات الاستنكار ضد اسرائيل لارتكابها هذه الجريمة ولكن تنبه الدول العربية لهذه المواقف احبط غايتها وبقيت مباحثات مجلس الامن محصورة بموضوع الاعتداء على قرية قبيه فقط دون التطرق الى موضوع مفاوضات الصلح .

ثم استدعى السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة كبير المراقبين الجنرال (بينيكي) الدانماركي الجنسية الى نيويورك حيث قدم الى مجلس الامن الدولي تقريراً مفصلاً عن حادث الاعتداء وفي جلسته التي عقدها يوم الجمعة ٢٠ تشرين ثانى عام ١٩٥٣م. ناقش المجلس مشروع القرار الذي قدمته دول التصريح الثلاثي وطلبت فيه توجيه اللوم الى اسرائيل ووافق المجلس على هذا القرار الا أن الدول العربية رفضته لأنه لم يتضمن إدانة هذا العدوان والطلب من اسرائيل دفع التعويضات عن الخسائر والاضرار التي تعرض لها أهالي قرية قبيه بنتيجة العدوان الاسرائيلي عليها .

وهكذا انتهت هذه القضية في مجلس الامن واسدل الستار على مأساة قبيه بحرب كلامية لا طائل من ورائها سواء كان ذلك على المستوى العربي أو الدولي، ولقد اثبتت الايام فيما بعد ان القرارات والمؤتمرات والتهريج السياسي وتنميق التصاريح الحماسية لا تردع اسرائيل ولن توقفها عند حدها لانها لا تفهم الا منطق القوة حيث استمرت بتنفيذ سلسـ

متواصلة من الاعتداءات المماثلة على القرى الامامية حسب متطلبات خطتها العامة التي أشرت لها سابقاً .

وضمن هذا الإطار استمر الاسرائيليون بتنفيذ هذه الغارات على طول الجبهة الاردنية ثم امتدت بعد فترة الى الجبهتين المصرية والسورية. وكانت الذريعة التي يعلنونها دوما كسبب لقيامهم بهذه الغارات هي انها جاءت انتقاماً للحوادث التي يرتكبها المتسللون العرب بداخل اسرائيل. ولكن الحقيقة هي انهم كانوا سينفذون هذه الاعتداءات سواء كانت هناك حوادث تسلل أو لم تكن لأنها كانت أصلاً عبارة عن حلقات متصله من سلسلة حوادث قرروا تنفيذها ضمن إطار خطتهم العامة. فلو لم تكن هنالك حوادث تسلل لاخترعوا ذريعة اخرى لاعتداءاتهم تلك لأنهم كانوا يهدفون من ورائها الضغط على العرب لجرهم الى مفاوضات الصلح حسب شروطهم .

لقد استرسلت بعض الشيء في الحديث عن حوادث الحدود لكي أضع القارىء في الجو العام الذي كان سائداً في تلك الأيام نظراً لما نتج عنها من عواقب خطيرة وتطورات سياسية هامة شملت المنطقة العربية بأسرها. ولايضاح هذه الصورة يحسن أن أشير الى بعض الحوادث الهامة التي وقعت على الساحة الاردنية خلال تلك الفترة بشكل مجمل مع ذكر مثل آخر شبيه بحادث قبيه لتأكيد طبيعة نوايا اسرائيل فيما يلي :

أ ـ الهجوم على قرية نحالين :

في ليلة ٢٨/ ٢٩ آذار عام ١٩٥٤م إجتازت سريتان من الوحدة الخاصة رقم (١٠١) خط الهدنة وتغلغلت حوالي ثلاثة كيلومترات داخل حدودنا حتى وصلت الى قرية نحالين التي كانت تنوي تدميرها كما فعلت في قرية قبيه قبلها، وعند وصولها حوالي منتصف الليل قامت بتطويقها بقوة سرية ثم دفعت السرية الاخرى الى داخل القرية لتباشر بعمليات نسف المنازل وقتل السكان كالمعتاد ولكنها اصطدمت بقوة الحرس الوطني المدافعه عن القرية وأثناء الاشتباك تكبد اليهود بعض الإصابات ولكنهم مع ذلك تمكنوا من نسف بيتين في طرف القرية وعلى إثر اتصال جندي اللاسلكي المخصص للقرية مع قيادة الكتيبة العسكرية المسئوله عن المنطقة. تحركت قوة النجدة الى نحالين عن طريق قرية حوسان ولكنها اصطدمت بلغم وضعه اليهود على هذا الطريق بالقرب من القرية فانقلبت السيارة وقتل ثلاثة من الجنود وجرح ضابط واربعة جنود آخرين. ولكن رغم هذا فقد تمكنت بقية قوة النجدة من الوصول بالوقت المناسب والاشتباك مع اليهود. وقد استمرت المعركة حوالي ساعة وأجبرتهم على الانسحاب وفشلوا في تحقيق هدفهم بتدمير القرية وتكبدوا بعض الخسائر بالارواح .

ولولا مقاومة افراد الحرس الوطني مدة كافية ووصول قوة النجدة بالوقت المناسب لحدث في نحالين كما حدث في قبيه. هذا وقد كان مجمل الاصابات بالاضافة الى جنود الجيش مقتل خمسة من افراد الحرس الوطني ومقتل إمرأة وجرح اربعة عشر شخصا من السكان وقد ادعى اليهود انهم نفذوا هذا الحادث انتقاماً لاعتداء المتسللين العرب على باص يهودي في مضيق وادي العقارب في منطقة النقب بتاريخ ١٧ آذار عام ١٩٥٤م والذي اسفر عنه مقتل احد عشر شخصاً من ركابه. وكان الوفد اليهودي قد انسحب من لجنة الهدنة على إثر هذا الحادث وقاطع الاجتماعات احتجاجاً على هيئة الامم المتحدة حسب قولهم لانها لم تستطع منع حوادث التسلل وقد كانت حجتهم هذه واهية لأن ادعاءاتهم عن حوادث التسلل كانت أصلاً مبالغ فيها عمداً ويقصد منها خلق الاعذار والتبريرات لما يقومون به هم من اعتداءات مدبره على سكان القرى الامامية ضمن إطار خطتهم العامة لخداع الرأي العام العالمي وإيهامه بأن العرب هم دوماً معتدون ويهددون أمن اسرائيل واستقرارها. وأن ما يقومون به من اعتداءات انما هو دفاع عن النفس. وأما السبب الحقيقي لمقاطعتهم اجتماعات لجنة الهدنة فهو للتملص من مسؤولية الحوادث التي ينوون تنفيذها لأن مراقبي لجنة الهدنة بهذه الحالة لا يستطيعون بحث الشكاوي حيث أن قراراتهم في غياب الوفد اليهودي ستكون من جانب واحد وبالإضافة لذلك فإن الاسرائيليين يستطيعون انكار قيامهم بهذه الحوادث أصلا أو الادعاء بأن الاردنيين هم الذين اعتدوا عليهم واضطروهم للدخول معهم بمعركة او انهم فبركوا هذا الحادث لغايات سياسية .

والهدف في كل هذه الاحوال هو تضليل الرأي العام العالمي باساليب المراوغه المختلفة التي اشتهروا بها لكي ينفذوا اعمالاً اخرى لا يريدون ان يثيروا الرأي العام بها قبل الأوان .

ولقد اسهبت في شرح تفصيلات حادثة نحالين هذه لأنها تنطبق على جميع الحوادث الاخرى التي شملت العديد من القرى الامامية والتي استمر اليهود بتنفيذها بسبب وبدون سبب . كما اردت أن اعطي وصفاً لأسلوب التعامل مع هذه الحوادث من قبل قوات الجيش والحرس الوطني والذي كان تقريباً متشابهاً مع تفاوت النتائج في النجاح والفشل حسب مقتضيات الظروف ولابرز كيفية التعامل مع اليهود ضمن إطار لجنة الهدنة في تلك الأيام. ولأبين عدم جدوى التفكير بإمكانية التوصل معهم الى أي حل لأية قضية مهما صغر حجمها إلا إذا كانت النتائج لصالحهم ومن الطبيعي أن هذا التعامل قد ازداد صعوبة الآن مع تعاظم تفوق اسرائيل العسكري .

ب ـ ولإظهار حجم المشكلة وعمليات التصعيد التي كانت تقوم بها اسرائيل في تلك الآونة كجزء من مخططها لتحقيق اهدافها الاخرى سأذكر هنا بعض الحوادث المهمة التي وقعت خلال عام ١٩٥٤م .

١ ـ بتاريخ ٧ نيسان ـ الهجوم على قرية حوسان

٢ ـ بتاريخ ٩ آيار ـ الهجوم على قرية نعلين

٣ ـ بتاريخ ٢٧ أيار ـ الهجوم على قرية جنبا

٤ ـ بتاريخ ٢٨ حزيران ـ الهجوم على قرية عزون

٥ ـ بتاريخ ١ آب ـ الهجوم على بيوت في طرف مدينة جنين

٦ ـ بتاريخ ١٣ آب ـ الهجوم على قرية بير مذكور

٧ ـ بتاريخ ١ أيلول ـ الهجوم على قرية بيت لقيا

وقد كانت جميع هذه الحوادث متشابهة في طريقة التنفيذ ولكن نتائجها كانت متفاوتة من حيث النجاح والفشل. ومع ذلك فقد أمكن صد القوات الاسرائيلية المعتدية من قبل القوات المتواجدة في القرى من الحرس الوطني والشرطة مع وصول قوة النجدة في الوقت المناسب ولم يتمكن اليهود من النجاح بإحداث تدمير واضرار بالغة كما كانت تهدف خطتهم .

وخلال هذه الفترة من التصعيد في حوادث الحدود كانت اسرائيل تقوم بتنفيذ مشروعها لتحويل مياه نهر الاردن من جنوب بحيرة الحولة الى منطقة النقب لبناء المستوطنات لاسكان عشرات الالوف بل مئات الالوف من المهاجرين اليهود فيها. فقد كانوا يمدون الانابيب الضخمة لجر مياه النهر عبر السهل الساحلي بينما كانوا بنفس الوقت يقومون بتجفيف مستنقعات الحولة لبناء المنشآت اللازمة وتركيب مولدات الكهرباء ومحركات الضخ في تلك المنطقة وقد أكملوا هذا المشروع خلال سنتين من العمل الدءوب وتمكنوا بالنتيجة من تحويل جميع مياه روافد الاردن الى النقب .

وبينما كانت اسرائيل تواصل حملاتها العدوانية على القرى الامامية اخذت تبني قواتها المسلحة على نطاق واسع وبمساعدة دول التصريح الثلاثي العتيدة (وبشكل خاص امريكا وفرنسا) حصلت على كميات ضخمة من الطائرات الحديثة والاسلحة الاخرى ذات الاهمية الاستراتيجية. وكثفت جهودها لبناء قوة جويه متفوقة كمًا ونوعاً على جميع القوات الجوية العربية. كما قامت ببناء اسطولها البحري من قوارب الصواريخ الحديثة والمدمرات والغواصات. وبنفس الوقت بدأت بتنفيذ خطة شامله للتصنيع الحربي لانتاج مختلف انواع

الاسلحة الخفيفة والثقيلة ومنها بعض انواع الدبابات والمدافع والطائرات الحديثة حيث حققت فيما بعد اكتفاءها الذاتي ثم اخذت تبيع كميات من هذه الاسلحة الى مختلف دول العالم .

والأخطر من كل هذا ان اسرائيل تمكنت بمساعدة امريكا وفرنسا من بناء مفاعل نووي ضخم في (ديمونا) بمنطقة النقب بشكل سري واخذت تطوره مع الزمن حتى تمكنت من إنتاج القنابل الذرية واصبح لديها ترسانة كبيرة من هذا السلاح الفتاك .

لذلك رفضت التوقيع على اتفاقية حضر انتشار الاسلحة النووية. كما رفضت التفتيش على مفاعلها النووي من قبل لجنة الطاقة الدولية. وكانت امريكا طيلة الوقت تساند اسرائيل في جميع أعمالها وتصرفاتها رغم خطورتها على السلام العالمي والأمن الدولي ولم تكن اسرائيل لتستطيع انتاج هذه القنبلة لولا حصولها على اليورانيوم والمساعدات العلمية والتقنية من امريكا وفرنسا بشكل أساسي ومن بعض الدول الاخرى مثل السويد التي زودتها بالماء الثقيل الذي يعتبر مادة أساسية في صنع القنبلة الذرية. ولم تكن اسرائيل لتتمكن من النجاح في انتاج القنبلة الذرية لولا المساعدة الفعالة التي قدمتها لها فرنسا بتزويدها بالمفاعلات واليورانيوم المخصب. ومن ثم السماح لها بإجراء تجارب التفجير في صحراء الجزائر اثناء عهد استعمارها .

وهذا بالاضافة الى المساعدات الاخرى التي قدمتها لها حكومة جنوب افريقيا العنصرية التي تعاونت معها علميا وعملياً على نطاق واسع وقدمت لها كافة التسهيلات التي تحتاجها لإجراء مختلف التجارب والاختبارات الأساسية في اراضيها .

وبينما استمر الاسرائيليون في تطبيق مخططهم الشامل على كافة الصعد لم يكن بإمكاننا في الاردن مظاهاتهم في ميدان التسليح نظراً لمحدودية امكانياتنا المادية من جهة ولارتباطنا مع بريطانيا بالمعاهدة واعتمادنا كلياً عليها بالتسليح والتدريب وقيادة الجيش ووحداته من قبل الضباط الانجليز من جهة ثانية. وقد كانت بريطانيا حريصة على أن تبقينا كذلك. ولهذا فإن تزويدها لنا بالسلاح كان محدوداً لأنهم كانوا يسمونه توازن التسلح الذي معناه الظاهري ان حيازة الاطراف المعنية بالصراع للأسلحة يجب أن تكون متعادلة. ولكن معناه الحقيقي والفعلي الذي كانوا يطبقونه هو ان تبقى القدرة القتالية للجيوش العربية مجتمعة أقل من قدرة اسرائيل .

وبنتيجة سياسة الحكومة البريطانية هذه كان اقصى ما تمكن الاردن ان يحصل عليه منها في مطلع عقد الخمسينات من التسليح كان مقتصراً على إعادة تنظيم الوية المشاه بحيث

يصبح لدينا فرقة مشاه واحدة مع اسلحتها الاسنادية التقليديه من المدفعيه والدروع. ولكنها لم تمكنا من بناء قوة جويه من أي حجم ذات قيمة قتالية فعالة .

وقد كان موقف الحكومة البريطانية الرسمي من هذا الموضوع ان الاردن محمي تجاه الخطر الصهيوني من اسرائيل بقوة التصريح الثلاثي الذي اتفقت عليه امريكا وبريطانيا وفرنسا واصدروه بتاريخ ٢٠ مايس عام ١٩٥٠م (انظر الملحق رقم ٣) والذي كان فحواه أن هذه الدول الثلاث تضمن الحفاظ على الحدود القائمة عند صدور هذا التصريح لجميع دول المنطقة (١) ومن الطبيعي ان مثل هذا الكلام تجاه اطماع اسرائيل التوسعية وتفوقها العسكري الذي تحققه لها تلك الدول الثلاثة نفسها بإستمرار سيكون في وقت الجد أوهى من بيت العنكبوت لاسيما ونحن نعرف أن هذه الدول الاستعمارية لا يهمها أن تتطلع الى سلامة البلاد العربية إلا بالمقدار الذي يتفق مع مصالحها ويهيء لها التسهيلات والموارد الطبيعية التي تريدها وتحتاجها في مواجهة الاتحاد السوفياتى. وهي في هذا الاتجاه تعتبر ان اسرائيل اقرب حليف لها. ولا يمكن إذن أن توافق على تمكين الدول العربية من أن تصبح أقوى منها مهما كانت الأسباب. وأكبر دليل على هذا أن هذه الدول نفسها لم تتورع عن غزو مصر بالتحالف مع اسرائيل عام ١٩٥٦م عندما شعرت أن قوة مصر بدأت تتنامى بعدما عقد جمال عبد الناصر اتفاقية استورد بموجبها كميات ضخمة من الاسلحة الروسية الحديثة حيث اعتبرت ان هذا التسلح سيمكن مصر من تهديد اسرائيل في المستقبل. فتآمرت بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل وشنت هجوماً عاماً على مصر. ذلك الهجوم الذي صار يعرف فيما بعد بإسم العدوان الثلاثي .

---

(١) كتاب سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين (الجزء التانى) تأليف الدكتور حسن صبري الخولي .

دراسة الخطة الدفاعية العامة :

بعد الانتهاء من آخر مناوره اشتركت بها على رأس كتيبتي الثامنة مع قيادة الفرقة والاسلحة المساندة تقرر إعادة اللواء الثالث الى الضفة الغربية ونقل اللواء الأول الى منطقة التدريب في (خو) شرق الزرقاء. وقد خصصت الكتيبة الثامنة لاستلام منطقة القدس وهكذا عدنا إلى مواقعنا السابقة التي رحلنا عنها قبل عشرة أشهر تقريباً. وتمركزت الكتيبة الرابعة في منطقة (نابلس ـ جنين) والكتيبة الثانية في منطقة الخليل. بينما تمركزت قيادة اللواء في قرية الرام جنوب شرق رام الله وبعد اتمام هذه الحركات ذهب قائد اللواء الزعيم (باري) بالإجازة الى بريطانيا لمدة شهرين وتقرر تعييني قائداً للواء الثالث بالوكالة (علينا ان نتذكر هنا انه بهذه الأيام كان جميع قادة الألوية ومعظم الكتائب من الضباط الانجليز) وبهذه الاثناء عقدت قيادة الجيش مناوره شكلية لدراسة الخطة العامة للدفاع عن الضفة الغربية في حالة نشوب حرب مع اسرائيل. وقد وضع هذه الخطة العامة الزعيم (هتن) (HATTON) مدير هيئة الاركان في قيادة الجيش. وكانت قيادة الجيش قد أقامت هذه المناورة لكي تتمكن من شرح خطتها الدفاعية الى جلالة الملك على أرض الواقع. وقد تم بناء مخيم خاص قرب بلدة سلفيت أقام فيه الملك اثناء شرح مراحل هذه المناوره من قبل قائد الجيش ومدير هيئة الاركان وقد حضرت هذه المناوره بصفتي قائد اللواء الثالث واشتركت في جميع مراحلها مع قادة الألوية الآخرين وقادة الاسلحة الاسنادية. (المدفعية والهندسة والدروع) لقد كان التركيز اثناء الشرح الذي قدموه لنا عن هذه الخطة الدفاعية منصباً على ابراز النقاط الفنية الرئيسية التي اعتمدت كمرتكزات للخطة. وأهم هذه المرتكزات كانت مسألة موقع الدفاعات الرئيسية التي بنيت الخطة على أساسها وهي المواقع الجبلية المسيطرة. وهذا معناه الانسحاب من العديد من القرى الامامية الواقعة في الاراضي المنخفضة على طول خطوط الهدنة لأنه لا يمكن الدفاع عنها لمدة طويلة أمام هجوم مركز من قوات آلية ومدرعه لأنها تقع في ارض منخفضة ومتباعدة عن بعضها ولا تصلح لتكوين مناطق دفاعية متكاملة بحيث تتمكن القوات المدافعه عنها ان تصمد أمام زحف قوات كبيرة تهدف الى اختراق الجبهة والتقدم لمسافة بعيدة في العمق. ومن هذا المنطلق فإن محاولة الدفاع عن كل شبر من الارض على طول خطوط الهدنة سوف يتطلب توزيع جميع قطعات الجيش الرئيسية على نقاط دفاعية صغيرة لا تكاد تصلح لأكثر من حجاب ساتر ولن يكون بإمكانها الصمود أمام هجوم مركز على أي حال لأنها ستكون ضعيفة في كل مكان .

وبهذا الأسلوب سوف نعطي الفرصة للعدو لاختراق هذه الدفاعات الضعيفة بسهولةٌ لأنه سوف يستطيع تركيز قوة متفوقة أمام أي موقع من هذه المواقع ويتمكن من اختراقه

والتقدم بسرعة في العمق. وعندئذ سوف لا نتمكن من إيقاف زحفه عند أي موقع خلفي لعدم وجـود قـوات احـتـياطية لدينا لشن الهجوم المعاكس أو مواقع دفاعية رئيسية تستطيع منع تقـدمـه وتطوير هجومه على نطاق واسع بهدف احتلال الضفة الغربية بكاملها والوصول الى عمان لأننا بهذه الحـالة نكون قـد خسرنا قطعـات الجـيش سلفاً في المواقع الصغيرة الأمامية التي نشرناها فيها مسبقاً .

بينما لو ركـزنا مواقعنا الدفاعية الرئيسية في المناطق الجبلية المسيطرة على طرق الاقتراب سـوف يكون بالإمكان الصـمـود أمـام زحف القوة المعادية وايقافها ثم صدها. أو على الأقل الاسـتـمرار بمقاتلتها لفترة من الزمن حتى تصلنا قوات اخرى من الجيوش العربية لنجدتنا وعلى أي حـال فإن الأمل في الصـمـود في المواقع الجبلية سيكون أكبر بكثير منه في حالة نشر القـوات على طول خطوط الهدنة لا سـيما وأن أول اهداف الحرب يجب أن يكون تدمير قوات العـدو المسلحة كما هو متعارف عليه. ومن هذا المنطلق فإن الوقوف في الدفاع هو بالضرورة حـالة مـؤقـتـة للتـحول منها الى الهجوم المعاكس بهدف تدمير القوة المعادية وليس البقاء في الدفـاع الى مـالا نهاية وتلقي ضربات العـدو واستنزاف قواتنا بشكل تدريجي ومستمر دون تأثير فـعـال على قواته. وإذا اعتبرنا مدى التفوق بالحجم والتسلح الذي كان يتمتع به العدو علينا سـوف تتـضـح لنا خطورة محاولة نشر قواتنا بأحجام صغيرة على طول خطوط الهدنة والاعـتماد على خط دفـاعي ضـعـيف بدون قـوات احتياطية يمكنها التصدي لأي اختراق قد ينجح العدو بتحقيقه في أية نقطة من الجبهة .

هكذا كـان الايضـاح لمرتكزات الخطة كما شرحوها لنا أثناء هذه المناوره. وقد يحسن هنا أن أبين الخطوط العـريضـة للنظريات التي كـانت تبنى عليـها الخطط الدفاعية في تلك الايام حـيث كـان تصور قائد الجيش وأركان حربه من الضباط الانجليز للعمليات الحربية للجيش العربي يستند على ثلاثة نظريات رئيسية كما يلي .

أولاً : حـرب عـامـة تشنهـا اسرائيل بقصد تدمير الاردن أما بعملية مستقلة موجهة لإحتلال الضـفـة الغـربيـة وامـا كـجـزء من عملية شاملة تتضمن الهجوم على سوريا ومصر والاردن .

ثانيـاً : حـرب استنزاف مرهقة تشنها اسرائيل على طول الحدود تأخذ طابع عمليات انتقامية عـقـابيـة قـاسـيـة ضـد القرى الأمامية ومثل هذه الحرب الثانوية تتفق مع سياسة اسرائيل العـدوانيـة الانتـقـامية التي بدأت بتطبيقها منذ عام ١٩٥٣م، وأوضح مـثال عليها تدمير قرية قبيه .

ثالثاً : حرب عالمية بين الدول الغربية والاتحاد السوفياتى ويتمخض عنها زحف عسكري سوفياتى رئيسي في الشرق الاوسط بهدف الوصول الى قناة السويس ومنابع النفط بمنطقة الخليج العربي. وبهذه الحالة سيتعرض الاردن للهجوم عبر العراق أو سوريا.

النظرية الأولى :

وهي في حالة وقوع حرب عامة تشنها اسرائيل على الاردن والتي نحن بصددها والتي وضعت هذه المناوره لشرح خطتها عملياً أمام جلالة الملك حسين وكانت تعتمد أساساً على المناطق الدفاعية الرئيسية الواقعة على سلسلة الجبال التي تسيطر على محاور الاقتراب الرئيسية في مناطق جنين ـ نابلس ـ رام الله ـ القدس ـ الخليل .

وقد وضعت الخطة العامة للدفاع عن هذه المناطق ضمن هذا المفهوم على ثلاثة مراحل كالآتى :

أ ـ المرحلة الأولى :

الدفاع عن الخط المشار اليه اعلاه في المواقع الرئيسية لأطول مدة ممكنة حسب تطور المعركة وامكانية الاستمرار في الدفاع عن هذا الخط دون أن تتعرض القوة الرئيسية للتدمير من قبل قوات العدو المتفوقة. وعندما يصبح الاستمرار بالدفاع عن هذا الخط مستحيلاً من قبل قوات الجيش العربي وعدم وصول قوات عربية لتعزيزها. تنسحب قوات الجيش العربي المتبقية من هذه المواقع لتقصير الخط الدفاعي وحصر الدفاع في جبال القدس

ب ـ المرحلة الثانية :

بإعتبار ان منطقة القدس هي أهم هدف عسكري استراتيجي لأنها تسيطر على جميع الطرق الرئيسية التي تؤدي الى جميع انحاء فلسطين وهي بنفس الوقت تعتبر آثمن موقع فيها من مختلف النواحي الدينية والقومية والمعنوية فإنه يجب الاحتفاظ بها لأطول مدة ممكنة. وعلى هذا الأساس فسوف تكون هي القاعدة الرئيسية التي تتمركز فيها جميع القوات المنسحبة من منطقة نابلس وجنين في الشمال ومن منطقة الخليل في الجنوب وتأخذ مواقعها الدفاعية في جبال القدس وضمن دائرة تشمل رام الله في الشمال وبيت لحم في الجنوب لكي تغلق جميع طرق الاقتراب المؤدية الى مدينة القدس من الشمال والغرب والجنوب. وبنفس الوقت تحاول الابقاء على طريق المواصلات الرئيسية بين القدس وعمان مفتوحة .

وعند هذه النقطة برزت مشكلة الجسور الواقعة على نهر الاردن واحتمال تدميرها بالقصف الجوي في بداية المعركة. واعتبرت الخطة ان هذا الاحتمال وارد منذ بداية القتال. ولذلك فإنه يجب الاستعداد لبناء جسور مؤقتة بديلة وبسرعة اثناء المعركة. وابتداع وسائل اخرى لنقل مواد التزويد عبر النهر الى الضفة الغربية لضمان الاستمرار بتزويد القوات المقاتلة بحاجاتها رغم كل الصعوبات. وكذلك العمل على تكديس الذخائر الاحتياطية الكافية في المواقع الدفاعية الرئيسية لتمكينها من الاستمرار بالقتال .

ج ـ المرحلة الثالثة :

افترضت الخطة أنه في حالة تعرض خطوطنا الدفاعية في منطقة القدس لخطر الاجتياح وعدم امكانية صمودها في الدفاع مدة أطول أمام هجمات العدو فعندئذ سيتم سحب القوات المدافعة عنها إلى الضفة الشرقية لتأخذ مواقع دفاعية على طول سلسلة الجبال الواقعة شرقي نهر الاردن والتي تسيطر على طرق الاقتراب المؤدية شرقاً من محاور الضفة الغربية لإيقاف تقدم العدو عبر النهر نحو عمان .

النظرية الثانية :

وهذه النظرية لم تعد فرضية احتمالية حيث دخلت مرحلة التنفيذ العملي منذ عام ١٩٥٣م وقد كانت إجراءات مواجهتها تعتمد بشكل أساسي على الخطط الدفاعية الموضعية التي تضعها الكتائب المسؤولة عن الدفاع في الضفة الغربية والتي أصبح الحرس الوطني يشكل عنصراً هاماً فيها للدفاع عن القرى الامامية بقيادة ضباط وضباط صف من الجيش العربي الأردني. وترتبط جميع هذه الوحدات بإمرة قائد الكتيبة المسؤول عن تلك المنطقة والتي تعتبر القوة الأساسية في الدفاع. وواجبها حماية جميع القرى في منطقتها من هذه الاعتداءات.

ولتأمين الدفاع عن الضفة الغربية في مثل هذه الأحوال وحماية القرى الأمامية كانت قيادة الجيش تنشر فيها لواء مشاه في الأحوال العاديه التي تتصف عادة بالهدوء النسبي على طول خطوط الهدنة. وكانت توزع كتائب هذا اللواء على المناطق الثلاث. فتصبح كتيبة مسؤولة عن منطقة نابلس وجنين وكتيبة عن القدس ورام الله وكتيبة عن الخليل وبيت لحم.

وأما في الظروف التي كانت تتصف بالحدة وازدياد الاعتداءات الاسرائيلية على القرى الامامية وخصوصاً بعد حادث قبيه فقد أصبحت الخطة الدفاعية تتطلب نشر لوائين في

الضـفـة الغـربية أحدهما مسؤول عن المنطقة الشمالية (نابلس ـ جنين) والثانى مسؤول عن المنطقـة الوسطى والجنوبيـة (القـدس ـ الخليل) وكـانت قوات الحرس الوطني توضع بأمرة كـتـائب الجـيش النظامـيـة للعـمليـات الحربية والتدريب. ولكنها تبقى مرتبطة بإمرة قيادة الحـرس الوطني العـامة لأغراض الإدارة والتنظيم والاستدعاء للخدمة حسب متطلبات قانون الحرس الوطني .

النظرية الثالثة :

أمـا النظرية الثالثة التي كانت تفترض نشوب حرب عالمية واحتمال تعرض الاردن لهجوم بري سـوفـيـاتى عبر سـوريا أو العـراق فقد كانت الخطة البريطانية الموضوعة لمواجهة هذا الاحتمال وبالتنسيق مع قيادة الجيش العربي بموجب المعاهدة تتطلب الإجراءات الآتية ٠

أولاً تكديس الذخـائر والاسلحـة والمعـدات بمستودعات خاصة في المملكة الاردنية الهاشمية بالكمـيـات اللازمـة لإدامـة فـرقـة مـدرعـه بريطانية في بداية المعركة وتزداد حسب المتطلبـات العـسكرية بحيث يصبح بإمكان الجيش البريطانى أن يرسل جميع الجنود بطريق الجـو الى الاردن ليـتـسلمـوا دباباتهم وذخـائرهم ويشتركـوا رأساً في المعركة خلال مدة ٤٨ سـاعـة. وقـد سـميت عملية التكديس هذه بالاسم الرمزي . انك بوت (INK POT) . وقد تم فعلاً تخزين كميات كبيرة من هذه الذخائر في ذلك الوقت. وبعد رحـيل الانـجليـز عن الأردن بعد الغاء المعاهدة تم تسليم قسمًا كبيراً من هذه الذخائر والمعدات للجيش العربي حسب الاتفاق الذي تم بين الحكومتين حينئذ .

ثانيـاً : توفير المواقع اللازمة المناسبة لبناء بعض القواعد الجوية البريطانية عليها اثناء السلم لتـسـهـيل اسـتعمالها بسرعة اثناء الحرب. وقد تم بناء قاعدة المفرق الجوية على هذا الأساس. كما كانت قيادة القوة الجوية البريطانية تتمركز في مطار عمان العسكري .

ثالثـاً : وضـعت كـتـيبة دبابات بريطانية في العقبة بعد قيام اليهود باحتلال النقب الجنوبي ومنطقة ساحل إيلات عام ١٩٤٩م. وقـد استقدمت هذه الكتيبة المدرعه بناء على طلب الاردن بموجب المعاهدة لحماية تلك المنطقة ووقف اي تقدم محتمل لإحتلال العقبة .

وقـد بقـيت هذه الكتـيـبة معسكرة في العقبة بشكل دائم كجزء من الخطة البريطانية بحـيث تسـتطيع التـحرك للإنضمام لقواتها الرئيسية بسرعة. ويمكن حسب متطلبات المعـركـة وتوفر الامكانيات زيادة حجم هذه الكتيبة عن طريق البحر لكي تصبح لواء مدرع في حالة تطور الخطر .

رابعاً . تقديم التسهيلات اللازمة للقوات البريطانية لإستعمال طرق المواصلات البرية والجوية عبر الأردن في حالة الحرب وحسب المتطلبات الحربية. وكذلك إستعمال ميناء العقبة من قبل القوات البريطانية .

خامساً . تشترك قوات الجيش العربي في المعركة مع القوات البريطانية للدفاع عن الحدود الاردنية. ويمكن إذا اقتضت الضرورة وبموافقة الحكومة الاردنية إرسال قوات الجيش العربي للقتال خارج حدود الاردن في جبال العراق الشمالية .

سادساً . أما في حالة وقوع حرب عامة مع اسرائيل والمشار اليها في بند النظرية الاولى اعلاه. فإن الحكومة البريطانية ملتزمة بموجب المعاهدة ان تشترك في حرب دفاعية عن حدود الاردن. وفي حالة قيام اسرائيل بالهجوم واختراق هذه الحدود. وعندما تطلب الحكومة الاردنية من الحكومة البريطانية تطبيق المعاهدة بإرسال قواتها لنجدة القوات الاردنية .

وقد كانت نصوص المعاهدة هذه تشمل حدود شرقي الاردن فقط. وبمعنى آخر فإن بريطانيا كانت تعتبر انها ليست ملزمة بمساعدة الاردن عسكرياً في الدفاع عن حدود الضفة الغربية فيما لو قامت اسرائيل باجتياحها. وقد تم تعديل هذا البند فيما بعد ليشمل الضفة الغربية في هذا الضمان الوارد في صلب المعاهدة. وعلى أي حال وبصرف النظر عن الموقف الذي يمكن أن تتخذه بريطانيا فإن الخطط الدفاعية التي كانت موضوعة للدفاع عن المملكة الاردنية الهاشمية ضد هجوم عام اسرائيلي سواء كان ذلك أثناء وجود الفريق كلوب أو بعد ذهابه وحتى تاريخ الغاء المعاهدة كانت تتضمن إمكانية اشتراك القوات البريطانية في المعركة خلال مدة ٢٤ ساعة من تاريخ طلب الحكومة الاردنية تطبيق المعاهدة. وهكذا كانت تتضمن تعليمات رئاسة اركان حرب الجيش العربي الحربية رقم (١) لسنة ١٩٥٦م تاريخ ١٠ نيسان عام ١٩٥٦م التي اصدرها مدير هيئة الاركان آنذاك المقدم علي أبو نوار بعد تنحية الفريق كلوب مباشرة .

ولكن هل كانت بريطانيا ستقوم بتنفيذ هذه الالتزامات فعلاً خصوصاً بعد تنحية الفريق كلوب والضباط الانجليز فقد كان هذا في علم الغيب آنذاك. ولو أني شخصياً لا أعتقد انهم كانوا سيحاربون الى جانبنا ضد اليهود. بل العكس كان هو الأقرب للتصديق كما اثبتت الاحداث في حرب السويس التي سوف آتى على شرحها في مكان لاحق .

أما القوات البريطانية التي كانت متواجدة في الاردن باستمرار والتي يمكنها الاشتراك في المعركة خلال مدة ٢٤ ساعة كما ورد بالتعليمات (رقم ١) المشار اليها بأعلاه فتتألف من

الوحـدات الآتيـة. وقد احببت أن أذكرها هنا لأبين أنها ليست تلك القوات الضـخمة التي يعتد بها لتغيير ميزان المعركة

أ ـ القوات الجوية وتتألف من ·

١ سرب من النفاثات المقاتلة القاصفة

١ كتيبة مقاومة الطائرات

ب ـ القوات البرية في العقبة

١ كتيبة دبابات ثقيلة

١ بطارية مقاومة الطائرات

١ فئة مقاومة الدبابات

١ فئة هندسة

١ سرية حراسة

١ مشاغل وخدمات

وقـد كـانت جميع هذه الإجـراءات منبثقة عن بنود المعاهدة الاردنية البريطانية التي كانت سارية المفعول .

اتفاقية الدفاع المشترك :

إن هذه الاتفـاقـيـة غير اتفاقية الدفاع المشترك التي عقدت بين دول الجامعة العربية عام ١٩٥١م. وهـي ايضـاً ليـست بديلة عنهـا. إذ أنها اتفـاقية بادر الى عقدها الرئيس جمال عبد الناصر بين مصر وبعض الدول العـربيـة كـرد على اتفـاقـية حلف بغداد التي بدأت بريطانيا بعـقـدها بين بعض دول الشرق الاوسط غير العربية مبدئياً ثم نجحت بعد ذلك بضم العراق اليها .

ولكي نوضح كيفية تسلسل الإجراءات التي ادت الى عقد هذه الاتفاقية بين الدول العربية التي اشتركت فـيها بمختلف المراحل لابد من الرجوع قليلاً في التاريخ الى عام ١٩٥٢م عندما نجـحت ثورة الجـيش المصري بقـيادة مجموعة الضباط الاحرار وكان من أهم أهدافها إجلاء القـوات البريطانيـة المحـتلة عن أرض مصر. وعندمـا اخـذت السلطات البريطانيـة تماطل في تحـقـيق هذا الهدف القـومي اضطرت حكومـة الثـورة الى القـيام بحركات المقاومة الشعبية المسلحـة ضـد القـواعـد العـسكرية البريطانيـة. كما فرضت بنفس الوقت مقاطعة اقتصادية

وحصارا على منطقة قناة السويس التي تتواجد فيها تلك القواعد ومنعت وصول المواد الغذائية الى القوات البريطانية المرابطة فيها من مصر. كما منعت العمال المصريين من الاستمرار بالعمل في تلك القواعد .

وبنتيجة هذه الضغوط المختلفة اضطرت بريطانيا للإعتراف بأن العالم قد تغير وتطور. وأن الثورة المصرية قد احدثت تغييراً جذرياً في طريقة الحكم وافرزت نظاماً قومياً ثوريا لا تستطيع بريطانيا ان تتعامل معه بنفس الاساليب الاستعمارية التي كانت تتعامل بها مع النظام السابق. وباعتراف بريطانيا بهذه الحقائق كان لا بد لها من الاعتراف بالامانى القومية للشعب المصري. ولذلك فإنها لا تستطيع البقاء على الارض المصرية رغم إرادة الشعب المصري. وقد قدرت بريطانيا انه لا بد لها من إجلاء قواتها العسكرية عن الاراضي المصرية ان عاجلاً أو آجلاً. وقد اتضحت لها حقائق الأمور عندما اتصلت مع رجال الثورة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر فعرفت أنها ستتعامل مع جيل جديد من الضباط الثوريين الذين يضعون مصالح بلدهم وأمتهم فوق كل اعتبار. وأنهم لا يكترثون بأية صعوبة ولا يخشون أي تهديد ولا يلتفتون لأي اغراء في سبيل تحقيق اهدافهم القومية التي ثاروا من أجلها. وعندئذ فقط عرفت الحكومة البريطانية انها يجب ان ترحل عن ارض مصر وان هذا ارحيل يجب أن لا يتأخر كثيراً. ولذلك فإن عليها أن تبدأ بالمفاوضات الجادة مع رجال الثورة بأسرع وقت ممكن على أن تسعى بطبيعة الحال للتوصل الى افضل الشروط التي تضمن مصالحها بقدر الامكان. وبعد أشواط كثيرة من المفاوضات المضنية تم التوصل في النهاية الى عقد اتفاقية الجلاء المشهورة عام ١٩٥٤م التي بموجبها قامت القوات البريطانية بإخلاء جميع قواعدها البرية والبحرية والجوية وسلمتها الى القوات المصرية وتركت فيها العدد القليل المتفق عليه من الفنيين بملابسهم المدنية ليكونوا مسؤولين عن صيانة الاجهزة والمستودعات حسب شروط الاتفاقية. ولكن بريطانيا العجوز رغم أنها تخلت عن قواعدها في منطقة قناة السويس تحت ضغط الظروف فإنها لم تستطع فعلاً ان تتخلى عن افكارها الاستعمارية التقليدية حيث أن ساستها المخضرمين وعلى رأسهم انتونى ايدن لم يستطيعوا ان يفهموا ان عهد امبراطورية بريطانيا العظمى وعصرها الاستعماري قد ولى الى غير رجعه وان عالم اليوم أصبح غير عالم الأمس. وان التعامل بين الدول صغيرها وكبيرها يجب أن يبنى على أسس الاحترام المتبادل والسيادة الوطنية والمصالح المشتركة. وان عهد الاستعمار وأساليب املاء الشروط قد انتهى . ومن منطلق تفكيرهم القديم كانوا يحاولون اختراع أساليب وأسس جديدة تضمن لهم مركز الشريك الممتاز أو السيد المتخفي بلباس الصديق .



المؤلف بجانب جلالة الملك حسين اثناء زيارة الرئيس شكري القوتلي للأردن بعد تعريب قيادة الجيش عام ١٩٥٦م .



المؤلف يقوم بشرح خطة الدفاع عن المملكة أمام جلالة الملك حسين في معسكرات الجيش في (خو) بعد تعريب قيادة الجيش عام ١٩٥٦م .



المؤلف يتسلم وسام الإستحقاق العسكري المصري من الدرجة الأولى من الرئيس جمال عبد الناصر أثناء مباحثات القيادة العربية المشتركة بعد تعريب قيادة الجيش عام ١٩٥٦م .



المؤلف مع اللواء راضي عناب واللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الجيش المصري أثناء التوقيع على اتفاقية الدفاع المشترك عام ١٩٥٦م .

وكما ذكرت سابقاً فقد تفتقت قرائحهم عن اقتراح مشروع تأسيس قيادة مشتركة للدفاع عن الشرق الاوسط يكون مقرها في منطقة القناة وتشترك فيها بريطانيا وفرنسا ومصر وتركيا وأي دولة اخرى من دول المنطقة . وقد رفضت مصر هذا الاقتراح لأنها لا تريد ان تخرج بريطانيا من مصر من الباب لكي تعود اليها من الشباك (كما يقال) .

وبهذه الاثناء بدأت بريطانيا بوضع سيناريو حلف جديد بدل الاقتراح السابق وهو الذي سمي فيما بعد باسم (حلف بغداد) وقد بدأت منظومته باتفاق بين تركيا وباكستان ومن ثم انضمت اليهما العراق. وقد اعتبر جمال عبد الناصر انضمام العراق الى هذا الحلف خروجا عن الاجماع العربي وطعناً للقضية العربية برمتها. ولذلك قاوم هذا الحلف وبذل جهوداً جبارة لإحباطه. ومن الاساليب التي اتبعها لمقاومته كان قيامه بعقد اتفاقية دفاع مشترك بين مصر وكل من المملكة العربية السعودية والجمهورية السورية في شهر تشرين أول عام ١٩٥٥م .

ولنتذكر هنا أن الأردن كان بهذه الفترة يتعرض لضغوط هائلة لكي ينضم الى منظومة حلف بغداد. وكان من جملة هذه الضغوط زيارة رئيس اركان حرب القوات البريطانية الجنرال تمبلر الى عمان تلك الزيارة التي واكبتها ثورة عارمة من المظاهرات الصاخبة والاحتجاجات التي قام بها الشعب الاردنى ضد هذا الحلف الاستعماري الجديد، ولنتذكر كذلك ان الجيش العربي الاردنى كان في ذلك الوقت ما يزال تحت قيادة الفريق كلوب والضباط الانجليز .

وفي هذا الصدد لابد أن أشير الى مبادرة جلالة الملك حسين بإقالة الفريق كلوب والاستغناء عن خدمات جميع الضباط الانجليز على إثر تردي الأوضاع الامنية الداخلية وموقف الاردن السياسي في اعقاب محاولة ضمه الى حلف بغداد وقد تغير موقف الاردن بعد تلك المبادرة مباشرة حيث اصبح ينظر اليه كدولة متحررة من الاستعمار سائرة على الخط العربي الوطني بعد ان كان في نظر الرأي العام العربي لا يملك زمام أمره لأنه واقع تحت سيطرة الانجليز .

وكمحصلة لهذه التطورات المفاجئة أصبح الاردن مؤهلاً للإنضمام الى اتفاقية الدفاع المشترك. وقد رحب الرئيس جمال عبد الناصر باشتراك الاردن عضواً رابعاً بهذه الاتفاقية .

وفي مطلع شهر نيسان عام ١٩٥٦م تقرر إرسال وفد عسكري الى مصر لإجراء المباحثات الاولية بهذا الخصوص. وقد تشكل الوفد برئاسة اللواء راضي باشا عناب رئيس هيئة الاركان وعضوية العقيد الركن صادق الشرع والمقدم الركن علي ابو نوار وقد رحب

المسـؤلون المصريون بوفدنا هذا ترحيباً حاراً واثناء هذه الزيارة استقبلنا الرئيس جمال عبد الناصر في مكتبه ومنحنا اوسمة الاستحقاق العسكري من الدرجة الأولى .

كما اجـتمعنا بطبيعة الحال مع عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة وبحثنا معه الخطوط العـريضـة للاتفـاقية العسكرية التي بحثنا تفصيلاتها بوقت لاحق مع اللواء محمد ابراهيم رئيس هيئة الاركـان وتم التـوقـيع عليـهـا مبدئياً بالأحرف الأولى قبل انتهاء الزيارة تمهيداً لعرضها على الحكومتين. وكان من أهم النقاط الواردة بهذه الاتفاقية ما يلي :

١ ـ توحـيد قيادات الجيوش تحت قيادة واحدة مشـتركة تتكون من ضباط ركن من الجيوش الاربعة

٢ ـ يكون مقر هذه القيادة المشتركة في القاهرة ويكون القائد العام لهذه الجيوش الفريق عبد الحكيم عامر بصفته قائداً عاماً لأكبر جيش من هذه الجيوش المشتركة بالاتفاقية .

٣ ـ يلتـحق ضـابط ركن برتبـة عـالية من ضباط هذه القيادة المشتركة مع قيادة كل جيش كـضـابط ارتبـاط ويكون على اتصـال مـبـاشر مع القـيـادة المشتركة ويحق له الإطلاع والمساهمة بوضع الخطط الحربية حسب متطلباتها .



المؤلف واللواء راضي باشا عناب مع اللواء علي عـامـر قـائد القـيـادة الشرقية في سيناء أثناء مـشـاهدة المناورة التي اقـيـمت لنا في القسيمه اثناء زيارتنا الى مصر لإجراء مباحثات اتفاقية القيادة المشتركة عام ١٩٥٦م .

وقد اتيحت لنا الفرصة أثناء المناسبات المختلفة بهذه الزيارة للتعرف على معظم رجال الثورة المصرية عن كثب. كما تضمن برنامجنا الكثير من المناسبات العامة والزيارات العسكرية ومن أهم هذه الزيارات كانت زيارتنا لإحدى القواعد الجوية الرئيسية بالقرب من القاهرة حيث اجري لنا استعراض للطائرات المقاتلة الميج ١٧ والقاذفة الاليوشن. وقد كانت هذه الاجيال من الطائرات تعتبر في ذلك الوقت من احدث الطائرات في العالم. كما تفقدنا بعض هذه الطائرات على الارض وقدم لنا الفريق محمد صدقي محمود قائد القوات الجوية شرحاً مفصلاً عن امكانيات هذه الطائرات واعدادها من كل نوع ومدى قدرة الطيارين المصريين ومستوى تدريبهم. كما شرح لنا موجزاً عن الخطة الدفاعية الشاملة الموضوعة لحماية الأجواء المصرية سواء كان ذلك بالنسبة لقوات الدفاع الجوي من مختلف انواع الصواريخ والمدافع المضادة أو خطة التصدي التي تستطيع الطائرات المقاتلة والمعترضة القيام بها. وكذلك خطة القوة الضاربة من القاذفات والاسراب اللازمة لحمايتها من المطاردات والمقاتلات في حالة المبادرة من جانبنا بالهجوم الجوي على مطارات العدو وقواعده الجوية .

وبما أن هذه الطائرات كانت من أصل صفقة الاسلحة التي عقدها الرئيس جمال عبد الناصر مع الاتحاد السوفياتى وسلمت الى مصر عن طريق تشيكوسلوفاكيا فقد كانت تعرف بصفقة الاسلحة التشيكية . وقد وصلت منذ مدة قصيرة. وكان التدريب عليها لا يزال غير مكتمل فقد كانوا يحتاجون الى بعض الوقت لاستيعابها .

ولكن على الرغم من كل هذا فإن ما سمعناه من الفريق صدقي محمود كان مطمئناً. وقد خرجنا بانطباع ان مصر اصبحت تمتلك قدرة جوية يعتز بها وأن اسرائيل ستفكر عشر مرات قبل ان تقدم على المبادرة بالهجوم على مصر او أي بلد عربي آخر لأن القوة الجوية المصرية اصبحت بمستوى من المنعه بحيث تستطيع تكبيدها أضراراً ضخمة لا قبل لاسرائيل بتحملها .

وبعد ذلك ذهبنا الى سيناء لزيارة المواقع الدفاعية الأمامية ومكثنا يوماً وليلة في منطقة القسيِّمة واطلعنا على الخطط الدفاعية وتجولنا في مختلف المواقع والتحصينات الهامة التي تمركزت فيها هذه القوات. كما شاهدنا مناورة هامة اقيمت خصيصاً بهذه المناسبة لاطلاعنا على القدرات القتالية للقوات البرية المسؤولة عن الدفاع في تلك المنطقة. كما شاهدنا الرماية الحية التي نفذتها الدبابات التي وصلت الى مصر منذ فترة وجيزة واهمها دبابات (ت ٥٤) وجوزيف ستالين (JS. 100) وهي عبارة عن مدفع محمول مدمر للدبابات (Tank Destroyer) وقد رافقنا بهذه الزيارة اللواء علي علي عامر قائد المنطقة الشرقية المسؤول عن الدفاع عن



المؤلف مع اللواء فؤاد شهاب القائد العام للجيش اللبناني اثناء زيارتنا لتوقي
اتفاقية القيادة العربية المشتركة مع لبنان سنة ١٩٥٦م في بيروت بعد أن وقعناها م
مصر .

منطقة سيناء وقطاع غزة. وتولى شرح الخطة العامة الدفاعية لمنطقته. كما شرح لنا قادة الفرق خططهم كل بحسب ما يخصه من هذه الخطة العامة .

وقد خرجت بانطباع ان هذه المواقع تتوفر فيها القوات والاسلحة اللازمة التي تجعل احتلالها من قبل قوات العدو أمراً في غاية الصعوبة ان لم يكن شبه مستحيل. وان العدو لو حاول اقتحامها سيدفع ثمناً غالياً في مثل هذه العملية بمعدل لا يحتمله. ولذلك فليس من المحتمل ان يقدم على هذه المغامره في وقت قريب .

وبعد انتهاء جولتنا في سيناء تحركنا لزيارة قطاع غزة وبدأ برنامجنا بزيارة لرئيس البلدية السيد رشدي الشوا الذي صحبنا بجولة في المدينة. حيث زرنا بعض المدارس ومخيمات اللاجئين ثم اصطحبنا بعد ذلك اللواء يوسف العجرودي لزيارة المواقع الدفاعية الامامية حول مدينة غزة. ثم تحركنا للإطلاع على الدفاعات حول منطقة العريش ومنها عدنا الى القاهرة. وقد خرجت بانطباع ان في قطاع غزة قوات من الجيش والحرس الوطني ما يكفي للدفاع عنه لفترة قتال معقولة. لكن طوبوغرافية قطاع غزة وكونها ليست جبلية تجعل موقعها الدفاعي مكشوفا الى حد ما. وهي لذلك ستكون معرضة للخطر أكثر من غيرها وخصوصاً وان معظم ساحاتها صالحة لإستعمال الدبابات على نطاق واسع .

لقد كانت هذه الزيارة أول مناسبة يتاح لي فيها الاطلاع على القوات المصرية عن قرب منذ انتهاء حرب عام ١٩٤٨م. حيث كانت لي بعض الاتصالات المحدودة معهم في ذلك الحين. ولكن ما شاهدته خلال هذه الزيارة كان يدل دلالة واضحة على ان القوات المصرية قد تغيرت تغيراً جذرياً منذ تلك الايام السالفة. حيث اصبحت نوعية الجنود أفضل بكثير من السابق. واصبحت القطعات العسكرية بمختلف اسلحتها وتشكيلاتها تتمتع بحيوية قتالية ممتازة. ونوعية الضباط والقادة افضل بكثير من السابق وخصوصاً الضباط الذين كانوا يسمونهم (جيل الثورة) أي الضباط الشباب الذين تلقوا التدريب بعد قيام الثورة في الكليات الحربية وكليات القيادة والاركان في الداخل والخارج لاسيما في الاتحاد السوفياتي. وقد اصبحوا الآن يتسلمون القيادات حتى مستوى قيادات الفرق ووظائف الاركان العليا. وأما جيل القادة المتقدمين بالسن الذين كانوا يتسلمون القيادات العليا مثل قيادة المنطقة الشرقية وبعض القيادات الهامة الأخرى فهم العدد القليل من القادة الاكفاء من الذين استمروا في الخدمة بعد قيام الثورة مثل اللواء محمد ابراهيم واللواء علي علي عامر وغيرهما. وقد كان المظهر العام من كافة الوجوه يدل على أن هذه القوات المسلحة المصرية قد اصبحت قوة مقاتلة حديثة من مستوى رفيع سواء كان ذلك من حيث التدريب والتسليح أو المقدرة القيادية

وقد عدنا بعد هذه الزيارة الى عمان يحدونا الأمل بأن القوات المسلحة المصرية اصبحت تعتبر سنداً قوياً لنا ولجميع البلدان العربية وخصوصاً بلدان المواجهة مع اسرائيل. ولهذا فإن الواجب يقضي أن نسعى لتنمية علاقاتنا مع هذه القوات على مختلف الاصعدة. وان نوحد خططنا وتدريبنا وربما تسليحنا في المستقبل حسب الظروف والامكانيات .

وبعد فترة وجيزة من عودتنا الى عمان ذهبنا الى بيروت لمحاولة اقناع القيادة اللبنانية لكي تنضم الى اتفاقية الدفاع المشترك. ولكن على الرغم من جميع المحاولات التي بذلناها لم تنجح مساعينا بالتوصل الى اتفاقية جوهرية معهم. وقد كان الوفد العسكري اللبنانى الذي تفاوضنا معه برئاسة اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش اللبنانى. وقد كانت وجهة نظره انه إذا انضم الى هذا النوع من التحالفات العسكرية فإنه سوف يعرض سلامة لبنان الى الخطر بسبب التهديد الاسرائيلي. وعندما كنا نحاول ان نشرح له فوائد انضمام الجيش اللبنانى لهذه الاتفاقية من كافة وجوهها لاسيما من حيث تعزيز القدرة الدفاعية عن الاراضي اللبنانية كان يصر على أن مثل هذا الاتفاق سوف يثير اسرائيل ويحفزها على التحرك ضد لبنان وبهذه الحالة لا يستطيع أن يقف في وجهها. وعندما كنا نقول له أنه إذا تحركت اسرائيل ضد لبنان فلن يترك الجيش اللبنانى وحده في مواجهتها بل سيجد ان الجيوش العربية الثلاثة (السوري والاردنى والمصري) تقاتل معه في الدفاع عن ارض لبنان. وعلى أي حال فإن أي تحرك من جانب اسرائيل نحو جنوب لبنان سوف يكون بحد ذاته تهديداً مباشراً وخطيراً لدمشق عبر (البقاع). وأن كون سوريا ستدخل المعركة مباشرة ضد مثل هذا التقدم فهي تقاتل ليس دفاعاً عن لبنان وحده وانما ستدافع عن كيانها هي بدرجة رئيسية. ولكن اذا انضم لبنان الى اتفاقية الدفاع المشترك سوف يصبح بإمكان سوريا ان تضع في جنوب لبنان قوات كبيرة سلفاً للدفاع عنه, الأمر الذي سيكون بحد ذاته عملية ردع للقوات الاسرائيلية. قد تحول دون إقدام اسرائيل على أي نوع من التعرض ضد لبنان. اما اذا لم ينضم لبنان الى هذه الاتفاقية فسوف لن يكون بإمكان سوريا أو الدول العربية الاخرى أن تتدخل إلا بعد وقوع الهجوم الفعلي. وبهذه الحالة سيأتي تدخلها متأخراً. ولكن اللواء فؤاد شهاب بعد كل هذا الشرح رفض مجرد التفكير بالسماح للقوات السورية بدخول لبنان مهما كان حجمها . •

ثم عرضنا عليه ان ينضم لهذه الاتفاقية وان نضع على هذا الأساس خطة دفاعية مشتركة تمركز سوريا بموجبها قوة رئيسية بشكل دائم في القسم السوري من سهل البقاع بحيث تستطيع دخول لبنان الجنوبي والتمركز في المواقع الدفاعية الرئيسية المهيأة مسبقاً عند وقوع التهديد الجدي ضد لبنان من اسرائيل أو في حال وقوع هجوم اسرائيلي ضد آي من دول المواجهة العربية الاخرى. ولكنه رفض هذا الاقتراح كذلك على أساس ان هذا الإجراء

سوف لا يكون عملياً وقد يجر لبنان الى مخاطر هو في غنى عنها. وعلى أي حال فإنه يرى ان ميثاق الجامعة العربية واتفاقية الدفاع المشترك المنبثقة عنها والموقعه عام ١٩٥٠م ستكون كافية لتغطية هذه الاحتمالات ولا يرى موجباً للدخول في اتفاقيات جديدة بين دول المواجهة.

وعندما شرحنا له أهمية الاتفاقية التي نقترحها وخصوصاً في وجه المحاولات التي بدأتها بريطانيا في تكوين حلف بغداد كان موقفه يتلخص في أن لبنان ليس طرفاً فيها. وان لبنان لا ينوي أن ينضم الى ذلك الحلف. وعند هذه النقطة اقترحنا عليه ان ينضم الى اتفاقيتنا على ان يقتصر دوره في هذه المرحلة على ان نقدم له الاسلحة الضرورية لزيادة حجم الجيش اللبناني بحيث يمكنه تشكيل فرقة مشاه ولواء مدرع. فكان جوابه ان امكانياته المالية وعدد سكان لبنان لا تسمح بتوفير مثل هذا الحجم من القوة العسكرية. وأخيراً اقترحنا عليه ان يقوم بتشكيل قوة حرس وطني على غرار ما نظمناه في الاردن ليكون بإمكانه تنظيم الدفاع عن القرى الحدودية في الجنوب لتعزيز قدرة الجيش اللبناني في حالة الحرب. على ان تقدم له جميع ما يلزمه من الاسلحة لمثل هذه القوة وقد رفض اللواء شهاب هذا الاقتراح كذلك. كانت وجهة نظره ان تركيبة الشعب اللبناني لا تسمح بتكوين قوة حرس وطني حيث ستكون هذه العملية بمثابة زرع البذره لقيام حرب أهلية في المستقبل نظراً لعمق الخلافات الطائفية وهو لا يمكنه ان يسمح بوضع مثل هذه الكميات من الاسلحة بأيدي أفراد الشعب المدنيين وقد كان على حق في ذلك رغم أننا لم نستطع تقبل مثل هده النظرية في تلك الأيام .

وقد كان موقف اللواء شهاب منبثقاً عن سياسة الحكومة اللبنانية التي كان يطلعها باستمرار على سير المفاوضات. وبالنتيجة لم نتوصل مع الوفد اللبناني سوى الى الموافقة على دخول القوات السورية عبر لبنان للإشتراك في المعركة بعد قيام اسرائيل بالهجوم بدخولها الاراضي اللبنانية وبدون إشتراك لبنان رسمياً في اتفاقية الدفاع المشترك التي جئنا من أجلها وبمعنى آخر ان تبقى علاقة لبنان محصورة فقط ضمن إطار الجامعة العربية دون الدخول بأي اتفاقيات جديدة مع دول المواجهة .

وعندما انتهت مباحثاتنا لم نكن راضين عن موقف لبنان هذا واعتبرناه نوعاً من الإصرار على التمسك بالنزعه الاقليمية. ولكن ثبت بعد مرور ثلاثين سنة على مباحثاتنا تلك وقيام اسرائيل بإجتياح لبنان مع وجود القوات السورية على اراضيه للدفاع عنها ان فؤاد شهاب كان على حق من وجهة نظر لبنانية محضة. حيث أن وجود هذه القوات السورية على اراضيه لم يستطع منع تقدم القوات الاسرائيلية الى بيروت واحتلالها رغم ان هذا الاحتلال حدث بالتعاون مع القوات اللبنانية المارونية وحزب الكتائب . كما أنه لم يحفز الدول العربية الاخرى لكي تبادر الى ارسال قواتها للقتال دفاعاً عن لبنان في وجه القوات الاسرائيلية

الغـازية، في حين كـانت هذه هي الفـرصـة الذهبية للدول العربية لضرب اسرائيل بفعالية من الخلف وبداخل فلسطين اثناء تورط قـواتها في لبنان وتسـوية الحسـابات مـعـها في ساحة القتال.

فهل كان فؤاد شهاب يتنبأ بما قد يحصل في المستقبل ؟ أم هل كانت لديه الحكمة الكافيه ليعرف مدى تأثير السياسة الدولية على مواقف الدول العربية عن طريق تعميق التفرقه بينها ومدى تخاذل تلك الدول العربية في الدفاع عن اوطانها ؟ هذا ما سنترك الحكم عليه للتاريخ .

وبعـد انتـهـاء زيارتنا الى لبنان سـافـرنا الى دمـشق حيث وضعنا مع القادة السوريين تفـصـيلات التعاون بين الجيشين الاردنى والسوري ضمن إطار اتفاقية الدفاع المشترك ومن أهمهـا السماح بدخـول القـوات السورية الى الأردن للإشتراك في العمليات الحربية من داخل الاراضي الاردنيـة عند الضرورة. وقـد دخلت في وقت لاحق مجمـوعة مدرعه ولواء مشاه كما سيأتى شرحه في مكان لاحق .

واجبات الاركان واعادة التنظيم :

عندمـا تسلمت مـسـؤوليـاتى كـمـدير هيئة الاركان كان يترتب علينا ان نقوم على الفور بوضـع الخطط اللازمـة واتخاذ جميع الترتيبات المناسبة لمواجهة احتمالات نشوب الحرب مع اسرائيل والتي كـانت نذرها واضـحة منذ نهاية العام المنصرم. وكان هذا الموقف يتطلب انجاز الإجراءات الآتية :

أ ـ اعادة تنظيم الجيش وزيادة وحداته المقاتلة ولا سيما الاسلحة الاسنادية بقدر المستطاع

ب ـ تقوية وتدعيم دفاعاتنا على الخطوط الامامية وتوزيع قطعات الجيش بشكل متوازن على الجبهات المختلفة والاستفادة من قوات الحرس الوطني الى اقصى الحدود .

ج ـ الاسراع بتطبـيق اتفـاقـيـات الدفـاع المشترك ووضـعـها موضع التنفيذ ولاسيما بالنسبة لسـوريا حـيث اصـبـحت مـسألة نقل القطعـات المدرعة من سوريا الى الاردن لتكوين احتياطي ضارب لدعم الجبهة الاردنية مسألة ملحة .

وسأكـتـفي هنا بذكر لمحة موجزة عن الإجراءات التي اتخذناها بالنسبة لكل موضوع من هذه المواضـيع قـبل ان انتـقل الى حرب السويس والعدوان الثلاثي كما اصطلح على تسميتها نسبة الى الدول الثلاثة التي نفذتها .

أولاً : اعادة التنظيم وإحداث توسعات في الجيش :

كانت القوة المقاتلة الرئيسية في الجيش العربي تتكون من فرقة مشاه مع اسلحتها الاسنادية التقليدية. ولم تكن هذه القوة كافية لمواجهة هجوم إسرائيلي مركز واسع النطاق على الجبهة الاردنية. وعلى الرغم من معرفتنا بأن الجيوش العربية الشقيقة سوف تخوض الحرب الى جانبنا عند وقوعها إلا أن مسألة زيادة حجم الجيش وتطوير قدراته القتالية وتحسين اسلحته اصبحت أمراً ملحاً لاسيما وانه كان لدينا احتياطي كبير من جنود الحرس الوطني المدربين الذين يمكن الاستفادة منهم في تشكيل القطعات الجديدة. ولكن تطور الاحداث وتسارعها ومحدورية الموارد المالية حالت دون تنفيذ عملية التوسع في الجيش بسرعة ولم نتمكن من اتخاذ القرارات النهائية بهذا الخصوص إلا بعد انتهاء معارك العدوان الثلاثي وسأتجاوز التسلسل الزمني هنا قليلاً لأشير الى ملخص هذه القرارات. حيث عقدنا في قيادة الجيش اجتماعاً عاماً بتاريخ ٣ كانون أول عام ١٩٥٦م اتخذنا خلاله عدداً من القرارات التنظيمية كان من أهمها ما يلي :

أ ـ تشكيل فرقة مشاه ثانية من ثلاثة ألوية على ان يتكامل تشكيلها بموعد اقصاه ٣٠ نيسان عام ١٩٥٧م .

ب ـ تشكيل قيادة فيلق تتولى مسؤولية تنسيق الدفاع عن المملكة .

وبتاريخ ٢٣ كانون أول عام ١٩٥٦م قررنا تنفيذ المرحلة الاولى من القرارات السالفة وهي تشكيل لواء المشاه الرابع من ثلاثة كتائب مشاه وكتيبة مدفعية ميدان وباقي وحدات الاسناد والإدارة على أن يتم تدريبه لغاية تاريخ ١ أيار ١٩٥٧م. ولكننا لم نتمكن فيما بعد من اتمام باقي مراحل تشكيل الفرقة الثانية وقيادة الفيلق. وتوقفت عملية التوسع في الجيش عند هذا الحد

ثانياً : الخطة الدفاعية وتوزيع الوحدات :

١ ـ فيما يتعلق بخطتنا الدفاعية وتوزيع القوات فقد تم تخصيص وحدات الجيش للمناطق المختلفة بموجب الخطة العامة على أن يجري الحشد على ثلاثة مراحل بحسب تطور جدية التهديد بنشوب الحرب من جهة وعلى اعتبار اشتراك الجيوش العربية معنا في القتال عند قيام إسرائيل بالهجوم على الأردن أو في حالة هجومها على احدى الدول العربية الأخرى .

٢ ـ كانت قوات الجيش العربي في تلك الأيام عبارة عن ثلاثة الوية مشاه مع اسلحتها

الاسنادية. تم توزيع لوائين منهـا في المواقع الدفـاعـية على طول خطوط الهدنة. واحتفظ باللواء الثالث بالاحتياط .

٣ ـ كـتـائب الحـرس الوطني المبينه توزيعاتها بهذه الخطة لا تتواجد فعلياً بمواقعها الا عند اتمام التـعـبئة العـامـة. وأمـا في الظروف العـادية فلا يتواجد منها سوى عدد قليل من الكتـائب المحليـة التي تسـتدعى للتدريب بالإضافة الى أفراد كتائب الحدود المتواجدين في قراهم الامامية .

٤ ـ عندمـا نقرأ تفصيلات هذه الخطة الآن نجد أنها غريبة وغير عملية مقارنة بما نراه بهذه الأيام من حـجم القوات وتنوع الاسلحة وهي لذلك تعتبر قديمة وبالية. ولكنني رغم ذلك احـبـبت ان اشير اليـها هنا لأبين ظآلة الامكانيات التي كانت متوفرة لنا مقارنة بخطورة مـوقفنا وضخامة المسؤوليات التي كنا نتحملها في مواجهة العدو الذي كان متفوقاً علينا في كافة الحقول .

ثالثاً : أمـا فـيما يتـعلق بتطبيق اتفاقية الدفاع المشترك فقد كان التنسيق العملي مستمراً منذ بداية دخـولنا في المبـاحثات الأولية واخذنا نكثف جهودنا وننسق جميع إجراءاتنا لكي نجـعل القـيادة العليا المشتركة فعالة وقادرة على قيادة جميع الجيوش العربية التابعة لها بنجـاح في المعـركـة بكفـاءة واقـتـدار عند نشوب الحرب. وكان هدفنا ان نتجنب امكانيـة تكرار المأسـاة التي تعرضنا لها في حرب عام ١٩٤٨م. بسبب التفرقة وعدم وجـود قيادة واحدة فعالة قادرة على التصرف في الميدان بموجب خطة واحدة تستخدم فـيها جميع القوات العربية طبقاً للمبادىء العسكرية الصحيحة. ومن هذا المنطلق كان جميع ضـبـاط وقـادة الجيوش العربية متحمسون لفكرة إنشاء هذه القيادة المشتركة ومـصـمـمون على إنجاحها. وتحت مظلة هذه القيادة المشتركة كان تعاوننا مع القادة السـوريين ناجـحاً وفعالاً من كافة النواحي لا سيما وان جبهتينا متلاصقتين واتصال بلدينا براً جـعل امكانية تحريك قطعاتنا العسكرية وتساندها مع بعضها أكثر سـهولة منها مع القوات المصرية التي يمكننا الاعتماد على مساندتها لنا استراتيجياً في العمليات البرية بالإضـافـة الى توفير الغطاء الجـوي اللازم لنا سـواء كان ذلك في بداية المعركة بهدف كـسب السـيطرة الجـوية أو بالاسناد الجـوي التكتـيكي أثناء احـتدام المعارك البرية. وعلى هذا الاساس وعندما اصبح واضحاً ان وقوع الحرب بات وشيكاً تم عقد اجتماع للقيادة المشتركة في دمشق لبحث امكانية توفير قوة من الجيش السوري لدعم الجـيش الاردنى وتحـريكهـا الى الجبهة الاردنية قبل نشوب القتال. وقد حضرت هذا

الاجـتماع نيـابة عن الجيش الاردني. وحضره الزعيم محمد حافظ اسماعيل نيابة عن القـيادة المشتركة ومندوباً عن الفريق عبد الحكيم عامر بنفس الوقت. كما مثل الجيش السـوري اللواء توفيق نظام الدين رئيس الاركان. وبنتيجة هذا الاجتماع تقرر ارسال مجمـوعة قتال سورية الى الاردن مكونة من لواء مشاه مع اسلحته الاسنادية المعتادة وكتيبة دبابات (ت ٣٤) روسية الصنع. وعين العقيد الركن المجاز سهيل العشي قائدا لهذه القـوة كما عين المقـدم الركن احمد عبد الكريم اركان حرب لها وعندما غادرت قـاعـة الاجتماع بالساعة الثالثة صباحاً في طريقي الى المطار كانت ارتال هذه القوة قد بدأت حـركـتـهـا على طريق دمـشق ـ عمان ـ وقـد وضـعنا قيادتها في معسكر اربد وتوزعت كـتـائبـهـا بين اربد والاغـوار الشماليـة تمهيداً لنقلها الى مواقعها القتالية في الجـبهة التي غالباً ما ستكون في منطقة نابلس. ولكن هذا القرار لم يكن قد تم اتخاذه بعد. واما كتيبة الدبابات فقد وضعناها مبدئياً في منطقة (خو) شرق الزرقاء .

وهنا سـوف أنهي هذا الفصل من وقائع الاحداث خلال هذه المرحلة وسأنتقل الى أحداث حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م .

الفصل الخامس
حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م

١ ـ التطورات التي أدت إلى نشوب الحرب :

لكي نستطيع ايضاح التطورات التي أدت إلى نشوب هذه الحرب يترتب علينا أولاً أن نستعرض مدى تطابق مصالح الدول الثلاثة التي قامت بهذا العدوان الغاشم ضد مصر والأمة العربية وهي بريطانيا وفرنسا واسرائيل. ونبين كيفية تقدير كل دولة من هذه الدول للفوائد والأهداف التي تريد تحقيقها من هذه الحرب العدوانية والتي تحدت فيها الرأي العام العالمي.

أولاً : بريطانيا

منذ أن عقدت بريطانيا اتفاقية الجلاء مع حكومة الثورة المصرية والتي فقدت بنتيجتها أهم قاعدة لها في المنطقة. وهي تحاول ايجاد الحل البديل الذي تستطيع بواسطته الابقاء على نفوذها في المنطقة. لا سيما وأنها خسرت الكثير من مصالحها النفطية لصالح أمريكا بعد ثورة مصدق في ايران عام ١٩٥٢م. التي أسفرت عن تأميم النفط وهروب الشاه من إيران فتدخلت أمريكا واعادت الشاه إلى عرشه بعد قمع الثورة.

وبعد ذلك تقدمت بريطانيا بعدة اقتراحات لمشاريع الأحلاف الدفاعية التي حاولت أن تضم إليها دول المنطقة بما فيها مصر والدول العربية المحيطة باسرائيل. وكان هدفها الرئيسي الابقاء على مصالحها النفطية وممراتها البحرية وأهمها قناة السويس. ولما فشلت آخر محاولاتها في مشروع حلف بغداد حيث لم تتمكن من إقناع أي من الدول العربية بالانضمام إليه سوى العراق وعندما بدأ جمال عبد الناصر بشن حملاته الفعالة ضد هذا الحلف شعرت بريطانيا بوجود خطر حقيقي يهدد مصالحها واعتبرت أن الرئيس جمال عبد الناصر هو عدوها الأول.

وعندما تجاوز نشاط عبد الناصر ضد الاحلاف الاستعمارية حدود الدعاية وبدأ بتنفيذ خطته المضادة عملياً بعقد اتفاقيات الدفاع المشترك بين مصر والسعودية وسوريا في تشرين ثانى عام ١٩٥٥م وتبعتهما الأردن بالانضمام لهذه الاتفاقية عام ١٩٥٦م شعرت بريطانيا

بالتهديد المباشر ضد مصالحها النفطية والسياسية في المنطقة. لا سيما وإن عبد الناصر بتبنيه الدعوة للوحدة العربية ومحاربة الاستعمار وتحرير الأمة العربية من النفوذ الأجنبي أخذ يبرز بسرعة كزعيم عربي وعالمي يستطيع تحريك الرأي العام العربي بدعوته هذه بالشكل الذي يريده دون معارضة تذكر.

وعندما سحب وزير خارجية أمريكا وعدها بتقديم المعونة المالية لتمويل بناء السد العالي في تموز عام ١٩٥٦م واضطر عبد الناصر إلى تأميم قناة السويس شعر رئيس وزراء بريطانيا أنتوني ايدن بأنه يجب أن يحتل قناة السويس بالقوة لكي يحافظ على سيطرة بريطانيا على هذا الممر المائي الحيوي من جهة ولكي يدمر نظام جمال عبد الناصر وما يمثله من اتجاهات قومية بنفس الوقت. وقد اثبتت الأحداث خطل سياسة ايدن هذه كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

ثانياً : فرنسا

لقد كانت فرنسا في ذلك الوقت تخوض حرب ابادة ضد الشعب الجزائري منذ مدة طويلة دون أن تستطيع قمع ثورة الجزائر الباسلة رغم سقوط مئات الآف الشهداء من السكان المدنيين الذين كانت تحصدهم أسلحة الفتك الفرنسية بلا رحمة ولا هوادة، ورغم ذلك فقد صمد الشعب الجزائري البطل واستمر بثورته يقارع قوى الاستعمار في كل مكان غير آبه بحجم الخسائر والدمار. وقد كانت فرنسا هي الأخرى ناقمة على جمال عبد الناصر لأنه كان يدعم الثورة الجزائرية في شتى الأساليب ويمدها بالأسلحة المختلفة بأقصى ما يستطيع واصبح الفرنسيون يعتقدون أنهم إذا تمكنوا من ازاحة عبد الناصر من الطريق فإنهم سوف يستطيعون القضاء على الثورة الجزائرية بسرعة وقد غاب عن ذهنهم أن الشعب الجزائري المناضل عاقد العزم على طرد المستعمرين من دياره مهما بلغت التضحيات. وإن ارادته هذه ليست مرتبطة بشخص زعيم واحد سواء كان عبد الناصر أو غيره. وإن ما كان يقوم به جمال عبد الناصر ما هو إلا عامل مساعد يسهل على الثورة سبل النجاح. وفوق هذا فهو واجب قومي كان جمال عبد الناصر يشعر أنه ملزم بتقديمه للجزائر مهما كلفه ذلك من جهد وتضحيات حتى لو كلفه ذلك مركزه أو حياته ذاتها. وأنى لفرنسا أن تنجح بالقضاء على ثورة يقوم بها شعب مكافح جسور كشعب الجزائر وأنى لفرنسا أن تستطيع ارغام زعيم عربي شريف كبير كعبد الناصر على تغيير مواقفه القومية والتخلف عن مساندة الشعوب العربية المناضلة ضد الاستعمار. لكنها طريقة المستعمرين واسلوب تفكيرهم، وقد التقت مصالح فرنسا مع مصالح بريطانيا عند هذه النقطة. وكلاهما اعتبرت جمال عبد الناصر

عدوها الأول ويجب القضاء عليه وعلى نظامه بأي ثمن حتى لو كلفها ذلك أن تغامر بحرب قذرة مثل حربها العدوانية التآمرية هذه التي بدأت تخطط لها سراً كما سيأتى شرحه.

ثالثاً: اسرائيل

منذ أن قام جمال عبد الناصر بكسر احتكار السلاح وعقد صفقة الأسلحة الروسية الحديثة بدأت اسرائيل تخشى من ميل ميزان القوى لصالح مصر ولكي تستطيع تعديل هذه المسألة لصالحها لا بد من الحصول على المزيد من الأسلحة المتطورة من الدول الغربية ولا سيما فرنسا التي أخذت تزودها بكميات ضخمة من الطائرات المتطورة والدبابات وخلافها بسرعة قياسية لم يسبق لها مثيل وعندما قام عبد الناصر بعقد اتفاقيات الدفاع المشترك مع الدول العربية رأت اسرائيل بهذه الدعوة خطراً يهدد كيانها إن عاجلاً أم آجلاً. ولذلك قررت شن حرب وقائية ضد مصر حالما تكون جاهزة لذلك وبالسرعة الممكنة. ولكي تضمن النجاح الذي تتوخاه بأقل ما يمكن من الخسائر والأضرار أصبح واضحاً لديها أنه يترتب عليها أن تتعاون مع فرنسا وبريطانيا في عملية الهجوم على مصر حيث التقت مصالحها مع مصالح هاتين الدولتين للاسراع بالقضاء على نظام جمال عبد الناصر واجهاض عملية التعاون العربي التي أخذت بوادرها تثبت وجودها في الميدان . وقد توخت أن تتم هذه الحرب قبل أن تتمكن القوات المصرية من استيعاب الأسلحة الحديثة التي حصلت عليها مؤخراً.

٢ ـ تسلسل سيناريو الأحداث :

والآن وبعد أن شرحت كيفية التقاء مصالح دول العدوان الثلاثي بهذه المؤامرة الاستعمارية لا بد أن نتابع تسلسل الاجراءات التي قامت بها هذه الدول منذ البداية والتي أدت بالتالي إلى تنفيذ عملية الغزو حيث أصبح واضحاً أنهم جميعاً قد عقدوا العزم على القيام بعمل عسكري ضد مصر والعالم العربي ولكنهم كانوا يسعون لإيجاد الأسباب وخلق الذرائع المناسبة لكي يتخذوها حجة لتنفيذ خطتهم بشن الحرب.

فلنتابع اذن تسلسل هذه الاحداث والذرائع فيما يلي:

أولاً : لنبدأ من نقطة التحول الكبرى بالنسبة لبريطانيا عندما نجح جمال عبد الناصر باخراج القوات البريطانية من منطقة القناة بموجب الاتفاقية التي عقدها معهم عام ١٩٥٤م والتي جاءت نتيجة للعمليات الفدائية التي نفذها الشعب المصري ضد القواعد البريطانية طيلة سنتين فرض خلالهما على تلك القوات حالة الحصار التام تقريباً مما

ألزم الحكومة البريطانية أن تدخل في مفاوضات الجلاء مع حكومة الثورة والتي كانت نيتجتها انسحاب القوات البريطانية نهائياً من أرض مصر بعد سبعين سنة من الاحتلال وبعد ذلك بدأ عبد الناصر بتطوير قواته المسلحة واعطى هذه المسألة الأولوية الأولى في موازنة الدولة. وقد حاول في بادىء الأمر أن يحصل على حاجته من الأسلحة الحديثة من الدول الغربية ولكنه لم ينجح بالحصول على شيء إلا النزر اليسير من الأسلحة العادية التي لا قيمة لها رغم المحاولات المتكررة التي بذلها في هذا السبيل. ولكنه بعد أن فقد الأمل من هذه الدول أخذ يسعى للحصول على الأسلحة الحديثة من جهات أخرى وفي مؤتمر باندونغ الذي عقد في نيسان عام ١٩٥٥م أشار (شو إن لاي) رئيس وزراء الصين على عبد الناصر بأن السوفيات قد يكونوا على استعداد للاستجابة فوراً لأي طلب منه يتعلق بالتسليح. وهكذا وبعد عودة عبد الناصر إلى القاهرة وبنتيجة الاتصالات السرية استطاع السفير السوفياتى (دانيال سولود) أن يُعدَّ مع عبد الناصر صفقة الأسلحة الروسية التي أعلن عنها رسمياً بتاريخ ٢٧ أيلول عام ١٩٥٥م. ونجح عبد الناصر بكسر احتكار الغرب للسلاح وأصبح لأول مرة مستقلاً عسكرياً عن الغرب ويستطيع الحصول على أية كميات من الأسلحة يحتاجها وبتسهيلات للدفع طويلة الأجل. وقد أثارت هذه العملية حفيظة الدول الغربية واسرائيل ضد عبد الناصر لأنها بحسب رأيهم قد أخلت بميزان التسلح لصالح العرب ضد اسرائيل. وقد نسيت اسرائيل وحليفاتها من الدول الغربية أنها هربت كميات ضخمة من الأسلحة عام ١٩٤٨م وخلال فترة الهدنة عن طريق الدول الشرقية وإن تشيكوسلوفاكيا نفسها كانت المزود الرئيسي لإسرائل بهذه الأسلحة. ولم تتفضل الدول الغربية عندئذ وتقول أن ميزان التسلح قد مال لصالح اسرائيل ضد العرب كما أنها لم تحرك ساكناً عندما قتل اليهود الوسيط الدولي الكونت برنادوت في وسط مدينة القدس عندما أراد أن يقول الحق ويوصي بشيء بسيط من العدالة للعرب في فلسطين، فلماذا إذن كل هذا الصراخ الآن على صفقة الأسلحة هذه التي عقدها عبد الناصر لكي يتمكن من حماية حدوده من العدوان الإسرائيلي والاستعماري. ولكن يجب أن لا نستغرب ذلك كله لأن هذه هي أساليب دول الاستعمار التي دجنتها الصهيونية واستخدمتها لتنفيذ مخططاتها في بلاد العرب. وفي هذا المجال يجب أن نستذكر دوماً أن الرئيس الأمريكي هاري ترومان برر اعتراف أمريكا بدولة اسرائيل عام ١٩٤٨م حتى قبل اعلان قيامها رسمياً بقوله (علي أن اتجاوب مع رغبات مئات الألوف من المواطنين الأمريكيين الذين ينتظرون نجاح الصهيونية فليس بين الناخبين مئات الآلاف من العرب).

وعلى أي حـال فإن صـفـقـة الأسلحـة الروسـية قد رفعت معنويات الشعب المصري وباقي الشـعـوب العربية قاطبة. وعلى أثرها أخذ نجم عبد الناصر يتألق كزعيم عربي وعالمي له مكانته المرموقة والفعالة في المجتمعات العربية والدولية.

ثانياً : في عام ١٩٥٥م. بدأت عـملية التمحور العربي عندما عقد جمال عبد الناصر في تشرين الثـاني من ذلك العـام اتفـاقية الدفاع المشترك مع كل من السعودية وسوريا واليمن. وعلى أثر ذلك قـامت بريطانيـا بتأسـيس حلف بغـداد الذي أسـهم بتكريس التمحور العربي بين مجموعات الدول المتحررة من الأحلاف من جهة وبين الدول التي انضمت إلى حلف بغداد أو التي في طريقها إليه من جهة ثانية.

وقـد جـاء التـشـجيع لفكرة انشاء حلف بغداد أصلاً من شركات النفط حيث كان لها أعوان أقوياء في وزراة الخارجية البريطانية وقد أخذ هؤلاء يحذرون من خطر التغلغل الشيوعي في المنطقة ويضربون مثالاً على تخوفهم هذا بحركة الدكتور مصدق في ايران وقيامه بتأميم النفط عام ١٩٥٢م عندمـا احجمت بريطانيا عن التدخل فيها خوفا من تدخل روسيا في شمال إيران.

ثالثاً : وبهذا الشكل دخلت المنطقـة في مـرحلة صراع النفـوذ بين بريطانيـا ومصر. فـعندمـا وصلت أول شـحنة من الأسلحـة الروسـية إلى مصر قامت بريطانيا بمحاولة الايقاع بين سلطان مـسـقط وبين السـعـودية حـيث قـامت بمـسـاندة سلطان مـسقط ضد السـعـودية في قضية واحة البريمي التي كانت مطروحة أمام محكمة العدل الدولية في جنيف وذلك عـقـاباً للسـعودية لأنها انضمت إلى مصر باتفاقية الدفاع المشترك وبعد شـهـر قـام جـيش سلطان مـسـقط (الذي يقوده ضباط بريطانيون) باحتلال واحة البريمي التي تسيطر على طرق المواصلات في المناطق الجنوبية الشرقية من السعودية. وهكذا أوقـعت بريطانيـا الفـتنة بين الأشـقـاء العـرب بأسلوب الوقيعة المدبرة سلفاً. وبنفس الوقت قـامت الطائرات البريطانيـة بقـصف القبائل في المناطق الداخلية لمحمية عـدن على بعـد خمسمائة مـيل إلى الداخل للايقـاع بين هذه القـبـائل والسعودية على أساس أن طائراتها هي التي قصفت تلك القبائل. وهكذا فقد بدأت بريطانيا باستعمال القـوة العسكرية في تنفيذ سياساتها في المنطقة قبل أن تخترع حججها الجديدة للتدخل عسكرياً في منطقة قناة السويس كما سيأتي شرحه.

رابعاً: وفي شهر كانون أول من عام ١٩٥٥م قامت بريطانيا بإرسال مبعوثها الجنرال تمبلر للضـغط على الأردن لكي ينضم إلى حلف بغـداد ولكنه فشل في مهمته وفي أعقابها قام

جلالة الملك حسين باعفاء الفريق كلوب والضابط الانجليزي من الخدمة في الجيش العربي. ثم تبع ذلك انضمام الأردن إلى اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر وبذلك أصبح الأردن خارج متناول بريطانيا عملياً على الرغم من وجود مطارين فيه ما زالا في تلك الاثناء بيد القوات البريطانية وعلى الرغم من أن المعاهدة الأردنية البريطانية ما زالت قائمة. ولكن الرئيس عبد الناصر كان قد أبلغ الأردن استعداده لتأمين دفع قيمة المعونة البريطانية إذا قامت الحكومة الأردنية بالغاء المعاهدة وتصفية ما تبقى من الوجود البريطانى في الأردن.

هكذا كانت الأوضاع السائدة في العالم العربي بشكل عام عند حلول شهر أيلول عام ١٩٥٦م.

خامساً: كانت مصر قد دخلت بمفاوضات مع أمريكا وبريطانيا والبنك الدولي للحصول على قروض مناسبة لتمويل مشروع بناء السد العالي الذي قدرت تكاليفه بحوالي ألف مليون دولار تدفع خلال مدة عشر سنوات وهي المدة المقدرة لتنفيذ المشروع. وقد استغرقت المباحثات مع هذه الأطراف المعنية مدة طويلة على الرغم من أن الروس كانوا بهذه الاثناء قد عرضوا على عبد الناصر استعدادهم للمساهمة في تمويل المشروع ولكنه على ما يظهر آثر ارجاء قبول هذا العرض لأنه استمر في مباحثاته مع البنك الدولي والأمريكيين. ورغم ذلك وبعد كل هذه المباحثات المضنية قرر الأمريكيون سحب عرضهم بالمساهمة بالمشروع وبدون سبب معقول سوى أنهم غضبوا من قيام عبد الناصر بشراء الأسلحة الروسية مع أنهم يعرفون جيداً أنه توجه إليهم أولاً بطلب شراء الأسلحة الامريكية ولكنهم رفضوا تلبية حاجته فكان مضطراً لشرائها من أي جهة أخرى لكي يستطيع تطوير قواته المسلحة لحماية بلده من الهجمات الاسرائيلية المتكررة والتي أخذت تتنامى بشكل ينذر بالخطر. وعلى أي حال فقد قام المستر (جون فوستر دالس) وزير خارجية أمريكا باستدعاء السفير المصري لدى واشنطن السيد أحمد حسين يوم الخميس ١٩ تموز عام ١٩٥٦م وسلمه مذكرة تشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قررت سحب عرضها بالمساهمة بمبلغ ٥٦ مليون دولار في مشروع بناء السد العالي.

وفي صباح اليوم التالي قام وكيل وزارة الخارجية البريطانية بإبلاغ السفير المصري في لندن بقرار الحكومة البريطانية بسحب عرضها لتقديم ١٥ مليون دولار للمساهمة في تمويل مشروع السد العالي. وبنفس اليوم أعلن رئيس البنك الدولي السيد يوجين بلاك أنه نظراً

لقـرار الولايات المتـحـدة الأمريكية وبريطانيا بسحب عرضيهما للمساهمة في تمويل مشروع السـد العالي فإن البنك الدولي لا يستطيع اقراض مصر مبلغ ٢٠٠ مليـون دولار التي كان قد وعـدها به قـبل اسـبـوع واحـد فـقط من صدور تلك الاعلانات. وفي معرض تبريره لموقف الـولايات المتـحـدة هذا قـال المستر دالس إن السـبب يعـود إلى أن مصر لم توافق على بعض التـعديلات في خطة السد وإن لديه شكوكاً حول مقدرة مصر على تدبير مبلغ سبعمائة مليون دولار التي هي حصتها من مجمل التكاليف.

ومن الواضح أن هذه التبريرات مـا هي إلا حجج واهية. ولكن السبب الحقيقي هو غضب دالس من حصول مصر على الأسلحة الروسية لأنه كان يرى أن روسيا قد دخلت إلى المنطقة على نطاق واسع بسـبب توقـيع هذه الاتفـاقية ولذلك فإنه يجب أن يقاوم أية إمكانية لتواجد السوفيات في أي منطقة من الشرق الأوسط.

وبعـد هذه الاجـراءات لم يبق أمام جمال عبد الناصر سوى الاتصال مع الروس والموافقة على عـرضـهم السـابق. وعلى هذا الأسـاس أعلن وزير خـارجـية الاتحاد السوفياتي المستر شيبيلوف بتاريخ ٢١ تموز أنه يسر حكومـة الاتحـاد السوفياتي أن تقدم أية مساعدة لمصر بأي طريقة تستطيع. ولكنه لم يشر صراحة إلى مشروع السد العالي.

وبهذه المرحلة قـرر جمال عبد الناصر أن تعتمد مصر على مواردها الذاتية بشكل أساسي. ومن أهم هذه الموارد دخل قناة السـويس الذي كـان يذهب حـتى ذلك التاريخ لصالح الدول الأجنبـيـة وخـصـوصاً بريطانيا وفرنسا. ولذلك اتخذ قراره التاريخي بتأميم قناة السويس. ذلك القرار الذي اعلنه بخطابه المشهور الذي ألقاه في الاسكندرية يوم الخميس ٢٦ تموز عام ١٩٥٦م بمناسـبـة عـيـد الثـورة. وبموجب الخطة التي كانت قد وضعت بشكل سري خلال الأيام السـابقـة وبينما كـان الرئيس عـبـد الناصر يلقي خطابه قـامت قـوات الأمن المصرية بالاسـتـيلاء على مكاتب شركة قناة السويس وأبلغت موظفيها ولا سيما الانجليز والفرنسيين أنهم إذا رفـضـوا الاستمرار بالعمل فإنهم سوف يكونون عرضة للحكم عليهم بالسجن لمدة تتراوح من ٣ سنوات لغاية ١٥ سنة ومنذ تلك اللحظة بدأ العـد التنازلي نحـو وقوع الحرب حـيث حـصل الحلفاء الثلاثة على الفرصة التي كانوا ينتظرونها والذريعة التي كانوا يبحثون عنها لشن حربهم العدوانية على مصر.

٣ ـ المؤامرة الثلاثية :

أولاً : لقـد كانت فعلاً مؤامرة بكل معنى الكلمة تتم في الخفاء بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل.

لأن رؤوسـاء وزارات هذه الدول دخلوا في مـبـاحثات سرية وهدفهم الأساسي القضاء على رئيس دولة أخـرى عـضـو في هيئة الأمم المتـحدة عن طريق غزو بلاده بأساليب العـصـور الوسطى. ولأن مـا كـان يدور بين هؤلاء الرؤسـاء الثـلاثة ليس نوعاً من المبـاحـثات الرسمية التي تجري عادة بين الدول بل كان نوعاً من التآمر يتم سراً بين هؤلاء الزعماء باشخاصهم لشن حرب على دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة وللقضاء على زعـيـمـها لا لشيء إلا لأنه استعمل حق بلاده بالسيادة عل أراضيها وقام بتأميم مـرفق حـيـوي بداخلها وكانت تستغله تلك الدول الاجنبية الاستعمارية ظلمًا وعدواناً لمصلحـتـهـا. والطريف في هذا الأمر إن العديد من الكتب الأجنبية التي نشرت عن هذا الموضـوع وخـصـوصـاً الكتب الانجليـزية اتفقت على تسمية هذا العمل بأنه مؤامرة (Conspirasy) ومنذ شـهـر حـزيران كـان سلوين لويد وزير خـارجـية بريطانيا على اتصـال مع (بينو) وزير خـارجـية فرنسا حيث كانا على اتفاق تام في عدائهما لجمال عـبـد الناصر. وبنفس الوقت تقـريبـاً أصدر المسيو بينو تعليماته إلى وزارة الخارجية الفـرنسـيـة لفـتح حوار مع اسرائيل لتزويدها بالأسلحة المتطورة التي تريدها لمقاومة عـبـد الناصر لأنه كـان يعـتقد أنه بانكسار عبد الناصر سوف يستطيع تسديد ضربة قاتلة لمعنويات الجزائريين وسوف يسهل عليه بالتالي قمع ثورتهم.

وبعـد اعـلان تأمـيم قناة السويس أصبح الأمر بالنسبة لهم واضحاً ولا بد من اتخاذ القـرار بسرعـة. وبدأت فـرنسا بشحن كميات هائلة من الأسلحة إلى إسرائيل كان من أهمها خمسون طائرة مقاتلة حديثة من نوع (مستير) ومائة دبابة نوع (A M X) التي كـانت من أحـدث مـا أنتجته مصانع فرنسا في ذلك الحين. كما أرسلت مجموعات من الطيـارين والفنيين ليـقوموا بتدريب الإسرائيليين وتمكينهم من استيعاب هذه الأسلحة بالسرعة اللازمة.

ثانياً: وفي يوم الجـمعة بتاريخ ٢٧ تموز أي في اليـوم التـالي لإعـلان جمال عبد الناصر عن قـرار تأميم قناة السـويس اتصل أنتـونى ايدن هاتفياً مع (بينو) وتبادل معه الرأي حول هـذه التطورات الجـديدة. وبهذه المكالمة اتفـقـا على أنه لا بد من القـيـام بعـمل عسكري ضد مصر وأن عبد الناصر يجب ازالته من طريقهم (١).

وهكذا فقد قرر هذين الوزيرين اقحام بلديهما بحرب ضد بلد ثالث دون أن يبحثا هذا المـوضـوع مـع مجلس الوزراء أو البرلمان في بلديهما رغم أنهما يدعـيـان أن بلادهما

(١) انظر كتاب حرب السويس، صفحة ٤٣ تأليف بول جونسون.
The Suez war Page 43. By Paul Johnson.

ديمقراطية كما أنهما لم يطلعا حلفاءهما في حلف الأطلسي مسبقاً على نواياهما هذه. وبالنسبة لبريطانيا فإن ايدن لم يطلع دول الكومنولث مع أن هذا القرار الذي اتخذه بمكالمة هاتفية قد يجر تلك البلدان الحليفة إلى حرب هي في غنى عنها ولا تعرف عنها شيئاً . ومن يدري فقد تجر الجميع إلى حرب عالمية ثالثة. ولهذا فقد اصطلح الكتاب الغربيون الذين كتبوا عن هذه الحرب اسم الحرب القذرة (Dirty War) وأي حماقة أكبر من تلك الحماقة يرتكبها رجلين بمفردهما بمكالمة هاتفية. ولسوف تثبت الأحداث التالية مدى خطل وخطورة هذه السياسة وهذا النوع من القرارات الارتجالية التآمرية.

ثالثاً: وعلى أي حال فقد بدأت الحكومتان البريطانية والفرنسية بتحضير الخطط اللازمة لهذا الهجوم المنتظر كما باشرتا بتحريك القطعات العسكرية البرية والبحرية والجوية إلى مناطق الحشد في جزيرتي مالطة وقبرص وفي قواعد أخرى في جنوب فرنسا وبهذه الاثناء كانت الحكومة الاسرائيلية قد قررت شن حرب وقائية ضد مصر قبل أن تتمكن من استيعاب الاسلحة الحديثة التي بدأت تصلها بكميات ضخمة من الاتحاد السوفياتي.

رابعاً: وعندما تصاعدت أزمة قناة السويس بعد اعلان عبد الناصر عن تأميمها كان من البديهي أن تستغل اسرائيل هذه الأزمة لصالحها وأن تصبح شريكاً فعالاً في عملية الهجوم المزمع أن تقوم به بريطانيا وفرنسا على مصر. ومن هذا المنطلق أصدر بن غوريون تعليماته إلى قيادة الجيش الاسرائيلي لوضع الخطط اللازمة للهجوم على مصر خلال عام ١٩٥٦م. وبنفس الوقت قام بتكثيف الجهود الدبلوماسية التي كانت قد بدأت فعلاً مع فرنسا للإسراع بجلب الأسلحة الحديثة منها بكميات ضخمة

خامساً: وعندما بدأت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية بدراسة أوضاع قواتهما العسكرية وأماكن تواجدها المتباعدة والمنتشرة في مختلف بقاع الكرة الأرضية اتضح لهما أن عملية اعادة حشد هذه القوات للقيام بعملية غزو مصر ستحتاج إلى وقت طويل لكي تصبح جاهزة للتنفيذ ولذلك لا بد من اخفائها بستار المفاوضات حول قضية تأميم القناة بالطرق الدبلوماسية لكي لا تتنبه مصر ويتنبه العالم لهذه المؤامرة في وقت مبكر قبل اتمام الاستعدادات العسكرية. ولهذا فقد استمرت حكومتا بريطانيا وفرنسا بالتظاهر بأنهما تسعيان جاهدتين للتوصل إلى حل للقضية عن طريق المفاوضات. وبنفس الوقت مضتا قدماً في استعداداتهما العسكرية لعملية الغزو بمنتهى الهمة والنشاط.

سادساً: كان واضحاً أنه لا أمل للحكومة البريطانية التي كانت تملك معظم أسهم شركة القناة ولا للحكومة الفرنسية من الناحية القانونية بالغاء قرار تأميم الشركة وذلك لأنها شركة مسجلة في مصر تخضع للقانون المصري وإن امتيازها ينتهي في عام ١٩٦٨م. وبالتالي فإن من حق الحكومة المصريه كدولة ذات سيادة أن تلغي هذا الامتياز قبل موعد انتهائه وتدفع التعويض للمساهمين. وهذا بالضبط ما تعهدت به مصر عند اعلان التأميم. أما الاعتراضات التي أثارتها بريطانيا ضد عملية التأميم فيمكن تلخيصها بأنها اتهمت مصر بخرق الاتفاقات الدولية ولا سيما اتفاقية عام ١٨٨٨م وأنها استولت على ممر مائي دولي وعطلت مصالح الدول المستفيدة منه ولذلك فإنها تطالب بوضع هذه القناة تحت اشراف دولي.

وقد رفضت مصر هذه الاتهامات بشدة واستمرت بتسيير السفن عبر القناة تحت اشرافها كالمعتاد. ويمكن الاجابة على الادعاءات البريطانية بما يلي:

أ - إن مصر لم تخرق أي اتفاق دولي. فهي بموجب اتفاقية الجلاء التي عقدتها مع بريطانيا عام ١٩٥٤ تعهدت بالتقيد ببنود اتفاقية عام ١٨٨٨م التي كانت تتطلب ضمان حرية الملاحة لكافة الدول في السلم والحرب. ولكن حرية الملاحة هذه لا علاقة لها بملكية القناة. وقد ميزت اتفاقية عام ١٨٨٨م. بكل وضوح بين ملكية القناة وحرية الملاحة. ولذلك فإن تغيير الملكية من مالك لآخر لا يعني خرق الاتفاقية طالما أن حرية الملاحة مضمونة وهذا ما تعهد به جمال عبد الناصر وتقيدت به مصر بكل دقة. صحيح أن مصر قامت بمنع مرور البواخر الاسرائيلية أو البواخر التي تحمل بضائع لاسرائيل. ولكن هذا المنع تم عندما كانت القناة مملوكة للشركة القديمة قبل التأميم واثناء وجود القوات البريطانية في قواعدها بمنطقة القناة ولم تعترض بريطانيا على هذا الاجراء في حينه. وهذا يعني أن مصر كانت قادرة على منع مرور السفن عملياً سواء كانت ملكية القناة معها أو مع غيرها.

فلماذا اذن تعتبر بريطانيا أن قضية التأميم التي لا تتعدى كونها عبارة عن نقل ملكية القناة إلى الحكومة المصرية على أنها خرق للاتفاقيات الدولية واخذت تهدد باحتلالها عسكرياً. وهل كان ايدن يعتقد أنه حتى لو نجح باحتلال القناة سيستطيع الابقاء على حرية الملاحة بأمان ضد رغبة ثلاثين مليون مصري مستعدين للقيام بعمليات فدائية ضدها كالسابق.

ب - القناة واقعة بأكملها داخل الأراضي المصرية. ومصر دولة مستقلة ذات سيادة وهي لن ترضى أن تتنازل عن استقلالها وسيادتها على تراب وطنها مهما واجهها من أخطار ومهما تعرضت له من تضحيات.

ولذلك فإن مطالبة بريطانيا بوضع القناة تحت اشراف دولي لا يمكن تطبيقها عملياً لأن المجتمع الدولي لن يوافق على خرق استقلال دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة لا سيما وإن هذه الدولة ملتزمة بكافة الاتفاقيات الدولية وقائمة بواجباتها من حيث ضمان حرية الملاحة عبر القناة بكفاءة تفوق ما كانت عليه الحال قبل التأميم.

ولذلك فإن مطالبة بريطانيا ما هي إلا ذر للرماد في العيون وليس لها إلا معنى واحداً وهو أن بريطانيا تهدد مصر بالحرب وبعودة الاستعمار إلى أراضيها وهذا أمر ستظهره الأحداث المقبلة.

سابعاً: وعلى الرغم من جميع التفسيرات القانونية التي تدحض ادعاءاتهم فقد استمر الانجليز والفرنسيين بالعمل على تهيئة الستار الدبلوماسي المطلوب لاخفاء استعداداتهم العسكرية للحرب.

وفي مطلع شهر آب اتضح لهم أنهم لن يحصلوا على تأييد أمريكا لهم بهذا الأسلوب حيث كانت وجهة نظر المستر دالس وزير خارجية أمريكا أن المشكلة يجب حلها بالمفاوضات وبواسطة الضغوط الدبلوماسية بينما كانت بريطانيا وفرنسا قد قررتا غزو مصر عسكرياً لاسقاط نظام جمال عبد الناصر. ولهذا كانت وجهة نظرهم تنطوي على تقديم الاقتراحات التي يعرفون سلفاً إن عبد الناصر سوف يرفضها لكي يتخذوا من رفضه ذريعة للقيام بعملية الغزو العسكري. وقد كانوا يعرفون أن عبد الناصر يعتبر أن وضع ادارة تشغيل القناة تحت اشراف دولي اعتداءً على استقلال مصر وسيادتها. ولذلك فهو لن يوافق عليه مهما كان الثمن ومن هذا المنطلق فقد وافقوا على اقتراح (دالس) بعقد اجتماع للمنتفعين من القناة. ورغم أن غاية دالس من هذا الاجتماع كانت لتقوية موقف الحلفاء في المفاوضات التي كانت بحسب رأيه يجب أن تبدأ بعد هذا المؤتمر مباشرة إلا أن البريطانيين والفرنسيين كانوا يعتبرون المؤتمر وسيلة للحصول على موافقة الأعضاء على خطة انجلو فرنسية إذا رفضتها مصر فسوف تتبعها عملية الغزو العسكري.

وهكذا وعلى الرغم من تباين غاياتهم واهدافهم قاموا بتوجيه الدعوة للدول المنتفعة من القناة لحضور مؤتمر عالمي يعقد في لندن ولكن المدعوين تم انتخابهم بعناية بحيث يضمنوا

تصـويت الغـالبـية إلى جانب خطة الدول الغربية الثلاثة، ولم يكن بإمكانهم طبعاً عدم دعوة الاتحـاد السـوفياتى ومصر رغم أن مصر رفضت حضور المؤتمر فيما بعد ومهما كان الأمر فإن المؤتمرين لم ينجـحـوا بالنتـيـجة بالتوصل إلى اتفاق على خطة مقبولة من قبل الجميع. فـالحلفـاء الغـربيـون أصروا على اقتراح وضع القناة تحت اشراف دولي وعندئذ تقدم المستر (كـريشنامنون) وزير خـارجية الهند باقتراح خطة بديله تعتمد على تأسيس هيئة استشارية دولية واتفاقية جديدة يطلب من مصر توقيعها وتكون خاضعة لهيئة الأمم المتحدة. وكان من الممكن أن توافق غـالبـيـة المؤتمرين على خطة كـريشنامنون هذه وبالتالي كان من الممكن أن توافق عليـهـا مصر ولكن بريطانيـا وفـرنسا عارضتاها بشدة لأنها تفتح الطريق أمام حل الخلاف بالمفاوضات وهما لا تريدان حلاً سلمـياً بل تريدان حلاً عسكرياً. وما هذا المؤتمر بالنسـبـة لهما سـوى سـتـار لإخـفـاء نواياهما الحقيقية ووسيلة لكسب الوقت حتى تكملا اسـتـعـداداتهما العـسكرية للغـزو. وعلى الرغم من الضـغـوط الانجلو أمـريكية فقد رفض (كـريشنامنون) سـحب اقتراحـه. وعند طرح المشروعين للتـصـويت وبتأثير (سلوين لويد) و(دالس) صـوتت سـبـعة عشر دولة مع الخطة الغربية وصوتت روسيا والهند واندونيسيا وسـيـلان مع خطة كـريشنامنون. وهكذا بقـيت الخطوة اللاحـقـة وهي تقـديم خطة الدول الغربية إلى مصر. وقد انتخب المؤتمر لهذه المهمة لجنة برئاسة المستر (منزيس) رئيس وزراء استراليـا للذهاب إلى مصر وعرض الخطة على الرئيس جمال عبد الناصر. وهم يعرفون سلفاً أنه سـوف يرفـضـهـا ولكن هذا هو الهدف الذي كـانوا يرمـون إليـه. وقد وافقت بريطانيا وفـرنسـا على لجنة منزيس بشرط أن تكون هذه اللجنة مخولة فـقط بمناقشة اسس الخطة وليـست مخوله بتـقـديمـها على انها أساس للمفاوضات وعلى هذا الأساس ذهب منزيس إلى القـاهرة لكي يقـدم الخطة إلى الرئيس جمال عبد الناصر ويتلقى رفضه لها ثم يعود إلى لندن بعد فشله في مهمته. وهذا ما كان يريده الانجليز والفرنسيين.

وبهذه الاثناء أصـبـحت الاستعدادات للغزو على وشك أن تكتمل. ففي النصف الأول من شـهر آب استدعت بريطانيا ٢٥ الف جندي من الاحـتـيـاط واخذت تحرك قواتها وطائراتها وأساطيلها من مختلف بقاع الأرض نحو قبرص. ونقلت طائرات الكامبيرا من المانيا وحشدت اسطولاً ضخمًا في مالطة. كما نقلت فرقة مشاة جواً إلى قبرص . أما فرنسا فقد جمعت ثلاثة فـرق مـشـاة وفـرقة مدرعة في الجزائر. وقد تم تعيين الجنرال (كيتلي) البريطانى قائداً عاماً لقـوات الغـزو وتعـيين الاميرال (بيير بارجـو) الفـرنسي نائباً للقائد العام. وأصبحت القيادة الانجلو فرنسية متكاملة وتعمل من مقرها في قبرص.

وبينما كـان المستر منزيس يسـتـعـد للسـفـر إلى القـاهرة صـدر تصريح إذيع من لندن

وباريس في وقت واحد كانت فحواه أنه بالنظر إلى أن فرنسا قد تحتاج لحماية رعاياها في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط فإن الحكومة البريطانية قد وافقت على تمركز القوات الفرنسية في بعض القواعد البريطانية في جزيرة قبرص.

وبما أن تحركات هذه القوات منذ بدايتها لم تكن خافية علينا جميعاً وقد كانت قيادتنا المشتركة تتابع هذه التحركات كما سيأتي شرحه فيما بعد فقد أصدر الرئيس جمال عبد الناصر تصريحاً قال فيه أن مصر ستقاوم هذا الغزو بكل امكانياتها المتاحة. كما أنه أعلن التعبئة العامة في مصر.

وأما على الصعيد الاداري فقد كان أول عمل ستقوم به بريطانيا وفرنسا هو سحب جميع المرشدين والفنيين الانجليز والفرنسيين من القناة لكي يعطلوا حركة مرور البواخر. وعندما تبدأ الحركة بالتباطؤ سيقومون بطرح قضية القناة أمام مجلس الأمن. وعندئذ حسب تصورهم سوف يقوم الاتحاد السوفياتي بتعطيل القرار باستعمال حق النقض (الفيتو) وبهذه الحالة سوف يعلنون أنه لم يبق أمامهم من سبيل سوى احتلال منطقة القناة لضمان حركة الملاحة على اعتبار أن مصر خرقت اتفاق عام ١٨٨٨م بعدم قدرتها على ضمان حرية الملاحة. ولكن حتى على هذا الصعيد فقد فوتت مصر عليهم هذه الفرصة لأنها تمكنت من استخدام أعداد كافية من المرشدين من يوغوسلافيا وغيرها من الدول الشرقية بالإضافة إلى المرشدين المصريين وتمكنت من تنظيم حركة المرور بكفاءة تعادل ما كانت عليه سابقاً أو تزيد.

وبهذه الاثناء حدث تطور طريف ومفاجئ وتسبب في تغيير مجرى الأحداث ونتج عنه على الأقل تأجيل موعد الهجوم البريطاني الفرنسي. فبتاريخ ١٠ أيلول عندما كان ايدن سيلقي خطاباً في مجلس العموم على أساس الفرضية المشار إليها باعلاه طلع (جون فوستر دالس) باقتراح جديد لكي يثني الانجليز والفرنسيين عن فكرة الغزو العسكري الذي استنتج أنهم يهيئون له من قراءاته في الصحف عن أنباء الحشود العسكرية في قبرص. وقد كان تقدير (دالس) أنه لكي ينجح في ذلك فإنه يترتب عليه أن يقدم لهم اقتراحاً مغرياً. وعلى هذا الأساس اقترح فكرة انشاء هيئة مستخدمي قناة السويس المشهورة والتي تتلخص بأن تتجمع البلدان التي تستخدم القناة (كنادي) وتستخدم مرشديها الخاصين بها. وربما بهذه الحالة سيكون معظمهم من الإنجليز والفرنسيين. ويدفع أعضاء النادي رسوم عبور القناة إلى هيأتهم وتعبر سفنهم القناة بترتيباتهم الخاصة. وفي حالة رفض جمال عبد الناصر التعاون مع هذه الهيئة عليهم جميعاً مقاطعة القناة وتتكفل أمريكا بهذه الحالة بدفع التكاليف الناتجة عن هذا الاجراء.

وقد قرر دالس أن عبد الناصر بعد بضعة أشهر من هذه المقاطعة سيكون مستعداً للموافقة على حل وسط.

ويظهر أن دالس لم يضع التفصيلات العملية لخطته وأبلغ خطوطها العريضة هاتفياً إلى ايدن الذي فهم منها حسب تقديره أن أمريكا تؤيده في جميع مراحل مخططاته بالنسبة للقناة، ومن منطلق هذا المفهوم ألقى ايدن خطاباً في اليوم التالي في مجلس العموم. وبعدما شرح مراحل تطورات قضية القناة بالتفصيل ذكر أن أمريكا وبريطانيا وفرنسا قررت تشكيل هيئة مستخدمي القناة. وإن هذه الهيئة سوف تتحمل مسؤولية تنسيق عبور البواخر في القناة وسوف يطلب من السلطات المصرية أن تتعاون مع هذه الهيئة في ضمان مرور أكبر حجم من القوافل. ولكنه أضاف أنه في حالة قيام المصريين بالتدخل في حرية الملاحة فإن حكومته ستعتبر أن مصر خرقت اتفاقية عام ١٨٨٨م. وبهذه الحالة فإن الحكومة البريطانية والحكومات الأخرى المعنية سوف تتخذ الخطوات التي تراها ضرورية لضمان حرية المرور.

وفي أثناء مناقشته مع النواب عن كيفية مرور البواخر عبر القناة بدون أن تكون بيدهم السيطرة على الادارة واجهزة الاتصال قال ايدن (إن كل ما يهمني أننا ذاهبون إلى القناة وإن الأمريكيين ذاهبون معنا). وما أن وصلت تفصيلات خطاب ايدن إلى أمريكا حتى ثارت عاصفة رهيبة من الاستنكار ضد دالس. وفي الكونغرس طلب النواب ايضاحات عن كل ما وعد به دالس إلى ايدن. كما اتصل الرئيس (ايزنهاور) مع ايدن ليبلغه برفضه لاستعمال القوة في مسألة القناة. ثم عقد (دالس) مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أنه لا يعرف شيئاً عن فكرة عبور القناة بالقوة. وبهذا اعتبر ايدن أن دالس خدعه. وإن خططه بالنسبة لقضية القناة قد دمرت وإن القوات الضخمة التي حشدوها في قبرص ومالطة أصبحت تشكل عبئاً اقتصادياً خطيراً كما أنها بنفس الوقت أصبحت عديمة الفائدة. وقد فرضت هذه الأحداث تأجيل موعد الغزو وعلى أثر ذلك اجتمع ايدن وسلوين لويد (وبينو) وقرروا تحدي معارضة آمريكا وذلك بعرض قضية القناة على مجلس الأمن الدولي. كما اعلنوا قرارهم هذا بدون استشارة دالس مسبقاً. وبناء على طلب بريطانيا وفرنسا تقرر عقد جلسة مجلس الأمن لبحث مسألة القناة بتاريخ ٢٦ أيلول ١٩٥٦م وبهذه الجلسة قدم الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية المصرية مقترحات جديدة اعتبرت أنها إيجابية للغاية وتحقق معظم متطلبات الدول الغربية. ولذلك تقرر أن يعقد اجتماع بين سلوين لويد وبينو والدكتور محمود فوزي للتوصل إلى تسوية نهائية، وهذا بالضبط ما كانت بريطانيا وفرنسا تسعيان لتجنبه ولكنهما لم تستطيعا رفض هذا الاقتراح. وعلى هذا الأساس تم عقد الاجتماع بتاريخ ٩ تشرين أول في نيويورك

وتم خلاله التوصل إلى اتفاق على المبادىء الستة التالية لكي تعتبر أساساً لاستخدام القناة في المستقبل(١) .

١ – الحرية التامة للمرور عبر القناة.

٢ – الاحترام الكامل للسيادة المصرية.

٣ – الفصل ما بين استخدام القناة والسياسة لأي بلد.

٤ – تقرر العائدات بموجب اتفاقية بين مصر والدول المستخدمة للقناة.

٥ – يخصص جزء معقول من عائدات القناة لأغراض الاصلاح والتطوير فيها.

٦ – يلجأ إلى التحكيم عند وجود الخلافات بين الأطراف المعنية.

وبهذا يمكن اعتبار أن قضية الخلاف على استعمال القناة قد حلت ولم يبق سوى اجتماع الاطراف الثلاثة الرئيسيين لوضع الاتفاقية التفصيلية انطلاقاً من هذه المبادىء واقترح محمود فوزي أن يعقد الاجتماع في جنيف ويترك تعيين التاريخ للانجليز والفرنسيين. ومع ذلك ولأن هاتين الدولتين لم تكونا راغبتين أصلاً بالحل السلمي فإنهما لم ترغبا بالاستفادة من هذه الفرصة واستمرتا بمتابعة استعداداتهما العسكرية لاحتلال القناة. وللكشف عن صلف دولَ الحلفاء ونفاقها قامت هيئة الأمم المتحدة فيما بعد في اليوم الذي انتهى فيه موعد الإنذار الانجلو فرنسي بنشر مراسلات (فوزي – همر شولد) حول هذه الاتفاقية لكي تطلع الرأي العام العالمي على حقيقة الأمور.

وبعد انتهاء اجتماع نيويورك المشار إليه باعلاه تسارعت الاجتماعات المحمومة بين المتآمرين الثلاثة. وكان من أهمها الاجتماعات التي كان يعقدها مندوب اسرائيل شمعون بيريز في باريس والتي أسفرت عن توقيع اتفاقية عكسرية سرية بين فرنسا واسرائيل بتاريخ ١٠ تشرين أول عام ١٩٥٦م. وبعد ذلك أصبحت فرنسا ملتزمة التزاماً كاملاً بدعم اسرائيل عسكرياً واخذت تشجعها على القيام بهجوم كبير ضد مصر. كما زادت بنفس الوقت كميات الأسلحة التي تشحنها إلى اسرائيل وخصوصاً الطائرات المقاتلة الحديثة من نوع (مستير) حيث قررت رفع الكمية من ١٥ طائرة إلى ٦٠ طائرة كل شهر. كما أرسلت أعداداً كبيرة من الطيارين والفنيين للاسراع بتدريب الطيارين الاسرائيلين عليها.

وأما بالنسبة للحكومة البريطانية فقد أصبح الموقف في غاية الصعوبة. فمن جهة تم التوصل إلى الاتفاق على النقاط الستة لحل مشكلة القناة كما أسلفنا وأصبح الحل السلمي

(١) انظر كتاب حرب السويس، صفحة ٨٠ تأليف بول جونسون.
The Suez war Page 80. By Paul Johnson.

لهذه القضية وشيكاً ومن جهة أخرى فقد أخذ الرأي العام يطالب الحكومة بتسريح جنود الاحتياط. كما أن التذمر أخذ يسري في صفوف الجيش الذي أصبح قوامه أربعين ألف جندي يتجمعون في قبرص ومالطة منذ مدة طويلة بدون عمل له معنى. ومما زاد في الأمر تعقيداً أن مجلس الأمن الدولي أنهى مشكلة القناة في يوم ١٤ تشرين أول عندما صوت لصالح الاقتراح الانجلو فرنسي باغلبية تسعة أصوات ضد صوتين. واستعمل الاتحاد السوفياتى حق النقض (الفيتو) كما كان متوقعاً. وأصبح يتوجب على ايدن أن يتخذ القرار النهائي بسرعة فيما إذا كان يريد الحل على أساس المفاوضات السلمية أم يريد المضي قدماً بالاستعدادات للحرب وقد أصبح واضحاً أنه لا يستطيع المضي بالحرب إلا إذا كانت على أساس التدخل في حرب اسرائيلية عربية لا سيما وإن هدفه من الحرب لم يكن لضمان حرية الملاحة في القناة بقدر ما كان محاولة لتوجيه ضربة لعبد الناصر شخصياً. ولذلك فإنه اختار المضي بالحرب.

وعلى هذا الأساس ذهب ومعه (سلوين لويد) إلى باريس وعقدا اجتماعاً سرياً مع (موليه) و(بينو) يوم ١٦ تشرين أول. وبعد ذلك توالت الاجتماعات والاتصالات بين باريس وتل أبيب وأخذت حلقات المؤامرة الثلاثية تتكامل. وكان من ابرز هذه الاجتماعات ذلك الاجتماع الذي عقد في باريس بين وفد اسرائيلي برئاسة غولدا مئير وزيرة الخارجية وعضوية شمعون بيريز والجنرال دايان ووفد فرنسي برئاسة كريستيان بينو وزير الخارجية وعضوية مانورى وزير الدفاع حيث تم الاتفاق على بدء التحضيرات للهجوم على مصر وبعد ذلك توالت الاجتماعات بين الاطراف الثلاثة وكان أهمها ذلك الاجتماع الذي عقد يوم ٢١ تشرين أول في بلدة سفرز (Severs) بالقرب من باريس بين الوفود الثلاثة التي كان تشكيلها كما يلي[١] .

أ – الوفد البريطاني . برئاسة سلوين لويد وزير الخارجية وعضوية موظف كبير من وزارة الخارجية.

ب – الوفد الفرنسي : برئاسة غي موليه رئيس الوزراء وعضوية (بينو) وزير الخارجية و(مانوري) وزير الدفاع.

جـ – الوفد الاسرائيلي برئاسة بن غوريون رئيس الوزراء وعضوية شمعون بيريز والجنرال دايان.

وبهذا الاجتماع أصر بن غوريون على أن يحصل من الحكومتين البريطانية والفرنسية على

---

(١) انظر كتاب الحروب العربية الاسرائيلية، صفحة ١١٤ تأليف حاييم هيرتزوغ.
The Arab - I'srael War Page. 114 By 'CHAIM HERZOG'.

كتاب خطي تتعهدان فيه بأن تقوم أسلحتهما الجوية بتدمير سلاح الجو المصري قبل بدء المعركة. وإن تزودا اسرائيل بمظلة جوية تحمي أجواءها. وأن تقدم فرنسا غطاءً جوياً فوق سيناء أثناء فترة القتال. وقد حصل على ما يريد[1] .

ومع ذلك فقد وضعت الخطة بشكل تظهر فيه تحركات القوات الاسرائيلية الأولية وكأنها عملية انتقامية محدودة وليست غزواً عاماً على مصر. وذلك لكي يسهل سحبها من سيناء بحالة عدم وفاء حلفائهم الإنجليز والفرنسيين بالتزاماتهم التي تعهدوا بها. وتجدر الاشارة هنا إلى أنه بينما كانت اسرائيل تركز دعايتها طيلة تلك الفترة ضد الأردن الذي كان يتصدر مسرح الأحداث ألقى بن غوريون خطاباً في الكنيست يوم ١٧ تشرين أول وهو اليوم التالي للاجتماع السري الانجلو فرنسي الاسرائيلي في باريس. وأعلن في خطابه سياسة اسرائيل الجديدة وذكر المستمعين أن مصر هي العدو الحقيقي لاسرائيل وتهجم على جمال عبد الناصر. ولقد كان هذا الخطاب بمثابة نهيئة للرأي العام الاسرائيلي لكي يتقبل السياسة المتشددة الجديدة.

وبتاريخ ٢٥ تشرين أول أعلن الناطق الرسمي الاسرائيلي أن الفدائيين المصريين العاملين من قطاع غزة وسيناء قد جددوا نشاطهم بداخل الأراضي الاسرائيلية. وقد فهمنا طبعاً أن هذه التصريحات ليست إلا تهيئة للرأي العام العالمي وتبريراً للهجوم الذي أصبح وشيكاً. وفي اليوم التالي بدأت القوات الاسرائيلية بتنفيذ التعبئة العامة سراً. وفي يوم ٢٨ تشرين أول أعلنت الحكومة الاسرائيلية التعبئة الجزئية رسمياً بينما كانت معلوماتنا الاستخبارية تشير إلى أن اسرائيل بدأت باستدعاء الاحتياطي سراً قبل ذلك التاريخ بعدة أيام.

وعلى أثر ذلك ظهر رد فعل سريع من قبل بريطانيا فقد أبلغ مندوبها في تل أبيب وزير الخارجية الاسرائيلي بأن الحكومة البريطانية سوف تكون ملزمة بتطبيق شروط المعاهدة البريطانية الأردنية إذا ما قامت اسرائيل بغزو الأراضي الأردنية ولم يكن هذا التصرف سوى من قبيل التعمية ولفت الانظار بعيداً عن الهدف الحقيقي لا سيما وأننا لم نطلب من بريطانيا أن تطبق المعاهدة التي كانت ما زالت سارية المفعول. والأهم من هذا أنها كانت تعرف جيداً أن الهجوم الاسرائيلي الذي أصبح وشيكاً كان موجهاً ضد مصر لأنه كان يشكل جزءاً من خطتها الحربية التي وضعتها بالاشتراك مع اسرائيل لغزو مصر. ومن جهة أخرى فإن بريطانيا كانت تعرف جيداً أننا لم نكن نتوقع بأي حال من الأحوال أن تقاتل القوات البريطانية معنا ضد اسرائيل دفاعاً عن الأراضي الأردنية خصوصاً بهذا الوقت بالذات ونحن

---

(١) التقارير الاستخبارية التي حصلنا عليها من قيادة الجيش .

أصبحنا نشكل جزءاً من القيادة العربية المشتركة وقد كنا نعرف أن هجومها على مصر بات وشيكاً وهي بهذه الحالة أصبحت عدونا ونحن ملزمون بأن نقاتل ضدها لا سيما ونحن نأتمر بأمر القيادة العليا للجيوش العربية وأصبح جزء مهم من القوات السورية يتواجد بداخل أراضينا ويأتمر بأمرنا. ولكل هذه الأسباب فإننا لم نكن ننظر إلى هذا التحذير البريطانى لاسرائيل سوى أنه أسلوب من أساليب الخداع والتمويه وخصوصاً بعد أن أصبحت جميع المعلومات المتوفرة تشير إلى أن الاستعدادات العسكرية التي كانت تجرى في مختلف المواقع كانت موجهة ضد مصر وليس ضد الأردن.

ثم جاءت الأنباء من واشنطن تشير إلى أن الرئيس ايزنهاور أرسل خلال اليومين الماضيين ندائين إلى بن غوريون يناشده الامتناع عن استعمال القوة. كما أنه عقد اجتماعاً طارئاً بتاريخ ٢٧ تشرين أول حضره مندوبوا دول التصريح الثلاثي دام يومين لبحث الحالة في الشرق الأوسط. ولكن مندوبي بريطانيا وفرنسا لم يصرحا له بشيء عن نوايا حكومتيهما تجاه الحرب ضد مصر.

وبهذا أصبح الانقسام بين دول حلف الاطلسي في غاية الخطورة. وبتاريخ ٢٩ تشرين أول وفي ساعات الصباح الباكر بدأت القوات المدرعة الاسرائيلية التي كانت متمركزة في النقب غربي مدينة العقبة بالتحرك بسرعة إلى داخل سيناء أمام أنظار كتيبة الدبابات البريطانية (الهوزارز – 10th Hussars) التي كانت متمركزة في العقبة بناء على طلب الحكومة الأردنية بموجب المعاهدة الأردنية البريطانية منذ عام ١٩٤٩ عندما احتلت القوات الاسرائيلية النقب آنذاك. وحوالي الساعة الخامسة من بعد ظهر نفس اليوم بدأت كتيبة مظليين اسرائيلية بالهبوط في ممرات (متلا) وهكذا بدأت حرب السويس (العدوان الثلاثي) عملياً بتنفيذ المرحلة الأولى التي كانت تتمثل بهجوم القوات الاسرائيلية على سيناء

٤ ـ الموقف على الجبهة الأردنية

أولاً : لقد أوجزت في الصفحات السابقة بعض المعلومات عن أبعاد المؤامرة الاستعمارية التي وضعتها دول الاستعمار لغزو مصر بسبب تأميم قناة السويس رغم أن الهدف الحقيقي لدول العدوان الثلاثي لم يكن سوى ضرب جمال عبد الناصر والقضاء على نظامه ومنع التقارب العربي الذي أصبح يتشكل عملياً عن طريق توحيد الجيوش العربية المحيطة باسرائيل وانتظامها تحت قياة مشتركة واحدة وبالتالي فإنهم كانوا يأملون بالقضاء على فكرة الوحدة العربية التي تبناها جمال عبد الناصر وأيدته معظم

الأقطار العربية بالنظر لمواقفه المشهورة ضد الاستعمار ودعوته لتحرير الاقطار العربية والسعي لتحقيق وحدتها. الأمر الذي رأت فيه تلك الدول الاستعمارية تهديداً خطيراً لمصالحها ولقد كانت اسرائيل مستعدة وجاهزة لتكون محور تنفيذ هذا العدوان ضمن الخطة التي وضعتها بريطانيا وفرنسا لضرب مصر والأمة العربية ويجب أن لا نستغرب هذا ونحن نعرف أن دول الاستعمار هذه لم تكن لتدعم وجود اسرائيل أصلاً إلا لكي تعتمد عليها في حماية مصالحها في المنطقة وإلا لماذا أصدرت بريطانيا وعد بلفور وبذلت جهوداً جبارة طيلة ثلاثين سنة لكي تضمن قيام دولة اسرائيل في فلسطين على أنقاض سكانها العرب إن لم يكن لكي تعتمد عليها في ضرب الامة العربية في أي مكان وزمان لضمان حماية مصالحها في المنطقة.

والآن وبعد أن أوجزت النشاطات التي كانت تقوم بها دول العدوان الثلاثي لتنفيذ مخططها لا بد من ذكر لمحة عن ما كان يجري على الساحة الأردنية والعربية خلال الأشهر الحاسمة التي سبقت نشوب الحرب.

ثانياً: ساحاول هنا ايجاز الأحداث المهمة مستقاة من المعلومات الرسمية والتقارير الاستخبارية التي كانت تصلني في حينها والتي استقيت منها معظم المعلومات التي ذكرتها في الفقرة السابقة عن نشاطات بريطانيا وفرنسا واسرائيل بهذه المؤامرة. لقد كان الموقف العام مشحوناً بنذر الحرب منذ مطلع عام ١٩٥٦م حيث أخذت معظم التقارير الاستخبارية وملخصات الأنباء العالمية التي كانت تصلني من مختلف المصادر بحكم وظيفتي كمدير هيئة الأركان. وكانت تشير إلى أن اسرائيل تستعد بشكل جدي لشن حرب واسعة النطاق خلال هذا العام. وعندما كنت أقارن محتويات هذه التقارير مع تصرفات القوات الاسرائيلية على الحدود كانت جميع تقديراتنا بالنتيجة تشير إلى أن الحرب أصبحت وشيكة وإن الضربة القادمة سوف تبدأ ضد الجبهة الأردنية أولاً. وكانت هذه الاستنتاجات التي توصلنا إليها مبنية على واقع الأمور قبل إعلان جمال عبد الناصر قراره بتأميم قناة السويس، وقد يكون من المفيد هنا أن أشير إلى محتويات بعض هذه التقارير الاستخبارية لكي أعطي صورة عن الأسلوب الذي كانت تتطور على أساسه تلك الأحداث وطريقة التحليلات لها في ذلك الحين : ـ

بتاريخ ٢٦ حزيران عام ١٩٥٦م وصلني تقرير خلاصة المعلومات الاستخبارية عن اتجاهات السياسة الاسرائيلية الجديدة واحتمال نشوب الحرب خلال الصيف خلاصته ما يلي :

١ – إن استقالة موسى شرتوك من وزارة الخارجية الاسرائيلية جاءت نتيجة للخلافات الخطيرة القائمة بين أقطاب الحكومة الاسرائيلية حول السياسة الخارجية. فبينما يرى موسى شرتوك أن جميع قضايا اسرائيل الخارجية ولا سيما علاقاتها مع الدول المجاوره يمكن أن تحل في المجالات الدولية باتباع سياسة المداهنة واغتنام الفرص واستغلال العناصر الصهيونية في كافة الدول الأجنبية لمناصرة اسرائيل في حل قضاياها فإن بن غوريون يرى عكس ذلك فهو دائمًا من دعاة القوة في سبيل تحقيق أي مطلب سياسي وهو من أنصار اتباع السياسة العدوانية على الحدود.

٢ – من متابعة تصريحات بن غوريون منذ توليه رئاسة الحكومة في السنة الماضية واعلانه باستمرار أن صيف العام الحالي ١٩٥٦م سيقرر مصير سياسة اسرائيل نهائياً. وكذلك تحذيراته المستمرة من انقلاب ميزان القوى لصالح العرب. ومن كل هذا يمكن الاستنتاج أن الحرب واقعة لا محالة. وإن أي تقرير لاحتمال وقوع الحرب يجب أن يشمل مطامع اسرائيل الاقتصادية التي ترمي للتوسع خارج حدودها وهي منحصرة حالياً في الاستيلاء على القسم الباقي من فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة). لا سيما وهي تسعى لكي تصبح قوة رئيسية في الشرق الأوسط من الناحيتين العسكرية والاقتصادية.

٣ – يمكن أن نستنتج أن اسرائيل قد تحولت أو هي في طريقها إلى التحول من سياسة الملاينة البعيدة المدى وبناء الاقتصاد إلى سياسة التشدد والعدوان العسكري استناداً إلى الظواهر الآتية:

أ – تغلب المتطرفين ودعاة الحرب من ساسة اسرائيل على الساسة المعتدلين.

ب – وصول اسرائيل في امكانياتها واستعداداتها العسكرية إلى مستوى رفيع مما يشجعها على العدوان.

جـ – زيادة مخصصات الدفاع في موازنة الدولة وفرض ضرائب جديدة على السكان لمقتضيات الدفاع.

د – مصادقة البرلمان الاسرائيلي بالاجماع يوم ١٩/٦/١٩٥٦م. على مشروع القرار القاضي بتمديد العمل بقانون الطوارىء الذي يقضي بتعبئة كافة المعدات وامكانيات الدولة للمجهود الحربي.

هـ – مصادقة البرلمان الاسرائيلي على القانون القاضي بمنع أي شخص في الخدمة العاملة أو الاحتياطية من السفر خارج اسرائيل إلا بعد الحصول على موافقة وزارة الدفاع. ويبقى العمل بهذا القانون ساري المفعول حتى ٣١ كانون أول عام ١٩٥٦م.

و – الاحتفاظ بحوالي نصف مجموع الاحتياطي في الجيش الاسرائيلي بالخدمة العاملة بالإضافة إلى القوات النظامية.

ز – الانتهاء من بناء التحصينات الدفاعية في كافة المستعمرات الأمامية وتعزيز وسائل الدفاع عنها.

ثالثاً: بعد اعلان الرئيس جمال عبد الناصر عن تأميم قناة السويس أخذت الأحداث تتسارع وأصبح الموقف في الأردن يزداد تعقيداً. فمن جهة أصبح الأردن عضواً في القيادة المشتركة. وكنا في تلك المرحلة نعمل بشكل مستمر على توحيد خططنا الدفاعية مع مصر وسوريا وأصبح جهاز القيادة العليا المشتركة يثبت فعاليته تدريجياً كقيادة عامة للجيوش العربية المنتظمة تحت لوائها بموجب الاتفاقية التي أصبحت تشمل مص والأردن وسوريا والسعودية واليمن. ومن جهة أخرى كان الأردن لا يزال مرتبطاً بالمعاهدة الأردنية البريطانية على الرغم من إنها كانت عملياً معطلة وكنا نعتبر أنها أصبحت غير ذات موضوع وفي حكم المنتهية لكن الانجليز كانوا لا يزالون يحتفظون بقواعدهم الجوية في مطاري المفرق وعمان كما لا زالت كتيبة الدبابات البريطانية متمركزة في ميناء العقبة.وعلى الرغم من أننا وضعنا هذه القواعد تحت المراقبة الدقيقة إلا أنهم كانوا يتحركون بداخلها بحرية تامة ويقلعون بطائراتهم إلى خارجها كما يشاؤون

وبعد أن أصبحت بريطانيا تعلن عن عدائها السافر لمصر وتحشد قواتها في قبرص لغزوها فقد أصبحت من الناحية الرسمية تعتبر عدواً لنا وسنقاتلها في حالة قيامها بغزو مصر ولكنها بنفس الوقت من الناحية النظرية تعتبر حليفة للأردن بموجب المعاهدة التي ما زالت قائمة. وعلى الرغم من أن هذا الموقف الغريب لم يدم طويلاً فقد بقي مصدر قلق وازعاج لنا لبضعة أشهر حتى تم إلغاء المعاهدة رسمياً.

رابعاً: وبعدما تطورت أزمة قناة السويس وأخذت بريطانيا وفرنسا تحشدان قواتهما في قبرص ومالطة لغزو مصر واتضحت لنا أبعاد المؤامرة الثلاثية باشراكهم اسرائيل في خطة الغزو بالشكل الذي شرحته سابقاً. أخذت تقارير الاستخبارات الأردنية

والسـورية تشير إلى تحـركـات هذه القـوات ووصول بعضـها إلى اسرائيل وخصوصاً القـوات الجوية الفرنسية. كما بدأت بعض القوات الجوية البريطانية تغادر قواعدها في الأردن إلى قبرص أو إلى الحـبانية في العراق. وابين تالياً بعض الأمثلة عن ما ورد بهذه التقارير:

أ - خلال أيام ١٣، ١٤، ١٥ من شـهر آب غادر مطار المفرق جواً حوالي ٧٨ ضابط وفني بريطاني إلى جـهـة غير مـعلومـة، وقـد نقلت بعض المعلومات عن حديث بعض الجنود الانجليـز أن هؤلاء الضـبـاط تابعـون إلى كتيبة مقاومة الطائرات وإنهم ارسلوا إلى اسرائيل ولكن الأرجح إلى قبرص.

ب - وصل تقرير بتاريخ ١ أيلول يفـيد بأن اجتماعاً عقد في مقر وكالة الغوث الدولية في عمان برئاسـة المستر كلارك مدير الوكالة حضره رؤسـاء الفروع من الأجانب فـقط لبـحث الموقف العـام لوكـالة الغـوث في حـالة نشـوب الحـرب. وإن هذا الاجتماع قصد منه بحث احتمال وقوع الحرب بين مصر وبريطانيا.

جـ - بتاريخ ٥ أيلول وصلتني خـلاصـة الأنبـاء من الصـحف العالمية تشير إلى أن فـرنسـا قـررت ارسـال بعض قـواتها المسلحـة للتـمركز في جزيرة قبرص بعد مـوافـقة الحكومة البريطانية وإن سبب ذلك يعود إلى الحالة المضطربة في الشرق الأوسط. كما وصلني بنفس الوقت تقـرير اسـتـخباري يفيد أن القوات الجوية الفـرنسـيـة التي وصلت إلى قبرص كـانت عبارة عن جناح من ثلاثة أسراب من الطائرات النفـاثة القـاذفـة والمقـاتلة وعددها يتراوح بين ٤٠ - ٥٠ طـائرة مع الخدمات الأرضية التابعة لها.

د - وصل تقـرير يفـيد بتواجد قوات جوية فرنسية في اسرائيل وإن ضباطاً فرنسيين شوهدوا يتجولون في شوارع مدينة حيفا بكثرة.

وكـان تقـديرنا لهذا التـقـرير في حـينه أن فـرنسـا أرسلت بعض الطائرات لكي تتمركز في مطارات اسرائيل تمهيداً لاشتراكها في معركة السويس المتوقعة. ولكن ظهـر فـيما بعـد أن هذا كـان جـزءاً من الحـقيقة فقط، وإن فرنسا كانت تزود اسرائيل بأعـداد كـبيرة من الطائرات الحـديثـة وإنها أرسلت مـعـهـا أعداداً من الطيارين الفرنسيين لكي يساعدوا اسرائيل في تدريب طياريها بسرعة.

هـ - لوحظ أنه منذ مطلع شـهـر أيلول عام ١٩٥٦م نشطت تحـركات طائرات النقل العسكرية البريطانية من مطار المفرق إلى الغرب وربما باتجاه قبرص وخصوصاً

أثناء الليل. وهذا معناه أن بريطانيا بدأت باخلاء معداتها المهمة من قاعدة المفرق إلى قبرص أو جـهـات أخـرى. وقـد لاحظنا أن هنالك تغـييراً على خط سير هذه الطائرات حـيث كانت في السابق تتحرك من الأردن إلى قبرص عبر أجواء سوريا ولبنان وذلك بعـد أخـذ مـوافـقة حكوماتها. وقد أصبحت الآن تتحرك ليلاً عبر أجـواء اسرائيل مباشرة ومن الطبيعي أنها كانت تنسق هذه العمليات مع اسرائيل مسبقاً.

و – وصل تقرير بتاريخ ٥ أيلول يفـيـد أن بريطانيا قامت قبل اسبوعين من تاريخه بنقل مجمـوعـة فـرقـة مـشاه من قواتها التابعة لحلف شمال الاطلسي في ألمانيا الغربية والحقتها بقواتها الموجودة في قبرص.

ز – بهذه الاثناء نصحت بريطانيا رعاياها في الدول العربية وخصوصاً مصر وسوريا والأردن بضرورة رحـيلهم عنها بالسرعة الممكنة وقد باشروا فعلاً بهذا الرحيل.

ح – وصلتنا مـعلومـات سرية تفـيـد أن الكتيبة المدرعة البريطانية المتمركز في العقبة سـوف تنسـحب منها في حالة نشوب الحرب مع مصر عن طريق ايلات بعد أن تقـوم بتدمير منشآتها الثابتة ثم تنظم إلى القوات المدرعة الاسرائيلية الموجودة في النقب عند تقـدمها إلى سيناء ولكن هذه الكتيبة بقيت في مكانها طيلة مدة الحرب ولم تقم بأي تحركات معادية.

هذه نبذة فقط عن خلاصة التقارير التي كانت تصلني خلال تلك الفترة الحرجة التي سـبـقت وقوع الحرب أوردتها كأمثلة لتعطي فكرة عن الجو المحموم الذي كنا نعيشه في تلك الفترة.

خامساً: وبهذه الاثناء بدأنا بوضع خططنا الدفـاعـيـة لمواجـهـة كافة الاحتمالات ضمن إطار القـيـادة المشتركـة. وقـد كانت خطتنا الدفاعية على الجبهة الأردنية تعتمد أساساً على قـوات الجـيش العـربي الأردنى التي كان قوامها فرقة مشاه ولواء مصفح وعدد كبير من كتائب الحرس الوطني.

وكـان يسـانـد الجـيش العربي مجموعة من الجيش السوري قوامها لواء مشاة وكتيبة مـدرعة. وقد اعتبرنا هذه المجموعة السورية كقوة احتياط يمكن استخدامها في الهجوم المـعـاكـس في حـالـة وقـوع الهجـوم الاسرائيلي على الجـبـهـة الأردنيـة أولاً. ويمكن استخدامها كجزء رئيسي من قـوة التـعـرض التي خططنا لها في حـالة وقوع الهجوم

الاسرائيلي على الجبهة المصرية أولاً. حيث تقرر بهذه الحالة أن نقوم بعمليتين رئيستين تنطلق احداهما من منطقة طولكرم وتخترق غرباً باتجاه الساحل لتقطع اسرائيل من الوسط وتنطلق الثانية من مرتفعات القدس الغربية بهدف تطويق المدينة وفصلها عن اسرائيل تمهيداً لاحتلالها حسب تطور المعركة وتوفر القوات اللازمة.

سادساً: خلال هذه الفترة ازداد التوتر على طول خطوط الهدنة مع اسرائيل وكثرت حوادث الاعتداءات المحدودة كما ازدادت شكاوي اسرائيل من عمليات التسلل إلى داخل مناطقهم. وقد كانت هذه الأوضاع السائدة على الحدود وما كان ينتج عنها أو يتبعها من تصريحات المسؤولين الاسرائيليين تزداد حدتها كلما ازدادت الخلافات حول مسألة قناة السويس تعقيداً وكلما ساءت علاقات بريطانيا مع مصر كلما أصبحت الحالة على الحدود مع اسرائيل تزداد سوءاً وخطورة. وكان هذه مرتبطة بتلك.

ومن محصلة جميع ما كان يردنا من معلومات وما كنا نلاحظه من تطورات على الساحة الدولية كانت جميعها تشير إلى أن المنطقة مقبلة على حرب وشيكة لا محالة. كما أن تصريحات الساسة الاسرائيليين والتغييرات الجذرية في سياستهم العامة وخصوصاً بعد عودة بن غوريون إلى رئاسة الحكومة بعد فترة من الاعتزال وهو المعروف بسياسته العدوانية المتطرفة. كانت كلها دلائل تشير إلى أن اسرائيل عقدت العزم على شن حرب عامة. ومؤشراتها تقول أن هدف هذه الحرب سيكون أحتلال الضفة الغربية وقد كنا نعرف أنها في حربها المقبلة سوف تحصل على مساندة فعلية من فرنسا لأنها كانت في تلك الآونة تزودها بمختلف أنواع الأسلحة وخصوصاً الطائرات والخبراء.

ولكن بعد أن أخذت تصلنا معلومات عن حشد القوات البريطانية والفرنسية في جزيرة قبرص بدأنا نقدر أن احتمال اشتراكهما فعلياً في الحرب مع اسرائيل ضد مصر أصبح وارداً. وهنا أصبحنا نواجه احتمالين:

أ – إما أن اسرائيل تنوي الهجوم على الجبهة الأردنية لاحتلال الضفة الغربية وهو ما يفسر التحركات الاسرائيلية الحالية وتساعدها فرنسا بكميات هائلة من الأسلحة التي أصبحت تصبها في اسرائيل بشكل علني. وستكون بهذه العملية في حالة نجاحها قد وجهت ضربة قاتلة للقيادة المشتركة وللأمة العربية بشكل عام.

ب – وأما أن تكون اسرائيل تخطط للهجوم على مصر بالتعاون مع بريطانيا وفرنسا فعلاً كما كانت تدل على هذا الاحتمال التحركات الفرنسية والانجليزية في قبرص

بهدف احتلال قناة السويس والقضاء على زعامة عبد الناصر ونظامه وكل ما يمثله على الساحة العربية. وبهذه الحالة فإن التصرفات الاسرائيلية في الجبهة الأردنية ما هي إلا من قبيل الخداع لاخفاء الوجهة الحقيقية للهجوم. ولكن مع كل ذلك فقد كنا نظن أن هذه العملية قد لا تصل إلى مرحلة الغزو الفعلي من قبل القوات البريطانية والفرنسية لمصر نظراً لحساسية توازن القوى العالمية بين الشرق والغرب وخطورة إقدام بريطانيا على مثل هذه المجازفة التي قد تؤدي إلى حرب عالمية.

ولهذا ظننا لفترة من الوقت أن بريطانيا لن تجازف بالقيام بحرب فعلية ضد الأمة العربية إلى جانب اسرائيل. ولو على الأقل للمحافظة على مصالحها في العالم العربي. خصوصاً وإنها تعتمد إلى حد كبير على النفط العربي في صناعتها وحياتها. أما فرنسا فلم نستبعد اشتراكها مع اسرائيل بأي شكل لأنها على أي حال كانت تقاتل الشعب العربي في الجزائر منذ مدة طويلة وسيكون اشتراكها في حرب ضد مصر أكثر احتمالاً في ذلك الوقت لضرب سياسة جمال عبد الناصر في العالم العربي.

ولكن على الرغم من هذه الاحتمالات فإن الخطر المباشر كان يلوح لنا في إمكانية قيام اسرائيل بشن حرب وقائية وأنها سوف تستغل جميع الظروف التي أصبحت الآن مناسبة لها. ولكننا طبعاً لم نكن نعرف تفصيلات المؤامرة السرية التي كانت تحاك في الخفاء بين حكومات هذه الدول الثلاث في تلك الفترة الحرجة. ومن محصلة هذه الأوضاع المتردية والمتشابكة أصبح لزاماً علينا اتخاذ الاحتياطات المناسبة لمواجهة كافة الاحتمالات والأخطار التي أصبحت وشيكة.

سابعاً: كان أول انفجار كبير على الحدود يوم ١٠ تشرين أول عندما قامت قوة اسرائيلية كبيرة بشن هجوم واسع النطاق على بلدة (قلقيلية). وهو أضخم اعتداء من هذا النوع منذ الهجوم الغادر على قرية قبية.

وقد تمكنت هذه القوة المعادية من نسف مخفر الشرطة. ولكن لحسن الحظ أن قائد اللواء الهاشمي العقيد الركن صالح الشرع سبق واتخذ اجراءات احتياطية واخرج جميع العائلات من البناية إلى بيوت البلدة ولم يبق في المخفر عند بدء المعركة سوى جنود الشرطة الذين توزعوا في الخنادق حول البناية وقاوموا الهجوم فترة من الوقت ثم انسحبوا إلى موقع فئة الجيش التي كانت متمركزة في تلة صوفين الواقعة في الطرف الشرقي من بلدة قلقيلية. وقد كان مقدراً أن القوة الاسرائيلية سوف تقوم

بتطويق البلدة أولاً ومن ثم تهاجم موقع صوفين لأنه الموقع الحصين الذي يمكنه ايقاف تقدمهم. وقد واجه الهجوم الاسرائيلي مقاومة من جنود الحرس الوطني في أطراف قلقيلية ولكن قوة العدو تمكنت بالنهاية من الوصول إلى موقع فئة المشاه في تلة (صوفين). وقد صمدت هذه الفئة في مواقعها في وجه هجمات العدو عليها. وبهذه الاثناء كان قائد اللواء الهاشمي قد حرك الكتيبة التاسعة بقيادة الرائد سلامة عَتّيق للقيام بشن الهجوم المعاكس وفك الحصار عن قلقيلية وقد تحركت هذه الكتيبة من معسكرها بقرب قرية (جينة صافوط) عن طريق النبي الياس الواقعة شرقي قلقيلية وكانت قوات العدو في ذلك الوقت قد أحكمت الحصار حول بلدة قلقيلية ووزعت العديد من الكمائن في سفوح التلال المشرفة على طريق النبي الياس المؤدية إلى قلقيلية لاعاقة وصول قوة النجدة إليها بينما تتمكن من اقتحامها. ولكن مقاومة الفئة الموجودة في موقع صوفين ورجال الحرس الوطني المتمركزين حول المدينة منعت تقدمهم لفترة من الزمن.

وقد اضطرت الكتيبة التاسعة أثناء تقدمها أن تعالج جميع كمائن العدو في طريقها مما أدى إلى تأخر وصولها إلى قلقيلية بعض الوقت ومكن قوة العدو من الوصول إلى المخفر الذي كان أفراد الشرطة قد انسحبوا منه وتمكنت من نسفه ولكن سرايا الكتيبة التاسعة وصلت إلى المنطقة وأكملت عملية مطاردة قوة العدو ودحرها بعد تكبيدها خسائر فادحة قدرت بحوالي ستين قتيلاً من بينهم قائد الكتيبة المهاجمة (الذي تم تسليم جثته فيما بعد عن طريق لجنة الهدنة) بالإضافة إلى عدد كبير من الجرحى، ولكن اليهود اعترفوا في حينها بأن خسائرهم بهذه المعركة كانت ثمانية عشر قتيلاً وخمسين جريحاً ولقد اعتبر حادث الهجوم على قلقيلية في غاية الخطورة لأنه في تلك الظروف التي كنا نمر بها اعتبر بمثابة تهيئة لهجوم عام قد تشنه اسرائيل في أية لحظة لاحتلال الضفة الغربية.

وعلى أثر هذا الحادث مباشرة حدث أمرين هامين، أولهما أن الحكومة العراقية أعلنت عن استعدادها لارسال فرقة من الجيش العراقي إلى الأردن لتعزيز قواته للدفاع عن أراضيه. وقد وافق الأردن على هذا العرض حالاً وبدأت طلائع هذه الفرقة حركتها نحو الحدود الأردنية العراقية. وثانيهما. وهو أمر غريب جاء من طرف بريطانيا حيث بهذا الوقت بالذات بينما كانت قواتها محتشدة مع القوات الفرنسية في جزيرة قبرص وهي على وشك التحرك لغزو مصر بعد أيام قلائل بهدف احتلال قناة

السويس بالاشتراك مع اسرائيل تأتى بريطانيا هذه وفي اليوم التالي لهجوم القوات الاسرائيلية على قلقيلية وتوعز إلى القائم بالأعمال البريطاني في تل أبيب أن يبلغ بن غوريون أنه إذا قامت اسرائيل بأية أعمال حربية أخرى ضد الأردن فإن بريطانيا ستتدخل لمساعدة الأردن بحسب شروط المعاهدة البريطانية الأردنية كما أشرت سابقاً. وقد أجاب بن غوريون على هذا التحذير بأن اسرائيل سوف تعتبر دخول القوات العراقية إلى الأردن بمثابة اعلان حرب عليها من قبل العراق وستعتبر نفسها حرة التصرف بما تراه مناسباً. وبتاريخ ١٤ تشرين أول أعلنت اسرائيل بياناً رسمياً على شكل انذار ينص على أنه إذا اجتازت أية قوات عراقية الحدود الأردنية الشرقية فإن اسرائيل ستعتبر هذا الاجراء عملاً حربياً ضدها.

وبنفس الوقت أعلنت فرنسا احتجاجها رسمياً على دخول القوات العراقية إلى الأردن. وعند هذا الحد وبنتيجة الاتصالات الأردنية العراقية رؤي أنه من الأفضل ابقاء القوات العراقية على مقربة من الحدود الأردنية بداخل العراق. يلاحظ أن جميع هذه التصرفات من قبل اسرائيل وبريطانيا وفرنسا كانت تجري خلال فترة الاسبوعين الذين سبقا وقوع الهجوم الثلاثي على مصر، وقد ثبت أن كل هذه الاجراءات كانت متعمدة ومقصود بها التغطية على الهدف الحقيقي بلفت الأنظار نحو الجبهة الأردنية بينما تتم الاستعدادات النهائية ويكتمل حشد القوات لضرب الجبهة المصرية وبنفس الوقت محاولة منع دخول القوات العراقية إلى الأردن قبل بدء المعركة. وهكذا فقد كسبت اسرائيل عنصر المفاجأة التامة ضد مصر خلال الأربعة وعشرين ساعة الأولى من القتال. وكانت هذه فترة حاسمة في المعركة.

أما نحن في رئاسة الأركان فقد كنا خلال هذه الفترة منهمكون في وضع الخطط اللازمة لمواجهة الاحتمالات الخطيرة التي كانت كل الدلائل تشير إلى أنها قادمة لكي لا نفاجأ بها. ومن جهة أخرى كنا نحث الخطى لاتمام مسائل التنسيق بيننا وبين القيادة العامة المشتركة في القاهرة ومع القيادة السورية في نطاق اتفاقية الدفاع المشترك التي أصبحنا عضواً فيها. وبنفس الوقت باشرنا باستدعاء أكبر عدد ممكن من كتائب الحرس الوطني المحلية حسب الإمكانيات المتاحة لنا لكي نستخدمها في المواقع الدفاعية في الخط الأمامي لنتمكن من توفير بعض الكتائب النظامية وتجميعها في الاحتياط لاستخدامها بالأعمال الهجومية حسب الظروف وتطور المعركة.

ثامناً: أما على الصعيد الداخلي فقد كان البلد يمر بمرحلة جديدة حيث سمحت الحكومة

للأحزاب السياسية بممارسة نشاطاتها كاملة وبكل حرية واطلقت حرية الصحافة بدون قيود. وبنفس الوقت قررت الحكومة اجراء الانتخابات النيابية انطلاقاً من هذه الأوضاع الجديدة وتمشياً مع الظروف المستجدة. وعلى هذا الأساس قام كل حزب بفتح مكتب له اعتبر بمثابة مقر للحزب يجتمع فيه أعضاؤه وأخذت تنشر من هذه المكاتب الدعايات الحزبية وتوزع المنشورات لترويج مبادىء الحزب. كما كانت تعقد فيها الاجتماعات وتلقى الخطب من على شرفات هذه المكاتب على الجماهير المحتشدة بكل حرية وبدون أي تدخل من قبل قوات الأمن. ولم يشهد الأردن في السابق مثل هذا النشاط الحزبي الواسع النطاق.

وعندما كانت تخرج المظاهرات تعبيراً عن شعور جماهيرها أو للدعاية لحزب ما كنت ترى كل مظاهرة ترفع اليافطات التي تبين شعارات الحزب الذي أشرف على تنظيمها ويهتف المتظاهرون له وتسير منفصلة عن الآخرين. وعندما تصل إلى مقر الحزب يخرج زعيمه أو أحد الأعضاء البارزين ويلقي خطاباً بالمتظاهرين قبل انفضاض مسيرتهم

وبهذا الجو المفعم بالأحداث تقرر حل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة على أساس التعددية الحزبية، وانطلاقاً من هذه الحريات السياسية الجديدة قام دولة رئيس الوزراء السيد سعيد المفتي بحل المجلس بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٥٦م

وقدم استقالة حكومته إلى جلالة الملك حيث قبلها وكلف دولة السيد إبراهيم هاشم بتشكيل الحكومة الانتقالية التي سوف تشرف على اجراء الانتخابات. وتم تشكيل هذه الحكومة بتاريخ ١ تموز ١٩٥٦م وحددت يوم ٢١ تشرين أول موعداً لاجراء عملية الاقتراع وهكذا فبالاضافة إلى الظروف الخطرة التي كانت تمر بها المنطقة وحالة الطوارىء والظروف الاستثنائية التي تواجهنا كان يترتب علينا أن نولي اهتماماً زائداً لقضايا الأمن الداخلي. لا سيما وإن الاستعدادات للانتخابات النيابية كانت تجري على قدم وساق خلال الفترة التي سبقت نشوب الحرب. ولا حاجة هنا لشرح ما تستلزمه عملية الانتخابات من الاستعداد من قبل قوات الأمن للسهر على السلامة العامة وتأمين الجو الهادىء المناسب لجميع المواطنين لاستعمال حقهم الانتخابي بحرية تامة. ولكي تجري المنافسة بين جميع الأحزاب المختلفة بنظام وهدوء ومساواة كاملة بين جميع المشتركين فيها.

ولما كانت قوات الشرطة والدرك في ذلك الحين ما زالت مرتبطة برئاسة أركان الجيش

فإن ذلك كان يشكل عبئاً اضافياً علينا فوق أعبائنا ومسؤولياتنا العسكرية في مواجهة الحرب التي أصبحت وشيكة الوقوع.

وللتصدي إلى كل تلك الظروف فقد تقرر فصل قوات الأمن الداخلي بكافة فروعها عن قيادة الجيش اعتباراً من تاريخ ١٤ تموز ١٩٥٦م. وربطها بوزير الداخلية وتم تعيين الزعيم بهجت طباره مديراً للأمن العام. كما قامت الحكومة بسن قانون خاص للأمن العام.

هذا وقد جرت الانتخابات النيابية بموعدها المقرر بسهولة ويسر ولم يحدث خلالها أي مشاكل تخل بالأمن الداخلي. حيث انعدمت الأسباب التي تثير المشاكل عادة في مثل هذه المناسبات. حيث جرت عملية الانتخاب بحرية تامة دون تدخل أي طرف رسمي أو غير رسمي. وكانت المنافسة حرة ونزيهة بدافع من الشعور بالمسؤولية وواجب المواطنة الحقة من قبل الجميع مرشحين وناخبين على حد سواء. فأخذ كل ذي حق حقه كاملاً غير منقوص ودون تجاوز على حقوق الآخرين.

وبنتيجة هذه الانتخابات فاز الحزب الوطني الاشتراكي بغالبية المقاعد

وعلى هذا الأساس كلف جلالة الملك رئيس هذا الحزب السيد سليمان النابلسي بتشكيل الحكومة الجديدة وقد تم تشكيلها يوم ٢٨ تشرين أول عام ١٩٥٦م من كافة الأحزاب والاتجاهات السياسية المختلفة.

تاسعاً: التوقيع على اتفاقية الدفاع المشترك والاستعداد للحرب

بدعوة من جلالة الملك حسين وصل الفريق عبد الحكيم عامر على رأس وفد عسكري بزيارة رسمية للأردن للتوقيع على اتفاقية الدفاع المشترك والتوصل معنا إلى القرارات الأساسية حول تشكيل القيادة العليا المشتركة ووضع أسس عملها وتنظيم الأجهزة الادارية التابعة لها.

كما وصل بنفس الوقت إلى عمان وفد عسكري سوري برئاسة اللواء توفيق نظام الدين رئيس أركان الجيش السوري لنفس الغرض.

وبهذه الزيارة احضر عبد الحكيم عامر معه ستة طائرات مقاتلة من نوع (فامبيار) (Vampire) من صنع انجليزي هدية من مصر إلى سلاح الجو الملكي الاردنى وهبط بها الطيارون المصريون في مطار ماركا العسكري وتم تسليمها رسمياً إلى الطيارين

الأردنيين بحضور جلالة الملك والفريق عبد الحكيم عامر وقد حضرت أنا واللواء علي أبو نوار هذه المراسم.

وفي اليوم التالي اصطحبت رؤساء الوفود الضيوف لحضور جلسة افتتاح مجلس الأمة الجديد. وقد كانت مناسبة نادرة أن يحضر قادة الجيوش العربية تحت مظلة القيادة المشتركة جلسة مجلس الامة الأردنى. تلك المناسبة التي عبر عنها عبد الحكيم عامر عندما كنا نغادر القاعة بعد انتهاء الجلسة إذ قال لي أنه يعتبرها نقطة تحول هامة في تاريخ الأمة وخطوة هائلة في طريق تحقيق الوحدة العربية. ولكن لسوء الحظ اثبتت الأيام والسنين اللاحقة أننا في تلك اللحظة كنا متفائلين أكثر من المعقول لأن الاستعمار لن يسمح لركب الوحدة العربية أن يسير بطريقه القومي الصحيح بسهولة وأغلب ظني أن هذه المناسبة كانت الوحيدة من نوعها في تاريخ هذه الآمة ولم تتكرر حتى الآن. ومن يدري فإنها ربما لن تتكرر لأجيال طويلة قادمة.

وفي صباح اليوم التالي عقدنا اجتماعاً رئيسياً في قيادة الجيش للوفود الثلاثة المصري والسوري والأردنى. وترأس هذا الاجتماع الفريق عبد الحكيم عامر بصفته القائد العام للقيادة المشتركة. وبهذا الاجتماع الذي دام زهاء اربع ساعات اتفقنا على جميع الاسس الرئيسية لتكوين القيادة المشتركة وكيفية تسيير أعمالها الادارية والحربية استناداً لاتفاقية الدفاع المشترك.

ويمكن تلخيص أهم النقاط التي أقرت واعتبرت أساساً لعمل هذه القيادة بما يلي

١ – القائد العام للقوات العربية المشتركة الفريق عبد الحكيم عامر ويعاونه ضباط ركن منتخبون من الجيوش الثلاثة لهذه الغاية.

٢ – مقر القيادة العامة في القاهرة.

٣ – يفتح مكتب خاص تابع للقيادة العامة في كل من قيادة الجيش الأردنى وقيادة الجيش السوري ويرأس هذا المكتب ضابط ركن يعينه القائد العام ويوضع تحت تصرفه جهاز لا سلكي يربطه مباشرة مع القيادة العامة ويكون له حق الاتصال المباشر مع القائد العام في القاهرة. ويستعمل الشيفرة الخاصة بالقيادة العامة. ويترتب عليه أن ينسق جميع أعماله مع قيادة الجيش الملحق به.

٤ – انتخب الزعيم الركن صادق الشرع سكرتيراً عاماً للقيادة المشتركة على أن يباشر هذا العمل بالاضافة لعمله الحالي كمدير هيئة الأركان في الجيش الأردنى.

٥ – يتم التنسيق المباشر بين قيادة الجيش الأردنى وقيادة الجيش السوري في كافة الأمور الادارية والتدريبية والحربية ويجري ابلاغ القيادة العامة بما يتم الاتفاق عليه.

٦ – التنسيق في الخطط الحربية بمختلف مراحلها بين الجبهتين الأردنية والسورية ضمن نطاق الخطط العامة للقيادة المشتركة

٧ – التنسيق في مراحل التدريب المختلفة وعقد المناورات المشتركة.

٨ – العمل على توحيد أساليب عمل الأركان والمصطلحات العسكرية والتعليمات والأوامر الحربية. وما إلى ذلك من أعمال القيادة

٩ – العمل على تحقيق تساند الجبهتين في الخطة الدفاعية ومحاولة بناء احتياطي رئيسي مشترك لهما حسب الظروف والامكانات المتاحة.

١٠ – تقوم هيئات الأركان الأردنية والسورية باعداد الدراسات التفصيلية لوضع هذه القرارات موضع التنفيذ واصدار التعليمات اللازمة بهذا الشأن.

وبعد الاتفاق على هذه القرارات عقد اجتماع في اليوم التالي بين هيئتي الأركان الأردنية والسورية لدراسة تفصيلات وضع المقررات موضع التنفيذ. ووضع الأسس التي سنسير عليها في خططنا المقبلة وبدأنا على ضوء ذلك بالتنفيذ العملي لكافة القرارات. وقد تم الاتفاق على أن ترسل القيادة السورية ضابط ركن ليعمل معنا في قيادة الجيش الأردنى بشكل دائم كضابط ارتباط لتنسيق أعمال الأركان بين القيادتين. وقد تم تعيين المقدم الركن جودت الاتاسي لهذه المهمة. وبعد هذه الاجتماعات عاد الوفد السوري إلى دمشق لانتظار زيارة الفريق عبد الحكيم عامر لهم بعد انتهاء زيارته لعمان.

وفي يوم ٢٧ تشرين أول عقد اجتماع خاص في الديوان الملكي بمعية جلالة الملك حسين حضرة الفريق عبد الحكيم عامر كما حضرته أنا واللواء علي أبو نوار وقد قام عبد الحكيم عامر بشرح الخطوط العريضة لخطة الدفاع عن الجبهة المصرية في سيناء وبيان القوات المتبقية فيها بعد أن تم سحب أجزاء من هذه القوات إلى غرب قناة السويس لتعزيز الدفاع عنها تجاه احتمال وقوع غزو بريطانى فرنسي.

وقد ذكر أن القوات المتبقية في جبهة سيناء ستكون كافية لصد أي هجوم قد تقوم به اسرائيل وإنه عندما يتضح الموقف ويزول خطر وقوع غزو بريطانى فرنسي سيصبح بالإمكان اعادة القوة الضاربة بسرعة إلى سيناء للتعامل مع القوات الاسرائيلية حسب الموقف الذي سيصبح سائداً في ذلك الوقت.

كما قمنا بنفس الوقت بشرح موقف القوات الأردنية في الجبهة وشرحنا مجمل خطتنا الدفاعية والتعرضية المحتملة والتي سنستخدم فيها القطعات الموضوعة تحت امرتنا من القوات السورية للتعرض من منطقة طولكرم وقلقيلية لشطر اسرائيل من الوسط. وكذلك الشق الثاني من الخطة الذي يهدف بنفس الوقت تطويق مدينة القدس عبر جبالها الغربية من منطقة باب الواد واللطرون والمبنية على أساس أنه في حالة قيام اليهود بالهجوم على الجبهة الأردنية أولاً سوف نتصرف بالقوات السورية والقوات الاحتياطية الأردنية حسب تطورات المعركة الدفاعية لوقف تقدم القوات المعادية على المحاور الرئيسية بينما تتمكن القوات المصرية من التقدم شمالاً عبر النقب.

وفي حالة قيام اسرائيل بالهجوم على جبهة سيناء أولاً عندما يتضح أنهم وضعوا جهدهم الرئيسي هناك نطبق نحن خطتنا التعرضية من وسط اسرائيل وبهذا تصبح القوات الاسرائيلية في موقف خطير للغاية حيث سيكون بامكاننا تهديد قواعدها الرئيسية وتصبح قواتها واقعة تحت ضغط الجبهتين المصرية والأردنية في آن واحد بالإضافة إلى عمليات التعرض التي تخطط لها القوات السورية من واجهتها نحو الجليل. كما أنه بنفس الوقت يبقى لدينا احتياطي آخر من الجيش العراقي الذي على الرغم من تواجده خارج الحدود الأردنية الشرقية فإنه عندما تتطور المعركة وتشتبك الجيوش العربية مع الجيش الاسرائيلي بهذا العمق سوف يمكن استخدام القوة العراقية دون الالتفات لأية محاذير أو تهديدات والتي ستكون قد أصبحت غير ذات موضوع.

غادرنا عبد الحكيم عامر إلى دمشق لكي يطلع على الموقف العام هناك ويزور الجبهة السورية. ولكننا عندما ودعناه في مطار عمان لم نكن نعلم أنه حوالي الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم ٢٩ تشرين أول وهو تقريباً نفس الوقت الذي كنا نودعه فيه كانت كتيبة المظليين الاسرائيلية تهبط في منطقة ممرات (متلا) في عمق سيناء وأن الحرب الثلاثية ضد مصر كانت قد بدأت فعلاً

أما عبد الحكيم عامر فقد عاد إلى القاهرة من دمشق بعد أن بدأت الحرب في سيناء وكان الاسرائيليون كما يبدو يرصدون تحركاته لكي يسقطوا طائرته. ولكن القدر لعب دوراً حاسمًا بهذه الاثناء حيث تأخرت طائرته عن الاقلاع بعض الوقت وسبقته الطائرة الثانية التي كانت تحمل الصحفيين وعدداً من الضباط أعضاء الوفد المرافق فاعترضتها الطائرات الاسرائيلية وأسقطتها في عرض البحر قبل وصولها إلى جزيرة قبرص ولم يظهر لهذه الطائرة أي أثر أما طائرة عبد الحكيم عامر فقد غيرت خط سيرها وتمكنت من الوصول إلى القاهرة عن طريق السعودية.

ولقد قمنا من جانبنا بالعمل بسرعة على بلورة كافة التفاصيل لخطط العمليات المتفق عليها استعداداً لوضعها موضع التنفيذ حسب تطور سير الحرب. ولكن بالنظر لضيق الوقت فإن القيادة المشتركة لم تتمكن من الظهور عملياً بشكلها الكامل ومن الطبيعي أنه لم يكن ممكناً لها أن تضع الخطط المشتركة المتكاملة للعمليات المتوقعة على جبهاتها الثلاثة حيث لم يكن قد مضى سوى ثلاثة أيام بعد التوقيع على اتفاقيات القيادة المشتركة حينما بدأ الهجوم الاسرائيلي يوم ٢٩ تشرين أول على سيناء. وبدأ القصف الانجلو فرنسي الجوي على القواعد الجوية والمدن الرئيسية المصرية عند فجر يوم ٣١ تشرين أول. ولذلك فقد داهمتنا الأحداث قبل أن تصبح القيادة المشتركة فعالة وفي وضع يمكنها من ادارة المعارك على الجبهات الثلاثة كقيادة مركزية موحدة. وبالنتيجة فقد كان يتحتم علينا أن نكتفي بالخطوط العامة التي أشرت إليها كأساس لخططنا التفصيلية للعمليات التي سنضعها لكل جبهة حسب تطور الأحداث ونقوم بالتنسيق مع القيادة المشتركة في القاهرة لوضع السياسة العامة للحرب والتوصل للقرارات الرئسية فقط.

وفي صباح يوم ٣٠ تشرين أول بعدما وصلتنا المعلومات عن انزال قوة المظليين الاسرائيليين في ممرات متلا وعبور القوات الاسرائيلية الحدود إلى داخل سيناء لم يعد هنالك مجال للشك حول وجهة الهجوم. ولذلك كان علينا أن نتخذ الاجراءات الفورية لتنفيذ الخطة الموضوعة للهجوم من جبهتنا ضد اسرائيل. فقمنا أولاً باصدار التعليمات الحربية من قيادة الجيش إلى قيادة الفرقة للتحضير للهجوم الرئيسي من منطقة طولكرم باتجاه الساحل لاختراق اسرائيل من الوسط. ويقوم بهذه العملية اللواء الهاشمي بقيادة العقيد الركن صالح الشرع وبأمرته ستة كتائب من الحرس الوطني (محلية) من قطاع نابلس وتدعمه المجموعة السورية المؤلفة من (لواء مشاة وكتيبة دبابات) بقيادة العقيد الركن سهيل العشي. وكذلك يقوم لواء الملك طلال بقيادة الزعيم الركن راضي الهنداوي وبأمرته أربعة كتائب من الحرس الوطني (محلية) من قطاع القدس وتسنده كتيبة دبابات بالهجوم عبر مرتفعات القدس الغربية بقصد تطويق المدينة تمهيداً لتطوير عمليات أوسع نطاقاً من هذا المعبر حسب سير المعركة وتقدم القوات العربية في الجبهة المصرية وتوفر قوات احتياطية كافية وربما بعد دخول الفرقة العراقية إلى ساحة القتال إذا سمحت الظروف بذلك.

وقد كنا نعتمد في جميع الخطط التي كنا نضعها للحصول على الغطاء الجوي اللازم لجبهتنا من السلاح الجوي المصري بالدرجة الأولى. وأما بالنسبة للسلاح الجوي السوري فقد كان حجمه محدوداً وكان المتوقع منه أن يقدم الاسناد التكتيكي المباشر للجبهة السورية والجناح الأيمن لجبهتنا.

وبعـد اصدار التعليمات الأولية بدأ قائد الفرقة اللواء علي الحياري وقادة الألوية المختصة باجـراء عـمليـات الاسـتطلاع واصـدار التـعليمات اللازمـة لوحـداتهم بانتظار صدور الأمر النهـائي لبـدء تنفـيـذ العـمليـات الحـربية أما بالنسبة لنا في قيادة الجيش فقد نقلنا القيادة الرئيـسـية من مبناها في عمان إلى منطقة المستنبت الزراعي في الجبيهة وهو المكان الذي تقوم عليـه الجـامـعـة الأردنيـة الآن. كما وضـعنا القـيادة الخلفية مع أجهزة اللاسلكي الرئيسية وبعض المسـتـودعـات الضرورية في مجمـوعـة كهوف موجودة في وادي صقرة ((وهي تقع خلف فندق (الهوليـدي إن) والذي سمي الآن فندق فيلادلفيا)) . ثم بعد ذلك وضعنا القيادة الأمـامية (التكتيكية). التي تشمل رئيس الأركان ومدير هيئة الأركان ومدير العمليات الحربية وبعض قـادة الأسلحـة الاسنادية (المدفـعـيـة، الهندسـة، اللاسلكي) مع أجـهزة الاتصالات اللاسلكيـة الأمامية في القصر القديم في الحمر الواقع على الطريق بين صويلح والفحيص حيث كـان خـاليـاً وسمح لنا بأمر من جلالة الملك باستعماله وما كدنا نتم اجراءاتنا هذه حتى بدأ القـصف الجـوي البريطانى الفرنسي المشترك عند فجر يوم ٣١ تشرين أول عـام ١٩٥٦ على المطارات الحـربيـة المصرية وباقي القـواعـد في منطقـة القناة وعلى المدن الرئيـسـيـة المصرية وخصوصاً القاهرة نفسها.

وبهذه الغـارات تم تدمير مـعظم القاذفات والمقاتلات المصرية ولم يعد بامكان سلاح الجو المصري تقـديم أي عـون للجبهة الأردنية ولا للقوات المصرية المقاتلة في سيناء والتي أصبحت الآن في مـوقف حـرج للغـاية ولا سـيما بعـد أن تم سـحب اجزاء كبيرة منها إلى غرب القناة للدفاع عنها ضد الانزال البحري البريطانى الفرنسي المتوقع قريباً. حيث بدأت الاساطيل التي تحمل قوات الغزو حركتها من قبرص ومالطة باتجاه بور سعيد يوم ١ تشرين ثاني. وعندما اتضـحت هذه الصـورة أصـبح الموقف في سـيناء صعباً للغاية حيث أن القوات المدافعة عنها سـوف تنعـزل تمامـاً عن قواعدها في القناة قريباً بعد نزول القوات الغازية هناك ولذلك فإنه لم يبق أمـام هذه القوات أي خيار سوى أن تقاتل قتالاً تراجعياً بقدر الامكان ثم تنسحب إلى غرب القناة تديجياً (إذا أمكنها ذلك حسب سير المعركة). قبل أن تقع في الأسر أو تدمر.

ومع استمرار القصف الجوي وتدهور الموقف في جبهة سيناء وتقدم الاساطيل البريطانية والفـرنسية حاملة قوات الغزو باتجاه بور سعيد اتضح للرئيس جمال عبد الناصر أن القوات العـربيـة المتـيسرة لا يمكنهـا كـسب المعـركة العسكرية أمام الجيوش البريطانية والفرنسية والأسرائيليـة مجتمعة لا سيما وهي تملك اسلحة جوية ضخمة مزودة بأحدث الطائرات التي عـرفـهـا العالم آنذاك من القاذفات والمقاتلات النفاثة. ولذلك فإن الخيار الوحيد الباقي أمامه

هو محاولة كسب المعركة سياسياً على صعيد هيئة الأمم المتحدة وبمساعدة الدول الصديقة وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتى، ولذلك فقد طلب من جلالة الملك حسين عدم القيام بعمليات هجومية في جبهتنا لأن مثل هذا الهجوم سيفشل في النهاية أمام هذه الجيوش الجرارة وقد ينتج عنه خسارة الضفة الغربية بكاملها في هذه الحالة.

وبهذه الاثناء عاد رئيس الأركان اللواء على أبو نوار بعد أن حضر جانباً من جلسة مجلس الوزراء وابلغني بأنه تقرر إيقاف جميع الاجراءات التي وضعناها لعمليات الهجوم في الضفة الغربية على أن تبقى القوات في مواقعها الحالية في حالة الاستعداد القصوى لمواجهة أي هجوم مفاجى قد يشنه العدو ضدنا. وبمعنى آخر أن نبقى في موقف الدفاع لنحتفظ بمواقعنا الحالية في الجبهة. كما أبلغني أن قرار الحكومة هذا قد تم اتخاده على أثر مكالمة هاتفية تلقاها جلالة الملك من الرئيس جمال عبد الناصر بهذا المعنى. وعندئذ قمت باصدار التعليمات إلى القيادات المعنية بايقاف جميع اجراءاتها بما يتعلق بالخطط الهجومية والثبات بمواقعها الحالية في وضعية الدفاع.

وهكذا استقرت الأحوال في جبهتنا بالنسبة للقوات الأردنية والقوات السورية المشتركة معها حتى نهاية هذه الحرب.

٥ ـ العمليات الحربية :

كان المحرك الرئيسي وراء هذه الحرب والمنظم لها بالاتفاق مع رئيس وزراء فرنسا ورئيس وزراء اسرائيل هو المستر انتونى ايدن رئيس وزراء بريطانيا الذي كان هدفه الأساسي من وراء هذه المؤامرة هو القضاء على جمال عبد الناصر ونظامه وكل ما يمثله في العالم العربي لأنه كان يعتبره العدو الأول الذي يقف في وجه التغلغل الاستعماري في البلاد العربية عامة. وقد اتخذ ايدن قراره الحاسم بشن الحرب ضد مصر في اليوم التالي لإعلان جمال عبد الناصر قراره بتأميم شركة قناة السويس. يوم الخميس ٢٦ تموز ١٩٥٦م. وذلك على إثر محادثته الهاتفية التي أجراها يوم الجمعة ٢٧ تموز ١٩٥٦م. مع المستر (بينو) وزير خارجية فرنسا واتفاقهما على ضرورة شن حرب ضد مصر. ولم يكن قصد ايدن سوى تدمير نظام عبد الناصر عن طريق الغزو العسكري وليس حل مشكلة القناة كما كان يدعي. لأن هذه المشكلة كان من الممكن حلها عن طريق المفاوضات. بل انها وصلت الى مرحلة الحل فعلاً عندما وافقت مصر على جميع النقاط والمسائل التي طلبتها بريطانيا قبل بدء الحرب كما اسلفنا. ولكن ايدن لم يلتفت لهذه النتيجة لأنه في حقيقة الأمر لم يكن يريد حلاً سلمياً

لمشكلة القناة أصـــلاً. بل كان يريد اتخاذ هذه المشكلة ذريعة للهجوم العسكري على مصر لآن هدفـه كان ضرب جمال عبد الناصر وليس ضمان حرية الملاحه في القناة كما كان يقول اتناء الإجـراءات الدبلومـاسـيـة التي رتبـهـا لتكون ستاراً يخفي وراءه التحركات العسكرية التي اتخذها وحشد لها قوات الغزو الضـخمة في قبرص ومالطه .

وبما أن هذه الحـرب كـانت نتـيـجـة مـؤامـرة بين الأطراف الثـلاثة بريطانيـا وفـرنسا واسرائيل وبما أن دور اسرائيل كـان القـيـام بغزو سيناء لكي تخلق مبرراً لحليفتها في غزو مصر أمـام الرأي العام العالمي فإنى رأيت من المناسب أن أقسم الشرح عن سير المعارك بهذه الحرب الى قسمين :

أ ـ الحملة الاسرائيلية على شبه جزيرة سيناء

ب ـ الحملة البريطانية الفرنسية على منطقة قناة السويس .

الحملة الاسرائيلية على سيناء

أولاً : الوصف الطبوغرافي :

منطقة سيناء عبارة عن مثلث صحراوي يقع بين مصر وفلسطين (التي أصبح جزء منها بعد حرب عام ١٩٤٨ يسمى اسرائيل). ويمتد الضلع الغربي لهذا المثلث على طول قناة السويس ويبلغ طوله من مدينة بورسعيد حتى خليج السويس ٣١ ميل وطول ضلعه الممتد على ساحل البحر الأحمر من السويس حتى العقبة ١٥٥ ميل. وأما ضلعه الممتد على ساحل البحر الأبيض المتوسط من بور سعيد حتى رفح فيبلغ طوله ١٣٤ ميل. وتشكل منطقة هذا المثلث حاجزاً طبيعياً يمكن اعتباره في حالات الحرب منطقة حشد مناسبه لقوات كلا الطرفين المتحاربين تهيئة للهجوم على الطرف الآخر وبنفس الوقت فإنها تعتبر معبر اتصال بين المنطقتين وحاجزاً طبيعياً لا بأس به .

أما طبيعة الأرض في سيناء ففي نصفها الشمالي تتكون من تلال وهضبات رمليه تتخللها بعض المساحات الصغيرة المتفرقة من أشجار النخيل. وتمتد على طول امتداد ساحل البحر الاراضي المنبسطة الملحية .

وأما مناطق وسط سيناء فتتكون من التلال التي تصل ارتفاعاتها في بعض الحالات الى نحو ٣٥٠٠ قدم. وأما القسم الجنوبي من سيناء فيتكون من منحدرات سحيقة وسلاسل جبلية تتخللها أودية عميقة جافة وهي جميعها خالية من المياه وأي نوع من الأشجار. وتكثر في سيناء التليلات الرملية المتحركة التي تتكون من تراكم الرمال الناعمة التي تسفيها الرياح وتنقلها من مكان الى آخر بمعنى أنه يمكن أن يكون تل رملي من هذه التلال موجود اليوم في مكان ما ثم يختفي بعد أيام ويصبح مكانه قاعاً مسطحاً ويتكون من رماله تل جديد في مكان آخر. وهكذا تتكرر العملية باستمرار كما لا توجد في سيناء طرق فرعية تسمح بمرور الآليات الى اعماقها الا القليل جداً وبصعوبة. وقد حددت هذه الطبيعة الصعبة لمنطقة سيناء شكل الحرب لجميع الجيوش الغازية عبر العصور حيث كانت تجبرها على التركيز على الطرق الصالحة للمرور وعلى المرتفعات الاستراتيجية المهمة التي تسيطر على هذه الطرق. وبما ان سيناء خالية من أية أنهار أو مصادر للمياه ولا توجد فيها أية أشجار او غابات فإن القتال فيها يستلزم ان تتخذ القوات المقاتلة جميع متطلبات حرب الصحراء من حيث التعبئة والسوقية والتزويد والإدارة والحركة والتستر والتمويه وما الى ذلك من أساليب القتال المختلفة. مع الأخذ بعين الاعتبار ما يصاحب هذه العمليات من صعوبات ومشقات. أما

الطرق الرئيسـيـة التي تعبر سـيناء فإنها جميعها تتجه من منطقة القناة الى الشرق. وأهمها الطرق الآتية :

أ ـ سـكة الحـديد التي تعبر من القنطرة الى العـريش وغـزة شرقـاً ثم الى حـيـفـا في شمال فلسطين.

ب ـ الطرق الاسـفلتـيـة الرئيـسية التي تعبر من الاسماعيلية شرقاً إلى ابو عقيله بالقرب من الحدود مع اسرائيل .

ج ـ الطريق الاسـفلتـيـة التى تعبر من السـويس عبر ممر متلا الى (نخل) كما تتفرع طرق موصلة من الشمال الى الجنوب بين القسيمه والكونتيلا ورأس النقب بمحاذاة الحدود .

د ـ الطريق التي تصل من العريش الى بير الحسنه ونخل عبر وسط سيناء .

علمًا بأن الحكومة المصرية هي التي بنت جميع هذه الطرق بعد عام ١٩٥٣م ما عدا سكة الحديد والطريق الرئيسية المؤدية من الاسماعيلية الى فلسطين .

وبالإضافة الى هذه الطرق فقد بنت الحكومة المصرية شبكة مهمة من المطارات الحربية في مختلف انحـاء سـيناء لتستوعب السلاح الجوي المخصص لمنطقة سيناء بقصد تقصير رحلة الطيران للطائرات القـاذفـة والمقـاتلة بحـيث تقـوم من قـواعدها في سيناء لتضرب أهدافها في اسرائيل وتعود بأقصر مدة ممكنة من الوقت .

ثانياً : القوات المتقابلة :

١ ـ القوات المصرية الرئيسية المتواجدة في سيناء كانت تتألف من التشكيلات الآتية .

أ ـ الفـرقـة الثـامنة : بقـيـادة اللواء يوسف العجرودي ـ وكانت هذه الفرقة مخصصة للدفاع عن قطاع غزه وموزعة على المواقع الآتية :

قيادة الفرقة ـ في مدينة غزه

اللواء الفلسطيني (٨٦) ـ في منطقة خان يونس

اللواء المصري رقم ٢٦ حرس وطني ـ في مدينة غزه

ب ـ فرقة المشاه الثالثة ـ بقيادة اللواء أنور القاضي

وتتمركز قطعاتها في الدفاعات الرئيسية في منطقة العريش ـ ابو عقيله

ج ـ اللواء المدرع الأول : بقيادة العقيد طلعت حسن علي

ويتـمـركـز في منطقة بير ققفقا حتى غرب ابو عقيله لتغطية المحور الأوسط في سيناء .

د ـ لواء مـشـاه . يتـمـركز على المرتفعات الواقعة غرب ممر (متلا) حول منطقة ميناء السويس

هـ ـ قـوة الحـدود الآليـة : وهذه القـوة محمـولة على سيارات الجيب المصفحة وناقلات الجنود ومـهـمـتـها ارسال الدوريات وتغطية باقي المواقع الصغيرة المتفرقة

و ـ وحدات أخرى صغيرة مستقله موزعه في الدفاع عن بعض المناطق مثل الثمد ونخل.

ز ـ كـتـيبتي مشاه تسندهما مدفعية ميدان متمركزتين في الدفاع عن شرم الشيخ ورأس نصرانى الواقـعـة في اقـصى الجنوب عند تلاقي خليج السويس مع خليج العقبة الى الجنوب من جزيرة ثيران .

٢ ـ القـوات الاسرائيليـة التي احتشدت بعد إتمام عملية التعبئة العامة كانت تتكون من عشرة ألوية مع اسلحتها الاسنادية المختلفة. وبالإضافة الى المعلومات الاستخبارية التي توفرت لدينا عن هذه القـوات فـقد تأكدنا من تفصيلات توزيعاتها وعملياتها من بعض الوثائق والخـرائط التي حـصلنا عليـهـا مع الجنرال الاسرائيلي (سمحونى) قائد المنطقة الجنوبية الذي قـتل عندمـا سـقطت طائرته اثناء سير العـمليـات الحربية وعثرنا عليها في المنطقة الجـبلية بين الطفيلة ـ الشوبك . وكانت القوات الاسرائيلية الرئيسية كما يلي :

أ ـ سـتـة ألوية مشاه هـي : الأول والرابع والتاسع والعاشر والحادي عشر والثانى عشر وملحقاتها من الأسلحة الاسنادية والخدمات المختلفة .

ب ـ اللوائين الآليين السـابع والعشرين والسابع والثلاثين .

ج ـ اللواء المدرع الرابع .

د ـ اللواء المظلي رقم ٢٠٢ .

ثالثاً : تفصيلات المعارك في سيناء :

لتأكـيـد الاعـتـقـاد بأن الاسـتـعدادات التي كانت تقوم بها القوات الاسرائيلية منذ اعلان التـعـبئة العامة انما كانت للقيام بالهجوم على الجبهة الاردنية بهدف احتلال الضفة الغربية. قامت القيادة الاسرائيلية بحشد قوة رئيسية في منطقة النقب الى الغرب من مدينة العقبة. وقد

كـانت هذه القـوة تتألف من لواء المظليين ناقص كـتـيـبة (هي التي هبطت في ممر متلا) مع كتيبة دبابات من نوع (AMX) فـرنسية الصنع بالإضافة الى كتيبتين من المشاه المحمولة على ناقلات مصفحة وكتيبة مدفعية ميدان ٢٥ رطل وكتيبة مورتر ثقيل .

وعلى الرغم من أن الفكرة السائدة كانت أن هذه الحرب قد بدأت في الواقع بهبوط المظليين الاسرائيليين في ممرات (مـتـلا) بعد ظهر يوم ٢٩ تشرين أول إلا أن أول قـوة دخلت الحـدود المصرية كـانت هذه القـوة التي كـانت محتـشدة أمام الجبهة الأردنية مقابل مدينة العقبة من جهة الغرب. حيث تحركت في الصباح الباكر يوم ٢٩ تشرين أول. وقد كانت حركة هذه القوة الضـخـمـة واضـحـة ومـرئيـة من مـواقعنا في العقبة ومن مواقع الكتيبة المدرعة البريطانية الموجـودة في طرفـهـا الشمالي والتي كـان من المفروض انها موجوده هناك للدفاع عنها ضد الهجـوم الاسرائيلي المحـتـمل وذلك بمـوجب المعـاهدة الاردنيـة البريطانيـة ولكن من عجائب المتناقـضـات التي لا اظن ان تاريخ العـلاقـات بين الدول قـد سـجل مـثلهـا هي ان القوات البريطانية بينما كانت تحتشد في قبرص لتبدأ هـجومها الجوي على القواعد والمدن المصرية بعد مدة ٢٤ سـاعـة فـقط من ابتـداء حركة القوات الاسرائيلية عبر الحدود الى سيناء كانت القوة البريطانيـة الموجـودة في العـقـبـة وفي القـواعد الجوية في عمان والمفرق حليفة لنا ولو شكلياً بمـوجب المعاهدة التي ما زالت قائمة ولكنها واقعياً كانت عدوة لنا بسبب هذا الغزو الوشيك. فـهي إذن حليـفنا وعدونا في آن واحد لاسيما ونحن في هذا الوقت كنا مشتركين مع مصر في القـيادة المشتركة وقد مضى على رحيل الفريق كلوب والضباط الانجليز عن الجيش أكثر من سـتـة أشهر. وأنا لم أسمع عن شبيه لمثل هذه الحالة التي كنا فيها في ذلك الوقت بأي مكان في العالم وبأي زمان .

وعلى أي حـال فـقد بدأت حركة هذه القوة الاسرائيلية عن طريق الكونتيلا ـ الثمد ـ نخل ثم إلى ممرات مـتـلا حيث ستتصل عملياً بقوة المظليين التي ستهبط هناك بعد الظهر. وبنفس الوقت ستؤمن طريقاً برية لتزويد هذه القوة من داخل اسرائيل بعد هبوطها .

ومما لا شك فـيـه أن القـوات الاسرائيليـة اسـتطاعت أن تحقق المفاجأة التامة على القوات المصرية خـلال الاربعة وعشرين ساعة الأولى من القتال حيث لم يظهر أي رد فعل سريع من القـوات المصرية على الرغم من أن هذه القـوة الاسرائيليـة اشـتـبكت مع ثلاثة مـواقع دفاعية مصرية في الكونتـيـلا والثـمد ونخل قبل أن تصل الى ممرات متلا. ولا يعقل ان تكون القيادة المصرية في سـيناء لم تعـرف عن هذه الحـركـات والاشـتـباكات في حينها ... ولكن التفسير المصري في ذلك الوقت كـان أنهم ظنوا انها كـانت عـبـارة عن حركات ثانويه قصد منها لفت

النظر عن العـمليـة الرئيسية التي ما زالوا يظنون انها ستبدأ قريباً ضد الأردن حيث كانوا ما زالوا يعـتـقـدون ان بريطانيـا لن تجـازف بشن غـزو عسكري ضد مصر لأنها بهذه الحالة ستـخسر جميع مـصالحها الحيوية في البلاد العربية. وإن المقصود من حشودها في جزيرة قبرص هو الضغط على مصر للتوصل الى تسوية لمشكلة قناة السويس تكون لصالحهم

وأمـا بالنسـبـة لنا فإنه لم يكن بإمكاننا حتى في ذلك الوقت المتأخر إهمال احتمال وقوع الهجـوم الرئيسي ضـدنا لأن جميع اسـتـعـدادات اسرائيل كـانت تشير نحـونا ولاسيما بعد الهجـوم على قلقيليه بتاريخ ١٠ تـشرين أول. ومما زاد في تأكـيـد هذه النظرية أن بريطانيـا نفـسـها انذرت اسرائيل بأنها ستضطر لتطبيق شروط المعاهده في حال قيام اسرائيل بالهجوم على الأردن. وهذا بالإضـافـة إلى النشـاطات الاسرائيليـة المسـتـمره أمام جبهتنا وتصريحات زعماء اسرائيل في الكثير من المناسـبـات التي كانوا يشكون فيها من اعمال الفدائيين القادمين من الأردن ولم يكونوا يذكـرون شـيئاً عن غـزه أو سيناء. وتجدر الإشارة هنا الى أن الفريق عـبد الحكيم عامر كان بهذه الفترة قبيل بدء الهجوم يقوم بزيارة رسمية الى الأردن وسوريا. وكـان هو ايضـاً مـقتنعاً بأن الهجوم سيبدأ على الجبهة الأردنية. وهذا ما دعاه الى الطلب من القـياده السورية ان تدعمنا بقوة إضافية على وجه السرعة وتم على إثر ذلك ارسال المجموعة السـورية التي اشرت اليها سابقاً. وقد وضعنا جميع قواتنا في حالة الانذار القصوى واتخذنا كـافـة الاسـتـعـدادات المتـاحـة لنا لمواجهة الهجوم المتوقع. وهنا حدثت المفاجأة حيث بدأت اسرائيل زحـفها على سيناء وليس على الجبهة الاردنية. ففي حوالي الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٢٩ تشرين أول هبطت كـتـيـبـة المظليين الاسرائيليـة في ممرات متلا وتمركزت في التلال الواقعة في طرفـهـا الشرقي. وقـد اتضح ان المصريين لم يضـعوا في هذا الموقع الحصين أية قـوات رئيـسـيـة للدفـاع عنه وان اقـرب قوة له كانت لواء المشاه الثالث المتمركز على التلال الواقـعـة بين مـتلا والسويس. وعلى الرغم من ان هذه العملية قد تمت في ساعات النهار فإن الطيران المصري لم يعترضها وخصوصا اثناء رحلة هذا العدد الكبير من طائرات نقل المظليين من قـواعدها في اسرائيل عبر سيناء وهي رحلة طويلة تكون فيها هذه الطائرات عادة معرضة لخطر كـبير ولو اعترضـتـها طائرات مقاتلة لاسقطت عدداً لا يستهان به منها على الرغم من انها كـانت محروسـة من قـبل بعض الطائرات الفـرنسـيـة والتي كان سرب آخر منها يقوم باعمال الدورية فـوق سيناء لمواجهة اية طائرات مصرية قد تعترضها. ولكن هذا لا يعني انها يجب أن تترك بدون أي تدخل من جـانبنا وخـصـوصاً وان موقع متلا كان خال من القوات البرية المصرية للدفـاع عنه. ولقـد كـان عـدم تدخل الطيران المصري بهذا الشكل أمـراً غـريباً لاسـيما وان الغـارات الجـوية البريطانيـة والفـرنسية على القواعد الجوية المصرية لم تكن قد

بدأت بعد بهذا التاريخ. ولكن هذا هو ما حصل فعلاً ولم يستطع احد تفسيره ما عدا القول ان الاهتمام المتزايد كان مركزاً على أماكن اخرى غيرها. وقد كانت هذه نقطة ضعف خطيرة دفعت القوات المصرية ثمنها غالياً. وبالإضافة الى أسراب الطائرات المقاتلة الفرنسية التي كانت تحرس سيناء فقد قامت طائرات النقل الفرنسية بدعم قوة المضليين الاسرائيلية بعد هبوطها باسقاط عدد من مدافع مقاومة الدروع ومدافع المورتر وسيارات الجيب وكميات من الذخائر بواسطة المظلات لأن اسرائيل لم يكن لديها طائرات تصلح للقيام بهذه المهمة التي كانت في غاية الاهمية والتي مكنت قوة المظليين من الصمود أمام الهجوم المعاكس الذي كان من الممكن أن يقضي عليها لولا هذا الدعم. وعلى الرغم من ان اسرائيل ظلت تنفي اشتراك أية طائرات فرنسية معها في القتال الا أن هذا الاشتراك الفعلي من قبل سلاح الجو الفرنسي قد تأكد لنا في حينه من مصادرنا الاستخبارية المختلفة والتي اشرت الى بعضها سابقاً. وقد تأكد فيما بعد بصورة لا تقبل الشك من الكتب والنشرات الاجنبية التي صدرت في جميع انحاء العالم بعد انتهاء تلك الحرب مباشرة .

ولم يمض على نزول كتيبة المظليين الاسرائيلية في منطقة ممر متلا أكثر من ٤٨ ساعة حتى بدأت القوات الجوية البريطانية والفرنسية بقصف جميع المطارات والمراكز الحيوية والمدن المصرية وكان هدفها الأول تدمير السلاح الجوي المصري بكامله. (ويجب أن نتذكر ان هذا كان أول شرط وضعه بن غوريون على حلفائه لكي يوافق على الاشتراك معهم في حرب السويس وليقدم على غزو سيناء كمقدمة لهذه الحرب) .

وبنفس الوقت اخذت اساطيلها البحرية التي تحمل قوات الغزو الرئيسية ترافقها المدمرات وحاملات الطائرات تبحر مسرعة نحو ميناء بور سعيد لاحتلال منطقة القناة والقواعد العسكرية حولها .

وأصبح واضحاً ان تقدم القوات الاسرائيلية عبر سيناء كان جزءاً من الخطة العامة للهجوم على القناة وقد استخدم كذريعة للانجليز والفرنسيين لكي يوجهوا انذارهم المشهور الى مصر لكي تنسحب لمسافة عشرة كيلومترات غرب القناة لتسهل على القوات البريطانية والفرنسية احتلالها بدون قتال ومن ثم عودة الاستعمار البريطاني الذي خرج لتوه من الباب لكي يعود الآن من الشباك بحجة حماية قناة السويس وضمان حرية الملاحه الدولية فيها. ورغم افتضاح ضلوع بريطانيا بهذه المؤامره مع اسرائيل وفرنسا فقد جاءت تدعي انها انما تسعى للفصل بين القوات المتحاربة المصرية والاسرائيلية. وهو ادعاء كشفت الاحداث المقبلة زيفه كما سأشرح عنه في مكان آخر .

وخير دليل على سـوء نيـة بريطانيـا وفـرنسـا وتصـمـيمهما على غزو مصر مهما كانت الأسـبـاب هو أن القـصف الجـوي للقـواعد المصرية بدأ قبل انتهاء موعد الانذار بمدة حوالي سـاعتين. وبما ان الطائرات المغيرة كانت تقوم من قواعدها في جزيرة قبرص فيمكن القول ان هذه الطائرات بدأت تتـجـهـز بالوقود والقنابل والاستعداد للاقلاع قبل اذاعة الانذار وإطلاع مصر عليـه. فما قـيـمـة هذا الانذار إذن طالما أن الغـاره قادمة سواء قبلته مصر او رفضته. ومـهما يكن من أمـر هؤلاء فإن مـوقف مصر اصبح في غاية الخطورة فبينما كانت قواتها في سـيناء تتـعـرض لهجـوم القـوات الاسرائيلية في اربعة مواقع رئيسية خلال الأيام الأولى من القـتـال فإنها لا تسـتطيع تعـزيز هذه القوات بأي قطعات ضاربة لأنها اصبحت مرغمة على الاحـتـفـاظ بما تبقى لديها من وحدات (وخصوصاً الوحدات المدرعه) في منطقة غرب القناة للدفـاع عنهـا ومـواجـهـة الغزو الانجلو فرنسي الذي أصبح وشيكاً. وبنفس الوقت فإنها لا تستطيع تقديم أي نوع من الاسناد الجوي لقواتها المقاتلة في سيناء لأن سلاحها الجوي كان يتـعرض للتدمير بكثافة من قبل القوات الجوية البريطانية والفرنسية التي كانت متفوقة عليه كمًا ونوعـاً بأضـعـاف مـضـاعفة. كما ان فرنسا قامت بتأمين الحماية الجوية لجميع مدن اسرائيل ومـراكـزها الحيوية وتقديم الدعم الاضافي اللازم للسيطرة الجوية فوق سيناء (منذ فترة قـبل بدء المعـارك) من قبل السلاح الجوي الفرنسي بالإضافة الى ما قدمته لاسرائيل من الاعـداد الضـخـمـة من الطائرات الحديثة والدبابات ودعمها بالطيارين والخبراء والفنيين ولا لزوم لأن نلتـفت هنا الى مـا كانت تزعمه اسرائيل من ان فرنسا لم تتدخل بسلاحها الجوي. فـقـد اصـبـحت هذه الحكاية مكشـوفـة وممجوجه ولا فائدة من تكرارها. وأمام هذا الواقع المرير فـقـد اضطرت القـيادة المصرية ان تترك قواتها في سيناء تخوض معاركها الدفاعية بما لديها من امكانيـات لأطول مـدة ممكنة ثم تنسحب تدريجياً الى غرب القناة حسب تطور تلك المعارك.

وكـان الرئيس جمال عبد الناصر قد امر بسحب قسـم كبير من القوات من سيناء الى غرب القناة حـالما بدأ القـصف الجـوي على القـواعـد والمطارات المصرية. أمـا المعارك في سيناء فقد دارت في خمسة مواقع رئيسية هي كما يلي :

أ ـ معركة ممرات متلا :

لقـد هبطت كـتـيبة المظليين الاسرائيلية في منطقة (ممر متلا) بالساعه الخامسة بعد الظهر وتمركـزت في التـلال الواقـعة الى الشرق منه وتم تزويدها بالاسلحة المساندة والذخائر. كما تحـركت مجموعة القتال التي تتألف من بقية لواء المظليين وتدعمها كتيبة دبابات (وهي التي

كانت تحتشد في منطقة النقب غرب العقبة منذ الصباح الباكر يوم ٢٩ تشرين أول) لفتح الطريق المؤديه من اسرائيل الى ممر متلا عبر سيناء .

كان أول موقع مصري في طريق هذه المجموعة في (الكونتيلا) الواقعة بالقرب من الحدود وكانت تتمكز فيه قوة صغيرة عبارة عن فئة مشاه حوالي ثلاثين جندياً. وبعد معركة قصيره مع طليعة المجموعة الاسرائيلية اضطرت هذه الفئة للانسحاب الى مواقع قواتها الرئيسية

واستمرت المجموعة الاسرائيلية بتقدمها نحو موقع الثمد وكان هذا موقعاً محصناً وتحيط به الاسلاك الشائكة والالغام. ولكن القوة التي كانت متمركزة فيه كانت تتألف من سريتي مشاه فقط ومع ذلك فإنها تمكنت من ايقاف تقدم القوة الاسرائيلية لفترة وجيزه. حيث قامت بعدها بشن هجوم تسنده الدبابات والمدفعية عند فجر يوم ٣٠ تشرين أول وتمكنت من احتلال الموقع المصري. ثم استمر زحف هذه المجموعه الاسرائيلية نحو موقع (نخل) الذي وصلته حوالي الساعة الخامسة بعد الظهر. وكانت القوة المصرية المدافعة عن هذا الموقع مؤلفة من كتيبة حدود واحدة. وقد شن العدو عليها هجوماً مركزاً بعد قصف مكثف من المدفعية وتمكن من احتلال الموقع بعد ان تكبد خسائر بالأرواح لا يستهان بها. ثم تابعت المجموعه الاسرائيلية زحفها نحو ممرات متلا التي وصلتها ليلة ٣٠/ ٣١ تشرين أول واتصلت بكتيبة المظليين التي هبطت فيها في اليوم السابق

أما رد الفعل المصري فقد جاء في صباح يوم ٣٠ تشرين أول عندما تحرك لواء المشاه الثانى من منطقة غرب القناة لمهاجمة المظليين وطردهم من الممرات. وقد تحركت طليعة هذا اللواء المؤلفة من كتيبة المشاه الخامسة تعززها مجموعات من مدافع ضد الدروع ومدافع المورتر الثقيلة والرشاشات المتوسطة. وعلى الرغم من كثافة الغارات الجوية التي تعرضت لها اثناء تقدمها وتدمير العديد من آلياتها إلا أنها تمكنت من الوصول الى ممرات متلا والتمركز في الكهوف الكثيرة التي يتكون منها هذا الممر الضيق والذي يبلغ طوله حوالي عشرين كيلو متراً. وقد نشط الطيران المصري بهذه الفتره فوق المنطقة والحق اضراراً كبيره بالقوات الاسرائيليه التي تمركزت الآن جميعها في المرتفعات الواقعة شرقي الممرات. ودمر العديد من آلياتها وبعض أكداس الذخيرة والوقود .

وعلى الرغم من أن القوات الاسرائيلية من مواقعها الحالية أصبحت تغلق هذا المعبر الرئيسي المؤدي من منطقة القناة وتمنع عملياً مرور أي نوع من التعزيزات والامدادات الى المواقع الأمامية الرئيسية للقوات المصرية في الجبهة الا أنها عند ظهيرة يوم ٣١ تشرين أول دفعت بقوة مؤلفه من سريتين محمولتين على ناقلات جنود مدرعه وتسندهما بطارية مدفعية

ميدان ٢٥ رطل وبطارية مورتر تقيل عيار ١٢٢ ملم وفئة دبابات لتعبر ممر متلا الضيق وتحتل طرفه الغربي الذي كانت القوة المصرية ما تزال تحتله. وقد تعرضت هذه القوة الاسرائيلية المتقدمة للنيران الكثيفة من الكتيبة المصرية وتكبدت خسائر بالغة بالارواح والآليات. وبنفس الوقت اغارت عليها الطائرات المصرية ودكتها بوابل من قنابلها وكادت ان تبيدها .

واستمرت المعركة عدة ساعات تمكن الاسرائيليون من دفع قوة جديدة لمساندة القوة الأولى والتحمت مع القوة المصرية في مواقعها بداخل الكهوف ودار قتال عنيف استعملت فيه القنابل اليدوية والسلاح الأبيض واستمر حتى منتصف الليل حيث اضطرت الكتيبة المصرية للانسحاب الى غرب القناة .

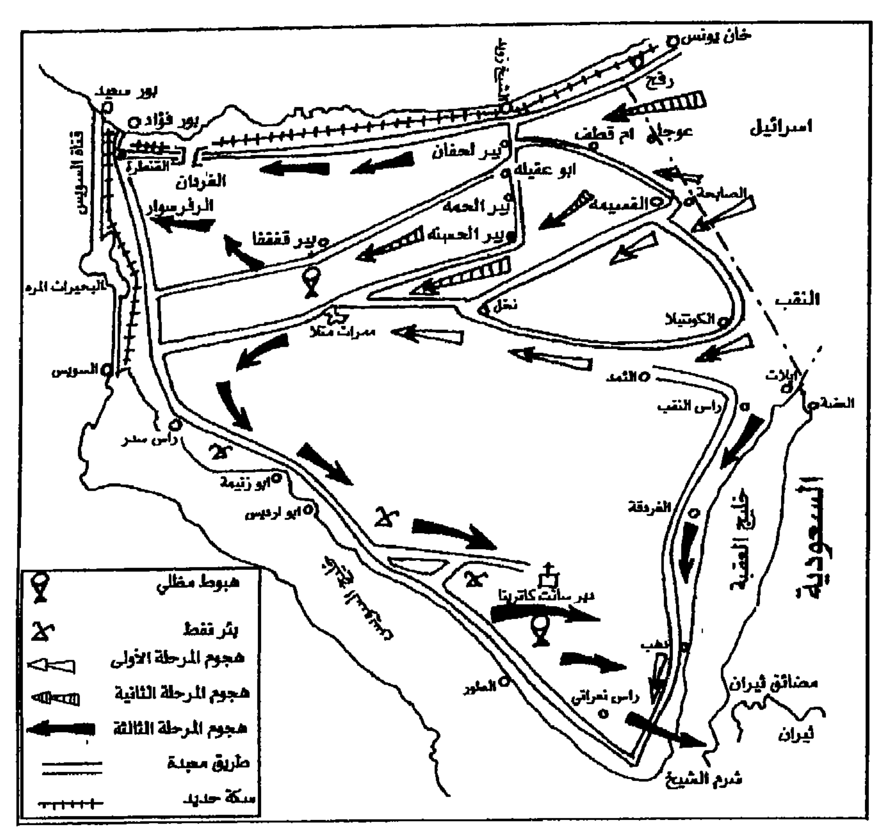
ب ـ معركة ابو عقيله :

كانت الفرقة المصرية الثالثة تتمركز في منطقة العريش وقد اتخذت لها مواقع دفاعيه امامية في منطقة ابو عقيله وأم قطف والقسيمه. وهذه عبارة عن تلال مسيطره على الطريق الرئيسيه المؤديه من الحدود الاسرائيلية عبر وسط سيناء الى مدينة الاسماعيليه. وقد تم تحويل هذه التلال الى قلاع دفاعية حصينة استخدمت فيها جميع وسائل بناء الاستحكامات من خنادق وأسلاك شائكة وحقول الغام وما اليها. وقد زرت هذه المنطقة قبل بضعة اشهر عندما قمنا بأول زيارة رسمية الى مصر لإجراء مباحثات الدفاع المشترك واقيمت لنا مناورة في هذا الموقع الدفاعي وامضينا ليلة في موقع القُسيِّمة. وقد ظهرت لنا هذه المواقع بهذا النوع من التحصينات وذلك الحجم من الاسلحة الثقيلة الحديثة (وخصوصاً الدبابات والمدفعية) والقوات المتواجده فيها انها تستطيع الصمود أمام أي هجوم معادي من أي حجم ولكن بعد ذلك تم تخفيض حجم القوات المدافعة عنها بسبب الغزو البريطاني الفرنسي. وقد اسندت مهمة الدفاع عن هذه المواقع الى كتيبتين من حرس الحدود زائد سرية مشاه وسرية محموله على سيارات الجيب وهذه القوة ربطت بأمرة اللواء السادس المتمركز في رفح .

كان هذا الموقع الدفاعي الهام يتكون من موقعين رئيسيين تمر عبرهما الطريق في أم قطف وأبو عقيله وموقع متقدم في القسيمة. كما توجد ثلاثة مواقع امامية تقع تقريباً على خط الحدود. أحدهما منعزل الى الجنوب ويسمى الصابحه واثنين الى الشمال هما عوجا المصري وام الصيص. ويقعان ايضاً على الطريق الرئيسية (انظر الخارطة رقم (٨)) .

وبما ان هذه المنطقة الدفاعية تعتبر في غاية الاهمية حيث لو تمكن العدو من احتلالها

سوف تصبح الطريق امامه مفتوحة حتى مدينة الاسماعيلية ومنطقة القناة. ولهذا فقد حشد العدو قوة ضخمة لاحتلالها باسرع وقت ممكن. وكانت قوة العدو المهاجمة تتألف من فرقة كاملة قوامها لوائي مشاه هما اللواء الرابع والعاشر واللواء المدرع السابع وتسندها كتيبة مدفعية ميدان وكتيبة هندسة



خارطة رقم (٨)
الهجوم الاسرائيلي على سيناء أثناء العدوان الثلاثي

وقد بدأ الهجوم الاسرائيلي مساء يوم ٢٩ تشرين أول عندما تقدمت طليعة لواء المشاه الرابع عبر موقع الصابحه الذي كان خال من القوات المصرية حيث اخلي قبل الحرب لأنه يقع على خط الحدود .

ثم تقدمت قوة اللواء الاسرائيلي الى موقع القسيمه حيث شنت هجوماً مركزاً من كتيبتي مشاه تسندهما المدفعية عند فجر يوم ٣٠ تشرين أول. وبعد معركة عنيفه دامت حتى ساعات الظهيرة واشتركت فيها مجموعة من اللواء المدرع تمكن العدو من احتلال الموقع ثم توقف لاعادة التنظيم والقيام بعمليات الاستطلاع .

بدأ العدو بارسال مجموعات قتال من القوات المدرعه والمشاه المحمولة للتعرض لمواقع ابو عقيله وأكتشاف نقاط الضعف فيها لتحديد المكان المناسب للهجوم. فتقدمت المجموعة الاولى باتجاه الدفاعات الجنوبية للموقع حيث جوبهت بنيران قوية من المدافع المضاده للدروع التي دمرت عدداً من آلياتها المتقدمة فعادت على اعقابها. ثم ارسل العدو مجموعة قتال ثانية باتجاه الغرب لمحاولة إيجاد منفذ للالتفاف حول موقع ابو عقيله من الخلف وقد نجحت هذه القوة بالمرور عبر ممر ضيق اسمه (ممر دايكه) وكانت القوات المصرية قد نسفت الجسر الوحيد الذي يمكن المرور عنه فوق الوادي. وقد تمكن مهندسو اللواء المدرع الاسرائيلي من فتح هذا المعبر للمرور حيث استطاعت مجموعة القتال ان تتقدم عبر هذا الطريق مع دباباتها وآلياتها والوصول من خلف موقع ابو عقيله الى الطريق العام. وبهذا الشكل تمكنت من قطع طريق التزويد الرئيسية للقوات المصرية من منطقة قناة السويس. وبنفس الوقت ارسل العدو مجموعة قتال ثالثة باتجاه جنوب غربي لاعتراض تقدم القوة المدرعه المصرية القادمة من بئر الحسنه نحو ابو عقيله. وبهذه الاثناء تقدمت بقية مجموعة القتال الثانية لتحاول احتلال موقع دفاعي مهم يقع بين موقعي ابو عقيلة وام قطف ومنه يمكن مساندة هذين الموقعين. ولتأمين تزويد قواته حول الموقع دفع العدو بلواء مشاه من جهة الغرب نحو موقعين صغيرين بالقرب من الحدود هما (عوجا المصري) و (ام الصيص). وبعدما احتل اللواء هذين الموقعين أصبح في مواجهة دفاعات موقع ام قطف مباشرة ثم بدأ هجومه الرئيسي على موقع ابو عقيله بالساعة الخامسة صباح يوم ٣١ تشرين أول. وقد دارت معارك عنيفة في جميع المواقع المحيطة به وخصوصاً موقع أم شيحان الذي تمركزت فيه المدفعية الثقيلة والتي أوقعت بقوات العدو خسائر ضخمة. وكذلك الحال في موقع (الرويغا) الذي تمركزت فيه مجموعه مهمه من المدافع المضادة للدروع .

وبهذه الاثناء تقدم اللواء المدرع الأول المصري من (بير قفقفا) باتجاه ابو عقيلة للتدخل في المعركة ولكنه تعرض للغارات الجويه الاسرائيلية طيلة رحلته وبالنتيجة تم تدمير العديد من دباباته. ثم اصطدم بالقوه المدرعه الاسرائيلية المتقدمه باتجاه بئر الحسنه. ولذلك توقف تقدم هذا اللواء وتم اخراجه من ساحة المعركة وانسحب الى غرب القناة .

وبنتيجة هذه المعارك الطاحنة تمكن العدو من احتلال موقع ابو عقيله ولم يبق بيد القوات المصرية سوى موقع ام قطف الذي اصبح معزولاً ومحاصراً من جميع الجهات تقريباً. ولابد هنا من الإشارة الى نقطتين هامتين كانتا السبب الرئيسي لسقوط المواقع الدفاعيه المصرية بهذه السرعة والسهولة النسبية وهما :

أولاً : انه تم سحب معظم القوات الدفاعية الرئيسية من سيناء الى غرب القناة قبل بدء الهجوم وذلك استعداداً لمواجهة الغزو البريطاني الفرنسي المتوقع. وما تبقى من القوات الموزعه على مواقع متباعده في سيناء لا تستطيع الصمود أمام هجوم مركز ضخم لمدة طويلة لاسيما وانه لم يتوفر لها احتياطي رئيسي وخصوصاً من القوات المدرعة بحيث يمكنها القيام بهجوم معاكس لكسر زخم قوات العدو المهاجمة. ولم يكن متبقياً في سيناء كلها في ذلك الوقت سوى لواء مدرع مصري واحد كاد ان يباد بفعل الغارات الجوية المتلاحقه اثناء حركته الى ابو عقيله .

ثانياً : كانت مصر بكاملها في هذه الاثناء تتعرض لقصف شديد من الطائرات البريطانية والفرنسية وقد دمرت معظم قواعدها الجوية والقسم الأكبر من طائراتها. ولذلك لم يكن بإمكان السلاح الجوي المصري تقديم اي نوع من الاسناد لقواتها البرية المقاتلة في سيناء. ولذلك فقد تركت هذه القوات لتقاتل معركة تراجعيه ضمن امكانياتها المتوفره لأطول فترة ممكنه بدون ان تتوقع اي عون .

وبعد سقوط موقع ابو عقيله اتجه اللواء المدرع الاسرائيلي لمواصلة الهجوم على موقع (سد الرويغا) في مساء يوم ٣١ تشرين اول. وقد كان هذا الموقع يحتوي على مجموعة من مدافع مقاومة الدروع مثبتة بمواقع دفاعية جيده بالاضافة الى بطارية مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطل وعدد من مدافع عيار ٣٣ ملم، ٥٧ ملم. وقد تقدمت قوة العدو المهاجمة من موقع ابو عقيلة الذي كانت قد احتلته سابقاً وبهذه الاثناء اطلقت المدافع المصرية بكاملها من موقع السد نيراناً كثيفة على القوات المهاجمة وتمكنت من تدمير عدد كبير من دباباتها واحدثت الكثير من الإصابات في صفوف الاسرائيليين. ولكن رغم هذا فقد استمر العدو بمواصلة هجومه بقوات متفوقة واقتحم الموقع. ولكنه ما لبث ان تعرض لهجوم معاكس من موقع ام قطف شنته القوات المصرية المدافعه هناك تساندها القوة المتمركزة في شيحان. ولكن هذا الهجوم لم ينجح وخسر المصريون عدداً كبيراً من القتلى والجرحى كما خسروا عدداً لا يستهان به من مدافع ضد الدروع وفي اليوم التالي ١ تشرين ثانى جمع العدو قوته المدرعه المتبقية وتمكن من اغلاق طريق العريش لمنع القوة المصرية المتمركزة في أم قطف وشيحان

من الانسحاب على هذا الطريق لتلتحق بقواتها الرئيسية. وبنفس اليوم دفع العدو الاسرائيلي باللواء العاشر للهجوم على موقعي ام قطف وشيحان لاحتلالهما. ولكن هذا الهجوم فشل امام كثافة نيران المدفعية المصرية والمقاومه العنيفة التي ابداها جنودهم في وقفتهم الأخيرة هذه. ثم شن الاسرائيليون هجوماً آخر اثناء الليل ولكن المدافعين تمكنوا من صده وتكبيد العدو خسائر لايستهان بها. وفي اليوم التالي ٢ تشرين ثاني قام لواء اسرائيلي يسانده لواء مدرع بهجوم جديد ولكن القوة المصرية صمدت هذه المره كذلك وتمكنت من صد الهجوم. ثم اعاد العدو الكرة وحاول اقتحام الموقع بهجوم جديد في اليوم التالي ولكن هجومه هذا فشل كذلك وتكبد خسائر لايستهان بها .

وأخيراً وعندما اصبحت هذه القوة المصرية مطوقه تقريباً بنتيجة تقدم قوات العدو في مختلف المحاور صدرت لها الأوامر بالانسحاب وتمكنت من اتمام انسحابها بنجاح تحت جنح الظلام في تلك الليلة والتحقت بمعسكراتها الرئيسية في رفح. وهكذا نجحت قوة ام قطف في دفاعها ضد قوات متفوقة عليها كما نجحت في انسحابها لتواجه معارك اخرى وشيكة في مواقع جديدة وانتهت بذلك معركة ابو عقيلة .

ج ـ معركة رفح :

كانت القوه المخصصه للدفاع عن رفح تتكون من لواء المشاه السادس وتسنده سرية دبابات وكتيبة مدفعية ميدان ٢٥ رطل . ومجموعات من مدافع ضد الدروع ١٧ رطل و١٠٥ ملم عديم الارتداد ومدافع مقاومة الطائرات. وكانت الدفاعات الرئيسية تتركز بشكل دائري حول مدينة رفح من الجنوب حول ملتقى طريق رفح ـ العريش وطريق رفح ـ مستعمرة نتزانا : وقد وضعت اربعة مواقع دفاعية حول ملتقى الطرق هذا وامامها حقلين من الالغام تحميها مواقع لمدافع ضد الدروع واعشاش الرشاشات الثقيلة. ثم سلسلة من اربعة مواقع تمتد من منطقة ملتقى الطرق في الجنوب حتى منطقة المعسكرات الواقعة الى الشرق من مدينة رفح. وأخيراً حلقة المواقع الدفاعية حول المدينة نفسها مباشرة .

لقد حشد العدو للهجوم على هذه المواقع قوة مكونة من لواء مدرع مع لواء مشاه والاسلحة الاسناديه الكاملة من المدفعية وخلافها . وقد جرت هذه المعارك على الشكل الآتي:

قبيل منتصف ليلة ٣٠ تشرين أول تقدمت كتيبة مشاه نحو حقول الالغام المقابلة للدفاعات الجنوبية وسيطرت على طرفها. بينما تمكنت الكتيبة الاخرى المحموله على ناقلات مجنزره ومعها سرية هندسة من فتح طريقها عبر حقول الالغام. وبهذه الاثناء فتحت القوات

المصرية النيران الكثيفة على هذه الكتيبة المتقدمة من المدفعية والاسلحة الاخرى. وقد تفجرت الالغام بعدد من الدبابات المتقدمة واغلقت الطريق التي فتحها المهندسون في الحقل وتوقف بالنتيجة تقدم هذه الكتيبة كلياً واضطرت للتثبت في مكانها بوضع الدفاع. ولكنها بقيت مكشوفة وتتعرض للقصف الشديد من المدفعية المصريه. وقد دام الاشتباك طوال الليل وخسرت قوات العدو الكثير من آلياتها. كما وقعت بين جنوده عدة أصابات. ولكن هذه القوات مع ذلك واصلت تقدمها ببطء شديد نحو الطريق المؤديه من رفح الى العريش

وفي الساعة الخامسة من صباح يوم ١ تشرين ثانى شنت قوة العدو المؤلفة من كتيبتين هجوماً على المواقع الدفاعية المسيطره على مفترق الطرق واحتلتها ثم توقفت هناك بانتظار وصول اللواء المدرع المتقدم من الشمال للاتصال معها .

أما في قطاع الوسط فقد لاقت الكتائب المتقدمة من هناك مقاومة عنيفة من المواقع المسيطرة على الطريق ومن منطقة المعسكرات. وبعد قتال عنيف دام عدة ساعات دخلت قوات العدو المهاجمه منطقة المعسكرات رغم كل هذه المقاومه. وأما في الشمال فقد تقدم لواء العدو المدرع في الصباح الباكر واشتبكت معه القوه المدافعه عن التل المسيطر على الطريق الرئيسي وبعد قتال عنيف تمكن العدو من احتلال هذه المواقع ومواصلة تقدمه جنوباً نحو مفترق الطرق حيث وصله بالساعة العاشرة صباحاً واتصل مع قوته المتمركزة هناك. ثم بعد توقف قليل واصل هذا اللواء المدرع زحفه نحو مدينة العريش وتمركز خارجها طيلة الليل .

وكانت الأوامر قد صدرت ظهر يوم ١ تشرين ثانى الى الفرقة الثالثة المصرية التي اصبحت الآن متجمعة في العريش انه عليها الانسحاب الى غرب القناه باسرع وقت ممكن وعلى هذا الأساس انسحبت جميع قوات هذه الفرقة بقيادة اللواء انور القاضي ليلة ١/ ٢ تشرين ثاني. وعندما دخلت القوات الاسرائيلية مدينة العريش صباح يوم ٢ تشرين ثانى لم تجد فيها أي قوات مصريه فاحتلت المدينه بدون قتال

د ـ معركة غزه :

بعد سقوط رفح والعريش وانسحاب القوات المصرية المتبقية الى غرب القناه لم يعد بامكان القوات المدافعه عن قطاع غزه الصمود فيه طويلاً لاسيما وانها اصبحت معزولة تماماً عن منطقة القناة ومطوقه من جميع الجهات ولايمكن أن تصلها اية امدادات او تعزيزات ولا أمل بعودة قوات رئيسية من منطقة غرب القناه لشن هجوم معاكس ولذلك فإن مصيرها قد تقرر الآن .

كـانت القوات المدافعه عن قطاع غزه قوامها الفرقة الثامنه بقيادة اللواء يوسف العجرودي وتـتألف من اللواء الفلسطيني ٨٦ المتـمـركـز في الدفاع عن مدينة خانيونس. واللواء المصري رقم ٢٦ حـرس وطني المتـمـركـز في الدفـاع عن مـدينه غزه. ولا زلت أذكر كيف كان اللواء العـجرودي يشرح لنا اساليبه وخططه للدفاع عن قطاع غزه أثناء زيارتنا لهم خلال مباحثات الدفـاع المشـترك. وقـد رافـقنا بجـولة على مـواقع قـواته الدفـاعية، وعندما كنا نقف على تل مسيطر في طرف المدينه ومشهور بين المواقع الدفاعيه باسم (تل المنطار) .

وقال لي انه على ثقة بأن مواقعه الدفاعية تستطيع الصمود ضد أي هجوم قد يشنه العدو على غـزه. ورغم ان اللواء العجرودي كان في تلك اللحظة مليئاً بالثقة فلا اظنه كان يتخيل انه سـيـجـد نفـسه بعد بضعة اشهر فقط في موقف كهذا الذي اصبح فيه صباح يوم ٢ تشرين ثانى محاصراً ومطوقـاً ومـعـزولاً تمامـاً عن قـواعـد تزويده الرئيسيه وأمله في صد الهجوم المعادي معدوماً .

وبالسـاعـة السادسة من صباح يوم ٢ تشرين ثانى تقـدمت قـوات العـدو المهاجمه نحو مـدينة غـزه من الجنوب واصطدمت مباشرة مع الموقع الدفاعي الحصين في تل المنطار المشار إليـه باعـلاه. وهو مـوقع مـسـيطر على طرق الاقتراب ومحصن بشكل جـيـد. ولكن القـوه المهاجمه اخترقت طرفه الجنوبي ولم تتوقف بل استمرت في تقدمها شمالاً حتى وصلت نقطة الحـدود شمال مـدينة غـزه عند بلدة بيت حنون وبنفس الوقت دخلت كتيبة مشاه الى وسط المدينه وعند الظهيرة وبوسـاطة مندوبين من مـراقـبي لجنة الهدنة التابعه للأمم المتحدة قرر حـاكم غـزه العـام اللواء فؤاد الدجوي الاستسلام. واستسلمت معه القوات المصرية في المدينة وقـائدها اللواء يوسف العـجرودي. وقام الاسرائيليون بوضع ادارة من جانبهم لحكم المدينه. وبعـد ظهـر نفس اليوم تابع اللواء الاسرائيلي الذي دخل غزه زحفه نحو بلدة خانيونس حيث رفض اللواء الفلسطيني المتـمـركـز فـيـها الاستسلام. واستمر القتال بين وحدات هذا اللواء والقـوات الاسرائيلية المهاجمة طيلة الليل وصباح اليوم التالي حيث احضر العدو مجموعة قتال مـدرعـة لتـعـزيز القـوات المهـاجمه. وبهذا تمكنت القـوات الاسرائيلية من التغلب على القوات الفلسطينيـة المدافـعـه واحـتلت مـواقـعها تدريجياً وتمكنت من السيطرة على البلده بالساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

هـ ـ معركة شرم الشيخ :

بدأت مـعركة شرم الشيخ عمليا في نفس اليوم الذي بدأت فيه الحرب يوم ٢٩ تشرين أول مـتـزامنة تقـريباً مع حركة مجموعة لواء المظليين التي عبرت صباح نفس اليوم من النقب الى

الكونتيلا باتجاه نخل. ومع عبور لواء المشاه خط الحدود من النقب متجهاً الى القسيمه. ومع هبـوط كتيبة المظليين بالساعة الخامسه بعد الظهر في ممر متلا. حيث تقدمت سرية إستطلاع من لواء المشــاه الاسرائيلي الذي اسندت له مــهــمــة القــيام بهذه العملية من إيلات مساء ذلك اليـوم واحــتلت مــفترق الطرق عند رأس النقب. وبعــد ازالة الالغام من الطريق احتلت مخفر الشرطة المصري وبهذا تكون قــد فــتحت الطريق باتجاه جنوب سيناء. ومن ثم تحركت باقي قــوافل اللواء في اعــقاب سرية الاستطلاع هذه ولكنها لم تتجه رأساً من إيلات الى رأس النقب بل لكي تستر وجــهــتها الحقيقية تحركت غرباً عبر النقب بداخل اسرائيل ثم اتجهت بعد ذلك إلى الطريق التي عبرها قبلها لواء المظليين من الكونتيلا الى الثمد. ومن ثم تابعت مسيرتها عبر الاودية الســحــيــقة والتلال الصعبه المحاذية الى ساحل البحر الأحمر. وقد كانت طريق مرور هذه القــوافل تعــتبر شــبــه مــســتحيلة. ومما لاشك فيه ان هذه القوة الاسرائيلية بذلت جهداً جــبــاراً حــتى استطاعت تمرير قوافلها عبر هذه الطريق التي استغرقت في قطعها مدة خمسة أيام بلياليها قبل أن تصل الى هدفها. واستخدمت في عمليتها هذه الوحدات الهندسية والآليات المختلفة وما يلزمها لازالة عقبات الطريق .

وقــد رافق هذه الحركة عملية اخرى كانت تعتبر في تلك الأيام أمراً مستحيلاً حيث لم تكن لاسرائيل في خليج العــقــبــه اية قطع بحــريه مــسلحــة او بواخــر نقل كــبيره أو صغيرة لكي يســتطيــعــوا نقل وحده من الدبابات لتنضم إلى لواء المشاه المتقدم نحو شرم الشيخ ومن ثم تزويده فــيما بعد بما يلزمه من الذخائر والمؤن. وبما انه من غير الممكن الاعتماد على الطريق التي سلكهــا اللواء في تقــدمــه عبر الجــبــال والوديان الســحيقة. قاموا بنقل عدد من القوارب محمله على شــاحنات خــاصــة ضخمه عبر الطريق البريه الى ايلات ثم انزلوها في البحر عند الميناء وحملوا الدبابات عليــهــا وابحــرت بها جنوباً مــتــزامنه مع حــركة اللواء بحيث أمكنها الالتــقــاء مع هذا اللواء عند وصوله الى واحة (ذهب) الواقعة على الساحل شمال شرم الشيخ وهناك انزلت الدبابات من القــوارب والتــحــقت باللواء. وبعد ذلك استمرت تلك القوارب بنقل مــا يحتاجه اللواء من تزويد بنفس الاسلوب. وقد اتخذ الاسرائيليون جميع هذه الاستعدادات لكي يضــمنوا وجود الدعم الكافي من الدروع مع لواء المشاه قبل قيامه بشن هجومه الرئيسي على مــوقع شرم الشــيخ الذي كــانوا يعــرفون انه محصن باستحكامات من الاسمنت المسلح والدشم المتــســاندة وحــقــول الالغــام والاســلاك الشائكة وما الى ذلك من وسائل التحصين وتتــمــركــز فــيــه قــوة مصرية مؤلفه من كتيبتين تسندهما اعداد كبيرة من قطع المدفعية من مختلف الأحجام .

وعندما وصلت طلائع اللواء الاسرائيلي الى واحة ذهب يوم ٣ تشرين ثاني اي بعد خمسة أيام من تاريخ حركتها من إيلات اصطدمت مع حظيرة من الهجانة المصرية التابعة الى حرس الحدود. وقد اوقع هؤلاء الهجانة العديد من الاصابات بين جنود لواء العدو ثم انسحبوا وتوقف اللواء بهذا الموقع فترة ثم استأنف تقدمه في المساء. وعند مرور طليعته من وادي (كيد) الذي كان عبارة عن ممر ضيق لا يزيد عرضه عن ثلاثة أمتار. اصطدمت بدورية مصرية كانت تحرس حقل الالغام الذي وضعوه فيه كجزء من دفاعاتهم المتقدمة وقد ناوشت هذه الدورية طليعة اللواء وأوقعت بها بعض الخسائر ثم انسحبت والتحقت بالقوه الرئيسية في شرم الشيخ. ولقد كانت هذه نقطة ضعف في الدفاعات المصرية حيث كان من الأفضل وضع قوة أكبر للدفاع عن وادي كيد لأنه كان بامكانهم ان يوقفوا زحف هذا اللواء هناك بفعالية ولو كانت قوتهم متوازنة في موقع وادي كيد بحيث يكون بامكانها الصمود والقتال لفترة معقوله وليس مجرد مناوشه محدوده وانسحاب لكان باستطاعتها تدمير معظم الآليات الاسرائيليه عندما تحصرها أثناء مرورها من مضيق وادي كيد ولامكنها تكبيد العدو خسائر ضخمة بالارواح كذلك قبل وصوله الى الموقع الرئيسي في شرم الشيخ .

وعلى أي حال ونظراً لانعدام المقاومة في هذا الموقع المتقدم المهم فقد استأنف اللواء الاسرائيلي تقدمه حتى وصل الى موقع (راس نصرانى) في أطراف موقع شرم الشيخ ظهر يوم ٤ تشرين ثانى فوجد ان حامية راس نصرانى هذه قد انسحبت والتحقت بالقوه الرئيسيه في شرم الشيخ. وذلك لأن قوة اسرائيلية اخرى من لواء المظليين كانت تتقدم من (راس سدر) على خليج السويس عبر الطور الى (راس نصرانى). كما نزلت قوة أخرى بالمظلات في الطور بنفس الوقت .

وبما ان شرم الشيخ كانت معتبرة كمنطقة تزويد خلفيه رغم احتوائها على مدافع ساحليه فلم تضع القيادة المصرية فيها أية وحدات مدرعه بل كانت تحرسها قوة من المشاه فقط ولم تكن في واقع الأمر قادرة على صد هجوم مركز من قبل قوات متوازنه تسندها الدبابات. وهذه خطيئة كبرى كانت سبباً رئيسياً لسقوط هذا الموقع المهم بسهولة. وبالإضافة لهذا فإنه لم يكن بإمكان سلاح الجو المصري تقديم اي نوع من المسانده لهذا الموقع المنعزل حيث كان بهذا الوقت قد أصيب بدمار كبير من جراء الغارات الجويه البريطانية والفرنسية على قواعده وفقد معظم طائراته. واما ما بقي من الطائرات المصرية فقد كانت مشغولة في مقاومة الغزو الجوي فوق القناة والقواعد والمدن الاخرى وهكذا بدأت القوه الاسرائيلية هجومها الرئيسي على مواقع شرم الشيخ بعد ظهر يوم ٤ تشرين ثانى. وقد لاقت مقاومة عنيفة من

قبل القوات المصرية المدافعه ولاسيما من مدافع مقاومة الدروع التي كبدتها خسائر ضخمة بآلياتها. وقد استمرت المعارك طيلة الليل. وفي الساعة الثالثة والنصف من صباح اليوم التالي شن العدو هجوماً جديداً غلى المواقع الدفاعية الغربية من منطقة شرم الشيخ ولكن القوه المصرية واجهتهم بقوة نيران كثيفة وكبدتهم خسائر كبيره بالارواح فانسحبت الكتيبة المهاجمه تحت ستر الظلام وهي تحمل جرحاها على ناقلات الجنود المجنزره ولكن على الرغم من كل هذه المقاومة فلم تستطع القوة المصرية المدافعه ان تصمد طويلاً أمام القوات الاسرائيلية الضخمة التي تجمعت حولها بعد وصول باقي القوات المظلية والقوات البريه الاخرى التي تقدمت بمحاذاة ساحل خليج السويس لدعم الهجوم الرئيسي النهائي .

وفي الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم ٥ تشرين ثاني استطاع العدو اقتحام الاجزاء المتبقية من الدفاعات الشرقية في شرم الشيخ واكمل احتلال الموقع حوالي الساعة التاسعة صباحاً. وأما القوة المصرية فقد انسحب جزء منها عن طريق البحر بالقوارب ووقع الباقون في الأسر .

وبسقوط موقع شرم الشيخ اصبحت سيناء بكاملها تحت الاحتلال الاسرائيلي واصبحت قوات العدو تتمركز على طول قناة السويس بمسافات قريبه جداً من حافتها وعند ذلك توقف القتال عملياً .

وفي اليوم التالي ٦ تشرين ثانى اصبح وقف اطلاق النار ساري المفعول رسمياً من قبل الطرفين المتحاربين استجابة لقرار هيئة الأمم المتحدة .

الحملة البريطانية الفرنسية على قناة السويس :

١ - بالساعة الرابعة بعد ظهر يوم الثلاثاء ٣٠ تشرين أول عام ١٩٥٦م استقبل وكيل وزارة الخارجية البريطانية السيد إيفون كيركبا ترك ومعه المسيو بينو وزير الخارجية الفرنسية سفيري مصر وإسرائيل كل على انفراد. وأبلغهما صيغة الإنذار البريطانى الفرنسي الذي كان ينص أنه على الطرفين المتحاربين إيقاف إطلاق النار فوراً وأن يسحبا قواتهما بعيداً عن القناة مسافة عشرة أميال خلال مدة ١٢ ساعة من وقت تبليغهما الإنذار. وأن يوافق الطرفان على نزول القوات البريطانية والفرنسية بعد ذلك في بور سعيد والإسماعيلية والسويس لضمان حرية الملاحة في القناة. وأنه إذا لم توافق إحدى الدولتين أو كلتاهما على هذا الإنذار فإن بريطانيا وفرنسا ستتخذان ما تريانه مناسباً من الاجراءات العسكرية لضمان تنفيذه.

وأغرب ما جاء بهذا الإنذار أنه عندما صدر بتاريخ ٣٠ تشرين أول كانت القوة الوحيدة من الجيش الإسرائيلي الموجودة في عمق سيناء هي كتيبة من المظليين هبطت بعد ظهر اليوم السابق في ممرات (متلا) وهذه المواقع تبعد عن القناة بمسافة ٤٥ ميل إلى الشرق. وكانت القوات الإسرائيلية الرئيسية ما تزال تقاتل القوات المصرية في مواقع القسيمة وأم قطف وأبو عقيلة بالقرب من الحدود المصرية الإسرائيلية .

فكيف إذن يطلب الإنذار منها أن تنسحب بعيداً عن القناة مسافة عشرة أميال بينما هي في واقع الأمر تبعد عنها عشرات الأميال. ثم ما علاقة إسرائيل بمدن بورسعيد والإسماعيلية والسويس لكي يطلب منها الإنذار أن توافق على نزول القوات البريطانية والفرنسية فيها وهي مدن مصرية وبداخل مصر ولم تكن القوات الإسرائيلية قد احتلتها لكي يؤخذ رأيها حول مصيرها. إنه من الواضح أن المقصود من هذا الإنذار هو أن تبتعد القوات المصرية عن قواعدها غرب القناة لكي تنزل فيها القوات الغازية وتحتلها بدون قتال. لأنهم يعرفون تماماً أن مواقع القوات الإسرائيلية ما زالت بعيدة عن القناة لا سيما وهي شريكتهم في مؤامرة العدوان الثلاثي من بدايتها. وأما توجيه الإنذار للطرفين المتحاربين فإنه لا يعدو كونه مغالطة مكشوفة ومحاولة سخيفة لإيهام الرأي العام العالمي بحسن نوايا بريطانيا وفرنسا بالنسبة لقضية القناة.

والأغرب من هذا كله أن إيدن ألقى خطاباً في مجلس العموم بعد صدور الإنذار بقليل وادعى فيه أنه تلقى لتوه معلومات تفيد أن القوات الإسرائيلية دخلت سيناء ليلة أمس وأنه يريد اطلاع المجلس على الإنذار الذي وجهه للأطراف المتحاربة ... إلخ. وظهر وكأنه بريء من المؤامرة التي حاكها مع الفرنسيين واليهود منذ عدة أسابيع ووضع خططه للعدوان الثلاثي بحسب شروطها ومن يصدق بعد هذا أن إيدن لم يسمع عن دخول القوات الإسرائيلية إلى سيناء إلا في تلك اللحظة.

ولا أريد الخوض هنا في تفصيلات هذا الخطاب حيث يجد القارىء صورته في الملحق (رقم ٤) . وقد وصلتنا نسخته رسمياً في قيادة الجيش من السفير البريطاني في عمان في حينه وذلك عندما بدأنا بتحريك قوات الجيش العربي إلى مناطق حشدها استعداداً لشن الهجوم على إسرائيل كما سبق شرحه.

وباطلاع القارىء على هذا الخطاب يمكنه أن يعرف مدى الخداع والمغالطة التي ضمنها إيدن في خطابه وأن يتبين خطل سياسة الحكومة البريطانية التي وضعت بذهنية الاستعمار القديم التي تستند على استعمال القوة الغاشمة لاذلال الشعوب. (وهنا

أستميح القارىء الكريم العذر لأنى كتبت الجملة السابقة بحسب ذهنية عقد الخمسينات عندمـا كنا نظن أن بعض الدول العظمى وخـصـوصـاً أمـريكا نأت بنفسها عن أساليب الاسـتـعمار القـديم وأخذت تحاول استعمار الناس حضارياً بأساليب هادئة ولكن الآن بعـد حرب الخليج أثبتت أنها أكثر بشاعة وأشد همجية من الاستعمار القديم). وعلى أي حـال فإننا لم نعـر هذه المسألة التـفـاتاً في حـينهـا لأننا فسرنا قيام السفير البريطانى بتزويدنا بنسخة خطاب إيدن في تلك المرحلة على أنها حركة تنطوي على نوع من التهديد المبطن بأسلوب استعماري خبيث

ويبـدو أن الرئيس جمال عـبـد الناصر لم يكن يصـدق حـتى في ذلك الوقت المتأخـر أن بريطانيا ستقدم على غزو مصر عسكرياً لأنها بهذه الحالة سوف تخسر كل مصالحها في العـالم العـربي. والأخطر من هذا كله أنها سـتجازف باحتمال صدام الدولتين العظميين ووقـوع كـارثة حـرب عـالميـة ثالثـة. وأنه كان يظن أن إيدن السياسي المخضرم صاحب الخبرة الطويلة بالسياسة العالمية وخصوصاً أثناء الحرب العالمية الثانية لن يقدم على هذا النوع من المخـاطرة. وأنطلاقـاً من هذا التـحليل فإن الرئيس جمال عبد الناصر لم يجب على الإنذار كما فعلت إسرائيل.

ولكن. وعلى عكس هذه التـوقـعـات وقـبل انتـهـاء مدة الإنذار بساعتين كانت الطائرات البريطانيـة والفـرنسية تقصف القواعد والمطارات المصرية وتلقي عليها مئات الأطنان من القنابل وتدمر طائراتها في مرابضها أو في أجوائها (إذا اتيحت لها الفرصة للتحليق). وقد دفـعت بريطانيـا وفرنسا بأحدث ما لديها من القاذفات والمقاتلات بأعداد هائلة تفوق ما لدى مصر من الطائرات عـدة أضـعـاف كمًا ونوعاً. وهكذا فقد ضمنتا عدم إمكان تدخل سـلاح الجـو المصري في المعارك البرية في سيناء بفعالية تذكر منذ البداية وبقيت مواقعها مكشـوفـة أمـام سـلاح الجو الإسرائيلي والفرنسي الذي أخذ يفتك بالقوات البرية المصرية بلا هوادة وهي تخوض مـعـاركـهـا الدفـاعية باستماتة وتضحية وشرف. وقد استمرت الغـارات الجوية المعادية على القواعد والمطارات والمدن المصرية ليلاً ونهاراً بلا توقف لعدة أيام لكي تدمـر جميع الإمكانيـات والبنيـة الأساسية للقوات المصرية تمهيداً لإنزال قوات الغزو التي تأخر وصولها بضعة أيام لأن السفن التي تحملها بدأت ابحارها من قواعدها في مالطة وقبرص يوم ١ تشرين ثانى ١٩٥٦م.

٢ – وقـبل أن أدخل في تفـصـيـلات كيفية سير عمليات دذه الحملة لا بد لي من شرح كيفية التـوصل إلى توقـيت البـدء بها ولماذا بدأت بهذا الشكل الذي نتج عنه فيما بعد تعقيدات

دولية كانت هي السبب الرئيسي بإفشال الحملة نهائياً قبل أن تحقق أهدافها.

ولشرح هذه النقطة علينا الرجوع إلى الوراء قليلاً إلى المرحلة التي كانت تجري فيها الاستعدادات لهذا العدوان الغاشم لنلاحظ بعض المسائل التي برزت خلالها ويجب أن لا تغيب عن تفكيرنا طَيلة بحثنا في مسيرة عمليات هذا العدوان وهي كما يلي:

أ - إن الاتفاق الفرنسي البريطاني لشن الهجوم على مصر كان يهدف القضاء على نظام جمال عبد الناصر. وليس كما حاولوا أن يظهروه بأنه كان لضمان حرية الملاحة عبر قناة السويس لأن هذه القضية كانت سوف تحل عن طريق المفاوضات. ولقد وصلت فعلاً إلى مرحلة الاتفاق النهائي قبل موعد الهجوم بقليل.

ب - إن أوضح دليل على أن الهدف كان تدمير نظام جمال عبد الناصر وليس حماية القناة هو اتفاقهم على أن تبدأ إسرائيل بالهجوم على سيناء وفي أعقاب ذلك الهجوم تدخل القوات البريطانية والفرنسية بحجة فصل القوات المتحاربة وتحتل منطقة قناة السويس والقواعد العسكرية حولها. ولو كان هدفهم فعلاً حماية القناة وضمان حرية الملاحة فيها فإن خطتهم هذه كانت أضمن أسلوب لاغلاق القناة وتعريضها للخطر (كما حصل فعلاً) وليس لتسهيل الملاحة فيها.

جـ - إن خطة هؤلاء الحلفاء الثلاثة كانت مرتبطة بشكل أساسي بوقت بدء الهجوم الإسرائيلي على سيناء. والذي اتضح فيما بعد أنه كان مقرراً أن يبدأ يوم ٧ تشرين ثانى ١٩٥٦م. ولكن بعد أن أعلنت إسرائيل بياناً رسمياً تتهم فيه مصر بأن الفدائيين عادوا ينشطون من جديد من قطاع غزة وسيناء ضد إسرائيل (كتوطئة للبدء بهجومها المقرر). وبدأت في اليوم التالي بالتعبئة العامة. عندئذ قام الرئيس ايزنهاور بتوجيه ندائين إلى بن غوريون يدعوه فيهما إلى عدم القيام بأعمال عسكرية. فكان رد فعل بن غوريون أنه أمر فوراً بتقديم موعد الهجوم إلى ٢٩ تشرين أول وعندما تم ابلاغ ايدن بهذا التغيير المفاجىء كان يترتب عليه إتخاذ الاجراءات المستعجلة لتقديم موعد الهجوم بالنسبة للقوات البريطانية والفرنسية في عمليتهم التي أطلق عليها اسم موسكتير (MUSKETEER). وعندما تم ابلاغ الجنرال كيتلي (Keightly) القائد العام لقوات الحلفاء يوم ٢٧ تشرين أول بضرورة تقديم موعد الهجوم مدة سبعة أيام لم يكن أمامه سوى أحد أمرين.

أولاً : القيام بهجوم جوي مكثف يتبعه مباشرة هبوط قوات المظليين وهذا غير معقول لأن قوات الغزو الرئيسية ما زالت في مواقع حشدها في قبرص

ومـالطة والجـزائر. وهذه القوات لا تستطيع عملياً الوصول إلى منطقة القناة قـبل سـتة أيام من إبحارها. وهذا معناه أن قوات المظليين لو هبطت ستكون مجبرة أن تنتظر في مـواقعها ستة أيام قبل أن تتمكن القوات البرية ولا سيما الدبابات من الالتـحـاق بها. وسـوف يعني هذا التأخير إمكانية تدمير قوات المظليين هذه بسهولة.

ثانيـاً : القـيام بغارات جوية مستمرة على كافة الأهداف الحيوية المصرية.لعدة أيام حـتى تتمكن القوات البرية من الوصول. حيث يمكن بهذه الحالة انزال قوات المظليين قبل وصول القوات البرية بمدة ٢٤ ساعة.

ويظهـر أن القائد العام قرر اتباع هذا الاسلوب الثانى لأن القصف الجوي العام من قبل الأسلحـة الجـوية البريطانية والفرنسية على جميع المطارات والقواعد الحيوية المصرية قد بدأ في سـاعـات الفجر الأولي من صباح يوم ٣١ تشرين أول واسـتمر طيلة الأيام التالية بدون توقف تقـريباً. وبنفس الوقت بدأت الاساطيل التي تحمل الفرق البرية حركتها من قـواعدها المختلفة نحو بورسعيد يوم ١ تـشرين ثاني. وهنا لا بد أن نشير إلى عـمليـتين هامـتين تم التـخطيط لهما مـسـبـقـاً وتم تنفيذهما حالما بدأ القصف الجوي البريطانى الفرنسي على مصر وهما كما يلي.

أ – اغـلاق قناة السـويس بواسطة اغـراق سفن خاصة كان المصريون قد جهزوها سلفاً لاغـراقـهـا بمـواقع مـعينة في القناة عند الضرورة. وعندما بدأ القصف الجوي تم اغـراق أول أربعـة سفن منها في الجزء الجنوبي من القناة. واستمرت عملية اغراق السـفن هذه يومـيـاً حـتى تم اغـلاق القناة نهائيـاً خـلال مـدة أسبوع من ميناء السويس حتى ميناء بورسعيد. وقد كانت جميع السفن التي اغرقت تعود ملكيتها أصلاً إلى شركة قناة السويس القديمة التي تم تأميمها

ب – نسف أنابيب النفط العـراقي المارة عبر سـوريا. وكانت القوات السورية قد وضـعت كـافـة الاستعدادات اللازمة لنسف جميع محطات ضخ البترول وكذلك عدة أجزاء من الأنابيب مـسـبـقـاً بداخل سـوريا. وما أن بدأ القصف الجوي على مصر حتى قـامت وحـدات خاصة من سلاح الهندسة السوري بتطويق محطات الضخ الثلاثة ونسـفـتـهـا. وكـذلك تم نسف أنابيب النفط في ثلاثة مـواقع اخرى مختلفة وقدر الخبراء أنه سوف لن يكون بالإمكان اصلاح هذه المحطات بمدة أقل من سنة.

وهكذا فـقـد توقف ضخ النفط العـراقي بكامله عبر سـوريا إلى بريطانيـا وأوروبا الغربية نهائياً حالما بدأت ظائراتها تقصف القواعد المصرية.

جـ - وحـدث آخـر مهم رافق هذه الاجراءات هو أن المملكة العربية السعودية أعلنت عن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا. كما أعلنت أنها لن تبيع أية كمية من النفط السعودي إلى هاتين الدولتين. وهكذا فقد خسرت بريطانيا ثلثي وارداتها من نفط الشرق الأوسط دفـعـة واحدة. وهذا أوضح رد على خطط ايدن التي ادعى أنه يهدف منهـا المحـافظة على سـلامـة القناة. فماذا كـانت النتـيـجة؟ اغلاق قناة السـويس بشكل نهائي. وتدمير محطات ضخ النفط العـراقي في سوريا. وحرمان بريطانيـا وحليـفـتـهـا فـرنسـا من النفط السـعودي والعراقي في آن واحد. وهذا بالإضـافـة إلى الدمـار الواسع الذي ألحقته بريطانيا بالمدن المصرية وما سببه هذا الدمـار من الحـقـد على بريطانيـا لدى الشعوب العربية وتدهور سمعتها في العالم بشكل عام.

د - ويضـاف إلى كل هذا ما سببه ايدن من أضرار بالغة للاقتصاد البريطانى حيث جعل بلاده رهينة لأمـريكا كما سنشرح فـيما بعـد عندمـا نبحث كيفية إجبار ايدن على الانسحاب ونهايته المأساوية في مكان آخر.

هـ - وبهذه المرحلة كـذلك بدأ الانشـقـاق يظهـر علناً بين صفوف أعضاء حكومة ايدن نتـيـجة الموقف الصعب والغريب الذي وجدوا أنفسهم فيه بسبب سياسـات رئيس الـوزراء وعـنـاده الاسـتـبـدادي. وعلى الرغم من أن عـدداً من الوزراء كـانوا غير مـوافـقين على هذه السـيـاسات فإنهم آثروا الاحتفاظ بمعارضتهم سراً والاستمرار بالمشـاركة في الحكومة حفاظاً منهم على وحدة حزبهم. ورغم ذلك فقد اختار اثنين من الوزراء الخـروج للعلن وقـدمـا اسـتقالتهما. ففي يوم السبت ٣ تشرين ثانى صـدر بيـان عن مـقـر رئيس الوزراء وأذيع بوسـائل الإعلام المختلفة يشير إلى أن المستر أنتـونى ناتنج (Mr. Antony Nutting) وزيـر الدولة في وزارة الخـارجـيـة والمسـؤول عن العـلاقـات مع الأمم المتحدة والشرق الأوسط قد أرسل استقالته إلى رئيس الحكومـة في نفس اليـوم الذي صـدر فـيه الإنذار البريطانى الفرنسي. وبعد اسـتـقالة (ناتنج) أعلن عن استقالة السير ادوارد بويل وزير الخزانة (Sir Edward Boyle) وقـد كـان من الواضح أن اسـتـقالته تعني أن هنالك مشـاكل ـ مستعصية وقع فـيـهـا الاقتصاد البريطانى وصعوبات أخرى قادمة بسبب سياسة الحكومة

ولا يريد أن يكون مسؤولاً عنها. كما أن استقالة المستر ناتنج كانت تعني بوضوح عدم موافقته على السياسة التي كانت تنتهجها حكومته في الشرق الأوسط باشتراكها بعملية العدوان الثلاثي. وبعد هذه الاستقالات أخذ التشقق يظهر في صفوف حزب المحافظين مما أدى بعد فترة إلى اجبار ايدن على الاستقالة كما هو معروف.

٣ ـ تطورات عملية موسكتير :

كانت المرحلة الأولى من هذه العملية تتمثل بالغارات الجوية المكثفة على القواعد المصرية والتي استمرت خمسة أيام. وقد كان الحلفاء كما يظهر يتوقعون أن هذه الغارات الجوية المدمرة متزامنة مع الحملة الإسرائيلية في سيناء وانسحاب القوات المصرية منها سوف تسبب قيام حركات معادية لجمال عبد الناصر في مصر. وأن هذه الحركات سوف تكون قادرة على اسقاط نظام حكمه وبالتالي ستؤدي إلى قيام حكومة موالية للغرب مكانه وحجتهم في هذا التحليل أن الشعب المصري سوف لا يتحمل كل هذه التضحيات ولن يستمر بتأييد حكم عبد الناصر. ومن منطلق نظرية الحلفاء هذه بدأوا بالقاء مناشير تحذيرية من الطائرات على مختلف المدن المصرية وإذاعتها بنفس الوقت من محطة اذاعة في قبرص تحذر الشعب المصري من الدمار الذي سوف يلحق به إذا استمر على المقاومة ويحرضونه صراحة ضد جمال عبد الناصر. وفيما يلي صيغة لأحد هذه المنشورات

«نحن مضطرون لقصفكم أينما كنتم: تخيلوا أن قراكم تتعرض للقصف بالقنابل تخيلوا زوجاتكم وأطفالكم وأمهاتكم وآباءكم وهم يهربون من بيوتهم تاركين أمتعتهم وممتلكاتهم وراءهم. كل هذا سوف يحدث لكم إذا اختبأتم خلف نسائكم في منازلكم. وإذا لم ترحلوا عنها فمن المؤكد أن بيوتكم وقراكم سوف تدمر. لقد ارتكبتم خطيئة كبرى عندما وضعتم ثقتكم بعبد الناصر». وإذا كان الأمر يحتاج إلى برهان فأي برهان أوضح من هذه المنشورات على أن غزوة ايدن لمصر لم تكن تهدف حماية القناة وإنما كان هدفها الأساسي محاولة القضاء على جمال عبد الناصر. ولكن العبرة بالنتائج. فالنتيجة هنا كانت عكسية تماماً، حيث كلما زادت هذه الغارات شراسة كلما زاد الشعب المصري المناضل في اصراره على المقاومة واشتد تأييده لعبد الناصر الذي برز بهذه الأثناء ليس كقائد للشعب المصري فحسب بل كزعيم عربي مخلص يحظى بتأييد منقطع النظير في كافة الأقطار العربية من المحيط إلى الخليج. كما أصبح يلقى التأييد التام من معظم دول العالم وخاصة الدول الافريقية والآسيوية والاتحاد السوفياتى ودول الكتلة

الشرقـيـة. وبنفس القـدر الذي كـانت تتـزايد فـيه شعبية جمال عبد الناصر ويتضاعف التأييـد له بين دول العـالم. كـانت تتدهور سمعة بريطانيا وفرنسا ويتزايد السـخط على زعمائهما وخـصـوصـاً (ايدن) و(جي مـوليـه). وبهذا الشكل فشلت المرحلة الأولى من عملية (موسكتير) مرحلة الغارات الجوية. حيث لم تحقق شيئاً من أهدافها الحقيقية رغم أنها نجـحت باحداث الكثير من التدمير وخصوصاً في سلاح الجو المصري. وعلى أثر ذلك قـررت قيادة الحلفاء تنفيذ المرحلة الثانية التي تتمثل بانزال قوات المظليين عند بورسعيد تمهـيـداً لاحـتـلالها بعد وصول القوات الرئيسية التي كانت تبحر مسرعة نحوها. وعلى الرغم من المحـاذير التكتـيكيـة فإن الحلفـاء قاموا بانزال القسم الأكبر من قوات المظليين البريطانية والفرنسية قبل موعد وصول القوات البرية بمدة أكثر من ٢٤ ساعة. وهذا أمر لا يكون عـادة مـقبولاً نظراً لأن هذه القوة ستبقى مكشوفة بدون اسناد مدة طويلة مما يعـرضـهـا لخطر التـدمير. وعلى أي حـال فـقد بدأت قوات المظليين بالهبوط في ساعات الصـباح الباكر يوم ٥ تشرين ثانى حـيث هبط بهذه الموجـة الأولى ٥٠٠ مظلي بريطانى بالإضـافة إلى ٥٠٠ مظلي فرنسي. كما هبط ٤٥٠ مظلي فرنسي بمجموعة ثانية بعد الظهر. وقد كان هبوط المظليين الانجليز في منطقة مطار الجميل الواقع في الطرف الجنوبي لمدينة بورسعيد. بينما كانت المنطقة المخصصة لهبوط المظليين الفرنسيين تشمل موقعين هما:

أولاً: المدخل الجنوبي لمدينة بورسعيد لاحتلال الجسور الموجودة في تلك الجـهة.

ثانيـاً: في الطرف الجنوبي من مـدينة بور فـؤاد الملاصقة لها بقصد احتلال تلك المنطقة بكاملهـا وقـد اسـتطاعت هذه القـوه أن تحـتـل جسر الحـديد الواقع في منطقـتها وبنفس الوقت تمكنت من اغـلاق جميع الطرق المؤدية من بورسعيد جنوباً ما عدا الطرق المؤدية إلى بحيرة المنزلة.

وقد بدأت المعركة بين حامية بورسعيد وهذه القوات المظلية فور هبوطها واستمرت طيلة النهـار وتكبـد الطرفـان خـسـائر لا يستهان بها ولكن المقاومة العنيدة من قبل حامية بورسـعـيـد وسكانها اسـتـمرت باصرار وعناد عنيف. إلا أنه بهذه الاثناء حدثت واقعة غـريبـة حـيث بادر الحـاكم العـسكري المصري لمدينة بورسـعـيد بالدخول بمفاوضات للتـوصل إلى اتفـاق لانهاء القـتال. وطلب من قائد المظليين وقف اطلاق النار مؤقتاً حتى تنتـهي المفـاوضـات. وقـد وافق هذا بدوره على ذلك الطلب. وبدأت المفـاوضـات بالساعة الثـالثـة بعـد الظهر. وقد كانت هذه المبادرة مناسبة للقوات الغازية لا سيما وأنها هبطت قبل موعد وصول قواتها الرئيسية بمدة أكثر من ٢٤ ساعة. وبما أن حجم قواتهم كان

صـغيراً ولم يكن بمـقـدورهم احـتـلال المدينة ولا حـتى دخول جزء منها إلا إذا توقفت المـقـاومـة نهائيـاً من جـانب المصريين وعليـه فإنه سـوف يتـيسر للعـدو بواسطة هذه المفاوضات استلام المدينة بدون قتال.

أمـا وجـهـة نظر الحاكم العسكري المصري (الذي عزله عبد الناصر فيما بعد)، في تبرير دخـوله بمـفاوضات مع البريطانيين بدون أخذ موافقة حكومته مسبقاً هي أنه كان يريد تجنيب المدينة المزيد من الدمـار والضحايا. وهذه حجة واهية لأن وقف اطلاق النار بهذه المرحلة لن ينتج عنه سـوى تأجـيل مـؤقت للمـعركة الرئيسية لأن بريطانيا وفرنسا لم تحـشـدا كل هذه القـوات وتقـومـا بهذه الغـزوة الشريرة لكي تتوقفا عند بورسـعيد بل جـاءتا لاحـتـلال القناة واسـقـاط نظام عبد الناصر. ولذلك فقد كان موقف هذا الحاكم العـسكري مـشبوهاً. وعندما لاحظ مدير المخابرات في بورسـعيد أن الحاكم العسكري قد بدأ بمـفاوضاته مع الغزاة قام بالاتصال مع القاهرة وأبلغ الرئيس جمال عبد الناصر عن المفـاوضـات التي كان يجريها الحاكم العسكري مع الانجليز وأن البوادر تشير إلى أنهم سـوف يتـوصلون إلى اتفـاق على وقف اطلاق النار إذا لم يتـدخل الرئيس لمنعها. وعند سماع جمال عبد الناصر بهذه الأخبار أمر بترفيع مدير المخابرات من رتبة عقيد إلى رتبة لواء مع اعطائه الأقـدمـية على الحاكم العسكري وأبلغه بأن عليه أن يحول دون التوصل إلى اتفـاقـية وقف اطلاق النار وكسب الوقت والاستمرار بالمقاومة لأنه بهذه الأثناء كان يتـبـاحث مع الروس وأصـبـحـوا على وشك التـدخل علناً بالأزمـة. وبينما كان الحاكم العـسكري يتـفاوض مع الانجليز كان مدير المخابرات يعبى فئات الشـعب وينظم الشباب للمـقـاومة المسلحة بداخل المدينة حالما تتوقف القوات الغازية عن اطلاق النار. ومن جهة أخرى فقد استمرت المفاوضـات مدة أربعة ساعات حيث تمت الموافقة على جميع الشروط بين الطرفين بتمام السـاعـة السـابعة والنصف مساءً. إلا أن الجانب المصري رفض هذا الاتفـاق بناء على أوامـر من الرئيس جمال عـبـد الناصر عن طريق مـدير المخابرات بعد سـاعـة من إعلان الاتفاق بين المتفاوضين. وعلى أثر ذلك استؤنف القتال مرة ثانية قبيل منتـصف الليل بعد أن توقف ثمانية ساعات كانت بمثابة كسب للوقت بالنسبة للموقف المصري وضـيـاع للوقت بالنسـبـة للجـانب الانجليـزي الفرنسي لانها عرقلت عملياتهم العـسكرية كل هذه المدة. وباسـتئناف القـتـال في بور سعيد على أثر فشل هذه المحاولة لوقف اطلاق النار انتهت المرحلة الثانية من عملية (موسكتير) وهي مرحلة انزال المظليين ولم تحـقق شيئاً بعد أن عجزت عن احتلال بور سعيد بواسطة خدعة المفاوضـات. وقبل أن اوجز كيفية سير عمليات المرحلة الثالثة من القتال وهي مرحلة نزول القوات البرية في

سـواحل مدينة بورسعيد صباح يوم ٦ تشرين ثاني. يحسن أن أصف هنا كيفية التدخل السـوفـياتي الذي حدث قبل وصول القوات الغازية إلى شواطىء بورسعيد وما تبع ذلك من اجـراءات دولية وعلى صعيد الأمم المتحدة لتطويق الأزمة ثم أصف مـهزلة ادعاء ايدن الـذي مـا زال يصر حـتى بهذه المرحلة المتأخـرة على أنه إنما يرسل القـوات البريطانيـة والفـرنسية للفصل بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية.

أولاً : في مـساء يوم الأثنين ٥ تشرين ثاني وهي نفس الليلة التي كـان فـيها قائد القوات المظليـة البريطاني يتفاوض مع الحاكم العسكري المصري في بورسـعيد للاتفاق على وقف اطلاق النار. قـام وزير الخـارجـيـة السـوفـيـاتي بتسليم مذكرة انذار من الماريشـال بولغـانين إلى السـفير البريطانـي في موسكـو السير ويليـام هايتر (Sir William Hayter) لينقلهـا بدوره إلى المستر ايدن حـالاً. وبنفس الوقت أبلغت وزارة الخـارجـية الروسية هذه المذكرة إلى سفيرها في لندن لنفس الغرض. كما تم اعلان هذا الانذار فـوراً في مـؤتمر صـحفي عقد في موسكو بصفة مستعجلة لهذه الغاية ونقلتـه مـعظم الاذاعـات وأولها اذاعة صوت العرب وفيما يلي ترجمة هذا الإنذار الروسي الشهير الذي لعب دوراً أساسياً في إنهاء الاعتداء على مصر

«إن حكومـة الاتحـاد السـوفـياتي تجد أنه من الضروري لفت الانتباه إلى الحرب العـدوانية التي تشنها بريطانيا وفرنسا ضد مصر والتي تنطوي على أشد المخاطر على قـضية السلام. فبأي موقف ستجد بريطانيا نفسها لو أنها هي التي كانت قد تعـرضت لهجوم من دول أعظم منها قوة تمتلك كافة أنواع أسلحة الدمار الحديثة. وهنالك الآن بلدان ليـست مـضطرة أن ترسل اسطولاً أو قـوات جوية إلى سواحل بريطانيـا لأنها تملك وسائل أخرى مثل الصواريخ. نحن مصممون تصميمًا كاملاً على سـحق المعـتدين واستعادة السلام إلى الشرق الأوسط بواسطة استعمال القوة ونحن نأمل بهذه اللحظة الحـرجـة بأن تسـتـعملوا الحكمـة وأن تسـتـخلصـوا الاستنتاجات المناسبة من هذا؟؟

وهكذا فـقـد وضع هذا الانذار العالم على أبواب حرب عالمية ثالثة. حيث في صباح اليـوم التـالي أعلن الرئيس آيزنهاور رفـضه التام لإنذار المارشـال بولغانين واقترح بدل ذلك أن تقـوم أمـريكا وروسيا بالتعاون والتدخل سوية لايقاف الاقتتال. كما أوضح أن أي قـصف بالصـواريخ للمـدن البريطانية والفرنسية سوف يقابل برد صاروخي أمريكي مدمر. وبنفس الوقت أصدر الجنرال غرونثر (Gruenther) القائد

العام لحلف شمال الأطلسي تحذيراً موجهاً للقوات السوفياتية. كما اتخذت وزارة الدفاع الأمريكية اجراءات مستعجلة للطوارىء. وبدأت حاملات الطائرات والقطع الحربية الأمريكية بالتحرك نحو البحر الأبيض المتوسط.

وهكذا أخذت الدولتان العظميان تقتربان تدريجياً نحو الصدام المسلح. وبالساعة العاشرة من صباح يوم ٦ تشرين ثاني أصدرت الحكومة السويسرية رسالة مستعجلة إلى جميع الدول الكبرى تطلب منها عقد اجتماع طارىء لانقاذ العالم من خطر الحرب العالمية الثالثة التي أصبح شبحها يهدد البشرية. وأشارت الرسالة إلى أن السلام يمكن انقاذه ويجب انقاذه.

ثانياً : بتاريخ ٢ تشرين ثاني صدر قرار مجلس الأمن الدولي بوقف اطلاق النار ووافقت عليه مصر بنفس اليوم كما وافقت عليه اسرائيل بتاريخ ٤ تشرين ثاني. فلو كانت بريطانيا وفرنسا تقصدان فعلاً من غزوتهما التدخل للفصل بين القوات المتحاربة فها هي مصر واسرائيل قد توقفتا عن القتال استجابة لقرار مجلس الأمن. وما دام أنه بهذا الوقت لم تكن القوات المظلية قد هبطت في بورسعيد فلماذا لم يقم ايدن وجي موليه بايقاف هذه الحملة قبل وصولها لو كان ادعاؤهما هذا صحيحاً. ولكن يتضح من هذا التصرف أنهما لم يقصدا من هذه الحرب التي قاما بشنها بهذه الطريقة التآمرية سوى ضرب نظام جمال عبد الناصر ولا هدف لهما من ورائها سوى هذا الهدف.

وأكبر دليل على ضلوع ايدن وجي موليه مع اسرائيل بهذه المؤامرة أنه حتى في هذه المرحلة المتأخرة بعد أن وافقت اسرائيل على وقف اطلاق النار رسمياً بتاريخ ٤ تشرين ثاني ولكسب المزيد من الوقت لكي يتاح للقوات البريطانية والفرنسية الوصول إلى منطقة القناة عادت اسرائيل فوجهت رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة صباح يوم ٥ تشرين ثاني تتضمن خمسة سؤالات تطلب الإيضاحات عنها وفيما يلي ترجمتها:

١ – هل توجد موافقة مؤكدة من الحكومة المصرية على وقف اطلاق النار حيث أن جواب الحكومة المصرية المشار إليه في برقية الأمين العام غامض ولا يؤكد هذه المسألة لا سيما وأن القوات المصرية لا تزال تطلق النار وهجمات الفدائيين مستمرة أيضاً. وبمصادمة مع القوات المصرية في الليلة الماضية قتل أربعة فدائيين وتم أسر اثنين.

٢ – هل لا تزال مصر ملتزمة بموقفها الذي أعلنته والتزمت به طيلة السنين الماضية والذي يشير إلى أن مصر في حالة حرب مع اسرائيل.

٣ – هل مصر مستعدة للدخول حالاً بمفاوضات مع اسرائيل بقصد التوصل إلى السلام بينهما بحسب ما ورد بالمذكرة المؤرخة في ٤ تشرين ثانى ١٩٥٦م التي رفعتها اسرائيل إلى رئيس الدورة الخاصة للجمعية العمومية.

٤ – هل توافق مصر على إنهاء المقاطعة الاقتصادية ضد اسرائيل وعلى رفع الحصار البحري ضد السفن الاسرائيلية عبر القناة

٥ – هل تلتزم مصر باستدعاء مجموعات الفدائيين التي تقع تحت سيطرتها من البلدان العربية الأخرى.

ومن مطالعة هذه السؤالات يتضح أنها ليست سوى استفسارات عن أمور ليس هذا مجال بحثها ولا معنى لها سوى أنها جاءت لكسب المزيد من الوقت واعطاء الانطباع بأن الأطراف المعنية لا تزال غير موافقة نهائياً على وقف اطلاق النار. وبالتالي فإن القوات البريطانية والفرنسية التي بدأت بنفس الوقت بالنزول في منطقة بورسعيد قد نزلت فعلاً للفصل بين القوات المتحاربة وهذا هو الانطباع الذي اتخذه (ايدن) ذريعة واستند عليه للاستمرار بعمليات الغزو للأراضي المصرية كما خطط لها. متحدياً بذلك الرأي العام العالمي ومعظم دول العالم التي كانت مستهجنة هذا التصرف ومنددة بهذه الحرب التي أسماها بعضهم (الحرب القذرة) هذا وقد نزلت قوات المظليين في الصباح الباكر يوم ٥ تشرين ثانى كما أسلفنا وأثناء اشتباكها مع القوات المصرية في بورسعيد وبورفؤاد أخذت أقسام منها تتقدم جنوباً نحو الإسماعيلية تمهيداً لاحتلالها عند وصول قوات الغزو الرئيسية. ثم جاءت محاولة المفاوضات لانهاء القتال في بورسعيد ومن ثم فشلها بعد تدخل الرئيس جمال عبد الناصر كما شرحت سابقاً. وبنفس الليلة صدر الانذار السوفياتى الذي تم ابلاغه إلى المستر ايدن ورغم كل هذا فإنه لم يوقف عملية الغزو .

وفي صباح يوم ٦ تشرين ثانى بدأت عملية الانزال في بورسعيد وكانت الموجة الأولى تتألف من كتيبتين من (كوماندو) البحرية نزلتا على جانبي منطقة (الكازينو) لتأمين منطقة انزال الدبابات والمدفعية وباقي وحدات قوة الغزو. وقد سبق هذه العملية قصف شديد من مدفعية البوارج الحربية والطائرات بشكل لم يعرف له مثيل سوى في معارك الحرب العالمية الثانية. وخلال هذه الفترة وقع معظم الدمار في مدينة بورسعيد حيث دمرت أحياء بكاملها وقتل الآلاف من السكان المدنيين خلال ساعات ذلك اليوم الذي دارت فيه المعارك العنيفة بين حامية بورسعيد والمسلحين من سكانها وبين قوات العدو المتقدمة لاحتلال مدينتهم واستمر القتال في الشوارع والمنازل. ولكن القوات الغازية تمكنت في النهاية من احتلال المدينة

بكاملهـا. وبهذه الاثناء أعلن الاتحـاد السـوفـيـاتي بأنه سوف يسمح للمتطوعين السوفيات بالسـفر إلى مصر للاشتراك في القتال ضد القوات المعتدية وقد بدأت الأعداد الكبيرة من هؤلاء المتطوعين تتـجـمع في القواعد الجوية تمهيداً لنقلهم إلى مصر. وبنفس الوقت أخذ الخلاف بين بريطانيـا وأمـريكا يظهـر علناً ويشتد بسبب عملية الإنزال هذه. كما بدأ ايدن يشعر أنه على الرغم من اعلان الرئيس آيزنهاور عن رفضه لإنذار بولغانين واستعداده للدفاع عن بريطانيا وفـرنسـا في حـالة تعرضـهما للخطر. إلا أنه لا يستطيع أن يضمن دعم الرئيس آيزنهاور له على جميع سياساته حول هذه الحرب.

ورغم كل ذلك فإن ايدن مـا زال يصر على أنه أرسل هذه الجـيـوش لغـزو مصر بقـصد الفـصل بين القـوات المتـحـاربة الإسرائيلية والمصرية مع أن تلك القوات قد توقفت عن القتال منذ أربعـة أيام. وهل هنالك دليل أكبر من هذا على أن هدف المعتدين البريطانيين والفرنسيين كـان محاولة اسـقـاط عـبـد الناصر لا لشـخصه فحسب بل لأنه أصبح رمزاً لدعوة الوحدة العربية التي نادى بها وما زال مصراً على تحقيقها مهما كلفه الثمن.

كما أن ايدن مـا زال مصراً على الاسـتـمـرار بالقـتـال والتقدم من بورسعيد جنوباً حتى السـويس لكي يحتل منطقة القناة بكاملها لولا أنه وصل إلى موقف أصبح فيه وحيداً تقريباً وذلك عندمـا أظهـر عدد كبير من نواب حزبه المحافظين بأنهم سوف يصوتون ضد الحكومة إذا لم يعلن عن وقف اطلاق النار حالاً. وتحت وطأة هذه الضغوط السياسية والنفسية وقف ايدن مـسـاء يوم ٦ تـشرين ثـاني في مجلس العـمـوم وأبلغ المجلس أنه تسلم رسـالة من السكرتير العـام للأمم المتـحـدة يعلمـه فـيـها بأن مصر واسرائيل قد وافقتا على وقف اطلاق النار. ولذلك فإنه قـد أصدر تعليماته بوقف العمليات الحربية ضد مصر اعتباراً من منتصف ليلة ٦/٧ تشرين ثاني ١٩٥٦م.

وبهذا الإعـلان تعـتبر المرحلة الثالثة والأخيرة من عملية (موسكتير) قد فشلت كذلك لأنها لم تحقق شيئاً من أهدافها التي وضعت لها. ولم تثمر سوى الدمار الذي أوقعته قوات الغزو في بورسـعـيـد وباقي المدن المصرية وقـواعـدها الجـوية ومراكزها الحيوية في مختلف أنحاء البـلاد. والاعـداد الهائلة من القـتلى والجرحى من السكان المدنيين بما فيها الكثير من النساء والأطفـال الذين سـقطوا شـهـداء في مدينة بورسعيد وغيرها من المدن المصرية بالإضافة إلى الخسائر التي تكبدتها القوات المعتدية من القتلى والجرحى.

وهذه نتـائج لا يسـتطيع (ايدن) و(جي مـوليـه) وزمـلاؤهما من السـياسيين والوزراء والقـادة العسكريين البريطانيين والفرنسيين الذين شنوا هذه الحرب القذرة أن يفتخروا بها.

ولكن على الرغم من هذا الفشل الذريع الذي منيت به هذه الحملة العدوانية الظالمة والموقف الفاضح لسياسية ايدن والانتقادات القاسية التي كان يتعرض لها من قبل نواب المعارضة من حزب العمال في مجلس العموم البريطانى إلا أنه ظل يتلكأ في مسألة انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من منطقة القناة الذي تقرر من قبل هيئة الأمم المتحدة واستمر بمحاولاته لتأخير هذا الانسحاب بوضع بعض الشروط التي يطلب تحقيقها قبل تنفيذه حيث أعلن أن القوات البريطانية والفرنسية سوف تسلم مواقعها إلى قوات الطوارىء الدولية فقط عندما يقتنعوا بأن القوات الدولية أصبحت فعالة وكافية للقيام بهذه المهمة. كما أن القوات البريطانية والفرنسية لن تنسحب نهائياً إلا بعد إزالة العوائق من القناة وفتحها للملاحة الدولية وبعد قبول مصر بوضع القناة تحت اشراف دولي وبعد التوصل لعقد معاهدة سلام بين العرب وإسرائيل. ولم يكن من المعقول أو المقبول الموافقة على شروط ايدن هذه من قبل أي من الجهات المعنية العربية والدولية وخصوصاً مجلس الأمن والجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة أولاً والدولتين العظميين روسيا وأمريكا ثانياً، وعلى أثر هذا الموقف الذي اتخذه ايدن وأصر عليه أعلنت أمريكا أنها لن تقدم لبريطانيا أي دعم بالدولار حتى تعلن عن قبولها بقرار هيئة الأمم المتحدة بلا قيد أو شرط وتسحب جنودها من منطقة القناة بأقصى سرعة. ورغم هذا فقد أصّر ايدن على موقفه بضعة أيام أخرى. ولكنه أجبر أخيراً على الرضوخ للأمر الواقع من قبل مجلس وزرائه بتاريخ ١٩ تشرين ثانى حيث اتخذوا قراراً بتنفيذ رغبة أمريكا لأن قيمة الجنيه الاسترليني تدهورت بسرعة إلى مستويات غير معقولة.

وبهذه الاثناء كانت صحة انتونى ايدن قد تدهورت تحت وطأة الأحداث وسافر إلى جمايكا باجازة للراحة والاستجمام. وبسفره هذا انطلق المارد من عقاله وهبت موجة عاصفة من الانتقادات ضده من مختلف الأوساط السياسية البريطانية حتى من بعض أعوانه. وعلى الرغم من هذه التطورات فقد حاول مجلس الوزراء البريطانى التلكؤ في سحب القوات التي أصبحت معزولة في مدينة بورسعيد بغير هدف واضح. وأخذت الحكومة البريطانية تحاول انقاذ ما يمكن انقاذه وأن تستخلص من أمريكا أية تنازلات مهما كانت ضئيلة تستطيع فيها مواجهة حزب المعارضة لتنقذ ماء وجهها بدون جدوى. وبتاريخ ٢٤ تشرين ثانى اتخذت الجمعية العامة قراراً آخر بأغلبية ساحقة تطلب فيه سحب القوات البريطانية والفرنسية حالاً من منطقة القناة. وقد صوتت أمريكا ضد بريطانيا بهذا القرار وهو أمر لم يسبق له مثيل ويعتبر في غاية الخطورة وبهذا فقد حانت ساعة الحسم ولم يبق أمام بريطانيا أي مجال للتأخير أو المماطلة. وفي يوم الأثنين ٣ كانون أول وقف المستر (سلوين لويد) في مجلس العموم ليعلن أن قوات الحلفاء سوف تنسحب من مصر فوراً.

وهكذا أسدل الستار على هذه المسرحية المأساوية الاجرامية التي كان الممثلين الرئيسيين فيها هما الدولتين الكبيرتين اللتين كانتا تمثلان مع أمريكا مجموعة الدول الملتزمة بالتصريح الثلاثي الذي وقعوا عليها عام ١٩٥٠م. والذي التزموا بموجبه بالمحافظة على الحدود الراهنة لدول المنطقة وضمان سيادتها واستقلالها والحفاظ على السلام في منطقة الشرق الأوسط سواء كان ذلك ضمن نطاق هيئة الأمم المتحدة أو خارجه. وسواء كانت اسرائيل هي المعتدية أو الدول العربية. ولو أن بريطانيا وفرنسا سلكتا السلوك الذي يليق بالدول التي تحافظ على التزاماتها الدولية. وبدلاً من حشد جيوشهما ضد مصر التي لم تكن أصلاً هي المعتدية قامتا بالاتصال مع شريكهما الثالث بالتصريح وهو أمريكا لتنفيذ الالتزامات التي يفرضها عليهم التصريح الثلاثي لما وقعت هذه الحرب. ولكن بريطانيا وفرنسا قامرتا بسمعتهما الدولية وانجرفتا وراء الحقد الأسود الذي كان يكنه رئيسا حكومتيهما لعبد الناصر شخصياً وشجعتا اسرائيل على الهجوم على مصر تحت اسناد المظلة الجوية الفرنسية وبحماية أساطيلهما في البحر الأبيض المتوسط ثم تبعتها جيوشهما المتحالفة بغزو أرض مصر لاحتلال قناة السويس بهذا الشكل المشين الذي لم ينتج عنه إلا الخسائر الكبرى لجيمع الأطراف بلا طائل وبلا هدف معقول سوى أن ايدن يريد العودة بالاستعمار إلى مصر.

وبانتهاء هذه المأساة انتهت الحياة العملية السياسية للمستر ايدن حيث ما لبث أن قدم استقالته تحت ضغط زملائه بالحزب والحكومة وانزوى في الظل ليقضي بقية حياته معزولاً يجتر مرارة الهزيمة التي جرها على بلده وعلى نفسه. ثم خلفه في منصب رئيس الوزراء السيد مكميلان الذي كان وزيراً للخزانة في حكومة ايدن. وكما انتهى ايدن بسبب حرب السويس كذلك انتهى (جي موليه) رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيته وبقية زملائهما بتغيير الحكومة الفرنسية بكاملها.

وقد كانت اسرائيل هي الرابح الوحيد نسبياً من هذه الحرب على حساب سمعة بريطانيا وفرنسا ومصداقيتهما. وساحاول تفنيد الخسائر التي لحقت بجميع أطراف النزاع بالخلاصة التالية:

الخلاصة:

استناداً لما تقدم احب أن اوجز هنا الأسباب الرئيسية لهذه الحرب التي يمكن أن نسميها بحق (حرب ايدن) وأبين خلاصة الأضرار التي لحقت بجميع المشتركين فيها على جميع الأصعدة السياسية والعسكرية والمعنوية والمادية.

وبنظرة متفحصة لواقع الأحوال في منطقة الشرق الأوسط يتبين بوضوح أن السبب الظاهر لهذه الحرب كان قيام الولايات المتحدة وتبعتها بريطانيا والبنك الدولي بالغاء مساهمتهم في تمويل السد العالي. الأمر الذي دفع الرئيس جمال عبد الناصر لإعلان تأميم قناة السويس لتوفير التمويل اللازم لهذا المشروع الحيوي الذي تعتمد عليه حياة الشعب المصري لأجيال قادمة. ومن ثم أخذ (ايدن) يحيك المؤامرة المشهورة مع فرنسا واسرائيل بهدف القضاء على جمال عبد الناصر كما كان يتصور. ولكن هل هذه هي كل الأسباب الأساسية التي أدت إلى اشعال نار هذه الحرب الاستعمارية الغاشمة. لا أظن ذلك بل إنى أرى أن هنالك أسباباً أخرى هامة وخطيرة ربما تجاهلها معظم الذين كتبوا تاريخ هذه الحرب وأوجزها بما يلي

١ ـ القومية العربية :

مع ظهور زعامة جمال عبد الناصر بعد الثورة المصرية وتبنيه الدعوة للوحدة العربية مهما كلفه الثمن ومهما بلغت التضحيات، أخذ زخم حركة القومية العربية يندفع بقوة هائلة ويعم جميع الأقطار العربية. ولما كان من أهم انجازات تلك الثورة نجاحها في إجلاء بريطانيا عن قواعدها في قناة السويس ومن ثم التصدي بزعامة جمال عبد الناصر لجميع مخططات الأحلاف الاستعمارية التي أخذت بريطانيا تبتدعها لكي تسترد بواسطتها ما خسرته من قواعد استراتيجية في المنطقة والتي كان آخرها وربما أهمها حلف بغداد والذي تصدى له جمال عبد الناصر بكل ثقله وكان السبب الرئيسي بافشاله. ولذلك فقد وجد الاستعمار في حركة القومية العربية خطراً مباشراً على جميع مخططاته ومصالحه في البلاد العربية من المحيط إلى الخليج. وبما أن جمال عبد الناصر أصبح ينظر إليه كرمز لكفاح هذه الأمة من أجل تحقيق وحدتها فلا بد لدول الاستعمار وعلى رأسها بريطانيا من القضاء عليه لمحاولة ايقاف زحف حركة القومية العربية والإجهاز عليها في مهدها فيقضوا بذلك على آمال شعوبها لأجيال طويلة. أو هكذا كانوا يأملون.

٢ ـ الخطر الفلسطيني :

بنتيجة خلق كيان اسرائيلي على أرض فلسطين واقتلاع سكانها العرب من ديارهم وتشريدهم أصبح ما يزيد عن مليون عربي فلسطيني يعيشون لاجئين في المخيمات المنتشرة في مختلف الأقطار العربية بعد أن فقدوا جميع ممتلكاتهم ووسائل معيشتهم وتحولوا قسراً إلى مجتمع ناقم ثائر يتحين الفرص للانتقام ممن تسببوا في تشريده وسلبه وطنه ودياره.

فأصبح هذا المجتمع يمثل قنبلة موقوتة ستدمر كل شيء حولها عندما يحين وقت انفجارها، ولنتذكر هنا أننا نكتب عن هذه الظاهرة في سنة ١٩٥٦م. أي بعد ثمانية سنوات فقط من وقوع كارثة فلسطين الأولى. ونحن نعرف الآن أن هذه المأساة قد تضاعفت حجمًا وخطرا أضعافاً كثيرة منذ ذلك التاريخ. لكنها كانت حينذاك من أهم العوامل المؤثرة في المنطقة التي جعلتها مهيأة للإنفجار بأي وقت تتوفر فيه الأسباب. مما يشكل خطراً مستقبلياً ماثلاً أبداً لتهديد كيان اسرائيل. وبالتالي فإن الدول الاستعمارية يهمها أن تمنع تعاظم هذا الخطر بضرب أية امكانية لتزويده بأسباب المنعة عن طريق الدول العربية التقدمية بالمستقبل المنظور

٣ ـ خطر التسلح العربي :

إن وجود اسرائيل في قلب الوطن العربي وتعاظم قواتها المسلحة باستمرار يشكل بحد ذاته خطراً دائمًا يهدد الاقطار العربية جميعها بلا استثناء. لا سيما وأن اسرائيل أخذت تضاعف عدد سكانها عن طريق التسارع باستقدام مئات الآلاف من المهاجرين اليهود من مختلف أقطار العالم. مما سوف يعني بالضرورة أن الرقعة التي تحتلها اسرائيل من فلسطين سوف تضيق بها ولن يبقى أمامها سوى التوسع على حساب البلدان العربية المجاورة وهذا يعني وقوع الحرب لا محالة إن عاجلاً أم آجلاً. وأمام هذا الواقع ليس لدى البلدان العربية أي خيار سوى الاستعداد لهذه المواجهة المنتظرة بتسليح جيوشها وتجهيزها بالأسلحة الحديثة التي تضاهي ما لدى اسرائيل كمًا ونوعاً. ولكي تكون قادرة على خوض حرب ناجحة بهذه الجيوش ضد اسرائيل يتحتم على الدول العربية أن تتحد فيما بينها بتنظيم مناسب يضمن تجميع قدراتها الاقتصادية والمادية والبشرية في جهد واحد منظم تحت تصرف قيادة واحدة تدير معركتها المصيرية مع العدو ما دامت الأنظمة العربية غير قادرة على تحقيق وحدتها الشاملة وهذا أضعف الإيمان. ولما كان الاستعمار الغربي ممثلاً ببريطانيا وفرنسا وأمريكا قد أخذ على عاتقه حماية اسرائيل وتقويتها باستمرار لتحمي مصالحه في هذه الرقعة من العالم فإنه يعتبر أن أي تسلح للعالم العربي يشكل خطراً على اسرائيل ولذلك فإنه أخذ على عاتقه ازالة هذا الخطر باستمرار وذلك بمنع وصول أي نوع من الأسلحة الحديثة المهمة لأي جيش عربي من أي مصدر واجهاض أي محاولة للوحدة بين قطرين أو أكثر من الأقطار العربية بأي وسيلة بما فيها استعمال القوة المسلحة وهنا أحب أن اذكر القارىء الكريم بأن هذا الكلام قيل عن أوضاعنا في عام ١٩٥٦م وقد ثبت أنه ما زال ينطبق على حالنا حتى الآن وسيبقى كذلك في المستقبل.

وفي هذا الصدد نشير إلى أنه عندما فشلت جميع محاولات جمال عبد الناصر للحصول على الأسلحة الحديثة التي يريدها من أمريكا وبريطانيا اتجه إلى الاتحاد السوفياتي وعقد صفقة الأسلحة المشهورة باسم صفقة الأسلحة التشيكية لأنها زودت له عن طريق تشيكوسلوفاكيا. ثم بعد ذلك تبعته سوريا وحصلت على كميات من الأسلحة الشرقية حسب حاجتها. وقد ساهمت صفقات الأسلحة هذه في خلق موجة جديدة من نقمة الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا على جمال عبد الناصر لأنه تسبب بادخال الأسلحة الشيوعية إلى منطقة الشرق الأوسط لأنهم لا يريدون أن تبقى الدول العربية متخلفة علمياً واقتصادياً فحسب بل يريدونها أن تبقى عزلاء من السلاح كذلك لكي تبقى لقمة سائغة لإسرائيل والاستعمار ليبتلعوها متى شاءوا، وهذا حافز آخر يحفزهم على التصميم لازاحة عبد الناصر من الطريق والحيلولة دون تسلح البلاد العربية بشكل يهدد اسرائيل يوماً ما

٤ ـ النفط :

من المعروف أن بريطانيا ومعظم بلدان أوروبا تعتمد اعتماداً رئيسياً على النفط العربي سواء كان لتشغيل مصانعها أو لاستعمالاتها العسكرية والمنزلية وخلافها. كما أنه من المعروف أيضاً أن الفوائد التي تجنيها البلاد العربية التي يستخرج هذا النفط من أراضيها لا تتعدى نسبة ضئيلة مما تحصل عليه تلك الدول الأوروبية وأمريكا التي تستغله. ولا يعقل أن تبقى الشعوب العربية مغمضة العين عن هذه الحقائق سواء كانت من البلدان التي لديها النفط أو تلك البلدان العربية الأخرى التي رغم أنها لا تملك النفط لكنها بحسب منطق الأشياء تعتبر أن من حقها أن تستثمر عائدات هذا النفط في أراضيها. وبالتالي فإنها جميعاً لا تستطيع أن تبقى إلى مالا نهاية صامتة وهي ترى النفط العربي يسهم بشكل رئيسي في رفع مستوى معيشة الشعوب الأوروبية ويضاعف ثروات أصحاب الملايين في أمريكا وأوروبا دون أن تحصل هذه الشعوب العربية نفسها على حصة عادلة من عائدات هذا النفط العربي الذي ينبع من أرض العرب.

ولما كان معظم هذا النفط يمر إلى أوروبا عبر قناة السويس أو بواسطة الانابب عبر سوريا والأردن فإن بريطانيا لم تكن مستعدة أن تفهم أن الطريق الوحيد لضمان سلامة مرور هذا النفط هو طريق التفاهم مع الشعوب العربية وتحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية لها وضمان حقوقها المشروعه في بلادها ولكنها على العكس من ذلك أصرت على أنها يجب أن تحمي هذا النفط بقوة السلاح وباخضاع الشعوب العربية بالقنابل والصواريخ.

وقد أثبتت الأحداث أن فلسفة ايدن باستعمال القبضة الحديدية لم تجلب له سوى الفشل والدمار. وخلال أسبوع واحد من الحرب اغلقت القناة ونسفت أنابيب النفط ودمر اقتصاد بريطانيا وخسر ايدن وظيفته. وما أشبه اليوم بالأمس فها هي حرب الخليج أكدت نفس النظرية.

٥ ـ ثورة الجزائر :

كان الشعب الجزائري البطل منذ سنين يقارع الاستعمار الفرنسي ويتكبد ألوف الضحايا دفاعاً عن وطنه واستقلاله وحريته. وقد كان من الطبيعي أن يكون جمال عبد الناصر في الطليعة في دعم هذه الثورة الوطنية العتيدة ومدها بالسلاح والعتاد وجميع الامكانيات التي يستطيع تقديمها. ولذلك فقد أصبح في نظر الحكومة الفرنسية الهدف الأول الذي يجب القضاء عليه لكي تستطيع حسب رأيها كسب الحرب في الجزائر. وقد نسيت فرنسا جميع تجاربها الماضية مع مختلف شعوب العالم التي استعمرتها والتي ثارت عليها وقاتلتها وطردتها من بلادها، ولم ترد فرنسا أن تفهم أن ثورة الجزائر هي ثورة الشعب الجزائري وأنها لا تستطيع قمع هذا الشعب الحر بقوة السلاح إلى الأبد وأنها لا تستطيع أن تقمع هذه الثورة حتى لو زال عبد الناصر من الوجود وحتى لو زال معه عشرات القادة لأن الشعب الجزائري لن يزول وسيبقى يقارعها السنين الطوال حتى يحقق أهدافه القومية ويطرد المستعمرين ويسترد حريته بسواعد ابنائه وتضحياتهم. وقد أثبتت الايام هذه الحقيقة وطردت فرنسا من الجزائر وانهار جبروت الاستعمار المسلح أمام إرادة الشعب الجزائري البطل وتصميمه واصراره على استرداد حريته وتحقيق استقلاله. ولكن فرنسا (جي موليه) وطغمته كانت تضع ثورة الجزائر في مقدمة الأسباب التي حفزتها على الاشتراك في حرب العدوان الثلاثي على مصر للقضاء على جمال عبد الناصر لتتمكن بعد ذلك دن قمع هذه الثورة المجيده وقد خاب ظن (جي موليه) وأشياعه وسحقتهم حماقتهم ومجازعتهم الفاشله أمام تصميم وتضحيات شعب الجزائر .

٦ ـ عقدة الاستعمار :

رغم تطور العالم وتقدم العلم والحضارة الانسانية وما تمخضت عنه سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانيه من زوال عهد الاستعمار وما نتج عن هذا التحول الهائل من تطور في علاقات الدول وما اسفر عنه من نيل معظم شعوب العالم التي رزحت تحت نير الاستعمار أجيالاً طويلة استقلالها. ورغم الكثير من الأمثلة العملية في مختلف بقاع الأرض التي اثبتت

ان الاستعمار لا يستطيع الاستمرار في فرض ارادته على الشعوب بقوة السلاح. ورغم وجود هيئة الأمم المتحدة التي جاءت في اعقاب دمار الحرب العالمية الشامل لكي تحل مشاكل العالم عن طريق التفاوض والتفاهم ولتحمي الدول الصغيرة من جبروت وتعسف الدول الكبرى ولتكون بمثابة صمام الامان للحيلوة دون تصادم الدول الكبرى وتضمن بذلك عدم وقوع حرب عالمية جديدة قد تكون فيها نهاية العالم .

وعن طريق التوسط في حل المشاكل التي تسبب الاحتكاك بين الدول تضمن بقدر الامكان تجنب النزاعات المسلحة والحروب الموضعيه وتسهم بذلك في تثبيت التعايش السلمي بين الأمم ويتحقق بذلك استمرار السلم العالمي. ورغم كل هذه الاحوال التي سادت العالم ونجحت الى حد كبير في تلافي الصدام إلا أن بعض قادة الاستعمار من أمثال ايدن وجي موليه وغيرهما من الساسه البريطانين والفرنسيين ما زال يسيطر عليهم الحنين الى العهود الخوالي عندما كانت بريطانيا العظمى وفرنسا تمليان شروطهما على شعوب الارض بقوة السلاح. فوجدوا أنه من الصعب عليهم ان يصدقوا أن جيوشهم الجرارة باسلحتها المتطورة واساطيلها البحرية والجويه ستعجز عن اخضاع مصر وارغام عبد الناصر على الانصياع لارادتهم. وبسبب هذه العقدة النفسية وبسبب ما شعروا به من احباط على اثر نجاح عبد الناصر بتأميم القناة وتشغيلها بكفاءة أفضل مما كانت عليه سابقاً. وبنتيجة فشل جميع مخططات فرنسا واساليبها القمعية وبطشها الشرس لاخضاع شعب الجزائر الحر البطل وانهاء ثورته. اتفق ايدن وجي موليه على ان يتبعا طريق الحرب لحل مشكلتهما مع جمال عبد الناصر. متعاميان تماماً عن حقيقة انهما يقودان بلديهما الى متاهة رهيبة في معادات الشعوب والولوغ في دمائها. واتخذ هذان الزعيمان قرارهما وهما يعلمان أن مشكلة قناة السويس قد وصلت الى نهايتها واصبح الاتفاق على حلها بالتفاوض وشيكا حيث وافقت مصر على جميع النقاط التي طلبوها تقريباً وتقرر عقد الاجتماع الذي كان سيوصلهم الى هذا الحل النهائي في جنيف وتحدد موعده يوم ٢٩ تشرين اول. ولكن بدلاً من الذهاب الى الاجتماع بدأوا بتنفيذ مؤامرتهم الثلاثية بهذا اليوم بالذات بقيام اسرائيل بالبدء بتنفيذ المرحلة الاولى من العدوان بانزال قوة من المظليين في ممرات (متلا) في عمق سيناء. إذن فقد كانت جميع هذه الحالات السابقة والمؤهله للتسبب في وقوع الانفجار موجودة في منطقة الشرق الاوسط وبانتظار من يشعل فتيلها لتحرق الاخضر واليابس بعد ذلك .

ولسوء حظ المستر ايدن هذا السياسي المخضرم صاحب التاريخ الحافل بالخبرات وخصوصاً خلال الحرب العالمية الثانية ان يكون هو المحرك الرئيسي لهذه الحرب القذرة التي حرقت اصابعه ويديه وكادت ان تحرق العالم معه .

هذه الحـرب التي لم تثـمـر سـوى الخسائر لجميع الاطراف المشتركة فيها. فلنوجز إذن مجمل هذه الخسائر التي لحقت بكل دولة فيما يلي .

مجمل الخسائر :

أولاً : مصر

لقـد كـانت افـدح خسـارة منيت بها مصر هي فـقـدانها اجزاء عزيزه ومهمة من الوطن العـربي وقـعت تحت الاحـتـلال الاسرائيلي وهي قطاع غزه وسيناء بكاملها وما صاحب ذلك من تدمير في المنشـآت الحيوية والبنية الأساسية في تلك المناطق. وفوق هذا فقد سقط الألوف من الشـبـاب المصري والفلسطيني شهداء وجرحى في مختلف المعارك. كما وقع الوف غيرهم في الأسر بالإضـافـة الى الاعـداد الهائلة من الشـهـداء والجرحى الذين سقطوا في مدينة بور سـعـيـد والمدن الاخـرى بنتـجة المعارك والغارات الجوية البريطانية والفرنسية عليها محدثة دمارا هائلا في ابنيتها وخصوصاً مدينة بور سعيد التي دمرت معظم احيائها .

كما خسرت مصر مـعظم اسلحـتـها الحديثة المهمه. فقد دمرت الغارات الجوية البريطانية الفـرنسـية أكثر من ثلاثة أرباع الطائرات القاذفة والمقاتلة المصرية في قواعدها واعطبت معظم منشـآت واجـهزة هذه القواعد والمطارات. وبالإضافة لذلك فقد خسرت مصر اعداداً كبيرة من الدبابات الحـديثة والمدافع في سيناء واستولى الجيش الاسرائيلي على كميات ضخمة من أكداس الذخـائر واللوازم الاخـرى في مختلف المعـسكرات. ولكن هل كـسـبت مصر شيئاً مقابل هذه الخـسـائر والتضحيات ؟ والجواب نعم. لقد كسبت مصر ارادتها وحريتها في وجه الاستعمار الشرس ودافـعت عن كـرامـتـهـا وكرامة امتها. كما كسبت مصر ومعها العالم العربي بأسره تعـاطف ودعم مـعظم دول العالم وخصوصاً بعض الدول العظمى. وقد اشرت سابقاً الى ان تهديد الاتحـاد السـوفياتي لبريطانيا وتدخل امريكا قد ساهم الى حد كبير في ارغام بريطانيا وفرنسا على سحب قواتهما من بور سعيد ومنطقة القناة .

كما ان تهديد الرئيس ايزنهاور كان عاملاً حاسمًا في إجبار اسرائيل على سحب قواتها من سيناء وقطاع غزه في وقت لاحق

وبعكس مـا قصده ايدن فقد خرج عبد الناصر من هذه الحرب الظالمه الزعيم الاقوى على السـاحـة العـربية والعالمية وبدل ان ينجح ايدن باساطيله بتدمير عبد الناصر فقد نجح عبد الناصر بايمانه بالله وبتـفـانيـه في الدفـاع عن وطنه وبإصراره على الثبات على مبادئه وقضية امـتـه بدحـر قـوى الاسـتعمار وازاحة ايدن وجي موليه واعوانهما عن الساحة السياسية في بلديهما الى غير رجعه .

ثانياً : بريطانيا

إن أهم الأضرار التي لحقت ببريطانيا بنتيجة هذه الحرب هي خسائرها المعنوية بالدرجة الاولى. حيث خرجت من هذه الحرب موصومة بانها دولة معتديه ومتآمره. وقد خسرت مصداقيتها بين دول العالم. كما خسرت معظم حلفائها واصدقائها وأصبحت ينظر اليها كدولة منبوذة لا يمكن الثقة بها .

وبالإضافة لهذا فقد خسرت مصالحها الحيوية في كافة الاقطار العربية وقد لا تستطيع استعادة موقعها الذي كان مؤثراً في هذه البلاد لمدة طويلة قادمة. أما من الناحية المادية فقد اصبح اقتصادها مشلولاً وشبه منهار واصبحت اسيرة لامريكا في هذا المجال لكي تستطيع انقاذ مركزها الاقتصادي الذي أوشك على الانهيار والاستمرار بالتعايش مع هذه الضائقة التي سببتها لنفسها. وليس هنا مجال الاحصائيات المالية لكن من المؤكد أن خسائر بريطانيا بنتيجة فقدانها جميع مستورداتها من نفط الشرق الأوسط بسبب اغلاق قناة السويس ونسف الانابيب ومحطات الضخ في سوريا تقدر بمئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية علاوة على الضائقة التي الزمتها بتقنين استهلاك النفط حتى على الصناعات الحيوية التي كانت دعامة اساسية في صادراتها. هذا بالإضافة الى الاموال الطائلة التي خسرتها بنتيجة تأميم البنوك والشركات البريطانية في مصر بسبب هذا العدوان .

ثالثاً : فرنسا

رغم أن فرنسا لم تكن تعبأ كثيراً بالمصداقية والقيم ولا سيما في تعاملها مع الشعوب التي كانت تستعمرها وأوضح مثال على ذلك تلك الوحشية التي كانت تعامل بها شعب الجزائر من قصف القرى والمدن بالطائرات وهدمها على رؤوس سكانها. إلى الفضائع التي كانت ترتكبها في سجونها مع المعتقلين وغير ذلك من المعاملات الهمجية إلا أن موقفها السيء هذا ازداد سوءا بعد هذه الحرب القذرة. وهي الأخرى أصبحت كبريطانيا ينظر لها في الأوساط العالمية كدولة متآمرة ومعتدية فقدت مصداقيتها ولا يمكن الثقة بها. والأهم من هذا أنها خسرت أي أمل كانت تعقده على هذه الحرب لاخضاع شعب الجزائر فبعد هزيمتها مع شريكتها بريطانيا في حرب السويس أصبحت أيامها في الجزائر معدودة وتردت أحوال قواتها المقاتلة هناك حتى اضطر ديجول بعد توليه رئاسة الجمهورية إلى اعلان عزمه على الانسحاب من الجزائر والتفاوض مع قادة الثورة كما هو معروف.

وأما من الناحية المادية فقد خسرت هي الأخرى أموالاً طائلة بسبب قطع مواردها من

نفط الشرق الأوسط لمدة طويلة كما خسرت مـلايين كـثيرة بنتيجة تأميم الشركات والمصالح الفرنسية في مصر

رابعاً : اسرائيل

لم تخسر اسرائيل شـيئاً يذكـر في هذه الحـرب مقارنة باطراف النزاع الأخرى. فخسائرها بالقـتلى من جنودها ومعداتها التي دمرت بالقتال لا تعتبر شيئاً يذكر إذا ما قورنت بخسائر مصر. وأسـبـاب ذلك واضحة حيث لم يتح لمصر أن تقاتل اسرائيل وحدها. ولكن الفوائد التي حصلت عليها اسرائيل من هذا العدوان كانت ضخمة.

وفي الواقع فإن اسرائيل كـانت هي المسـتفيد الوحيد بالنتيجة. وكأن بريطانيا وفرنسا قد خـاضـتا هذه الحرب لحسابها وقد كانت أهم هذه الفوائد أنها ضمنت حرية الملاحة لسفنها عبر البحر الأحمر مروراً بمضائق ثيران حيث كان أحد شروطها للانسحاب من سيناء وضع هذه المنطقـة تحت اشراف هيئة الأمم المتـحـدة صحيح أن اسرائيل أجبرت على الانسحاب من سـيناء وقطاع غـزة بنتـيـجـة الضـغط الأمريكي بالدرجة الأولى ولكنها بمقابل ذلك ضمنت وجـود قـوات الطوارىء الدوليـة على طول حـدودها مع سـيناء لعـدة سنين قادمة. وأما من الناحـيـة المادية فلم تخسر اسرائيل سـوى تكاليف جيشها خلال فترة التعبئة العامة التي لم تدم أكثر من شـهرين.

ولكنهـا بالمقـابل كسبت كميات هائلة من الأسلحة الحديثة التي حصلت عليها من فرنسا قـبل نشوب الحرب وخصوصاً الطائرات المقاتلة والقاذفة المتطورة والدبابات وناقلات الجنود المدرعـة وغيرها وكـمـيات ضخمة من مختلف التجهيزات والاعتدة والذخائر. وبالاضافة لكل هذا فـقـد استولت في سيناء بنتيجة انسحاب القوات المصرية على كميات ضخمة من الاسلحة الحديثة ولا سيما الدبابات والمدافع وآكداس الذخائر الضخمة التي يقدر ثمنها بمئات الملايين من الدولارات كسبتها كغنائم حرب.

ولهذا كله فإن اسرائيل تعـتبر هي الرابح الوحيد من مؤامرة هذا العدوان الثلاثي.

الأحداث الهامة التى أعقبت هذه الحرب :

أود هنا أن اشير إلى الحـوادث الهامـة التي وقـعت خـلال السنوات التي تلت هذه الحرب دون التطرق إلى التـفـاصيل حيث سيرد ذكرها في كتاب مذكراتى عند نشره مستقبلا إن شاء الله

أولاً - بتاريخ ١٣ شباط ١٩٥٧ تم التوقيع رسمياً على محضر إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية وقد كنت عضواً في الوفد المفاوض.

ثانياً - بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٥٧م وقعت حوادث التمرد في معسكرات الزرقاء وقد اعتقل عدد من الضباط المشتركين فيها ولجأ اللواء علي أبو نوار إلى سوريا وتبعه اللواء علي الحياري وبعدئذ تم تعيين اللواء حابس المجالي رئيساً للأركان وبقيت أنا مديراً لهيئة الأركان

ثالثا - بدأت المباحثات الرسمية في عمان بين جلالة الملك حسين وجلالة الملك فيصل لتأسيس الاتحاد بين العراق والاردن. وقد كنت عضواً في الوفد الأردني. وفي صباح يوم الجمعة ١٤ شباط ١٩٥٨م أعلن قيام الاتحاد العربي الهاشمي.

رابعاً - نتيجة الاتحاد تم الاتفاق على توحيد الجيشين العراقي والأردني بقيادة واحدة. وقد اتفق على اجراء التعيينات الآتية اعتباراً من ٩ حزيران ١٩٥٨م.

الفريق الركن رفيق عارف - قائداً عاماً لجيش الاتحاد.

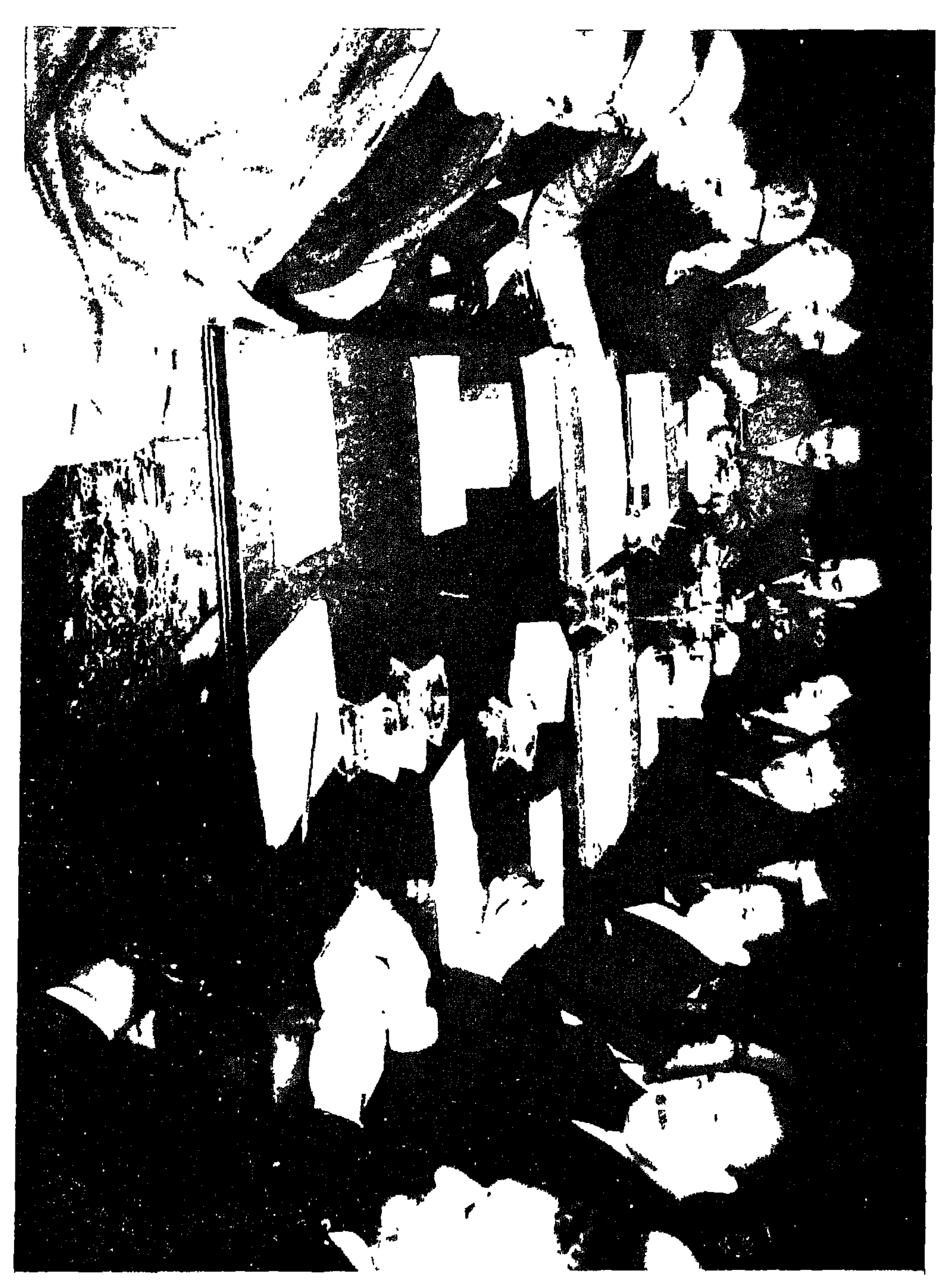
اللواء الركن صادق الشرع - نائباً للقائد العام لجيش الاتحاد.

الفريق حابس المجالي - قائداً للجبهة الغربية.

الزعيم الركن أحمد محمد محيي - مدير هيئة الأركان للجبهة الغربية.

خامساً- بتاريخ ١٤ تموز ١٩٥٨م وأثناء وجودي في بغداد وقع الانقلاب العسكري وإلغي الاتحاد وعدت إلى عملي السابق في الجيش العربي الأردني.

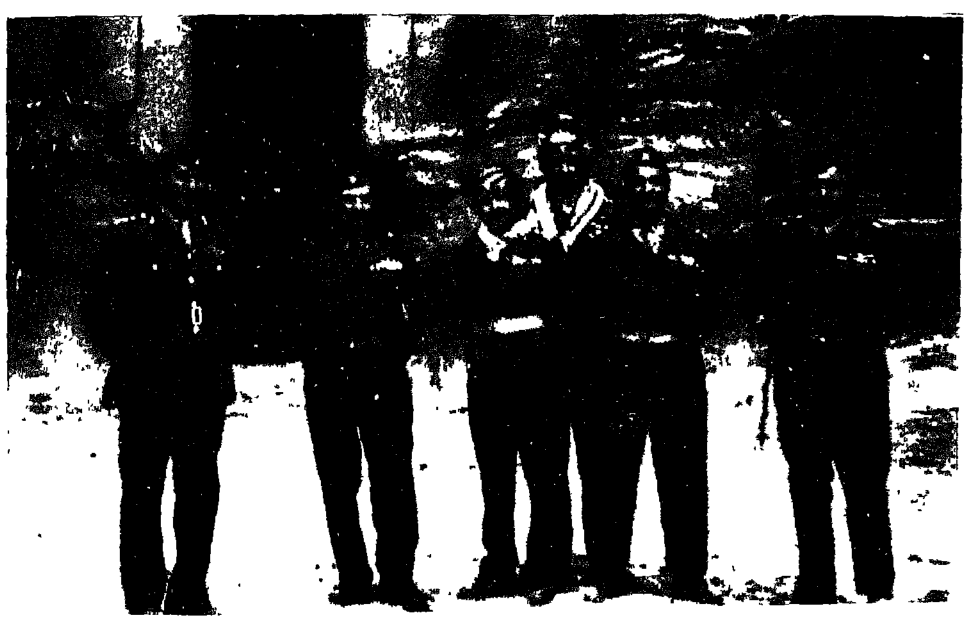
سادساً- بتاريخ ٢١ مايس ١٩٥٩م تم اعتقالي ومحاكمتي بتهمة محاولة القيام بانقلاب وحكم علي بالإعدام وأمضيت خمسة سنوات في السجن وخرجت بعدها وعملت في الكويت سبع سنوات ومن هنا سأنتقل إلى أحداث الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة عام ١٩٦٧م.



الاجتماع التاريخي الذي عقد في قصر بسمان العامر ليلة ويوم الجمعة بتاريخ ١٤/٢/١٩٥٨م لوضع أسس الاتحاد العربي بين المملكة الأردنية الهاشمية والمملكة العراقية.



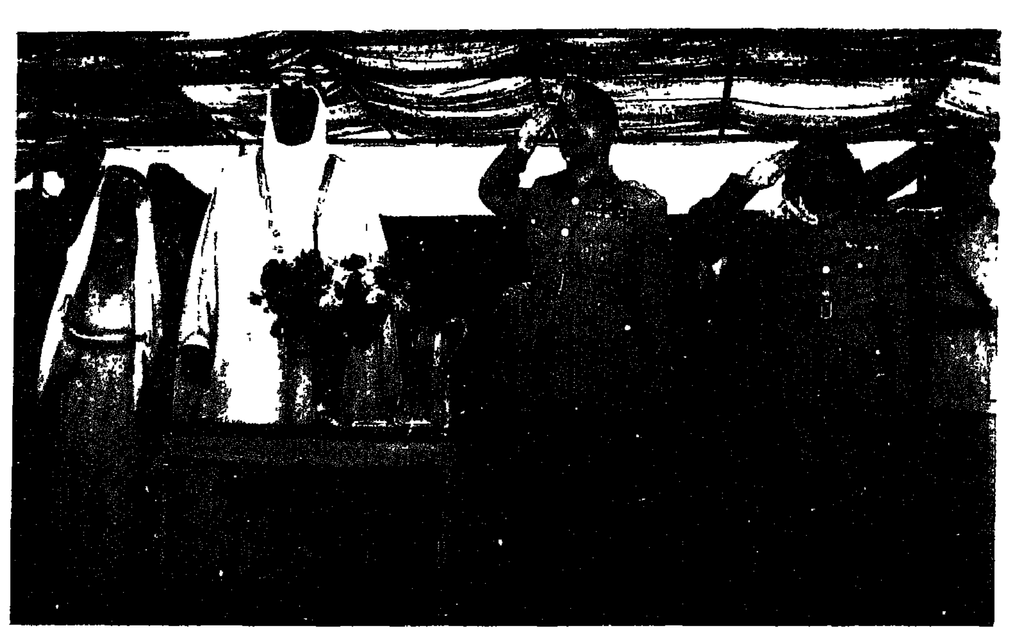
المؤلف يقف بجانب جلالة الملك حسين وجلالة الملك فيصل الثاني ملك العراق ـ أخذت في يوم الأحد الموافق ١٩٥٨/٤/١٢ بمناسبة عيد الاستقلال. جرى الاستعراض في (خو) شرق مدينة الزرقاء واشترك فيه قطعات اللواء العراقي الذي كان معسكراً في المفرق بعد قيام الاتحاد العربي الهاشمي .



بعد توقيع الاتحاد العربي الهاشمي وتعييني نائباً للقائد العام لجيش الاتحاد سنة ١٩٥٨ ويظهر معنا في الصورة اللواء خليل جميل والعقيد تاجي طالب والعقيد شكري محمود نديم من الجيش العراقي .



مع الفريق رفيق عارف والوفد العراقي أثناء زيارتنا الى الخطوط الأمامية سنة ١٩٥٨ بعد قيام الاتحاد الهاشمي وتعييني نائباً للقائد العام لجيش الاتحاد وهذا الموقع في جبل الزيتون في القدس .



المؤلف مع جلالة الملك حسين وجلالة الملك سعود بن عبد العزيز في معسكر المفرق عندما زارا اللواء السعودي المرابط في الاردن سنة ١٩٥٨م .



مع جـلالة الملك حـسين في حـفلة تخريج دورة المرشحين سنة ١٩٥٧م عندمـا كنت مـدير هيئة الاركـان للجيش العربي .



اثناء زيارتي الى جـزيرة كـيـمـوي وهي مـوقع الدفاع الرئيسي التابع الى جزيرة فرموزا في سنة ١٩٥٨ وبرافقني قائد الفرقة الصينية المدافعة عنها .

الفصل السادس
مطالعات عن الحرب العربية - الاسرائيلية الثالثة عام ١٩٦٧م

المقدمة :

على الرغم من أنى لم أشترك عملياً بهذه الحرب كسابقاتها فإن صلتي بها كانت مستمرة عن طريق مطالعاتى ومتابعاتى للتطورات العالمية والتحركات والأحداث التي أدت بالنهاية إلى وقوعها. وبالتالي فإن علاقتي بهذه الحرب هي علاقة غير مباشرة ولها آسباب ومنطلقات أوجزها بما يلي

أولا – لأنى قمت بدور رئيسي في تصميم الخطط الدفاعية عن الضفة الغربية قبل وبعد حرب العدوان الثلاثي. وكانت هذه الخطط تعتمد بدرجة أساسية على القوات الأردنية بمراحلها الأولى ومن ثم باشتراك القوات العربية وخصوصاً الجيش السوري وسلاح الجو المصري (عندما كنا جزءاً من القيادة العربية المشتركة) والجيش العراقي بمرحلة لاحقة وذلك بصفتي مدير هيئة الأركان للجيش العربي الأردنى خلال النصف الثانى من عقد الخمسينات.

ثانياً – إن اسرائيل بدأت بالتخطيط لهذه الحرب كما اعتقد منذ انتهاء حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م والتي لم تستطع بنتيجتها أن تحتفظ بما احتلته من الأراضي المصرية وقطاع غزة. كما أنها لم تتمكن من احتلال الضفة الغربية كما كانت ترغب بسبب الضغط الأمريكي عليها وعلى بريطانيا الذي كان مرجعه بدرجة أساسية تلك المؤامرة التي اشتركت فيها الدول الثلاثة التي نفذت تلك الحرب.

ثالثاً – لقد تابعت أحداث هذه الحرب التي نحن بصددها منذ بدايتها عبر وسائل الاعلام وقرأت الكثير من النشرات والتقارير التي كانت تنشر في حينها كما قرأت عدة مراجع عن تفصيلات معاركها ومنها مراجع أمريكية واسرائيلية كما اطلعت على الكثير من التفاصيل الدقيقة من بعض المصادر حول الدعم الأمريكي لاسرائيل لتمكينها من تحقيق النصر السريع على الجيوش العربية مجتمعة.

لكل هذه الأسباب أرى أنه يتحتم علي من قبيل الوفاء للتاريخ أن أسجل معلوماتى وتعليقاتى على مجريات هذه الحرب التي اعتقد أنها انتهت قبل أن تبدأ كما ساشرح ذلك في مكان لاحق معتمداً على معلوماتى التي جمعتها وخبراتي السابقة في هذا المجال. لا سيما وأني غطيت معارك الحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م والثانية عام ١٩٥٦م بشيء من التفصيل من وجهة نظري كشاهد عيان لمعظم الأحداث فيهما.

تطور الأحداث :

قد يكون من المفيد أن أشير هنا بايجاز إلى الأحداث التي طرأت على الساحة العربية خلال السنوات الثلاث التي سبقت نشوب هذه الحرب بما يلي:

١ – في عام ١٩٦٤م. عقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة. وقد كان موضوع الدعوة لهذا المؤتمر بحث الاجراءات الواجب اتخاذها من قبل الدول العربية عندما بدأت اسرائيل تضخ مياه نهر الأردن إلى النقب، ولمواجهة هذا الاعتداء الصارخ على المياه العربية اتخذ الزعماء العرب بهذا المؤتمر قراراً بالمباشرة فوراً بتحويل مياه نهر الأردن من منابعه الأساسية وإيصالها إلى نهر اليرموك. وبهذه الطريقة سيصبح بالإمكان الاستفادة من نسبة ٦٠ بالمائة من مياهه لمصلحة البلدان العربية وذلك عن طريق حفر قناة لتحويل نهر الحاصبانى في لبنان وبانياس في سوريا ونقل المياة بواسطتها إلى نهر اليرموك. كما قرروا تخصيص مبلغ أربعمائة مليون جنيه استرليني لتمويل هذه العملية.

ولا بد أن أشير هنا إلى أن مشروع جونسون كان قد خصص نفس هذه النسبة (٦٠ بالمائة) من المياه إلى سوريا ولبنان والأردن ونسبة (٤٠ بالمائة) إلى اسرائيل. ولكن العرب رفضوا هذا المشروع فقامت اسرائيل بتحويل جميع المياه من جنوب بحيرة الحولة دون أن تترك للعرب شيئاً منها واخيراً جاء مؤتمر القمة العربي هذا يتبنى نفس المشروع بطريقة أخرى لكي يحصل على نسبة ٦٠ بالمائة الأصلية. وسنرى أن اسرائيل ستمنعهم من تحقيق ذلك بالقوة. وستكون هذه المسألة أحد الأسباب الرئيسية لنشوب هذه الحرب.

وبنفس هذا المؤتمر قرر الزعماء العرب الموافقة على الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالأستاذ أحمد الشقيري رئيساً لها. واستناداً إلى هذا القرار بدأ الشقيري بتأسيس الجيش الفلسطيني وعين اللواء وجيه المدني قائداً له. وفي مطلع عام ١٩٦٥م تم تدشين تأسيس منظمة التحرير رسمياً في الاجتماع العام الذي عقده الزعماء

الفلسطينيون في القدس ووضعوا من خلاله الميثاق الوطني الفلسطيني الذي أصبح بمثابة الدستور الثابت الذي تجري ضمن اطاره جميع الاجراءات السياسية والقانونية والعسكرية التي تحكم مسيرة التحرير الفلسطيني في كافة المجالات والمحافل العربية والدولية وفي مواجهة العدو الاسرائيلي على أرض فلسطين وخارجها. وأما منظمة التحرير فهي في الواقع عبارة عن مظلة تحوي ضمن اطارها عدداً من المنظمات أو حركات التحرير الفلسطينية المختلفة ومن أكبر هذه المنظمات حركة التحرير الفلسطيني (فتح) وهي الحركة التي تأسست عام ١٩٥٧م وبقيت تعمل كمنظمة سرية حتى عام ١٩٦٥م عندما تمكنت هذه الحركة من السيطرة على منظمة التحرير الفلسطيني وبعد فترة من الزمن تم انتخاب السيد ياسر عرفات رئيساً لها

وأثناء مؤتمر القمة المشار إليه اتخذ الزعماء العرب قراراً آخر في غاية الأهمية كان من شأنه أن يغير الموقف العسكري العام تغييراً جذرياً في مواجهة الجيش الإسرائيلي كما أنه كان سيؤدي حتمًا إلى نقلة نوعية هامة نحو تحقيق الوحدة العربية لو أنه نجح وذلك هو قرار تأسيس القيادة العربية الموحدة التي ستتولى قيادة جيوش دول المواجهة بقيادة الفريق علي عامر من الجيش المصري. كما تطلب القرار المباشرة بتنفيذ تنظيمات هذه القيادة فوراً ووضع الخطط اللازمة لحماية مشاريع تحويل المياه العربية المشار إليها وكذلك وضع الخطط الحربية اللازمة للرد على اسرائيل في حالة قيامها بالاعتداء على أية دولة من دول المواجهة وذلك باستخدام كامل قطعات الجيوش العربية الواقعة تحت امرتها وتعيين واجباتها لتحقيق هذا الهدف.

ولقد بدأ لأول وهلة وكأن هذه القيادة سوف تحقق الغاية المتوخاة من تأسيسها وأنها سوف تنجح في التنسيق والتعاون بين الجيوش العربية بشكل جاد وفعال هذه المرة لكي تتجنب تجارب الماضي المريرة عندما كانت الجيوش العربية تحارب اسرائيل فرادى وتخسر المعركة منذ بدايتها.

ولكن لسوء الحظ فإنه لم يقدر لهذه التوقعات أن تتحقق وثبت مع الزمن أن الدول العربية لم تكن بمستوى الخطر وأنها ليست على استعداد لطرح خلافاتها جانبا

وتفضيل المصلحة القومية على المصلحة القطرية والتضحية بالمصالح الشخصية في سبيل وحدة الأمة. وبسبب هذه العوائق فشلت القيادة العربية الموحدة في مهمتها بالنهاية ولم تجني الجيوش العربية من هذه التجربة أية فائدة أو تتعلم أي درس أو تخلص بأية عبرة للمستقبل.

٢ - وبعد البدء بتنفيذ مشروع تحويل الحاصبانى والبانياس والمباشرة بحفر القناة التحويلية أخذت القوات الإسرائيلية تقصف مواقع العمل بنيران المدفعية والدبابات باستمرار كما قامت طائراتها في شهر تشرين الثانى عام ١٩٦٤م بقصف مواقع العمل الواقعة خارج مدى نيران المدفعية. وقد أدت اجراءات العدو هذه بالنهاية إلى وقف العمل بهذا المشروع لأن الاستمرار به تحت كثافة هذا القصف كان مستحيلاً. كما أن الدول العربية لم تكن مستعدة للدخول بحرب شاملة مع اسرائيل بسبب المياه. وهكذا استمرت اسرائيل بأخذ مياه الأردن بكاملها لارواء مستعمراتها في النقب بدون أن يستفيد العرب بشيء منها.

٣ - بعد ذلك استمرت المصادمات المتفرقة على الحدود السورية حيث كانت القوات السورية الأمامية تطلق النار من مواقعها على الاسرائيليين الذين كانوا يحاولون استغلال الأراضي الواقعة في المناطق الحرام وعلى قوارب الصيد التي كانت تتجاوز خط الهدنة باستمرار في بحيرة طبريا. كما كانت المدفعية السورية في هضبة الجولان تقصف المستعمرات الاسرائيلية بين الحين والآخر كرد فعل على قصف المدفعية الإسرائيلية للمواقع والقرى السورية. وقد أدى هذا الأمر إلى استمرار حالة التوتر الشديد على طول تلك الحدود.

٤ - وبنفس الوقت كانت مجموعات من الفدائيين الفلسطينيين تعبر الحدود الأردنية من مواقع مختلفة إلى الأراضي المحتلة للقيام ببعض الغارات على الأهداف العسكرية الإسرائيلية وقد كانت القوات الإسرائيلية تتمكن من السيطرة على هذه المجموعات الفدائية في الكثير من الحالات وتقتل عدداً من أفرادها وتعتقل الآخرين.

وفي واقع الأمر فإنه لم يكن لهذه الدوريات الفدائية فعالية مهمة ضد القوات الإسرائيلية. ولم تكن عملياتها أكثر من عمليات ازعاجية.

وعلى أي حال فقد ثبت أن اسرائيل لديها مخطط سوف تنفذه سواء استمرت حوادث التسلل أو توقفت. لأنها وعلى الرغم من توقف عمليات الدوريات الفدائية على الجبهة الأردنية فقد مضت قدماً في تنفيذ مخططاتها التي كانت ستؤدي في نهاية المطاف إلى نشوب الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة.

وبحـجـة أن الدوريات الفـدائيـة تنطلق من الأراضي الأردنية فقد قامت القوات الإسرائيلية بتاريخ ١٣ تشرين ثاني عام ١٩٦٦م بشن هجـوم ضخم على قرية السموع الواقعة في أقصى جـنـوب منطقـة الخليل وعلى مـسـافـة أربعـة كـيلومترات داخل خط الهدنة. وقـد انتـخب الإسرائيـلـيـون هذه القـرية بالذات لأنها تقع في أقـصى مناطقنا الجنوبيـة وهي قـريبـة من مـواقـعـهم العـسكرية وهذا يسهل عليهم تنفيذ العملية والعودة إلى منطقتهم بسرعة وبنفس الوقت فإن هذه القـرية بعـيـدة عن معسكرات الجيش الأردني الرئيسية. ولذلك فإن وصول النجـدة إليـهـا سوف يستغرق وقتاً طويلاً ومن الممكن أن تنتهي المعركة قبل وصولها. وقد اسـتـعـملت القـوات الإسرائيليـة المهـاجمة الدبابات والطائرات لاسناد عـمليتها هذه وتمكنت بالنتـيـجـة من تدمير الكثير من منازل القـرية وقتل وجرح عدد كبير من سكانها. كما قامت أثناء سير العـمليـة بطرد السكان من منازلهم ثم نسفتها بالديناميت. وقد تم إرسال قوة من الجـيش العـربي من منطقـة الخليل لنجـدة هذه القـرية المنكوبة ولكن هذه القـوة اصطدمت بكمين وضـعـه الإسرائيليـون شمال القـرية كما انفـجـرت الألغام التي زرعوها على الطريق بالسـيـارات التي كـانت تقل جنود النجدة. وبنتيجة هذا الاشتباك قتل واحد وعشرين جندياً وجرح سبعة وثلاثون من جنود الجيش العربي.

ولقـد كان لمعركة السموع هذه وقع شديد على الحكومة الأردنية كما وجهت لها انتقادات مـريرة من البلدان العـربيـة على أسـاس أنها قصرت ولم تقم باتخاذ اجـراءات فـعالة لنجدة السـمـوع وإن مـا أرسلته من القوات أثناء المعركة كان قليلاً وجاء متأخراً بحيث لم يكن له تأثير فـعـال على سير المعـركة. ولم يذكر أحد من المنتقدين تلك الخسائر الضخمة من القتلى والجـرحى التي تكبـدتها قـوة النجـدة التي أرسلها الجيش العربي لهذه القرية. كما لم يذكر أحـد أن هذه المعـركـة التي خـاضتها قوة النجدة في موقع الكمين كانت هي السبب في تأخر وصـولها للقـرية. ولم يكن هذا التأخـر بسـبب التـقـاعس في ارسالها. كما أن بعض البلدان العـربيـة انتـقدت الحكومة الأردنية بشدة لأنها لم تقم بشن هجوم انتقامي ضد اسرائيل على أثر مـعـركـة السـمـوع مـباشرة: ولما كنت اعتقد أن هذه الانتقادات غير منصفة فإنني كنت أتصدى للقائلين بها في مختلف المناسبات أثناء وجودي في الكويت. حيث كنت مقيمًا فيها منذ عام ١٩٦٤م على أثر خـروجي من السـجن بعد أن حكم علي بالإعدام لمحاولة القيام بانقلاب عـسكري كما هو معروف وقضيت بالسجن ما مجموعة خمسة سنوات كاملة غادرت الأردن بعـدها للعـمل في الكويت كما سيرد تفـصيلاته في كتاب مذكراتي الذي سيصدر مستقبلاً إن شاء الله

ولقد كانت تلك الانتقادات تتردد في أوساط الأردنيين والعرب الآخرين من مختلف الطبقات. لا سيما وأنه كانت تتواجد في الكويت مجموعات كثيرة من المثقفين ورجال الفكر والسياسيين المعارضين ورجال الأحزاب المختلفة وقد كنت أقف مدافعاً عن الأردن بهذه القضية لأنى كنت أعتقد جازماً أن العسكريين الأردنيين من الضباط والجنود قد عملوا كل ما في وسعهم لنجدة هذه القرية بحسب الإمكانيات المتاحة لهم في تلك المنطقة وتكبدوا في سبيل ذلك عشرات القتلى والجرحى وإن المسؤولية الرئيسية في هذا الحادث وغيره يجب أن تلقى على عاتق القيادة العربية الموحدة التي شكلها الزعماء العرب في مؤتمر القمة الأول عام ١٩٦٤م. وقرروا بنفس الوقت تقديم الدعم المادي للأردن لتمكينه من تعزيز قواته المسلحة، ولكن هذه القيادة الموحدة ومنذ تأسيسها قبل سنتين من وقوع الاعتداء على قرية السموع لم تقم بأي عمل جدي لتأمين الدفاع الفعال عن حدود دول المواجهة مع اسرائيل والذي هو من صميم مسؤولياتها ومبرر وجودها أصلاً.

كما أنها لم تنجح في اعادة توزيع القوات العربية على مختلف الجبهات العربية بالشكل الذي يضمن تأمين الحماية الفعالة ضد مثل هذه العمليات والاعتداءات التي تقوم بها القوات الإسرائيلية على القرى الحدودية العربية. وخصوصاً وهي تعرف عدم كفاية القوات الأردنية لحماية حدودها مع اسرائيل والتي يبلغ طولها حوالي ستمائة وخمسون كيلومتر. وتعرف أن اسرائيل تملك زمام المبادرة في مثل هذه الظروف ويمكنها اختيار الهدف الذي تريد مهاجمته بعيداً عن مواقع الجيش الأردنى. ولا سيما وأن هذا الجيش لا يستطيع توزيع قواته على جميع القرى الحدودية لأنه بهذا الاجراء سوف يفقد قيمته كقوة مقاتلة رئيسية للدفاع ضد هجوم رئيسي في حالة الحرب الشاملة مع اسرائيل.

ولكي يستطيع مواجهة هذه الحالة لا بد من دعمه لكي يستطيع زيادة حجمه وقدرته ليصبح بامكانه تركيز قوات كافية مركزية بمختلف القطاعات تمكنه من نجدة قرى الحدود وبنفس الوقت تستطيع التصدي لأي هجوم محتمل في حالة وقوع حرب شاملة ولقد كان الكثيرون من الأخوة العرب يستغربون موقفي هذا حيث كانوا يعتقدون أنى ما دمت في الصف المعارض للدولة الأردنية في تلك الأيام كان يجب أن انضم إلى منتقديها. وخصوصاً في مثل هذا الظرف. وقد كنت أجيبهم على هذا بأنى ما دمت رجل مبادىء فإني يجب أن أقف مع الحق وليس مع الناس بصرف النظر عن ميولهم. وأنى بهذه القضية بالذات اعتقد أن اللوم الأساسي يجب أن يوجه إلى القيادة العربية الموحدة أكثر منه إلى الدولة الأردنية. خصوصاً وإن الجيش العربي الأردنى لم يتقاعس عن نجدة قرية السموع بل أرسل كل

القـوة التي كـانت مـتيسرة في منطقة الخليل على الفور للاشتراك في المعركة ولكنها وقعت في كمين نصبه العدو على طريق مرورها فاشتبكت معه وخسرت خمسين ونيف من أفرادها بين قـتـيل وجـريح. ومهما كان الأمر فإن قضية معركة السموع أخذت أبعاداً كبيرة على مسرح الأحـداث في السـاحـة العربية وزادت من عزلة الأردن وأصبح هدفاً للهجوم عليه من مـختلف الأوسـاط العـربية الرسمية والشعبية خلال تلك المرحلة الخطيرة التي سبقت نشوب الحرب. وبنفس الوقت وقـعت قلاقل داخلية في الأردن وازدادت حدة الانتقادات العلنية ضد الحكومة وخـرجت المظاهرات في مـختلف المدن تطالب بالانتقام لهذا الهجوم البربري الذي شنته القوات الاسرائيليـة على قـرية السـمـوع. وأصـبح الوضـع الداخلي مليء بالنذر وتدخلت قـوات الأمن والجـيش لقمع المظاهرات والسيطرة على الوضع الأمني في البلد.

وبهذه الاثناء كـانت العلاقات بين الأردن ومصر قد وصلت إلى أدنى مستوى عرفته حتى الآن واشـتـدت الحملات الاذاعية المتبادلة وازدادت سوءاً بشكل لا يتناسب مع الأخطار التي تواجـه الأمـة العـربيـة بهذه المرحلة. وكـان لا بد من احـداث تغـيير بالخط العـام للسياسة الأردنية ومحاولة رأب الصدع وايجاد نوع من المهادنة مع مصر.

وهذه الحـالة تنقلنا إلى نهاية عـام ١٩٦٦م. حـيث أخـذت الأوضاع على الجبهة السورية تزداد سخونة كل يوم.

مقدمات الحرب :

١ – لقـد صـدرت كتب كثيرة عن هذه الحرب تناول مؤلفوها تحليل أسبابها ونتائجها ولكن مـعظمـهم إن لم يكن جميعهم قد تبنوا وجهات نظر متشابهة تشير إلى أن أعمال التسلل التي كـان يقـوم بها الفدائيون العرب إلى داخل اسرائيل وتكرار القصف المدفعي السوري من هضـبـة الجـولان على المستعمرات الاسرائيلية والمزارعين اليهود الذين يعملون بداخل المنطقـة الحـرام شرقي بحيرة طبريا هي المسؤولة عن نشوب هذه الحرب. وأنه لولا هذه الأعمال ولولا قـيـام جمال عـبـد الناصر بحشد قواته في سيناء واغلاق مضائق ثيران لما وقـعت هذه الحـرب. وهذه هي بالضـبط وجـهة النظر التي اخترعتها اسرائيل واستمرت بترويجهـا عبر وسـائل الاعـلام في مختلف أنحـاء العـالم وعملت المستحيل لاقناع الرأي العام العالمي بها ولحمل المتنفذين في حكومات تلك البلدان على تبنيها وتكييف سياساتهم لتـتلاءم مع وجهات النظر هذه. أما مسألة أطماع اسرائيل في قلب الوطن العربي وعزمها على التـوسع المسـتمر على حساب الاقطار العربية فلم يتطرق لها أحد. والسبب عائد إلى

عـجز الاعلام العربي عن الانتشار المؤثر في العالم وضعف الدول العربية بسبب تفرقها وتشـتت قـواها الأمـر الذي يؤدي إلى خسرانها الحروب مع اسرائيل. وبالتالي فإن الرأي العام العالمي يصبح ميالاً للأخذ بوجهة نظر من يكسب الحرب وليس من يخسرها حتى وإن كـان هذا الخاسر صاحب حق في الأصل. وهذه طبيعة البشر. والحق في عرفهم دوماً للقوى ولا حق للضعيف.

وعلى الرغم من كل مـا قـيل وكل مـا كـتب فإنى سـوف أطلع برأي مـخالف حـول هذا الموضـوع وسـوف أحلل الأسـبـاب الحقيقية لهذه الحرب عندما أشرح مجملاً للعمليات الحربية ونتائجها لاحقاً.

٢ – أمـا الآن فإنى سـوف آتى على ذكـر تسلسل الحـوادث التي وقـعت خلال الأشهر التي سـبـقت نشوب الحرب والتي اتخذتها اسرائيل ذريعة لشن هجومها وكرستها بالتالي على أنها هي فقط كانت الأسباب التي أدت إلى نشوب هذه الحرب. وبناءً على ذلك فإن العرب بشكل عـام وجمال عـبد الناصر بشكل خاص هم المسؤولون عن التسبب بوقوعها، وأما اسرائيل فإنما كانت تدافع عن نفسها عندما اضطرها العرب للقيام بهذه الضربة الوقائية قبل أن يقوموا هم بتدميرها أولاً لو أنها بقيت تنتظر تطور الأحداث حسب ادعائها.

٣ – ولنبـدأ من أواخر عام ١٩٦٦م عندمـا عـقد جمال عبد الناصر معاهدة دفاع مشترك مع سوريا بتاريخ ٧ تشرين ثانى عـام ١٩٦٦م وكـان يقـصـد من وراء ذلك اظهـار دعمه لسـوريـا في وجـه المـخـطـطات الإسرائيليـة التي باتت تنذر بالخطر. ولإبراز المزيد من التـضـامن العـربي في وجه السياسة الأمريكية التي تقدم الدعم الكامل لإسرائيل لتحقيق مخططاتها وبنفس الوقت لتأكـيد عزم الأمة العربية على الصمود أمام الضغوط الأمريكية في مختلف المجـالات والتي كـانت دوماً تحاول اقناع الدول العربية بأن اسرائيل أصبحت حـقـيـقـة واقـعـة وأنها وجـدت لتـبقى متناسية إنها لولا الدعم الأمريكي اللامحدود لما اسـتطاعت اسرائيل البـقـاء في قلب العـالم العـربي ولما أمكنهـا أن تستمر في عربدتها في المنطقة تنهب من الأراضي العربية ما تريد وتشن الحروب ضدها متى تريد وتكسب هذه الحـروب بقوة التفرق العربي أولاً والسلاح والمال الأمريكي ثانياً.

أجل لقـد أراد جمال عـبـد الناصر أن يشـد من عـزم سوريا في هذه المرحلة لكي يمكنها الصـمـود في وجـه الأخطار الاسرائيليـة التي أخذت تتسارع نحو الانفجار وهو يعلم ما تعنيـه هذه الخطوة من التـزامات تترتب عليه عند وقوع هذا الانفجار لا سيما وأن جزءاً كـبيراً من قـواته المسلحـة كـانت مـا تزال تقاتل في اليمن منذ خمسة سنوات وأن القسم

الأعظم من القـوات المتبـقية في مصر يتكون من جنود الاحتياط. ولكن عبد الناصر ليس الرجل الذي يتردد عندمـا تدق سـاعة الخطر أو يتأخر عن دعم بني قومه عندما يتطلب الموقف منه التـضـحيات الجسام. وخلال الأشهر الأولى من عام ١٩٦٧م دأبت اسرائيل على ارسـال مـزارعـيـهـا إلى داخل المنطقة الحرام المقابلة للمواقع السورية شرقي بحيرة طبريا لزراعـة تلك الأراضي التي يمنع عليـهم دخـولها بموجب اتفاقية الهدنة. ناهيك عن اسـتـغـلالها وزراعـتـهـا. الأمـر الذي يعني أنهم سـوف يستولون عليها ويضموها إلى مناطقـهم لو سكت السـوريون على هذه النشـاطات وسـمـحـوا باستمرارها. ولمنع هذه التـعـديات كان السوريون يطلقون النار على هؤلاء المزارعين لردعهم عن تلك التجاوزات وعندمـا تكررت حوادث اطلاق النار ووقعت بعض الاصابات بين المزارعين اليهود أرسل الجـيش الاسرائيلي قـوة من الدبابات إلى داخل المنطقـة الحرام لحمايتهم. وكان هذا العمل يعتبر انتهاكاً صارخاً لاتفاقيات الهدنة الموقعة بين سوريا واسرائيل.

ولم يكتف الاسرائيليـون بهذا التحدي بل قاموا بابلاغ السوريين بأن استمرارهم باطلاق النار على المزارعين اليـهـود لمنعهم من زراعة أراضي المنطقة الحرام سوف يؤدي باسرائيل إلى شن هجوم عام واحتلال هضبة الجولان بكاملها.

لم يهمل السـوريون هذا التهديد الخطير لا سيما وأن التوتر على طول خطوطهم الأمامية قـد وصل مـرحلة تنذر بانفـجـار وشـيك فقاموا بوضع قواتهم المسلحة في حالة الإنذار واعلنوا حـالة الطوارىء في البـلاد ثم طلبـوا من مصر تطبـيق مـعـاهدة الدفـاع المشترك وتقـديم المسـاعـدات اللازمة لهم. وقد وعدهم الرئيس جمال عبد الناصر بذلك وأعلن أن السـوريين لن يتركـوا وحـدهم في مـواجهة التهديدات الإسرائيلية ومع ذلك فقد استمرت حـالة التـوتر طيلة أشهر الشتاء. ولكن اليهود لم يتراجعوا عن استفزازاتهم مما يدل على أنهم كـانوا مصممين على دفع المنطقة إلى حالة الحرب. ففي صباح يوم ٧ نيسان ١٩٦٧م أرسلوا مجمـوعة من المزارعين تحت حـراسـة من الدبابات وبدأوا يحرثون قطعـة أرض بداخل سوريا هذه المرة .

وهكذا لم تعـد المسألة تتـعلق بخلاف على استغلال المنطقة الحرام التي من المفروض أن حـقوق الطرفين المتقابلين فيها متساوية ومحظور عليهما استعمالها. ولهذا قامت سوريا بمـحـاولة منع اليهود من استغلالها لوحدهم. ولكن القضية الآن أصبحت تتمثل بخرق سـيادة سوريا وذلك بدخـول القـوات الاسرائيليـة والمزارعين اليـهـود إلى داخل الأراضي السـورية والاسـتـيلاء عليها عنوة. وقد كان هذا العمل متعمداً لأن اليهود يعرفون سلفاً

أنه لن يبق أمام سوريا أي خيار سوى الاشتباك معهم بمعركة لطردهم من داخل حدودها.

وقد اضطر السوريون لاطلاق نيران المورتر والمدفعية الثقيلة على هؤلاء الإسرائيليين حال دخولهم إلى تلك المنطقة. ومما يدل على أن هذه العملية كانت مبيتة ومخطط لها سلفاً إنه حالما بدأت المدافع السورية باطلاق نيرانها وصلت الطائرات الإسرائيلية خلال دقائق وبدأت تقصف مواقع المدافع السورية وتدمرها. وعندما تطورت المعركة بهذا الشكل خرجت الطائرات السورية لمواجهة الطائرات الإسرائيلية ودارت معركة جوية فوق المنطقة تمكن الإسرائيليون خلالها من اسقاط ستة طائرات سورية (ميج ٢١) التي كانت أحدث ما لديهم من الطائرات. وبعد انتهاء هذه المعركة أصدر الجنرال رابين رئيس أركان الجيش الإسرائيلي تصريحاً تحذيرياً إلى سوريا مفاده أنه إذا استمر السوريون باعمالهم الاستفزازية فإن اسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي وأن رد فعلها سوف يكون من الشدة بحيث يهدد بقاء النظام الحاكم في دمشق من أساسه. وعلى أثر هذه التهديدات ولخشية السوريين من أن اسرائيل قد تستغل الضعف الواضح الذي ظهر على سلاح الجو السوري بنتيجة هذه المعركة الجوية وواقع الخلافات العربية القائمة حالياً فتنفذ تهديدها بغزو سوريا، ذهبوا إلى جمال عبد الناصر يطلبون مساعدته الفعالة فوراً حيث أصبح واضحاً أن القادة الإسرائيليين يخططون لشن حرب واسعة النطاق لأن الظرف كان مناسباً جداً للقيام بمثل هذه الحرب حيث أن الخلافات العربية ما زالت في أوجها والحملات الاذاعية الموجهة والمتبادلة بين الأردن ومصر ما زالت مستمرة ولم تظهر أية بوادر لايقافها. كما أن الخلاف بين مصر والسعودية كان مريراً بسبب حرب اليمن التي ما زالت مستعره وما زالت معظم القوات المسلحة المصرية مشتبكة في جبال اليمن مع قوات الامام البدر. وخلاصة القول إن الإسرائيليين لن يجدوا أنسب من هذا الوقت لشن الحرب. ولكنهم يريدون أن يضعوا العرب بموقف المعتدي والمتسبب بالحرب. وإن اسرائيل عندما تقوم بالهجوم على البلاد العربية فهي في الواقع تشن حرباً وقائية لتدافع عن نفسها. وذلك لكي تكسب الرأي العام العالمي بشكل عام والأمريكي بشكل خاص لجانبها فتضمن بذلك استمرار تدفق المساعدات المالية والعسكرية والدعم السياسي حتى وهي تشن حربها العدوانية على الأمة العربية في عقر دارها وبعمق أقطارها.

وعلى أثر تلك المعركة الجوية ثارت ردود فعل عنيفة في كافة العواصم العربية تندد بالعدوان الإسرائيلي وتدعوا إلى نجدة سوريا. وهكذا اتجهت كل الأنظار والأفكار نحو

الجبهة السورية. وظهر الموقف وكأن الخطر الماحق موجه نحوها وحدها وهذا بالضبط هو ما كان الإسرائيليون يتمنون حدوثه ويخططون له لأنهم أساساً يريدون تجنب الدخول في معركة مع سوريا ومصر في آن واحد. بل يريدون ضرب مصر أولاً ثم تليها سوريا بشكل متتابع ويعتقدون أن بامكانهم تنفيذ هذه الخطة بسرعة. ولذلك فإن توجه الرأي العام نحو سوريا كان متناسقاً مع خطط الإسرائيليين التي كانوا قد وضعوها سلفاً.

٤ - ورغم وضوح نوايا اسرائيل العدوانية ضد سوريا لدفعها نحو سلوك طريق الحرب بواسطة التجاوزات الخطيرة على مصادر مياهها وعلى مختلف مصالحها الحيوية وباعتداءاتها المتكررة على مواقعها الأمامية وقراها الحدودية فقد بقيت الدول العربية تكرس خلافاتها وتتفنن بأساليب الشتم والتجريح ضد بعضها وكأن المسؤولين فيها يعيشون في عالم آخر بعيد عن اسرائيل والصهيونية.

وعلى أي حال فقد أخذت الأوضاع على الحدود عامة تتردى بشكل سريع. ففي الجبهة السورية فسر السوريون أن الدبابات التي تقدمت لحماية المزارعين اليهود شرقي بحيرة طبريا على أنها بداية الحشد الإسرائيلي لشن هجوم كبير يستهدف احتلال الجولان وقد تأيد تحليلهم هذا بالتصريحات الرسمية التي كانت تتسم بلهجة التهديد والتي صدرت عن رئيس أركان الجيش الإسرائيلي والتي لا يستطيع اصدارها بمثل هذا الظرف الخطر بدون موافقة حكومته والتي يمكن اعتبارها جزءاً من خطة الخداع والتعمية الإسرائيلية وقد أيد الروس هذه النظرية بشدة ودعموا تأييدهم هذا بأن نقلوا إلى الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة وفدهم الذي كان يزور القاهرة بتاريخ ١٣ أيار ١٩٦٧م. معلومات تفيد بأن اسرائيل قد حشدت فعلاً قوة مؤلفة من أحد عشر لواء مقابل الجبهة السورية وقد كان لهذه المعلومات والمطلب السوري للمساعدة العاجلة من جمال عبد الناصر التأثير الحاسم لاتخاذه القرار بحشد القوات المصرية الرئيسية في سيناء. ولقد كان هذا القرار مجازفة كبرى أقدم عليها عبد الناصر بهذا الظرف بالذات عندما كانت معظم القوات المصرية النظامية ما زالت تقاتل في اليمن. والعلاقات المصرية السعودية في أسوأ حالاتها الأمر الذي من شأنه أن يجعل امكانية التوصل إلى تسوية سلمية في اليمن مستحيلة في وقت قريب على الأقل. ومعنى هذا أن النزيف الهائل في القوى العربية سوف يبقى مستمراً رغم اقتراب وقوع الحرب مع اسرائيل. وقد ساد مصر والأقطار العربية الأخرى بهذه الأثناء جو من هستيريا الحرب التي أصبحت تهدد سوريا تهديداً جدياً وأصبح

مركز جمال عبد الناصر في العالم العربي في كفة الميزان. وأخذت جميع الشعوب العربية ترقب بحماس شديد اجراءات عبد الناصر في مواجهة هذا الموقف. ولذلك لم يبق أمامه سوى الاقدام على عمل عسكري مناسب. فأعلن حالة الطوارىء وأمر بارسال فرقتين إلى سيناء. وقد بدأت هذه القوة تعبر القناة إلى مواقعها الأمامية بتاريخ ١٥ أيار عام ١٩٦٧م. وبهذا الاجراء تأزمت الأوضاع بشكل خطير وأصبحت تنذر بالانفجار بأية لحظة

وفي اليوم التالي بتاريخ ١٦ أيار طلبت القيادة المصرية من الجنرال الهندي ريكي (General Rhikhy) قائد قوات الطوارىء الدولية أن يسحب قواته من جميع نقاط المراقبة الأمامية على طول الحدود مع اسرائيل لتجنيبها الوقوع في الخطر عند تقدم القوات المصرية. وبالطبع فإنه لم يكن من صلاحيات الجنرال ريكي الموافقة أو الرفض. فاتصل مع السيد يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة الذي لم يوافق على هذا الطلب. وكان رده إن هذه القوة إما أن تبقى بكاملها أو تذهب بكاملها. وإنه لا يوافق على أي حل جزئي. وهكذا أصبح موقف عبد الناصر حرجاً. فهو من جهة لا يستطيع التراجع عن قراره بهذا الظرف الصعب ومن جهة أخرى لا يستطيع قبول إبقاء قوات الطوارىء بكاملها في مواقعها الحالية لا سيما وإن بعض الدول العربية كانت تتهمه علانية باذاعاتها بأنه يختبىء وراء القوات الدولية وأنه غير جاد في محاربة اسرائيل. فكيف الآن وقد أعلن حالة الطوارىء وبدأ بحشد قواته في سيناء لمساعدة سوريا يستطيع أن يتصرف مع هذه القوات الدولية. فلو وافق على بقائها تحتل نقاط المراقبة الأمامية على الحدود فإن الحملات ضده سوف تزداد حدتها وستنال حتمًا من مصداقيته في العالم العربي وتظهره بأنه غير جاد في تحركاته، وبنفس الوقت فإنه لو أخرج قوات الطوارىء هذه من جميع النقاط الأمامية على طول الحدود فإن عليه أن يحتل مواقعها بقوات مصرية. وهذا معناه احتلال مراكز قوات الطوارىء الدولية في شرم الشيخ. وهذا معناه حتمية وقوع الحرب لأن اسرائيل كانت تعلن باستمرار أنها تعتبر اغلاق مضائق ثيران بمثابة اعلان حرب عليها وكمحصلة لجميع هذه الاحتمالات فقد أمر جمال عبد الناصر بدفع المزيد من القوات إلى سيناء حيث تكامل مجموعها بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٦٧م إلى سبعة فرق وألف دبابة.

وبتاريخ ١٨ أيار ١٩٦٧م طلب من (يوثانت) سحب قوات الطوارىء الدولية بكاملها من الأراضي المصرية، وبتاريخ ٢٢ أيار ١٩٦٧م أعلن جمال عبد الناصر قراره باغلاق

مـضـائق ثيران بعـد أن وضع فيها قوات مصرية للدفاع عنها. وكان يوثانت عندما أبلغ بطلب عـبـد الناصر وإصراره على سحب قوات الطوارىء قد قرر الذهاب إلى مصر لاقناعه بالعدول عن هذا القرار. وعندما وصل إلى القاهرة بتاريخ ٢٣ أيار وجد أن مضائق ثيران قد أغلقت في اليوم السابق. وقد أبلغه عبد الناصر أنه فضل اعلان هذا القرار قبل وصول يوثانت لأن الإعلان بعد وصوله سوف يفسر بأنه إهانة للسكرتير العام. وهكذا أصبحت مـسألة انسـحاب قوات الطوارىء الدولية في حكم المنتهية. ولم يكن بمقدور يوثانت عمل أيّ شيء للتأثير في مجريات الأحـداث. إلا أنه قال لعبد الناصر إن هذا معناه وقوع الحرب لا محالة.

٥ – بهذه المرحلة كـانت مـواقف جميع الأطراف قـد وصلت نقطة اللاعودة وأخذت الأحداث تتـسـارع نحـو الصـدام. ولكن الموقف على السـاحـة العربية كان لا يبشر بالخير رغم الحماس الجـيـاش الذي اعترى جميع أوسـاط الشـعـوب العـربيـة بمـخـتلف أقطارها. فـالعـلاقـات بين مصر والأردن تسير من سيء إلى أسـوأ. وكـذلك كانت علاقة الأردن مع سـوريا في غـاية الخطورة حـيث وصلت إلى درجـة من السـوء بأن وضـعت المخـابرات السـورية مـتـفـجـرات في حافلة للركاب الأردنيين وانفجرت عند نقطة الحدود في مدينة الرمـثـا وقتل عدد كبير من ركابها في يوم ٢١ أيار عام ١٩٦٧م. أي قـبل أن يعلن عبد الناصر عن اغـلاق مـضـائق ثيران بيـوم واحـد. فكيف إذن يمكن للعـالم العـربي الذي وصلت العلاقات بين حكوماته إلى هذا المستوى من التردي أن يخوض حرباً ضد اسرائيل وتتـوفـر له أية فرصة للنجاح هذا على الصعيد السياسي. أما على الصعيد العسكري فإن القـيـادة العـربية الموحدة التي تم تشكيلها في مؤتمر القمة الأول عام ١٩٦٤م كانت ما تزال قـائمـة لكنها لم تكن فعالة لأنها لم تتمكن خلال السنوات الثلاث الماضية من عمل أي شيء أكـثـر من وضع الخطط الاحتمالية للحرب القادمة على الورق فقط. وأما التدريب والتـسليح والتنسـيق الجـدي والعملي والاستعداد الصحيح للحرب فهذه أمور لم يتطرق لها أحـد من المسـؤولين بهذه القـيـادة أو في القيادات المختلفة في الدول العربية الأعضـاء فيها بسبب الخلافات المزمنة والحادة بين هذه الدول.

ومع ذلك ورغم كل هذه السـيئات فإن جمال عبد الناصر الذي أصبح في وضـع لا يحسد عليـه لم يعـد بامكانه أن يتراجع عن مـوقف التـقـرب من المعركة الذي وجد نفسه فيه والذي دفـعـتـه له تطورات الأحـداث على الجـبهة السورية والتزامه بتقديم العون لها في وجـه التـهديدات الاسرائيلية. ولم يتراجع عن موقفه هذا لأنه كان يعتبر أن الأمن القومي

العربي واحد لا يتجزأ وإن الالتزام هو التزام قومي وقضية شرف يجب التضحية في سبيلها بكل شيء حتى النهاية. ومن هنا كان اصرار عبد الناصر على المضي قدماً في هذا السبيل حتى ولو كان لوحده وحتى لو كانت معظم قواته النظامية لا تزال تقاتل في اليمن دفاعاً عن ثورتها الوطنية. تلك القوات التي كانت غايته من ارسالها أصلاً لكي تساهم في انهاء النفوذ الاستعماري من الجزيرة العربية باعتبار أن ثورة اليمن قامت لتحقيق هذا الهدف وتوحيد جنوب اليمن (عدن) مع شماله. فأصبح التزامه التزاماً قومياً لا يملك حق التراجع عنه أو التقصير في تنفيذه لأن هذا الحق هو للجماهير العربية في سائر أقطارها التي وضعت ثقتها المطلقة بقيادة جمال عبد الناصر على رأس نضالها وكفاحها في سبيل التحرير والوحدة. فكيف إذن يستطيع أن يخذلها.

٦ – وأما على الجبهة المقابلة في اسرائيل فإننا نجد أنها قررت خوض الحرب منذ مدة طويلة على أن تبدأ بتوجيه الضربة الأولى إلى القوات المصرية في هذه المرحلة بالذات ما دامت العلاقات العربية على أسوأ حالاتها وليس بإمكان القوات العربية أن تقاتل مجتمعة بموجب خطة واحدة بسبب هذه الخلافات المستمرة. وقد بدأت فعلاً بالاستعدادات التنفيذية لهذه الحرب منذ مدة واستدعت قواتها الاحتياطية وأخذت تُصعِّد الأحداث على الخطوط الأمامية لإيصال الموقف إلى الوضع الذي تريده للقيام بضربتها ضد الجيوش العربية الواحد تلو الآخر كما أسلفت.

ولم تكن أعمالها الاستفزازية ضد الجبهة السورية التي سبق شرحها سوى جزء من خطة التعمية والخداع المكملة لخطتها العسكرية العامة.

وعندما اقتربت ساعة الصدام قام رئيس الحكومة الإسرائيلية (ليفي اشكول) باعادة تشكيل حكومته بحيث تصبح حكومة ائتلاف وطني. وأدخل فيها الجنرال دايان وزيراً للدفاع كما أدخل رئيس حزب المعارضة مناحيم بيغن وزيراً بلا وزارة. وكان هذا الاجراء مؤشراً واضحاً على عزم اسرائيل على شن الهجوم الذي أصبح وشيكاً بسبب تطورات الأحداث وتسارعها بالشكل الذي يتطابق مع جميع متطلبات الخطط الحربية الإسرائيلية. وبهذه المرحلة حدث تطور هام على الساحة العربية حيث قام الملك حسين يوم ٣٠ مارس بزيارة مفاجئة للقاهرة وبنتيجة اجتماعاته مع جمال عبد الناصر تمت تصفية الخلافات القائمة بينهما واعيد جو الوفاق والأخوة العربية. وقد كانت هذه الخطوة في غاية الأهمية عشية الحرب المدمرة التي أصبحت على الأبواب. لأنها على الأقل أظهرت نوعاً من التضامن العربي في وجه اسرائيل والرأي العام العالمي. ولو أنه ثبت

فيما بعد أن النتيجة بالنسبة لاسرائيل واحدة. وعلى أي حال فالمهم هنا أن الزعيمين اتفقا على تنسيق خططهما وتوحيد جهودهما في وجه الخطر القادم. وبنتيجة محادثتهما تم التوقيع على معاهدة دفاع مشترك بين الأردن ومصر على غرار المعاهدة التي وقعت بين مصر وسوريا خارج نطاق القيادة العربية الموحدة التي قررها مؤتمر القمة عام ١٩٦٤م.

وقد نصت هذه المعاهدة على أنه في حالة بدء العمليات العسكرية يتولى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة قيادة العمليات في الدولتين. كما تم الاتفاق على تعيين الفريق عبد المنعم رياض من الجيش المصري قائداً عاماً للجبهة الأردنية بالإضافة إلى كونه قائد المركز المتقدم للقيادة المشتركة على أن يكون تحت اشراف الفريق محمد فوزي رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة. كما سويت الخلافات بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وعاد رئيس المنظمة السيد أحمد الشقيري إلى عمان برفقة جلالة الملك حسين لدى عودته. وبعد ثلاثة أيام وصل الفريق عبد المنعم رياض مع ضباط أركانه إلى عمان وباشر مسؤولياته قبل بدء القتال بمدة يومين فقط. وأما النتائج الحتمية فقد أصبحت معروفة لكل الناس وسوف اتطرق لها باختصار عند شرح موجز سير العمليات وما نجم عنها من تناقضات ومفاجئات وتقصير ومخالفات للاعراف والفنون الحربية مع استخلاص بعض الدروس المستفادة والعبر من هذه الحرب الكارثة.

٧ – نشوب الحرب :

وأخيراً وقعت الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة صباح يوم الاثنين ٥ حزيران عام ١٩٦٧م عندما بدأ السلاح الجوي الإسرائيلي غاراته المكثفة على جميع القواعد والمطارات المصرية بالساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين صباحاً. واستمرت هذه الغارات بشكل متواصل لمدة ثلاث ساعات تم خلالها تدمير السلاح الجوي المصري بكامله تقريباً وطائراته جاثمة على الأرض.

هكذا كانت الصورة الحقيقية خلال المرحلة الأولى من هذه الحرب. ولكن قبل أن أبدأ بوصف تفصيلات المعارك أحب أن أوجز الصورة كما نقلتها لنا أجهزة الإعلام المصرية وهي الصورة التي صدقتها الشعوب العربية في كل مكان طيلة اليوم الأول من الحرب. والأخطر من هذا كله أن معظم القادة العرب صدقوها كذلك وتصرفوا باجراءاتهم وقراراتهم بادارة المعارك في جبهاتهم على ضوئها. ومصيبة المصائب إن جمال عبد

الناصر نفسه لم يكن يعرف الحقيقة طيلة ساعات الصباح كما سمعنا في حينه لأن القيادة العامة اخفتها عنه (والله أعلم). ولذلك كان هو الآخر كما يظهر يتصرف على أساس أن المعلومات التي كانت تذاع من صوت العرب هي المعلومات الحقيقية. وعليه فليس من الصعب أن نتصور مدى الذهول الذي أصاب الأمة العربية بكافة أقطارها بما فيها القادة والمسؤولين عندما تكشفت لهم الحقائق المريرة في نهاية ذلك اليوم (يوم الكارثة).

٨ - لقد كنت في الكويت أتتبع جميع التطورات والاجراءات التي كانت تحدث في الأردن ومصر وسوريا خلال الأسابيع التي سبقت الحرب عن طريق وسائل الإعلام المختلفة شأني في ذلك شأن الكثيرين من الإخوة العرب المتواجدين في الكويت من مختلف الأقطار العربية. ولما كانت لي علاقات وصداقات مع كثيرين منهم فقد كان من الطبيعي أن نجتمع باستمرار ونتباحث بما سمعناه أو نقل إلينا من بيانات وتصريحات ونتبادل الآراء حول ما ورد فيها. وقد كنا بطبيعة الحال نتتبع بكل اهتمام وجدية جميع خطابات وتصريحات جمال عبد الناصر. وكنا في تلك الأيام نؤمن بأنه لا يمكن أن يتخذ مثل تلك الاستعدادات والاجراءات لو لم يكن متأكداً من أنه في هذه المرة سيتمكن من تلقين اسرائيل درساً لن تنساه. وكنا دوماً نتفاءل عندما نسمع تصريحاً جديداً أو تحركاً سياسياً مهمًا أو استعداداً عسكرياً يشير إلى توجهه نحو الحرب. ولم يكن هذا الإحساس مقتصراً على الأردنيين وحدهم بل كان جميع الإخوة العرب يشاركوننا نفس الشعور. ولم يكن حماس الشعب الكويتي والمسؤولين الكويتيين يقل عن حماسنا نحن. ولقد اعتاد الكثيرون من الأصدقاء العرب عندما يسمعون معلومة أو خبراً عن تطور جديد يسارعون للاتصال معي أو زيارتي لاستطلاع آرائي حول تلك المعلومات ولمعرفة وجهة نظري من الناحية العسكرية ومدى تأثيرها على التطورات المحتملة.

وعندما كانت تتأزم الأوضاع في إحدى الجبهات أو يقع اعتداء اسرائيلي خطير مثل الهجوم على قرية السموع كنا نجلس عدة ساعات نناقش مختلف الاحتمالات ونخوض في خطط عسكرية وانعكاسات سياسية طويلة عريضة ونخرج بنتائج عندما كنا نرجع إليها بعد فترة نجد أنها أصبحت غير معقولة وتجاوزتها الأحداث. وفي غالب الحالات كنا نعترف بأنها أصلاً كانت غير واقعية، والسبب في ذلك واضح وهو أننا كنا نبني نقاشنا على معلومات نسمعها أو نقرأها في وسائل الأعلام وهي لم تكن حقيقية أو دقيقة بشكل كامل لأنها ليست هي المعلومات الرسمية الصحيحة بل هي الصيغة التي كانت الأجهزة

الرسمية في كل دولة تسمح بنشرها تمشياً مع ما كانت ترى أنه بمصلحتها. لكن على أي حال فإن هذه كانت مصادرنا الوحيدة للمعلومات حيث أننا لسنا في مواقع المسؤولية وكل ما كنا نقوم به هو من قبيل ابداء الشعور والتأييد لما نعتقد أنه سوف يكون في مصلحة الأمة العربية وهذا على ما أظن هو شأن السياسيين المبعدين عن بلدانهم في كل مكان يحاربون معاركهم بعقولهم وشعورهم وحماسهم ولكن بدون أن تتوفر لهم الوسائل اللازمة والمعلومات الصحيحة. ولذلك فإنهم يصبحون مبعدين فكرياً وجسميا في آن واحد. ويصبح عزاؤهم الوحيد هو أنهم متصلون ببلدانهم روحياً وعاطفياً لأن هذه الصلة لا يستطيع أحد أن ينزعها منهم. وهكذا كان حالنا عندما بدأت الحرب وجرياً على عادتنا في مثل هذه الظروف أذكر أنى في صبيحة ذلك اليوم الأثنين الخامس من حزيران ١٩٦٧م تلقيت أول مكالمة هاتفية من الأخ علي الخصاونة مدير شركة ناقلات النفط الكويتية آنذاك وبادرنى بقوله هل سمعت الأخبار فقلت له لا لم أسمعها لأنى غادرت البيت مبكراً. فقال على الفور لقد بدأت الحرب وها أنا أتابع أخبارها من إذاعة صوت العرب. وكان يبدو لي أنه متفائل من الأخبار التي يسمعها ثم دعانى إلى مكتبه لكي نتابع الأخبار سوية فذهبت بسرعة وما أن جلست حتى سمعت صوت المذيع أحمد سعيد يهدر كعادته بهذه الكلمات الحماسية الملتهبة التي اعتدنا أن نسمعها من اذاعة صوت العرب طيلة السنين الماضية. ولقد أصغيت بهدوء حوالي ربع ساعة وأنا أسمع أحمد سعيد وهو يقول أن طائرات اسرائيل تتساقط كالذباب فوق الدلتا وفوق سيناء وإن طائرات سلاح الجو المصري تدك الآن مدينة تل أبيب. وتلحق بالصهاينة الدمار في كل مكان. وكان الأخ علي الخصاونة يصغي مثلي بصمت ثم بعد فترة سألني ما رأيك. فقلت له في الحقيقة أنا محتار لأن هذا الكلام غير متوازن ويبدو لي أنه غير معقول. أنا لم أسمع أحمد سعيد يعترف بسقوط أي طائرة مصرية حتى الآن مع أنه يقول إن طائرات سلاح الجو المصري تدك الآن تل أبيب وهذا لا يتم عادة إلا بواسطة غارة جوية ضخمة جداً تخترق الأجواء الاسرائيلية ودفاعاتها الجوية التي نعرف أنها قوية. فهل من المعقول أن سلاحنا الجوي يدمر كل هذه الطائرات وينفذ غارة ضخمة على تل أبيب ولا يخسر شيئاً ولو طائرة واحدة على الأقل. ثم إن كانت هنالك خسائر بالطائرات العربية فإنه شيء عادي جداً في الحروب أن تقع مثل هذه الخسائر عند الطرفين فلماذا يخفيها أحمد سعيد. ثم هو لم يذكر شيئاً عن المعركة البرية بشكل واضح لأن كل ما يقوله هو أن انتصاراتنا تتلاحق باستمرار فما معنى هذا الكلام العائم. أنا لا يعجبني أسلوب أحمد سعيد هذا. لأنه في العادة يجب أن تعطى التفصيلات

الصـحـيـحة الواقعية عن المعارك ببيانات عسكرية تصدر عن قيادة القوات المسلحة. وما دام أن مـثل هذه البـيـانات لم تصـدر رسـمياً سوف يبقى هذا الكلام غير معتمد. وقد مكثت مع الأخ علي الخصـاونة حـوالي ساعة ولكن نوعية الأخبار لم تتغير. وبقي أحمد سـعـيد مصراً على أن الطائرات الاسرائيلية تتساقط كالذباب. وعدت إلى مكتبي واحساسي الداخلي يقـول لي أن هناك شـيئاً خطيراً قـد حدث وأن أحمد سعيد بهدير صوته يحاول اخـفـاءه عن الرأي العام المصري والعربي. ولكن ماذا يمكن أن يكون هذا الشيء. لم يكن ممكناً لنا أن نتكهن به في ذلك الوقت. وقـد كنت أستطيع أن أتخيل الكثير من الاحتمالات واسـتـخلص بعض النتائج المحتملة. ولكن كان من المستحيل علي أن أتخيل أو أصدق أن تكون مصر قد خسرت سلاحها الجوي خلال ساعتين وبنفس الوقت أسمع صوت أحمد سـعيد يهدر من إذاعة صوت العرب من القاهرة ليخدع الأمة العربية بكاملها وهو يصف الطائرات الإسرائيليـة وهي تتسـاقط كـالذباب. ولكننا على أي حـال بدأنا نسـمـع بعض المعلومـات الأوليـة من مـصـادر خـارجية عن طريق الاذاعات الأجنبية عن الكارثة التي وقـعت في الصباح ودمر بنتيجتها سلاح الجو المصري بكامله وكان أول عمل قمت به في هذه اللحظات "العـصيبة أن كتبت برقية موجهة إلى جلالة الملك حسين أعربت له فيها عن تأييـدي التـام لمواقـفـه الشـجـاعـة في تلك الظروف الخطرة التي يمر بها وطننا العزيز وعـرضت عليـه اسـتعدادي للتطوع في صفوف قواتنا المسلحة لعلي أستطيع الاسهام في خدمة الوطن الغالي ضمن امكانياتي بهذه الظروف المأساوية. ولما لم أتلق جواباً بالقبول أو الرفض فـهمت أن هذه البرقية لم تعرض على جلالة الملك أو أن بعض المسؤولين حال دون ذلك. ومـهما كـان الأمـر فـقد أنتهت الحرب بسرعة مذهلة ولم يعد مجال لمثل هذا التطوع.

٩ – وبما أنى لم أشـارك مـشـاركـة فـعليـة في هذه الحرب فإني سوف لا أخوض في شرح تفـصيلي موسع لكيفية سير المعارك المختلفة التي جرت على الجبهات العربية الثلاثة لأن مثل هذا الشرح سوف لا يكون مستنداً الى مشاهد[illegible] وتجربي الفع[illegible] واطلاعي المباشر [illegible]ليها. ولذلك [illegible] في بسرد الوصف العام لها [illegible] تعليـقـاتي الخاصة بها استـ[illegible] إلى مـا كنت أسـتخلصه من المعلومات الكثيرة التي كانت تذاع وتكتب أثناء سير المعـارك منقـولة مـبـاشرة بواسطة المراسلين الحـربيين الذين كـانوا يرافـقـون الجيوش المتـحـاربة في الجـانبين العـربي والإسرائيلي وتنقلها وسائل الإعلام الأجنبية والتي كانت تعطي وصـفـاً دقـيـقـاً ومتتابعاً لتطور هذه المعارك. ومع الأخذ بعين الاعتبار ما كانت تحذفه الرقابة العـسكرية في البلد المعني فإن ما كان يذاع كان يعطينا صورة واضحة عن

كيفية سير هذه المعارك بشكل عام وبأقرب ما يكون للوصف الصحيح. تلك المعارك التي تحـولت بسرعة قياسية إلى كارثة ماحقة حلت بالجيوش العربية. وأعطتنا مؤشراً واضحا يبين لنا ضـخـامـة المسـؤولية التي تحملها عدد من القادة العرب. وفداحة الدمار المادي والمعنوي الذي حل بأمـتنا. بالنتـيـجة. كما أنى قرأت بعض الكتب التي صدرت عن هذه الحرب خلال السنوات التي أعقبتها. هذا على أن معظم هذه الكتب كانت لمؤلفين غير عرب ومن ضـمنهم يهود مـدنيين وعـسكريين. وتمكنت من أخـذ الكثير مما ورد فـيـهـا من تفـصـيـلات معارك هذه الحرب كمراجع موثوقة، ولكني لم أعثر على كتاب موثق بنفس الدقـة صـادر عن مؤلف عربي من الذين اشتركوا بهذه الحرب. أو تاريخ رسمي صادر عن قـيـادات الجـيـوش العـربيه التي خاضت معاركها. أو عن القيادة المشتركة لجيوش المواجهة أو حتى عن الجامعة العربية التي لديها سكرتارية عسكرية يعطي شرحاً دقيقا صـحـيـحاً لتلك المعارك التي وقعت في جميع الجبهات العربية بحيث يمكن الاعتماد عليه كمرجع مدروس لوقائع هذه الحرب. ربما لأنى لم أبحث كثيراً في جميع البلدان العربية لكن هذا هو الاستنتاج الذي توصلت إليه بحسب امكانياتى المتواضعة.

وعلى الرغم من أن حـروبنا السـابقة مع اسرائيل كانت جميعها بالنتيجة خاسره فإن هذا لا يمنع من أن نكتب عنها المؤلفات اللازمة ونستخلص منها الدروس المستفادة ونستنتج العبر لكي ندرسـهـا لضـبـاطنا في كلياتنا العسكرية كما تفعل جيوش العالم لكي يفهموا أسـبـاب خساراتنا في الماضي ويتجنبوها في المستقبل. وأنا أعتبر أن هذه المسؤولية تخص جميع القادة العسكريين العرب الذين اشتركوا في هذه الحروب وأنا واحد منهم.

وعلى أي حـال فإنى أعتقد أنه لا يزال بإمكان العديد من الباحثين العرب أن يتصدوا لهذا الموضـوع ويبـدأوا بكتـابة هذه الأبحـاث والدراسـات ليستفيد منها من سيأتى بعدنا في تحمل المسؤولية.

وعلى الرغم من أنى لا أسـتطيع الادعـاء بأن مـا جـاء بمطالعاتى هذه يرقى إلى مستوى البـحث الموثق ولم أقصد منها أن تكون كذلك. فإنى سمحت لنفسي أن أكتب موجزاً عاما عن سير تلك المعارك التي لم أشترك فيها عملياً مستنداً إلى ما توفر لدي من معلومات بالآساليب الـتي أشرت لها لكي اسـتـخلص من هذا الشرح بعض الدروس وأدون بعض الآراء التي قـد تصـبـح ذات فـائدة للقارىء الذي يهتم بالاطلاع عليها. ولكي أكمل بذلك ما سبق أن شرحته عن الحـربين السابقتين اللتين اشـتركت بهما.

المدخل العملي للحرب :

١ - بعد أن شرحت في الفقرة السابقة تطورات الأحداث التي أدت إلى نشوب الحرب وبصرف النظر عن الجـهة التي تسببت في تطورها فإنى أعتقد أن اسرائيل هي التي أوجدتها لأنها كـانت أصـلاً تخطط لشن هذه الحرب بهذا الوقت بالذات أو على الأقل هذا ما كان يدعو إليـه القـادة العسكريون في قواتها المسلحة. وسوف أبين ما لدي من معلومات تثبت هذه النظرية في فـصل لاحق. هذا بالإضـافـة إلى أن العـرب قد اندفعوا بتصرفاتهم إلى سلوك الطريق الذي هيأته اسرائيل لهم ضـمن خطة الخـداع التي كـانت تمثل جـزءاً هامـاً من خطتـهـا العـامـة. وبالتـالي فقد خلقوا الظرف الملائم لها لكي تتمكن من ضرب الجيوش العـربية منفردة الواحد تلو الآخر. والآن أحب أن أشرح الاجراءات والاستعدادات الحربية التي تمت على هذه الساحات خلال الفترة التي سبقت بدء القتال. وقد يكون من الأنسب أن أبدأ بالجانب الاسرائيلي وذلك لسببين .

أولاً : لأن جميع الاجـراءات والاسـتـعـدادات التي قامت بها اسرائيل في هذا المجال تعتبر متجانسة ومتكاملة وتشمل جميع الجبهات العربية في جميع المراحل على اعتبار أن القـوات الإسرائيلية تشكل وحدة قتالية واحدة متكاملة تقودها قيادة واحدة وتقاتل ضمن إطار خطة عامة واحدة.

ثانيـاً: لأن اسرائيل كـانت تملك زمام المبادرة منذ البداية حتى النهاية. بالإضافة إلى أنها هي التي بدأت بالهجـوم العـام على القـوات العـربيـة في جميع الجـبهات وبحسب توقيت خطتها العامة تلك.

٢ - ويحسن هنا أن نشير إلى الأهداف الرئيـسـيـة التي كانت اسرائيل تود تحقيقها من هذه الحـرب والتـعليق عليها. وحول هذا الموضوع فإني لاحظت من جميع الكتب التي قرأتها عـن هذه الحـرب أنها كـانت تشير إلى أن الهدف الرئيسي الأول لاسرائيل كـان احـتـلال سـيناء والاحـتـفـاظ بها كـمنطقـة عـازلة بينها وبين القوات المصرية. ومن ثم فتح قناة السـويس للمـلاحـة الإسرائيليـة وفتح مضائق ثيران بعد اخراج القوات المصرية من شرم الشيخ لتضمن حرية الملاحة عبر البحر الأحمر إلى ميناء ايلات.

وأمـا الهدف الثـانى فقد كان احتلال موطىء قدم على مرتفعات الجولان لتأمين الحماية الكافـيـة لمسـتـعـمراتها في منطقة بحيرة طبريا. وقد أجمعوا كلهم تقريباً على أن احتلال الضـفـة الغـربيـة لم يكن ضـمن خطة اسرائيل الأولية. وجميعهم صدقوا مزاعم اسرائيل بأن رئيس وزرائهـا أرسل رسـالة إلى الملك حسين عن طريق رئيس لجنة الهدنة الجنرال

اود بـول (General Odd Bull) تفـيـد بأنهم سـوف لن يهاجموا الضـفة الغربية إذا بقي الأردن خـارج الحـرب. ومع احترامي لأصحاب هذه الآراء فإنى أخالفها جميعاً. لأنه على الرغم من أهميـة فـتح قناة السـويس وشرم الشـيخ بالنسـبة لاسرائيل فإنها تعتبر هدفاً ثانوياً من الممكن أن تحصل عليه بدون حرب في أي تسوية سياسية مستقبلاً.

وعلى أي حـال فإن اسرائيل تسـتطيع تزويد نفسـهـا وتأمين صادراتها بدون فتح قناة السويس لملاحتها أو حتى بدون فتح مضائق تيران ولمدة طويلة ريثما تستطيع حل هذه المسـائل سـيـاسـيـاً ولكن احـتلال الضفة الغربية والقدس بالنسبة لاسرائيل يعتبر أهم هدف مـا زالت تسـعى لتـحـقـيـقـه منذ تأسـيسها وهي تعرف جيداً أنها لن تستطيع الحـصـول على القـدس بكاملهـا والوصـول إلى منطقـة الحرم الشريف والسعي إلى بناء الهيكل الثالث مكانه بدون حرب. وأما حكاية قولهم بأنهم لن يهاجموا الضفة الغربية إذا بقي الأردن خـارج الحـرب مـا هي إلا خـدعـة يراد منهـا محاولة ابقاء الجيش الأردنى خـارج المعـركـة بضـعـة أيام فقط حتى تتمكن القوات الإسرائيلية من حسم المعركة مع الجـيش المصري والجـيش السـوري لصـالحـهـا ثم تتحول بعد ذلك مباشرة إلى الجبهة الأردنيـة حـيث سـتصبح مكشوفة أمامها لأن الجيش الأردنى لا يستطيع لوحده التغلب على القـوات الإسرائيلية خصوصاً مع تفوقها الجوي الواضح. وبالتالي فإن اسرائيل كانت تريد أن تقـوم بمنازلة الجـيـوش العـربيـة الثـلاثة كل على حده وأن لا تضطر لمقاتلتها مجتمعة وفي آن واحد.

ومن جـهـة أخـرى فإن كل من يفكر قليلاً في طبيعة تكوين اسرائيل يعرف أنها تعتمد في بقـائهـا على اسـتـمـرار هـجـرة اليـهودإليها من مختلف أقطار المعمورة وخصوصاً تلك العناصر الفعالة علمياً وجسمياً ومالياً.

كما أنه أصـبح واضـحاً أن الأراضي التي تسيطر عليها اسرائيل ضمن حدودها الحالية لم تعد كافية لاستيعاب هذا التدفق السكانى الهائل من الخارج وأنه لا بد لها أن تتوصل في يوم مـا إلى الاسـتـيـلاء على المزيد من الأراضي العـربيـة واخراج سكانها منها لكي يحل المسـتـعـمـرون الجـدد مكانهم. ولتـحقيق هذه الغاية تصبح الأولوية الأولى هي احتلال الضـفـة الغـربيـة لأن اسرائيل تعـرف أنها لن تستطيع الحصول على المزيد من الأراضي العـرْبيـة عن طريق المفـاوضات والتسويات السلمية فلا بد إذن من احتلال هذه الأراضي بقـوة السـلاح. وبعـد ذلك فليأت العـرب المهـزومون في ساحة القتال ليفاوضوا اسرائيل المنتصرة التي أصـبحت مسيطرة على المنطقة بكاملها. وعندئذ فإنها هي التي سوف تملي

شروطها وتحصل على كل ما تريد. ومن هذا المنطلق فإنى أصنف أهداف اسرائيل بهذه الحرب كما يلي مرتبة بحسب ضرورة تحقيقها عملياً في المعركة وليس بحسب تسلسل أهميتها:

أولاً – تدمير القوات المسلحة المصرية وبالنتيجة الاستيلاء على سيناء وفتح مضائق ثيران وقناة السويس للملاحة الاسرائيلية.

ثانياً– بعد تدمير القوات المسلحة المصرية وهي أضخم قوة عربية في الساحة تصبح الطريق أمامها مفتوحة لتحقيق الهدف الرئيسي الذي طالما سعت إليه منذ تأسيسها وهو احتلال القدس والضفة الغربية وفي هذا الصدد كان أهم عامل تسعى للتغلب عليه هو عامل الوقت فهي تعرف أنها لا بد وأن تضطر لوقف القتال بأوامر من مجلس الأمن الدولي في إحدى المراحل. ولذلك فإن همها الأول يجب أن يكون احتلال مدينة القدس بكاملها قبل أن يتدخل مجلس الأمن. ورغم أنها تستطيع الاعتماد على دعم أمريكا اللامحدود لها فإن من مصلحتها أن تنجز هذه المهمة بسرعة وهذا ما ضمنته لها أمريكا عن طريق مندوبها لدى مجلس الأمن الذي استمر بتعطيل اتخاذ القرار النهائي لعدة أيام حتى تمكنت اسرائيل من تحقيق جميع أهدافها والاستيلاء على جميع الأراضي العربية التي كانت تخطط للاستيلاء عليها ضمن خطتها الأساسية.

ثالثاً– أما الهدف الثالث والأخير فهو احتلال مرتفعات الجولان. وهذا يأتي في آخر سلم الأولويات لأنها على الرغم من أهميتها فإنه من الممكن احتلال الأجزاء الامامية منها قبل صدور أوامر وقف اطلاق النار أو حتى من الممكن أن تستمر بعض الوقت في معالجة تلك المنطقة أثناء مرحلة النقاش في مجلس الأمن. حيث أن هذا الهدف لا يعتبر بنفس الاهمية التي تعطيها اسرائيل للهدفين الأولين ولو تعثر تحقيقه قليلاً سوف لا يؤثر على النتيجة طالما أنها استطاعت احتلال القدس والضفة الغربية وسيناء.

ولقد رأينا أن أهداف اسرائيل كلها تحققت كما خططت لها وأن تلكؤ سوريا في مساندة الأردن حالما تعرض للهجوم وعدم اشتراكها فعلياً بالقتال منذ البداية لم يعد على سوريا بأية فائدة. كما أنه لم يغير كثيراً في نتيجة الحرب بالنسبة لها لأن الاسرائيليين تمكنوا من اجتياح الضفة الغربية بسرعة ثم سحبوا قواتهم منها ومن سيناء واقتحموا بها مرتفعات الجولان بزخم فعال. وبمعنى آخر فإن هذه الجيوش العربية الثلاثة بسبب الضعف في المستوى

القيادي أو الاهمال من قبل بعض القيادات العليا وخصوصاً بالنسبة لسلاح الجو المصري تعرضت لضربات قاصمة كان من الممكن تجنب معظم تأثيرها لو كانت حالة تلك القيادات أفضل وبمستوى قيادي أكفأ مما ظهر أثناء هذه المعركة. لا بل أحب أن أشير هنا بوضوح أكثر إلى أنه كان من الممكن تجنب وقوع كارثة سلاح الجو المصري خلال الساعات الثلاثة الأولى من صباح ذلك اليوم المشؤوم أو على الأقل تخفيف حجمها لو أن قائد سلاج الجو المصري آنذاك كان على مستوى أعلى من الكفاءة والنباهة القيادية ولم تقع قيادته ضحية الإهمال القاتل الذي ظهرت أبعاده بنتيجة الحرب. وبسبب هذا كله وعلى الرغم من وجود بعض قادة التشكيلات والقيادات الدنيا الذين أظهروا مقدرة وشجاعة وثباتاً وحنكة في تسيير معاركهم المحدودة فإن تضحياتهم وصمودهم ذهبت هباء ولم تستطع تغيير النتائج المحتومة كما سنرى من سياق الحديث.

معالم الخطة الإسرائيلية :

اتضح أن الخطة الاسرائيلية العامة كانت ترتكز على الأركان الآتية·

أولاً – تدمير سلاح الجو المصري في قواعده بضربة حاسمة وسريعة تكسبها السيطرة الجوية التامة على الأجواء المصرية والعربية منذ البداية .

ثانياً– هجوم بري خاطف بلتزكيريج (Blitzkriege) يخترق سيناء بسرعة للوصول إلى قناة السويس.

ثالثاً– تدمير الجيش الأردنى واحتلال القدس والضفة الغربية بعد أن تصبح السيطرة الجوية الكاملة بيد سلاج الجو الإسرائيلي.

رابعاً– تركيز معظم القوات البرية والجوية بعد فراغها من الجبهتين المصرية والأردنية لاحتلال الجولان بأقصى سرعة.

مقارنة القوات عند بدء الحرب :

	مصر	سوريا	الأردن	العراق	اسرائيل
عدد الجنود	٢١٠٠٠٠	٦٣٠٠٠	٥٥٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠
عدد الدبابات	١٣٠٠	٧٥٠	٢٨٨	---	١٠٠٠
عدد الطائرات	٣٨٥	٧٦	٢١	١٥٦	١٩٧

حشد القوات الاسرائيلية :

استدعت اسرائيل قواتها الاحتياطية قبل عدة أسابيع من بدء الهجوم ووزعت تشكيلاتها على الجبهات كما يلي[1] :

١ – ثلاثة فرق مسندة بامرة قيادة المنطقة الجنوبية تجمعت في منطقة النقب للهجوم على سيناء.

٢ – ثلاثة ألوية بامرة القيادة الوسطى بمواجهة الجبهة الأردنية موزعة كالآتي:

أ – اللواء ١٦ – في مدينة القدس.

ب – لواء مشاة – في منطقة مدينة اللد.

جـ – لواء مشاة – في منطقة ناثانيا – في الاحتياط

٣ – أربعة ألوية بامرة القيادة الشمالية متمركزة مقابل الجبهات اللبنانية والسورية والأردنية كالآتي:

أ – لواء مقابل الحدود اللبنانية.

ب – لوائين في الجليل الشرقي بمواجهة الجبهة السورية.

جـ – لواء في الناصرة بمواجهة الجبهة الأردنية من الشمال.

٤ – لواء مدرع وضع في الاحتياط لاستخدامه في الجبهة السورية.

٥ – فرقة مدرعة مكونة من لوائين مدرعين وضعت في الاحتياط في منطقة الجليل الأوسط.

٦ – لواء آلي وضع في الاحتياط الرئيسي.

٧ – لواء مظلي بقي في الاحتياط مخصص لاستخدامه في سيناء[1] .

حشد القوات العربية :

أولاً ـ الجبهة المصرية :

كانت القوات المصرية في سيناء تتألف من خمسة فرق مشاة وفرقتين مدرعتين وقد تمركزت هذه القوات في المواقع الأمامية على المحاور الرئيسية كالآتي:

---

(١) انظر كتاب الحروب العربية الاسرائيلية، تأليف حاييم هيرتزوغ.
Thc Arab - I'srael Wars By 'CHAIM HERZOG'.

١ – الفرقة الفلسطينية العشرين – في قطاع غزة.

٢ – فرقة المشاة السابعة – مسؤولة عن الدفاع عن منطقة رفح والعريش.

٣ – فرقة المشاة الثانية – مسؤولة عن منطقة القسيمة – أبو عقيلة – أم قطف.

٤ – فرقة المشاة الثالثة – مسؤولة عن منطقة بير حسنة – جبل لبنة لتأمين العمق اللازم للمواقع الأمامية.

٥ – الفرقة الآلية السادسة – تعمل على محور الكونتيلا – الثمد – نخل.

٦ – الفرقة المدرعة الرابعة – متجمعة بين بير قفقفا وبير الثمد.

٧ – المجموعة المدرعة الثانية – بقرب الحدود بين القسيمة والكونتيلا.

ثانياً – الجبهة الأردنية :

١ – كانت الأردن مقسمة إلى جبهتين كالآتي:

أ – الجبهة الغربية – قيادتها في منطقة رام الله ومسؤوليتها الدفاع عن الضفة الغربية. ٧ ألوية مشاة ولوائين مدرعين – بقيادة اللواء الركن محمد أحمد مسلم.

ب – الجبهة الشرقية – لوائين مشاة – بقيادة العميد الركن مشهور حديثة الجازي.

٢ – وعندما بدأت الحرب كانت القوات في الضفة الغربية موزعة في الدفاع عن جميع المناطق كالآتي:

٢ لواء مشاة – للدفاع عن منطقتي جنين ونابلس.

٢ لواء مشاة – للدفاع عن منطقتي رام الله والقدس.

١ لواء مشاة – للدفاع عن منطقة الخليل.

١ لواء مشاة – في الاحتياط في منطقة الخان الأحمر.

١ لواء مشاة في الاحتياط في قطاع الوادي – بمنطقة أريحا.

اللواء المدرع (٤٠) – في منطقة داميا لاسناد المنطقة الشمالية من الضفة الغربية.

اللواء المدرع (٦٠) – في منطقة أريحا لاسناد منطقة القدس[١].

---

(١) انظر كتاب حرب حزيران ١٩٦٧، تأليف اللواء الركن المتقاعد يوسف كعوش .

ثالثاً ـ الجبهة السورية :

كانت القوات السورية مشكلة من ثلاثة مجموعات فرق مكونة من ثمانية ألوية مختلفة ولدى كل لواء مشاة كتيبة دبابات وبعض المدافع المحمولة لاسناده وكانت موزعة للدفاع عن هضبة الجولان. منها ثلاثة ألوية في الدفاعات الأمامية وثلاثة ألوية في المواقع الخلفية لدعمها. كما تم تركيز لوائين مدرعين بين القنيطرة وجسر بنات يعقوب في الاحتياط. كما كان لدى القوات السورية أربعة ألوية (احتياط مشاة) موزعة في المواقع الخلفية كقوات احتياطية.

وصف موجز للمعارك :

لقد بدأت الحرب بالضربة الجوية الرئيسية على القواعد الجوية المصرية حيث قام سلاح الجو الإسرائيلي بكامله بتنفيذ هجمة كبرى بغارات مكثفة على جميع القواعد الجوية المصرية في مناطق سيناء ودلتا النيل ووادي النيل والقاهرة بتمام الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح يوم الأثنين ٥ حزيران ١٩٦٧م. وقد غطت الغارة الرئيسية تسعة عشر قاعدة جوية واقتربت الطائرات المغيرة إلى أهدافها على ارتفاع منخفض بحيث لم تتمكن شبكة الرادار المصرية من اكتشافها. وقد انتخب الاسرائيليون هذا الوقت من الصباح للهجوم لأنهم قدروا أن الطيارين المصريين سوف يكونوا عائدين لتوهم من منازلهم بعد الافطار وسيكونوا لا يزالون في طريقهم إلى قواعدهم عندما يبدأ القصف الفعلي عليها وقد ثبت مع الأسف الشديد أن هذا التقدير كان صحيحاً وكما يظهر فإن الاسرائيليين قد بنوا تقديرهم هذا على رصد تحركات الطيارين المصريين التي اعتادوها كل يوم وكانت تصلهم عن طريق عملاء لهم في مصر. وقد كثرت الأقوال والاشاعات بعد الحرب عن وجود جواسيس للعدو كما كثر التراشق بالاتهامات من مختلف الجهات.

ولست معنياً هنا بالخوض بهذه المواضيع لأنها لا تفيد أحداً ولن تصلح ما كسر. كما أنى لا أملك المعلومات التي تثبت صحتها. ولكن المهم هنا أن نبين ان سلاح الجو الإسرائيلي استطاع ان يخترق الدفاعات الجوية وشبكات الرادار المصرية بسهولة وأن ينفذ حوالي خمسمائة رحلة جوية (500 Sorties) خلال مدة تقل قليلاً عن ثلاثة ساعات، وقالت بعض المصادر أن المدة كانت (١٧٠ دقيقة) تمكن خلالها من تدمير ما مجموعه ثلثمائة طائرة تقريباً من مختلف الأنواع وهي جاثمة على الأرض في قواعدها. وبانتهاء هذه الضربة القاتلة لم يبق لدى مصر سوى حوالي ٣٠ طائرة صالحة للعمل.

ويجب أن نلاحظ هنا أنه عندما بدأت الحرب صبيحة ذلك اليوم كانت المعلومات التي

تنقل إلى الأردن وسـوريا عبر الوسـائل الرسـمية وما كان يذاع منها من إذاعة صوت العرب تعطي صـورة مختلفـة تماماً عن هذا الواقع الأليم حيث كانت جيمع هذه المعلومات تشير إلى أن الطائرات الإسرائيليـة هي التي كـانت تسـقط بالعشرات وأن سـلاج الجو المصري يسيطر على أجـواء المعـركة وقد ظهر فيما بعد أن الطائرات الإسرائيلية كانت مزودة بخزانات اضافية للوقـود لكي تعطيـهـا وقت طيران أطول وأن الطيـارين كـانوا يتخلصون من هذه الخزانات عندمـا تفـرغ فتسقط على الأرض وربما أن المراقبين المصريين الذين كانوا يرصدونها اعتقدوا أنها طائرات اسرائيليـة تسـقط بعـد اصـابتـها. ولكن المؤلم حقاً أن بعض المصادر افادت أن جمال عـبـد الناصر نفسه لم يكن يعرف حقيقة ما حل بسلاحه الجوي حتى الساعة الرابعة بعـد ظهـر ذلك اليـوم حيث أخفتِ القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية هذه الحقيقة المريرة عنه. فإن صـحت هذه المعلومـات فإنه ليس من المعـروف لماذا أخـفـيت عنه هذه المعلومـات الخطيرة وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية وصاحب القرار النهائي في الحرب. ومهما كـان الأمر فإن نتيجة المعركة الجوية الحاسمة هي التي قررت مصير المعارك البرية بالنسبة للقـوات المصرية وبالنسـبـة إلى باقي القـوات العـربيـة الأخرى فيما بعد. كما أنى أعتقد أنها قـررت مـصير زعامة الرئيس جمال عبد الناصر وكانت بداية النهاية بالنسبة لمركزه في مصر والعـالم العـربي، وفي سـاعـات الصـباح عندما كانت القيادات العربية في الأردن وسوريا ما تـزال تحت تأثير هذا الانطبـاع المشـجع عن سير المعـارك الجـوية في مصر قـامت الأسلحـة الجـوية العـربيـة الأخـرى ببـعض الغارات على القواعد الجوية والأهداف الحيوية الإسرائيلية المختلفة كما يلي:

أولاً – قامت الطائرات الأردنية بقصف مطار حربي بقرب مستعمرة كفار سيركين

ثانياً – أغـارت الطائرات العـراقـيـة من قاعدتها في الاتش ثري (H3) على مـدينة نهاريا على ساحل البحر الأبيض المتوسط

ثالثاً – قـصـفت القـاذفات السورية مصافي البترول في مدينة حيفا ومطاراً عسكرياً في مجدو (Megiddo).

ولما كـان سلاح الجو الإسرائيلي في واقع الأمر قد فرغ لتوه من تدمير سلاح الجو المصري بكامله فـقـد نقل كـامل جهده لمواجهة هذه الأسلحة الجوية العربية المتبقية. ورغم أنه خسر بعض الطائرات في المواجـهـات الجـوية المخـتلفة إلا أنه بحلول مساء ذلك اليوم كان قد تمكن من تدمير جميع طائرات سـلاح الجـو الأردني ومـعظم طائرات سـلاح الجو السوري وعدداً كـبيراً من الطائرات العراقية التي كانت متواجدة في قاعدة الاتش ثري (H3) وقد كان مجموع

الطائرات العـربيـة التي دمـرت في ذلك اليوم (٤١٦) طائرة منهـا (٣٩٣) طائرة دمـرت على الأرض و(٢٣) طائرة سـقطت في المواجـهـات الجوية. كما كان مجموع ما خسره سلاح الجو الإسرائيلي (٢٦) طائرة فـقط وبنتـيـجـة هذه الضربة الجـوية الرئيـسية التي دمرت السلاح الجوي المصري بكامله أصبحت السيطرة الجوية التامة (Air SUPRIMECY) بيد العدو بحيث أمكنه نقل ثقل قـواته الجـوية بكاملهـا لمواجـهـة ما تبقى لدى العرب من الطائرات في الاردن والعـراق وسـوريا وتمكن من تدمير معظمها كما شرحت آنفاً. وعندئذ أصبحت جميع الأجواء العربية مفتوحة لطائرات العدو كما أصبحت قواتها البرية تخوض أشد المعارك شراسة وهي بنفس الوقت تشكل أهدافاً سهلة ومكشوفة للطائرات المعادية المغيرة. وليس لديها من وسائل الدفـاع الفـعـالة ضد الجو ما تستطيع به تأمين الحماية المعقولة لقطعاتها في المعركة. وهكذا فـقـد وجدت الجيوش العربية البرية نفسها في ظروف خطيرة منذ الساعات الأولى من القتال. وأمـام التـفـوق الجوي الساحق لدى اسرائيل أصبح ليس لدى هذه الجيوش أي أمل معقول لكسب المعركة.

المعارك البرية :

أولاً ـ الجبهة المصرية :

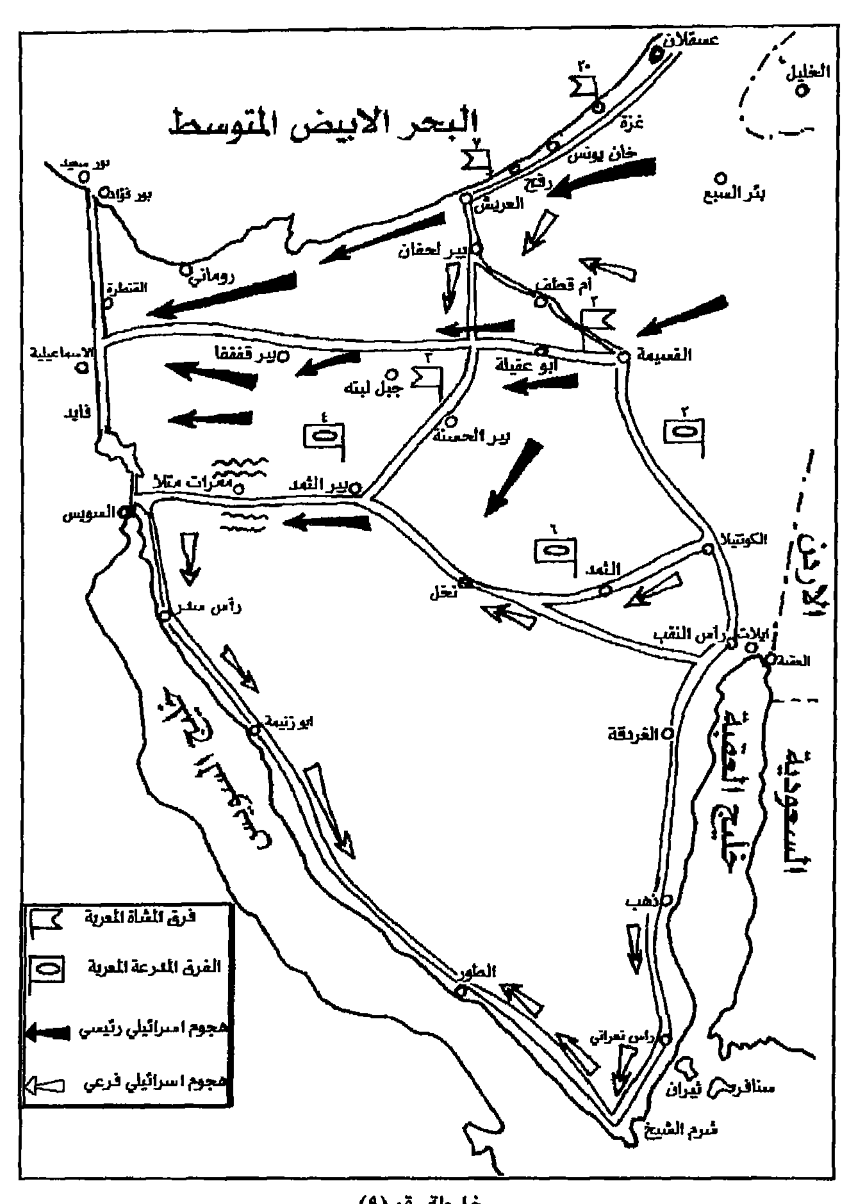
كانت الخطة الاستراتيجية العامة للجيش الإسرائيلي بهذه الجبهة تستند على عملية اختراق من ثلاث شعب تنفذ على ثلاثة مراحل كالآتى (انظر الخارطة رقم (٩)) .

١ – المرحلة الأولى : وتقـتضي فـتح المحـور الشمالي المحـاذي للسـاحل من خـان يونس إلى العريش وفتح المحور الأوسط من نتسانا إلى أم قطف وأبو عقيلة.

٢ – المرحلة الثانية : وتقتضي التقدم في عمق صحراء سيناء.

٣ – المرحلة الثالثة: وتقتضي الاستيلاء على الممرين الجبليين في منطقة (متلا) الذين يسيطران على الطرق المؤدية إلى قناة السويس.

وكما يظهـر فإن القيادة المصرية لم تتوقع أن تبدأ الحرب بهجوم أمامي واسع على جميع المحـاور واقتحام الدفاعات مواجهة واختراقها ثم التقدم عبرها بسرعة في العمق بل توقعت أن تكرر القـوات الاسرائيليـة نفس الاستراتيجية التي أتبعتها في الحرب السابقة عام ١٩٥٦م أي بالتـقـدم عبر الجناح الأيسر من الجبهة. ولذلك فإنها وضعت الفرقة المدرعة الثانية في مواقع مـتقدمة بالقرب من الحدود بين مواقع القسيمة والكونتيلا لكي تتمكن من التقدم فوراً لداخل



خارطة رقم (٩)
مواقع المعارك الرئيسية في سيناء من ٥ - ٨ حزيران ١٩٦٧م.

اسرائيل عند نشـوب الحرب. ولذلك فقد فوجىء المصريون بزخم الهجوم العام الإسرائيلي على المحـاور الرئيـسـية الثلاثة عندما بدأت المعركة بعملية الاختراق على المحور الشمالي بالساعة الثـامنة من صباح يوم الاثنين ٥ حـزيران حـيث اسـتطاع اللواء الإسرائيلي المدرع أن يخترق المواقع الدفـاعـيـة المصرية عند خط الحـدود بين مـواقع الفرقة العشرين والفرقة السـابعة في منطقـة رفح وبعـد مـعـركـة عنيـفة من قبل المشاة والدبابات دامت طيلة ذلك اليوم سقطت مـدينة رفح. ومـتـزامناً مع هذه العـملية قام لواء مظلي اسرائيلي تدعمه كتيبة دبابات بحركة التـفـاف واسـعـة حـول رفح من الجـهـة الجنوبية عبر ساحات الرمال التي كان المصريون يعـتبرون أنها تشكل مـانعـاً لا يمكن عـبـوره. وقـد ثبت أن تقـديرهم هذا كان خاطئاً حيث اسـتطاع اللواء الاسرائيلي اختراقـهـا ومـفـاجأة مـواقع تجـمـعات المدفعية المصرية وقواعدها الخلفية وأخذ يحتلها الواحدة تلو الأخرى.

وبهذه الأثناء تقدم لواء مدرع اسرائيلي غرباً نحو الموقع الدفاعي المصري في منطقة الشيخ زويد الذي كـان يدافع عنه لواء مـشـاة مصري تسنده كـتيبة دبابات (ت٣٤) وقد استخدم اللواء الاسرائيلي كـتـيبة دبابات سنتوريون لمشاغلة الدبابات المصرية بينما أرسل كتيبتين من دبابات الباتون بحركة التفاف حول المواقع المصرية.

وقـد كانت الدبابات الإسرائيلية متفوقة على الدبابات المصرية وبنتيجة المعركة التي دامت عـدة سـاعـات تمكن الاسرائيليـون من الاسـتـيـلاء على هذه المواقع. ثم تقدمت قواتهم نحو العـريش فوصلتها ليلة ٥/٦ حـزيران واحـتلتـهـا. وفي اليـوم التـالي تقدم قسم من القوات الإسرائيليـة على المحـور الشمالي نحو القنطرة على قناة السويس. وقسم آخر تقدم نحو مطار العـريش وتمكن من احـتلاله بعد معركة بالدبابات وفتح الطريق إلى بير لحفان. وبهذا يكون قـد فـتح الطريق الشرقية. المؤدية إلى أبو عقيلة والطريق الغربية المؤدية إلى جبل لبني بنفس الوقت. وفي القطاع الأوسط تقـدمت فـرقـة اسرائيليـة على محور مـسـتـعـمـرة (نتـسانا) ـ (الاسماعـيليـة) ويعـتبر هذا المحـور حـيـوياً لأنه ملتقى جميع الطرق المؤدية إلى العريش في الشمال وإلى (نخل) في الجنوب. ونظراً لأهميـة هذا المحـور فـقـد بنى المصريون مجمـعاً من التـحـصـينات المتـساندة المبنية بالاسمنت المسلح وحقول الألغام وجميع متطلبات التحصين المعـروفـة. وكـان هذا المجمع يرتكز على سلسلة من المواقع الدفاعية المتساندة والتي تمتد من ام قطف إلى أبو عـقـيلة في الغرب وإلى أم شيحان في الجنوب. ويقع أمامها حزام خارجي من الدفـاعات الامامية المتقدمة بالقرب من الحدود مع اسرائيل عند (أم تربة) (وأم بسيس). وقد كـانت فـرقـة المشـاة الثـانيـة المصرية مسؤولة عن الدفاع عن هذه المواقع وبدأ تقدم القوات

الإسرائيلية المهاجمة على هذا المحور عند الغسق يوم ٥ حزيران. وقد افتتحت المعركة بقصف مدفعي مركز واسع النطاق. وبنفس الوقت انزل الاسرائيليون كتيبة مظليين محمولة بطائرات هيليوكبتر خلف المواقع المصرية لتقوم بتدمير المدافع المصرية. ثم تقدمت الدبابات بمرافقة كتائب المشاة لاقتحام الخنادق الأمامية. وعندما وصلت هذه القوات المهاجمة إلى الطريق من الشمال قامت كتيبة الدبابات المصرية التي كانت تغلق الطريق الرئيسي بشن هجوم معاكس على القوات المهاجمة من الخلف. وقد احتدمت المعركة في وسط المنطقة بين قوات الدروع والمشاة من الطرفين طوال الليل وقد اعتبرت هذه المعركة من أعقد وأشد المعارك التي جرت خلال هذه الحرب وسابقاتها ولكن على الرغم من ضراوة المعركة وشدة المقاومة التي أبدتها القطعات المصرية والتضحيات الضخمة إلا أن القوات الإسرائيلية استطاعت أن تسيطر على طريق أم قطف – أبو عقيلة بالساعة السادسة من صباح اليوم التالي. وعندما كانت المعارك محتدمة على المحورين الشمالي والأوسط تقدمت فرقة اسرائيلية ثالثة عبر المنطقة الرملية بين المحورين والتي كان المصريون يعتبرون خطأ أنه لا يمكن اجتيازها من قبل الدبابات ولكن هذه القوة تمكنت من التقدم من خلالها بعمق ثلاثين ميلا بمدة عشرة ساعات. وفي مساء اليوم التالي وصلت ملتقى الطرق عند بير لحفان الذي تلتقي عنده طرق جبل لبني وأبو عقيلة والقسيمة إلى العريش. وبهذا تمكنوا من منع التحركات الجانبية للقوات المصرية بين المحورين ومنع وصول التعزيزات من القوات الآلية المصرية المكونة من لواء مدرع ولواء آلي والتي كانت تتقدم في ذلك الوقت من الاسماعيلية باتجاه جبل لبني. وقد كان لواء اسرائيلي مدرع يكمن عند منطقة ملتقى الطرق عند بير لحفان بشكل دفاعي بانتظار هذه القوة المصرية. وقد اشتبكت القوتان بمعركة عنيفة استمرت عدة ساعات خسرت القوة المصرية بنتيجتها الكثير من مدرعاتها وانسحب ما تبقى منها تاركة الطريق مفتوحة أمام تقدم القوة الاسرائيلية.

ولما كانت منطقة جبل لبني عبارة عن منطقة تزويد ضخمة تتكون من مجموعة كبيرة من المعسكرات فقد وضع المصريون فرقة المشاة الثالثة وباسنادها عدد من كتائب الدبابات للدفاع عنها. ولكن هذه المنطقة أصبحت بعد انتهاء معركة بير لحفان معرضة لهجوم من الشمال والشرق من قبل فرقتين اسرائيليتين أصبحتا متفرغتين لها.

وبعد قتال عنيف سقطت معظم تلك المعسكرات بيد القوات الإسرائيلية وبعد ذلك تقدمت فرقة اسرائيلية جنوباً نحو بير حسنة. وفرقة أخرى استمرت بتصفية المواقع المصرية في منطقة أم قطف ثم تابعت تقدمها جنوباً باتجاه نخل للاشتباك مع الفرقة المدرعة المصرية بين

القسيمة والكونتيلا وبنتيجة هذه المعارك المختلفة في نهاية اليوم الثاني للقتال سقطت معظم المواقع الدفاعية المصرية التي كانت تشمل ثلاثة فرق. وأصبحت القوات الإسرائيلية تتقدم في أعماق سيناء باتجاه آخر تجمع للتشكيلات المدرعة المصرية في وسط سيناء وهو آخر موقع رئيسي في طَريق الزحف الإسرائيلي نحو القناة.

وبتاريخ ٧ حزيران تقدمت القوة الاسرائيلية على المحور الشمالي بسرعة باتجاه القنطرة ولم تصطدم بأي مقاومة تذكر حتى وصلت إلى مسافة عشرة كيلومترات من القنطرة عندما اصطدمت بكمين من بعض الدبابات المصرية والمدافع المضادة للدروع. ودارت معركة محدودة خسرت فيها القوة الاسرائيلية بعض دروعها ولكنها تمكنت من مواصلة تقدمها. وبعد ذلك تعرضت لهجوم معاكس شنته القوة المدرعة المصرية المتمركزة في القنطرة ولكن على الرغم من هذه المعارك المعترضة فقد تمكنت القوة الاسرائيلية هذه من الوصول إلى قناة السويس عبر مدينة القنطرة بتاريخ ٨ حزيران ١٩٦٧م.

وبهذه المرحلة قام الجيش الاسرائيلي باعادة تنظيم قواته لضرب المجموعة المدرعة المصرية المتبقية والمتمركزة في وسط سيناء. فدفع بقوة فرقة مسندة غرباً باتجاه بير قفقفا وفرقة أخرى اتجهت جنوباً نحو بير الحسنة وبير الثمد. ومن هناك تقدمت غرباً نحو ممر متلا. وبنفس الوقت تقدمت الفرقة الاسرائيلية التي كانت تعمل ضد أم قطف جنوباً باتجاه (نخل). وبهذه الحركة أجبرت المجموعة المدرعة المصرية على الانسحاب باتجاه الفخ الخطر الذي نصبته الفرق المدرعة الاسرائيلية لها في منطقة ممر متلا.

وقد دارت عدة معارك مختلفة خلال الأيام الأخيرة للقتال في تلك المنطقة اسفرت عن استيلاء القوات الاسرائيلية على معظم المواقع الحيوية بما فيها ممرات متلا ووصلت إلى قناة السويس في ذلك القطاع من الجبهة. وأثناء سير تلك المعارك تقدمت قوة اسرائيلية أخرى باتجاه خليج السويس عند راس سدر وبمساعدة قوة من المظليين الذين انزلوا بالقرب من تلك المواقع تمكنت من الاستيلاء عليها ثم تقدمت نحو شرم الشيخ. وهناك اتصلت مع قوة بحرية من قوارب الطوربيد التي كانت قد ارسلت كجزء من خطة الهجوم. وعند وصول هذه القوات إلى شرم الشيخ يوم ٧ حزيران وجدت أن القوات المصرية قد أخلتها كلياً وأن الحصار البحري الذي كان مفروضاً على مضائق ثيران قد انتهى فعلياً.

وبنفس الوقت الذي كانت فيه المعارك تدور في عمق سيناء كان القتال على أشده في قطاع غزة حيث تقدم لواء مظلي تدعمه الدبابات بمحاذات الساحل باتجاه مدينة غزة عندما اخترق الجيش الاسرائيلي منطقة خان يونس. وقد نشبت معارك ضارية في القرى والمخيمات في

مختلف أرجاء القطاع. وقد خاضت الفرقة العشرين الفلسطينية معارك طاحنة ضد القوات المهاجمة طيلة الأيام الثلاثة الأولى من الحرب. كما اشترك باسناد هذه الفرقة اعداد كبيرة من المناضلين الفلسطينيين في القتال. وأثناء هذه المعارك شن الجيش الاسرائيلي هجوماً آخر على مدينة غزة من داخل الحدود الاسرائيلية من جهة الغرب وبالقرب من المواقع المصرية الأمامية عند تلة (المنطار) وفي المساء تمكنت القوة الاسرائيلية المتقدمة من خان يونس من احتلال تلة المنطار من جهة الجنوب.. وفي اليوم التالي دارت المعارك الطاحنة بداخل مدينتي خانْ يونس وغزة طيلة ذلك اليوم ولكن رغم كل التضحيات والخسائر التي تكبدتها القوات العربية المدافعة عنهما تمكن الاسرائيليون من احتلال هاتين المدينتين في مساء اليوم الثالث من القتال. وبسقوطهما سيطروا على قطاع غزة بكامله. وقد كانت خسائر القوات المصرية والفلسطينية في معارك سيناء وقطاع غزة مذهلة. ومن خلاصة ما اطلعت عليه من مختلف المصادر وجدت أن التقديرات المبينة تالياً هي أقرب ما تكون إلى الحقيقة.

١ – الخسائر البشرية .

أ – حوالي عشرة الآف شهيد وجريح.

ب – حوالي خمسة الآف أسير من ضمنهم خمسمائة ضابط.

٢ – الخسائر بالاسلحة والمعدات :

استولى الاسرائيليون عليها ومعظمها صالحة للعمل.

أ – ثمانمائة دبابة – منها حوالي ستمائة كانت قد دمرت بالقتال.

ب – حوالي أربعمائة مدفع من أنواع مختلفة معظمها مدافع ميدان ومدافع محمولة ذاتياً.

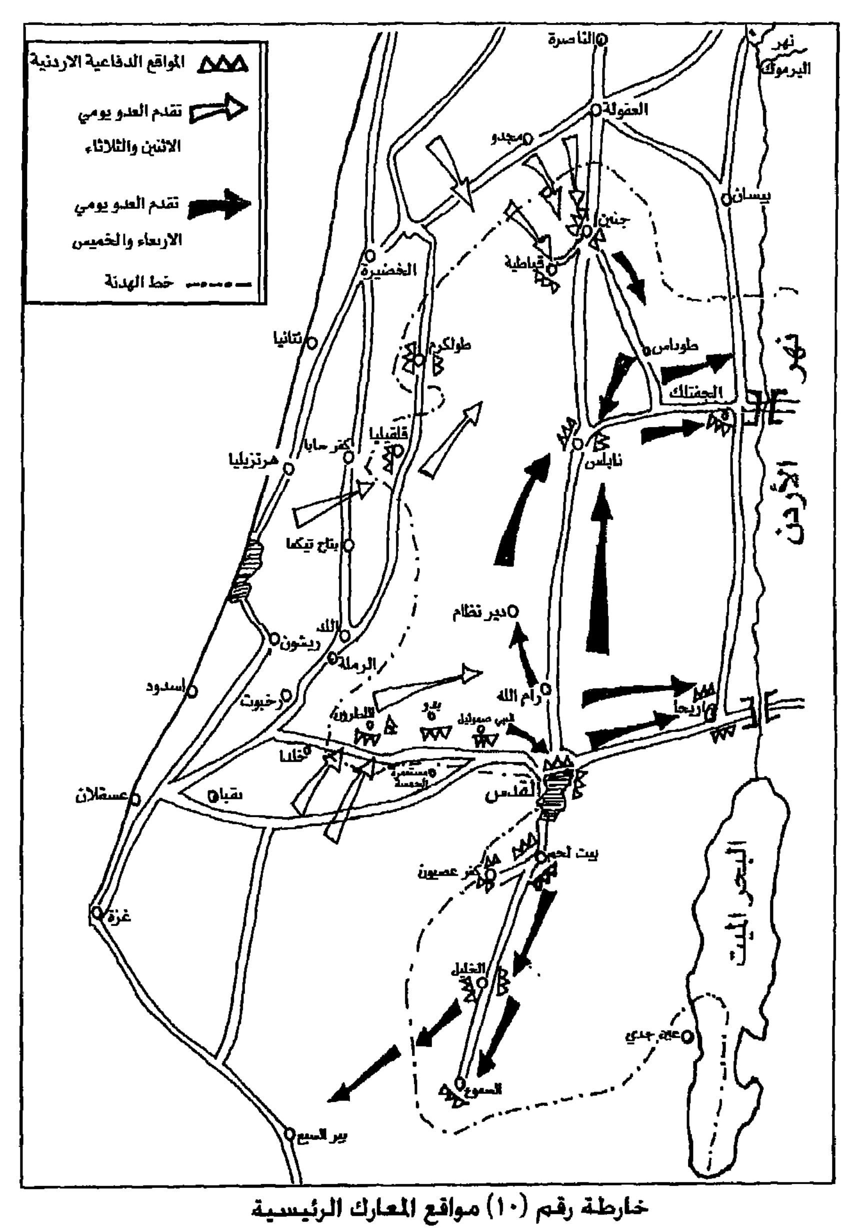
ج – حوالي عشرة الآف سيارة من مختلف الأنواع والاحجام.

٣ – قدرت خسائر الاسرائيليين بحوالي ثلثمائة قتيل وحوالي ألف جريح فقط.

ثانياً ـ الجبهة الأردنية :

(انظر الخارطة رقم (١٠))

بدأت الحرب على الجبهة الأردنية حوالي الساعة الحادية عشرة صباح يوم الاثنين ٥ حزيران عام ١٩٦٧م. والتوقيت هنا مهم جداً لانه بهذا الوقت كان سلاح الجو المصري قد تم تدميره نهائياً وبدأ سلاح الجو الاسرائيلي بتحويل جهده بكامله إلى الجبهتين الأردنية والسورية. كما أن القوات البرية الاسرائيلية كانت بهذا الوقت قد اخترقت الدفاعات المصرية



خارطة رقم (١٠) مواقع المعارك الرئيسية

في الضفة الغربية ٥-٨ حزيران ١٩٦٧م

الرئيسية المتقدمة في سيناء على ثلاثة محاور وبدأت تعمل على توسيع الاختراق والتغلغل في عمق سيناء ولكن هذه الصورة المأساوية لم تكن قد نقلت بعد على حقيقتها إلى القيادة الأردنية بل حدث العكس تماماً حيث تلقت هذه القيادة حوالي الساعة العاشرة صباحاً برقية من المشير عبد الحكيم عامر تفيد بأن الطائرات الاسرائيلية قد أغارت على القواعد الجوية المصرية وأنه تم تدمير أو إعطاب أعداد كبيرة من الطائرات الاسرائيلية وقد تحول سلاح الجو المصري إلى الهجوم المعاكس. وهو الآن يلاحق طائرات العدو فوق سيناء. كما أن القوات المسلحة المصرية البرية اشتبكت مع القوات الاسرائيلية وقد بدأت بعملياتها الهجومية بداخل اسرائيل ولهذا فإن المشير عبد الحكيم عامر قد أعطى تعليماته إلى القائد العام للقوات المشتركة في الجبهة الأردنية بأن يبدأ بالعمليات الهجومية ضد اسرائيل. ولم تكن هذه المعلومات تقرب من الحقيقة بشيء بل كانت على عكسها تماماً لأن عبد الحكيم عامر كان يعرف بهذا الوقت أن سلاحه الجوي قد دمر معظمه على الأرض في جميع قواعده الرئيسية وإن الأعداد القليلة الباقية من الطائرات التي لم تدمر كانت لا تزال تتعرض للقصف الشديد ويتم تدميرها تدريجياً لأن الغارات الجوية المعادية كانت في مرحلتها النهائية. والشيء الوحيد الصحيح في برقية عبد الحكيم عامر هو القول بأن معظم الطائرات قد دمرت ولكنها كانت الطائرات المصرية هي التي دمرت. ولقد قيل في معرض الدفاع عن موقف عبد الحكيم عامر الغريب هذا أن اسرائيل كانت تملك أجهزة متطورة تستطيع التقاط البرقيات المرسلة من القيادة المصرية وتحدث بها بعض التغييرات أثناء ارسالها لكي تصبح صيغتها تعطي معنى عكس المعنى الذي قصده مرسلها ثم تمررها إلى المرسل إليه خلال مدة ثوان قليلة.

فلو فرضنا جدلاً أن هذا القول كان صحيحاً وأن برقية عبد الحيكم عامر الأصلية كانت تنص على أن معظم طائرات سلاح الجو المصري قد دمرت وأن الأجهزة الالكترونية بدلت كلمة (المصري) بكلمة (الاسرائيلي) فلماذا تركت باقي البرقية التي تقول أنه الآن يلاحق طائرات العدو فوق سيناء إلخ. ولكن لماذا يرسل عبد الحكيم عامر هذه البرقية إلى القيادة الأردنية بالساعة العاشرة صباحاً وهو يعلم في ذلك الوقت أن سلاحه الجوي قد دمر تماماً. ثم لماذا أخفى هذه الحقيقة عن جمال عبد الناصر الذي كان يتخذ قراراته الخطيرة بادارة الحرب وهو لا يعلم أن سلاحه الجوي قد تم تدميره في الصباح ولم يعرف الحقيقة سوى بالساعة الرابعة بعد الظهر كما قيل في عدة مصادر في حينها. هذا وقد بحثت كثيراً في جميع المراجع التي قرأتها عن هذه الحرب ولم أعثر على جواب مقنع لهذه التساؤلات. وأخشى أن يكون عبد الحكيم عامر قد أخفى سراً خطيراً أخذه معه إلى قبره ولن تعرف الحقيقة من بعده. رحمه الله وأحسن إليه.

ولكن مهما كانت الأسباب والتأويلات فإن المعلومات الرسمية التي تضمنتها برقية عبد الحكيم عامر إلى القائد العام في الجبهة الأردنية قد قدر لها أن تؤدي إلى كارثة أخرى ستحل قريباً في الضفة الغربية. لأن هذه المعلومات لم تكن تنطبق على أي شيء مما كان يحدث على الجبهة المصرية. ولا تتوافق سوى مع ما كان يذاع من محطة صوت العرب من المغالطات التي كنا نسمعها نحن في الكويت كما كان يسمعها كل العرب في مختلف اقطارهم. ولسوء الحظ أننا كنا حتى تلك الآونة نصدقها ويصدقونها. ولنا عذرنا ولهم عذرهم. وسواء صدقناها نحن المواطنين أو لم نصدقها فلن يغير هذا شيئاً من النتائج ولن يكون له أي تأثير على واقع الأحداث. ولكن المسؤولين في القيادات العربية عندما تعطى لهم هذه المعلومات الخاطئة ويصدقونها ويتخذوا قراراتهم بموجبها فإن هذا لن يعني سوى الكارثة المؤكدة. وأما ما هو العذر لهم. ومن هو المسؤول. فإن هذا ما سأحاول الاجابة عليه بمكان آخر رغم أنه لن يفيدنا باصلاح ما دمر ولكن ربما يفيدنا كدرس للمستقبل إذا تمكنا من استيعابه والإفادة منه

وأما الآن فلنعد إلى شرح سير المعارك التي دارت على الجبهة الأردنية. فقد سبق أن ذكرت أن الفريق عبد المنعم رياض تسلم مهام منصبه الجديد كقائد عام للقوات العربية في الجبهة الأردنية قبل أيام قلائل من نشوب الحرب. ولم تتح له الفرصة لزيارة الجبهة والاطلاع على طبيعة الأرض ودراسة المواقع الدفاعية لكي يستطيع تقدير امكانيات صمودها في وجه هجوم مركز على نطاق واسع.

كما أنه لم تتح له الفرصة لدراسة قدرات القطعات العسكرية وتوزيعاتها على المواقع الدفاعية لكي يستطيع أن يقدر إذا كانت هذه التوزيعات تحقق الحشد الصحيح في وجه الخطر القادم وهل بامكان هذه القطعات بتوزيعاتها الراهنة أن تخوض معاركها بشكل متساند صحيح وأن تصمد أمام زخم الهجوم. أم هل بالإمكان التصرف بها بطريقة أفضل. وهل كان وضع القوات الاحتياطية الرئيسية خصوصاً الألوية المدرعة في منطقة الأغوار مقبولاً أم انها يجب أن تنقل إلى مواقع أفضل لتستطيع مساندة القطعات المتقدمة مع وجود السيطرة الجوية التامة بيد العدو. وهل قيادة الجبهة الغربية لديها الجهاز الكافي من ضباط الركن ووسائل ادارة المعركة والقدرة القيادية بحيث تستطيع قيادة القوات الموضوعة بامرتها في حرب فعلية أم أنها بحاجة إلى تعديل وتوسيع ودعم. وغير هذه من الاستفسارات التي كان من الواجب التدقيق عليها والتأكد من صحتها قبل نشوب القتال.

لقد كان الفريق عبد المنعم رياض رحمه الله من خيرة الضباط المصريين ومن أكثرهم

كـفـاءة وخبرة. ولكنني أعـتـقـد أنه ظلم نفـسه عندما قبل تحمل مسؤولية هذه القيادة التي أسندت إليـه قـبيل نشوب القتال ببضعة أيام فقط في جبهة لا يعرف جغرافيتها جيداً وجيش لم يطلع على قـدراته ومـعلومـاته عن قـادة هذا الجـيش وضـبـاطه محدودة ولم يتوفر لديه الوقت الكافي لدراسـة هذه الأمـور والاطلاع عليـها بشكل دقيق ودراستها بالتفصيل واصلاح نقـاط الضـعف واكمال نواقـصـها قبل بدء المعركة. صحيح أن القائد معرض للنقل من قيادة إلى أخرى أثناء المعركة ومن الممكن أن يتولى مسؤولية قيادة جديدة بدل قائد آخر خلال فترة وجـيـزة خـصـوصـاً أثناء القتال لسبب أو لآخر ويتحمل المسؤولية وينجح فيها. ولكن هذا الاجـراء يتم عـادة ضمن جيشه الذي يعرفه وفي جبهته التي يقاتل فيها. ولا أظن هذا الاجراء ينطبق على حالة عبد المنعم رياض بهذا النقل لا سيما وأن الجيوش العربية رغم أنها وضعت شكلياً بامرة قيادة موحدة فهي لا زالت جيوشاً مستقلة وجبهاتها منفصلة عن بعضها عمليا رغم أنها اعـتبرت كأنها جـبـهة واحدة بالاتفاقيات التي وقعت على عجل. ولكن ربما أن عبد المنعم رياض تلقى أمـراً مـبـاشراً من الرئيس جمال عـبـد الناصر أو أنه تسلم مـهـمة قيادة الجـبهة الأردنية بصفته كان قائد الجبهة في القيادة المشتركة ولـم يكن لديه خيار سوى قبول هذه المسـؤوليـة. ومـهما كـانت الأحوال فقد كان عبد المنعم رياض في موضـع الاتهام والنقد الشديد لكيفية ادارته للحركات الحربية من قبل القادة الأردنيين وعزي إليه الكثير من أسباب فـشل المعـارك ونتـائجها. ولعله وضـع نفسه في موقـع مناسب ليصبح فيما بعد كبش الفداء ليـتـحمل نتائج أخطاء الآخرين بالإضافة إلى أخطائه هو ولا سيما أخطاء رؤسائه في القاهرة الذين كـانوا يمـررون له المعلومـات الخـاطئة عن سير المعـارك في الجـبـهة المصرية ويعطونه الأوامـر لتنفـيـذ عـمليـات لا تتناسب مع الواقع المرير الذي كـان يتطور بسرعـة في الجـبـهة الاردنية ويقوم هو بتنفيذ هذه الأوامر على علاتها.

ومع ذلك فإنى لا أبرىء عـبد المنعم رياض كلياً من المسؤولية حيث كان من أهم واجباته أن يأخـذ بعين الاعـتـبـار الخطط الحربية الأردنية الموضوعة لاحتمالات الحرب وأن لا يقدم على إلغـائهـا بهذه البـسـاطة لمجـرد أن وصلته برقية من عبد الحكيم عامر تفيد بأن القوات المصرية تحـولت إلى الهجـوم وأن عليـه أن يأمـر القـوات الأردنية للقيام بعمليات هجومية في جـبـهـتها. وكان من واجبه أن يأخذ بعين الاعتبار آراء القادة الأردنيين الذين وضعوا الخطط الدفـاعية المناسبة لجبهتهم وعاشوا معها آجيالاً. ولا يحق له أن ينفرد برأيه• وينفذ تعليمات القـيـادة العـامة بالقاهرة قبل أن يطلعها على آراء القادة الأردنيين حول هذه الأمور المصرية حـيث من المرجح أن تلك القـيـادة لو اطلعت عليها لكان موقفها مؤيداً لرأي القادة الأردنيين لأنه ينطبق على واقع القـوات الأردنيـة وجـبهتها بشكل أفضل. هذا إذا كانت الانتقادات التي

سمعناها على لسان الكثيرين من القادة الأردنيين كلها كانت تنطبق على واقع الحال بالنسبة لادارة عبد المنعم رياض للمعركة. وليس لدي ما يثبت عكسها. ومهما يكن الأمر فإن الأحداث أخذت تفرض نفسها وتتطور إلى عكس مسارها الصحيح. وبهذا الصدد يظهر أن من أول الاجراءات التي اتخذها الفريق عبد المنعم رياض أنه أصدر أمراً إلى قائد الجبهة الغربية لاحتلال جبل المكبر جنوب القدس ومنطقة جبل سكوبس الذي تقع عليه هداسا والجامعة العبرية شمالها. ولكن الاتجاه تركز بالنتيجة على احتلال جبل المكبر فقط. وقد فتحت المعركة حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً عندما بدأت المدفعية الأردنية بقصف مدينة القدس وغيرها من الأهداف الإسرائيلية الأخرى التي تقع ضمن مرماها. ثم تحركت كتيبة واحتلت جبل المكبر بينما تركت منطقة (سكوبس) بيد العدو واكتفى بقصفها بالمدفعية. ولقد كان هذا الاجراء خطئاً فادحاً. لأن منطقة جبل المكبر ليست لها قيمة حيوية للتأثير المباشر على معركة مدينة القدس مثل منطقة جبل سكوبس وامتداده إلى جبل الزيتون والتي تعتبر هي المنطقة الحيوية المسيطرة والتي يمكن منها تطويق مدينة القدس من الشرق والشمال. وإذا احكم الجيش الأردنى سيطرته على تلك المنطقة يمكنه أن يثبت الاتصال من

الشمال والغرب مع مرتفعات النبي صموئيل – باب الواد – اللطرون. وبالتالي ستصبح امكانية سيطرته على مدينة القدس بكاملها واردة لو تمكن من حشد القوات الكافية لذلك أو على الأقل ضمان الدفاع عن مواقعه الحالية فيها ضد الهجوم الاسرائيلي المتوقع بشكل أفضل والصمود فيها لمدة أطول. وهنا يمكن القول أن الدافع الذي جعل الفريق عبد المنعم رياض أن يركز على احتلال جبل المكبر أولاً ومنذ بدء القتال وترك جبل سكوبس بيد العدو ربما كان نابعاً من أنه كان حتى تلك اللحظة يعتقد أن القوات المصرية كانت تتقدم عبر صحراء النقب باتجاه الخليل استناداً إلى المعلومات التي كانت تصله من القيادة العامة في القاهرة. أو أنه كان يعرف أن القوات المصرية كانت منسحبة ولم يفصح عن ذلك ولكنه أراد أن ينفذ عمليات معينة في الجبهة الأردنية من شأنها أن تخفف الضغط عن جبهة سيناء. وفي كلتا الحالتين فإنه أراد أن يحتل جبل المكبر كخطوة أولى للتقدم بقوات أكبر من خلالها إلى الجنوب للاتصال بالقوات المصرية. وبصرف النظر عن أن تلك القوات كانت بهذه الاثناء تخوض معركة اعاقة وانسحاب باتجاه قناة السويس. وعلى الرغم من أن عبد المنعم رياض ربما لم يكن يعرف هذه الحقيقة آنئذ فإن الأهمية الاستراتيجية لمنطقة جبل سكوبس كانت واضحة بلا جدال. والأهم من هذا كله هو أن منطقة القدس هي مفتاح الدفاع عن الضفة الغربية وليس العكس لأنها تسيطر على عقدة المواصلات الممتدة إلى جميع أنحاء فلسطين من جميع الجهات وبالاضافة إلى هذا فإن أهميتها الدينية تجعل منها أثمن هدف استراتيجي

وحيوي في فلسطين ولذلك فقد كان من الواجب تركيز معظم جهد القوات المسلحة للدفاع عن هذه المدينة والاحتفاظ بمواقعنا فيها على الأقل إن لم نتمكن من احتلالها بكاملها. ولهذا فإنه لا يجوز أن نبدد الجهد في محاولة احتلال أهداف ثانوية لا تؤثر تأثيراً مباشراً على تحقيق الهدف الأساسي. ونظراً لأهمية مدينة القدس الاستراتيجية والدينية فقد كانت الخطط الدفاعية للجيش العربي عبر السنين تستند أساساً على اعتبار منطقة القدس هي الموقع النهائي الذي لا يجوز التخلي عنه بأي حال من الأحوال وفيه تتجمع القوات التي تضطر للانسحاب تحت ضغط المعركة من المناطق الأخرى وتنتظم في دفاعاته مع قواته الأساسية. وفيه تكون الوقفة الأخيرة في القتال لآخر طلقة وآخر رجل. ولتحقيق السيطرة في تلك المنطقة الدفاعية سبق أن وضعنا خطة لاحتلال منطقة جبل سكوبس (هداسا) حالاً عند نشوب الحرب مع إسرائيل وبقيت هذه الخطة ثابتة لدى الجيش العربي الأردني يتسلم مسؤوليتها دوماً اللواء الذي يكون مسؤولاً عن الدفاع عن القدس ويسلمها لمن يخلفه عند نقله. ولا أظن أن قيادة الجيش قد ألغت هذه الخطة حتى النهاية وإذا كانت هذه الخطة ما زالت معتمدة عند نشوب الحرب فإنه لأمر مؤسف أن يصرف النظر عن تطبيقها ويوجه لواء حطين لاحتلال منطقة جبل المكبر (دار الحكومة) وتترك منطقة جبل سكوبس بيد العدو لتقوم بدور فعال في إسناد القوات الإسرائيلية التي تقدمت لاحتلال مدينة القدس في اليوم التالي. والأنكى من هذا أن كتيبة لواء حطين لم تتمكن من الاحتفاظ بجبل المكبر لأكثر من بضعة ساعات حيث شنت القوات الاسرائيلية هجوماً معاكساً عليها قبل أن تتمكن من التثبت في الدفاع وآخرجتها من المنقطة نهائياً

والأمر الثانى الذي أصدره الفريق عبد المنعم رياض بالساعة الثانية عشرة ظهر نفس اليوم كان يقضي بتحريك اللواء المدرع (٦٠) من منطقة حشده في أريحا إلى مدينة الخليل ومنها إلى بئر السبع للاتصال مع القوات المصرية التي كان من المفروض أنها تتقدم شمالاً عبر النقب.

وحوالي الساعة الواحدة ظهراً أصدر أمراً آخر إلى اللواء المدرع (٤٠) ليتحرك من منطقة داميا إلى أريحا ليحل محل اللواء المدرع (٦٠) وبناء على هذه الأوامر فسوف تتم هذه التحركات أثناء النهار. وعندما نعرف أن سلاح الجو الاسرائيلي كان بهذا الوقت قد حول جهده بكامله إلى الجبهة الأردنية وأن طائراته كانت تقصف عمان والمطارات الحربية في الضفة الشرقية ومعظم الأهداف العسكرية المهمة في الضفة الغربية سيتضح لنا مدى المجازفة التي أقدم عليها عبد المنعم رياض باعطائه هذه الأوامر والخطر المهلك الذي ستتعرض له دبابات وآليات هذه الألوية أثناء تحركاتها.

وبتنفيذ هذه الأوامر فقد تعرض اللواء المدرع (٤٠) لاخطار جسيمة لأنه تحرك بكامل قطعاته نهارا فاثارت حركة دباباته سحب الغبار المعتادة في مثل هذه التحركات مما جلب انتباه الطائرات الاسرائيلية التي ركزت قصفها على قوافله بشكل متواصل فاعطبت ودمرت عدداً لا يستهان به من دباباته كما تعطلت أعداد أخرى بسبب شدة الحرارة. وما أن وصل هذا اللواء إلى مواقعه الجديدة حتى تلقى قائده أمراً بالعودة ثانية إلى مواقعه السابقة في منطقة داميا وبعد أن أضاع عدة ساعات ثمينة من الوقت ما لبث أن تلقى أمراً آخر بالحركة إلى منطقة جنين لاعتراض تقدم القوات المدرعة الاسرائيلية المتقدمة من طوباس. وخلال هذه الحركة الأخيرة قامت الطائرات الاسرائيلية بقصف قوافله باستمرار ودمرت معظم الدبابات والآليات الآخرى. أما اللواء المدرع (٦٠) فقد تحرك قائده مع قسم الكشف إلى الخليل بعد آن أصدر أوامره إلى اللواء ليلحق به فيما بعد. وعندما وصل إلى مدينة الخليل وجد أن المعلومات عن تقدم القوات المصرية عبر النقب غير صحيحة ولذلك عاد ادراجه إلى لوائه الذي كان قد تحرك فعلاً إلى الخليل وخسر أعداداً من دباباته بفعل الغارات الجوية. وما لبث هذا اللواء أيضا أن تلقى أمراً بالعودة من طريق الخليل إلى مواقعه السابقة ثم الذهاب إلى القدس لاسناد القوات التي كانت تخوض معارك طاحنه بداخل المدينة. وقد تعرض للغارات الجوية المتواصلة ودمرت بالنتيجة معظم آلياته وعند انتهاء المعارك لم يبق من هذا اللواء سوى (٤٠) دبابة هي التي استطاع قائد اللواء سحبها إلى شرقي نهر الأردن.

هذا هو موجز تقريبي عن الاجراءات الرئيسية التي قامت بها القوات الأردنية خلال اليوم الأول من القتال والتي وجدت أنها أقرب ما أوردته المصادر التي اطلعت عليها تطابقاً مع الواقع.

ولكي نستطيع استكمال وصف المعارك التي خاضتها القوات الأردنية لا بد أن أشرح موجزاً عن العمليات الهجومية التي قامت بها القوات الاسرائيلية مبتدئاً من منطقة القدس (الهدف الرئيسي للمعركة)

معركة القدس :

افتتح الجيش الاسرائيلي هذه المعركة بقصف شديد ومركز على جميع انحاء مدينة القدس في نفس الوقت الذي بدأت فيه كتيبة مشاه من لواء حطين بالهجوم على جبل المكبر. ولكنها ما ان اكملت احتلالها حتى تعرضت لهجوم معاكس شنه عليها لواء مشاه اسرائيلي. وبنتيجة هذه المعركة انسحبت هذه الكتيبة من جبل المكبر نهائياً. وعلى إثر ذلك تحرك اللواء الاسرائيلي

نحـو بلدة صور باهر واحتلها وتمكن من قطع الطريق المؤديه جنوباً الى مدينة الخليل والتي اصـبـحت شـبـه مـعـزولة. ولم يبق للجيش العربي طرق مواصلات مفتوحة لتزويد مدينة الخليل أو ارسال التعزيزات اليها سوى بعض الطرق الوعره عبر المرتفعات الشرقية .

ومـتـزامناً مع هذه الحـركـات بدأ الجيش الاسرائيلي بتطبيق خطته العامة لاحتلال الضفه الغـربية بكاملها. وقد كان هدفه الأول والرئيسي مدينة القدس. وقد كانت المرحلة الاولى لهذه العـمليـة تتـمـثل بتطويق مـدينة القـدس من الغرب والشمال. وذلك باختراق مواقع الجيش الـعـربي في المـرتفـعـات المسـيطرة على طريق تل ابيب ـ القـدس عند باب الواد من منطقـة مـسـتـعـمـرة الخـمـسـه ومن ثم التقدم لقطع الطريق المؤدي من القدس الى رام الله وتجدر الإشـارة هنا الى ان هذه هي الخطة التي كـان الجـيش الاسرائيلي يحاول تطبـيـقـها في جميع عملياته خلال حرب عام ١٩٤٨م كما شرحت ذلك سابقاً .

وقـد تقدم لواء اسرائيلي بعد ظهر يوم ٥ حزيران من منطقة الساحل عبر الطريق الرئيسي مـتـجـهاً الى الشرق وعندما وصل الى المنطقة المقابله لمواقع الجيش العربي بين منطقة الرادار وقرية بيت اكسا انحرف شمالاً وتقدم بهجومه بثلاثة ارتال عبر محاور التلال المؤدية الى تل الرادار والشـيخ عبد العزيز وبيت إكسا. وقد التحمت قواته المدرعه مع مواقع الجيش العربي واخـذت الدبابات تدمـر الخنادق والاسـتـحكامات بضربات مباشرة من مدافعها من مسافات قـريبـة وتتـبـعها قوات المشاه والهندسة لإكمال احتلال تلك المواقع. وقد دارت معارك عنيفة دامت عـدة سـاعـات بذل جنود الجـيش العربي المدافعون عنها جهوداً جباره وابدوا بطولات نادره. وقـد قـاتل مـعظمهم حتى النهاية ونالوا الشهادة رغم تفوق القوات المهاجمة ولاسيما بالدبابات ومع وجـود السـيطرة الجـوية الكاملة بيـد الاسرائيليين وعدم توفر وسائل دفاع جوي فعاله لدى جنود الجيش العربي وعدم امكان وصول النجدات اليهم لم يكن أمامهم إلا أن يقـاتلوا حـتى النهـاية بما لديهم من اسلحـة وذخائر. ولكن على الرغم من كل تضحيات هؤلاء الجنود البـواسل فقد تمكنت القوات الاسرائيلية من اجتياح مواقعهم عند منتصف الليل واسـتمرت في تقدمها عبر طريق اللطرون ـ رام الله التي اصبحت تحت سيطرتها. وفي صباح اليوم التالي ٦ حـزيران احـتلت القـوات الاسرائيليـة منطقة المرتفعات شمال قرية بيت حنينا المقـابلة لمنطقـة تل الفـول ومـعسكر النبي يعقوب الواقع شمال مدينة القدس وسيطرت على طريق القُـدس ـ رام الله ومنطقـة المرتفـعـات المحـيطة بها وفصلتها عن نابلس وهذه المنطقة تعـتبر مـفـتـاح السيطرة على مدينة القدس وطرق الاقتراب المؤدية اليها من الشمال والشرق. وقـد كـانت دومـاً هدف الجـيوش التي تقدمت لاحتلال المدينة في مختلف حقب التاريخ. كما

انها عندمـا امكن تحـصين دفـاعـاتها تحـولت الى قلعـة منيعه يصعب اقتحامها. حيث يمكن لقـوات محدوده تتـمـركـز في جبالها ان تصد هجوم قوات كبيرة حيث تسهل اقامة الحواجز والكمائن والمفـاجـآت ويصـعب على الجـيـوش المهـاجمة ان تقوم بمناورات كبيرة وتحركات واسـعـه. وقـد ارتد عنها المهاجمون الآشوريون والرومان وغيرهم. كما اثبت الجيش العربي الاردني صـحـة هذه النظرية عندما صمد في الدفاع عن جبال القدس واللطرون عام ١٩٤٨م وصـد جميع الهجمات التي شنتـها القوات الاسرائيلية المتفوقة عليه عدداً وعده ومنع سقوط القـدس بايديهم واحـتـفظ بالمناطق الجـبلية الغربية واستمر باغلاق طريق تل أبيب ـ القدس حتى النهاية. أما بهذه المعركة فقد كان مفتاح تحول المعركة لصالح الجيش الاسرائيلي بسرعة مـذهلة هو التـفـوق الجـوي الساحق الذي توفر لديه بعد تدمير السلاح الجوي المصري على الارض خـلال اول سـاعـتين من بدء الحـرب وبمفاجأة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحرب الحـديثـة. وعـدم توفـر أي نوع من الحماية الجـوية لدى الجيش العربي الاردني تمكنه من الصـمـود في المعـركـة التي اصبحت غير متكافئة بأي نسبة معقولة سواء كان ذلك بالنسبة للقـوات البرية أو الدفـاع الجوي مما ادى الى عدم تمكن الجيش الاردني من الصمود والقتال بمعركة دفاعية معقولة لفترة من الزمن .

وقـد كـانت آخـر الحـمـلات التي سبقتنا في التاريخ الحديث هي حملة الجيش البريطاني بقيادة الجنرال اللنبي (General Lord Allenby) اثناء الحـرب العـالمية الأولى عندما دفع بقواته من منطقـة بئر السـبع لاحـتـلال القـدس. وقد كان الجيش السابع التركي المدافع عن جبال القـدس قـد انهكتـه المعارك السابقة فلم يتمكن من الصمود طويلاً بهذه المرتفعات مما مكن القـوات البريطانيـة من احـتـلالها ثم الاندفاع الى الشمال الشرقي لاحتلال بلدة البيره وقطع طريق القـدس ـ نابلس. وعندئذ سـارعت القـوات التركـيـة الى الانسـحاب من مدينة القدس واخلائها بدون قتال تقريباً .

وقـد جمعـتني الصدفة مع الجنرال شي (General J.S.M.Shee) قـائد الفرقة الستين التي قـامت بالجـزء الأكبر من عـمليـة الهجـوم على المرتفـعات الغربيه وتطويق القدس اثناء تلك الحـرب. حـيث حضر الى القدس كسائح في عام ١٩٥٣م عندمـا كنت قائداً للكتيبة الثامنه في مـعسكر النبي يعقوب. واتصل مع متصرف القدس آنذاك المرحوم السيد حسن الكاتب ليطلب منه ان يسهل له امكانية زيارته للمواقع التي كانت مسرح عمليات فرقته في مرتفعات القدس الغربيه عام ١٩١٧م. فاتصل معي السيد حسن لكي يعرف اذا كان ممكنا ان نسمح له بهذه الزيارة فـاجـبـتـه بأننا سنسـمح له ونكرمـه كضيف من المحاربين القدماء واني اعتبر هذه المناسبة فرصة نادرة لاتحدث معه عن تلك الحقبة من التاريخ العسكري لاسيما وان الاحياء

من ابناء جيله ندرة قليلة. وقد استضفت الرجل في معسكري واقمت له حفل عشاء دعوت له عدداً من المسؤولين الحكوميين وضباط الجيش وقد قدر الجنرال (شي) هذا التكريم تقديراً عظيمًا. وقد اصطحبته معي بجولة على جميع المواقع التي كانت اهدافاً لهجوم فرقته وقد شرح لي تفاصيل خطتهم على الارض وانى اجد الكثير من خطة القوات الاسرائيلية بهذه الحرب تشبه عملية هجوم القوات البريطانية من حيث عدم توفر القوات الكافية للدفاع عن جبال القدس وتحويلها الى قلعة دفاعية حصينة بحيث تستطيع قواتنا ان تصمد فيها وتصد القوات المهاجمة وعندما تمكن العدو من اخراج قواتنا من هذه الجبال استطاع اقتحام مدينة القدس واحتلالها بسهولة .

وفي هذا الصدد فقد شرح لي الجنرال (شي) انه عندما وصلت طلائع القوات البريطانية الى البيره ورام الله تقدم هو بفرقته لتطويق القدس من الشمال والشرق واحتل منطقة تل الفول وجبل سكوبس (الذي بنى عليه فيما بعد مستشفى هداسا والجامعه العبريه) ثم تقدم الى جبل الزيتون حيث واجه مقاومة عنيفة تمكن من التغلب عليها بهجوم بالسلاح الأبيض. ثم وجد ان الجيش التركي قد اخلى المدينه نهائياً. ثم جاء رئيس بلدية القدس وسلمه مفاتيح المدينة بعد ظهر يوم ٩ كانون اول عام ١٩١٧م. وبتاريخ ١١ كانون اول دخل الجنرال اللنبي الى مدينة القدس رسمياً. وقد قلت الى الجنرال (شي) أثناء هذا الحديث انه عليه ان يعيد مفاتيح القدس الي الآن بصفتي مسؤولاً عن الدفاع عنها فاجابني ضاحكاً بانه سلمها الى الجنرال اللنبي يوم دخوله القدس .

لقد ذكرت هذه القصة الطريفة لأن لها علاقة بالقدس التي خسرناها بسبب التخاذل والتفرق والضياع الذي لازم الدول العربية على مر الزمان وليس بسبب تقصير جنودنا وضباطنا في القتال او عدم اقدامهم على اقتحام الاهوال للدفاع عنها وعن أي جزء من الوطن العربي. ولا لأن الجيش الاسرائيلي اسطورة لا يقهر. فلو قارناه جندياً بجندي لتفوقنا عليه باستمرار. ولكن عجزنا عن تحقيق وحدة امتنا وعن تكتيل قدراتها وجهودها وحشدها مجتمعة في المعركة. وتقصيرنا بتوفير احدث ما تتطلبه آلة الحرب من الاسلحة المتطورة التي تضاهي ما بحوزة عدونا هي الأسباب الحقيقية لهزائمنا المتلاحقة في جميع الحروب التي خضناها حتى الآن مع اسرائيل .

والآن لنعد الى استكمال قصة احتلال مدينة القدس. ففي نفس الوقت الذي تقدمت فيه القوات الاسرائيلية لمهاجمة مرتفعات الرادار وباب الواد تقدم لواء مشاه آخر من منطقة اللد واحتل مواقع الجيش العربي في اللطرون. وبهذا اصبحت طريق اللد ـ اللطرون الى رام الله

بكاملها تحت سيطرة الجيش الاسرائيلي. وهنا يجب ان نتذكر انه عندما كانت المعارك محتدمة في القدس وحولها خلال اليوم الاول من الحرب كانت الطائرات الاردنية تقوم ببعض الهجمات على الاهداف الاسرائيلية وتواجه وحدها سلاح الجو الاسرائيلي الذي اصبح الآن يمتلك السيطرة الجوية التامه وقد تمكن في نهاية هذا اليوم من تدمير جميع الطائرات الاردنية وعددها (٢١) طائرة ثم حول جهده الى الاهداف العسكرية الاخرى واهمها ارتال القوات المتقدمة على طريق اريحا ـ القدس حيث كان اللواء المدرع (٦٠) قد اعيد من رحلته الى الخليل وامر أن يتحرك الى منطقة الخان الاحمر شرق القدس لمساندة القوات المقاتلة فيها والتي كانت تتعرض الى ضغط شديد من القوات الاسرائيلية المتفوقة عليها والتي اخذت تحيط بالمدينة وتحتل المواقع الحيوية الاستراتيجية حولها وقد خسر هذا اللواء بنتيجة هذه الغارات عدداً كبيراً من دباباته .

كما يجب ان نتذكر انه بهذه الاثناء كان اللواء المدرع (٤٠) قد اعيد من رحلته الى اريحا وأمر ان يذهب الى منطقة جنين لايقاف تقدم الدبابات الاسرائيلية عبر ذلك المحور. وقد كان هذا اللواء ايضاً يتعرض لقصف جوي عنيف وخسر الكثير من آلياته ودباباته. وبهذه الاثناء كذلك قام العدو بتكثيف قصفه الجوي على قيادة الجبهة الغربية التي اخذت كما يظهر تفقد السيطرة على ادارة القتال في مختلف القطاعات نظراً لضعف جهازها وعدم كفاية فروع القيادة اللازمة لحجم القوات التي وضعت بامرتها وهي سبعة الوية وتزيد وهذه تعادل فرقتين كاملتين ولذلك فهي تحتاج الى قيادة تعادل قيادة فيلق لكي تستطيع إدارة هذه المعارك بشكل فعال. وبسبب فقدان السيطرة الفعلية من قبل قيادة الجبهة الغربية اخذ قادة الالوية يديرون معاركهم بشكل مستقل ويتخذون قراراتهم لوحدهم. وفي احيان كثيرة كانت تصدر لهم الاوامر والتعليمات من القيادة العامة مباشرة. وهذا معناه ان دور قيادة الجبهة الغربية قد تضعضع منذ اليوم الاول من القتال وبقي هكذا حتى صدرت لها الاوامر من القيادة العامة بالانسحاب الى الضفة الشرقية في اليوم الثانى من القتال كما ورد في مصادر معلوماتى التي اطلعت عليها ولم اعثر على ما يثبت عكسها بأي مصدر موثوق. وكما يبدو فإن أوامر الانسحاب التي كانت تصدر من القيادة العامة كانت تلغى في بعض الحالات بعد صدورها والبدء في تنفيذها استناداً الى اعلان قرارات مجلس الامن الدولي التي كانت تقضي بوقف اطلاق النار وتعاد ثانية الى مواقعها ثم عندما يظهر أن العدو لم يتقيد بوقف اطلاق النار تضطر القيادة العامة الى الغاء اوامرها السابقة وتأمر القطعات المختصة بها ان تنسحب من جديد لان بقاءها في مواقعها السابقة مع استمرار القتال يصبح مستحيلاً وفي بعض الحالات كانت القطعات المعنيه بهذه الاوامر تضطر الى العودة من الطريق لأنها تكون قد

بدأت فعلاً بالانسحاب بعد صدور الامر الأول. وقد كانت هذه الحالة مصدراً رئيسياً لفقدان السيطرة واشاعة البلبله بين الوحدات مما زاد في تعقيد مهمة هذه القوات المنسحبة بشكل يجعلها تفقد السيطرة على قطعاتها وخصوصاً بالنسبة لقيادات الألوية. وقد تسبب هذا الوضع بانعكاسات خطيرة على سير المعارك وشكل ضربة قاسية لمعنويات الجنود في اخطر مرحلة من مراحل القتال .

أما لماذا لم تطبق خطتنا القديمة التي كانت تتطلب تركيز القوات في الدفاع حول القدس كآخر مرحلة لايجوز التراجع عنها مهما كان الثمن فهذا أمر ربما وجد القادة المسؤولون تفسيراً له .

ولكن بهذه الاثناء عندما كانت المعارك محتدمة في مرتفعات باب الواد بعد ظهر اليوم الاول من القتال فقد كانت قطعات الجيش العربي الاخرى في القدس والخليل موزعة كما يلي.

١ ـ لواء المشاه (٢٧) ـ يتولى الدفاع عن مدينة القدس في الداخل

٢ ـ اللواء الهاشمي ـ يتولى الدفاع عن الضواحي الشمالية لمدينة القدس وقرية شعفاط ومعسكر النبي يعقوب

٣ ـ كتيبة دبابات ـ في الاحتياط شرقي مدينة القدس

٤ ـ لواء حطين ـ للدفاع عن منطقة بيت لحم والخليل. وقد قامت قطعات هذا اللواء باحتلال جبل المكبر بعد ظهر ذلك اليوم ولكنها خسرته بنتيجة هجوم العدو المعاكس

خلال هذه الفترة طلب قائد اللواء ٢٧ من القيادة العامة ارسال قوات إضافية لنجدة القدس وتم تحريك لواء مشاه مع بعض الوحدات المدرعه عن طريق اريحا ـ الخان الاحمر ولكن هذه القوة تعرضت لغارات جويه متواصلة وخسرت الكثير من آلياتها ولم تتمكن من الوصول الى مدينة القدس بالوقت المناسب .

وبعد ظهر ذلك اليوم حرك الاسرائيليون لواء مظلي للقيام بالهجوم الرئيسي على مدينة القدس في الوقت الذي كانت قواتهم تحاول اختراق دفاعات الجيش العربي في منطقة باب الواد. وقد تجمع هذا اللواء المظلي في منطقة مشيرم وسنهادريا غربي حي الشيخ جراح استعداداً للهجوم. وقبيل منتصف ليلة ٦/٥ حزيران بدأت القوات الاسرائيلية بقصف المدينة بنيران كثيفة من المدفعية الثقيلة مستعينة بانوار الكشافات القوية التي كانت قد وضعتها مسبقاً في منطقة جبل سكوبس (هداسا والجامعه العبريه) التي كانت من المفروض أن يحتلها

الجـيش العـربي عند بدء الحـرب بدلاً من تبـديد الجهد في احتلال جبل المكبر جنوب القدس بدون فـائدة جـوهرية. وقـد كـانت هذه الكشـافـات تضيء جميع الاهداف المهمة في الاحياء العـربيـة مما سـاعـد الى حـد كبير ضباط ملاحظة المدفعية الاسرائيلية على تحقيق الاصابات المباشرة في مواقعنا بكل دقة .

وفي تمام الساعة الثانية صباحاً يوم ٦ حـزيران اجتازت القوات الاسرائيلية خط الهدنة في المنطقـة الواقـعـة بين بوابة (مندلبوم) ومركز بوليس الشيخ جراح تتقدمها الدبابات وتزحف خلف سـتـار كـثـيف من نيران المدفـعـيـة بمختلف الاحجام. وكانت قوة الهجوم هذه تتقدم بكتـيـبـتين في الأمام أحداهما هاجمت مركز البوليس والاخرى تقدمت عبر حي الشيخ جراح وتقـدمت الكتيبة الثالثة خلفهما. وقد احتدم قتال عنيف استمر عدة ساعات استبسل خلالها جنود الجـيش العـربي وقـاتلوا بشـجاعة منقطعة النظير من خندق الى خندق ومن غرفة الى غـرفة وبالسلاح الابيض في معظم الاحيان ولم يتخلوا عن موقع واحد بدون قتال عنيف وقد اوقـعـوا بالقـوات الاسرائيليـة خـسـائر كبيرة ولكن الاسرائيليين قاموا عند الفجر بدفع كتيبة جـديدة تسندها الدبابات عبر الطرف الجنوبي من حي الشـيخ جـراح باتجـاه بناية المتـحف وبمواجهة الاسوار عند باب العمود .

وعند الظهيرة تمكنوا من احـتلال المنطقة الواقعة بين البلده القديمة ومنطقة جبل سكوبس (هداسـا والجـامـعه العبريه). وقد تمركزت قواتهم على تلال (سكوبس) والاوغستا فكتوريا. ثم في منطقـة وادي الجـوز والشـيخ جـراح. وبهذا الشكل اصـبـحت قـوات الجـيش العربي المدافـعــه عن المدينة موزعة في ثلاثة جيوب منفصلة عن بعضها. قسم منها في البلدة القديمة داخل الاســوار وقـسم في تلة شـعفاط في الطرف الشمـالي من المدينة والقسم الثالث في منطقة الاوغستا فكتوريا .

وبهذه الاثناء بدأ الجـيش الاسرائيلي بتنفيذ المرحلة النهائية لاحتلال القدس القديمة وكانت الخطوة الاولى من هذه المرحلة تتـمـثل باحـتلال باقي تلال الاوغستا فكتوريا وجبل الزيتون المقـابله لجـبل سكوبس مـبـاشرة من جـهـة الجنوب. وهنا تظهر فداحة الخطأ الذي ارتكبته القـيـادة العـامـة في بداية المعـركـة في اليوم السابق عندما تركت منطقة سكوبس بيد اليهود ووجـهت لواء حطين لاحـتلال جبل المكبر كما اسلفنا . وعندما وجد قائد اللواء ٢٧ ان النجدة التي طلبـهـا تعـرضت أثناء حـركـتها الى غارات جوية مدمره ولم يعد بامكانها ان تصل الى القدس واتضح له ان موقفه اصبح ميئوساً منه قرر الانسحاب من المدينه وتمكن من سـحب معظم قواته قبل ان يتمكن العدو من اغلاق جميع المنافذ وطرق الانسحاب نهائياً .

وفي الساعة الثامنة من صباح يوم الاربعاء ٧ حزيران بدأ العدو هجومه النهائي بثلاثة كتائب يدعمها قصف مدفعي وجوي كثيف على محورين. فتوجهت كتيبتين تدعمهما الدبابات لاحتلال مُنطقة (الاوغستا فكتوريا) قادمة من منطقة هداسا (جبل سكوبس) وتوجهت كتيبة من منطقة المتحف بمحاذاة السور لتدخل المدينة القديمة من باب الاسباط. وبعد معركة محدودة تمكن العدو من احتلال (الاوغستا فكتوريا) وجبل الزيتون ثم دخلت كتائبه المدينه القديمة. وبتمام الساعة العاشره من صباح يوم الاربعاء بتاريخ ٧ حزيران عام ١٩٦٧م دخلت القوات الاسرائيلية الى منطقة الحرم والصخره المشرفة ثم أكملت بعد ذلك احتلال القدس .

وبعد احتلال المدينة القديمة استمرت قوات العدو بالتقدم جنوباً نحو مار الياس واحتلت مدينتي بيت لحم والخليل .

وبهذا المشهد المحزن اسدل الستار على معركة القدس نهائياً .

معارك جنين ونابلس :

كانت قوات الجيش العربي بهذه المنطقة موزعة على النحو الآتى :

١ – اللواء الخامس والعشرين مع كتيبة دبابات : ـ في منطقة جنين ومسؤوليته الدفاع عن منطقة جنين وحماية طرق الاقتراب المؤدية منها جنوباً وإلى منطقة نهر الأردن من طوباس شمالاً.

٢ – لواء الأميرة عالية مع كتيبة دبابات : ـ في منطقة نابلس ومسؤوليته الدفاع عن مدينة طولكرم وقلقيلية وحماية طرق الاقتراب المؤدية من منطقة الساحل نحو الشرق.

٣ – اللواء المدرع الأربعين : ـ في الاحتياط الرئيسي بمنطقة جسر داميا

في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الأثنين ٥ حزيران وهو اليوم الأول للقتال بدأت القوات الاسرائيلية بعبور خط الهدنة مقابل مدينة جنين وكانت تتألف من لواء مدرع ولواء مشاة وتقدمت على محورين كالآتى.

أ – المحور الأول. ـ باتجاه بلدة يعبد الواقعة جنوب غرب مدينة جنين.

ب – المحور الثانى ـ باتجاه مدينة جنين ذاتها.

وبنفس الوقت شن العدو هجوماً ثانوياً باتجاه الجنوب لتهديد منطقة جسر داميا وكانت

خطة العـدو ترتكز أسـاساً على حركة التفاف واسعة حول مدينة جنين بهدف الاستيلاء على التلال المسيطرة عليها من جهة الجنوب. وضمن هذه الحركة وصلت قوته المدرعة بسرعة إلى مواقع المدفعية الأردنية. وبعد معركة محدودة تمكنت من التغلب عليها. ثم تقدم الرتل المدرع الاسرائيلي نحـو قـبـاطيـة . وبهذا الاجـراء تمكن من عزل مدينة جنين عن مدينة نابلس. وفي منطقـة سـد قباطية دارت معركة دبابات عنيفة بين الطرفين حاولت الدبابات الأردنية أثناءها القـيام بعملية تطويق مزدوج (Double envelopment) ضـد الـرتل المدرع الإسرائيلي. ودارت هناك مـعـركـة دبابات عنيـفة أثناء الليل ثم شن الرتل الاسرائيلي هجوماً معاكساً ضد عملية التطويق المزدوج الأردنيـة وتمكن بالنتـيجة من تفريقها وكسر الطوق. وبعد ذلك عاود تقدمه نحو جنين. ولكنه اصطدم أثناء تقدمه بمنطقة تجمع مدافع أردنية ضد الدروع تدعمها سرية دبابات وبهذه المنطقـة خسر العـدو عـدداً من دباباته وبنفس الوقت شنت دباباتنا هـجـومـاً مـعـاكـسـاً آخـر ضـد القـوة الاسرائيليـة المتـقدمة وقد أبدى جنودنا بسالة فائقة أثناء هذه العمليات في وجه القوات الاسرائيلية التي كانت متفوقة عليها.

وبعـد هذه المعـركـة تحـرك قـسم من القـوات الاسرائيلية لاحتلال التلال الواقعة جنوب شرقي مـدينة جنين بينما كـانت قوة أخرى تهاجم التلال الواقعة جنوب غربي المدينة وبهذه الاثناء كـانت قـوة مـتـقـدمة قد وصلت إلى مركز بوليس جنين الواقع في الطرف الغربي من المدينة .

ولما كـان اللواء المدرع الأربعين قـد تحـرك من جسر دامـيـا باتجـاه جنين تحركت القوة الاسرائيليـة المدرعـة من جنين مـرة ثانية باتجاه قباطية لاعتراض هذا اللواء بينما استمر لواء المشـاة الاسرائيلي الآخـر باسـتكمال احـتـلال مـدينة جنين نفسها. وفي منطقة قباطية دارت مـعـركـة بين دروع اللواء الأربعين واللواء المدرع الاسرائيلي وأثناء هذه المعـركة تمكنت قواتنا من تطويق كـتـيـبـة اسـتطلاع اللواء الاسرائيلي بكاملهـا. وقـد صـدت دروعنا عدة هـجمات مـعـاكـسـة اسرائيليـة طيلة النهـار. ثم اسـتمر القتال طوال الليل حيث تمكنت كتيبة مدرعة اسرائيليـة من الالتـفـاف حـول الطوق الذي كونته دروعنا وبعد قتال عنيف تمكنت من فتح ثغـرة في تلك المواقع خـرجت منهـا الكتـيبة الإسرائيلية المطوقة والتحقت مع قواتها الرئيسـية. ولكن مـعـركـة الدروع هذه اسـتـمـرت في تلك المنطقـة عـدة ساعات تمكن اللواء الإسرائيلي بنتيجتها من اختراق دفاعاتنا وتقدم باتجاه مدينة نابلس.

وبينما كان القتال على أشده في منطقة جنين تقدم لواء مدرع اسرائيلي آخر من شرق جنـين عبر طريق جنين – طوباس لمهـاجمة نابلس من جـهـة الشرق وأثناء هذه الحركة اشتبك مع

دروعنا طيلة النهار وكان أعنف هذه الاشتباكات ذلك الذي وقع في منطقة الزبابدة حيث كانت مواقعنا الدفاعية تحتل الأراضي المرتفعة المسيطرة على الطريق والوادي المحاذي لها وقد دارت المعركة الحاسمة أثناء الليل حيث أرسل الإسرائيليون وحدة صغيرة من الدبابات لكي تشاغل دباباتنا بالنيران لكي تكشف مواقعها بوساطة ومضات قذائفها وعندئذ تقوم الطائرات الإسرائيلية بقصفها.

وهكذا وبعد حلول الظلام قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف سرية. الدبابات الأردنية وأصابت عدداً منها ودمرتها. وعندئذ شن الإسرائيليون هجوماً معاكساً على مواقعنا وتمكنوا من الوصول إلى قرية (عكابا) ثم تقدم لواؤهم المدرع واحتل مدينة طوباس. وبعد ذلك ركزوا معظم دباباتهم على الطريق المؤدي إلى جسر دامية وتقدموا بالباقي نحو مدينة نابلس، وعندما وصلت قوتهم المدرعة إلى مشارف نابلس من الشرق لم تواجه في تلك الدفاعات سوى وحدات المشاة لأن دروعنا المخصصة لتلك المنطقة كانت كلها منتشرة على طرق الاقتراب غرب المدينة وحوالي طولكرم ربما على افتراض أن الدروع ألإسرائيلية التي ستهاجم نابلس سوف تأتى من تلك الجهة وربما لأسباب أخرى. ولكن على أي حال فإن ترك منطقة الاقتراب من جهة الشرق إلى مدينة نابلس بدون قوة مدرعة أو حماية فعالة ضد الدروع كان خطأ فاحشاً لأن القوات الاسرائيلية المتقدمة من الشمال والشرق تمكنت من الوصول إلى مدينة نابلس بسهولة نسبية. والأمر المذهل أنه عندما دخلت الدروع الإسرائيلية إلى مدينة نابلس اعتقد السكان أنها دبابات عراقية لأن الجنود اليهود كما يظهر كانوا يرتدون لباس راس يشبه اللباس العراقي فاصطفوا في الشوارع وأخذوا يصفقون لتحية الجنود العراقيين. ولكنهم عندما اكتشفوا الحقيقة حاولوا المقاومة بالأسلحة الخفيفة المتيسرة لديهم. واستمر اطلاق النار حوالي ستة ساعات وجرت اشتباكات محدودة بمختلف أرجاء المدينة كما اشتبكت دباباتنا المتواجدة في مداخل نابلس الغربية مع الدبابات الاسرائيلية. وبهذه الاثناء أدخل الإسرائيليون لواء مشاة آخر إلى مدينة نابلس حيث تمكن من اتمام احتلالها مساء يوم ٦ حزيران ١٩٦٧م.

العمليات في منطقة وادي الأردن :

على الرغم من أن الجيش الإسرائيلي احتل مدينة نابس مساء يوم ٦ حزيران إلا أن اللواء المدرع الأربعين ولواء المشاة الخامس والعشرين المتواجدين في منطقة قباطية استمرا بالقتال. وفي صباح يوم ٧ حزيران شن الإسرائيليون هجوماً مضاداً تسنده موجات متلاحقة من الطائرات التي كانت تغير باستمرار على تلك المنطقة وبنفس الوقت تقدم لواء اسرائيلي من

قلقيلية باتجاه نابلس. وهكذا أصبحت قوات الجيش العربي المتواجدة في منطقة قباطية مهددة من الشمال والجنوب. وعندئذ بدأت تنسحب شرقاً نحو جسر داميا. ولكن بهذه الأثناء وبينما كانت القوات الإسرائيلية التي احتلت رام الله تزحف شمالاً باتجاه نابلس تقدمت قوة مدرعة أخرى من منطقة نابلس واحتلت منطقة جسر داميا. بينما كانت قوات مدرعة اسرائيلية أخرى قد تقدمت من منطقة القدس ودخلت أريحا واحتلت جسر الملك حسين وبهذا أصبح الجيش الإسرائيلي يسيطر على الجسور الثلاثة على نهر الأردن واحكم سيطرته على الضفة الغربية بكاملها. وبما أن هذه الجسور كانت قد دمرت نهائياً من قبل سلاح الجو الإسرائيلي لم يكن بالإمكان سحب معظم الدبابات والآليات الأردنية التي لم تدمر بالمعركة.

وهنا أحب أن أشير إلى أن اللواء الثامن الآلي من القوات العراقية دخل الحدود الأردنية في الساعات الأولى من صباح يوم ٤ حزيران عند محطة الاجفايف للاشتراك في الحرب. ولدى مراجعة قائده العقيد الركن حسن النقيب مركز القيادة المتقدم تلقي أمراً أن يواصل سيره على طريق المفرق – جرش – جسر داميا إلى موقع حوارة في منطقة نابلس. وعندما وصل هذا اللواء إلى منطقة وادي الأردن صدرت إليه تعليمات جديدة لاحتلال مواقع دفاعية في منطقة مثلث المخروق لمنع اختراق العدو على محور طوباس داميا. وقد تعرض لقصف جوي شديد ولكنه تمكن من اسقاط أربع طائرات للعدو وإصابة اثنتين.

وبهذه الاثناء كانت الجمهورية العراقية تدفع بتشكيلات من قواتها البرية باتجاه الجبهة الأردنية على الطريق بين بغداد والمفرق. وفي الساعة ١٧٠٠ يوم ٦ حزيران وصل جحفل لواء المشاة الأول إلى الاجفور وخلفه كل من جحفل لواء المشاة السابع والعشرين واللواء المدرع السادس.

وبالساعة ١٨٣٠يوم ٦ حزيران وصل لواء سعودي ناقصاً فوج إلى منطقة المدورة ولكن الحرب انتهت عند هذا الحد دون أن تشترك هذه القوات فيها[1]

وهكذا أسدل الستار على هذه المأساة في الجبهة الأردنية في تمام الساعة الثامنة مساء يوم الأربعاء ٧ حزيران عام ١٩٦٧م عندما وافقت كل من الأردن وإسرائيل على قبول وقف اطلاق النار الذي صدر عن مجلس الأمن الدولي في تلك الليلة. وقد قدرت خسائر الأردن بهذه الحرب كما يلي:

---

(١) انظر الصفحات ٢٦، ٧٢، ٧٩، من كتاب حرب حزيران ١٩٦٧م تأليف اللواء الركن المتقاعد يوسف كعوش .

شهداء	جرحى	أسرى حرب	مفقودين
٥٨٠	٣٥١	٥٣٠	حوالي (٢٠٠٠)

وهم من الضفة الغربية ذهبوا إلى قـراهم كما خسر الجـيش الأردنى معظم دباباته وآلياته المختلفة ومدافعه الثقيلة وأكداسا كبيرة من الذخائر.

بينما قـدرت اسرائيل خسائرها رسمياً في الجبهة الأردنية ٢٨٥ قتيل من أصل ٧٦٤ قتيل هم مجموع خسائرها في هذه الحرب في جميع الجبهات ولم أعثر على معلومات تدحض هذه التقديرات من قبل الأطراف المتحاربة.

الجبهة السورية :

من الغـريب أن سـوريا لم تشـتبك في المعارك البرية على نطاق واسع طيلة الأيام الاربعة الأولى عندمـا كـانت القوات الاسرائيلية في أعماق سيناء وتقوم باحتلال الضفة الغربية وكانت القـوات الأردنيـة والمصرية تخوض مـعـارك يائسـة في مختلف مـواقعها. وقد اقتصر التدخل السـوري على غـارة جـوية على مـصـافي النفط في حيفا في اليوم الأول والتي على أثرها تمكن سلاح الجو الإسرائيلي من تدمير معظم الطائرات السورية.

وقـد يصـعب على المرء تفـسير مـعنى بقـاء القوات السورية ساكنة دون أن تقدم الدعم الفـعلي للقوات الأردنية التي كانت تخوض معارك شرسة مع القوات الإسرائيلية المتفوقة عليها تفـوقـاً واضـحـاً بالعـدد والعـدة رغم أن سـوريا كانت عضواً في القيادة المشتركة مع مصر والأردن وقـد اقـتصرت مساعدة سوريا على تحريك لواء المشاة (١٧) الذي وصلت طلائعه إلى الحـدود عند الرمـثا يوم ٧ حـزيران بعـد أن كـانت الضفة الغربية قد احتلت بكاملها ثم وصل هذا اللواء إلى البـقـعة شمال صويلح يوم ٨ حـزيران ثم مـا لبثت القيادة السورية أن أمرته بالعودة إلى سوريا دون أن يشـترك بأي قتال[1] .

طبـعـاً أنا لا أدعي أن العون العسكري السوري كان سيتمكن من صد القوات الإسرائيلية المهـاجمة لأن المعـركـة على أي حال كانت قد حسمت لصالح اسرائيل منذ صباح اليوم الأول بعـد أن نجح سـلاحها الجوي بتدمير السلاح الجوي المصري بكامله. ولكنه ربما كان يمكن أنْ يسـاعـد على تركـيز الوضـع العام في الجبهة لو أحسن استغلاله لكسب المزيد من الوقت قـبل أن يسـتـولي الجيش الإسرائيلي على الضفة الغربية بكاملها. ولكن المهم هنا أن نعرف أن

---

(١) انظر صفحة ٧٨، من كتاب حرب حزيران ١٩٦٧م تأليف اللواء الركن المتقاعد يوسف كعوش

الجبهة السورية بقيت ساكنة حتى يوم ٩ حزيران بعد أن أصبح وقف إطلاق النار على الجبهتين الأردنية والمصرية ساري المفعول. وعندما بدأت اسرائيل هجومها على مرتفعات الجولان وعلى أي أي حال ومهما كانت تفسيرات وأراء المحللين السياسيين والعسكريين فإن القوات الإسرائيلية لم تبدأ الهجوم على سوريا إلا بعد أن تأكدت من خروج القوات الأردنية والمصرية نهائياً من الصراع. لأن خطتهم الأساسية كانت قد وضعت على أساس ضرب الجيوش العربية الثلاثة كل بمفرده الواحد تلو الآخر وقد نجحوا في تطبيقها نجاحاً تاماً.

أما توزيعات القوات السورية فقد كانت ثلاثة ألوية مشاة في الخطوط الأمامية وثلاثة الوية أخرى في المواقع الخلفية. وكان كل لواء مشاة يضم كتيبة دبابات ومجموعة من المدافع المحمولة ذاتياً بالإضافة إلى كتائب المشاة.

أما الألوية المدرعة فكان يتمركز قسم منها بين القنيطرة وجسر بنات يعقوب والقسم الآخر في منطقة القنيطرة نفسها.

وفي صباح يوم الجمعة ٩ حزيران بدأت القوات الإسرائيلية هجومها على منطقة هضبة الجولان تسبقها الغارات الجوية المكثفة التي كان يشنها سلاح الجو الإسرائيلي على جميع المواقع السورية. وقد كان الهجوم الرئيسي موجهاً ضد الجزء الشمالي من الهضبة في منطقة تل العزيزات بهدف فتح الطريق عبر بانياس ومنحدرات جبل الشيخ التي تؤدي بدورها إلى طريق مسعدة – القنيطرة من الشمال. وبنفس الوقت قام الاسرائيليون بشن عدة هجمات ثانوية على المواقع السورية في منطقة (دردرة – تل هلال – الدرباشية) شمال جسر بنات يعقوب. وهنا لا بد من الإشارة إلى قوة المواقع الدفاعية والتحصينات السورية التي تم بناؤها في هذه الجبهة من الأسمنت المسلح وحفرت بداخل الجبال الصخرية بحيث تتسع لتركيز الأسلحة الثقيلة والمدفعية بداخل الاستحكامات والكهوف والسراديب الجبلية وقد بذل السوريون جهوداً جبارة في بناء هذه التحصينات على مر السنين وتحويل هضبة الجولان إلى قلعة دفاعية حصينة. وكان الاعتقاد السائد في تلك الأيام أنه يكاد يكون من المستحيل على أي عدو اختراقها. كما صرف السوريون مبالغ طائلة في عملية بنائها تزيد عن عشرين مليون دولار في تلك الأيام. وقد تم تصميم هذه الاستحكامات بحيث تكون متساندة ومتعاضدة بحماية متبادلة من مختلف أنواع الأسلحة الثقيلة والخفيفة. وإذا ما أضفنا إلى عامل قوة التحصينات عامل وعورة المنحدرات الجبلية وقلة طرق المواصلات فيها وخصوصاً شدة انحدارها من جهة الغرب نحو بحيرة طبريا بحيث لا يمكن للآليات أن تجتازها بدون جهد هندسي ضخم وتحضير مسبق. وهذا أمر ليس من السهل القيام به أثناء

عـمليـة الهجـوم. ومع ذلك فـقـد حـشد الاسرائيليون جهداً هندسياً ضخمًا وعدداً كبيراً من الجـرافـات المـجـنـزرة وتمكنوا من التـغلب على هذه الصـعـوبة. وعلى الرغم من أن القـوات السـورية المدافـعة عنها صمدت في مواقعها وقاومت الهجوم الاسرائيلي مقاومة عنيدة إلا أنها انسـحبت بسرعة بعد أن شعرت باحتمال وصول القوات الاسرائيلية إلى القنيطرة لكي تتجنب احـتمال تطويقـها في مواقعها الأمامية. وقد كان هذا الاعتقاد خاطئاً وخطيراً. حيث كان مبنياً على اشـاعة ترددت فجأة كان مفادها أن القوات الاسرائيلية قد وصلت إلى القنيطرة وثبت أنها اشـاعة كاذبة ولكن بعد فوات الأوان حيث أن القوات السورية كانت بذلك الوقت قد انسحبت من مـواقـعها الحصينة في الجولان وبهذا الانسحاب أصبحت الطريق أمام القوات الاسرائيلية مـفـتـوحة إلى دمشق إذ لم يبق أمامها سوى السهول المنبسطة الخالية من أية مواقع دفاعية مـهمة. بينما لو صمدت القوات في مواقعها الأمامية الحصينة في هضبة الجولان فإنه سيكون بإمكانها إيقـاف زخم الهجـوم الاسرائيلي من ذلك المحـور عند تلك المواقع ولو لفترة معقولة. أمـا في المنطقـة الشماليـة من الجـولان فقد كانت عقدة الدفاعات في منطقة تل العزيزات التي كـانت جميع تحـصيناتها مبنية من الأسمنت المسلح ومنها تسيطر بالنيران على جميع أنحاء المنطقـة الشماليـة الشرقـيـة لوادي الحوله. ولكي يتمكن المهاجم من احتلالها يترتب عليه أن يقـوم بحـركـة التـفـاف طويلة حـولها لكي يستطيع احتلال الدفاعات الواقعة خلفها أولاً ثم يهاجمها من الخلف بعد ذلك. ولكي يضمن المهاجم النجاح بهذه الحركة يترتب عليه أن يحتل مـوقع (تل الفـاخـر) الذي كـان محصناً تحـصـيناً قـوياً ومحمياً بحقول الألغام والأسلاك الـشـائكـة والاسـتـحكامـات القـوية. كما كـانت تحـيط به مـواقع المدافع المضـادة للدروع والرشاشات الثقيلة.

وعندمـا بدأت القـوات الاسرائيلية هجومها على هذا الموقع واجهتها القوات السورية بنيران فـتـاكـة ودارت مـعـركـة شرسة خسر الإسرائيلون خلالها خسائر ضخمة واشتبك الطرفان بالسـلاح الأبيض. وبالنتـيـجة أبيدت معظم القوة الإسرائيلية التي هاجمت الموقع الأول. وعند الهـجـوم عـلى المـوقع الثـانى خسرت القـوة الاسرائيليـة المهـاجمة عـدداً كـبيراً من جنودها وضـباطها. ولكن رغم هذه الخسائر فقد واصل اللواء الاسرائيلي هجومه على موقع تل الفاخر وأحضر قـوات إضـافـيـة من الدروع وكتيبة استطلاع آلية. واستمر القتال العنيف حول هذا الموقع طيلة النهـار. وفي الساعة السادسة مساء تمكن اللواء الاسرائيلي من احتلال تل الفاخر بعـد مـعـركة تعتبر من أشد المعارك عنفاً. ثم استمر هذا اللواء بعد أن انضمت إليه تعزيزات اضـافـيـة من المشـاة والدبابات بالهجوم على تل العزيزات من الخلف. واستمر القتال في هذا

الموقع حتى حلول الظلام حيث تمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال تل العزيزات ثم واصلت تقدمها باتجاه بانياس.

وبهذه الاثناء كان لواء اسرائيلي مدرع آخر يتقدم باتجاه (قالا) و(الزاعورة) تتقدمه الجرافات المدرعة ووحدات الهندسة وأخذ يصعد المرتفعات الحادة. وتحت وابل كثيف من نيران المدفعية السورية استمر بتقدمه ورغم أنه قد تم تدمير جميع الجرافات وعدد كبير من الدبابات المرافقة للمشاة فقد استمر العدو بتقدمه ودامت الاشتباكات العنيفة عدة ساعات. وتشبث السوريون بمواقعهم وثبتوا تحت ضغط الغارات الجوية المكثفة والقصف المدفعي الشديد وكبدوا القوات الإسرائيلية خسائر فادحة. ولكن الاسرائيليين أعادوا تنظيم قواتهم بسرعة وعززوها بوحدات مدرعة جديدة. وقاموا بشن هجوم مركز جديد. وعندئذ انسحبت القوات السورية تحت ضغط هذا الهجوم. وبحلول المساء كان الاسرائيليون يسيطرون على قمم المرتفعات في الجولان الشمالي أما في الجنوب فقد تقدمت قوة اسرائيلية مؤلفة من لوائي مشاة وعبرت نهر الأردن من منطقة مستعمرة (مشمارهاياردن) واحتلت قرى الاربشيه وجلبينا ودردره وبهذه الحركة فتحت الطريق أمام اللواء المدرع الذي عبر من هذا المحور إلى المرتفعات المقابلة واحتل قرية (الروية). وبنفس الوقت تقدمت كتيبة من المظليين واحتلت باقي المواقع السورية الصغيرة حول قرية (الدربشية). وبهذا أصبحت الطريق المؤدية من جسر بنات يعقوب مفتوحة أمام القوات المدرعة الإضافية التي بدأت الزحف حول هذا المحور لاحتلال القنيطرة. وفي صباح اليوم التالي ١٠ حزيران هاجم الاسرائيليون بقوة قوامها لواء مدرع ولواء مشاة منطقة بلدة بانياس. وبعد احتلالها استمروا في تقدمهم واحتلوا قريتي عين فيت ومسعدة الواقعتين على المنحدرات الجنوبية لجبل الشيخ. وبنفس الوقت زحف لواء مدرع آخر من قالا إلى القنيطرة. كما تقدم لواء مشاة واحتل كفرنافخ وواصل هجومه كذلك باتجاه القنيطرة. وهكذا أخذت جميع الألوية الاسرائيلية المدرعة والمشاة المتواجدة في القسم الشمالي من هضبة الجولان تزحف نحو القنيطرة. وعند الظهر وصلت معلومات إلى القوات السورية الأمامية تفيد أن القنيطرة قد سقطت بيد القوات الاسرائيلية بينما كانت جميع تلك القوات لا تزال بعيدة عن القنيطرة وفي حالة اشتباك. ورغم ذلك فعندما وصلت هذه المعلومات إلى القوات السورية بادرت بالتقهقر السريع باتجاه الشرق. وعندئذ كثف الاسرائيليون غاراتهم الجوية وأخذوا يقصفون القوات المتقهقرة بشكل مستمر ومكثف ويكبدوها خسائر فادحة. وقد عمت حالة من الفوضى جميع أنحاء الجبهة وتمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال القنيطرة بسهولة ظهر يوم السبت ١٠ حزيران ١٩٦٧م. وبنفس الوقت أنزل الاسرائيليون قوة محمولة بطائرات الهيلوكبتر واحتلت المواقع السورية الحصينة

على قمة جبل الشيخ - وعندما كانت المعارك محتدمة في منطقة القنيطرة زحفت قوات اسرائيلية كبيرة من المشاة والدروع صباح يوم ١٠ حزيران للهجوم على القسم الجنوبي من مرتفعات الجولان المجاذية لبحيرة طبريا من الشرق في منطقة (التوافيق). وبعد قصف عنيف من المدفعية والطائرات تمكنت من احتلال بلدة التوافيق ومن ثم نزلت قوات مظليين بطائرات الهيلوكبتر واحتلت بلدتى (فيق) و(علعال). ثم تحركت شرقاً واحتلت قريتي (البطمية) و(الرفيد). وبهذا أصبحت جميع مرتفعات الجولان التي تطل على سهول دمشق من (مسعدة) في الشمال حتى القنيطرة والرفيد في الجنوب إلى ملتقى نهر الأردن واليرموك بيد الجيش الاسرائيلي وعندئذ تم الاتفاق على وقف اطلاق النار بالساعة الثامنة والنصف مساء يوم ١٠ حزيران ١٩٦٧م وانتهت معركة الجولان.

تعليقات على هذه الحرب :

لقد صدر الكثير من المؤلفات عن هذه الحرب وهي في معظمها لمؤلفين غير عرب وكثير منهم يهود. وأما المؤلفون العرب الذين كتبوا عن هذه الحرب أو سابقاتها فقد كانوا قلة ومؤلفاتهم لم تغطي الكثير من الجوانب الهامة للحرب سواء كانت العسكرية أو السياسية. وهي في غالبيتها لا تدخل في التفصيلات الدقيقة والأسرار واستخلاص الدروس من نتائجها.

وتجدر الإشارة هنا أن نلاحظ أن معظم المؤلفين وخصوصاً غير العرب قد ركزوا في بيان أسباب نشوب هذه الحرب على الاجراءات التي قام بها الرئيس جمال عبد الناصر عندما حشد القوات المصرية المسلحة في سيناء وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة سحب قوات الطوارىء من الأراضي المصرية ثم إعلانه عن اغلاق مضائق ثيران في وجه الملاحة الإسرائيلية. ومعظم المؤلفين يقولون أنه لولا هذه الأعمال التي قام بها عبد الناصر لما وقعت الحرب. ومنهم من ذهب إلى القول بأن سوريا كانت هي المسبب الرئيسي للحرب لأنها دفعت عبد الناصر لاتخاذ تلك الاجراءات التي اتخذها عندما ألحت عليه بطلب المساعدة وتطبيق اتفاقية التعاون المشترك لأن اسرائيل تستعد لشن هجوم رئيسي عليها وقد حشدت قوات كبيرة مؤلفة من أحد عشر لواء في مواجهة الجبهة السورية استعدادً لهذا الهجوم، وقد نقلت هذه المعلومات عن تلك الحشودات إلى الحكومة السورية عن طريق الاتحاد السوفياتى الذي أكدها بدوره إلى الحكومة المصرية على الرغم من أن اسرائيل نفت تلك المعلومات نفياً قاطعاً وطلبت من السفير السوفياتى أن يزور الخطوط الأمامية الاسرائيلية مقابل الجبهة السورية ليتأكد بنفسه من عدم وجود حشد للقوات بهذا الحجم ولكنه اعتذر عن القيام بهذه الزيارة.

ومن هذا المنطلق حاول بعض المؤلفين اتخاذ هذه الواقعة كدليل على حسن نية اسرائيل وإنها لم تكن تنوي شن الحرب ضد الدول العربية أو على الأقل لن تكون هي البادئة بالحرب. ولذلك فهم يعتقدون أنه كان بإمكان جمال عبد الناصر تجنب وقوع هذه الحرب لو أنه التزم الهدوء وأبقى قواته وراء قناة السويس وأبقى قوات الطوارىء على الحدود مع اسرائيل ومضائق ثيران مفتوحة.

وذهب بعض المؤلفين إلى لوم الملك حسين على اشتراكه في الحرب التي كان من نتيجتها قيام اسرائيل باحتلال الضفة الغربية بكاملها. ويزعمون كذلك أنه هو الآخر لو وافق على الرسالة التي يقولون أن ليفي اشكول أرسلها له عن طريق كبير المراقبين الدوليين الجنرال (أود بول) يطلب من الملك أن لا يشترك بالحرب وبالمقابل فإن اسرائيل لن تهاجم قواته في الضفة الغربية وأن رفض الملك الموافقة على هذا الطلب كان السبب في قيام اسرائيل بهجومها الواسع على الأردن مع أنه بقليل من التفكير يتضح أن هذه الرسالة المزعومة لو صح وجودها فإنها لم تكن سوى خدعه لكسب الوقت ومن المستحيل أن تؤخذ على محمل الجد والثقة. فكيف يمكن أن يتوقعوا من الملك حسين أن يبقى خارج الحرب وبلده يقع على أطول خطوط المواجهة مع اسرائيل. وهو قد وقع لتوه على اتفاقية دفاع مشترك مع جمال عبد الناصر عشية وقوع الحرب فكيف يمكن أن يقف الآن متفرجاً بينما تتعرض مصر للهجوم الاسرائيلي ويكون عذره الوحيد أنه تلقى وعداً من اسرائيل بأنها لن تهاجم بلاده إذا بقي خارج الحرب. وعلى أي حال فإن لهؤلاء المؤلفين عذرهم لأنهم ليسو عرباً وهم يكتبون من وجهة نظرهم وما يتفق مع مجتمعاتهم وسياسة بلدانهم ومن الصعب عليهم أن يفهموا وجهة النظر العربية حول الصراع مع اسرائيل أو ما هي أهمية التضامن العربي والنخوة العربية التي لن يتخلى عنها العربي حتى لو كلفه ذلك حياته.

ومهما تكن وجهات نظر المؤلفين الأجانب والمحليين الذين كتبوا عن هذا الموضوع فإني أحب أن أبين بعض الحقائق التي تدحض هذه الأفكار والتي تثبت أن اسرائيل كانت تنوي شن حرب وقائية ضد الجيوش العربية وخصوصاً قبل أن تستطيع مصر استيعاب الأسلحة الحديثة التي حصلت عليها من الاتحاد السوفياتي حديثاً. ولم تكن الاجراءات التي اتخذها جمال عبد الناصر سوى ردود فعل لأوضاع معينة خلقتها اسرائيل خصيصاً لكي تجره إلى هذا الموقف ولتظهر أمام الرأي العام الأمريكي والعالمي أنها ليست معتدية وإنما هي تشن حرباً وقائية أرغمت عليها ارغاماً للدفاع عن كيانها الذي أصبح مهدداً بشكل خطير من قبل الجيوش العربية كما أنها بنفس الوقت سوف تحاول بحرب خاطفة احتلال المزيد من الأراضي العربية التي تمكنها من بناء المزيد من المستعمرات واستيعاب أعداد كبيرة من

المهاجرين اليهود. ولكي يصبح لديها موقف مساومة قوي يمكنها من إجبار العرب على الجلوس معها على طاولة المفاوضات بحسب شروطها هي؛ ولقد أشرت سابقاً إلى أن سياسة التوسع عن طريق الحروب المتتالية هي دستور اسرائيل الثابت منذ تأسيسها. ولتعزيز إثبات هذه النظرية فإنى أحب أن أشير إلى تقرير صدر في شهر آذار عام ١٩٤٨م عن رئاسة هيئة الأركان المشتركة للقوات الأمريكية في صدد دراستهم للمتطلبات العسكرية في فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطانى جاء فيه ما يلي(١) .

«إن الاستراتيجية الصهيونية سوف تسعى لتوريط الولايات المتحدة الأمريكية في سلسلة من العمليات الحربية المستمرة التي تهدف إلى تحقيق أقصى الأهداف الصهيونية التي لخصها التقرير بالنقاط الآتية:

١ - قبول الدول العظمى بحق اليهود بالهجرة غير المحدودة إلى فلسطين.

٢ - تحقيق السيادة اليهودية على فلسطين بكاملها.

٣ - توسيع مساحة أرض اسرائيل لتشمل شرق الأردن وأجزاء من سوريا ولبنان

٤ - تأسيس دور قيادي يهودي عسكري واقتصادي في جميع بلدان الشرق الأوسط.

ويضيف التقرير أن هذه الأهداف تعتبر أهدافاً مقدسة لدى القادة اليهود بدرجة متساوية وأن هؤلاء القادة كانوا يجهرون بها علانية ولا يحاولون اخفاءها. وأن الوكالة اليهودية كانت تطلع بعض الرسميين الأمريكيين عليها بطريقة خاصة» انتهى التقرير.

ونحن نعلم أن هذه الأهداف الاستراتيجية الصهيونية كانت موضوعة منذ القدم. وقد كانت الحكومة الأمريكية تعرف الشيء الكثير عنها قبل انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين. ومنذ حرب عام ١٩٤٨م حتى الآن استطاع اليهود تحقيق الهدفين الأول والثانى بكاملهما كما حققوا جزءاً من الهدف الثالث. وقد تسعى اسرائيل لخلق المناخ المناسب سياسياً وعسكرياً لتحقيق ما تبقى من هذه الأهداف. وسوف تنجح بذلك بكل تأكيد إذا استمر العرب على حالتهم المريعة من التفرق والتناحر والعجز عن تحقيق وحدتهم التي هي سلاحهم الوحيد الفعال في وجه هذه المخططات الخطيرة.

وعندما نعرف أن هذه هي الأهداف الاستراتيجية الصهيونية الثابتة والتي تحقق حتى الآن معظمها فلن يبقى معنى للقول بأنه لولا اجراءات جمال عبد الناصر لما وقعت حرب عام

---

(١) كتاب العلاقات السرية الامريكية مع اسرائيل ـ تأليف ستيفن غرين .

Taking Sides. America's Secret Relations with a Militant Israel 1948 - 1967.
By Stephen Green

١٩٦٧م.. أو لولا رفض الملك حسين قبول اقتراح (اشكول) بعدم دخوله الحرب لما خسر الضفة الغربية. لأن اسرائيل تعمل ضمن خطة استراتيجية ثابتة تطبقها على مراحل ولا مكان عندها لأية نظرة عاطفية أو إنسانية. ولن يحصل العرب على حقوقهم إلا إذا أصبحوا أقوياء وتمكنوا من أخذها بأنفسهم وليس باستجدائها من أحد. ولن يصبح العرب أقوياء إلا عندما يتمكنوا من التغلب على خلافاتهم وأحقادهم وينجحوا في تحقيق وحدتهم الكاملة الشاملة مهما كان هذا الهدف يبدو بعيداً الآن.

ولن يكون للوحدة العربية قوة روحية خلاقة إلا إذا تمسك العرب بمبادىء الإسلام الحنيف الذي لن يعز العرب إلا بعزته وهم لم يذلوا إلا عندما ابتعدوا عنه وتنكروا لقيمه. ومع تمسك العرب بمبادىء دينهم الحنيف عليهم الابتعاد عن التعصب الأعمى وأن لا يسيئوا بتصرفاتهم لسمعة الإسلام ومعتقداته وليعلموا أن أمتنا معرضة لهجمة عنصرية تهدد كيانها من أساسه ولن تستطيع التصدي لها بفعالية إلا إذا أصبحت أمة عربية واحدة تدعو إلى نشر الحق والعدالة وتذود عن مقدساتها وديارها بقوة الإيمان وطلب الشهادة في الجهاد الحق في سبيل اعلاء كلمة الله والذود عن حياض الوطن والتصدي للعدوان بقوة واقتدار مستمدين من جوهر ديننا الحنيف الذي جاء لخير البشرية جمعاء: ومن هنا يجب أن ينطلق نداء الوحدة العربية لتوحيد شعوب هذه الأمة وجمع كلمتها لتمضي قدماً تحت راية الإسلام في طريق النصر أو الشهادة. ولقد أثبتت تجاربنا خلال ما يزيد عن أربعين سنة أن هزائمنا في جميع الحروب التي خضناها مع اسرائيل كانت دوماً تعود لهذه الأسباب التي آلت بنا إلى هذه الحال. وليس لأن اسرائيل قوة خارقة لا يمكن قهرها بل لأننا نصر بكل عناد على تكريس فرقتنا وتشتيت قوانا وتبذير مصادر ثرواتنا الهائلة في كل ما هو غير نافع لنا وضار بمصالح أجيالنا القادمة.

وهذه الحرب الثالثة التي نحن بصددها كانت أوضح دليل على الأذى الماحق الذي لحق بأمتنا بسبب تفرق شعوبها وتشتتها وتضارب أهدافها.

وقد وضع جمال عبد الناصر نفسه بموقف المتسبب بنشوب هذه الحرب لأنه أراد أن يخف لنجدة سوريا عندما تعرضت للخطر ومكن اسرائيل بسبب ذلك أن تجره تدريجياً لاتخاذ اجراءات معينة كان المقصود منها أن تؤدي إلى اعطائها المبرر الذي تريده وبالوقت الذي يناسبها لكي تشن هذه الحرب عندما كانت العلاقات العربية في أسوأ حالاتها. فتمكنت من ضرب مصر أولاً والأردن ثانياً وسورياً ثالثاً لأن الأمة العربية لم تتمكن من الاستعداد الكامل لها وتوحيد جهودها بشكل سليم لكي تقاتل بكفاءة عالية ومقدرة تامة ضمن خطة متكاملة وقيادة واحدة فعالة.

ولعلي أرى من المناسب هنا أن اتطرق إلى استكمال شرح الأسباب الحقيقية التي أدت إلى نشوب هذه الحرب وما هو الدور السياسي والعسكري الذي لعبته الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة اسرائيل لتمكينها من الوصول بهذه الحرب إلى النتائج التي وصلت إليها. ومن هذا المنطلق فإنى أرى أن اسرائيل قد بدأت تستعد لشن حرب عام ١٩٦٧م بعد انتهاء حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م مباشرة لأنها شعرت أنها لم تحقق الكثير من أهدافها الرئيسية التي أشرت إليها سابقاً بنتيجة تلك الحرب. ولا سيما عندما أرغمت على الانسحاب من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة بنتيجة الضغط الذي مارسته الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة الرئيس أيزنهاور عليها. رغم أن هذا الضغط لم يكن من منطلق الغيرة على مصلحة البلدان العربية بل كان الهدف الحقيقي منه احلال النفوذ الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط محل النفوذ البريطانى والفرنسي.

ولقد ركزت اسرائيل جهودها كلها على الاستعداد لهذه الحرب في الميادين الآتية .

أولاً : الميدان العسكري

ويتمثل في إعادة تنظيم قواتها المسلحة واستيعاب أحدث أنواع الأسلحة المتطورة التي كانت تحصل عليها من أمريكا بسهولة ويسر. ولا سيما أحدث أنواع الطائرات والدبابات وجميع ما يتعلق بها من وسائل التكنولوجيا المعقدة.

ثانياً : الميدان السياسي

وذلك عن طريق توثيق العلاقات الأمريكية الاسرائيلية بشكل يجعل من أمريكا شريكاً فعلياً في أي حرب ستقوم بها اسرائيل في المستقبل.

وقد تطور هذا الأسلوب بعد الحرب حتى أصبح في عقد السبعينيات تحالفا استراتيجياً رسمياً يلزم أمريكا كشريك بكل ما يتطلبه التحالف من دعم وحماية لاسرائيل ومن المساهمة الفعالة في تطوير الصناعات الحربية الاسرائيلية وتزويدها بالخبرات والمواد الخام والمال. وخصوصاً في صناعات الطائرات الحربية والصواريخ والقنابل النووية في جميع الأحوال والظروف بحيث أصبحت أمريكا تعامل اسرائيل في هذا المجال وفي المجال المالي والاقتصادي بشكل عام بأفضل مما تعامل أقرب حلفائها مثل بريطانيا.

ثالثاً : الميدان الاستخباري

وذلك بالسعي لخلق المؤامرات والعمل على تشجيع الفرقة والخلاف بين الدول العربية

بشكل مستمر وضمان عدم امكان تحقيق اتحاد هذه الدول لمواجهة اسرائيل كقوة واحدة. وبنفس الوقت القيام ببث الجواسيس في جميع البلدان العربية لكي لا تفاجأ اسرائيل بأي وقت من الأوقات بعمل عربي كبير وفعال ضدها. وعلى الرغم من أن اسرائيل استمرت باستعداداتها ضمن برامج ثابتة تقوم بتنفيذ مراحلها تدريجيا إلا أن التطورات أخذت تتسارع حوالي عام ١٩٦٥ حيث أصبح احتمال وقوع الحرب الثالثة بين العرب واسرائيل أمراً حتمياً ولذلك فقد أخذت الأجهزة الأمريكية ترقب جميع التحركات والاجراءات في منطقة الشرق الأوسط وتضع الدراسات وتنظم التقارير المطولة لكي تضمن أن لا تكون اسرائيل في موقف الضعف ولكي تكون دوماً متفوقة عسكرياً على جميع الجيوش العربية مجتمعة

وبهذا الصدد أحب أن اشير هنا إلى بعض المعلومات التي اقتبستها من مصادرها المختلفة والتي توضح مدى دعم أمريكا المستمر لاسرائيل وبلا حدود وأوجزها بما يلي:

١ – يقول ملخص تقرير وكالة الاستخبارات المركزية لشهر حزيران عام ١٩٦٤م (١) ما يلي.

«إن تقديراتنا تؤكد أن اسرائيل سوف تستمر بالاحتفاظ بتفوقها العسكري الحالي على العرب لعدة سنوات قادمة. وعلى الرغم من ادعاءات اسرائيل المبالغ فيها فإن قدرات الجمهورية العربية المتحدة في حقل الصواريخ سوف تبقى بشكل رئيسي ضمن نطاق التهديد النفسي فقط، في المستقبل المنظور. وإن امكانياتها في التسلح الذري تعتبر لا شيء»

٢ – في مايس ١٩٦٥ تقدم سفير اسرائيل في واشنطن (أبراهام هارمن) بطلب إلى وزارة الخارجية الأمريكية لتقديم موعد تسليم طلبية اسرائيل من دبابات (م٤٨). وبهذا الوقت بالذات كانت اسرائيل تخرق اتفاقيات الهدنة يومياً في الجبهة السورية وتدفع بدباباتها إلى داخل المنطقة المجردة من السلاح بين اسرائيل وسوريا. كما كانت تطلق النار باستمرار على العمال السوريين الذين كانوا يعملون في مشاريع الري السورية في محاولة لجر سوريا إلى الحرب. وعلى الرغم من معارضة بعض موظفي وزارة الخارجية فقد حصلت اسرائيل على طلبيتها من الدبابات.

٣ – وفي شهر حزيران ١٩٦٥م طلب السفير الإسرائيلي في واشنطن من وزارة الخارجية تفويضاً لاسرائيل بشراء طائرات الفانتوم (F4) التي كانت في ذلك الوقت أكثر تطوراً من أية طائرة يملكها الاتحاد السوفياتي وكانت هذه الطائرة قد دخلت الخدمة الفعلية في

---

(١) كتاب العلاقات السرية الامريكية مع اسرائيل ـ تأليف ستيفن غرين .
America's Secret Relations with a Militant Israel 1948 - 1967. By Stephen Green

سلاح الجو الأمريكي منذ أقل من سنة فقط. وقد حصلت اسرائيل على هذه الطائرات كما حصلت على الطيارين الأمريكيين اللازمين لها لتستخدمهم مدة كافية حتى تتمكن من تدريب العدد الكافي من الطيارين الاسرائيليين على هذا النوع من الطائرات.

٤ – خلال عام ١٩٦٦م كان البيت الأبيض يرقب بكل دقة موقف الأمن الاسرائيلي. وقد قدمت له في هذا الموضوع عدة تحليلات استخبارية كانت جميعها تظهر أن قدرات اسرائيل التسليحية ستبقى متفوقة على قدرات كافة الدول العربية مجتمعة. وفي شهر نيسان ١٩٦٧ وصلت قوة اسرائيل العسكرية إلى مستوى يمكنها من التغلب على جميع الجيوش العربية بسهولة. وعلى الرغم من هذه الحقيقة فقد كانت اسرائيل تبذل قصارى جهدها لاقناع أمريكا بأن العرب يستعدون لشن الحرب ضدها. وفي هذا المجال ورد في أحد التقارير أنه في الأسبوع الأخير من شهر مايس عام ١٩٦٧م قام رئيس جهاز الاستخبارات الاسرائيلية (الموساد) بمقابلة رئيس محطة الاستخبارات المركزية (C I A) في تل أبيب وأخبره عن وجود تحشدات عسكرية عربية هائلة بالقرب من حدود اسرائيل. وتجدر الاشارة هنا إلى أن هذه المقابلة تمت قبل أن يقوم جمال عبد الناصر بحشد قوات الجيش المصري في سيناء. وتأكيداً لعدم صحة هذا الادعاء الاسرائيلي فإن الاستطلاعات الجوية الأمريكية لم تعثر على أي دليل يثبت وجود هذه التحشدات العربية المزعومة. وعلى أثر ذلك كتب رئيس محطة الاستخبارات المركزية في تل أبيب إلى الرئيس جونسون يقول له. (يظهر أن اسرائيل تحاول دفع الولايات المتحدة لكي تأخذ موقفاً منحازاً لجانبها).

٥ – بتاريخ ٢٥ أيار ذهب وزير خارجية اسرائيل (أبا ايبان) بزيارة إلى واشنطن ولدى اجتماعه مع (دين راسك) وزير خارجية أمريكا أبلغه بأن لديه معلومات عن وجود استعدادات أكيدة لهجوم مزدوج ستقوم به مصر وسوريا ضد اسرائيل. وحول هذه النقطة كتب راسك ملحوظة إلى الرئيس جونسون يقول فيها. (إن استخباراتنا تنفي هذه الادعاءات الاسرائيلية). وهنا يجب أن نتذكر أن اسرائيل هي التي كانت تستعد للهجوم على البلاد العربية بهذه الفترة وقد قام (دين راسك) بابلاغ الرئيس جونسون حول هذا الموضوع بما يلي:

إنه في الوقت الذي تقوم به اسرائيل باستعداداتها للحرب كما يظهر فإن الادارة أمامها خيارين:

أ – أن نترك الاسرائيليين ليقرروا بأنفسهم أفضل الطرق لحماية مصالحهم القومية أي (نفلت لهم الزمام).

ب – أن نتحرك بفعالية للتوسط في حل المشكلة القائمة ونمنع جيوش الطرفين من الاشتباك.

وقد أوصى (راسك) باتباع الخيار الثاني وأضاف قائلاً :

«إن قيام اسرائيل بضربة وقائية سوف يخلق مصاعب كبيرة للولايات المتحدة» وبالنسبة لمركزنا في قيادة العالم فإن الشعب الأمريكي سوف يقوم بما يجب عمله إذا حدث الخطأ من الجانب الآخر. ولا يوجد أمامنا بديل. ولذلك فإن المسؤولية في التسبب في وقوع الحرب تشكل مشكلة كبيرة بالنسبة لنا: (ولكن على الرغم مما كتبه (راسك) فإنه كما يظهر كان هنالك خيار آخر وهو التظاهر بالتوسط لحل النزاع سلمياً وبنفس الوقت وبطريقة تآمرية اطلاق العنان للاسرائيليين لشن الحرب. وهذا ما حصل فعلاً). وبمعنى آخر فقد كان الرئيس جونسون راغباً في ترك اسرائيل تشن الحرب شريطة أن لا تظهر أنها هي التي تسببت في وقوعها. ولذلك فقد كتب رسالة إلى رئيس وزراء اسرائيل ليفي اشكول جاء فيها.

«يجب أن أؤكد على ضرورة أن لا تجعل اسرائيل نفسها مسؤولة عن البدء في القتال. ولن تبقى اسرائيل وحدها إلا إذا قررت هي أن تمضي لوحدها. ولا أتصور أنها سوف تتخذ مثل هذا القرار»، وهذا معناه أن الولايات المتحدة الأمريكية على لسان رئيسها تقول لاسرائيل أن بامكانها شن الحرب ضد الدول العربية وسوف تتلقى الدعم والحماية اللازمين شريطة أن تتأكد بأن لا تظهر أمام الرأي العام أنها كانت البادئة بالحرب. وهذا ما حصل فعلاً.

وعندما أرسل والت روستو (Walt Rostow) المسودة النهائية من الكتاب الموجه إلى ليفي اشكول لتوقيعها من الرئيس جونسون أضاف ملحوظة أرفقها مع الكتاب موجهة للرئيس جاء فيها ما يلي:

إذا أفلتنا الزمام للاسرائيليين سنكون بهذا قد خلقنا فرصة ذهبية لتحقيق عدد من أهداف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بضربة واحدة أهمها ما يلي:

١ – احراج السوفيات في الشرق الأوسط عن طريق تحطيم جيوش الدول التي قاموا بتسليحها بكثافة لمدة أربع سنوات مضت.

٢ – تدمير غالبية التجهيزات والأسلحة السوفياتية التي أرسلوها إلى الشرق الأوسط وأثناء ذلك فحص فعالية الأسلحة الأمريكية وغيرها من الأسلحة ضد مثيلاتها من الأسلحة السوفياتية.

٣ – إضعاف مركز جمال عبد الناصر وربما الاطاحة بنظام حكمه.

٤ – تمكين الاسرائيليين من احتلال اراضي اضافية يتمكنون بواسطتها من إجبار دول المواجهة العربية على الجلوس معهم على طاولة المفاوضات بشكل جدي للتوصل إلى حل نهائي للمشاكل القائمة بينهم منذ تسعة عشر عاماً وإنهاء النزاع في الشرق الأوسط.

على أن هنالك شرط أساسي واحد يجعل تحقيق جميع هذه الاهداف ممكناً وهو الانتصار الاسرائيلي السريع على العرب في ميدان القتال: (انتهت الملحوظة). وهذا بالضبط هو ما سعى الرئيس الأمريكي جونسون لتحقيقه وتأكد من نجاحه. حيث دأب على ملاحقة مدير وكالة المخابرات المركزية لأعطائه التقديرات الدقيقة عن قدرة القوات الاسرائيلية على الصمود في وجه هجوم عام تقوم به الجيوش العربية مجتمعة وكان دوماً يتلقى الجواب بأن اسرائيل تستطيع كسب الحرب ضد أي جيش عربي أو ضد جميع الجيوش العربية مجتمعة بمدة لا تتجاوز أسبوع. ومع ذلك فقد عاد وطلب من وكالة المخابرات المركزية ومن مجلس الامن القومي اعادة تحديث دراساتهم للتأكد من أن اسرائيل سوف يكون بمقدورها التغلب على جميع الدول العربية إذا وقعت الحرب. وبتاريخ ٢٦ أيار ١٩٦٧م قدمت هذه الوكالات تقاريرها المفصلة إلى الرئيس والتي لم تأت مؤيدة لتقاريرها السابقة فحسب بل تضمنت تفصيلات حول كيفية تحقيق هذا الانتصار الاسرائيلي والتي تتلخص بالقيام بضربة جوية ضخمة ضد السلاح الجوي العربي يصاحبها اختراق مدرع خاطف عبر سيناء نحو قناة السويس وعندما استفسر جونسون فيما إذا كان هنالك أي احتمال بأن تكون نتيجة الحرب في صالح العرب وهل ستتعرض اسرائيل لأية مخاطر كان الجواب بالنفي القاطع. وعندئذ فقط ارتاح ضمير جونسون واطمأن إلى أن باستطاعته السماح لاسرائيل بتنفيذ خطتها بالسلاح الأمريكي الذي حصلت عليه بلا حساب وأن يضمن نجاحها بسهولة في ساحة القتال.

ورغم كل هذه المعلومات فقد ظلت أمريكا تنكر دوماً علمها بأن اسرائيل كانت تخطط لشن حرب ضد العرب وتدعى أن جمال عبد الناصر هو الذي تسبب بوقوع هذه الحرب ولولا أنه حشد قواته في سيناء وأغلق مضائق ثيران لما اضطرت اسرائيل للقيام بهذا الهجوم الذي ادعى جميع المسؤولين الأمريكيين أنهم لم يكونوا على علم مسبق بما كان يعمله الاسرائيليون من استعدادات لتنفيذه. كما نفى الأمركييون أن يكونوا قد قدموا لاسرائيل آية مساعدات فعلية في الحرب أو أن قواتهم قد اشتركت عملياً فيها. مع أن كل هذه الادعاءات كانت غير صحيحة. وسوف أدحضها ببيان ملخص عن المساعدات الهامة التي تلقتها اسرائيل من أمريكا قبيل وأثناء الحرب بالاضافة إلى الكميات الهائلة من أحدث أنواع الأسلحة المتطورة التي زودتها بها بلا حساب وبأثمان تدفعها من مساعداتها المالية. فتكون

النتيجة أن أمريكا تشتري سلاحاً أمريكياً بأموال أمريكية لتعطيه لإسرائيل لكي تقاتل به العرب الذين تدعي أمريكا أنها صديقة لهم ولا سيما دول النفط. وباسم هذه الصداقة تأخذ بترولهم بثمن بخس ومن هذا البترول تعوض تمويل صفقات الأسلحة التي تعطيها لاسرائيل لتذبح بها أبناء أمة العرب ومنهم أصحاب البترول. أي أن بترول العرب يستعمل كاداة لقتل أبناء العرب. فهل فكرنا نحن العرب بهذه المعادلة التي يشترك بعض بني قومنا بطريقة غير مباشرة وربما عن جهل في تنفيذها. والتي يجري تنفيذ فصولها على أرضنا وفي عقر دارنا. لا أظن ذلك، لان من يملكون ثروة البترول من العرب مشغولون بجمع الثروات وبشؤونهم القطرية والخاصة. ومن لا يملكون تلك الثروة يركضون أبد الدهر وراء رغيف الخبز لابنائهم ولا يكادون يحصلون عليه.

والاسرائيليون يرقبوننا ويضحكون استهزاءً وشماتة بأمة المتناقضات العربية. آمتنا الماجدة التي نسيت تاريخها فنسيها التاريخ.

وأما الآن فسوف أبين تالياً بعض هذه المساعدات التي قدمتها أمريكا لاسرائيل بهذه الحرب لكي تضمن فوزها على كل العرب.

أولاً . بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٦٧م وافق الرئيس جونسون على إرسال شحنة طارئة منقولة جواً إلى اسرائيل وتتكون من ناقلات جنود مدرعة وقطع غيار للدبابات وقطع غيار لصواريخ (هوك) للدفاع الجوي وفيوزات لقنابل الطائرات وكميات من ذخائر المدفعية وكمامات الغاز وغيرها من اللوازم المهمة الأخرى. وقد تم شحن هذه المواد قبل ٥ حزيران لتكون جاهزة لاستعمالها في الحرب عند بدئها.

وقد اتخذ الرئيس جونسون هذه الاجراءات بنفس الوقت الذي أعلن فيه عن منع ارسال أية اسلحة أو مواد حربية لاية دولة من دول الشرق الأوسط بحسب نص قراره وهذا يعني طبعاً الدول العربية فقط. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف يمكن أن تسير سياسة دولة عظمى مثل أمريكا بهذا الأسلوب المتحيز؟

وتأكيداً لامعان الادارة الأمريكية في التحيز لاسرائيل ففي يوم ٥ حزيران وعندما كانت الطائرات الاسرائيلية قد أكملت تدمير سلاح الجو المصري جاء آرثر كريم (Arhter Krim) أحد زعماء الصهيونية وقابل جونسون لكي يخبره أن إحدى شحنات الأسلحة المرسلة لاسرائيل قد طرأ عليها تأخير وطلب تبديلها بشحنة أخرى بسرعة وتم له ذلك على الفور.

ثانياً . كان الاسرائيليون يريدون التأكد من آن الروس لن يتدخلوا في الحرب ولذلك أرسل اشكول رئيس وزراء اسرائيل صباح يوم ٥ حزيران بعد بدء الهجوم رسالة إلى الرئيس جونسون يطلب فيها بالتحديد أن تقوم أمريكا بحماية اسرائيل إذا تدخلت روسيا في الحرب. وقد نفذ جونسون هذه الحماية يوم ١٠ حزيران عندما كانت اسرائيل تنفذ هجومها على سوريا وبعد أن كان الرئيس جمال عبد الناصر قد وافق على وقف إطلاق النار باسم الجمهورية العربية المتحدة والذي كانت سوريا في ذلك الحين تعتبر مشمولة فيه باعتبارها عضواً في القيادة المشتركة. وعندما اتصل رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى الكسي كوسيجين مع الرئيس جونسون ليبلغه أن اسرائيل قد تجاوزت حدودها وأن روسيا سوف تتدخل قام جونسون على الفور بارسال الأسطول السادس بكامله إلى شرق البحر الأبيض المتوسط للتصدي لمثل هذا الاحتمال.

ثالثاً . كانت اسرائيل بحاجة إلى المزيد من الوقت لكي تتمكن من احتلال جميع الأراضي التي خططت لاحتلالها بهذه الحرب. لا سيما وأن قرار وقف اطلاق النار كان قد صدر عن مجلس الأمن مساء يوم ٦ حزيران وأخذت الدول المعنية تطالب بتنفيذه فوراً. ولكن مندوب الولايات المتحدة آرثر غولدبيرغ (Arthur Goldberg) عارض مشروع القرار لأنه كان يتضمن نقطتين ·

أ - إنه يدمغ اسرائيل كدولة معتدية.

ب - إنه يتضمن الطلب إلى القوات المتحاربة أن تنسحب إلى خطوطها التي كانت تقف عندها بتاريخ ٤ حزيران (أي قبل الحرب) وعلى الرغم من أن الادارة الأمريكية برئاسة الرئيس جونسون كانت تعرف حق المعرفة بأن اسرائيل قامت بهجوم جوي غادر وتمكنت من تدمير حوالي ٣٠٠ طائرة مصرية خلال الساعات الثلاثة الأولى من الحرب فإنها لا تريد أن توافق على قرار هيئة الأمم المتحدة لأنه يصف اسرائيل كدولة معتدية. فما هو اذن الوصف الذي يمكن أن ينطبق عليها. وكان من الطبيعي أن لا يوافق العرب على هذا القرار إذا لم يكن يتضمن هاتين النقطتين لأن ذلك معناه الطلب منهم أن يوافقوا على شرعية هجوم اسرائيل عليهم ويعترفوا بالأمر الواقع بالنسبة للأراضي التي احتلتها من جديد.

وبينما استمر المندوب الأمريكي غولدبيرغ بمناقشاته مع المندوب السوفياتى (نيكولاي فدرينكو) تمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال المزيد من الأراضي في

الضفة الغربية وسيناء من الجيوش العربية التي كانت تقاتل في ظروف في غاية الصعوبة نظراً لوجود السيطرة الجوية الكاملة بيد الاسرائيليين وبالنتيجة فقد خسرت معظم أسلحتها الثقيلة التي دمرت بفعل الغارات الجوية المتلاحقة وعدم توفر حماية لديها ضد الطائرات المغيرة.

ولسوء الحظ فقد خضع المندوب السوفياتى بالنهاية ووافق على الصيغة الامريكية للقرار التي قدمها (غولدبيرغ) للمجلس يوم ٨ حزيران والتي تنص بشكل رئيسي على دعوة الأطراف المتنازعة للدخول بمفاوضات لحل المسائل السياسية المعلقة بينها والتي كانت سبباً لاذكاء نار الحرب طيلة العقود الماضية وكان أسوأ ما جاء بهذا القرار هو أنه دعى لهذه المفاوضات على أساس الحدود الجديدة التي نتجت عن هذه الحرب ولم يكن بمقدور العرب الذين خسروا الحرب إلا أن يوافقوا على وقف اطلاق النار على هذا الأساس.. وهكذا تمكن (غولدبرغ) من كسب الوقت الكافي الذي طلبته اسرائيل لكي تتمكن من اتمام احتلال باقي الأراضي العربية في الضفة الغربية ومرتفعات الجولان قبل أن توافق على وقف اطلاق النار.

رابعاً أما المساعدات الفعلية التي قدمتها القوات المسلحة الأمريكية لإسرائيل فيمكن إيجازها بما يلي[1] :

أ - عملية الاستطلاع والتصوير الجوي ·

وقد بدأت هذه العملية عند فجر يوم ٣ حزيران ١٩٦٧م أي قبل يومين من بدءالهجوم الاسرائيلي (وهذا أوضح دليل على تواطؤ أمريكا مع اسرائيل في تدبير هذا العدوان الغاشم) وذلك عندما تم ابلاغ الطيارين من سرب الاستطلاع التكتيكي (رقم ٣٨) من الجناح (رقم ٢٦) في قاعدة رامستن (Ramstein) في ألمانيا الغربية بأن عليهم أن يطيروا إلى قاعدة مورون (Moron) في أسبانيا للاشتراك بمناورة لحلف الأطلسي (NATO) وقد كانت طائرات هذا السرب من نوع (RF-4C) وهي من أحدث أنواع طائرات الاستطلاع المعروفة في تلك الأيام ومجهزة بآلات تصوير ذات أبعاد مختلفة. كما كانت مزودة برادار (SLR) يستطيع النظر للأمام والجوانب لتأمين الكشف على الارتفاعات العالية والمنخفضة. وباستعمال الرادار مع مجسات الأشعة تحت الحمراء التي تستطيع اعطاء خارطة حرارية للمنطقة

(١) كتاب العلاقات السرية الامريكية مع اسرائيل ـ تأليف ستيفن غرين
America's Secret Relations with a Militant Israel 1948 - 1967. By Stephen Green

المراد تصـويرها. وتسـتطيع هذه الطائرات العـمل ليـلاً ونهاراً وهي تحمل أحدث أنواع أجـهـزة التـوجـيـه وقـيـاس الارتفـاعات. كما أنها مزودة بجهاز لا سلكي بذبذبات عـاليـة تسـتطيع بواسطتـه الاتصال مع قاعدتها من أي نقطة في منطقة عملياتها. وقد تحركت أربعة طائرات من هذا النوع عند فجر ذلك اليوم في طريقها إلى القاعدة الجوية في مورون (MORON) بأسـبانيا. وفي صباح ذلك اليوم تحركت طائرة شـحن ضـخـمة من نوع (C141) وهي تحـمل على مـتنهـا جهاز تصوير اسـتطلاع متكامل من نوع (WS - 430 - A) بالإضـافة إلى تسعة صناديق ضخمة تحـتـوي على أجـهـزة لتحميض الأفلام ومحولات كهرباء وجميع لوازم وأشرطة التـصـوير ومـعـهـا تسعة فنيين للتصوير من سرب الاستطلاع رقم ١٧ المتمركز بالقـرب من أوكسـفـورد في بريطانيـا وعندمـا وصلت هذه الطائرات إلى قـاعدة مـورون باسـبـانيـا وضعت في مكان ناء في المطار ثم أعطيت للطيارين تعليماتهم النهائية وكان ملخصها ما يلي:

«إن عليهم التوجه إلى مكان بعيد في طرف صحراء النقب في اسرائيل لاسناد جيش الدفـاع الاسرائيلي بأعمال الاسـتطلاع الجـوي التكتيكي ضد العرب. وإن مهمتهم هذه سوف تكون سرية جداً».

وقـد صرف للطيـارين والفنيين جـوازات سـفـر مـدنيـة كما صرف لهم كراسات خـاصـة مطبـوعـة من قـبل المؤسسة الفنية للطيران لتكون ستاراً لإخفاء طبيعة مهمتهم. وفي حالة اكتشافهم سوف يدعون أنهم مدنيون أمريكيون تعاقدت معهم حكومة اسرائيل لهذه المهمة.

وفي مـسـاء ذلك اليوم ٤ حـزيران تحـركت هذه الطائرات من أسـبانيا وهبطت في القـاعـدة الجـوية الاسرائيلية في بئر السبع جنوب شرق قاعدة ديمونا الذرية، وفي صـباح اليوم التالي ٥ حـزيران عندمـا بدأت مـوجات الطائرات الاسرائيلية تقصف القـواعـد الجـوية المصرية بدأت طائرات الاستطلاع الامريكية هذه تقوم برحلاتها للتـصـوير الجـوي والاسـتطلاع. وكـانت عندما تعود من كل رحلة يقوم الفنيون بصـيـانة الطائرات وتجهيزها للرحلة الثانية. وأما قراءة الصور فقد كانت مسندة للفنيين الاسرائيليين الذين اشترك منهم حـوال سـتين فنيـاً انضـمـوا إل الطيارين الأمريكيين لهذه الغاية

وقـد تطورت مـهـمة الاستطلاع والتصوير هذه مع تطور العمليات الاسرائيلية في المعـركـة. فـفي السـاعـات الاولى من القـتال ركزت الطائرات الاسرائيلية جهودها

لتدمير أكبر عدد ممكن من الطائرات والمطارات العربية تاركة الجيوش العربية مكشوفة تقاتل الطائرات الاسرائيلية بدباباتها وعلى هذا الأساس فقد ركزت طائرات الاستطلاع الأمريكية جهدها بهذه المرحلة لتصوير الدمار الذي أحدثته الطائرات الاسرائيلية في غاراتها على القواعد الجوية العربية.

وبعد أن تم تدمير الأسلحة الجوية العربية اضطرت جيوشها البرية أن تقصر تحركاتها في الجبهة على ساعات الليل لكي تقلل من خطر تعرضها للغارات الجوية الاسرائيلية التي لم يعد بمقدورها مقاومتها في الجو. ولهذا فقد عدلت الطائرات الأمريكية نشاطها بهذه المرحلة وركزت جهودها على عمليات الاستطلاع الليلي لكشف تحركات الجيوش العربية وتمكين الطائرات الاسرائيلية من الاغارة عليها واصابتها بدقة. هذا وقد مكن الاستطلاع الليلي الأمريكي في ليلتي ٨، ٩ حزيران القادة الاسرائيليين من تقدير حجم ما تبقى من القوات المصرية والأردنية بكل دقة وبالتالي سهل عليهم اتخاذ القرارات بتعيين نوع وحجم وحداتهم التي يستطيعون سحبها من هاتين الجبهتين لارسالها شمالاً إلى الجبهة السورية وتعيين الوقت الذي يستطيعون سحبها فيه بكل دقة.

وعندما بدأت المعركة في الجبهة السورية غيرت الطائرات الأمريكية مهمتها مرة أخرى. وركزت جهودها على عمليات الاستطلاع التكتيكي للمواقع السورية في منطقة مرتفعات الجولان.

وأخيراً وبتاريخ ١٢ حزيران عندما توقف اطلاق النار نهائياً حملت الطائرات الأمريكية تجهيزاتها وفنييها وصناديق الصور التي التقطتها بعد أن تركت نسخة منها للإسرائيليين وعادت إلى قاعدة مورون في أسبانيا وأسدل الستار على هذه العملية السرية التي دأبت السلطات الأمريكية المختصة على انكارها باستمرار.

ب - الخطط الاحتياطية لحماية اسرائيل :

وفي صدد الاستعدادات الاحتياطية التي وضعتها أمريكا لمساعدة اسرائيل في حالة تعرضها للخطر في هذه الحرب فقد قال (ميخائيل بارزوهار) (١) إن هيئة رؤساء الأركان المشتركة الأمريكية قد وضعت في أواخر شهر أيار ١٩٦٧م خططاً احتياطية للتدخل السريع في الحرب المتوقعة فيما لو خسر الاسرائيليون فيها. وكانت هذه الخطط تتركز على احتمالين :

---

(١) كتاب سفارات في الازمه ـ تأليف ميخائيل بار زوهار .

Emibasies in Crisis - By Micael Bar Zohar.

١ – عملية انزال ضخمة لقوات المظليين الأمريكيين في سيناء يرافقها قصف مدفعي من الأسطول.

٢ – ارسال قوات أمريكية محمولة جواً إلى اسرائيل مباشرة لتشكل حاجزاً حول التجمعات السكانية الاسرائيلية التي تكون قد تجمعت في وسط البلاد.

ولكن هذه الخطط الغيت عندما تأكد رؤساء الأركان بما لا يقبل الشك بأن العرب سوف لن يكسبوا الحرب.

ومن المحتمل طبعاً أن عملية طائرات الاستطلاع المشار إليها سابقاً كانت جزءاً من هذه الخطط الاحتياطية ولكن عندما تقرر إلغاء تلك الخطط تقرر الاستمرار بعملية الاسناد الاستطلاعي من قبل هذه الطائرات للقوات الاسرائيلية.

نتائج الحرب :

١ ـ خسائر العرب :

بالإضافة إلى الخسائر الفادحة التي تكبدتها الجيوش العربية بالأرواح والمعدات فقد كانت أفدح خسارة منيت بها الأمة العربية على وجه الخصوص والعالم الإسلامي على وجه العموم هي استيلاء الإسرائيليين على القدس الشريف واحتلال الضفة الغربية بكاملها. فقد اجتمعت هذه الخسارة القومية والروحية مع الخسارة الاستراتيجية العسكرية. ومن المستحيل تعويض هذه الخسائر إلا باستعادة كامل الأراضي العربية المحتلة وفي طليعتها القدس الشريف. ويأتي بعدها في الأهمية احتلال العدو لشبه جزيرة سيناء، وتثبيت دفاعاته الأمامية على حافة قناة السويس. وهذا معناه أن مصر قد لا يصبح بمقدورها السيطرة على الملاحة في قناة السويس واغلاقها في وجه الملاحة الاسرائيلية مستقبلاً عندما يعاد فتحها. لأن قوات اسرائيل أصبحت تسيطر على طول القناة من الجانب الشرقي. هذا بالإضافة إلى أن مصر خسرت في سيناء كميات لا بأس بها من النفط والمصادر الطبيعية الأخرى. وأما من الناحية العسكرية فقد خسرت مصر العمق الاستراتيجي الذي كان يعطيها ميزة سوقية ممتازة في حربها ضد اسرائيل.

ويأتي بالدرجة الثالثة من الأهمية خسارة سوريا لمرتفعات الجولان الاستراتيجية التي كانت تعطي سوريا سيطرة ممتازة على جميع طرق الاقتراب إلى الجليل بالإضافة إلى سيطرتها على مناطق بحيرة طبريا والحولة والمستعمرات اليهودية بينهما. وبخسارة مرتفعات الجولان خسرت سوريا السيطرة التي كانت بيدها على منابع نهر الأردن عند

بانيـاس وإمكانيـة التأثير على مواقع تحويل مياه النهر إلى النقب التي كانت من أهم الأسباب التي زادت في حـدة التوتر على الحدود وصعدت احتمالات نشوب الحرب. وهذا بالإضافة إلى احـتلال الاسرائيليين مواقع مهمة على قمة جبل الشيخ ووضعهم مراكز مراقبة الكترونية فيها تسـتطيع منها السيطرة على جميع البلدان العربية المجاورة لاسرائيل أو القريبة منها.

٢ ـ مكاسب اسرائيل :

لقـد تغيرت الاستراتيـجـيـة الاسرائيليـة من أساسها بنتيجة هذه الحرب. فلأول مرة منذ تأسـيس اسرائيل أصـبح لديها امكانيـة الدفـاع في العمق ففي الجنوب أصبح بيدها صحراء سـيناء بكاملهـا تسـتـخـدمـها كحجاب حاجز في وجه أي هجوم مصري محتمل. وفي الشرق مكنها احتلالها للضفة الغربية بكاملها من تأسيس خطها الدفاعي على طول نهر الأردن. وقد أبعد هذا الواقع الجديد عنها خطر الهجوم المباشر من الشرق على وسط اسرائيل وحول مدينة القـدس وبهذا أصـبح لديها حاجزاً ممتازاً كواقي الصدمة ضد أي خطر محتمل يهددها. هذا بالإضـافـة إلى أنه في حـالة شن هجوم من الضفة الشرقية ضد اسرائيل يجب أن يؤخذ بعين الاعـتبار ليس فقط ضرورة القيام بعملية اجتياز النهر قبل شن الهجوم بل أصبح يترتب على القـوات المهـاجمة أن تصـعـد جـبال الضفة الغربية بعد اجتيازها النهر تحت النيران الكثيفة وتقاتل العدو المتمركز في تلك المناطق الوعرة قبل أن تستطيع احتلال موطىء قدم تنطلق منه إلى المعـركة الرئيسية. وهذه مهمة أصبحت في غاية الصعوبة بعد أن أصبحت المواقع الدفاعية الرئيـسية في الضفة الغربية بيد الجيش الإسرائيلي. وأما في الشمال فباحتلال اسرائيل لهضبة الجولان بكاملها أصبحت دروعها المتمركزة في تلك المنطقة تشكل تهديداً مباشراً باتجاه مدينة دمـشق وسـهـولها بعـد أن كـانت المدفـعـيـة السـورية من مواقعها في الهضبة تهدد جميع المسـتعمرات الاسرائيلية في منطقة الجليل وغور الأردن. وأما من الناحية المعنوية فإن الهزيمة التي منيت بها الجـيـوش العـربيـة قـد أصـابت القوات الإسرائيلية وقادتها بنوع من مركب العظمـة وأخـذوا يتصرفون بعجرفة وخيلاء ويتفاخرون بأنهم هزموا جميع الجيوش العربية خـلال فترة وجـيزة لم يسبق لها مثيل. ونسوا أن هزيمة الجيوش العربية لم يكن سببها أن الجـيش الاسرائيلي هذا كـان اسطورة لا يقـهر كما ارادوا أن يصوروه في ذلك الحين. بل كان سـبـبـهـا الأسـاسي هو تفـرق العـرب وعـدم تمكنهم من توحـيد صفوفهم وحشد قواتهم ومـواردهـم بالأسلوب الصـحـيح وتجهيز هذه القوات بالأسلحة الحديثة المتطورة والاستعداد لمواجـهـة القـوات الإسرائيليـة بفعالية وكفاءة. وقد ثبت صحة هذه النظرية إلى حد معقول في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة عام ١٩٧٣م كما سنرى فيما بعد.

الفصل السابع
حرب الاستنزاف
والاستعداد للجولة القادمة والمشاكل الداخلية

١ – لقد كان وقع الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية بهذه الحرب مريراً على جميع المستويات وقد عم الشعوب العربية في تلك الأيام السوداء جو من الذهول والأسى والحنق. حيث لم يكن من السهل على المرء أن يصدق أن الهزيمة التي حلت بنا كان من الممكن أن تقع بهذه السرعة وأن ذلك الانهيار التام الذي تبعها في الجبهات العربية كان يمكن أن يحدث بهذا العمق. فالجيوش الأردنية والمصرية والسورية فقدت جميع أسلحتها الثقيلة ومعداتها وتكبدت آلاف الجرحى والقتلى في الميدان. كما أن حدود هذه البلدان الثلاثة مع اسرائيل أصبحت مكشوفة تقريباً حيث لم يبق لدى القوات التي انسحبت من الجبهات والتي اعتمد عليها في الدفاع سوى أسلحتها الفردية وكميات قليلة من الأسلحة الاسنادية والدبابات. وحتى تتيسر إعادة تسليح هذه الجيوش فإن امكانية الدفاع عن الحدود أمام هجوم جديد ستبقى غير مضمونة من الناحية العملية. وسيبقى اعتمادها الرئيسي على استمرار تطبيق قرار وقف اطلاق النار الذي صدر عن مجلس الأمن الدولي.

ولكن على الرغم من أن الجيوش العربية فقدت أسلحتها فإنها لم تفقد الامل وارادة القتال. واذن فقد أصبحت الأولوية الأولى للأمة العربية هي المحافظة على ارادة القتال لدى الجندي العربي في كافة الجيوش والتي حاول العدو الصهيونى كسرها من خلال التدمير الواسع الذي تمكن من إحداثه في القوات البرية العربية بعد أن نجح في ضرب القواعد الجوية وتدمير معظم الطائرات العربية وقد كان يقصد بالدرجة الأولى زرع الرهبة في نفوس الجنود العرب واقناعهم بأنه لا أمل لهم في التغلب على الجيش الإسرائيلي. وبالتالي فإنه لا فائدة من استمرار الحرب وأن الواقع المفروض في الميدان أصبح يحتم على الأمة العربية أن تقبل بالصلح الذي تفرض اسرائيل شروطه عليها من مركز القوة.

ولمواجهة هذا التحدي الخطير كان لا بد من إشباع ارادة القتال لدى الجنود وإحياء الامل بالمستقبل لرفع الروح المعنوية التي تأثرت بنتيجة الهزيمة وذلك عن طريق الاستمرار بمناوشة العدو على طول الجبهات واعتبار أن الحرب ما زالت مستمرة. وبنفس الوقت العمل

على اعـادة بناء الجـيـوش وتزويدها بالأسلحـة الحديثة بدل الأسلحة التي فقدتها وبالسرعة الممكنة. ومن الأهميـة بمكان في هذا المجـال أن تكون الأسلحـة الجـديدة أفضل من تلك التي فـقـدت كمًا ونوعـاً لكي يشعر الجنود أن قدراتهم القتالية أصبحت أعلى مما كانت عليه قبل الحـرب التي خسروها. وبهذا تقـوى ثقـتـهم بسـلاحـهم وينبعث أملهم في النصر من جديد اسـتـعـداداً للجـولة القـادمة. ومن هنا نشأت فكرة حرب الاستنزاف التي تبناها جمال عبد الناصر وبدأ بتنفـيـذها على طول الجبهة المصرية واستمرت قرابة ثلاث سنوات من أول تموز عام ١٩٦٧م عندمـا وقع أول اشتباك بين سرية مدرعة اسرائيلية ودورية مصرية عند منطقة راس العش شرقي قناة السـويس وعلى بعـد حوالي عشرة كيلومترات جنوب بورسعيد وحتى شـهر آب عام ١٩٧٠م عـنـدمـا أعـلـن وقف اطلاق النار من جـديد. كما تبنى الأردن نفس النظرية وبدأ بتنفـيـذها كـذلك ولقـد فـرضت حرب الاستنزاف على القوات الاسرائيلية موقفاً جـديداً لم تألفـه من قبل في جميع حروبها السابقة وذلك باجبارها على خوض حرب دفاعية طويلة الأمـد تجبرها على القـتـال من وراء مـواقع دفـاعـيـة ثابتـة معرضة للقصف المدفعي والجوي المستمر بدلاً من اتبـاع أسلوب الحـركـة والمرونة والاختراق السريع في العمق الذي كـانت قـد تدربت عليه واختبرت جميع جوانبه في المعارك السابقة. وهذا معناه أنه على القوات الاسرائيليـة أن تتكبـد الخـسـائر في الأرواح التي تفـرضـها حرب الاستنزاف على نطاق واسـع ومـسـتمر وهو ما كانت اسرائيل تحاول تجنبه في حروبها السابقة باستخدام تفوقها الجوي والتكنولوجي الذين كـانا دومـاً يمكنانها من الاحـتفاظ بزمام المبادرة وشن الحرب الخاطفة بالوقت الذي تعينه. وأما في حرب الاستنزاف هذه فقد أصبح يتعين عليها أن تتخلى عن زمام المبادرة وتقبع خلف خط دفـاعي ثابت لمدة طويلة قد تدوم أشهراً وربما سنين كما ثبت فعلياً في واقع الحال

هذا وقـد اسـتـمـرت المناوشات عبر قناة السويس بين القوات المصرية والإسرائيلية تأخذ طابع الدوريات المقـاتلة أحـيـاناً وتكبر تدريجيـاً لتتطور وتصل إلى قوة بحجم سرية تحاول عـبـور القناة إلى الضـفـة الشرقـيـة بقـوارب مطاطيـة وأحـياناً أخرى بتبادل نيران المدفعية والدبابات عبر القناة وتطورت أخيراً لتـشـمل اشتراك القـوات البحرية كما حدث عند سواحل سـيناء مـقابل موقـع الرومانى حيث اشتبكت قوارب الطوربيد المصرية مع المدمرة الإسرائيلية إيلات ومـعـهـا قـوارب طوربيد اسرائيلية وقد خسرت البحرية المصرية بنتيجة هذا الاشتباك أثنين من قواربها.

وبتاريخ ١١ تمـوز وافـقـت كل من مصر واسرائيل على وقف اطلاق النار ووضـع نقـاط مـراقـبة من هيئة الأمم المتحدة على جانبي قناة السويس. ولكن اسرائيل حاولت استغلال هذا

الموقف لصالحها وتفسير وقف اطلاق النار بأنه يعني وجود خط يفصل بين الطرفين يمر عبر منتصف القناة وعلى هذا الأساس فإنه يحق للقوات الاسرائيلية استخدام الجانب الموالي لها من القناة وقد قامت بانزال بعض القوارب المطاطية إلى القناة جنوب القنطرة لكي تكتشف رد الفعل على هذه الحركة من قبل المصريين وفيما إذا كانوا سوف يقبلون بهذا الوضع الجديد ولكن القوات المصرية قامت باطلاق النار على هذه القوارب الاسرائيلية فور نزولها إلى الماء وأصابت معظمها وقد قتل بالنتيجة الكثيرون من جنودها وقدرت الاصابات بحوالي ستين شخصاً.

وقد تطورت المعركة واشتركت بها المدفعية والطائرات من الطرفين. وبعد هذا الاشتباك توقف اطلاق النار من جديد وساد الهدوء على طول الجبهة ولو بشكل مؤقت. ولكن الاسرائيليين لم يعيدوا محاولتهم بالنزول إلى القناة مرة أخرى.

وأما على الصعيد السياسي العام فقد عقد الملوك والرؤساء العرب مؤتمر قمة في الخرطوم بتاريخ ١ أيلول ١٩٦٧م للتوصل إلى سياسة موحدة لمواجهة اسرائيل ومعالجة نتائج الحرب وقد كان من أبرز قرارات هذا المؤتمر ما عرف فيما بعد باللاءات الثلاثة وهي:

لا اعتراف بدولة اسرائيل.

لا مفاوضات مع اسرائيل.

لا سلام مع اسرائيل.

وقد التزمت جميع الدول العربية بتطبيق هذا القرار بحذافيره. وفي أعقاب مؤتمر الخرطوم ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً بالجماهير المحتشدة في القاهرة وأعلن فيه أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة. وقد أصبحت هذه المقولة شعاراً مطروحاً يتردد باستمرار لسنين طويلة في مختلف الأوساط العربية الرسمية والشعبية وقد أضاف في خطابه هذا (لا) رابعة إلى لاءات مؤتمر القمة هي .

لا تنازلات في الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

كما أعلن في هذا الخطاب أن السياسة الحربية المصرية تستند على ثلاثة مراحل هي:

أولاً– مرحلة بناء القدرة الدفاعية.

ثانياً– مرحلة الدفاع التعرضي.

ثالثاً– مرحلة التحرير

واستناداً إلى هذه السياسة اتخذت الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذه المراحل على النحو التالي

أولاً : بناء القدرة الدفاعية

خلال هذه المرحلة التي استمرت سنة كاملة تمكنت القوات المصرية من تعويض جميع أسلحتها التي فقدتها في الحرب بأسلحة أحدث منها وأكثر تطوراً. كما أكملت اعادة بناء وحداتها المقاتلة واستيعاب الأسلحة الجديدة ضمن فترة زمنية قياسية. وباتمام هذه المرحلة أصبحت القوات المصرية أقوى مما كانت عليه قبل نشوب الحرب. ولم يكن كل هذا ممكناً لولا المساعدات السخية التي قدمها الاتحاد السوفياتي إلى مصر وخصوصاً في مجال تسليمها جميع ما طلبته من تلك الأسلحة وبنماذج أحدث من تلك التي فقدتها وبسرعة فائقة. فمثلاً حصلت مصر على طائرات الميج ٢١ بد الميج ١٧ ، ١٩ التي فقدتها في الحرب. كما حصلت على دبابات (ت٥٤ وت٥٥) بدل دبابات (ت٣٤) وكذلك الحال بالنسبة للمدفعية التي حصلت علي كميات ضخمة منها. وصواريخ (سام) المضادة للطائرات والتي أصبحت هي العامل الحاسم في بناء الدفاعات الجوية على طول جبهة القناة: صحيح أن الروس استفادوا سياسياً من تعزيز تواجدهم في مصر التي أصبحت دولة صديقة لهم ومغلقة في وجه النفوذ الامريكي بشكل خاص والنفوذ الغربي بشكل عام. ولكن مصر استفادت عسكرياً لأنه لم يكن ممكناً لها أن تعيد بناء قواتها وتسلحها بالأسلحة الحديثة وتتم تدريبها وتستوعب جميع هذه الأسلحة بهذه السرعة لولا تلك المساعدات الضخمة بتزويد الأسلحة وتقديم الخبراء والمدربين اللازمين لتدريب القوات المصرية عليها.

ومن منطلق الالتزام بمقررات مؤتمر الخرطوم وللابقاء على حيوية الجبهة والمحافظة على معنويات الجيش عالية كان لا بد من استمرار حرب الاستنزاف. وعلى هذا الأساس أعيدت الاشتباكات من جديد اعتباراً من منتصف أيلول ١٩٦٧م. وقد بدأ أول اطلاق نار عند الجزيرة الخضراء شمال خليج السويس وما لبث حتى امتد على طول جبهة القناة وتطورت المعركة حتى شملت تبادل القصف بالمدفعية الثقيلة وأصبحت مدن القناة من القنطرة حتى الاسماعيلية والسويس معرضة للقصف المستمر الأمر الذي أجبر الألوف من سكانها على النزوح منها. ومع الوقت اضطرت الحكومة المصرية إلى اجلاء حوالي ثلاثة أرباع مليون نسمة من سكان هذه المدن بعيداً عن الخطر وأسكنتهم في مخيمات مؤقتة.

وليس من الممكن أن أستعرض هنا جميع الاشتباكات المهمة التي وقعت أثناء هذه المرحلة الأولى على جبهة القناة لكنه لا بد من الاشارة إلى أهم هذه الحوادث جميعها وهو اغراق المدمرة الاسرائيلية (ايلات) من قبل قوارب الطوربيد المصرية. حيث بتاريخ ٢١ تشرين أول ١٩٦٧م بينما كانت المدمرة ايلات والتي كانت بنفس الوقت هي سفينة القيادة للاسطول

الاسرائيلي تقوم بأعمال الدورية مقابل ميناء بورسعيد وتبعد حوالي خمسة عشر ميلاً عن الميناء تصدى لها أحد قوارب الصواريخ المصرية من نوع (كومار) وأطلق عليها صاروخاً من نوع (ستايكس) وقد أصابها أصابة مباشرة في منطقة الغلايات وقتل عدداً من الضباط والجنود وقطع التيار الكهربائي فيها. وبعد دقيقتين أطلق صاروخاً آخر عليها وأحدث أضراراً بالغة فيها، وعلى أثر ذلك بدأت تغرق. وبعد ساعتين أطلق عليها الصاروخ الثالث والأخير فوقعت عدة انفجارات في جسمها وشبت فيها الحرائق وبعد ذلك غرقت نهائياً

وقد كانت الاصابات في طاقم هذه المدمرة بالغة جداً حيث قدر الاسرائيليون أن من بين أفراد طاقمها البالغ عددهم (١٩٩) فرداً قتل ٤٧ وجرح ٩٠ من مختلف الرتب. وقد كان لهذا الحادث أبلغ الأثر على الاسرائيليين حيث قاموا على الفور بفتح نيران مدفعيتهم الثقيلة على مصافي النفط ومصنع البتروكيماويات في مدينة السويس واشتعلت فيهما النيران وقد كانت الخسائر المادية ضخمة حيث بلغت حوالي ٣٦ مليون جنيه. كما كان لاغراق المدمرة الاسرائيلية وقع عالمي من حيث أنه لأول مرة في التاريخ يتم اغراق بارجة حربية بنيران صاروخ يطلق من ظهر قارب. وبهذا الحادث بدأ عصر حرب الصواريخ البحرية التي تطورت كثيراً عبر السنين حتى وصلت إلى المستوى المتقدم الذي نعرفه اليوم.

ثانياً : الدفاع التعرضي

وعندما اكتمل تمركز القوات المصرية التي أكملت تسليحها وتدريبها على جبهة القناة وأصبح قوامها حوالي (١٥٠٠٠٠) مائة وخمسون ألف جندي بدأت مرحلة الدفاع التعرضي في مطلع شهر أيلول ١٩٦٨م.

وبهذا الوقت قررت القيادة المصرية أن الوقت قد حان للقيام بعمل تعرضي كبير على الجبهة. وقد وضعت خطة قصف مدفعي شامل لهذه الغاية تغطي جميع مواقع الجيش الإسرائيلي على طول الجبهة التي بلغت ٦٥ ميلاً. وعندما حانت ساعة الصفر يوم ٨ أيلول انطلقت نيران المدفعية الثقيلة من حوالي ألف مدفع في آن واحد على جميع الأهداف في المواقع الاسرائيلية شرق القناة وقد كان هذا القصف المفاجىء مؤثراً للغاية وتكبد العدو بنتيجته خسائر فادحة بالارواح والمعدات. وبالمقابل فقد أجابت المدفعية الاسرائيلية بقصف مماثل على المواقع المصرية وأوقعت بها خسائر كبيرة كذلك.

وبعد أسبوعين كررت المدفعية المصرية هذا القصف التعرضي على نطاق واسع وكبدت العدو خسائر فادحة كذلك. ولما كان واضحاً أن المدفعية المصرية متفوقة على المدفعية

الاسرائيلية لجأ الاسرائيليون إلى أسلوب الرد غير المباشر حيث أرسلوا قوة محمولة على طائرات الهيليوكبتر وتسللت في ليلة ٣١ تشرين أول إلى نجع حمادي التي تقع على بعد حوالي ثلثمائة كيلومتر جنوب القاهرة وتمكنت من نسف جسر ومحطة كهرباء ثم عادت إلى قواعدها. وقد اتضح للحكومة المصرية أثر هذا الحادث أن هنالك الكثير من الأهداف المماثلة في أعماق مصر أصبحت مكشوفة لمثل هذه العمليات التخريبية وعلى هذا الأساس أصدر جمال عبد الناصر مرسوماً بتشكيل الميليشيا الشعبية التي انيطت بها مهمة حماية النقاط الحيوية في جميع أنحاء البلاد وبهذه الأثناء أوقفت القوات المصرية نشاطها المدفعي مؤقتاً وساد الهدوء النسبي جميع أنحاء الجبهة.

وقد اغتنم الاسرائيليون هذه الفرصة لبناء خط دفاعي يتكون من سلسلة من المواقع الحصينة التي يمكنها السيطرة على قناة السويس وبنفس الوقت توفير الحماية الكافية لجنودهم ضد هذا النوع من القصف المدفعي الثقيل الذي مارسه المصريون وقد عرف هذا الخط فيما بعد باسم (خط بارليف) نسبة إلى رئيس أركان الجيش الاسرائيلي في ذلك الوقت الجنرال (حاييم بارليف) والذي كان صاحب فكرة بنائه بالشكل الذي بني فيه. وقد كان بناء هذا الخط الدفاعي أضخم عمل هندسي قامت به اسرائيل في مجال بناء الاستحكامات الدفاعية في تاريخها. وقد كلفها مبالغ طائلة من الأموال وجهوداً ضخمة في العمل لكي تضمن الحماية الكافية لجنودها ضد أثقل أنواع القصف المدفعي. وبنفس الوقت لكي تحول دون امكانية عبور القوات المصرية قناة السويس إلى الشرق في أي حرب قادمة.

ولتحقيق هذين الهدفين في آن واحد اعتمد المخططون الاسرائيليون أن يتكون هذا الخط الدفاعي الضخم من سلسلة من القلاع الحصينة التي يتم بناؤها بحيث يمكنها أن تصمد تحت أي قصف مدفعي ثقيل مهما كان حجمه وبحيث تستطيع المجموعات القتالية المتمركزة فيها السيطرة على جميع النقاط التي يمكن أن تعبر منها القوات المصرية. وبنفس الوقت توفر المراقبة المباشرة أثناء النهار والمراقبة الالكترونية أثناء الليل من هذه المواقع على طول قناة السويس. ويتم تسيير الدوريات المدرعة بينها. مع وجود مواقع المدفعية في الخلف لتسترها. كما تتمركز تجمعات القوات المدرعة في العمق في الخلف بحيث يمكنها التقدم فوراً لصد أي هجوم عبر القناة قد تقوم به القوات المصرية عندما يكون في مراحله الأولية.

ومن جملة الأجهزة التي اضيفت لضمان كفاءة هذه التحصينات أجهزة خاصة يمكنها أن تضخ كميات كبيرة من النفط فوق مياه القناة ويتم حرقها اوتوماتيكياً بحيث تغطي القناة بستار من اللهب يمنع اجتيازها من قبل القوات المهاجمة. ويمكن تشغيل هذه الأجهزة من

داخل التحصينات كما قاموا بردم ملايين الأطنان من التراب أمام خط التحصينات حيث تكون منها حائط هائل يمتد على طول القناة كحاجز ساتر لحماية مواقع التحصينات الرئيسية وبنفس الوقت لمنع مراقبتها من قبل القوات المصرية من الضفة الغربية للقناة.

وقد كان المقصود من هذا الخط منع القوات المصرية من عبور القناة أو اعاقتها وايقافها ريثما تتقدم القوات المدرعة الاسرائيلية من الخلف لتدميرها. وقد انتهى العمل في بناء هذا الخط بتاريخ ١٥ آذار ١٩٦٩ وقد ثبت في عام ١٩٧٣م عكس تلك النظرية تماماً وإن القوات المصرية عندما توفرت لها الامكانيات تمكنت من اجتياز هذا الخط بسرعة هائلة وقلبت النظرية الدفاعية الاسرائيلية رأساً على عقب.

وفي منتصف آذار عام ١٩٦٩ عاودت القوات المصرية القصف المدفعي الثقيل على المواقع الاسرائيلية من جديد. وأثناء هذا القصف المدفعي المتبادل استشهد الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب الجيش المصري آنذاك وعدد من ضباط الأركان عندما كان في المواقع الأمامية بمنطقة الاسماعيلية. وهكذا تجددت حرب الاستنزاف بعد فترة من الهدوء واستمرت بعد ذلك بدون انقطاع مدة سنة ونصف تقريباً حتى شهر آب ١٩٧٠

وبهذه الأثناء أعلن جمال عبد الناصر ابتداء المرحلة الثالثة والأخيرة وهي مرحلة التحرير والتي كانت تتمثل بعبور القناة وشن الحرب على اسرائيل بهدف تحرير الأراضي العربية المحتلة. وقد كان من المقرر تنفيذ هذه الخطة بعد ثلاثة أشهر من انتهاء المرحلة الثانية في ٨ آب ١٩٧٠ وقد صادق الرئيس جمال عبد الناصر على الخطة النهائية لهذه الحرب وبدأ العد التنازلي نحو ساعة الصفر. ولكن القدر كان له بالمرصاد فتوفي عبد الناصر بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٧٠م وبوفاته تغير مجرى الأحداث وتأجلت الحرب وتغيرت القرارات عندما ظهر أنور السادات على المسرح كما هو معروف. وخلال الفترة الأخيرة من حرب الاستنزاف دفع الاسرائيليون بكامل سلاحهم الجوي إلى المعركة واستخدموا الطائرات كمدفعية في الجو ضد الأهداف المصرية. وقد دفع هذا التطور المصريين إلى طلب المزيد من الصواريخ المضادة للطائرات من الاتحاد السوفياتي. وقد قام الروس بتزويدهم بما يكفي من هذه الصواريخ لبناء تجمع متكامل من الدفاعات الجوية بعمق ١٨ ميلاً ويقع أبعد صاروخ عند نقطة تبعد ٣٠ ميلاً شرق القاهرة ويقع أقرب صاروخ على بعد ١٢ ميلاً من القناة ويعتمد على أحدث أنواع الرادارات وصواريخ سام ٣ وسام ٦ وجميع ما يلزم لهذه الصواريخ من الأجهزة الحديثة. كما زودوهم بحاجتهم من الفنيين والخبراء لادارتها وتدريب المصريين عليها. وبعد انجاز بناء هذا التجمع كانت الخطوة التالية تتمثل في تقريب الصواريخ مسافة أكثر نحو

القناة. وبهذا الشكل تصبح هذه الصواريخ فعالة في حماية الجبهة وبنفس الوقت تكون خارج نطاق مرمى المدفعية الاسرائيلية وهكذا أصبح بامكانها أن تحد من فعالية الغارات الجوية المعادية ضد مواقع المدفعية المصرية، وبالإضافة إلى سياسة مصر التي تهدف إلى الحصول على التعادل الجوي مع إسرائيل فإن القدرة الصاروخية المصرية في منطقة القناة أصبحت عاملاً حاسمًا في تطوير الاستراتيجية الهجومية للقوات المصرية كما أن زيادة المدى الذي يمكن أن تصله هذه الصواريخ وضعت أجواء الخطوط الأمامية الاسرائيلية ضمن نطاق فعاليتها وبهذا تصبح الأوضاع مهيئة على الأقل بالنسبة للحماية الصاروخية ضد الجو لعبور القوات المصرية قناة السويس كما حدث فعلاً في حرب رمضان عام ١٩٧٣م.

وأما على الجبهة الأردنية فقد استمرت المناوشات بين القوات الأردنية والقوات الإسرائيلية طيلة مدة حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية ومتزامنة معها. وقد كانت هذه المناوشات في معظمها تأخذ طابع اطلاق النيران من الأسلحة الخفيفة أو القصف المدفعي ضد الدوريات والمواقع الاسرائيلية أو لمنع التحرشات التي كانت تقوم بها القوات الاسرائيلية بالقرب من الحدود. وفي بعض الحالات كان القصف المدفعي الاسرائيلي في العمق ضد التجمعات السكانية الأردنية حيث كانوا يقصفون مدينة أربد وعدد من القرى الواقعة إلى الشمال والغرب ويحدثون بعض الاصابات بين السكان

وأما عمليات عبور نهر الأردن إلى داخل الضفة الغربية فقد كان يقوم بها الفدائيون فلسطينيون بالتنسيق مع القوات المسلحة الأردنية التي كانت تغطي عبورهم بقصف مدفعي مركز على المواقع الاسرائيلية قبيل عبورهم. وبهذه الطريقة كانوا يعبرون النهر في معظم الحالات دون أن تكتشفهم الدوريات الاسرائيلية وينفذون مأموريتهم المخطط لها. ولقد كانت هذه العمليات مستمرة يومياً تقريباً رغم أن الاسرائيليين كانوا يكتشفون بعض هذه الدوريات ويدمروها. ومما لا شك فيه أنها كانت مؤثرة على الموقف العام الاسرائيلي على طول الجبهة وكانت تكبدهم خسائر لا بأس بها وخصوصاً عمليات القصف المدفعي المكثف الذي كان يجري يومياً تقريباً. وكذلك كان الاسرائيليون يوقعون الخسائر في الجبهة الأردنية بنتيجة القصف المدفعي الذي كانوا يردون به على القصف الأردني أو العكس. وكذلك بنتيجة الغارات الجوية التي كانوا يقومون بها على مواقع الجيش الأردني ومواقع الجيش العراقي والسوري المتواجدة في الجبهة الأردنية. بالإضافة إلى القصف الموجه ضد المدن والقرى الأردنية التي تكبدت هي الأخرى أضراراً لا بأس بها.

أما الحادث الكبير الذي وقع خلال فترة حرب الاستنزاف على الجبهة الأردنية فقد كان

الهجوم الرئيسي الضخم الذي شنته القوات الاسرائيلية على منطقة الكرامة في الغور الأوسط وصاحبه هجوم فرعي على غور الصافي جنوب البحر الميت وقد كانت بلدة الكرامة تستخدم كقاعدة للفدائيين الفلسطينيين وكانت من أكبر قواعدهم التي تيواجدون فيها بأعداد كبيرة ومع تزايد حوادث عبور دوريات الفدائيين إلى فلسطين المحتلة وتطور أعمالهم هناك ضد المستعمرات والقواعد الاسرائيلية قرر الاسرائيليون توجيه ضربة قاصمة لهذه القاعدة الفدائية أو على الأقل هذا هو الهدف الذي أعلنته اسرائيل في حينها رغم أنه كان من المتوقع أنهم لو لم يواجهوا بتلك المقاومة العنيفة التي واجهوها من قبل قوات الجيش الأردنى ولو تمكنوا من احتلال المرتفعات الشرقية والتثبت فيها لكان هدفهم المعلن قد تغير ولحاولوا البقاء في تلك المواقع وفرض واقع جديد قد لا يكون من السهل تصوره. ومهما يكن الحال فقد شن الاسرائيليون هجومهم هذا عند فجر يوم ٢١ آذار عام ١٩٦٨ ولقد اقتبست المعلومات التالية من النشرة التي أصدرتها دائرة التوجيه المعنوي في قيادة الجيش العربي ونشرتها جريدة الرأي في عدد الأحد ٢١/٣/١٩٩٣م وأوجزها بما يلي للمحافظة على تسلسل وقائع الأحداث ومتابعة تعليقاتى العامة فيما بعد.

أولاً . كانت قوات العدو تتألف من الوحدات الآتية .

اللواء المدرع رقم (٧) ، خمسة كتائب مدفعية ، أربعة أسراب طائرات مقاتلة نوع (ميراج ومستير)، طائرات هيلوكبتر تكفي لنقل كتيبتي مظليين.

ثانيا : كانت قواتنا تتألف من الوحدات الآتية:

فرقة مشاة من أربعة ألوية، لواء مدرع، كتيبة دبابات مستقلة، أسلحة إسناد.

ثالثاً · تقدمت القوات الاسرائيلية على ثلاثة محاور رئيسية ومحور فرعي كالآتى.

أ - محور العارضة (جسر الأمير محمد)·

تقدمت القوات الاسرائيلية عبر هذا المحور تحت ستار كثيف من نيران المدفعية والدبابات واصطدمت مع قوات الحجاب المتمركزة شرق الجسر ودارت معركة عنيفة أجبرت تلك القوات على التوقف والانتشار مما مكن مدفعيتنا من التأثير عليها وقد دمرت قواتنا العديد من الدبابات الاسرائيلية. وقد حاول العدو خلال هذه الفترة إقامة جسرين إضافيين ولكنه فشل بذلك. كما حاول بعد اعادة التنظيم أن يدفع قواته للوصول إلى المرتفعات الشرقية ولكنه لم ينجح بهذه المحاولة كذلك وبقي في مواقعه حتى صدور أمر الانسحاب.

ب – محور وادي شعيب (جسر الملك حسين) :

كان هجوم العدو الرئيسي عبر هذا المحور باتجاه بلدة الشونة الجنوبية حيث اندفع بقوة لوائين مسندين. ورغم تصدي قوة الحجاب المتمركزة شرق الجسر لهذا الهجوم إلا أن العدو تمكن من الوصول إلى مشارف الكرامة من الجهة الجنوبية والغربية ولكنه وصل متأخراً عن الوقت المقرر بسبب كثافة النيران التي تعرض لها مما سهل إفشال وتدمير الموجة الأولى من القوات المحمولة جواً والتي انزلت شرقي بلدة الكرامة مما دفع العدو إلى انزال موجة أخرى فتمكن من دخول البلدة وتدمير عدد من منازلها. ولكن القوات الأردنية شنت هجوماً معاكساً داخل بلدة الكرامة كان له تأثير كبير في الضغط على العدو وإرباكه وتكبيده خسائر كثيرة.

ج – محور ناعور/ سويمة (جسر الأمير عبدالله) :

فشل العدو في عبور النهر على هذا المحور بعد أن دمرت معظم معدات التجسير ولآليات التي حاول استخدامها بفعل النيران الكثيفة. ولمعالجة هذا الموقف حاول. العدو فصل مجموعة قتال من قواته العاملة على محور وادي شعيب ودفعها إلى خلف قوة الحجاب ليحاصرها. إلا أن قوة العدو هذه تعرضت إلى قصف شديد أدى إلى تدمير عدد كبير من آلياتها. وبذلك انتهت المعركة على هذا المحور بانسحاب مرتبك لقوات العدو.

د – محور غور الصافي ·

كان هدف العدو من الهجوم على هذا المحور تشتيت جهد القوات الأردنية وإرهاب سكان المنطقة وتدمير بعض المنشآت فيها. وقد اندفع العدو برتل من دباباته ومشاته وقد مهد لاندفاعه هذا بحملة اعلامية بالقاء المنشورات على السكان من الطائرات تدعوهم إلى الاستسلام. كما قام بعمليات قصف جوي على مواقع قواتنا. ولقد أخذت المعارك في تلك المنطقة طابع القتال المتحرك. وفي كل موقع كان العدو يواجه بمقاومة عنيفة ويتكبد خسائر فادحة. وهكذا فقد فشل العدو بهذه المعركة دون أن يحقق أياً من أهدافه على جميع المحاور:

وفي نهاية المطاف وبنتيجة الخسائر الجسيمة التي تكبدها العدو فقد قرر الانسحاب بسرعة إلى غرب النهر.

ملحوظة :

هذا الوصف المبين باعـلاه يعطي الجـواب على أهداف العـدو الأخـرى خارج بلدة الكرامة والتي كما يظهر أن العدو لم يتمكن من تحقيقها.

أمـا بالنسـبة لقوات الفدائيين التي كانت متواجدة في قاعدتها هناك فإن هذه المعركة تعتبر نقطة تحـول رئيسية. حيث أن هذه القوات بعد أن نجح العدو بتدمير قاعدتها في بلدة الكرامة اضطرت إلى الانتـقـال إلى مـواقع جـديدة في جـبـال السلط والتي أصـبحت بعد ذلك عرضة للغـارات الجـوية الاسرائيليـة التي كانت تقصفها باستمرار. وبالنتيجة أخذت قوات الفدائيين تترك مـواقـعـهـا في الجـبـال وتنتقل إلى المدن الرئيسية وتنشيء قواعد جديدة لها في الأحياء السكنيـة الأمـر الذي كـانت له عواقب سيئة فيما بعد وأدى بالنهاية إلى اصطدامها مع قوات الجيش العربي في أواخر عام ١٩٧٠م.

النشاطات السياسية :

بعد انتهاء العمليات الحربية أصدر مجلس الأمن الدولي بتاريخ ٢٢ تشرين ثاني ١٩٦٧م قرار رقم (٢٤٢) انظر صـيـغته الكاملة في (الملحق رقم ٥) وطالب بتـحقيق السلام الدائم والعادل في الشرق الأوسط ضمن الشروط الآتية:

١ – انسـحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في هذه الحرب.

٢ – انهاء حـالة الحـرب واحترام اسـتقلال وحدود جميع الدول في المنطقة ضمن حدود آمنة ومـعترف بها : وتجدر الاشارة هنا إلى أن الصيغة التي أقرت نهائياً لهذا القرار جاءت في الفقرة الأولى خالية من (ال) التعريف قبل كلمة الأراضي التي احتلتها فأصبحت تقرأ بدلا من (انسـحـاب القوات من الأراضي التي احتلتها إلخ) وهذا معناه من جميع الأراضي فقد أصـبـحت بالصيغة الانجليزية تقرأ (انسحاب القوات من أراض احتلتها إلخ) وهذا معناه من جزء من الأراضي فقط. وقد جاء هذا النص بنتيجة الضغط الأمريكي على المندوبين في مجلس الأمـن الدولي. وهذا مـعناه أن اسرائيل يمكنهـا أن تفسر القـرار بأنه لا يلزمـهـا بالإنسحاب سوى من بعض الأراضي التي احتلتها وليس منها جميعاً. وهذا هو ما ارادته أمريكا وتمسكت به اسرائيل في جميع مناقشاتها ومباحثاتها طوال السنين الماضية وحتى الآن. وليس غـريبـاً أن تكون أمـريكا هي التي تصر على صياغة القرار بهذا الشكل لكي تسـاعـد اسرائيل على ابتلاع المزيد من الأراضي العربية ولكي تضع بيدها سلاحاً اضافياً للمـفـاوضة وفي هذا الصدد أحب أن أشير إلى ما ذكرته في مكان سابق عندما شرحت ما

جاء في مذكرة (والت روستو) التي قدمها للرئيس جونسون أثناء زيارة (آبا ايبان) لأمريكا قبيل نشوب الحرب وهي كما يلي :

«تمكين الإسرائيليين من احتلال أراض يتمكنون بواسطتها من إجبار دول المواجهة العربية على الجلوس معهم على طاولة المفاوضات بشكل جدي للتوصل إلى حل نهائي للمشاكل القائمة بينهم».

وما دام أن أمريكا كانت تخطط قبل نشوب الحرب لتحقيق هذا الهدف وقد زودت اسرائيل بكل ما يلزم من الدعم العسكري والمادي والسياسي لتحقيقه في ساحة القتال فمن باب أولى أنها تصر الآن في مجلس الأمن الدولي على وضع صيغ القرارات بالشكل الذي يضمن استمرار احتفاظ اسرائيل بهذه المكاسب وهذا ما يحصل فعلاً عند تطوير صياغة أي قرار آخر لأن هذه هي سياسة أمريكا الثابتة منذ قيام دولة اسرائيل والتي ترتكز أصلاً على دعمها بكل الوسائل وبلا حدود. ولا بد من الاشارة هنا إلى أن الصياغة الأصلية للقرار رقم (٢٤٢) كانت من وضع اللورد كرادون الذي كان مندوب بريطانيا في مجلس الأمن الدولي في ذلك الحين وقد كانت الصيغة الأولى من القرار إذا وافق عليها مجلس الأمن كما وضعت بدون تحريف سوف تصبح أساساً قوياً لاسترداد الضفة الغربية بكاملها كما كانت قبل وقوع حرب عام ١٩٦٧.

وقد زارني اللورد كرادون عندما كنت وزير دولة للشؤون الخارجية عام ١٩٧٥ حيث كان يقوم بزيارة للأردن. وقد تطرق بحديثه معي إلى الطريقة التي وضع فيها الصيغة الأولية للقرار رقم (٢٤٢) قبل عرضها على مجلس الأمن رسمياً وقال أنه كان يعتقد في ذلك الحين بأن القرار سينال موافقة المجلس بدون تعديل وأنه سيصبح بالإمكان استعادة الضفة الغربية على أساسه.

وعلى الرغم من أن قرار مجلس الأمن هذا بعد التعديلات التي أجريت عليه أصبح مشوها فإن مجلس الأمن الدولي عندما وافق على صيغته النهائية أعطى تعليماته إلى السكرتير العام للأمم المتحدة لكي يعين ممثلاً خاصاً له ليعمل على تنفيذ بنود هذا القرار. وبناء على هذا التكليف عين السكرتير العام لهذه المهمة الدبلوماسي السويدي السفير غونار يارنغ (Gunnar Jarring). وقد بدأ جولاته بين عواصم بلدان الشرق الأوسط بمحاولة للتوصل إلى اتفاق بين الدول المعنية لتنفيذ بنود القرار (٢٤٢) المذكور. وعلى الرغم من أن هذا المندوب بذل جهودا مضنية في هذا السبيل واستمرت جولاته واتصالاته مدة سنتين تقريباً إلا أنه فشل في مهمته في نهاية المطاف وقرر الاستقالة من هذه المهمة الشاقة.

وأما القرار (٢٤٢) نفسه فقد بقي ساري المفعول ولكن بدون تطبيق عملي على الرغم من أن كلاً من مصر والأردن واسرائيل كانت قد وافقت عليه في ذلك الحين.

وبعد فشل مهمة السفير (غونار يارنغ) وفي أواخر حرب الاستنزاف تقدم وزير خارجية أمريكا وليام روجرز (William Rogers) في شهر كانون أول عام ١٩٦٩م بخطة جديدة للسلام عرفت باسم (مشروع روجرز).

وقد كانت هذه الخطة شبيهة بما ورد في القرار رقم (٢٤٢) وهي تنص على انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي المحتلة تقريباً مقابل السلام وقد تركت هذه الخطة موضوع قطاع غزة وشرم الشيخ مفتوحة للتفاوض ولكن قبول هذه الخطة من قبل الأطراف المعنية كان يتطلب الموافقة على وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر. وكانت تدعو إلى التفاوض غير المباشر بين مصر والأردن واسرائيل تحت إشراف كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي. وقد رفض الاتحاد السوفياتي الانضمام لهذه المبادرة فقام ويليام روجرز بارسالها إلى الأطراف المعنية في شهر تشرين أول عام ١٩٦٩ ولكن الدول العربية رفضت هذه المبادرة بعد الاتصالات المكثفة التي قامت بها الولايات المتحدة على أساسها.

وفي شهر تموز عام ١٩٧٠ قام جمال عبد الناصر بزيارة إلى الاتحاد السوفياتي قيل أنها كانت للعلاج. وعلى الرغم من أن المرض الذي كان يعاني منه منذ مدة أخذ يظهر تأثيره عليه بوضوح فإنه وجد أن لا بد من الوصول إلى موقف يمكنه من البدء بتنفيذ خطة الهجوم عبر قناة السويس والتي كان قد وافق على تفصيلاتها الأولية وبدأت الاستعدادات لها تجري بسرية تامة. ولكن حرب الاستنزاف التي ما زالت مستمرة منذ قرابة ثلاث سنوات كانت تعرقل الكثير من تلك الاستعدادات وعلى الأخص مسألة استكمال بناء شبكة الصواريخ ضد الجو على طول القناة حيث لم تتمكن القوات المصرية من إكمال تقريب هذه الصواريخ إلى القناة ما دام اطلاق النار مستمراً وخصوصاً النشاط الجوي الإسرائيلي الذي كانت له فعالية قوية على طول الجبهة.

ومن محصلة هذه الأمور جميعها ولتحقيق هدفه الأساسي بعبور قناة السويس وجد أنه من الأفضل أن يوافق على مشروع روجرز الثاني الذي تقدم به بتاريخ ١٩ حزيران ١٩٧٠م والذي كان ينص على وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر على أن تتم خلالها مفاوضات غير مباشرة بين مصر والأردن واسرائيل. وقد كان عبد الناصر يريد أن يستغل فترة الثلاثة أشهر من الهدوء على الجبهة لاكمال بناء شبكة الصواريخ بشكل متكامل بحيث يصبح بإمكانها تحييد سلاح الجو الاسرائيلي فوق القناة. وبعد موافقة مصر على مشروع روجرز

هذا وافـقت عليـه الحكومة الأردنية بتاريخ ٣١ تموز عـام ١٩٧٠م. وبعـد ذلك وافقت عليه اسرائيل رغم أنها كـانت تصر على اجـراء مفاوضات مباشرة مع الدول العربية. وأصبح وقف اطلاق النار سـاري المفـعـول اعـتـباراً من منتصف الليل يوم ٨ آب ١٩٧٠م ومـهما كانت الأسباب فقد بدأت عملية تحريك الصواريخ إلى الأمام على نطاق واسع قبل وقف اطلاق النار وأثناء فترة سريانها. وهكذا تمكنت القوات المصرية من اتمام تركيز نظام متكامل من شبكات الصـواريخ وقـد اضيفت إليه صواريخ (سام ٦) المتطورة والتي كـانت انظمـتها محمية ضد مـعظم الأنظمة الالكترونية المجهزة بها الطائرات الإسرائيلية.

وعلى الرغم من أن جمال عـبـد الناصر كـان يريد أن يدوم وقف اطلاق النار مـدة ثلاثة أشـهـر فقط ينطلق بعدها لتنفيذ خطته بالهجوم عبر قناة السويس إلا أن وفاته المفاجئة يوم ٢٨ أيلول ١٩٧٠م وضـعت حداً لهذه التقديرات وتلك الآمال وقدر لوقف اطلاق النار هذا أن يسـتـمـر لمدة ثلاثة سنوات بدل ثلاثة أشـهر كما كان مقرراً في الأصل. وبذلك انتهت حرب الاسـتنزاف التي رغم الخسائر الكبيرة التي منيت بها الجبهات العربية على الصعيدين المدنى والعـسكري كـانت دافعاً أساسياً لرفع معنويات الشعوب والجيوش العربية بعدما عانته من مرارة الهزيمة في تلك الحرب

وأمـا بالنسبة للدول الكبرى فإن حرب الاستنزاف هذه اعطتها فرصة ذهبية لاجراء جميع أنـواع الاخـتـبـارات والـتـجـارب على مختلف أنواع الأسلحـة التي كـانت تزود بها الطرفين المتـحـاربين وقـد حصلت بالنتيجة على خبرات ومعلومات كان من المستحيل الحصول عليها بدون تجـربتها في القتال. وقد كانت هذه المعلومات أثمن بكثير من الأموال التي تباع بها هذه الأسلحة . وفي معظم الحالات فقد حصلت على الأثنين معاً (المال والخبرة).

وأخيراً وعلى هامش مـوافـقة جمال عبد الناصر على مشروع (روجرز) فإنى أود أن أشير إلى أن هذه الموافـقـة كـانت في حينها مفاجأة مستغربة من قبل الكثيرين في الأوساط العربية المخـتلفـة وقـد وصل هذا الاسـتـغـراب إلى درجـة الاستنكار والشجب والخروج بالمظاهرات الاحـتـجـاجـيـة تعبيراً عن رفضهم لهذه الموافقة. وفي هذا الصدد فإنى أحب أن أشير إلى ما شـاهدته عندمـا حضرت إلى عمان من الكويت بزيارة سريعـة في اوآخر شهر آب. وبينما كنت أسير في شـارع السلط واجـهتني مظاهرة ضخمة وكانت هتافات المتظاهرين تندد بجمال عبد الناصر لأنه وافق على مبادرة روجرز. ومما زاد في استغرابي أن عدداً كبيراً من الفدائيين الفلسطينيين كـانوا مع هذه المسيرة ومع الهتـافين ضد عبد الناصر الرجل الذي قضى حياته مـدافـعـاً عن قـضـيـة فلسطين وكـان من أكـثـر الزعماء العـرب حماسـاً لنصرة الفدائيين

الفلسطينيين ولكن من أين لهم أن يعرفوا في تلك الأيام أن عبد الناصر إنما وافق على مشروع (روجرز) كجزء من خطة وضعها لعبور قناة السويس وشن الحرب ضد اسرائيل. ومن أين لنا جميعاً أن نعرف أن جمال عبد الناصر سوف يموت بعد ذلك بمدة لا تزيد عن شهر واحد قبل أن يتمكن من تحقيق ذلك الأمل الذي كان يستعد لتحقيقه طيلة السنوات الثلاثة التي تلت تلك الحرب المأساة.

وقفت فترة على ناصية الشارع انظر إلى هذه المسيرة الغريبة وأحاول فهم دوافعها الحقيقية فلم أهتدي إلى تفسير مقنع فتركت المكان بصمت حزين وعدت في اليوم التالي إلى الكويت.

لقد ذكرت في مكان سابق أن نشاط الفدائيين ضد اسرائيل انطلاقاً من الجبهة الأردنية كان مستمراً طيلة سنوات حرب الاستنزاف وكانت مجموعاتهم تعبر الحدود تحت ستار من نيران قطعات الجيش الأردنى المتمركزة في الخطوط الأمامية. وخلال هذه المرحلة كانت قد تشكلت منهم عدة منظمات لكل منها قيادتها المنفصلة عن الأخرى وفي معظم الأحيان كانوا يقومون بعملياتهم بشكل مستقل عن بعضهم. ورغم أنه كان بينهم نوع من التنسيق لكنه كان ضعيفاً. وقد كانت الخلافات بين هذه المنظمات كثيرة وخطيرة وفي بعض الحالات كانت تنتج عنها مصادمات بالسلاح ويوقعون بين صفوف بعضهم العديد من القتلى والجرحى. ثم تبدأ المساعي الحميدة من قيادة منظمة التحرير أو جهات أخرى وتحل الخلاف وينتهي الأمر إلى عودة الصفاء بينهم لفترة محدودة وهكذا. لكن المهم هنا ليس وجود الخلافات بين المنظمات لأن هذا أمر طبيعي ولا بد من حصوله في مثل هذه الظروف التي وجد الفدائيون أنفسهم فيها بعد أن خسروا ما تبقى من وطنهم فلسطين في هذه الحرب وتوزعوا هم على جميع الأقطار العربية. وكنتيجة طبيعية لهذا التوزيع اعتمدت كل منظمة منها على حكومة ذلك القطر العربي الذي تواجدت فيه واعتمدت عليه قيادتها. وقد أثر هذا الاعتماد على مسلك تلك المنظمة المعنية من حيث أنها صارت ملزمة إلى حد بعيد أن تتبنى وجهة نظر الدول المضيفة لكي تضمن استمرار دعمها لها. وبهذا انعكست الخلافات المتأصلة بين الحكومات العربية على مسيرة المنظمات الفدائية فتاهت في دوامتها. ولكن الخطر يكمن في أن تندفع المنظمات الفدائية نفسها في هذا التيار وتتورط في الشؤون الداخلية للبلد الذي تتواجد فيه والوصول بهذا الاندفاع إلى درجة الحرب السافرة كما حدث فعلاً في الأردن بأواخر عام ١٩٧٠م وبعدها في لبنان.

وكنتيجة حتمية لهذه الصدامات المؤسفة خسر الفدائيون والبلدان العربية المعنية الكثير

من الضحايا واسرائيل ترقب مآسينا عن بعد بغبطة وسرور دون أن يمسها أي أذى من هذه القوى العربية المتناحرة لانشغالها عن العدو بخلافاتها المريرة.

لقد كان العمل الفدائي ضد اسرائيل ضرورة قومية أفرزتها حتمية الصراع العربي الاسرائيلي على مر السنين. ومنذ أن بدأ التفكير الجاد بتكوين هذا الجهد تنادى له شباب فلسطين وانخرطو في سلك قوات النضال الفلسطيني حتى عندما كان لا يزال تنظيمًا سرياً في المهد ولم يتوانوا عن التضحية بأرواحهم فداءً للوطن في كافة الظروف. إما أن تأتي الأهواء السياسية لتلعب بمصائر هؤلاء الشباب الشجعان وتهدر دماءهم خارج نطاق المعركة مع العدو فهو أمر لا يقره أي عاقل يغار على مصلحة فلسطين ومصير شعبها.

ولقد كان يتواجد في الكويت العديد من قادة الفدائيين على مختلف المستويات. وكان النشاط لدعم ومساعدة العمل الفدائي قائمًا على أشده طيلة سنوات حرب الاستنزاف. ولكن مع ذلك لم يكن باستطاعتي مساعدتهم بشكل عملي سوى بتقديم بعض النصائح والمشورة التي كنت أقدمها بشكل فردي للاصدقاء الذين كانوا يستشيرونى منهم. وهذا لم يكن بمستوى ما كنت أصبو إليه في هذا المجال. ولكنه كان أضعف الإيمان.

تطورات مختلفة :

ومرت الأيام متثاقلة ودخلت الأوضاع العامة على جميع الجبهات العربية في مرحلة من السكون الطويل الذي لم يكن يعرف مصيره وحتى على الصعيد السياسي لم يعد هنالك آي، اهتمام من قبل الدول الكبرى بقضية فلسطين أو بقضايا الشرق الأوسط بشكل عام حيث أصبح موقعها متدنياً جداً في سلم الأولويات في سياستهم العالمية.

وأما في فلسطين ذاتها فقد أخذ الاسرائيليون يسنون القوانين ويضعون الترتيبات الادارية بالشكل الذي يمكنهم من الاستمرار باحتلالها إلى أجل غير مسمى ثم هضمها مع الزمن بتهويدها واستعمارها. وتنفيذاً لهذه السياسة التي ترمي إلى فرض الأمر الواقع على الأرض أخذوا يبنون المستعمرات في جميع أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ويسكنون فيها المستوطنين والقادمين الجدد من مختلف أنحاء العالم. كما فتحوا أبواب العمل في مصانعهم ومزارعهم للعرب من سكان الأراضي المحتلة لكي يشجعوهم على إهمال أراضيهم وتركها بدون زراعة ليسهل على اليهود استملاكها أو شراءها بطرق غير مباشرة وباساليب ملتوية حسب الظروف. وبهذا الشكل سوف يصبح السكان العرب غرباء في وطنهم ويتحولون إلى مجموعات من العمال في خدمة اليهود. وبنفس الوقت اتخذت الحكومة

الاسرائيلية مختلف الاجراءات لربط كافة النشاطات الاقتصادية والخدمات والمياه والمواصلات وما إليها مع هيكل الاقتصاد الاسرائيلي لكي يصبح عرب فلسطين عبارة عن مواطنين مقيمين في بلد غريب وبشكل مؤقت ولا يملكون أي حق من حقوق السيادة في وطنهم لكي يسهل مع الزمن تفريغه منهم نهائياً.

كما فرض اليهود على السكان العرب مختلف أنواع الضرائب التي لا قبل لهم بدفعها وأخذوا يحصلونها منهم بالقوة ولو اقتضى الأمر بيع أمتعتهم وأثاث بيوتهم لكي يسددوا تلك الضرائب وذلك لكي يضمنوا بقاء العرب تحت خط الفقر المدقع بحيث يضطرون تحت ضغط الحاجة والعوز لهجر بلدهم والسفر إلى الخارج في طلب العمل الأفضل وتأمين أسباب معيشتهم.

وبهذه الأثناء ساد المنطقة العربية بكاملها حالة من الانتظار والترقب يشوبها نوع من الشعور بالاحباط واللامبالاة.

ورغم هذه الحالة المزرية التي آلت إليها البلدان العربية بنتيجة تلك الحرب واستمرار اليهود باستيعاب وهضم ما احتلوه فقد انصرفت جميع انظار العرب عن موضوع الاستعداد الفعال للحرب المقبلة التي لا بد منها إن كانوا يريدون استرداد أوطانهم السليبة. وقد فترت الهمم واستفحلت الخلافات بين القيادات العربية بمختلف أقطارها كالمعتاد. واستمرت اسرائيل بهضم ما احتلته وبالاستعداد للحرب القادمة والتوسع الجديد.

الفصل الثامن

مطالعات عن الحرب العربية - الاسرائيلية

الرابعة عام ١٩٧٣م

عندما وقعت هذه الحرب كنت أعمل محافظاً لمنطقة إربد والتي كانت تمتد من الحدود العراقية شرقاً حتى نهر الأردن غرباً ومن الحدود السورية شمالاً حتى سيل الزرقاء جنوباً. ولقد فوجئنا بهذه الحرب التي عرفت باسم حرب رمضان وكان اسمها الرمزي (بدر) وذلك لأن الحكومة الأردنية لم تكن مطلعة عليها منذ بداية التخطيط لها وحتى وقوعها. ومع ذلك فقد تحولت جميع جهودنا لمتابعة أحداثها عن كثب من خلال غرفة عمليات المحافظة التي كانت تضم فريقاً برئاستي وعضوية مدراء الدوائر الحكومية بالمحافظة ومدير الشرطة ومدير الدفاع المدنى ومندوبين عن قادة الفرق العسكرية والمخابرات العامة والاستخبارات العسكرية. وقد كان هذا الفريق بحالة اجتماع دائم منذ أول يوم لنشوب الحرب ليلاً ونهارا ومن خلاله كنت كذلك أدير عمليات الدفاع المدنى والاجراءات الأمنية الأخرى المتعلقة بمختلف مصالح المواطنين في مثل هذه الظروف.

وعلى الرغم من أن الأردن لم يكن مشتركاً عملياً بهذه الحرب منذ بدايتها فإننا على أي حال كنا نشعر أننا جزءاً منها ونتوقع أنها سوف تتطور وتشترك جميع الجيوش العربية بخوض معاركها ونأمل أن يتحقق النصر لأمتنا بالنهاية. لا سيما وأن هذه الحرب تختلف عن جميع الحروب التي سبقتها من حيث أن العرب بهذه الحرب كانوا هم البادئون بالهجوم عبر قناة السويس وفي مرتفعات الجولان. وليس من المعقول أن يبادروا إلى شن هذا الهجوم الضخم دون أن يكونوا قد درسوا جميع احتمالاته ومتطلباته بكل دقة وتأكدوا من نجاحه وقد كنا نحن المراقبون عن بعد شبه متأكدين أن الحرب سوف تنجح هذه المرة لا سيما وأن الجيوش المصرية والسورية قد حققت المفاجأة التامة على القوات الاسرائيلية. ولكن بما أن الخطة العامة لهذا الهجوم قد وضعت من قبل مصر وسوريا وحدهما ودون اطلاع القيادات العربية عليها مسبقاً فإنى أرى أن استثناء الأردن وعدم اشراكه بهذه الحرب منذ بدايتها كان خطئاً فاحشاً نتج عنه تأثيرات سلبية كثيرة في الجبهة العربية للأسباب التي سوف أشرحها فيما بعد. ولكني ساحاول هنا إعطاء لمحة موجزة عن كيفية سير معارك هذه الحرب

منذ بدايتـهـا وتطور وقـائعها ومن ثم استخلاص العبر من نتائجها وما أحدثته من نكسات وخـسائر في الجبهات العربية على الصعيد العسكري وما أدت إليه من تطورات سياسية كان لها أعـمق الأثر على مـسـتـقـبل الصراع العـربي الاسرائيلي بشكل عـام وعلى مصير القضية الفلسطينية بشكل خاص وربما لأجيال عديدة قادمة.

وقـبل الخـوض في تفـصـيلات المعارك قد يحسن أن نشير هنا إلى الاجراءات التحضيرية التي تم اتخاذها اسـتـعداداً لشن هذه الحرب. ولا بد أن نذكر في هذا المجال أن الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية في حرب حزيران عام ١٩٦٧م كانت في الواقع هي السبب الرئيسي الذي أدى إلى نشوب هذه الحرب الجديدة.

ولا بد أن نذكـر أيضـاً أن مرارة تلك الهزيمة هي التي غرست في نفوس الجنود والضباط العـرب روح التـحدي واحيت فيهم العزيمة والتصميم على الانتقام لكرامتهم في ميدان القتال. ولا بد أن نذكـر كـذلك أنه لهذه الأسـبـاب جميـعها جاءت حرب الاستنزاف واستمرت زهاء ثلاث سنوات كما جاء شرحها سابقاً.

ولا بد أن نذكـر أن الرئيس جمال عـبد الناصر كان قد خطط لهذه الحرب الجديدة وأخذ يسـتـعد لها من خلال حرب الاستنزاف وأثناءها. ومن هنا جاء الدعم الرئيسي بمختلف أنواع الأسلحـة المتطورة التي قـدمها الاتحاد السوفياتى لمصر أولاً ثم لسوريا ثانياً. ومن أهم أنواع هذه الأسلحة كانت طائرات (الميج ٢٣) وصـواريخ سام بأنواعها والتي تم نشر جدار ضـخم من قـواعـدها على مـسـاحات واسعة على طول جبهة القناة بحيث أخذت تلغي تدريجياً حدة فـعـاليـة طائرات سـلاح الجـو الاسرائيلي. وهذا بالإضافة إلى الكميات الضخمة من الدبابات الحـديثة من نوع ت٦٢ (T62) ومـدافع الميـدان الثـقـيلة وصواريخ أرض/أرض. وصواريخ مـتطورة ضـد الدروع. وعشرات الأنواع الأخـرى من التـجـهـيـزات الحـديثة ووسائل النقل والاتصـال. كما لا بد أن نشير هنا إلى أن القـوات المسلحـة المصرية عبرت قناة السـويس إلى سـيناء وخـاضت مـعـاركـهـا بالسـلاح الروسي وليس بالسلاح الأمريكي. على الرغم من أن الرئيس أنور السـادات كـان قـد اسـتـغنى عن الخبراء الروس واخـذ يعتمد في سياسته على الولايات المتـحـدة الأمـريكية قبل بدء هذه الحرب. كما يجب أن نستذكر كذلك أن فكرة عبور الـقـناة وشن الحـرب كـانت في الأصل فكرة جمال عـبـد الناصر الذي وقع على الخطط التي وضـعت لهذه الحـرب قـبل وفـاته بفترة وجـيزة على أن يبدأ الهجوم بعد ذلك التاريخ بمدة ثلاثة أشـهـر. ولكن القـدر المحـتوم لم يمهله تلك الفترة وغادر هذه الدنيا قبل أن يتمكن من تحـقـيق هدفـه الكبير بإزالة آثار العـدوان. ذلك الهدف الذي عمل من أجل تحقيقه حتى آخر

يوم في حياته التي انتهت مع انتهاء آخر اجتماع لمؤتمر القمة الذي دعى لعقده في القاهرة لوضع حل لمشكلة الحرب الأهلية التي نشبت في الأردن بين قوات الجيش العربي الأردني والمنظمات الفدائية كما هو معروف.

وبسبب وفاة جمال عبد الناصر المفاجئة توقفت جميع اجراءات الاستعداد للحرب التي كان من المفروض أن تبدأ بعد ثلاثة أشهر وأصبح عليها أن تنتظر مدة ثلاث سنوات. ولكن لكي تحقق هدفاً سياسياً جديداً غير الهدف الذي وضع لها في الأصل وبأسلوب مختلف.

وكما اتضح فيما بعد فإن الرئيس أنور السادات بعد توليه الحكم قام بوضع استراتيجية جديدة تهدف إلى محاولة استرداد سيناء بواسطة العمل السياسي يدعمه عمل عسكري.

واستناداً إلى ذلك أخذ يغير الاتجاه العام لسياسة.مصر التي كانت في عهد جمال عبد الناصر تعتمد بشكل أساسي على صداقة الاتحاد السوفياتي ودعمه وعلى مقاومة الدول الاستعمارية وفي طليعتها أمريكا نظراً لانحيازها المستمر والكامل لاسرائيل بتأثير الصهيونية العالمية. ويظهر أن السادات كان مقتنعاً بأنه لو تمكن من كسب صداقة أمريكا بدل صداقة الاتحاد السوفياتي فإنه سوف يحصل على نتائج أفضل في إطار استراتيجيته الجديدة باعتبار أن أمريكا وحدها هي التي يمكنها التأثير على اسرائيل للحصول منها على تنازلات معقولة للتوصل إلى حل سلمي مناسب لمشاكل المنطقة ضمن أسلوب المنهج السياسي.

واستناداً إلى هذه النظرية فقد بدأ بالتقرب من أمريكا والابتعاد التدريجي عن الاتحاد السوفياتي. حتى أدى به الأمر إلى طرد جميع الخبراء السوفيات من مصر في شهر تموز عام ١٩٧٢م. وضمن إطار هذه الاستراتيجية كان لا بد من الاستمرار بالاستعدادات العسكرية حتى يصبح بالإمكان شن حرب محدودة تدعم العمل السياسي وتؤدي بالتالي إلى مفاوضات جادة ينتج عنها استرداد سيناء والأراضي المحتلة. ولذلك فإننا كنا نسمع التصريحات المتتالية تصدر عن الرئيس أنور السادات يعين فيها (سنة الحسم). وقد حدد سنة الحسم هذه أكثر من مرة وربما كان السبب في ذلك أن توقيت الحرب المحدودة المنوي شنها كان يجب أن يتمشى مع الأجواء السياسية المناسبة. وبما أن هذه الأجواء كانت دوماً قابلة للتغيير فإن توقيت بدء الحرب يجب أن يكون هو الآخر قابلاً للتغيير. وكل هذه التحليلات تصبح معقولة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن التفرق العربي حالة مرضية دائمة لا يمكن الشفاء منها. وإن العرب بسببها لا يستطيعون حشد الجهد الكافي الموحد للتغلب على اسرائيل عسكرياً ولذلك يصبح ليس أمامهم سوى العمل السياسي لاستعطاف أمريكا لعلها تستطيع اقناع اسرائيل لاعادة بعض حقوقهم عن طريق المفاوضات. ولكن حتى لو سلمنا جدلاً إن تلك الاستراتيجية

التي أعلن عنهـا الرئيس السادات في إحدى خطبه بعد الحرب كانت تهدف من معركة العبور تحـريك القضية الفلسطينية التي اعتراها الركود والإهمال. أي بمعنى أنه كان يقصد فعلاً أن تكون حـرباً محدودة لدعم التـحـرك السياسي الذي يهدف إلى استرداد الأراضي المحتلة فلماذا إذن اسـتـثنى الأردن من المشـاركـة بالتـخطيط لهذه الحـرب والاستعداد والاشتراك بها منذ بدايتـهـا لا سـيما وإن الجـبـهة الأردنية هي أخطر الجبهات العربية وأهما لأن فيها القدس والضـفـة الغربية. ومما لا شك فيه أنها تعتبر من الناحية القومية والعسكرية أهم من سيناء والجـولان بكثير. ولكنني في الحقيقة لا أجد لهذا التساؤل سوى تفسير واحد وهو أن اشتراك الأردن في الحـرب سـوف يطور الصراع إلى مـدى أبعـد بكثير مما كـان مخططاً له أصلاً لأن عـمليـة اقتحام الضفة الغربية سوف تنقل الخطر إلى قلب اسرائيل مباشرة بزخم أسرع بكثير من المعـارك في سـيناء أو الجولان. ومن المؤكد أنها سوف تؤدي إلى اشتراك الجيش العراقي وباقي جـيـوش المشرق العـربي. وبالتـالي سـوف تتطور المعـركـة إلى أبعاد أوسع مما كان مخططاً لها. وبهذه الحالة ربما تنوه السياسة المرسومة عن أهدافها المحدودة.

التخطيط لهذه الحرب :

وأمـا في مجال التـخطيط الفـعلي للمـعركة فقد برزت عدة مشاكل رئيسية كان لا بد من ايجاد الحلول الصحيحة لها قبل بدء المعركة لكي يصبح النجاح فيها ممكناً ضمن الإمكانيات المتـاحة. ولقد تعلم العسكريون المصريون والعرب من دروس حرب عام ١٩٦٧م بأنه يتعين عليـهم التـوصل إلى تحـقيق السيطرة الجوية أو على الأقل التفوق الجوي قبل أن يقدموا على شن الحـرب على اسرائيل إذ أنه بدون هذا التـفـوق الجـوي سـوف لن تتـوفر لهم الفرصة للتـغلب على القوات البرية الاسرائيلية ما دامت تقاتل بحماية قوات جوية متفوقة. ولكي تتمكن القـوات العـربيـة من الحـصول على التفوق الجوي فإنه يترتب عليها أن تحصل على الاعداد الكافيـة من الطائرات القـاذفـة المتـوسطة والقـاذفـة المقـاتلة القـادرة على قـصف المطارات الاسرائيليـة وتدمير سـلاحـهـا الجـوي أو تحـيـيـده على الأقل مثل طائرات (الميج ٢٣) أو (الجـاكـوار) أو (الفانتوم) وما يلزمها من الوسـائل المتطورة مثل الرادارات ووسائل الخدمات الأرضـيـة السريعـة وخـلافـهـا. وللحـصـول على هذه الأعـداد من الطائرات والتدرب عليها سـيـحتاجون إلى وقت قد يصل إلى ثلاثة أو أربعة سنوات أخرى ولما كانت الشعوب العربية قـد يئست من طول الانتظار وسئمت من كـثـرة ترديد مـواعيد (سنة الحسم) وخلافها من الوعـود. لم يعـد بالإمكان الانتظار طيلة هذه السنين الأخـرى دون عـمل حـاسم. وإزاء هذا الموقف اتجـه السـادات إلى الاتحـاد السـوفـيـاتى لايجاد حل لهذه المشكلة. ولم يكن في ذلك

الوقت قد أقدم على طرد الخبراء السوفيات من مصر. ورحب الاتحاد السوفياتي بهذا الطلب واقترحوا كحل سريع لمواجهة الطيران الاسرائيلي في حالة الحرب وتحييده أن يقوموا باكمال بناء جدار الصواريخ (أرض - جو) الذي كانوا قد بنوه أصلاً أثناء حرب الاستنزاف لكي يصبح بكثافة عالية للغاية وقد أصبح بعد إكماله أقوى جدار صاروخي في العالم ويستند أساساً على صواريخ (سام ٢، ٣، ٦) . وقد أكمل السوفيات تركيب مائة وخمسون بطارية من هذه الصواريخ في مصر كان منها خمسون بطارية في منطقة القناة قبل بداية الحرب وتتكون كل بطارية (سام٢، ٣) من ستة قاذفات صواريخ. وأما بطاريات سام ٦ فتتكون كل بطارية من ١٢ صاروخ جاهزة للاطلاق مركبة على أربعة دبابات.

وأما صاروخ (سام ٦) المتحرك فيبلغ مداه المؤثر (٢٤٠٠٠) ياردة ويدخل ضمن شبكة (سام ٢) الثابت والذي يبلغ مداه (٥٥٠٠٠) ياردة (وسام ٣) المتحرك الذي يبلغ مداه (٣٣٠٠٠) ياردة. وكل نوع من هذه الصواريخ مجهز بجهاز توجيه الكتروني مختلف عن الآخر مما يجعل مهمة استخدام اجراءات مضادة لهذه الصواريخ من قبل الطائرات المغيرة في غاية الصعوبة والتعقيد.

ومن أهم مميزات صاروخ سام ٦ أنه متحرك. فهو مركب على شاصي دبابة ويمكن نقله من مكان إلى آخر بسرعة أثناء الاشتباك حيث أنه لا يحتاج سوى إلى بضعة دقائق لجمعه قبل حركته إلى موقع بديل ثم يجهز للاطلاق من جديد خلال برهة قصيرة كذلك. ولكي تتمكن الطائرات المغيرة من الوصول إلى صاروخ (سام ٦) فإنها سوف تقع أولاً ضمن مدى صاروخ (سام ٢) الذي يستطيع اصطيادها على بعد (٥٥٠٠٠) ياردة وإذا أضفنا إلى هذه الشبكات الصاروخية المنيعة المئات من صواريخ (سام ٧) المحمولة وصواريخ ستريلا التي يحملها جنود المشاة بالإضافة إلى الأعداد الهائلة من المدافع التقليدية المضادة للطائرات وخصوصاً المدافع متعددة السبطانات نوع (ZSU - 23). فإنه يتضح أن القوات المصرية المقاتلة أصبحت تتوفر لديها الحماية التامة أثناء المعركة ضد الغارات الجوية بشكل فعال.

وأما المعضلة الثانية التي تطرق لها المخططون المصريون استناداً إلى تجارب حرب عام ١٩٦٧ فهي حقيقة إن سلاح الجو الاسرائيلي كان يستطيع أن يغير على أهداف في أعماق مصر لمسافات بعيدة وقد كان اقتراح السوفيات لمواجهة هذه المشكلة هو أن يزودوا مصر بصواريخ سكود (SCUD) أرض - أرض التي يبلغ مداها ١٨٠ ميل ويمكنها تهديد مواقع التجمعات السكانية الاسرائيلية في عمق اسرائيل. وكان رأيهم أن وجود هذا الصاروخ بيد مصر سيكون رادعاً قوياً لمنع اسرائيل من الاغارة على أهداف في العمق المصري. وقد بدأت هذه الصواريخ تصل إلى مصر في نيسان عام ١٩٧٣.

أمـا التـخطيط المشترك بين مصر وسوريا لهذه الحرب فقد بدأ في كانون الثاني ١٩٧٣م وبعـد وصول صواريخ سكود (SCUD) إلى مصر وضـع السـوفـيـات برنامجاً مكثفاً لتزويد سـوريا بشـبكة صواريخ (سام) حيث تم تركيب خمسين بطارية من هذه الصواريخ لحماية ممرات الاقتراب الجوية المؤدية إلى دمشق.

وأمـا المشكلة الثـالثـة التي برزت للمخططين من تجارب حرب عام ١٩٦٧م فهي مسألة قـدرات السلاح المدرع الاسرائيلي وضخامته. وقد وجدوا أن الحل الجذري لهذه المسألة يكمن في توفير أعدادا ضخمة من الأسلحة المضادة للدروع لدى قطعات المشاة ابتداءً من الصاروخ الخفيف (آر بي جي) (R P G) والذي يصرف إلى مسـتـوى فئة المشاة إلى صاروخ (ساغر) (SAGGER) الذي يبلغ مداه (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف ياردة. وإلى حـاملة الصواريخ المدرعة نوع (B R D M) (بي. آر. دي. أم) والتي تصرف إلى مسـتوى الكتيبة واللواء. كما وضعت خططاً تفصيلية لمقاومة الدروع الاسرائيلية تستند إلى هذه الأسلحة بالإضافة إلى الفرق المدرعة.

وأمـا المشكلة الرابعـة فـقـد كانت مسألة التعبئة العامة للقوات الإسرائيلية والتي تتم عادة بسرعـة فائقة وبمدة لا تزيد عن ٤٨ سـاعـة والتي تمكن اسرائيل أن تحشد في الميدان جيشاً يزيد قـوامه عن ستمائة ألف جندي ضمن هذه المدة وقد وجد المخططون أن حل هذه المشكلة يكمن في تحـقـيق المفـاجأة التـامـة في بدء الهجـوم. وقـد تحققت هذه المفاجأة على الجبهتين المصرية والسـورية بفـضل خطة التـمويه الرائعة التي طبقتها مصر منذ فترة ما قبل الحرب وقـد كـانت خطة علمية مدروسة بكل دقة وأثبتت نجاحاً منقطع النظير وقد شهد العديد من الخبراء العـسكريين المشـهـورين في العـالم أن خطة التـمـويه المصرية وعـملية عبور قواتها الضـخـمـة قناة السـويس إلى سـيناء خـلال بضع ساعات تصنف من بين أعظم الانجازات العسكرية الناجحة في تاريخ الحروب الحديثة.

خطة التمويه والخداع :

لا يمكنني طبعاً أن أدخل في تفصيلات هذه الخطة هنا حتى لو توفرت لدي صيغتها لانها سـتـحـتـاج إلى كـتـاب خـاص بها حـيث أن مثل هذه الخطة تتضمن عادة شروحات كثيرة للأسـاليب المسـتـعـملة في وضع وتطبـيق مـراحلها وأهمها الأسـاليب الاستخبارية والعلمية والصـحـفـيـة والاجتماعية والسياسية وجميعها بالنهاية تهدف إلى التوصل إلى جذب انظار العـدو بعـيـداً عن الهدف الحـقـيقي الذي نسعى لتنفيذه. وبمعنى آخر تعميته عن الأجراءات التي نقـوم بها والاسـتعدادات التي ننفذها في جبهة القتال لكي لا يكتشف هدفنا الحقيقي أو

يعرف مكان الضربة التي ستقوم بها قواتنا المحتشدة في الجبهة. وبالتالي لا يستطيع اتخاذ احتياطياته الوقائية المسبقة لمواجهة قواتنا قبل فوات الأوان. وبالنتيجة نستطيع مباغتته وهو في أضعف حالات استعداده ونحقق بذلك المفاجأة التامة ونتوصل إلى هدفنا بأسرع وقت ممكن وبأقل الخسائر .. وهذا في الواقع هو ما هدفت إليه خطة الخداع المصرية وحققته بنجاح تام. على أني سأذكر هنا بعض الوقائع والأحداث البارزة التي استخدمت بهذه الخطة والتي لم تكن سراً بل برزت معظمها في وسائل الاعلام المختلفة المحلية والعالمية في حينها وكانت ركائز مهمة في انجاح الخطة والوصول إلى الغاية المطلوبة رغم أن الاسرائيليين في مختلف مستوياتهم لم ينتبهوا لها أو أنهم لاحظوها وأهملوها وذلك بتأثير مركب العظمة الذي كانوا يعانون منه والذي أصيبوا به بنتيجة حرب عام ١٩٦٧م وأصبح بالنسبة لهم حالة مرضية واستمروا يعانون منه على مر السنين وبسببه كانوا غير مستعدين أن يصدقوا أن مصر سوف تكون قادرة على مهاجمتهم قبل أن تتوفر لها شروط معينة ومن أهمها التفوق الجوي وهذا برأيهم سيحتاج إلى عدة سنين وبالتالي فإنها لا تشكل خطراً عليهم لمدة طويلة. كما أنهم كانوا مقتنعين أن سوريا والأردن لن تجرؤا على مهاجمة اسرائيل لوحدهما بدون مصر. ولذلك فإن تقديراتهم كانت أن الحرب غير محتملة الوقوع في وقت قريب.

وهنا أحب أن أشير إلى حقيقة هامة وهي أن الأمة العربية أو على الأقل الدول المحيطة باسرائيل بما فيها العراق والسعودية لو استطاعت في ذلك الوقت أن توحد قواتها العسكرية بكاملها بامرة قيادة واحدة ولو أنها اشتركت في التخطيط لهذه الحرب منذ البداية واشتركت بعملية الهجوم بكل قدراتها ضمن الخطة العامة لاستطاعت أن تحقق نصراً حقيقياً على اسرائيل ولتمكنت من خلاله أن تسترد أراضيها المحتلة أو على الأقل التوصل إلى نتائج أفضل بكثير مما توصلت إليه مصر وسوريا بنتيجة هذه الحرب التي خاضتاها في البداية بشكل مستقل وفي معزل عن باقي الجيوش العربية رغم أن هذه الجيوش ولا سيما الأردني والعراقي قد سارعت لنجدة سوريا في المراحل الأخيرة من القتال عندما أصبحت القوات الاسرائيلية تطرق أبواب دمشق

إن مركب العظمة والشعور بالتفوق جعلت قادة اسرائيل يميلون باستمرار إلى عدم تصديق المعلومات التي كانت تصلهم عن احتمالات وقوع الحرب وأصبح سهلاً عليهم أن يقبلوا التحليلات الاستخبارية التي تقلل من شأن كفاءة القوات المسلحة المصرية والعربية والتي تؤكد أن هذه القوات ما زالت دون المستوى القتالي المطلوب. ولذلك فإنهم يستنتجون أن الحرب ليست وشيكة وقد استغل المصريون هذه الحالة النفسية السائدة لدى قادة اسرائيل وأخذوا يشنون حملة واسعة من ترويج المعلومات المغلوطة عبر وسائل الاعلام

المحليـة والعـالمية تؤكد صحة المعلومات التي كانت تتردد على ألسنة بعض القادة الاسرائيليين من أن القـوات المصرية مـا زالت غير مكتـملة التـدريب والتـسليح والاسـتعداد للحرب. وقد نجـحت حملة المعلومـات المغلوطة هذه نجـاحـاً ممتـازاً. وتناولت الصـحف الاسرائيليـة هذه المعلومـات وتوسـعت في نشرها. الأمـر الذي سـاعـد كـثيراً في تصديقها وبالتالي الركون إلى الهـدوء الـروتيني على أسـاس أن الحـرب ليست وشـيكة. وعلى الرغم من بروز الكثير من الظواهر التي تشير إلى قـرب وقـوع الحـرب من الاسـتـعـدادات التي كانت تتم في الجبهتين المصرية والسـورية والحـشود الضخمة للقوات خلف الخطوط الأمامية فإن الاسرائيليين كانوا يفسرونها بمختلف التفسيرات الأخرى التي تستبعد احتمال وقوع هـجوم وشيك.

فـمـثـلاً عندمـا قـررت القيادة المصرية شن الهجوم خلال شهر أيار ١٩٧٣م استطاعت الاسـتـخـبـارات الاسرائيليـة تأكـيـد هذه المعلومـات. وعلى ضـوء ذلك قاموا باعلان التعبئة الجـزئيـة. ولكن هذا الهجـوم لم يقع لأن القيادة المصرية كانت قد قررت فعلاً تأجيل موعده حـتى الفترة القـادمة (للمدّ) الملائم في قناة السويس خلال أشهر الخريف ولذلك فإنه عندما لم يقع الهجـوم المنتظر تأكد الاسرائيليون أن معلومات استخباراتهم وتحليلاتها غير صحيحة وأن الحرب ليست وشيكة وأن التحركات على الجبهة لا تعدو كونها نوعاً من أعمال التصعيد المعتادة التي تكرر مثلها الكثير خلال السنوات الماضية.

ففي سنة ١٩٧١م التي كـانت (سنة الحـسم) جـرت اسـتعدادات من قبل مصر لتوجيه ضربة جـوية على منطقـة شرم الشـيخ وأعلنت اسرائيل حـالة الطوارىء ولم يحدث شيء. وفي سنة ١٩٧٢م قـرر السـادات انزال لواء مظليين لاحـتـلال قسم من سيناء ثم السعي لتدخل هيئة الأمم المتـحـدة في حل الخـلاف من جـذوره. وعلى أثر ذلك أعلنت اسرائيل التـعـبئة ولم يحدث شيء وكذلك في أيار ١٩٧٣ أعلنت اسرائيل التـعبئة لتوقعها وقوع هـجوم من قبل مصر ولكن لم يحدث شيء. ولذلك فإن جميع التـحـركـات التي كـانت تجري في الجبهة المصرية في ذلك الوقت اعـتبرها الاسرائيليـون كـسـابقـاتها ولا تعدو كونها عبارة عن مناورات موسمية واسـعة لا تلبث أن تتلاشى. وللتأكيد على هذه النظرية ولإنجاحها فقد عمدت القيادة المصرية إلى القـيـام بمناورة كبرى في منطقـة القناة اشتركت فـيها جميع الفرق التي ستقوم بالهجوم الفـعلي وقـد رتبت اجـراءات المناورة بشكل يتـيح لهذه الفـرق أن تصل إلى مواقعها القتالية المخـصـصـة لها في الخطوط الأمـامية عند انتهاء المناورة وبموعد قريب من توقيت الهجوم. وقـد طبـقت السرية التامة إلى أقصى الحدود في جميع الاجراءات والتعليمات والأوامر الحربية التي كـانت تصـدر بشأنها بحـيث أن مـعظم القـادة والضـبـاط لم يكونوا يعرفون أن هذه المناورات كـانت في حـقـيـقـة الأمـر ستتحول إلى معركة كبرى حقيقية. ولم يطلعوا على خطة

الهجـوم إلا صباح يوم ٦ تشرين أول. أي قـبل بضع سـاعات فقط من موعد البدء بالمعركة. ولم يكن أحـد يعلم بمـوعـد الهجوم قبل ذلك سوى عدد محدود جداً من القادة الكبار فقط. وبنفس الوقت اسـتـمـر تصرف الجنود المتـواجدين في الخطوط الأمامية عادياً كما كان عليه طيلة الأشـهـر السـابقة حيث كانوا يتجولون في العراء أمام المواقع الدفاعية الأمامية بدون أن يعتـمـروا الخـوذ الفـولاذية. كما كانوا ينزلون إلى حافة القناة لصيد السمك. وكذلك استمر السكان المدنيون والمزارعون يمارسون أعمالهم اليومية المعتادة.

ولقـد سـاهمت هذه التصرفـات جميعها في عملية خداع الاسرائيليين وجعلتهم يقتنعون أن الأمـور عادية ولا يوجد ما يوجب الشك والتحسب من وقوع الحرب قريباً وبهذه الأثناء وقع حـادثين مـهمين ساهما إلى حد كبير في انجاح خطة الخداع الكبرى. ففي منتصف شهر أيلول وقع صـدام جـوي كـبير بين الطائرات السـورية والطائرات الاسرائيليـة فـوق البحر الأبيض المتـوسط. مقابل السواحل السورية اللبنانية وقد خسر السوريون بهذه المعركة الجوية حوالي ١٢ طائرة ولذلك فإنه عندمـا بدأت القـوات البرية السورية تحتشد في مواقعها المتقدمة مقابل جـبـهـة الجـولان كـان الاسرائيليـون يفسرون هذه الحـشودات على أنها عبارة عن اجراءات احـتياطية يقوم بها السوريون كرد فعل على نتائج تلك المعركة الجوية وتحسباً من أن تكون اسرائيل تخطط للقـيام بالهجوم على سوريا. ولذلك كان من المعقول أن يعتبر الاسرائيليون أن الاجـراءات السـورية اجـراءات دفـاعية محضة وليس المقصود منها شن هـجوم سوري على مـرتفـعات الجولان. ولذلك فعلى الرغم من أن هذه المعركة الجوية قد وقعت صدفة ولم يكن ممكناً أن تكون قـد أخـذت في الاعتبار كجزء من خطة الخداع الأصلية إلا أن حدوثها في ذلك الوقت بالذات قد خدم الخطة وساهم في انجاحها إلى حد كبير.

أمـا الحـادث الآخر الذي يمكن اعتباره جزءاً من خطة الخداع فقد حدث بعيداً عن المناطق العربية وفي النمسا بالذات عندما قامت مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين بتاريخ ٢٩ أيلول بالاسـتـيـلاء على قطار للركـاب في منطقة الحدود بين النمسا وتشيكوسلوفاكيا كان محملاً باليـهـود السـوفـيـات القـادمين من موسكو إلى معسكر التجمع في فينا للسفر فيما بعد إلى اسرائيل. وقـد احـتـجـز الفـدائيـون الفلسطينيون خمسة من اليهود وأحد موظفي الجمارك النمسـاويين كرهائن وطلبوا تحضير طائرة لنقلهم مع الرهائن إلى أي بلد عربي. وقد تدخل الـرئيس برونو كـرايسكي (Bruno Kreisky) رئيس جمـهـورية النمـسـا (وهو يهودي) في المفاوضات وعرض على الفدائيين أنه سيقوم باغلاق المعسكر المعد لاستقبال المهاجرين اليهود في شوناو (Schonau) بالقـرب من فـيينا مقابل اطلاق سراح الرهائن وبناء على هذا التعهد تم الافـراج عن الرهائن ثم ترك الفدائيون أحراراً ليسافروا إلى أي مكان يريدون.

وقـد انتشرت أنبـاء هذا الحـادث ومـلأت الصحف والمجلات ومختلف وسائل الإعلام في جميع أنحـاء العـالم. وقـد ثارت ثائرة اسرائيل وانشـغلت حكومتها كلياً بهذا الحادث وملأت الدنيـا احـتـجـاجـات على النمـسا وعلى رئيسـها كرايسكي (اليهودي) . وقد سافرت رئيسة وزراء اسرائيل (غـولدامـائير) لتـجـتمع مع كرايسكي لكي تقنعه بالعدول عن قراره وتعهده القـاضي باغـلاق مـعـسكر (شـوناو). والمهم هنا أن هذا الحـادث تسـبب بانشـغـال جميع المسـؤولين في الحكومـة الاسرائيليـة والمجـتـمع الاسرائيلي في مـسألة حـادث النمـسا واغلاق مـعـسكر اسـتقبال المهاجرين اليهود طيلة الأيام التي سبقت الهجوم الكبير وكانت تلك الأيام حـاسـمـة لأن جميع الاجراءات النهائية والاستعدادات الأخيرة للهجوم كانت تتم خلالها ليلاً ونهـاراً بانتظار سـاعـة الصـفـر. والقـادة الاسرائيليـون منصرفـون عن التـفكير في الحـرب ومنهمكون في مسألة عزم (كرايسكي) على اغلاق معسكر (شوناو).

ومن السـهل اعـتـبـار هذا الحادث أنه كان مدبراً خصيصاً ليكون جزءا من خطة الخداع الرئيسية. خصوصاً وأن مجموعة الفدائيين التي نفذته كانت تنتمي إلى منظمة الصاعقة التي ترتبط مع الجـيش السـوري. وسـواء كـان هذا الحادث مرتباً سلفاً كجزء من الخطة أو أنه حـدث خـارج اطارها فإن وقـوعـه في ذلك الوقت بالذات قـد لعب دوراً مهمًا في انجاح خطة الخـداع وتمكين القـوات العربية في الجبهتين من اتمام تحضيراتها النهائية قبيل المعركة. وأن تحـقق المفـاجأة التامة على القوات الاسرائيلية وأن تأخذها على حين غرة وتحقق نصراً سـاحقاً في بداية الحرب.

أما كيف تطورت العمليات الحربية بعد هذا النجاح الأولي ثم تدهورت بسرعة وتحولت إلى هزيمـة في نهاية الأمـر فهو ما سأحاول شرحه ضمن نطاق تفصيلات المعارك الرئيسية التي دارت على الجـبـهـتين من البداية حتى النهاية المحزنة التي آلت إليها بعد المعارك المريرة التي اسـتـمرت زهاء ثلاثة أسابيع كما كنا نتابعها خلالها دقيقة بدقيقة عن بعد في غرفة عمليات المحافظة في مدينة إربد.

ولقـد سطر أُلوف الشـهـداء من شـبـاب العرب بدمائهم الزكية ملحمة هذه الحرب التي أثبـتت للعـالم أجمع أن الجـيوش العربية تستطيع أن تقاتل بكفاءة وشجاعة منقطعة النظير وتسـتطيع أن تنتصر إذا مـا اتيحت لها الوسائل الضرورية للمعركة الحديثة. كما أثبتت هذه الحـرب فـعـلاً أن الجـيـوش العـربيـة وقـادتها قـد تعلموا درس حرب عام ١٩٦٧م جيداً واسـتـخلصوا منها العبر وتمكنوا بالمثابرة والتضحية من الوصول إلى المستوى القتالي الرفيع الذي أثبـتـوه عـملياً منذ بداية المعـركـة حـتى نهايتـها ولكن هذه التضحيات الهائلة ذهبت

بالنتيجة هباء لأن مصر وسوريا انفردتا بالقرار ولم تشركا معهما بقية البلدان العربية المحيطة باسرائيل والقريبة منها وخصوصاً الأردن والعراق. وهما اللتان أرسلتا قواتهما في أوآخر الحرب على وجه السرعة لتساعد بقدر الإمكان في عملية ايقاف الزحف الاسرائيلي على دمشق. ولقد وقعت أخطاء في وضع الاستراتيجية العليا لهذه الحرب كذلك. حيث بدأت كحرب سياسية هدفها تحريك قضية الشرق الأوسط دولياً وفشلت عسكرياً كحرب حقيقية في ساحة القتال بسبب تلك الاخطاء الاستراتيجية وأخرى تكتيكية في توجيه سير المعارك تسببت بانهائها لصالح اسرائيل.

العمليات الحربية :

لقد استقيت المعلومات الواردة بهذا الفصل من عدة كتب ومصادر مختلفة أجنبية وعربية وهي على ما أظن أقرب ما تكون للواقع :

أولاً : الجبهة المصرية

١ – كانت القوات المصرية التي اشتركت بهذه المعارك تتكون من التشكيلات الآتية.

أ – خمسة فرق مشاة: تتألف كل فرقة من ثلاثة ألوية مشاة قوام كل لواء ثلاثة كتائب مشاة وكتيبة دبابات. أي أن كل فرقة مشاة كان لديها ١٢٠ مائة وعشرون دبابة ضمن ملاكها.

ب – ثلاثة فرق آلية: تتكون كل فرقة من لوائين آليين ولواء دروع أي بمجموع ١٦٠ مائة وستون دبابة لكل فرقة.

جـ – فرقتين مدرعتين: تتكون كل فرقة من لوائين مدرعين ولواء آلي أي بمجموع ٢٥٠ مائتين وخمسون دبابة لكل فرقة

د – ثمانية وعشرون كتيبة صاعقة.

هـ – لوائين مظليين.

و – لواء مشاة بحرية (برمائي).

ز – ثلاثة ألوية دبابات مستقلة.

٢ – نظمت التشكيلات التي ستقوم بعملية اقتحام القناة ضمن جيشين هما .

أ – الجيش الثاني: وبامرته ثلاثة فرق مشاة وتولى مسؤولية الجزء الشمالي من جبهة القناة من بورسعيد شمالاً حتى الدفرسوار والبحيرات المرة جنوباً. كما وزعت مسؤوليات الفرق ضمن جبهة هذا الجيش كالآتي.

- فرقة المشاة الثامنة عشرة: من بور سعيد شمالاً حتى القنطرة ودير البلح جنوباً
- فرقة المشاة الثانية: من دير البلح شمالاً حتى بحيرة التمساح جنوباً.
- فـرقـة المشـاة السـادسـة عشر: من بحيرة التـمساح حتى الدفرسوار على الطرف الشمالي للبحيرات المرة الكبرى

ب - الجـيش الثـالث: وبامـرته فـرقتي مشاة وتتولى مسؤولياتها في الجزء الجنوبي من الجبهة كالآتى.

- فـرقـة المشـاة السـابعـة: تتـولى مـسؤولياتها عن المنطقة من البحيرات المرة حتى منتصف المسافة إلى مدينة السويس.
- فـرقـة المشاة التاسعة عشر: تتولى المسؤولية في القسم الجنوبي من القناة وتشمل مدينة السويس

٣ - الخط الفاصل بين منطقتي هذين الجيشين يمر من منتصف البحيرات المره.

٤ - اعطي لكل فـرقـة مـشاة من فرق الاقتحام لاسنادها في مرحلة الهجوم فقط لواء مدرع كامل تم سحبها من الفرق المدرعة والفرق الآلية لهذه الغاية.

٥ - لقـد تم تدريب فرق المشاة على عمليات الاقتحام بكل تفصيلاتها وقامت باجراء التجارب الكاملة عليـهـا في المناورات التي كانت تقوم بها خلال الفترة التي سبقت الهجوم وطبقت عـملياً كافة التفصيلات لعملية الاقتحام التي ستقوم بها في المعركة الحقيقية من مستوى أصـغـر وحـدة من وحـداتها حتى مستوى التشكيل الكامل ولم تترك أي احتمال للخطا مهما كان صغيراً.

٦ - كـان لسـلاح الهندسـة دوراً أسـاسـيـاً وحاسمًا في نجاح المعركة ولا سيما في مراحلها الأوليـة في عملية عبور القناة واقتحام المراكز الدفاعية الحصينة في خط بارليف الذي بناد الاسرائيليون على طول الضفة الشرقية للقناة.

ومن أهم الواجـبـات الهندسـيـة الكبرى التي نفـذها هذا السـلاح بالإضـافة إلى عشرات الواجبات الأخرى من أعمال هندسة الميدان المعروفة ما يلي .

أ - تركـيب عشرة جـسور ضخمة فوق القناة خلال الليلة الأولى في المواقع المذكورة تالياً لعـبـور فـرق المشاة والدبابات بحيث تمكنت خمسة فرق بكامل اسلحتها من عبور القناة إلى ضفتها الشرقية خلال مدة ٢٤ ساعة فقط.

- ثلاثة جسور في منطقة القنطرة.

- ثلاثة جسور في منطقة الاسماعيلية - الدفرسوار.
- أربعة جسور في منطقة جنيفا - السوس.

ب - نجاح سلاح الهندسة بفتح ثغرات كبيرة في الحائط الترابي الذي بناه الاسرائيليون على طول الضفة الشرقية للقناة كجزء من مواقعهم الدفاعية. وذلك باستعمال مضخات ماء ضخمة ذات قوة دفع هائلة مما سهل مرور الدبابات من خلالها بسرعة بعد أن كان الاسرائيليون يعتبرونه مانعاً للدبابات يصعب اجتيازه أو يكاد يكون مستحيلاً.

جـ - تحضير ممرات العبور في مختلف الأماكن خلال فترة وجيزة قبيل المعركة لتسهيل نزول المشاة إلى قواربهم ومرور الدبابات إلى حافة الجسور التي ستعبر من فوقها وكل ما يتعلق بذلك من التسهيلات التحضيرية اللازمة لعملية عبور الوحدات المختلفة.

٧ - لقد كانت خطة العبور تتلخص بأن تعبر كل فرقة في جبهة عرضها أربعة أميال بحيث تكون مهمة الموجة الأولى من القوات احتلال مواقع على الساتر الترابي وعندما تصلهم قطعات الموجة الثانية يتقدم جنود الموجة الأولى من مواقعهم التي احتلوها إلى الأمام مسافة حوالي ٢٠٠ ياردة ويتمركزوا في الانتظار حتى تصل الموجتين الثالثة والرابعة ثم تتقدم جميع القطعات شرقاً إلى عمق حوالي ثلاثة أميال وتتمركز بالعمق. وبعد ذلك تصل وحدات المشاة الخاصة من خلال مواقعهم وتقتحم المراكز الاسرائيلية المحصنة.

بدء الهجوم :

١ - بدأت القوات المصرية هجومها الكبير بالساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت ٦ تشرين أول عام ١٩٧٣م. وقد انتخب هذا اليوم لبدء الهجوم لسببين هما:

أ - أنه يوم عيد كبير عند اليهود ولذلك سيكونْ معظم الضباط والجنود بالإجازات وسيكون جميع المسؤولين بالدولة في منازلهم يستمتعون بالعيد. ولهذا فسوف تكون حالة الاستعداد للحرب في أضعف مستوياتها.

ب - إن هذه الفترة هي فترة المد المناسب في قناة السويس.

٢ - وقد افتتحت المعركة بغارة جوية ضخمة قوامها حوالي ٢٥٠ طائرة أغارت على جميع الأهداف الاسرائيلية المهمة ومنها المطارات العسكرية الثلاثة في سيناء وقواعد الصواريخ

أرض – جو (هوك) ومواقع القيادات الرئيسية، مناطق الادارة والتزويد، محطات الرادار، ومواقع المدفعية الثقيلة والمتوسطة.

وبنفس الوقت ومتزامناً مع هذه الغارة وبتمام الساعة الثانية بعد الظهر (ساعة الصفر) فتحت المدافع الثقيلة والمتوسطة ومجوعها حوالي (٢٠٠٠) ألفي مدفع نيرانها على جميع المواقع الدفاعية الاسرائيلية شرقي القناة. ومع بداية هذا القصف صعدت الدبابات المصرية على الحاجز الترابي الذي بنته القوات المصرية غرب القناة كستار حاجز وسلطت نيران مدافعها المباشرة على المراكز الاسرائيلية ضمن خط بارليف شرق القناة وقد أصبحت جميع المواقع الاسرائيلية تتعرض إلى جحيم من المتفجرات حيث سقط عليها خلال فترة أقل من ساعة حوالي ثلاثة آلاف طن من المتفجرات أطلقت من مختلف أنواع الأسلحة. وفي تمام الساعة الثانية والربع وخلف ستار المدفعية الثقيلة تقدمت الموجة الأولى من وحدات الاقتحام المكونة من حوالي ثمانية آلاف جندي من المشاة على القوارب العائمة. وسرعان ما صعدوا على الجدار الحاجز وتجاوزوا المواقع الدفاعيه في خط (بارليف) وواصلوا تقدمهم شرقاً وبنفس الوقت تقدمت وحدات (الكوماندو) وفرق تدمير الدبابات وزرعت ألغاماً على محاور اقتراب الدبابات الاسرائيلية وتمركزت هناك بانتظار وصولها عند قيامها بالهجوم المعاكس لكي تتمكن من تدميرها.

وقد كانت مقاومة المدافعين الاسرائيليين في خط بارليف مختلفة ومتفاوتة. ففي بعض المواقع كانت مقاومتهم عنيفة للغاية وفي بعضها الآخر كانت ضعيفة ولكنها بالنهاية سقطت جميعها بيد القوات المصرية المهاجمة.

وبحلول مساء اليوم التالي ٧ تشرين أول كانت القوات المصرية قد أكملت عبور القناة وأخذت تنتظم في مواقعها الدفاعية استعداداً لأي هجوم معاكس قد يشنه العدو وبنفس الوقت أخذت تعمق رأس الجسر الذي احتلته في سيناء لمسافة حوالي خمسة أميال. وفي مساء يوم ٨ تشرين أول كانت جميع فرق المشاة بما فيها اللواء المدرع الملحق بكل فرقة قد اكملت تمركزها بكامل قواتها شرقي القناة. وأخذت تنتشر لكي تلتقي ببعضها بخطوط متصلة وتعمق رأس الجسر لمسافة تتراوح بين ستة وثمانية أميال. وبعد ذلك بدأت المرحلة التالية التي كانت مكرسة لتقوية المواقع الدفاعية على طول الجبهة وايقاع أكبر حجم ممكن من الخسائر بقوات العدو أثناء قيامها بعمليات الهجوم المعاكس. وقد انتهت هذه المرحلة صباح الخميس ١١ تشرين أول. وقد كانت القيادة العليا المصرية قد خططت للاندفاع عبر سيناء.شرقاً نحو منطقة المضائق في الفترة الواقعة بين تاريخ ١١

تشرين أول حتى ١٥ منه وقد خصص لهذه العملية الفرقة المدرعة الرابعة والفرقة الواحدة والعشرين المدرعة والتي كان عليها أن تتقدم عبر رأس الجسر لتشن هجوماً رئيسياً يهدف إلى احتلال مواقع ممرات متلا الحيوية وتتم هذه العملية على شكل كماشة يتكون ذراعها الجنوبي بتقدم الفرقة المدرعة الرابعة ومعها اللواء المدرع الخامس والعشرين من منطقة ممر الجدي عن طريق (المحزة) إلى بير قفقفا. بينما يتكون ذراعها الشمالي بتقدم الفرقة المدرعة الواحدة والعشرين من منطقة الاسماعيلية عبر (الدفرسوار) إلى بير قفقفا.

كما تنفذ عمليات ثانوية في مواقع أخرى لتعضيد هذا الهجوم.

٣ ـ الهجوم المعاكس الأول : ـ

لقد شن الاسرائيليون هجومهم المعاكس الأول صباح يوم ٨ تشرين أول بقوة قوامها فرقة مدرعة ضد مواقع الجيش المصري الثاني. حيث كانت هذه القوة محتشدة بمحاذات الطريق الرئيسية من البالوظة إلى تاسا. وقد دفع العدو أول لواء من ألويته بمحاذات القناة من الشمال إلى الجنوب بالجهة الغربية من الطريق الثانوية للهجوم على المواقع المصرية مقابل جسر الفردان والاسماعيلية. بينما تقدم لواء آخر على الجناح الأيسر للواء السابق باتجاه التحصينات الواقعة مقابل الاسماعيلية كما تقدم اللواء الثالث بمحاذات هذين اللوائين جنوباً باتجاه مواقع قرب الدفرسوار على الطرف الشمالي من البحيرات المرة. وقد كان واضحاً من طريقة تحرك هذه القوات أنها تنوي الهجوم على مواقع القوات المصرية من الشمال إلى الجنوب وبتسلسل تدريجي. أي هجوم جانبي بدلاً من هجوم مواجهة ولكن ارتالها أثناء حركتها ليلاً أخذت تبتعد تدريجياً وتنحرف نحو الشرق ولم تتمكن من تصحيح هذا الخطأ في الوقت المناسب وكانت النتيجة أنها بدلاً من أن تتمكن من مهاجمة المواقع المصرية من الشمال إلى الجنوب (أي من الجهة التي لم يتوقعوها). وجدت نفسها تتجه من الشرق إلى الغرب وبالتالي أصبحت في مواجهة المواقع الرئيسية المصرية من الأمام والتي كانت بانتظارهم. وعندئذ قام الاسرائيليون بشن هجومهم بقوة لوائين في ساعات بعد الظهر. ولكنهم وجدو أنفسهم محاطون بالالاف من الجنود المصريين الذين أوقعوا بهم خسائر فادحة ودمروا عدداً كبيراً من دباباتهم . وقد كان الخطأ الأساسي الذي ارتكبه الاسرائيليون بهذا الهجوم هو أنهم لم يرفقوا هذه الألوية المدرعة بأية قطعات من المشاة المحمولة أو المشاة الآلية أثناء الهجوم لتوفير الحماية الضرورية لها.

وبهذه الأثناء شنت القوات المصرية هجومين معاكسين ضد الفرقة المدرعة الاسرائيلية قوام كل هجوم منها لواء مدرع ولواء آلي. انطلق الهجوم الأول من منطقة جسر الغردان وانطلق الهجوم الثانى من الجنوب باتجاه طريق الاسماعيلية. واستمرت المعارك حتى المساء ورغم أن زخم هذا الهجوم المعاكس توقف إلا أن قطعات الفرقة المدرعة الإسرائيلية اضطرت بالنتيجة إلى الانسحاب وقد تكبدت خسائر فادحة في معارك ذلك اليوم.

٤ - بهذه الاثناء بدأت تظهر بعض الخلافات في القيادة العليا المصرية حول كيفية توجيه الحرب حيث كانت القوات المدرعة الرئيسية وقوامها فرقتين مدرعتين وفرقتين آليتين ولوائين مدرعين مستقلين. ومجموع ملاكها حوالي (٩٠٠) تسعمائة دبابة ما زالت في مناطق تجمعها غرب القناة في الاحتياط الرئيسي. وقد كان الرئيس أنور السادات يريد دفع هذه الفرق المدرعة إلى شرق القناة للهجوم باتجاه ممرات (متلا). ولكن قادة القوات المسلحة كانوا يعارضون هذا الاجراء لأنهم يرون أن إرسال هذه الأرتال الضخمة من الدبابات إلى عمق سيناء بعيداً عن حماية مظلة الصواريخ سوف يعرضها إلى خطر التدمير من قبل سلاح الجو الاسرائيلي الذي كان يملك السيطرة الجوية المحلية في تلك المناطق. كما كانت القوات الاسرائيلية قد أكملت التعبئة العامة خلال الأيام الأولى من القتال وحشدت وحداتها الجديدة في مواقعها المخصصة لها في سيناء والجولان استعداداً للقيام بالهجوم المعاكس على نطاق واسع كما كان متوقعاً. ولذلك فإنهم كانوا يريدون تأجيل دفع هذه القوات المدرعة إلى شرق القناة لبينما يتمكنوا من نقل الصواريخ لحمايتها وبنفس الوقت فإن الاسرائيليين وبنتيجة الهجومات المعاكسة المحلية التي نفذورها خلال الأيام الماضية على مواقع الجيش المصري اتضح لهم أنهم لا يستطيعون التوصل إلى نتيجة حاسمة وفرض تحول جذري لصالحهم في المعركة إلا إذا تمكنوا من العبور إلى غرب القناة وتهديد القواعد الخلفية للقوات المصرية المتمركزة في رأس الجسر شرقي القناة وتدمير شبكة الصواريخ (أرض - جو) لتوفير الحرية للطيران الاسرائيلي للعمل فوق الجبهة بفعالية. وبما أن هذه العملية لن يكون لها أمل في النجاح إلا إذا تحركت القوات المدرعة الرئيسية المصرية من غرب القناة شرقاً إلى عمق سيناء وتورطت هناك في معركة واسعة وعندئذ تصبح مناطق غرب القناة مفتوحة أمام الدروع الاسرائيلية عندما تعبر القناة إلى الغرب في الوقت الذي تكون فيه الدروع المصرية تخوض معركة ثابتة في عمق سيناء وتكون بنفس الوقت خارج مظلة الصواريخ المصرية. وبذلك تصبح هدفاً سهلاً للطائرات الإسرائيلية ولا تستطيع التقدم بفعالية نحو أي هدف رئيسي

ولا تشكل تهديداً إلى عمق اسرائيل. ولتحقيق هذه الوضعية كان لا بد من اتخاذ الاجراءات المناسبة لجر القوات المدرعة الرئيسية المصرية من غرب القناة للاشتراك في معركة تطورها القوات الاسرائيلية أمام راس الجسر المصري شرق القناة لهذه الغاية وخصوصاً في القطاع الجنوبي من الجبهة ولسوء الحظ فقد تطابق هذا التخطيط الاسرائيلي مع ما كانت القيادة السياسية المصرية تنوي عمله فعلاً في تلك المرحلة عن غفلة أو جهل. وكأنها كانت تخطط لتنفيذ ما كان يتمنى الاسرائيليون تحقيقه دون آن يعلم أحدهم عن الآخر. ولكن كان من المفروض أن تتنبه القيادة العليا المصرية إلى هذه الاحتمالات الاستراتيجية الخطرة والتي كانت كما يظهر واضحة في ذهن الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان القوات المسلحة المصرية وقادة الجيوش وكانت السبب في معارضتهم لتحريك القوات الاحتياطية الرئيسية إلى شرق القناة خارج حماية مظلة الصواريخ رغم إصرار الرئيس السادات على هذه الحركة[1].

كما كان واضحاً كذلك أنه من الخطأ استعمال التشكيلات المدرعة مجزأة بارتال متباعدة لتحقيق أهداف متفرقة. بل كان من الأصح بعد أن نجحت القوات المصرية في تكوين راس جسر شرق القناة أن تتوقف قليلاً بوضعية الدفاع المؤقت لكي تحصن دفاعاتها على طول الجبهة بحيث تستطيع الصمود أمام أي هجوم معاكس قد يشنه العدو لا سيما وأنه أصبح من الواضح بعد أن أكمل العدو التعبئة العامة وحشد قواته الرئيسية في سيناء أن الخيار الواضح أمامه لكي يحسم المعركة لصالحه هو القيام بهجوم معاكس ضخم يؤدي إلى عبوره إلى غرب القناة بقوة كبيرة لتهديد الجيشين المصريين الثاني والثالث من الخلف وعزلهما عن قواعدهما الرئيسية ومن ثم السعي لتدميرهما تدريجياً ولذلك كان من المفروض أن تتنبه القيادة السياسية المصرية لهذا الخطر وأن لا تبدأ بالتحول إلى مرحلة الهجوم في عمق سيناء ونقل القوات المدرعة الرئيسية إلى شرق القناة قبل أن تقوم بنقل قواعد الصواريخ إلى الشرق ونصب جدار جديد منها شرق القناة بشكل يمكنها من حماية التشكيلات المدرعة المتقدمة في سيناء من الغارات الجوية الاسرائيلية إلى أقصى مدى ممكن طالما أن العدو يملك التفوق الجوي فوق سيناء وطالما أن القوات المصرية اعتمدت أسلوب حماية الصواريخ كبديل عن الطائرات في السيطرة الجوية التي كان الحصول على الأعداد الكافية منها سيحتاج إلى وقت طويل فليس أمامهم إذن في هذه المرحلة سوى التصرف ضمن هذا المنطق الاستراتيجي وتأمين حماية قواتهم في كل مرحلة من مراحل تقدمها اعتماداً على مظلة الصواريخ. وبعكس ذلك

---

(١) كتاب حرب اكتوبر ـ تأليف الفريق سعد الدين الشاذلي .

سوف يعرضونها للفشل والتدمير. ومن الواضح أن القيادة العسكرية كانت متنبهة لهذا الخطر وتعارض تنفيذ هذه العملية بالشكل الذي ارادته القيادة السياسية ومن هنا على ما أظن كان الخلاف بين الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة وبين الرئيس أنور السادات مما أدى إلى اعفائه من منصبه في النهاية. وكما يظهر فإن القيادة السياسية المصرية كانت تخوض حرباً سياسية لتحقيق هدف محدود يؤدي إلى المفاوضات السياسية مع اسرائيل ولذلك فإن الحماية البديلة للجبهات ضمن هذا المنطق سوف تعتمد على هيئة الأمم المتحدة حيث كانوا يتوقعون أنها سوف تفرض وقف اطلاق النار بالوقت المناسب عندما تكون القوات العربية قد احتلت أجزاء من سيناء والجولان وأصبحت بموقف تفاوضي جيد وستؤدي هذه الحالة إلى سلام دائم ومشرف يسترد العرب بنتيجته أراضيهم التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧م. ومن هذا المنطلق فقد كان الرئيس السادات يصر على دفع جميع قواته المسلحة شرقاً إلى سيناء لكي تستطيع احتلال أكبر مساحة ممكنة منها قبل موعد وقف اطلاق النار. ومن الناحية النظرية فإن هذه التوقعات تبدو معقولة ما دام التخطيط لهذه الحرب قد وضع على أساس أنها ستؤدي إلى حل سلمي مع اسرائيل. أما من الناحية العملية فإن النتيجة ستكون عكس ذلك تماماً لسببين :

أولاً : إن اسرائيل سوف لن تترك القوات العربية تحتل هذه الأراضي وتحتفظ بها لتصبح هي بموقف تفاوضي ضعيف. لأنها إنما أرادت من احتلالها أصلاً عام ١٩٦٧م بالإضافة إلى أنها تريد التوسع وضم مساحات جديدة من الأراضي العربية فهي كانت تريدها ورقة بيدها لتستعملها في المفاوضات لفرض السلام بشروطها وقد ساعدتها الولايات المتحدة الأمريكية دوماً على تحقيق هذا الهدف. بل كانت هذه المسألة تشكل أحد الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة نفسها عندما شجعت اسرائيل على شن تلك الحرب عام ١٩٦٧م. وليس من المعقول إذن أن توافق الولايات المتحدة الآن أن تخسر اسرائيل هذه الورقة التفاوضية الهامة. بل بالعكس فإنها ستعمل المستحيل لكي تبقى اسرائيل في مركز القوة. ناهيك عن أن فلسفة وجود اسرائيل ترتكز أصلاً على التوسع على حساب أراضي البلدان العربية. فهل يعقل أن تنسحب من الأراضي التي احتلتها بالحرب وتسلمها لنا بدون قتال أو ثمن سياسي مهم.

ثانياً : إن اسرائيل كانت في تلك المرحلة من القتال تخطط لهجوم معاكس رئيسي بهدف

اجـتـياز القناة غرباً وإنها كانت غير راغبة في البدء بهذا الهجوم قبل أن تتمكن من استـدراج القوات المدرعة الرئسية المصرية إلى شرق القناة لكي تضمن عدم وجود قـوات مـهـمـة تقف في وجهها أثناء تنفيذ عملية العبور لأن فشلها عندئذ سيكون مـؤكـداً. ولذلك فإن قـرار القـيـادة المصرية العليـا بدفع هذه القوات شرقا في ذلك الوقت بالذات جـاء محقـقـاً لتـمنيـات القـيـادة الاسرائيلية ومشـجعاً لها للتعجيل بهجـومها المعاكس الكبير لأنها كانت تضمن تدمير تلك القوات المدرعة المصرية من قـبل سـلاحـهـا الجـوي عندمـا تخرج من نطاق مظلة الصواريخ ولو أن القيادة المصرية تركت هذه القـوات الاحـتـيـاطيـة الرئيـسـيـة بمواقعها غرب القناة مؤقتاً واهتـمت بشكل أسـاسي بتـقـوية مواقعها الدفاعية ضمن نطاق راس الجسر شرق القناة بحـيث تستطيع الصمود أمام الهجمات المعاكسة الاسرائيلية وبعد ذلك قامت بتـوسيع نطاق مواقعها إلى الشرق على جبهة عريضة بشكل تديجي ثم نقلت جدار الصـواريخ ضـمن نطاق مـواقـعها الدفاعية المتقدمة لكي توسع مدى فعالية مظلة الصـواريخ إلى أبعـد مـسـافـة ممكنة في عمق سيناء ثم استخدمت قواتها المدرعة بضربة رئيسية قوية ومكثفة بدلاً من استخدامها بارتال متفرقة ومتباعدة لتمكنت من الحـصـول على نتائج ايجابية في المعركة مضمونة ومؤكدة أكثر ولبقي موقفها العـسكري سليمًا إلى حـد بعـيـد ريثما يأتي موعد قرار هيئة الأمم المتحدة بوقف اطلاق النار مـا دام أن الرئيس أنور السـادات قـصـد أصلاً من شن هذه الحرب تحريك قضية الشرق الأوسط سياسياً وليس للتغلب على اسرائيل عسكرياً لتحرير الأراضي العربية المحتلة بالحرب كما كان يصرح في ذلك الحين. حيث كان يعتقد أنه سـوف يتـمكن بهذا الأسلوب وعن طريق المفـاوضـات من استرداد سيناء وباقي الأراضي العربية المحتلة.

وهنا لا بد من الاشـارة إلى أن نقطة التـحـول الرئيسية التي أدت إلى التدهور الشامل في الجبهة المصرية كانت ترتكز على أمرين هامين:

أولاً : إقدام القيادة المصرية على دفع احتياطيها الرئيسي بكامله تقريباً من غرب القناة إلى عـمق سـيناء بارتال مـتـباعدة على جبهة واسعة خارج نطاق مظلة الصواريخ مما أدى إلى تدمير أعـداد كـبيرة من دباباتها وردها على أعـقابها إلى المواقع التي بدأت منها.

ثانيـاً : عجز القيادة المصرية عن تقدير الحجم الحقيقي لقوات العدو التي قامت بالهجوم

المعـاكس وفتح الثغرة في الجبهة المصرية وعبور القناة غرباً وعدم اتخاذ الاجراءات الوقـائيـة اللازمة بوقت مبكر لمنع قوات العدو من التثبت غرب القناة بعد عبورها حـيت بقيت القيادة المصرية مدة طويلة وهي تجهل حجم هذا الاختراق أو تستهين به على الأقل. وعندما اكتشفته أخذت تذيع البيانات التي تقلل من شأنه وتؤكد أن العـدو نجح بادخال سبعة دبابات فقط إلى غرب القناة. ثم فيما بعد وصفوها على أنها مجمـوعـة محدودة من الدبابات وإن القـوات المصرية في المنطقـة تقـوم حالياً بتدميرها

وهكذا استمرت لهجة البيانات المصرية التي كنا نسمعها باستغراب شديد ونحن في غرفة العـمليـات في المحـافظة ولم نسـتطع تفـسير عـدم قـدرة القوات المصرية على تدمير هذه الدبابات السـبـعـة أو المجموعة المحدودة كما وصفوها واستمروا بوصفها هكذا لبضعة أيام حـتى نجح العـدو بالنهاية بتطويق الجيش المصري الثالث بكامله من الخلف وقطعه عن قـواعـده الرئيـسية. وخلال فترة وجيزة أصبحت قوات العدو غرب القناة تتألف من فـرقـتين مـدرعـتين ثم نجـحت بتـدمير معظم بطاريات الصواريخ المصرية بحيث تمكن السـلاح الجـوي الإسرائيلي من استعادة السيطرة الجوية من جديد فوق الجبهة بكاملها ومن ثم تغلغلت قواتهم غرباً في العمق حتى أصبحت تهدد القاهرة نفسها.

أمـا بالنسـبـة لاخـتـلاف وجـهـات النظر في القـيـادة المصرية حول مسألة دفع القوات الاحـتـيـاطيـة المدرعـة إلى شرق القناة لشن هـجوم رئيسي باتجاه ممرات (متلا) وإصرار الرئيس أنور السـادات على تنفيذ هذا الهجوم رغم معارضة رئيس أركان القوات المسلحة لهذه الحـركـة كما أسلفنا فـقـد قـالوا فـيما بعـد أن الدافع لهذا الموقف جاء من الجبهة السـورية حـيث كانت وضعية القوات السورية في تلك الأثناء حرجة وصعبة ولذلك فإن السـوريين كـانوا يلحـون على الرئيس السـادات لكي يقـوم بعمل هجومي واسع النطاق ومـؤثر في الجـبهة المصرية كي يضطر الاسرائيليون أن يسحبوا بعض تشكيلاتهم المهمة من الجـبـهة السورية لمواجهة الهجوم المصري فيخف الضغط على القوات السورية. ومس جـهـة أخـرى فـقـد كان الرئيس السادات سيلقي بياناً أمام مجلس الشعب المصري عن كـيـفـيـة سير القتال وكان يريد بهذه المناسبة أن يتمكن من إبراز عمل عسكري مهم في خطابه أكـثـر من قـوله أن القوات المسلحة قد تمكنت من عبور القناة وإنها متمركزة في رأس جسر عـمـقـه أربعـة أميال ومضى على بقائها هناك في وضعية الدفاع حوالي عشرة أيام. ولذلك أراد أن يبـدأ الهجـوم الكبير على مـضـائق ثيران وفي عمق سيناء قبل موعد خطابه الذي كان مقرراً بتاريخ ١٦ تشرين أول. ولذلك فـقد أصدر أمراً مباشراً بأن يبدأ

هذا الهجـوم يوم ١٤ تشرين أول. وكـانت الفرقة المدرعة ٢١ والفـرقة المدرعة الرابعة قد عبرتا القناة في اليوم السابق وتجمعتا في راس الجسر استعداداً لهذا الهجوم.

وتتلخص الخطة بحـركة واسعة على شكل كماشة متباعدة الفكين لاحتلال منطقة ممرات متـلا الحـيوية. وتتألف القوة المهاجمة من فرقة مدرعة تتقدم من منطقة تقاطع الطرق عند ممر (جـدي) عبر (محزة) إلى بير قـفـقفا على الجناح الجنوبي. وفرقة مدرعة أخرى تتقدم من منطقة الاسماعليلية الدفرسوار إلى بيرقفقفا على الجناح الشمالي.

وقـد بدأت عـمليـة الهجـوم بالسـاعة السادسة صباح يوم ١٤ تـشريـن أول في القطاع الشمالي بقـيـام فرقة المشاة الثامنة عشر يسندها لواء مدرع بالهجوم من منطقة القنطرة بهـدف الوصـول إلى منطقـة (رومـانى) ومـتـزامناً مع هذا الهجـوم نقلت وحـدات من (الكوماندو) بطائرات الهيلوكبتر إلى مناطق الملاّحات لدعم الهجوم.

وفي القطاع الأوسط تجمعت الفرقة المدرعة ٢١ وانضم إليـها لواء مدرع من الفرقة الآلية ٢٣ وبنفس الوقت أندفـعت هذه الفرقة من راس الجسر عبر الطريق الرئيسية المؤدية من الاسماعيلية إلى بير قفقفا.

وأمـا في القطاع الجنوبي فقد تقدمت الفرقة المدرعة الرابعة على محاور ممر (متلا) وممر (الجـدي) لتـقـوم بحـركة التفاف واسعة نحو الجنوب ثم تنحرف شمالاً لكي تصل إلى ممر مـتـلا من جـهـة الجنوب. ولكنهـا اصطدمت مع فرقة مدرعة اسرائيلية وقوات من المظليين والتي كـانت بانتظار مـثل هذه الحركة ودارت معركة واسعة على جميع المحاور اعـتبرت من أعنف مـعـارك الدبابات التي عرفت حتى ذلك التاريخ. حيث اشتبكت حوالي (٢٠٠٠) ألفي دبابة من الجانبين على مختلف المحاور على طول الجبهة وقد وقعت معارك تدميرية رهيـبـة في ذلك اليـوم ولكن النتـيـجـة كـانت في غير صالح القوات المصرية لأن وحـداتها المدرعـة عندمـا تغلغلت في عـمق سـيناء خارج نطاق مظلة الصواريخ أصبحت مكشوفة للطيران الإسرائيلي دون أن تتوفر لها الحماية اللازمة سواء كان ذلك من سلاح الجـو المصري أو من الصـواريخ وبالنتـيجة فقد خسرت القوات المدرعة المصرية أكثر من ربع دباباتها في مـختلف القطاعـات. والأهم من هذا أن القوات الاسرائيلية تمكنت من دحر هذا الهجوم وردت الفرق المصرية على أعقابها إلى الخط الذي بدأت منه في راس الجسر.

وبفـشل هذا الهجـوم أصـبـحت الفرصة مهيأة للقيادة الاسرائيلية لكي تبدأ بتنفيذ خطة الهجـوم المعـاكس التي كـانت قـد وضـعتها واجلت تنفيذها بانتظار عبور الفرق المدرعة المصرية الاحـتـيـاطية إلى شرق القناة وتدمير معظم دروعها هناك كما حصل فعلاً خلال

هذه المعارك الأخيرة. صحيح أن تقدم الفرق المدرعة المصرية في عمق سيناء خارج فعالية مظلة الصواريخ كان سبباً رئيسياً في إحباط هجومها وتعرضها إلى خسائر كبيرة في دباباتها ولكن هذا لا يعني أنه كان من المستحيل على هذه الفرق أن تحقق نتائج أفضل في القتال حتى ولو كانت خارج مظلة الصواريخ لو تم استخدامها بطريقة أصح عسكرياً في عملية الهجوم ذاتها ما دامت أجبرت على العمل خارج حمايتها الجوية. حيث أن الطريقة التي نفذت بها الهجوم على شكل أرتال متباعدة في جبهة يبلغ عرضها حوالي مائة ميل كانت من أهم أسباب ضعفها وبعثرة قدراتها القتالية وإلغاء فعاليتها في المعركة. ومما زاد في حدة هذا التأثير السلبي هو عدم تزويد هذه الفرق المدرعة بما يلزمها من وحدات المشاة المحمولة والتي تعتبر عاملاً ضرورياً وأساسياً لمساندة الوحدات المدرعة في مثل هذا الهجوم. وعلى الرغم من الظروف التي حدت بالقيادة المصرية إلى الاسراع بتنفيذ هذا الهجوم فقد كانت أمامها فرصة جيدة لتحقيق نتائج أفضل لو أنها قامت بتجميع هذه الأعداد الضخمة من الدبابات في كتلة مكثفة لتندفع بقوة وسرعة على جبهة ضيقة لأمكنها أن تحقق هدفها باحتلال ممرات متلا والجدي أو أحدهما وبخسائر أقل بكثير مما تعرضت له فعلاً بالطريقة التي تم بها الهجوم المتباعد هذا وهي تقاتل لمدة طويلة في تلك المساحات الشاسعة من الصحراء دون أن تتمكن من الاقتراب من أهدافها. وبالاضافة إلى ذلك فمن استقراء أساليب التعامل القتالي خلال المعركة وردود الفعل المختلفة فإنه يبدو لي أن القيادة المصرية كانت في ذلك الظرف تعاني من نقص في المعلومات عن العدو ومواقعه الرئيسية التي تمركز فيها بعمق سيناء مما أدى إلى وقوع أرتال الهجوم في المصائد التي رتبها العدو سلفاً للايقاع بها. ولقد فوجئت القطعات المصرية بهذه المصائد التي لم تكن لديها معلومات مسبقة عنها وتعرضت بالنتيجة لخسائر كبيرة بالدبابات والآليات ولا سيما بالنسبة للارتال التي تقدمت على الجناح الجنوبي. ولقد كانت هذه المعركة الضخمة نقطة تحول خطيرة في حملة سيناء برمتها أدت بالنتيجة إلى انهيار واسع في الجبهة المصرية بعد تطويق الجيش الثالث وتغلغل الفرق المدرعة الاسرائيلية إلى غرب القناة وتدمير قواعد الصواريخ مما مكن سلاح الجو الاسرائيلي أن يستعيد السيطرة الجوية على الجبهة بكاملها وتقرر بالنتيجة مصير هذه الحرب

وتجدر الاشارة هنا إلى أن القوات الاسرائيلية كانت قد خسرت خلال الأيام الأولى من الحرب أعداداً كبيرة من طائراتها ودباباتها. وعندئذ سارعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إقامة جسر جوي لنقل الدبابات والذخائر جواً من قواعدها في أوروبا إلى اسرائيل

بحيث أن الدبابات كانت مجهزة للاشتراك بالقتال رأساً فور نزولها من الطائرة كما أرسلت أسراباً من الطائرات لتحل محل الطائرات التي دمرت. وهذا هو الذي مكن اسرائيل من استعادة قدراتها القتالية فوراً وأصبحت تملك كميات من الأسلحة أكثر مما كان لديها قبل نشوب الحرب وبعضها أكثر تطوراً. وبهذا استطاعت التحول من الدفاع إلى الهجوم فور اتمامها استدعاء الاحتياط.

٥ – الهجوم المعاكس الاسرائيلي : بعد فشل الهجوم المصري في عمق سيناء أصبح الطريق مفتوحاً أمام الجيش الاسرائيلي ليبدأ هجومه المعاكس ويعبر بقواته إلى غرب القناة بعد أن عبرت التشكيلات المصرية المدرعة الرئيسية إلى شرق القناة وأصبحت مناطق غرب القناة خالية من أية قوات مدرعة مهمة في الاحتياط يمكنها أن تتصدى للقوات المهاجمة بفعالية ولهذا فقد بدأ العدو هجومه في اليوم التالي بدون تردد. وقد كانت خطته لهذا الهجوم تتلخص بما يلي(١) :

أ – تقود عملية الهجوم فرقة مشاة ولواء مدرع وتكون مهمة هذه القوة عبور القناة إلى الغرب من منطقة الدفرسوار ويرتكز جناحها الأيسر على البحيرات المرة على أن تحتل راس جسر غرب القناة بعرض ثلاثة أميال إلى الشمال من شاطىء البحيرة لكي تبعد مدى مدافع المورتر والصواريخ المضادة للدروع المصرية عن الموقع الذي سيوضع فيه الجسر الجاهز والذي ستعبر عنه الدبابات بسرعة وتبدأ بمهاجمة وتدمير مواقع الصورايخ المصرية المضادة للطائرات غرب القناة.

ب – فرقة مدرعة توضع في الاستعداد لكي تعبر القناة في أعقاب فرقة الطليعة بعد عبورها.

جـ – فرقة مدرعة توضع في الاستعداد الدائم وتبقى جاهزة لتعبر القناة عندما يصدر لها الأمر بذلك.

د – يبدأ الاقتحام بعبور لواء المظليين على قوارب مطاطية ومعه عشرة دبابات تنقل على عوامات. وحال وصول هذه القوة إلى الضفة الغربية للقناة تقوم بتأسيس راس الجسر. وعندما يتم عبور قوات أخرى تتحرك جنوباً. وحال عبور قوة الاقتحام بكاملها يتم تركيب جسرين أحدهما عائم (بونتون Ponton) والآخر مسبق التجميع (Prefabricated) وعندما يتم تركيبب هذين الجسرين تعبر الفرقة المدرعة الأولى في

---

(١) كتاب الحروب العربية الاسرائيلية، تأليف حاييم هيرزوغ .
The ARAB - ISRAELI WARS - By CHAIM HERZOQ

أعـقـاب قـوة الاقـتـحـام وبعد تكامل عبورها تنطلق جنوباً وتتبعها الفرقة المدرعة الثـانيـة التي عليـها أن تقوم بتدمير قواعد الصواريخ المصرية في المنطقة لكي يتمكن سـلاح الجـو الاسرائيلي من اسـتـعادة السيطرة الجوية ثم يتم تطوير عمليات حشد القـوات غـرب القناة وتوسـيع منطقة عملياتها بهدف تطويق الجيش المصري الثالث وتدميره.

وتجـدر الاشـارة هنا إلى أن أول معلومات سمعناها من البيانات المصرية عن هذه العملية الضـخـمـة كـانت عندمـا أذيع بيـان يفيد بأن دورية اسرائيلية صغيرة قوامها سبعة دبابات تمكنت من العـبـور إلى غـرب القناة وأن قـواتنا تقوم بتدميرها. ولا بد أن نذكر هنا أنه بهذه الاثناء كـانت الاشـتـبـاكـات تدور على نطاق واسع بين قوات الجيش الثالث المصري في راس الجسر وبين الفـرقـة الاسرائيليـة التي كـانت تتـولى مـهمة توسيع ممر العبور وحماية باقي القـوات التي كـانت تسـتعد للعبور إلى غرب القناة حالما يتم تركيب الجسور. وبنفس الوقت كـانت الألوية الاسرائيلية المتمركزة في القطاع الشمالي من الجبهة قد فتحت نيرانها بكثافة على قطعـات الجـيش الثـانى في ذلك القطاع على نطاق واسع لكي تثبتها وتمنعها من التدخل ضد القـوات التي كـانت تنفـذ عـمليـة عـبـور القناة في الجنوب وكذلك لكي تجذب انتباه القيادة المصرية نحـو القطاع الشمالي من الجـبـهـة وتوهمهـا أن الخطر الفعلي واقع هناك فلا تعطي الاهتمام اللازم لما كـان يجري في الجنوب. وقـد نجحت بهذه المهمة إلى حد بعيد حيث لم تقم القـيـادة المصرية بأية اجـراءات ذات قيمة ضد عملية العبور إلا بعد فوات الأوان. وعندئذ لم يعد بمقدورها منع هذه العملية أو حتى إيقافها عند حد محدود. وقد كانت البيانات الرسمية المصرية التي كنا نسـمـعـها فور اصدارها تقلل من أهمية هذه العملية ومن حجمها الحقيقي بشكل يدل على أن تلك القيادة كانت تجهل تماماً ما هية عملية العدو في مراحلها الأولى بشكل يلفت النظر ويصـعب فـهـمـه أو تفـسيره وكما اتضح فـيما بعـد فإن الاسرائيليين كانوا قد خططوا لعـمليـة العـبـور إلى غـرب القناة منذ عـدة سنوات عندمـا احتلوا منطقة سيناء عام ١٩٦٧م وقـد اتخذوا بعض الاجـراءات التـحضـيرية لهذه الخطة حيث قاموا بتعبيد عدة طرق في منطقـة الدفرسوار تؤدي إلى حافة القناة بطريقة تجعلها مناسبة لتمرير الجسور الجاهزة التي يمكن سـحـبـها على بكرات خاصة وإيصالها إلى مواقعها المنتخبة على القناة حيث يمكن تثـبـيـتـهـا وتجهيزها للاستعمال بسرعة كما جهزوا المنطقة المقابلة للنقطة المعينة للعبور في الدفـرسوار كمنطقة حشد للقوات المخصصة للقيام بالعملية وبنوا حولها جداراً ترابياً مرتفعا بحـيث أصـبح لديهم بهذه الطريقة ساحة ضخمة محمية من جميع الجهات تستطيع القوات المتقدمة أن تستخدمها لاعادة التنظيم واستكمال ترتيباتها النهائية قبل البْدء بالاقتحام.

ولهذا فإنه يفترض أن القوات الاسرائيلية كانت تنوي عبور القناة بعد احتلالها سيناء عام ١٩٦٧م ما دامت أنها قامت بتنفيذ جميع هذه الاجراءات التحضيرية أو أنها خططت لمثل هذه العملية لاستعمالها في المستقبل عند الحاجة أو كمرحلة مكملة لبناء خط بارليف كنوع من الدفاع المتحرك لمواجهة احتمالات المستقبل. ومهما كانت الأفكار التي أدت إلى عمل هذه التحضيرات فإنها جاءت الآن كعامل فعال وحاسم في انجاح عملية عبور القوات الاسرائيلية إلى غرب القناة بهذه المعركة التي نحن بصددها الآن.

هذا وقد بدأت الفرقة الاسرائيلية المخصصة للعبور في الموجة الأولى عملياتها بهجوم تثبيتي قوامه لواء مدرع ضد الجناح الجنوبي للجيش الثانى المصري بينما تقدم لواء مدرع آخر بحركة التفاف واسعة على الجناح الجنوبي للجبهة عبر الكثبان الرملية للوصول إلى القناة عند نقطة التقائها مع البحيرة المرة الكبرى. وبنفس الوقت قامت قوة باقتحام المواقع المصرية حول الطريق الأوسط بينما هاجمت قوة أخرى المواقع المصرية في الجهة الشمالية لتوسيع عرض الممر الرئيسي (المعبر) الذي ستمر منه القوات المتقدمة نحو القناة.

وبعد تقدم هذه الألوية تحرك لواء مظلي ولواء مدرع آخر لكي يلتحقا باللواء الأول في حركة الالتفاف من الجنوب حيثما ستبدأ عملية عبور القناة، ومن المدهش أن حركة هذه الألوية كانت تتم على نطاق واسع وتتخللها صدامات موضعية متعددة حول منطقة العبور ومن السهل على أي قائد بمستوى معقول من الفطنة أن يفسر مغزى هذه التحركات الضخمة ويقدر هدفها ومع ذلك رأينا أن القيادة المصرية لم تكترث بها طيلة الساعات الأولى ولا حتى خلال اليومين الأولين من بدء تنفيذ هذه العملية الواسعة وبقيت تذيع بياناتها التي كنا نستمع إليها مباشرة باستمرار في غرفة عمليات المحافظة أثناء بثها وقد كانت هذه البيانات تحدد القوة الاسرائيلية غرب القناة بأنها عبارة عن أربعة دبابات ثم أصبحت سبعة ثم وصفتها البيانات بأنها مجموعة صغيرة وهكذا. الأمر الذي مكن القوات الاسرائيلية من استكمال تحشدها ونقل جسورها إلى حافة القناة ثم تمكنت بعد ذلك من تثبيت القوات المصرية في مناطق راس الجسر شرق القناة وتحييدها ومنعها من التدخل في العملية. الأمر الذي مكنها من أن تعبر إلى غرب القناة بسرعة وسهولة نسبية. وعندما تنبهت القيادة المصرية إلى خطورة هذه العمليات وضخامة حجم القوات المشتركة فيها كان قد فات الأوان.
وعلى أي حال فإنه لا مجال هنا لذكر تفصيلات المعارك المتعددة التي دارت في تلك الأيام على جانبي القناة لكني سوف أحاول وصف تطور الاشتباكات الرئيسية بشكل موجز مستنداً إلى البيانات الرسمية التي كنا نطلع عليها ونتابعها في حينها والتي أدت بالنتيجة إلى تطويق الجيش الثالث المصري ثم إلى وقف اطلاق النار بقرار من هيئة الأمم المتحدة بعد أن كانت

القـوات الاسرائيليـة قد وصلت إلى أبواب الاسماعيلية ودخلت مدينة السويس وقطعت الطريق المؤدي إلى القاهرة.

فـعندما بدأت القوات الاسرائيلية تقدمها نحو نقطة العبور التي انتخبتها في منطقة الحدود بين الجـيشـين المصريين الثانى والثالث على اعتبار أنها أضعف نقطة في الخط الدفاعي حاولت أن تثبتها أمام الدفاعات المصرية وتوسـعها لمسافة تضمن لها حماية قواتها التي سوف تتقدم من خلال هذا الممر لكي تعبر القناة إلى الغرب. وقد دفع العدو لواء مدرعاً للقيام بهذه العملية بعد ظهر يوم ١٥ تشرين أول حـيث اشـتبكت كتائبه مع المواقع المصرية حالاً ودارت معارك عنيـفة طيلة تلك الليلة. وعلى الرغم من أن اللواء الاسرائيلي خسر فيها أكثر من نصف دباباته إلا أنه حـقق بعض النتائج المهمة في اليوم التالي. حيث تمكن من الاستيلاء على مفترق الطرق المهم في تلك المنطقـة. وبهذه الاثناء تقـدم لواء اسرائيلي جـديد من منطقـة ممرات (متلا) لكي يعبر القناة من خـلال منطقـة اللواء السـابق الذي أخـذ يعيد تنظيم وحداته وقد اشتبك هذا اللواء في طريقـه مع الدفاعات المصرية طوال تلك الليلة ولكنه تمكن بالنهاية صباح اليوم التالي ١٦ تشرين أول من تمرير أول مجمـوعـة من قواته عبر قناة السويس إلى الغرب تحت ستار كـثـيف من نيران المدفـعـية. وبحلول الساعة الثامنة صباحاً كانت قيادة هذا اللواء قد عبرت القناة. وعندئذ تمكن الاسرائيليـون من تأسـيس راس جسر دفـاعي هناك أمـتـد عمقه حوالي ثلاثة أمـيـال. وبعد ذلك توالى عبور القوات الاسرائيلية إلى الغرب رغم أنها لم تتمكن بعد من بناء جسر ثابت على القناة يمكنهـا من تمرير قـوات مـدرعـة كـبيرة. ولكن بالمقـابل لم تهتم الـقـوات المـصرية في تلك الفترة كـثيراً بهذه القـوات الاسرائيليـة التي عبرت إلى الغـرب وبقي انتباهها مشدوداً إلى المعارك التي كانت محتدمة في الشمال بمنطقة راس الجسر المصري شرق القناة بينما انطلق الاسرائيليـون بالدبابات التي استطاعوا تمريرها إلى غرب القناة نحو مواقع بطاريات الصـواريخ المضـادة للطائرات وبدأوا بتدميرها الواحدة بعد الأخرى. وبنفس الوقت أخـذوا يمررون المزيد من القوات إلى الغرب بينما يقوم سلاح الهندسة بسحب الجسر الجاهز نحـو حافة القناة بواسطة الدبابات ببطء شديد حيث استغرقت تلك العملية حوالي ٤٨ ساعة ولكنهم تمكنوا بالنهـاية من تركـيبـه رغم الخـسـائر الفادحة التي تكبدوها بضباط وجنود وحـدات سـلاح الهندسـة الذين كـانوا يقـومـون بتركـيب هذا الجسر وقد كان سبب اصرار الاسرائيليين على توسـيع منطقـة المعبر وتكرار عـمليـات الهجوم على مختلف المراكز الدفاعية حولها هو أنهم يريدون الاحتفاظ بطرق كافية لتزويد قواتهم الرئيسية التي ستقوم بالهجوم إلى غـرب القناة والتي قـدرت بفـرقـتين مـدرعتين وفرقة مشاة آلية. وعلى الرغم من أن هذه الاحـتمالات كـانت واضـحة وأن الجواب الصـحيح عليها كان يكمن في وجود احتياطي رئيسي

غـرب القناة يستطيع مواجهة الهجوم المعادي المحتمل بهذا الحجم. فإن القيادة المصرية كانت قـد اسـتخدمت قواتها الاحتياطية بكاملها في عمليات الهجوم شرق القناة ووجدت نفسها الآن بهذه الفترة الحـرجـة تقف في مـواجـهـة العـدو غرب القناة بدون قوات احتياطية تتمكن من التـصـدي لقـواته وردها على أعـقـابها. وبهذه الاثناء وبعـد فشل هجوم القوات المصرية على ممرات (مـتـلا) واضطرارها للانسـحـاب أخطأت القـيـاة المصرية مرة ثانية بأنها أمرت هذه القـوات المنسـحـبة أن تتمركز في رأس الجسر شرق القناة حيث أصبح دورها ثانوياً لا يعدو كـونه إضـافـة للدفـاع عن رأس الجسر مع القوات الأصلية المدافعة عنه. بينما كانت المعركة الخطرة تدور الآن غـرب القناة. وقـد كان من الأفضل والأصح لو أن هذه القوات (ولا سيما الفـرقـتين المدرعـتين الرابعـة والواحـدة والعشرين) انسحبت إلى مواقعها السابقة غرب القناة لكي تعـيـد تنظيـمـهـا وتصبح جاهزة كاحتياطي رئيسي للتصدي لهجوم العدو الذي أصبح وشـيكاً. وبهذه الحـالة كان من الممكن أن تحول دون تثبت قوات العدو في رأس جسر غربي الـقـنـاة منذ البـداية. ولأمكن تغـيير مجرى الأحـداث بعـد ذلك لصـالح مصر لا سـيما وأن الاسرائيليين بهذه الحـالة سـوف لن يتـمكنوا من تدمير قـواعـد الصواريخ وبالتالي لن يكون بمـقـدورهم اسـتـعـادة السـيطرة الجـوية على الجبهة بهذه السهولة لا سيما وأن انسحاب الفـرقـتين المدرعـتين (بعـد فـشل الهجـوم على ممرات متلا) إلى غرب القناة من خلال رأس الجسر كان في ذلك الوقت لا يزال ممكناً لأن جميع الجسور التي نصبتها القوات المصرية على القناة في اليـوم الأول كـانت لا تزال قـائمة وجاهزة للاستعمال. ولكن السبب الذي أعطوه في ذلك الحين لعـدم الموافـقـة على إعـادة الفـرق المدرعة إلى غرب القناة هو أن الرئيس السادات رفض عـودتها خـوفـاً من تأثير ذلك على مـعنويات الجنود في الوحـدات المتـمـركزة في راس الجسر شرق القناة. وإن صـحـت هذه المعلومـة فإن هذا القـرار يعـتبر خطيئة كبرى تسـببت بالتـضـحـية باستراتيجية المعركة بكاملها من أجل فرضية احتمالية وهي الخوف من التأثير على مـعنويات الجنود شرق القناة لاسـيما وانه من السـهل أن يفهم هؤلاء الجنود أن حركة الفرق المدرعة إلى غرب القناة هي جزء من حركة تعرضية رغم أن هذه الفرق كانت منسحبة من منطقـة ممرات مـتـلا وهي الآن في طريقها إلى غرب القناة لمواجهة احتمال تقدم العدو إلى تلك المنطقة ومع اعادة التنظيم لجميع القوات استعداداً للعمليات القادمة.

وأمـا الخطأ الثـانى الذي ارتكبته القيادة المصرية فيتمثل في عدم اكتراثها بعمليات العبور الاسرائيليـة منذ بدايتـهـا والتـقليل من أهميـتها مما مكن الاسرائيليين من التغلغل بسرعة إلى المواقع التي تضـمنتها خطتهم للهجوم المعاكس ولم تتعرض قواتهم في البداية سوى إلى ردود فـعل ضـعـيـفـة. بينما كان من الواجب أن يضع المصريون ثقل قواتهم لاغلاق منطقة مرور

القوات الاسرائيلية بين الجيشين الثاني والثالث ومنعها من التثبت في أي موطىء قدم هناك ولكن الذي حصل فعلاً هو أن القيادة المصرية استهانت بالقوة الاسرائيلية التي عبرت القناة بالطليعة ووصفتها في بياناتها العسكرية التي كنا نسمعها في حينها بأن هذه العملية محدودة ولا تعدو كونها عملية دعائية قام بها الاسرائيليون لرفع معنويات جنودهم. وأن القوات المصرية تعمل على تدميرها وبقيت هذه الفكرة سائدة حتى يوم ١٧ تشرين أول عندما قررت القيادة المصرية أن تقوم بهجوم معاكس في منطقة شرق القناة ولكن هذا الاجراء جاء متأخرا لأن القوات الاسرائيلية كانت قد تعاظمت في تلك المنطقة وبدأت بتنفيذ هجوم رئيسي عبر القناة. وهنا يمكن أن يعزى موقف القيادة المصرية وتصرفها بهذا الشكل إلى النقص في تمرير المعلومات من الوحدات الأمامية وعن عجز في أجهزتها أو ضعف في التقدير من قبل القادة الصغار في الوحدات الأمامية. ولكن بالنتيجة فقد فشل الهجوم المعاكس الذي شنته القوات المصرية والذي خسرت فيه الكثير من دباباتها ، وبعد ذلك دارت عدة معارك موضعية عنيفة شرق القناة وخسر الاسرائيليون كذلك أعداداً كبيرة من دباباتهم وآلياتهم ولكن المعركة كانت قد حسمت لصالحهم قبل ٤٨ ساعة عندما نجحوا بتأسيس وتثبيت راس جسر غرب القناة ومن ثم مرروا إليه قوات مدرعة كبيرة انطلقت منه شمالاً وجنوباً مهددة بذلك مؤخرة الجيشين المصريين المتمركزين شرق القناة بشكل خطير.

وعندما لاحظت القيادة المصرية خطورة هذا الوضع قررت القيام بهجوم رئيسي من قبل الجيشين الثاني والثالث على المعبر الذي استولت عليه القوات الاسرائيلية شرق القناة (الكوريدور) لاغلاقه وعزل تلك القوات الاسرائيلية التي عبرت القناة من الخلف. وعلى هذا الأساس قامت الفرقة المدرعة (٢١) ولواء المشاة (١٦) من الجيش الثاني بالهجوم مساء يوم ١٧ تشرين أول من الشمال إلى الجنوب وبنفس الوقت قام اللواء المدرع (٢٥) من الجيش الثالث بالهجوم من الجنوب إلى الشمال للالتقاء مع قوات الجيش الثاني وإتمام العملية، ولكن على الرغم من المعارك العنيفة التي خاضتها القوات المصرية أثناء هذا الهجوم الرئيسي فإنها لم تنجح في مهمتها واضطرت للانسحاب. وقد خسرت الكثير من دباباتها ولا سيما اللواء المدرع (٢٥) الذي تم تدمير معظمه.

وبينما كانت هذه المعارك محتدمة على أشدها كان الاسرائيليون قد أكملوا بناء جسر عائم بالإضافة إلى الجسر الجاهز الذي سحبوه إلى نقطة العبور وأكملوا تثبيته مساء يوم ١٨ تشرين أول وبدأو بنقل كتائبهم المدرعة عبر هذه الجسور إلى غرب القناة. حيث تمكنوا من نقل أربعة ألوية مدرعة خلال مدة ٢٤ ساعة. وفي صباح ذلك اليوم تقدمت الفرقة المدرعة الاسرائيلية من راس الجسر غرب القناة باتجاه الجنوب واحتلت مطار فايد لكي تستخدمه

كرأس جسر جوي لتزويد قواتهم المتقدمة وانطلقت فرقة اخرى عبر خطوطها إلى الغرب للاستيلاء على طريق السويس؛ الاسماعيلية بينما أستولت الفرقة المدرعة الأولى على تلال جنيفا شمال مدينة السويس. وبتاريخ ٢٠ تشرين أول كان الموقف في غاية الخطورة ولا سيما بالنسبة إلى الجيش الثالث الذي أصبح معزولاً عن قواعد تزويده وبهذه الأثناء قام الاتحاد السوفياتي بدعوة هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي لزيارة موسكو بتاريخ ٢١ تشرين أول. وبنتيجة المباحثات تم الاتفاق على وقف اطلاق النار فوراً. ولكن كيسنجر أصر على أن يكون هذا مرتبطاً بالبدء بمباحثات السلام وبعدئذ طار من موسكو الى تل أبيب واتفق مع الاسرائيليين على وقف إطلاق النار وعلى أثر هذه الاتصالات اجتمع مجلس الأمن الدولي بناء على طلب الدولتين العظميين وأصدر قراره رقم (٣٣٨) بوقف اطلاق النار خلال مدة ١٢ ساعة. وعلى أي حال غير متأخر عن الساعة ١٨,٥٠ من مساء يوم ٢٢ تشرين أول. (انظر الملحق رقم ٦)

ولكن القوات الاسرائيلية كانت غير قانعة بما حققته من انتصارات غربي قناة السويس حيث كانت تريد الوصول إلى أهداف أخرى بداخل الأراضي المصرية لكي تستعملها كوسيلة للضغط في المفاوضات المقبلة. ولذلك فإنها لم تتقيد بموعد وقف اطلاق النار واستمرت في تنفيذ عملياتها بمختلف الجبهات مستغلة الساعات المتبقية عن موعد وقف اطلاق النار وتمكنت بالنتيجة من عزل قوات الجيش الثالث عن قواعدها نهائياً وأصبحت تطوق مدينة السويس ثم انطلقت غرباً على طريق القاهرة. كما واصلت قطعاتها تقدمها إلى الشمال الغربي فوصلت إلى الاسماعيلية ثم اتجهت نحو دمياط لكي تقطع الجيش الثانى من الخلف:

وأما على طريق السويس – القاهرة فقد وصلت إلى الكيلو (١٠١) الذي اشتهر فيما بعد بالمباحثات التي جرت عنده بين العسكريين المصريين والاسرائيليين لبحث تفاصيل فك الاشتباك والتي أدت فيما بعد إلى انسحاب القوات الاسرائيلية من غرب القناة. ولكن الاسرائيليين لم يتقيدوا بقرار وقف اطلاق النار بموعده المقرر بل استمروا بالقتال في مختلف المواقع حيث هاجموا مدينة السويس ولكن الحامية المصرية فيها صمدت ببسالة وتمكنت من صد الهجوم وأوقعت بالعدو خسائر بالغة.

وبهذه الأثناء كان سلاح الجو الاسرائيلي قد استعاد السيطرة على أجواء المعركة بسبب تدمير قواعد الصواريخ من قبل القوات البرية الاسرائيلية فركز قصفه على ما تبقى لدى الجيش الثالث من الجسور أو وسائل العبور الأخرى فدمرها تدميراً كاملاً بحيث أصبح هذا الجيش معزولاً تماماً بكامل قطعاته شرقي القناة وأخذ يستعد للوقفة الأخيرة في مواقعه

الدفاعية وقد أصبح الآن مهدداً بالتدمير لأنه لم يبق لديه أية إمكانية للانسحاب غرباً أو وسيلة لايصال الامدادات إليه من قواعده الخلفية بعد تدمير الجسور ولا سيما الذخيرة والمواد الغذائية.

وأصبحت القوات الاسرائيلية تقف على أبواب الاسماعيلية وتهدد طرق اتصالها مع القاهرة وتحتل ما مساحته ألف ميل مربع من الأراضي المصرية غربي القناة.

وفي يوم ٢٤ تشرين أول وبنتيجة الاتصالات بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة الأمريكية اتخذ مجلس الأمن الدولي قراراً جديداً بوقف اطلاق النار وأصبح نافذ المفعول هذه المرة يوم ٢٤ تشرين أول ١٩٧٣م.

ثانياً : الجبهة السورية :

١ – كانت القوات السورية عند نشوب الحرب تتكون من التشكيلات الآتية بحسب توزيعاتها على الجبهة:

أ – ثلاثة فرق مشاة يشمل ملاك كل فرقة لواء مدرع بالإضافة إلى ألوية المشاة الثلاثة المعتادة. وكانت هذه الفرق موزعة في الدفاع عن الخطوط الأمامية في هضبة الجولان كما يلي :

١ – فرقة المشاة السابعة (ملحقاً معها كتيبة مغربية).
مسؤولة عن الدفاع في القطاع الشمالي.

٢ – فرقة المشاة التاسعة:
مسؤولة عن الدفاع في القطاع الأوسط.

٣ – فرقة المشاة الخامسة:
مسؤولة عن الدفاع في القطاع الجنوبي.

ب – فرقتين مدرعتين هما قوام القوة الضاربة الرئيسية متمركزتين في المواقع الآتية
١ – الفرقة المدرعة الثالثة – في منطقة قطنة.
٢ – الفرقة المدرعة الأولى – في منطقة الكسوة.

٢ – كانت الخطة السورية تهدف إلى احتلال منطقة الجولان بكاملها بهجوم سريع على الشكل الآتى

أ – هجـوم فرعي في القطاع الشمالي تقوم به فرقة المشاة السابعة يدعمها لواء مدرع من الفرقة المدرعة الثالثة.

ب – هجـوم رئيسي في القطاع الجنوبي عند معبر (الرفيد) تنفذه قوة الاقتحام المؤلفة من فـرقـتي المشــاة التـاســعة والخامسة تدعمهما الفرقة المدرعة الأولى والفرقة المدرعة الثالثة تنقص لواء.

وفي ســاعــة الصــفــر المحددة في خطة العمليات المشتركة للحرب (عملية بدر) متزامناً مـع الهجـوم على جـبـهـة قناة السويس بتمام الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت ٦ تشرين الأول ١٩٧٣م افتتحت القوات السورية معركتها بقصف مدفعي شديد ومركز من حوالي ألف مـدفع مـيـدان غطى جميع المواقع الاسرائيليـة الأمامية واستمر لمدة خمسين دقيقة. وتحت ســتــار هذا القـصـف المركـز تقدمت الدروع السورية واقتحمت خطوط الدفاعات الأمـامية وسرعان ما تجاوزتها وتغلغلت في عمق المواقع التي تحتلها القوات الاسرائيلية.

وبنفس الليلة هبطت قـوة من المغـاوير (الكومـاندوز) محمـولة بطائرات الهيلوكـبتر على مـوقع المراقـبـة الذي بناه الاسرائيليون منذ عام ١٩٦٧م على قـمـة جبل الشيخ واحتلته بهجوم صاعق رغم مناعة تحصيناته التي بنيت بحيث تستطيع الصمود تحت أي قصف مـدفـعي أو جـوي وتثـبت في وجـه أي هـجـوم حـيث قـدروا أن قوة صغيرة من المشاة تستطيع من داخل هذه التحصينات أن تصد أي هجوم يوجه ضدها من أي حجم. ولكن مـا حـصل فعلاً أثبت خطأ هذه التقديرات حيث تمكنت قوة صغيرة من المغاوير محمولة عـلى ثـلاثـة طـائرات هـيلوكـبتر من احـتـلال هذا الموقع خـلال فترة وجـيـزة. وكـان الاسرائيليـون قـد ركـبـوا بهذا الموقع أجـهـزة رادار واتصالات وأجهزة تصنت الكترونية مـتطورة تغطي كـامل المنطقـة ويصل مداها إلى داخل الاتحاد السوفياتى كذلك. وقد تم تفكيكها ونقلها إلى دمشق فوراً عند احتلال الموقع.

٣ – وهنا لا بد من الاشـارة إلى أن جـبـهـة الجولان هذه تختلف اختلافاً جوهرياً عن جبهة قناة السويس وخصوصاً في النواحي الآتية:

أ – إن طبـيـعـة الأرض فـيـهـا جـبلية ومليئة بالمنحدرات والتلال وخصوصاً في الجزء الشمالي منهـا مما يجعل مـهمة الدفاع عنها أسهل بكثير منها في الأرض الصحراوية في سـيناء. وبنفس الوقت يجعل مـهـمة الهجوم أكثر صعوبة وأقل امكانية للمناورة وخـصوصاً بالنسبة لحركة التشكيلات المدرعة الكبيرة رغم أنها تعطي امكانية أكثر للحماية ضد الغارات الجوية إذا أحسن استخدام أساليب المناورة فيها بشكل جيد.

ب - إن عـمليـة الهجـوم على منطقة الجولان بأي حجم من القوات تصبح عملية بسيطة إذا مـا قـورنت بعـملية الهجوم على سيناء لأن القوات المهاجمة هنا لا تضطر للقيام بعملية عبور حاجز مائي كبير مثل قناة السويس ثم اقتحام خط دفاعي حصين مثل خط بارليف قـبل الالتـحـام مع القوات الرئيسية للعدو. ولهذا فإن القوات السورية التي بدأت الهجـوم في الجـولان اسـتطاعت الوصول إلى مواقع العدو الرئيسية وهي مـا زالت باوج قـوتها ولم يسـتـهلك من طاقـاتها الرئيسية شيئاً يذكر وخصوصاً بالنسبة للدبابات التي استطاعت أن تجتاح خطوط العدو الأمامية بسرعة قياسية.

جـ - لا يوجـد في جـبهة الجولان عمق استراتيجي مقارناً مع سيناء. فالمسافة بين خط البـدء ومواقع العدو الخلفية لا تكاد تتجاوز عشرين ميلاً. ولذلك فإن مجال المناورة للتـشكيـلات المدرعـة الكبيرة محدوداً وقصير المدى. الأمر الذي من شأنه أن يحقق مـيـزة جيدة للقوات المهاجمة من حيث أنها عندما تستطيع احداث خرق في الدفاعات الأمـامـيـة فإنها سـوف تصل إلى المناطق الخلفـيـة بسرعـة مناسبة رغم أن التقدم سـيكون في كـثير من المناطق الجبلية محصوراً في المعابر والطرق فقط لأن الانتشار خارجها يكون صعباً في أغلب الحالات.

٤ - وقـد بدأ هجـوم القـوات السـورية في المنطقـتين الشماليـة والجنوبيـة في آن واحد. ففي الجنوب تقـدمت الفـرقـتين الخامسة والتاسعة تسندهما الفرقة المدرعة الأولى على محور طريق (خط التـابلاين) واجـتـاحت المواقع الاسرائيليـة المتـقـدمـة بسرعة ثم التحمت مع كـتـائب اللواء الاسرائيلي المدرع الذي تصدى لها في تلك المنطقة. وقد استمرت المعارك في مختلف المواقع طيلة الليل. ومـا أن انتـصف اليـوم التالي الأحد ٧ تشرين أول حـتى كان اللواء المدرع الاسرائيلي رقم ١٨٨ قـد تم تدميره نهائياً ولم ينج أحد من ضباطه وأفراده سوى العدد القليل من الجرحى. كما دمرت كافة آلياته ودباباته تقريباً. هذا بالإضـافة إلى القـوات الأخـرى التي تم تدميرها في المواقع الدفاعية المختلفة وفي ذلك اليوم كانت القوات السـورية قـد احـتلت النصف الجنوبي من مرتفعات الجولان ووصلت إلى مشارف نهر الأردن وبحيرة طبريا من الشرق. كما دخلت مـعـسكر (كـفـرنافخ) حـيث تعسكر قيادة الفـرقـة الاسرائيليـة المسـؤولة عن تلك المنطقـة. ولكن قائد الفرقة الجنرال (وولترايتان) تمكن من الهرب بآخـر لحظة عندمـا بدأت طلائع القـوات السـورية تدخل المعسكر. هذا وإنى لا زلت أذكـر صـوت قـائد إحـدى الدبابات السـورية (وكنت أسـمـعه على جهاز التـصنت في غـرفـة عمليات المحافظة) وهو يبلغ قيادة سريته أنه دخل مستعمرة يهودية وهو يتمركز الآن في وسطها.

وأمـا في المنطقة الشمالية فقد تقدمت الفرقة السورية السابعة تسندها وحدات من الفرقة المدرعـة الثـالثة بين مسعدة والقنيطرة. واصطدمت مع لواء اسرائيلي مدرع. وقد احتدمت المعـركة في هذه المنطقة طيلة ثلاثة أيام بلياليها تمكنت القوات السورية بعدها من اختراق الخطوط الدفـاعـيـة الاسرائيلية كما تم تدمير اللواء المدرع الاسرائيلي بكامله ولم يبق من دباباته سوى عدد صغير انسحبت إلى المناطق الخلفية

وبهذه الآونة وبصفتي كنت محافظاً لمنطقة إربد فقد كان متيسراً لي أن أخرج مع ضباط وحـدات الجـيش الأردني المتواجدة مقابل الجولان إلى نقطة المراقبة التي تقع شمال قرية عـقـربة ومنهـا كنا نراقب تقـدم القوات السورية في القطاع الجنوبي من هضبة الجولان وكلنا اعـتـزاز وأمل. ومن مـوقع المراقـبـة هذا كنا نرى الجنود الاسرائيليين وهـم يخلون خنادقـهم ومراكز مراقباتهم الأمامية في التلال المشرفة على منطقة (الحمة) على عجل قبل أن تصلهم الطلائع السـورية. وكم كـانت تلك لحظات عـز وآمـال كـبيرة طالما انتظرناها طويلاً وها نحن نراها الآن تتـحـقق على أرض المعـركـة. ولقد كانت كل الشواهد في ذلك الوقت تقنعنا أن تلك كـانت سـاعـة النصر. فها هي القوات السورية المدرعة قد اجتاحت الجـولان ووصلت إلى حـافـة بحيرة طبريا وهي الآن سـوف تبـقى فـيها إلى الأبد. ولن يسـتطيع الاسرائيليـون إخـراجـها منها أبداً لأن السوريين يجب أن يكونوا قد استوعبوا دروس حرب عام ١٩٦٧م. وهم لذلك لن ينسحبوا من هذه المنطقة تحت أي ظرف. ومما كـان يؤكـد اعـتـقـادنا هذا منظر الطائرات الاسرائيلية وهي تمر من فوقنا مغيرة باتجاه دمشق وبعد لحظات كنا نرى الصواريخ السورية من نوع (سام) تلاحقها وهي تحاول الهرب عـائدة إلى الغـرب. ولكن الكثير منهـا كـانت تسقط أثناء ذلك. وكان منظراً رهيباً عندمـا كنا نرقب الصـاروخ وهو يلحق بتلك الطائرة الهاربة ويصطدم بها وخلال لحظة نراها تتـفجر وتهوي مشتعلة إلى الأرض. وما زلت أذكر منظر إحدى هذه الطائرات وهـي تحـاول الهرب من الصـاروخ وقد غيرت خط سيرها من الغرب إلى الشرق واتجهت نحو مدينة المفرق قادمة من الحدود السورية وكان الصاروخ يلاحقها بسرعة هائلة واصطدم بمـؤخـرتها وسـقطت مشتعلة. هكذا كان شعورنا خلال الأيام الأربعة الأولى من المعركة حـيث كنت أخـرج كل يوم لاقضي بعض الوقت في نقطة المراقبة قرب نهر اليرموك نراقب منها تحركات القوات السورية في المنطقة الجنوبية من الجولان ثم أعود إلى غرفة عمليات المحـافظة في مدينة إربد حيث نقضي طيلة الليل بمتابعة أخبار المعارك التي كانت تدور في جـبهتي سيناء والجولان بواسطة أجهزة اللاسلكي وما كان يردنا من برقيات عن طريق الجـيش ووزارة الداخلية والدوائر الأخرى المختصة بالإضافة إلى البيانات العسكرية التي كانت تصدر عن القيادة المصرية والسورية عن أخبار تطور المعارك في هاتين الجبهتين.

كما كنت أقضي بعض الوقت في متـابعة اجراءات الدفاع المدنى والاسعاف والتفتيش على فـرق المتطوعين من الأهالي التي عملت على تنظيمها في المحافظة للقيام بهذه الأعمال فيما لو تعـرضنا للغارات الجوية أو إذا اشترك الأردن في الحرب كما كنا نتوقع في مرحلة من المراحل.

ولكن بهجـتنا لسوء الحظ لم تدم طويلاً حيث أخذت آمالنا تتلاشى بعد فترة وجيزة من تحـقـيق تلك الانتصارات الأولية التي حققتها القوات المصرية في سيناء والقوات السورية في الجـولان بعـد أن أكـمل الاسرائيليـون التـعـبئة العـامة وبدأوا بتنفيذ عمليات الهجوم المعاكس على الجبهتين.

٥ – الهجوم المعاكس الاسرائيلي في الجولان

بدأ الهجـوم الاسرائيلي في القـسم الجنوبي من الجولان ليلة الأحد ٧ تشرين أول. أي بعد مرور ٣٦ سـاعـة فـقط على بدء الهجـوم السـوري حيث تقدمت فرقة مدرعة اسرائيلية كانت في الاحـتـياط العام لتهاجم فرقة المشاة التاسعة السورية عن طريق قرية (علعال) المؤدي إلى قـرية الرفـيـد. كما تقـدمت فـرقـة أخـرى على يسارها عن طريق مستعمرة (اليـهودية) حيث استردت معسكر (كفرنافخ) وتقدمت نحو معسكرات (الخشنية) وبعد ظهر يوم الاثنين كان أحد ألوية الفرقة المدرعة على الجناح الأيمن قد وصل إلى تل فارس غربي قرية الرفيد. ولكن القوات السورية في هذا القاطع أبدت مقاومة عنيفة وتمكنت من ايقـاف هذا الهجوم. وقد استمر القتال حتى يوم الثلاثاء ٩ تشرين أول حيث تكبد اللواء المدرع الاسرائيلي خسائر فادحة وأصبح موقفه مهدداً بالخطر.

أمـا في الشمال فـقد كانت الفرقة المدرعة الأولى السورية تواجه موقفاً صعباً حيث كانت تتـعـرض لهجمات مـتكررة من قـبل فـرقـة مـدرعة اسرائيلية والتي كبدت أحد ألويتها خـسائر كبيرة. وبالنتيجة أصبحت هذه الفرقة السورية مهددة بالتطويق من قبل القوات الاسرائيليـة المدرعة المتقدمة والتي بدأت تشكل فكي كماشة حولها من الشمال والجنوب وبهذه المرحلة من المعـركـة بدأت الطائرات الاسرائيليـة تظهـر من جديد بفعالية في سماء الجـبـهـة بعد أن استطاعت التغلب على قسم كبير من جدار الصواريخ السورية وأخذت تقصف الوحدات المتواجدة في معسكرات الخشنية بفعالية كبيرة.

وبمحاولة لكسر حدة الهجوم الاسرائيلي حول جناحي الفرقة المدرعة السورية قام قائدها بدفع قـواته المتـمـركـزة في جـيب الخـشنيـة باتجـاه الشرق للضـغط على جناح القوات الاسرائيليـة الأيمن لكسر محاولة التطويق من تلك الجـهـة وبهذه الحركة أصبحت بعض

قطعات الفرقة الاسرائيلية تتعرض للضغط عليها من جهتين من قبل الوحدات السورية المتقدمة. وعندئذ قام لواء مدرع اسرائيلي من وسط الجبهة بالهجوم شرقاً وتمكن من احتلال موقع (تل فارس) وهو عبارة عن نقطة مراقبة مدفعية في غاية الأهمية تسيطر على جميع أنحاء المنطقة المحيطة. وبنفس الوقت تقدم لواء مدرع من الفرقة السورية الثالثة من الشمال لفك الحصار عن قوات جيب الخشنية التي تمكنت بالنتيجة من الخروج من الجيب والانسحاب شرقاً. وفي صباح يوم الأربعاء ١٠ تشرين أول بدأت الألوية المدرعة الاسرائيلية في تلك المنطقة هجومها باتجاه الشرق وانسحبت باقي القطعات السورية إلى شرق خط الهدنة الذي بدأت هجومها منه عند بدء القتال قبل أربعة أيام.

وقد ذهلنا عندما بدأنا نشاهد من نقطة المراقبة الدبابات السورية أو ما تبقى منها وهي تنسحب شرقاً ولا نكاد نصدق ما تراه أعيننا حيث لم نكن نعرف في تلك الساعات الحرجة مدى الدمار الذي حل بالدبابات السورية أثناء المعارك التي دارت خلال تلك الأيام الأربعة الأولى من القتال. وكما اتضح فيما بعد فإن المعارك التي دارت في جيب الخشنية وحده أسفرت عن تدمير معظم دبابات لوائين سوريين كانا يقاتلان هناك وكانت هذه المعركة بمثابة نقطة تحول خطيرة في تلك الجبهة حيث تحولت القوات السورية بعدها إلى تنفيذ معارك إعاقة وانسحابات مستمرة إلى الشرق.

وفي صباح يوم ١١ تشرين أول بدأت القوات الاسرائيلية بتنفيذ هجوم رئيسي بداخل الأراضي السورية من أقصى القطاع الشمالي باتجاه دمشق التي كانت تبعد عن نقطة الهجوم مسافة لا تزيد عن ٣٠ ميل. وبنفس الوقت رافق هذا الهجوم هجومين آخرين من المنطقة الوسطى والجنوبية وقد كانت القوات الاسرائيلية التي تنفذ هذه العمليات تتألف من ثلاثة فرق مدرعة مع عدد من ألوية المشاة المحمولة وتسندها طائرات سلاح الجو الاسرائيلي الذي تمكن بهذه المرحلة من استعادة السيطرة الجوية بعد أن نجح في تحييد فعالية قواعد الصواريخ (سام) السورية أو تدميرها. وأخذت طائراته تغير باستمرار على جميع القواعد الجوية السورية وتعطل مطاراتها. كما بدأت تقصف مدينة دمشق نفسها حتى أنها تمكنت في إحدى الغارات من إصابة مبنى رئاسة أركان الجيش السوري إصابة مباشرة وأحدثت به أضراراً بالغة. وهكذا فقد أصبح الموقف على الجبهة السورية في غاية الخطورة.

بدأ الهجوم الاسرائيلي في القطاع الشمالي صباح يوم ١١ تشرين أول عندما تقدمت قوة

مـؤلفـة من لواء مـشـاة ولواء مـدرع واصطدمت مع الكتيبة المغربية التي كانت تدعمها كتيبة دبابات سورية بمنطقة مزرعة (بيت جن) ولواء مشاة سوري متمركز إلى الجنوب منهـا. وبعـد مـعارك عنيفة تمكن العدو من احتلال مزرعة (بيت جن) مساء اليوم التالي رغم قـيـام القـوات السـورية بشن هـجـوم مـعـاكس بقـوة مـدرعة يدعمها سلاح الجو السـوري وقـد خسرت قـوات العـدو الكثير من دباباتها في المراحل الأولى للهـجوم ولكن القـوة السورية اضطرت للانسحاب بالنتيجة. وفي اليوم التالي هاجمت القوات الاسرائيلية مـوقـع (تل شـمـس) وهو مـوقـع مـهـم ومسيطر على المنطقة المحيطة به. وعلى الرغم من وعـورة الارض فـقد تمكنت الدبابات الاسرائيلية من الوصول إلى سفح التل العلوي حيث كـانت المواقع السـورية مـزودة بعـدد من المدافع المضـادة للدروع فـتمكنت من مفاجأة دبابات العـدو وقتل معظم أفراد القوة المهاجمة وتدمير عدد كبير من الدبابات وصد ذلك الهجوم نهائياً.

وبعـد ذلك عـاود العـدو تكرار الهجوم لاحتلال هذا الموقع ولكنه لم يفلح. وقد استمرت الاشـتباكات في اليوم التالي وتكبد العدو الكثير من الخسائر وتمكنت القوات السورية من الصمود بهذا الموقع الحصين حالياً.

وفي مـسـاء يوم ١٣ تـشرين أول تقـدمت قـوات من المظليين بهجـوم ليلي على هذا الموقع وبعـد مـعـركـة دامـية تمكنت من احتلاله. وانسحبت القوة السورية منه إلى الشرق وفي المنطقـة الوسطى احـتلت القـوات الاسرائيليـة منطقـة خـان أرنبـة وتل الشعار وهو تل مـسـيطر على السهول البركانية المحيطة بالطرق المؤديه الى دمشق ثم تقدمت نحو موقع (كناكـر) لكي تعـزل القـوات السـورية الموجـودة في سـعـسع وتتـصل بطريق دمشق الرئيـسـية. وقد شنت القوات السورية هجوماً معاكساً بهذه المنطقة واوقفت تقدم العدو بهذا القـاطع. واسـتمرت المعارك طيلة يومين بلياليهما وتكبد العدو خلالها خسائر كبيرة ولكن قطعاته الأمامية أصبحت على مقربة من موقع (كناكر) جنوب شرقي سعسع. وأما في القطاع الجنوبي فـقـد تمكنت القـوات الاسرائيلية من احتلال (تل عنتر) ومنه أصبحت تهدد طريق دمشق – درعـا بين الكسـوة والصنمين. كما تقدمت شمالاً إلى بلدة (ناسج) حيث أصبح بامكانها أن تقصف مدينة دمشق بمدفعية الميدان.

– اشتراك الجيوش العربية في القتال :

بهذه المرحلة النهـائيـة من القتال أصبح موقف القوات السورية في منتهى الخطورة حيث فـقـدت معظم دباباتها. بينما أصبح الطيران الاسرائيلي يسيطر على كافة الأجواء السورية

بعد تدمير قواعد الصواريخ أو تحييدها بأساليب تكنولوجية جديدة زودتها أمريكا لاسرائيل حديثاً مع شحنات الأسلحة الضخمة التي نقلتها بالجسر الجوي الذي أقامته لهذه الغاية. وبدأت الطائرات الاسرائيلية تستخدمها لتضليل الصواريخ ونجحت بهذا نجاحاً جيداً. وأخذت تقصف الأهداف الاستراتيجية الهامة في جميع أنحاء سوريا. وعندئذ بدأت الحكومة السورية تطلب المساعدة العاجلة من أشقائها العرب. كما طلبت من مصر أن تقوم بعمليات كبرى في جبهة سيناء لكي تجتذب جزءاً من القوات الاسرائيلية العاملة في جبهة الجولان لتخفيف الضغط عن القوات السورية التي أصبحت تنزف في مختلف مواقع القتال. وهذا كما قيل كان سبب قيام الرئيس أنور السادات بدفع جميع قواته المدرعة الاحتياطية إلى شرق القناة للهجوم على ممرات متلا والجدي في عمق سيناء يوم ١٤ تشرين أول لتخفيف الضغط على جبهة الجولان. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذه الجبهة ومنطقة قناة السويس هما في الواقع مسرح عمليات واحد فإن هذا القرار يصبح معقولاً من حيث أنه يجب توحيد العمليات الحربية بحيث تساند كل جبهة منهما الجبهة الأخرى ضد العدو.

على الرغم مما كان يشكله هذا القرار من خطورة على الجبهة المصرية مما أدى إلى تسهيل مهمة العدو في شن هجومه المعاكس الكبير والعبور إلى غرب القناة. وبصرف النظر عن كل الاحتمالات التي أتاحها ذلك القرار للعدو والانتقادات التي وجهت للقيادة المصرية بسبب اتخاذه فإن الخطأ لم يكن في اتخاذ القرار فقط والذي ربما لأنه جاء كضرورة ملحة أملتها أوضاع الجبهة السورية. ولكن الأمر الذي ضاعف خطورته هو كيفية التطبيق ولا سيما طريقة استخدام القوات المدرعة بارتال متباعدة على مسافات شاسعة كما شرحت سابقاً.

وبنفس الوقت فإنه كما يظهر كان هنالك قدراً من ضعف التنسيق في إدارة العمليات والتوجيه بين القيادتين في الميدان وعدم اتخاذ الاحتياطات الكافية لجميع الاحتمالات المستقبلية حسب تطور المعركة. وأوضح مثال لتأكيد هذه النظرية هو عدم التنبوء مسبقاً عن احتمال محاولة العدو للعبور إلى غرب القناة والتسرع في زج القوات الاحتياطية إلى شرق القناة قبل التحضير الصحيح لمثل هذا الهجوم بنقل جدار الصواريخ أو جزءاً منه شرقاً لحماية الفرق المدرعة عند تقدمها باتجاه ممرات (متلا). وكذلك حجز هذه الفرق ضمن رأس الجسر بعد فشل هجومها بدل اعادة ما تبقى منها إلى غرب القناة فوراً لحماية القواعد الخلفية بما فيها الصواريخ لتأمين مؤخرة الجيشين المقاتلين في رأس الجسر وعلى ضوء تردي الأحوال في الجبهة السورية ووصول قواتها إلى موقف في

غاية الخطورة سارعت الأردن والعراق إلى ارسال بعض التشكيلات المدرعة لمساعدة القوات السورية في القتال ووقف الزحف الاسرائيلي بداخل سوريا باتجاه دمشق. وهنا لا بد أن نتصور لو أن الأردن والعراق كانا مشتركين بهذه الحرب منذ البداية ولو وضعت كافة قواتهما المسلحة بالخطة الأساسية لكان بالإمكان وضع ثقلهما كاملاً في الجبهة الأردنية السورية ولما تمكن العدو من احتلال الجولان بسهولة. على الأقل لأنه سوف لن يستطيع تخصيص القوات الكافية لها ما دام أنه سيقاتل في الجبهة الأردنية كذلك. هذا إذا لم نكن نهدف إلى تحرير الضفة الغربية. رغم أني أعتقد أنه لو وحد العرب جهودهم بهذه الحرب لكان هدف التحرير ممكناً أو على الأقل لكانت النتائج أفضل بكثير. ولكن على أي حال فقد أرسل الأردن اللواء المدرع الأربعين بسرعة فائقة واشترك فور وصوله في المعركة. وأما العراق فقد حرك الفرقة المدرعة الثالثة إلى سوريا وقد وصل أول لوائين منها يوم الخميس ١١ تشرين أول إلى سهل اللجاه جنوب شرقي دمشق. وفي فجر يوم الجمعة ١٢ تشرين أول تقدمت تلك القوة مباشرة للاشتراك بالمعركة باتجاه الجناح الجنوبي للقوات الاسرائيلية المدرعة التي كانت تتحرك باتجاه (كناكر) مهددة المعسكرات السورية في (الكسوة) غربي دمشق.

وأما اللواء المدرع الأردني فقد عبر الحدود السورية عن طريق درعا بتاريخ ١٣ تشرين أول (١) وتوجه رأساً إلى ميدان المعركة بين مواقع الجيش السوري والقوة العراقية مقابل الجناح الجنوبي للقوات الاسرائيلية بمنطقة تقع بين (تل المشحرة) و(تل المال) حيث باشر بالهجوم على مواقع اللواء المدرع الاسرائيلي الذي كان متمركزاً على منحدرات تل المال. ولكن هذا الهجوم كان كما يبدو قد تم تنظيمه على عجل ولم تتخذ له الترتيبات اللازمة والاستعدادات الكافية والكشف الدقيق على مواقع العدو وتنظيم مراحل الهجوم وتأمين نيران الاسناد اللازمة من المدفعية والطيران بدرجة كافية وغير ذلك من الاستعدادات الأولية الضرورية. وهذا بالإضافة إلى أن التنسيق مع القوات العراقية والسورية المجاورة كان ضعيفاً. وعندما تقدمت وحدات هذا اللواء وبدأت تصعد سفوح (تل المال) واجهتها القوات الاسرائيلية المتمركزة هناك بنيران كثيفة من الدبابات والمدافع المضادة للدروع من نوع ثو (THOW) من مسافات قريبة فدمرت عدداً من الدبابات الأردنية بهذه المصادمة الأولى ولم تستطع القوة الأردنية المهاجمة التغلب على مواقع العدو الحصينة على هذا التل فاضطرت للانسحاب إلى مواقع خلفية لاعادة التنظيم

(١) مقابلة مع اللواء الركن المتقاعد خالد هجهوج المجالي الذي كان يقود هذا اللواء ..

وبهذه الاثناء تقدمت قوات الفرقة المدرعة الثالثة العراقية للهجوم من خلال الفجوة بين ناسج والمشحرة. وكانت الألوية الاسرائيلية المدرعة قد توزعت بمواقع على شكل صندوق حيث تمركز لواء منها على طول الطريق عند طرف تل الشعار وتمركز لواء آخر على طول خط يبدأ من طرف مواقع اللواء السابق في الشمال ثم يمتد جنوباً حتى موقع ناسج. وانتشر لواء ثالث من تلك النقطة حتى الطريق المؤدي إلى ناسج. وتمركز اللواء الرابع من المشحرة إلى ناسج.

وكما يظهر فإن القوات العراقية لم تكن تعرف تفصيلات مواقع العدو هذه بدقة كافية أو حجم القوات المتمركزة فيها. لأنها عندما تقدمت للهجوم دخلت رأساً إلى منتصف هذا الصندوق الذي كونته القوات الاسرائيلية بنتيجة تمركزها في دفاعاتها المشار إليها وأصبحت بمثابة مصيدة لكي توقع فيها الارتال العراقية المتقدمة.

وبتمام الساعة الثالثة من صباح يوم ١٣ تشرين أول بدأت الفرقة المدرعة العراقية هجومها الرئيسي ولكنها فوجئت بنيران دبابات العدو تطلق عليها من كل جانب من مسافات قريبة وقد خسرت القوة العراقية أعداداً لا يستهان بها من دباباتها بهذه المصادمة الأولى وعلى أثر ذلك بادرت بالانسحاب بسرعة إلى الخلف لاعادة التنظيم ثم اعادة الكرة بهجوم جديد. وبهذه الاثناء تقدم لواء اسرائيلي واحتل موقعي (تل عنتر) و(تل العلاكية) وهما مرتفعين مسيطرين على المنطقة ويقعان إلى الشمال من المواقع التي تجمعت فيها الفرقة العراقية.

وبتاريخ ١٦ تشرين أول كرر اللواء المدرع الأربعين الأردنى هجومه على مواقع العدو في منطقة تل المشحرة ورغم أنه تمكن من ايقاع خسائر بالدبابات الاسرائيلية لكنه لم يتمكن من احتلال مواقعها لأنه كان في واقع الأمر يهاجم مواقع فرقة مدرعة اسرائيلية كاملة كانت متمركزة في تلك المنطقة. وليس من المعقول أن يتمكن هذا اللواء من التغلب على تلك الفرقة المدرعة التي تتفوق عليه بثلاثة أمثال حجمه.

وبعد احتلال العدو لمنطقة (تل عنتر) و(تل العلاكية) تقدمت الفرقة المدرعة العراقية من منطقة تجمعها في (تل شمس) للهجوم على قوات العدو واخراجها من هذين الموقعين المهمين. وقد استمرت هذه المعركة عدة ساعات ولكن الألوية الاسرائيلية ثبتت في مواقعها رغم الخسائر الكبيرة التي تكبدتها. وبعد ذلك استمرت القوات الأردنية والعراقية بشن عمليات هجوم مشتركة على مواقع العدو بمساندة الطائرات العراقية والسورية طيلة الأيام التالية إلا أن التنسيق بيْن هذه القوات لم يكن دقيقاً ولكن على الرغم من ذلك فقد

استـمـرت عـملياتهم المشتركة بقدر الإمكان. وفي أثناء الهجوم العراقي السابق استمرت المعـركـة عدة ساعات وتمكنت القوات العراقية من تثبيت لوائين للعدو في مواقعهما ولكن أحـد هذين اللوائين اسـتطاع تحت زخم النيران أن ينسـحب من المعركة ويتحرك بسرعة إلى الجنوب بحـركة التفاف واسعة لكي يهدد الجناح الجنوبي للقوة العراقية وقد تسببت هذه الحـركـة في الواقع بتـوقف الهجـوم العـراقي الأول في الصـبـاح الباكر وفي الساعة العـاشرة صـبـاحـاً بدأت القـوات العراقية هجومها الثانى على المواقع الاسرائيلية واشترك معها اللواء المدرع (٤٠) الأردنى كـجـزء من هذا الهجـوم فتحرك إلى منطقة (تل الحرة) لكي يهدد الجناح الغـربي للفـرقـة الاسرائيليـة المتـمركزة بمنطقة تل المال وتل المشحرة. ولكن التنسـيق بين هذين الهجـومين كما يظهر لم يكن دقيقاً وقد وصلت القوة الأردنية المتـقـدمـة إلى تل المشـحرة عند الظهيرة وحالما بدأت تصعد سفوح تل المشحرة واجهتها نيران كـثيفة من دبابات العدو ومدافعه المضادة وقد دامت المعركة عدة ساعات اضطرت قـوة الهجوم الأردنية أن تنسحب تحت ضغط المقاومة الدفاعية حوالي الساعة الثالثة بعد الظهـر وقـد خسرت عـدداً من دباباتها بهذا الهجـوم. ولكنهـا بنفس الوقت كبدت العدو كذلك خسائر لا يستهان بها.

وبهذه الأثناء بدأ الهجـوم العـراقي الثـالث والأخير على المواقع الاسرائيليـة وقـد كان هذا الهجـوم مـركـزاً بشكل دقـيق حـيث كـانت مـوجات الدبابات تتلاحق على مواقع العدو بتـصـمـيم عنيف وتم بنتـيـجته تدمير الغالبية العظمى من دبابات اللواء الاسرائيلي وقد اخـتلطت الدبابات العـراقـيـة المهاجمة بالدبابات الاسرائيلية. وفي كثير من الحالات كانت تطلق النار من مـسـافـة قـريبـة جـداً. ولكن العدو كما يبدو تمكن من احضار وحدات مـدرعـة جـديدة قـامت بالالتـفـاف من خلف القطعـات العـراقـيـة المهاجمة واضطرتها للانسـحـاب من تل عنتر وتل العليـقة. وعلى الرغم من أن عمليات الهجوم المختلفة التي شنتـهـا القـوات العـربيـة الأردنيـة والعـراقية لم تنجح في اخراج القوات الاسرائيلية من المواقع المتـقـدمـة التي احـتلتـهـا إلا أنها على أي حال نجحت في ايقاف تقدمها في العمق السـوري وتمكنت بذلك من تثـبـيت الجـبـهـة عند هذا الحد في وقت كان موقف القوات السورية قد وصل إلى مرحلة في غاية الخطورة.

وبينما كـانت المعـارك على أشدها في هذا القطاع قام العدو بالساعة الثانية بعد ظهر يوم ٢١ تشرين أول بانزال قوة من المظليين محمولة على طائرات الهيلوكبتر تسندها الطائرات المقـاتلة بالقـرب من المواقع السـورية على قمة جبل الشيخ. كما أرسلت كتيبة من المشاة بوقت سـابق لتـدعـمـهم في عملية الهجوم على تلك المواقع. وبعد معركة دامت طيلة الليل

وباسناد مكثف من المدفعية والطائرات تمكنت القوة الاسرائيلية المهاجمة بالساعة الثانية والنصف من صباح يوم ٢٢ تشرين أول من احتلال مواقع المراقبة تلك التي سبق أن احتلها السوريون قبل اسبوعين بتاريخ ٧ تشرين أول عندما بدأت الحرب. وقد نجح العدو بهذا الهجوم بعد أن أصيب مركز القيادة السورية لهذا الموقع بقذيفة مدفعية إصابة مباشرة قتلت جميع الضباط والمسؤولين فيه وقطعت جميع الاتصالات ولم يبق بعد ذلك من يدير المعركة بشكل سليم. وباحتلال هذه المراكز استعاد العدو سيطرته على قمة جبل الشيخ بكاملها من جديد.

وفي مساء ذلك اليوم ٢٢ تشرين أول وافقت سوريا على قرار وقف اطلاق النار الذي اتخذه مجلس الأمن الدولي.

هذا وأني لن أنسى تلك اللحظات الحزينة التي قضيناها بصمت أليم في غرفة العمليات حيث كنا من خلال شاشة جهاز التلفاز نشاهد الرئيس حافظ الأسد وهو يرتدي البزة العسكرية وقد هزه الاسى والألم وأرهقه عظم المسؤولية وهو يلقيّ خطابه الذي أعلن فيه على الشعب السوري والأمة العربية نبأ قبوله بقرار مجلس الأمن الدولي بوقف اطلاق النار. وقد كنا نستمع إلى هذا الخطاب والألم يعتصر قلوبنا والحنق يعصف بكياننا على ما آلت إليه هذه الحرب التي كدنا نطير فرحاً عندما سمعنا نبأ نشوبها قبل اسبوعين فقط وقد ظننا وقتئذ أن ساعة النصر قد دقت وأن الأمة العربية سوف تسترد كرامتها في ميادين القتال وتستعيد أراضيها السليبة وفي مقدمتها القدس الشريف. ولكن الآن وقد انتهت هذه الحرب على عكس ما كنا نأمل ونتوقع وأصبح الموقف العربي أسوأ بكثير مما كان عليه قبل نشوبها رغم الانتصارات المذهلة التي حققتها الجيوش العربية خلال الأيام الأولى من القتال. تلك الانتصارات التي فاجأت اسرائيل وافقدتها توازنها كما فاجأت العالم الخارجي الذي كان بعد حرب عام ١٩٦٧م يسوده الاعتقاد بأن العرب غير مؤهلين لخوض أي حرب مع اسرائيل. وها قد أثبت العرب خلال الايام الأولى من هذه الحرب أنهم ليسو فقط قادرين على خوض الحرب ضد اسرائيل. بل أنهم قادرون على مفاجأتها والتغلب عليها وتحطيم الكثير من تشكيلاتها المدرعة واسقاط معظم طائراتها الحديثة التي كانت تعتبرها أمنع من أن تصاب. ولكن ها نحن الآن نرى أن جيوشنا التي انتصرت في بداية المعركة أيما انتصار وقد خسرت كل تلك الانتصارات وخسرت معها معظم دباباتها وصواريخها وأسلحتها الأخرى وستحتاج إلى سنوات عديدة لتعويضها. وليس هذا فقط بل أنها تراجعت إلى خلف الخطوط التي بدأت منها هجومها الأول. ففي الجبهة السورية استرد اليهود جميع أراضي الجولان التي كانوا قد

احتلوها عام ١٩٦٧م وزادوا عليها بأن تقدمت قواتهم بداخل الأراضي السورية إلى عمق خمسة عشر ميلاً تقريباً على طول الجبهة وأصبحوا على مشارف دمشق بحيث أصبح بامكانهم قصفها بمدافع الميدان. كما استرد الاسرائيليون جميع مواقع المراقبة على قمة جبل الشيخ بما فيها المواقع التي كانت لدى القوات السورية قبل الحرب. أما في الجبهة المصرية فعلى الرغم من أن القوات المصرية احتفظت برأس جسر شرقي قناة السويس فإن قواتها المتواجدة فيه أصبحت في موقف حرج عند وقف اطلاق النار وخصوصا بالنسبة للجيش الثالث الذي أصبح محاصراً تماماً من قبل القوات الاسرائيلية ولا يمكن ايصال أي نوع من التزويد إليه ولا حتى عن طريق الجو لا سيما وأن سلاح الجو الاسرائيلي قد استرد السيطرة الجوية في جميع مناطق الجبهة بعد أن تمكنت قواتهم المدرعة من تدمير معظم قواعد الصواريخ (أرض ـ جو) غربي القناة وبالمقابل فقد تمكن الاسرائيليون من ادخال ثلاثة فرق مدرعة إلى غرب القناة وأصبحت طلائعها تطل على الاسماعيلية وتطوق مدينة السويس وتسيطر على طريق القاهرة. وكان مجموع المساحة التي تحتلها القوات الاسرائيلية غربي القناة عند وقف اطلاق النار حوالي ألف ميل مربع. والأخطر من هذا كله أن قناة السويس لم تعد تحت السيطرة الكاملة للقوات المصرية بل أصبحت القوات الاسرائيلية تسيطر على جزء كبير منها كما أنها تمكنت من السيطرة على ميناء السويس في الجنوب بالاضافة إلى أنها كانت أصلاً تهدد ميناء بورسعيد في الشمال من جهة سيناء. وقد ألغى هذ الموقف القيمة الاستراتيجية لعملية عبور القوات المصرية إلى شرق القناة. ولم يعد لها أي تأثير على الموقف في سيناء كأحد أهداف هذه الحرب ولقد أصبح الموقف المصري بنتيجة هذه الحرب أكثر خطورة منه قبلها لأن القوات الاسرائيلية لم تكن قد عبرت إلى غرب القناة رغم أنها كانت تحتل طرفها الشرقي.

ولكن لماذا خسرت الجيوش العربية هذه الحرب التي بدأتها بتحقيق انتصارات ممتازة. هذا ما سوف أحاول الاجابة عليه بالملاحظات التالية:

٧ ـ ملاحظات وآراء عن هذه الحرب :

من استعراض كيفية ادارة هذه الحرب وتطور معاركها التي دارت في مختلف المراحل يمكنني أن استخلص الآراء والدروس الآتية:

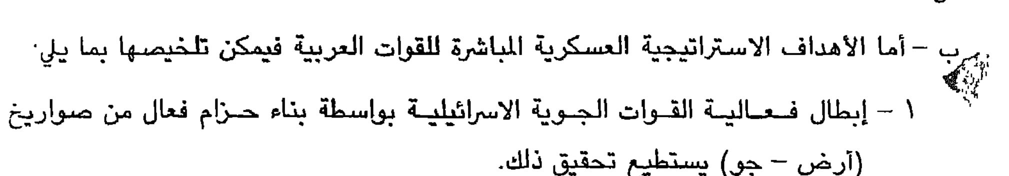
أ – الأهداف الاستراتيجية العامة :

من الواضح أن أهداف هذه الحرب كانت محدودة قصد منها تحقيق أهداف سياسية معينة وهذا ما أكده الرئيس السادات في تصريحاته المتكررة من أنه كان ينوي تحريك قضية

الشرق الأوسط التي أصابها الجمود ولم تعد تحتل مركزاً متقدماً في أولويات الدول العظمى ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية. ومن هذا المنطلق كان الهدف الاستراتيجي الذي حدده لهذه الحرب هو زعزعة أمن اسرائيل بتنفيذ عملية عسكرية كبرى يمكنها تكبيد القوات الاسرائيلية خسائر ضخمة في الأرواح والمعدات الأمر الذي سوف يؤثر تأثيراً مباشراً على معنويات الشعب الإسرائيلي وأما الهدف السياسي بالنسبة لسوريا ومصر فهو توجيه ضربتين كبيرتين ضد اسرائيل بقصد اقناع الدولتين العظميين بضرورة ممارسة الضغط على اسرائيل لكي تنسحب من الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧م وإزالة الجمود عن قضية الشرق الأوسط لاستئناف المساعي السلمية. وهذا هو الهدف الذي تابعه الرئيس السادات والذي أوصله فيما بعد إلى الاتفاقية المرحلية في سيناء التي عقدت بعد اتفاقية فك الاشتباك وأدى به إلى زيارة القدس وعقد اتفاقيات (كامب ديفيد) بوقت لاحق. وتحت مظلة هذا الهدف السياسي فإن الولايات المتحدة الأمريكية كانت المستفيد الأكبر من هذه الحرب حيث أصبح بيدها وحدها مفتاح وقف اطلاق النار كما أنها كانت توجه جميع اجراءات مجلس الأمن بهذا الخصوص. وهذا ما حمل الاتحاد السوفياتي عندما تأزم الموقف العربي في القتال على توجيه الدعوة إلى وزير خارجية أمريكا هنري كيسنجر لزيارة موسكو بتاريخ ٢١ تشرين أول للاتفاق معه على شروط وقف اطلاق النار. وبعد اتفاقه مع السوفيات على هذه الشروط قام مجلس الأمن الدولي باصدار قراره الرسمي بوقف اطلاق النار على جميع الجبهات والذي كان سيصبح نافذ المفعول اعتباراً من الساعة ١٨٠٠ مساء يوم ٢٢ تشرين أول. ولكن الاسرائيليين لم يتقيدوا بهذا الموعد الذي اتفق كيسنجر معهم عليه قبل صدوره من مجلس الأمن لأنهم أرادوا تحقيق أهداف إضافية غربي القناة واستمروا في عملياتهم حتى حققوها وبعد ذلك أضطر مجلس الأمن لاصدار قرار آخر يوم ٢٤ تشرين أول وأصبح وقف اطلاق النار ساري المفعول بعد ذلك.

وعلى هذا بدأ الرئيس السادات يرتب اتصالاته المباشرة مع واشنطن من منطلق اقتناعه بأنها قادرة على الضغط على اسرائيل للتوصل معها إلى حل سلمي. وكثمن لقيام الولايات المتحدة بهذا الضغط فقد فتح المجال أمامها لتعزيز وجودها في مصر على حساب مصالح الاتحاد السوفياتي. وبشكل تدريجي أصبحت أمريكا صاحبة اليد الطولى في مصر بمختلف المجالات كما هو معروف. وانطلاقاً من هذا الموقف قام هنري كيسنجر بالحصول على بعض التنازلات من اسرائيل. منها وقف اطلاق النار غربي قناة السويس وفتح طريق التزويد للجيش الثالث المحاصر عبر الخطوط الاسرائيلية. ثم فك الاشتباك مع القوات الاسرائيلية من غربي القناة إلى شرقيها دون إجبار القوات المصرية المتواجدة شرقي القناة على التنازل عن أي

جـزء من المناطق التي كـانت تحت سـيطرتها. وقد كانت هذه الاجراءات كمقدمات للتطورات التي حدثت خلال السنين اللاحقة وأدت بالتالي إلى وضـع مصر في مكان خاص ومتميز ضمن الخطط الاسـتراتيـجية الأمريكية للشرق الأوسط واخراجها نهائياً من المواجهة الحربية العربية مع اسرائيل.



ب – أما الأهداف الاستراتيجية العسكرية المباشرة للقوات العربية فيمكن تلخيصها بما يلي:

١ – إبطال فـعـاليـة القـوات الجـوية الاسرائيليـة بواسطة بناء حـزام فعال من صواريخ (آرض – جو) يستطيع تحقيق ذلك.

٢ – إلغـاء الميـزة التي تتمتع بها اسرائيل في القتال من الخطوط الداخلية (Interior Lines) وذلك بالهجوم عليها من الجبهتين المصرية والسورية في آن واحد.

٣ – مـفاجأة القوات الإسرائيلية واصابتها بحالة من عدم التوازن وذلك عن طريق احتلال مناطق محددة في الجـبـهـتين وتكبـيـدها خسـائر ضخمة في الأرواح والمعدات خلال أقصر فترة ممكنة من الوقت.

ج – وكما نلاحظ فإن هذه الأهداف جميـعها سواء كانت عسكرية أو سياسية كانت محدودة وقـاصرة عن هدف التـحـرير والسـعي للتـغلب على اسرائيل عـسكرياً واسترداد الضـفة الغربية وقطاع غزة.

ولهذا فإن التخطيط لهذه الحرب كان مقتصراً على جبهتي سيناء والجولان فقط واستثني الأردن من هذه الخطة مع أنه أكـثـر دولة مـعنيـة بمـصير الضـفـة الغـربيـة والسـعي لتحريرها.

وربما كـان الـسـبب الرئيسي الكامن وراء هذا الاسـتـثناء هو أن المخططين لهذه الحـرب أرادوا فـعـلاً أن لا تشـمل منطقـة الضـفـة الغربية لكي لا تتحول من حرب محدودة إلى حـرب شاملة تتجاوز الأهداف السياسية التي وضعوها لها. وهذا يفسر كذلك عدم اطلاع باقي الدول العـربيـة على هذه الخطط قبل نشوب الحرب ولا سيما العراق والأردن اللتين دفـعتا بقواتهما المدرعة لايقاف الزحف الاسرائيلي نحو دمشق عندما تردت أحوال الجبهة السورية بعد المرحلة الأولى من القتال.

د – ومع الأخـذ بعين الاعـتـبار محدودية أهداف هذه الحرب فإننا نرى رغم ذلك أن القوات العربية حققت نتائج باهرة في بداية القتال أهمها ما يلي :

١ ـ المفـاجأة الاستراتيـجـيـة والتكتيكية التي حققتها القوات العربية بفضل خطة التمويه

والخداع المتطورة التي نفذتها القوات المصرية والسورية والتي نجحت بواسطتها في خداع القوات الإسرائيلية بحيث اقتنعت بأن التحركات العسكرية المكثفة التي كانت تقوم بها القوات المصرية غربي القناة خلال الأشهر التي سبقت الحرب لم تكن سوى عمليات تدريب ومناورات عادية. وإن التحشدات التي كانت تجري على الجبهة السورية لم تكن سوى اجراءات احتياطية ضد احتمالات قيام اسرائيل بالهجوم على سوريا على أثر قيام الطيران الاسرائيلي باسقاط الطائرات السورية فوق البحر الأبيض المتوسط أثناء الاشتباك الذي وقع قبل نشوب الحرب. ومما لا شك فيه أن خطة الخداع والتمويه هذه تعتبر من انجح الخطط المماثلة التي استخدمت في الحروب الحديثة

٢ - إن نجاح القوات المصرية بعبور قناة السويس على الرغم من وجود تحصينات خط بارليف التي بناها الاسرائيليون لمنع أية محاولة لعبور القناة من الجانب المصري واستطاعتها تمرير خمسة فرق عسكرية كاملة عبر القناة في آن واحد خلال مدة ٢٤ ساعة فقط وأثناء الاشتباك مع قوات العدو يعتبر انجازاً عسكرياً عظيمًا لهذه القوات سواء كان ذلك من حيث التخطيط والتنفيذ أو القدرة الفنية والتنظيمية التي مكنتها من تركيب ثمانية جسور لمرور الدبابات وأربعة جسور خفيفة لمرور المشاة فوق القناة. وإتمام بناء وتشغيل (٣١) معدية خلال ٢٤ ساعة. ومما لا شك فيه أن هذا الانجاز يعتبر خير دليل على كفاءة القوات المصرية. وإن عملية العبور التي نفذتها بنجاح تام تعتبر من بين أهم عمليات عبور الحواجز المائية المماثلة في تاريخ الحروب الحديثة والتي يحق للقوات المسلحة المصرية الافتخار بها وبمنجزاتها

هـ - يمكن القول أن تقديرات القيادتين المصرية والسورية لتحقيق أهداف هذه الحرب المحدودة كانت تستند إلى المرتكزات الآتية :

١ - إن هجوم الجيش المصري والسوري في آن واحد سوف يثبت القوات الاسرائيلية في هاتين الجبهتين بدون أن تستطيع اسرائيل استخدام قواتها الجوية بفعالية بسبب وجود الصواريخ المضادة للطائرات بكثافة مؤثرة.

٢ - أن تقوم القوات المصرية بعبور القناة وتحتل راس جسر على طول ضفتها الشرقية ثم تقوم قواتها المزودة باعداد هائلة من الصواريخ المضادة للدروع بالتصدي للهجوم المعاكس الذي لا بد وأن تقوم به القوات الاسرائيلية في أعقاب عملية العبور وتدمير معظم الدبابات الاسرائيلية المهاجمة. ومن ثم تقوم القوات المدرعة الاحتياطية

بالهجوم على ممرات (مثلا) بعد أن تكون قد نقلت الأسلحة المضادة للطائرات ولا سيما بطاريات صواريخ (سام) بمختلف أنواعها إلى شرقي القناة لتوفير الحماية اللازمة لقوات الهجوم.

٣ - أن تقوم القوات السورية بهجوم مدرع ضخم بهدف احتلال مرتفعات الجولان بكاملها خلال فترة لا تتجاوز مدة ثلاثة أيام ثم تتمركز في الدفاع على طول خط نهر الأردن وبحيرة طبريا ثم تنقل بطاريات الصواريخ (أرض - جو) إلى المواقع الدفاعية الأمامية وتستعد لمواجهة الهجوم الاسرائيلي المعاكس.

٤ - وبنتيجة هذه العمليات ستتحرك الدول الكبرى لتفرض وقف اطلاق النار بين القوات المتحاربة بالمواقع التي وصلت إليها وتحتفظ مصر وسوريا بالمكاسب التي حققتها ثم تبدأ عملية مفاوضات السلام على ضوء قرارات هيئة الأمم المتحدة.

ي - هذا هو التصور المنطقي الذي كونته عن التخطيط لهذه الحرب. وقد نجحت القوات المصرية بعبور القناة واحتلال رأس جسر على طول ضفتها الشرقية خلال الأيام الثلاثة الأولى من القتال. كما نجحت القوات السورية باحتلال هضبة الجولان بكاملها تقريباً. ووصلت طلائعها إلى مشارف بحيرة طبريا خلال نفس المدة. ولكن لماذا انقلبت الأوضاع في الجبهتين رأساً على عقب وتحول الانتصار الأولي إلى تقهقر وانكسار هذا ما ساحاول إيضاح أسبابه بالنقاط الآتية :

١ - إن ما حصل على الجبهتين بعد هذه الانتصارات الأولية يدعوا إلى الدهشة ففي جبهة الجولان لم تستطع القوات السورية الاحتفاظ بمكاسبها التي حققتها. حيث ما لبث الاسرائيليون أن تمكنوا من إيقاف تقدم القوات السورية بعد اليوم الثاني من القتال عند خط نهر الأردن - بحيرة طبريا. ثم بدأوا مباشرة بالهجوم المعاكس بقوة مؤلفة من ثلاثة فرق مدرعة ونجحوا بدفع القوات السورية إلى الخلف تدريجياً وعلى الرغم من صعوبة تقدمهم صعوداً على مرتفعات الجولان من جهة الغرب ورغم الخسائر الكبيرة التي تكبدتها قواتهم المدرعة في مختلف المعارك إلا أنهم تمكنوا من استرداد زمام المبادرة والاستمرار بالتقدم في هضبة الجولان تدريجياً على مختلف المحاور وبنفس الوقت نجحوا بتدمير معظم الدبابات السورية ثم استرداد هضبة الجولان بكاملها ومن ثم التقدم في عمق الأراضي السورية حتى وصلوا إلى مشارف دمشق. وبهذه المرحلة الأخيرة أمكن المساعدة لانقاذ الموقف بحشد القوات المدرعة الأردنية والعراقية على محاور تقدم القوات الاسرائيلية حيث

تمكنت من إيقاف تقدمها وتثبيت الجبهة عند هذا الحد. كما أن وجود الفرقة المدرعة الثالثة السورية في الاحتياط كان عاملاً حاسمًا في المعركة في القطاع الشمالي حيث نجحت هذه الفرقة بإيقاف تقدم القوات الاسرائيلية قبل وصولها إلى معسكرات الكسوة غربي مدينة دمشق.

ومن تتبع مجريات هذه الحرب أرى أن عدم وجود احتياطي رئيسي بتصرف القيادة السورية يستطيع التصدي للهجوم المعاكس الاسرائيلي كان قد أسهم بشكل أساسي في خسارتها. كما أن هنالك بعض الأخطاء الجوهرية ظهرت في المعارك الدفاعية أدت إلى عدم صمودها أمام العدو مدة كافية والانسحاب منها مبكراً أسهمت كذلك في خسران تلك المعارك.

٢ – إن دفع الفرق المدرعة المصرية التي كانت تشكل الاحتياطي الاستراتيجي من غرب القناة إلى عمق سيناء باتجاه ممرات متلا يوم ١٤ تشرين أول وذلك قبل أن يصبح بالإمكان نقل قواعد الصواريخ المضادة للطائرات إلى الشرق لتأمين الحماية الكافية لهذه الفرق المدرعة أثناء هجومها الواسع في الصحراء تسبب في تدمير أعداد كبيرة من دباباتها وفشل هجومها وردها إلى حيث بدأت كما أن حركة هذه الفرق إلى شرق القناة وترك مناطق غرب القناة خالية من أي قوات احتياطية كانت السبب الرئيسي في خسارة هذه الحرب على الجبهة المصرية برمتها. وعلى الرغم من التبريرات التي أعطيت لهذه الحركة من أنها كانت ضرورية لتخفيف الضغط عن الجبهة السورية التي ترددت الأوضاع فيها وأصبح الخطر المباشر يهدد دمشق. وإنها جاءت استجابة لطلب القيادة السورية. فإنها على أي حال قد أعطت إشارة البدء بالنسبة للقوات الاسرائيلية للمباشرة بتنفيذ عملية الهجوم المعاكس وبعبورها إلى غرب قناة السويس. حيث كان الاسرائيليون يترددون في المبادرة بهذا الهجوم قبل أن يتمكنوا منن استدراج القوات المدرعة المصرية الاحتياطية إلى شرق القناة لكي يضمنوا خلو المناطق الغربية من أية قوات مدرعة رئيسية تستطيع التصدي لهم وإفشال عبور قواتهم إلى غرب القناة. وعندما نجح الاسرائيليون بتأسيس رأس جسر غربي القناة تمكنوا بعد ذلك من نقل ثلاثة فرق مدرعة إلى داخله ومن ثم الانتشار بسرعة من خلاله إلى الغرب. ونجحوا بعد ذلك بتطويق الجيش الثالث المصري وتهديد المناطق الخلفية للجيش الثانى لعدم توفر قوات احتياطية رئيسية في تلك المناطق تستطيع التصدي لهم. وعند هذا الحد تقرر مصير الجبهة المصرية. ومع انهيار جبهة

الجـولان تقـرر مصـير الحرب برمتها. واضطرت مصر لطلب وقف اطلاق النار أولاً ثم تبـعـتـهـا سـوريا. وبهذه النتـيـجة حققت اسرائيل هدفها الاسـتراتيجي من هذه الحـرب وهو إزالة أي مكاسب أو مـيزات عسكرية أحرزتها القوات العربية في جميع الجبهات.

وهكذا أسـدل السـتـار من جـديد على هذه الحرب التي ابتدأت بانتصارات باهرة للقوات العـربيـة وانتـهت بانتـصـارات ضائعة دخلت التاريخ بهذه الصفه. وانتقل العالم العربي إلى مـرحلة جـديدة من المماحكات السـيـاسية والخلافات الاقليمية التي ساهمت إلى حد كبير في تعميق التفرقة وتكريس التشتت والضياع.

الملاحق

رقم	الموضوع	رقم
١	نص وعد بلفور وصك الانتداب	٥٨٣
٢	اتفاقية جبل سكوبس (هداسا)	٥٨٨
٣	نص التصريح الثلاثي ورد الدول العربية عليه	٥٩٠
٤	خطاب انتوني ايدن في مجلس العموم البريطاني بعد صدور الانذار الموجه الى مصر واسرائيل	٥٩٣
٥	صيغة القرار رقم (٢٤٢) الذي صدر عن مجلس الأمن الدولي بتاريخ ١٢ تشرين ثاني ١٩٦٧م	٥٩٦
٦	صيغة القرار رقم (٣٣٨) الذي صدر عن مجلس الأمن الدولي بتاريخ ٢٢ تشرين اول ١٩٧٣م	٥٩٨
٧	المراجع	٥٩٩
٨	الخرائط	٦٠١
٩	معلومات عن المؤلف	٦٠٢

نص وعد بلفور وصك الانتداب

١- وعد بلفور

فيما يلي ترجمة الكتاب الذي تضمن هذا الإعلان والذي كان موقّعاً من قبل وزير الخارجية البريطاني اللورد بلفور موجّهاً إلى اللورد روتشيلد أحد زعماء الصهيونية في بريطانيا :

عزيزي لورد روتشيلد،

إنه ليسعدني أن أنقل إليك نيابة عن حكومة جلالته الإعلان التالي عن التعاطف مع الطموحات اليهودية الصهيونية والتي قدمت إلى مجلس الوزراء ووافق عليها.

«إن حكومة جلالته تنظر بعين العطف لتأسيس وطن قومي للطائفة اليهودية في فلسطين. وستبذل أقصى جهودها لتسهيل تحقيق هذا الهدف. على أن يكون مفهوماً بكل وضوح أنه لن ينفذ أي عمل يمكن أن يجحف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة حالياً في فلسطين أو بالحقوق والأوضاع السياسية لليهود في أي بلد آخر».

المخلص

آرثر جيمس بلفور

1- Text of Declaration [1]

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you on behalf of his Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations, which has been submitted to and approved by the cabinet.

His Majesty's government view with favour the establishment. in Palestine of a notional home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which might prejudice the civil and religious rights of existing non - Jewish communities in Palestine or the rights and political status enjoyed by jews in any other country.

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Yours Sincerely

Arthur James Balfor

---

(1) The Palstine question By. AKRAM ZU'AITER

الإنتداب على فلسطين

قامت بريطانيا بصياغة مسودة صك الانتداب على فلسطين وقدمتها إلى مجلس عصبة الأمم بتاريخ ٢٤تموز عام ١٩٢٢م. وقد كانت هذه المسودة مطابقة الى حد كبير للمشروع الذي سبق أن وضعته المنظمة الصهيونية لهذا الغرض .

صيغة صك الانتداب [(١)]

أبين تالياً بعض المواد ذات الأهمية الخاصة والتي لها علاقة مباشرة بالموضوع.

١-ستكون للسلطة المنتدبة كامل الصلاحيات التشريعية والإداريه ما عدا تلك التي حددتها شروط هذا الإنتداب.

٢- ستكون السلطة المنتدبة مسئولة عن وضع البلد في ظروف سياسيه وإداريه واقتصاديه مناسبه لكي تؤدي إلى تأسيس وطن قومي لليهود كما هو مبين بالملحق الخاص. وتطوير مؤسسات الحكم الذاتي لهم. وكذلك لحماية الحقوق المدنية والدينيه لجميع سكان فلسطين بصرف النظر عن الجنس والدين.

٣- تؤسس وكالة يهودية ويعترف بها كهيئة عامه لإبداء المشورة والتعاون مع الإدارة في فلسطين في الأمور الاقتصادية والإجتماعية وغيرها مما يخص السكان اليهود في فلسطين. وستكون خاضعة لسيطرة الإدارة لكي تساهم وتساعد في تطوير البلد.

---

(١) اكرم زعيتر، كتاب المسالة الفلسطينية.

٤- على الادارة في فلسطين، مع مراعاة حقوق وأوضاع باقي فئات السكان الآخرين، أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين ضمن شروط مناسبة، وعليها أن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية على تأمين إستيطان اليهود في الأراضي الحكومية والأراضي الخلاء التي لا تلزم للخدمات العامة .

٥- ستكون الإدارة في فلسطين مسؤولة عن سن قانون الجنسية على أن يتضمن هذا القانون نصوص تسهل الحصول على الجنسية الفلسطينية من قبل اليهود الذين يقيمون إقامة دائمة في فلسطين .

THE PALESTINE MANDATE

Britain drew up a draft for the Palestine mandate and submitted it to the council of the League of Nations on July 24,1922 . This draft was almost an exact copy of the scheme drawn up by the Zionist Organization .

TEXT OF MANDATE [1]

Following are the relevant articles only

1-The Mandatory shall have full powers of legislation and of administration , save as they may be limited by the terms of this mandate.

---

(1) The Palstine question By. AKRAM ZU'AITER

2-The Mandatory shall be responsible for placing the country under such political administrative and economic conditions as will secure the establishment of the Jewish National Home, as laid down in the preamble , and the development of self governing institutions , and also for safeguarding the civil and religious rights of all the inhabitants of Palestine, irrespective of race and religion.

3-An appropriate Jewish Agency shall be recognized as a public body for the purpose of advising and co-operating with the Administration of Palestine in such economic , social and other matters of the Jewish population in Palestine, and , subject always to the control of the Administration, to assist and take part in the development of the country.

4-The Administration of Palestine , while ensuring that the rights and position of other sections of the population are not prejudiced , shall facilitate Jewish immigration under suitable conditions and shall encourage, in co-operation with the Jewish Agency, close settlement by Jews on the land including state lands and waste lands not required for public purposes.

5-The Administration of Palestine shall be responsible for enacting a nationality law. There shall be included in this law provisions framed so as to facilitate the acquisition of Palestinian citizen ship by jews who take up their permanent residence in Palestine.

اتفاقية جبل سكوبس (هداسا)

٧ تموز (يوليو) ١٩٤٨ م

عقدت بين القادة العرب واليهود في منطقة القدس من أجل نزع سلاح منطقة جبل سكوبس

واتفق فيها على ما يلي :

١-أن تكون حماية المنطقة المحددة على الخريطة المرفقة من اختصاص الأمم المتحدة حتى تنتهي الأعمال العدوانية، وتعقد اتفاقية جديدة.

وتشمل هذه المنطقة الأماكن المعروفة باسم مستشفى هداسا والجامعة العبرية واوغستا فكتوريا وقرية العيساوية. وتقبل الامم المتحدة الاشتراك في توقيع هذه الوثيقة بالإنابة عن طريق كبير المراقبين في منطقة القدس ورئيس لجنة الهدنة. وعلى ذلك فهي تقبل مسئولية ضمان سلامة هذه المنطقة كما هو مبين هنا.

٢- تنشأ منطقة حرام تمتد حوالي ٢٠٠ ياردة على طول الطريق الرئيسية بين مباني اوغستا فكتوريا والجامعة العبرية بما يلائمها من مراكز التفتيش على طرفي الطريق. وتنشأ مراكز أخرى للتفتيش حول المنطقة المحمية ويوافق الجميع على أن يكون دخول المنطقة من الطريق الرئيسية عن طريق مراكز التفتيش التي يُنشئها مراقب الامم المتحدة . وتعتبر جميع المحاولات الأخرى لدخول المنطقة غزواً غير مشروع.

٣- يتولى البوليس المدني العربي واليهودي الحراسة كل في منطقته تحت اشراف مندوب الامم المتحدة ويرفع علم الامم المتحدة على المباني الرئيسية وينسحب اليوم جميع أفراد القوات المسلحة من الطرفين مع عتادهم وكل ما لا يحتاج إليه مراقب الأمم المتحده.

٤-تؤمن الأمم المتحدة وصول ما يكفي الجانبين من مؤن وماء. ويحدد مراقب الأمم المتحدة مواعيد تغيير من تدعو الحاجة الى تغييره ممن يقيمون على جبل سكوبس.

ويضع المراقب الدولي بالتشاور مع الفريقين تدابير زيارات الأشخاص المعتمدين للمنطقة. وتتعهد الرقابة الدولية بان تقصر سكان جبل سكوبس على الأفراد الذين تحتاج اليهم إدارته فضلاً عن السكان الحاليين لقرية العيساوية. ولا يضاف أحد إلى سكان القرية إلا باتفاق الفريقين. ولا يزيد عدد أفراد القوة المبدئية للبوليس المدني في المنطقة اليهودية على ٨٥ شخصاً وعدد الموظفين المدنيين الملحقين بهم على ٢٣ شخصاً. ولا يزيد عدد أفراد البوليس العربي في منطقة اوغستا فكتوريا على ٤٠ شخصاً.

٥- يوافق الجانبان على عدم استخدام المنطقة قاعدة للعمليات الحربية وأن لا تهاجم أو يدخلها أحد بطريقة غير مشروعة.

٦- في حالة انسحاب الجيش العربي من المنطقة يجب أن يتلقى مراقب الامم المتحدة تبليغاً خطياً يسبق الإنسحاب بمدة كافية لوضع تدابير لتنظيم اتفاق جديد بدلاً من هذا البروتوكول.

التوقيع عن الأردن : الزعيم نورمان لاش

التوقيع عن اليهود: الكولونيل شالتيل

التوقيع عن لجنة الهدنة : جان منبوفينيوز

كبير المراقبين الدوليين: نيلر برانسون

تصريح الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا
عن سياسة الدول الغربية إزاء الشرق الاوسط
في ٢٠ مايس سنة ١٩٥٠م
(التصريح الثلاثي)

أتيحت لحكومات المملكة المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة الفرصة أثناء الإجتماع الذي عقده أخيراً وزراء خارجيتها في لندن لبحث بعض المسائل المتعلقة بالسلم والاستقرار في الدول العربية ودولة إسرائيل وخاصة إرسال أسلحة ومواد حربية إلى هذه الدول.

وقد قررت الحكومات الثلاث إصدار التصريح التالي :

١- تقرر الحكومات الثلاث بأن الدول العربية ودولة إسرائيل في حاجة إلى الإحتفاظ بمستوى معين من القوات المسلحة لتضمن أمنها الداخلي ودفاعها الشرعي وتتمكن من الإضطلاع بالدور الملقى على عاتقها في الدفاع عن المنطقة جمعاء.

وجميع الطلبات المقدمة من هذه البلاد لتوريد أسلحة ومواد حربية، إليها سينظر فيها على ضوء هذه المبادئ.

وتود الحكومات الثلاث أيضا أن تذكر وتؤكد أحكام التصريح الصادر من مندوبيها في مجلس الأمن يوم ٤ اغسطس ١٩٤٩م وقد أكدت فيه لسباق التسلح بين الدول العربية وإسرائيل .

٢- وتعلن الحكومات الثلاث أنها تلقت من جميع الدول المنتفعة من إرسال أسلحة إليها ضماناً بأن الدول المشترية لا تعتزم القيام باي عمل عدواني إزاء أي دولة أخرى. وسيطلب مثل هذا الضمان من اية دولة اخرى في هذه المنطقة يؤذن بتزويدها بالأسلحة في المستقبل.

٣- وتنتهز الحكومات الثلاث هذه الفرصة لتعلن ما تعلقه على هذه المسألة من اهتمام بالغ مع رغبتها في المساعدة على إعادة توطيد أركان السلم والمحافظة على السلام والاستقرار في هذه المنطقة معارضة لن تتحول عنها.

ولن تني الحكومات الثلاث اذا هي علمت أن إحدى هذه الدول تستعد للإعتداء على الحدود أو خطوط الهدنة لدولة أخرى، عن اتخاذ الإجراءات سواء في نطاق هيئة الامم المتحدة أو خارجه طبقاً لالتزاماتها باعتبارها أعضاء في هيئة الأمم المتحدة لمنع هذا الاعتداء.

رد الدول العربية

على البيان الثلاثي المشترك

١- إن الدول العربية تهتم باستكمال تسليحها لشعورها العميق بمسئوليتها عن حفظ الأمن الدولي في هذه المنطقة، ذلك الواجب الذي يقع أولاً وبالذات عليها وعلى جامعة الدول العربية. باعتبارها منظمة إقليمية ينطبق عليها حكم المادة الثانية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة.

٢- إن مستوى القوات التي تحتفظ بها كل دولة لأغراض الدفاع وحفظ الأمن الدولي أمر يرجع تقديره إلى هذه الدول نفسها ويخضع لاعتبارات كثيرة أهمها عدد السكان ومساحة البلاد وترامي حدودها.

٣- يهم الدول العربية أن تسجل التأكيدات التي تلقتها بأن الدول الثلاث لم تقصد من تصريحاتها محاباة إسرائيل أو الضغط على الدول العربية لتدخل في مفاوضات مع إسرائيل أو المساس بالتسوية النهائية للقضية الفلسطينية أو المحافظة على الوضع الراهن، بل قصدت إظهار معارضتها الإلتجاء إلى القوة أو الإعتداء على خطوط الهدنة.

٤- تعلن الدول العربية أن أفضل الطرق لصيانة السلام في الشرق الأوسط حل قضاياه على أساس الحق وإعادة حالة الوفاق التي كانت سائدة فيه والمبادرة إلى تنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة الخاص بعودة اللاجئين وتعويضهم عن أملاكهم.

٥- كذلك يهم الدول العربية أن تسجل التأكيدات التي تلقتها بأن تصريح الدول الثلاث وطريقة تقديمه وما نصَّ عليه بشأن تلقي التعهدات من الدول المشترية للأسلحة لا تعني مطلقاً تقسيم هذه المنطقة إلى مناطق نفوذ أو الإعتداء بأية صورة على استقلال الدول العربية وسيادتها.

Text of the British Prime Minister's

Statement in the House of Commons on October 30th 1956

Sir ,,,

with your permission and that of the House I will make a statement. As the House will know for some time past the tension on the frontiers of Israel has been increasing . The growing military strength of Egypt has given rise to renewed apprehension which the statements and actions of the Egyptian government have further aggravated. The establishment of a joint military Command between Egypt, Jordan and Syria, The renewed raids by guerillas culminating in The incursion of Egyptian Commandos on Sunday night has all produced a very dangerous situation. Five days ago news was received that the Israeli government was taking certain measures of mobilization . H M government at once instructed H.M. Ambassador at Tel Aviv to make inquiries of the Israeli minister for Foreign Affairs and to urge restraint .

Meanwhile , President Eisenhower called for an immediate tripartite discussion between representatives of the United Kingdom, France and the United states . A meeting was held on October 28th in Washington and a second meeting took place on October 29th.while these discussions were proceeding, news was received last might that Israeli forces had crossed the frontier and had Penetrated deep into

Egyptian territory . Later further reports were received indicating that paratroops had been dropped. It appeared that the Israel spearhead was not far from the banks of the Suez canal. From recent reports it also appears that air forces are in action in the nighbourhood of the canal . During the last few weeks H.M. government have thought it their duty, having regard to their obligations under the Anglo - Jordan treaty, to give assurances both public and private of their intention to honour these obligations .H.M. Ambassador in Tel Aviv late last night received and assurance that Israel would not attack Jordan.

My right honourable and learned friend the Foreign Secretary discussed the situation with the US Ambassador early this morning .

The French Prime Minister and Foreign Minister have come over to London at short notice at the invitation of H.M. Government to deliberate with us on these events. I must tell the House that very grave issues are at stake, and unless hostilities can quickly be stopped , free passage through the canal will be jeopardized . Moreover any fighting on the banks of the canal would endanger the ships actually in passage . The number of crews and passengers involved totals many hundreds and the value of the ships which are likely to be on passage is about 50 millions , excluding the value of the cargoes. H.M government and the French government have accordingly agreed that everything possible should be done to bring hostilities to an end as soon as possible . Their representatives in New York therefore have been instructed to Join the United State representative in seeking an immediate meeting of the Security Council.

This began at 4 p.m. In the meantime , as a result of the consultations held in London today, The United Kingdom and French governments have now addressed urgent communications to the governments of Egypt and Israel .

In these we have called upon both sides to stop all warlike action by land , sea and air forthwith and to withdraw their military forces to a distance of 10 miles from the canal . Further, in order to separate the belligrants and to guarantee freedom of transit through the canal by the ships of all motions , we have asked the Egyptian government to agree that Anglo - French forces should move temporarily into Key positions of Port said, Ismailia and Suez .

The governments of Egypt and Israel have been asked to answer this communication within 12 hours, It has been made clear to them that if at the expiration of that time one or both have not undertaken to comply with these requirements, the British and French forces , will intervene in what ever strength may be necessary to secure compliance. I will continue to keep the House informed of the situation.

United Nations Security Council

Resolution (242) November 12, 1967

The Security Council

Expressing its continuing concern with the grave situation in the Middle East emphasizing the inadmissibility of the acquisition of territory by war and the need to work for a just and lasting peace in which every state in the area can live in security.

Emphasizing further that all member states in their acceptance of the charter of the united Nations have Undertaken to act in accordance with article 2 of the charter .

1. Affirms that the fulfillment of charter principles requires the establishment of just and lasting peace in the Middle East which should include the application of both the following principles,

I . withdrawal of Israeli armed forces from territories occupied in the recent conflict.

II .Termination of all claims or states of belligerency and respect for and acknowledgment of the sovereignty, territorial integrity and political independence of every state in the area and their right to live in peace within secure and recognized boundaries free from threats o acts of force.

2-Affirms further the necessity

(a) For guaranteeing freedom of navigation through international ways , in the area.

(b) For achieving a just settlement of the refugee problem .

(c) For guaranteeing the territorial inviolability and political independence of every state in the area , through measures including the establishment of demilitarized zones.

3-Requests the secretary general to designate a special representative to proceed to the Middle East to establish and maintain contacts with states concerned in order to promote agreement and assist efforts to achieve a peaceful and accepted settlement in accordance with the provisions and principles of this resolution .

4-Requests the secretary general to report to the security council on the progress of the efforts of the special representative as soon as possible.

United Nations Security Council

Resolution (338) October 21-22, 1973

The Security Council

1-Calls upon all parties to the present fighting to cease all firing and terminate all military activity immediately, no later than 12 hours after the moment of the adoption of this decision, in the positions they now occupy.

2-Calls upon the parties concerned to start immediately after the cease fire the implementation of security council resolution (242) 1967 in all of its parts.

3-decides that immediately and concurrently with the cease - fire negotiations start between the parties concerned under appropriate auspices aimed at establishing a just and durable peace in the Middle East.

المراجـع

1. *The Palestine Campaigns*

By Field Marshal Earl Wavell

2. *The Second world war, volume two*

By sir Winston S. Churchill

3. *A Soldier with the Arabs*

By. Lt. general , sir John Bagot Glubb

4. *Arab and Jew*

Wounded spirit in a promised land

By: David K. Shipler

5. *Makers of modern strategy*

By Edward Mead Earl

6. *Glubb Pasha - A Biography*

BY: general James lunt

7. *Taking sides*

America's Secret Relations with a Militant Israel 1948-1967

By: Stephen Green.

معلومات عن المؤلف

١- سجل الخدمة العسكرية :

انتسب للجيش برتبة مرشح -	١٩٤٢/٧/٣٠
رفع الى رتبة ملازم ثاني -	١٩٤٣/٧/١٠
رفع الى رتبة ملازم أول -	١٩٤٤/٥/١٦
رفع الى رتبة رئيس -	١٩٤٦/٣/٣١
رفع الى رتبة وكيل قائد -	١٩٤٨/٨/٢٦
رفع إلى رتبة قائد -	١٩٥٣/٤/٢٣
رفع إلى رتبة عقيد -	١٩٥٥/١٠/٣١
رفع إلى رتبة زعيم -	١٩٥٦/٥/٢٦
رفع الى رتبة امير لواء -	١٩٥٨/٢/٥

٢- الدورات العسكرية في مدارس الجيش البريطاني

دورة مرشحين ضباط-	معسكر سدني سميث-	١٩٤٣/٧/١٧
القادة العظام-	معسكر دير سنيد -	١٩٤٤/٨/٢٥
الحركات الحربية -	معسكر فايد (مصر) -	١٩٤٤/١١/٢٨
أسلحة المشاة -	معسكر دير سنيد -	١٩٤٥/٩/٢٤
كلية الاركان التحضيرية-	معكسر الكرمل(حيفا)-	١٩٤٦/١٠/١٧
كلية القيادة والأركان-	كمبرلي - انجلترا	١٩٤٨-١٩٤٩

٣- الأوسمة الاردنية :

وسام الاستقلال من الدرجة الرابعة	١٩٤٣
شارة ذكرى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥	١٩٤٥/٢/١٥
وسام الخدمة العامة بفلسطين	١٩٤٦/٣/٢
وسام النهضة من الدرجة الثالثة	١٩٤٨/١/٢٦
وسام الكوكب الاردني من الدرجة الثانية	١٩٥٧/٨/٨
وسام الاستقلال من الدرجة الاولى	١٩٥٨
وسام الكوكب الاردني من الدرجة الاولى	١٩٧٤

٤- الاوسمة العربية

وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية ١٩٥٣/٦/٨

وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى ١٩٥٦/٩/٢٦

وسام الاستحقاق المصري من الدرجة الاولى ١٩٥٦/٦/١٥

٥- الوظائف التي شغلها

قائد فئة وضابط تدريب ١٩٤٣/٣/٢٥-١٩٤٤/٣/١٨

اركان حرب مركز تدريب الجيش في صرفند ١٩٤٤/٣/١١-١٩٤٥/١١/١

ركن عسكري في قيادة اللواء المسلح ١٩٤٥/١١/١-١٩٤٨/٤/١

ركن عمليات حربية في قيادة الفرقة ١٩٤٨/٤/١-١٩٥١/٥/١٠

ركن عسكري قيادة اللواء الثالث ١٩٥١/٥/١٠-١٩٥٢/٦/١٠

قائد كتيبة المشاة الثامنة ١٩٥٢/٦/١٠-١٩٥٥/٥/٢٣

قائد عام الحرس الوطني ١٩٥٥/٥/٢٤-١٩٥٦/٥/٢٣

مدير هيئة الاركان للجيش العربي ٥٦/٥/٢٤-١٩٥٨/٦/٨

نائب القائد العام لجيش الاتحاد العربي الهاشمي ٥٨/٦/١٩- ١٩٥٨/٧/٣١

مدير هيئة الأركان للجيش العربي ٥٨/٨/١- ١٩٥٩/٥/١٥

بعد ان تقاعد من الخدمة العسكرية عمل بعد عدة سنوات

في بعض الوظائف الحكومية وهي الآتي :

أ- مديراً للجوازات والأحوال المدنية.

ب- محافظاً للواء الشمال.

ج- وزيراً للتموين.

د- وزير دولة للشئون الخارجية.

المحتويات

الفصل الثالث

الأخطاء والدروس المستفادة من هذه الحرب

الفصل الرابع

مرحلة ما بعد الحرب

الفصل الخامس

حرب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦

الفصل السادس

مطالعات عن الحرب العربية -الإسرائيلية الثالثة عام ١٩٦٧م

الفصل السابع

حرب الإستنزاف والاستعداد للجولة القادمة والمشاكل الداخلية

الفصل الثامن

مطالعات عن الحرب العربية – الإسرائيلية الرابعة عام ١٩٧٣م



صادق الشرع

* انتسب للخدمة في الجيش العربي برتبة مرشح ضابط سنة ١٩٤٢ .
* تدرج بالرتب العسكرية حسب تسلسلها حتى رتبة لواء ركن سنة ١٩٥٨..
* حضر عدداً كبيراً من الدورات العسكرية المختلفة وكان آخرها كلية القيادة والأركان في بريطانيا سنة ١٩٤٩.
* عين قائداً عاماً للحرس الوطني سنة ١٩٥٥م.
* تولى القيادات العسكرية المختلفة ومراكز الأركان المهمة حتى عين مدير هيئة الأركان للجيش العربي سنة ١٩٥٦.
* نال العديد من الأوسمة الأردنية والعربية الرفيعة.
* عيّن نائباً للقائد العام لجيش الاتحاد العربي الهاشمي سنة ١٩٥٨.
* بعد التقاعد عين في عدة مراكز مدنية منها:

محافظا للواء الشمالي

وزيراً للتموين

وزير دولة للشؤون الخارجية

الناشر

دار الشروق للنشر والتوزيع عمان – الاردن

دار الشروق للنشر والتوزيع رام الله – فلسطين

الغلاف

الشروق للدعاية والاعلان

قسم الخدمات المطبعية